مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

زهور البساتين في تاريخ السوادين

مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

الحاج موسى أحمد كامَره

تقديم وتحقيق وتعليق
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

الكويت
2010

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

زهور البساتين في تاريخ السوادين

مدونة شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

الحاج موسى أحمد كامره

تقديم وتحقيق وتعليق
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

زهور البساتين في تاريخ السوادين
مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا
الحاج موسى أحمد كامره
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

الكويت
2010

زهور البساتين

في تاريخ السوادين

مدونة شعوب غربي إفريقيا

في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

الحاج موسى أحمد كامَرَه

تقديم وتحقيق وتعليق

د. ناصر الدين سعيدوني

د. معاوية سعيدوني

الكويت

2010

أعدّه للطباعة وراجعه

عبدالعزيز محمد جمعة
ريم محمود معروف

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

يعتبر التراث المكتوب بمثابة الذاكرة الحية لأي شعب والسجل المعبر عن الإسهام المعرفي لأية أمة. ولهذا كان البحث عن المخطوطات والعمل على نشرها منطلق كل عمل علمي جاد وبداية أي مشروع ثقافي أصيل، الأمر الذي أكسب مخطوط «زهور البساتين في تاريخ السوادين» للشيخ موسى كَامَرَه أهمية لدى القارئ العام ومكانة خاصة لدى الباحث المختص في تاريخ وحضارة شعوب إفريقيا الغربية.

إن تاريخ السوادين - الذي تسعد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بإصداره - من عيون التراث العربي الإفريقي المكتوب، لكونه يحيط بمختلف مظاهر الحياة بإفريقيا الغربية، فهو يعرض معلومات في غاية الأهمية حول أصول وأنساب وعادات ومعاملات شعوب السودان الغربي، ويرسم صورة متكاملة للواقع السياسي والوضع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والتفاعل الثقافي الذي عرفته مختلف أقطار السودان الغربي منذ بداية انتشار الإسلام بها في القرن الثامن وإلى أن تمكن الأوروبيون من القضاء على الحكام المحليين وإخضاع كامل أقاليم السودان لسيطرتهم العسكرية في الربع الأول من القرن العشرين.

ومما أكسب تاريخ السوادين طابعًا خاصًا وميزة عن غيره من المصادر الأساسية لتاريخ السودان كون مؤلفه الشيخ موسى كَامَرَه يُعدُّ من علماء المنطقة

ومن ذوي الثقافة التقليدية والنظرة المتفهمة لظروف عصره ومتطلبات مجتمعه التي تحكمت فيه العادات المتوارثة ومخططات السياسة الاستعمارية الهادفة لإخضاع المنطقة واستغلالها، وهذا ما تنبه إليه الشيخ موسى كَامَرَه فحاول إحياء ما اندثر من تراث المنطقة، وجمع في مخطوطه ما أورده المؤرخون السابقون وما حفظته الذاكرة الشعبية عن طريق الرواية والمشاهدة وتقصي الخبر دون حذف أو تحوير أو تعديل، فكان مضمونه مدونة جامعة لمسائل وقضايا التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، مما أهله أن يحتل مكانة مميزة بين أهم مصادر تاريخ وحضارة السودان الغربي لا تقل أهمية عمّا كتبه عبدالرحمن السعدي ومحمود كعت وأحمد بابا التنبكتي.

لهذه الاعتبارات حرصت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على نشر هذا المخطوط وإخراجه محققًا ومعلقًا عليه مع ملاحق وافية، فقد اجتهد المحققان د. ناصر الدين سعيدوني ود. معاوية سعيدوني مشكورين، في تحقيق نصه وضبط مادته والتعريف بمضمونه ووضع عناوين وجداول لغوية وزمنية ولوحات وخرائط وصور إيضاحية، فأعادا الحياة إلى هذا الأثر التراثي والإسهام التاريخي الذي ظل بعيدًا عن أيدي القراء لندرة نسخه وصعوبة قراءة خطه وضبط مدلول عباراته وانمحاء كتابة بعض كلماته وعباراته وتداخل معلوماته، وهذا ما تطلب من المحققين بذل الجهد الكثير في إخراج مادته وإخضاعها لقواعد التحقيق والبحث عن مصادرها والتعريف بدلالاتها التاريخية واللغوية فلهما كل الشكر والتقدير على دأبهما وتعاونهما وجهودهما المثمرة.

إن هذا الكتاب الذي تعتز مؤسستنا بإخراجه في هذه الطبعة المحققة يتجاوز في حقيقته إضافة مثرية للمكتبة التاريخية العربية الإفريقية، إلى كونه عملاً تأسيسيًا لتكوين فضاء ثقافي ومعرفي كفيل بإعادة التفاعل الثقافي بين البلاد

العربية والأقطار الإفريقية، ولإعادة تشكيل الذهنية الثقافية والتصور المعرفي المعبر عن التواصل المثمر والتفاعل البنّاء والعطاء المتبادل بين ابناء الأمة العربية والشعوب الإفريقية.

إن مستقبل التعاون الثقافي العربي الإفريقي مرهون باستعادة الوعي بالتاريخ، وإعادة بناء الخلفية التاريخية العربية الإفريقية المشتركة القائمة على التفاهم والتعاون والتلاحم، حتى يمكن للشعب العربي وشعوب القارة الإفريقية وخاصة مناطق جنوب الصحراء المعروفة ببلاد السودان والممتدة من البحر الأحمر شرقًا وحتى المحيط الأطلسي عبر النوبة ودارفور وتشاد والنيجر ومالي والسنغال غربًا، لكونها تشكل منطقة التلاحم وفضاء الاحتكاك وبوتقة التفاعل حيث ترتسم ملامح العلاقات العربية الإفريقية مستقبلاً، وهذا يُكسب كل عمل علمي أو جهد معرفي أو نشاط ثقافي في هذا المسعى بعدًا استراتيجيًا، وهنا تكمن أهمية كتاب «تاريخ السوادين» لكونه يعبر عن الموقف الإفريقي الأصيل ويحاول طرح إشكالية التواصل العربي - الإفريقي من منطلقاتها الأولى، ويقدم صورة أخرى كفيلة بتصحيح الخلل وإعادة الارتباط العربي - الإفريقي، بعد أن نجحت المبادرات الثقافية الغربية خاصة الإنكليزية والفرنسية في تحويل وجهة إفريقيا عن توجهها الطبيعي نحو الوطن العربي إلى عالم أوروبي غريب عنها، وبذلك تكرست عزلة إفريقيا وتبعيتها للمجال الثقافي والاقتصادي الأوروبي المتحسس من كل تواصل مع عرب شمال الصحراء، رغم ما اقترفه الأوروبيون في حق إفريقيا من ممارسة للنخاسة ونهب للثروات وتحطيم للثقافات المحلية.

إن المشاريع الثقافية الواعدة والخطط الاستراتيجية المؤثرة هي التي تنطلق من خلفية تاريخية مشتركة لتصل بنفسها الطويل وتبدأ مسيرة الألف ميل بخطوة تؤدي إلى تغيير الواقع، ولعل كتاب تاريخ السوادين بداية موفقة لهذا المسعى الذي

آلت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على نفسها أن تحرز سبق الإسهام فيه، فهنيئًا للقارئ بهذا العطاء المعرفي الذي يعزز أواصر التواصل الثقافي العربي - الإفريقي.

ويسعدني في الختام أن أشكر الأستاذ محمد سعيد باه الذي زودنا بصورة عن هذا المخطوط، والشكر موصول للباحثين في المؤسسة الذين راجعوا هذا السفر الضخم وأعدوه للطباعة.

والله ولي التوفيق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 15 من رجب 1431هـ

الموافق 27 من يونيو 2010م

****

تقديم المخطوط

إن هذا المخطوط الذي نسعد بتقديم نسخته المحققة والمعلق عليها من أهم المصادر التاريخية عن بلاد السودان الغربي، فهو مدونة تضمنت معلومات تاريخية وأوصاف جغرافية واجتماعية لشعوب إفريقيا الغربية منذ انتشار الإسلام بينها وحتى خضوعها للهيمنة الأوربية؛ كما أنه أهم إسهام تاريخي لأحد أعلام منطقة حوض نهر السنگال وهو الشيخ الحاج موسى بن أحمد كامَرَه، إذ جمع فيه كل ما انتهى إليه من نصوص وروايات وأخبار، ليستكمل به المصادر التاريخية المحلية لإقليم السودان الغربي، وخاصة حوض النيجر والسنغال، وهذا ما شجعنا على تحقيق نصه والتعليق عليه ووضع فهارس وملاحق له خدمة للثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا التي حاول الاستعمار تحييدها معرفيًا وطمس معالمها وإلحاق المنطقة بنفوذه الثقافي والسياسي.

وحتى يستفيد القارئ من المادة التاريخية للكتاب ويأخذ فكرة عن مؤلفه ومضمونه التاريخي، فإننا سوف نحاول في هذا التقديم أن نعرفه بحياة مؤلفه وإنتاجه التاريخي ومنهجه في تسجيل الأحداث، كما نحاول أن نعرفه بمضمون الكتاب ومكانته في التراث التاريخي لغرب إفريقيا.

أولاً: حياة المؤلف

هو الشيخ الحاج موسى بن أحمد كامَرَه الفلاّني الفوتي نسبة إلى موطنه بمنطقة فوتا تورو بحوض نهر السنغال؛ تنحصر معرفتنا بحياته فيما كتبه عن نفسه في آخر ما صنفه وهو «تبشير الخائف الحيران وتذكيره بسعة رحمة الله الكريم المنان»، أو ما كتبه عنه مؤخرًا الأستاذ الباحث محمد سعيد باه الموريتاني؛ والتي نستخلص منها

أنه ولد في جوريك صمب جوم إحدى قرى دائرة ماتم بعد سنة 1279 □ (1862 م) أو سنة 1280 □ (1863 م)، ونشأ في عائلة عرفت بتدينها ومكانتها الاجتماعية وتشبثها بالعادات والتقاليد التي صنفت المجتمع المحلي الذي ترعرع فيه والمتكون من جماعة العلماء المتميزة، وجماعات الأحرار المشتغلة بمختلف المهن، وطبقة الأرقاء التي لا تملك حق التصرف في نفسها؛ فحظي بالرعاية والتوجيه نحو اكتساب العلم لكون أبيه من أهل الرأي والمشورة، ونال التقدير من الخاصة لكون أمه من جماعة دينينكي (دينينكوبي) الذين حكم أسلافهم منطقة فوتا تورو لعدة قرون.

تلقى المؤلف تعليمه الأولي في الكتاب بمسقط رأسه بغنغل (Ganguel) قبل أن يتتلمذ على العديد من مشايخ منطقته وعلماء صحراء شنقيط، فساعده ذكاؤه وفطنته في مطلع شبابه أن يكتسب معارف أولية في علوم العربية والشريعة، رغم ميله الفطري للاستمتاع بالحياة، وهذا ما شهده على نفسه بقوله: «إني كنت زمن البلوغ إذا نظرت في اللوح المكتوب نظرة واحدة أحفظ ما كتب فيه... ومع هذا غلب علي حب اللهو والعياذ بالله تعالى، فلذلك قل علمي الذي قرأته على معلم ولم يزدد علمي إلا بالمطالعة».

دخل الشيخ موسى كامَرَه معترك الحياة الثقافية، فمال إلى التصوف وأخذ ورد الطريقة القادرية عن شيخه سعد بوه، وهذا ما جَعله في موقف تنافس بل عداء مع أتباع الطريقة التجانية التي كانت تعمل على فرض نفوذها بحوض السنغال على حساب الطريقة القادرية؛ ولعل هذا ما دفع الشيخ موسى إلى التفكير في التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج، لكن الظروف لم تسمح له بتحقيق أمنيته، فانتهت رحلته عند الإمام إبراهيم الذي كان يحكم دولة الأئمة في فوتا جالون بمنطقة غينيا الحالية، وبعدها عاد إلى موطنه ليتصل بالشيخ عاقب بن الشيخ عمر في دكًراو، فحظي بالرعاية والإكرام لديه، وأثناء ذلك اشتهر أمره لصلاحه وتقواه وعلمه، فأرسل من قبله تلميذه محمد سعيد باه إلى المناطق الجنوبية لإرشاد الناس وتعليمهم، فأسس هناك زاوية، نشأ حولها فيما بعد مركز تجاري عرف بمدينة غناس السنغالية.

جمع الشيخ موسى بين مكانة الصوفي وموقف العالم وسلوك المصلح، فعرف بالتسامح والاعتدال في إبداء الرأي وإعطاء المشورة، فلم يأخذ بموقف دعاة الطرق

الدينية من قادرية وتجانية في التنكير على منافسيهم وخصومهم، بل ذهب في ذلك مذهب شيخه سعد بوه فلم ير مانعًا في الجمع بين الطرق الدينية وإن ظل منتسبًا للقادرية، ولم يعتبر التبغ من المحرمات الكبرى كما كان ينظر إليه التجانيون، فأصدر فتوى بجوازه بعد أن انتشرت زراعته بحوض السنغال، وكتب حوله مصنفًا بعنوان «رفع الحرج والإثم عمن تعاطى ما لا يضره من الدخان والشم»، وقد قدر فيه هذا الموقف المعتدل العديد من شيوخ منطقة حوض السنغال، فاعترفوا بصلاحه وعلمه وخصّه بعضهم بقصائد مدح وإطراء أثبت بعضها في كتابه موضوع التحقيق؛ كما تعرف عليه المهتمون بدراسة ثقافة شعوب إفريقيا الغربية المستفرقين (المستشرقين الأفارقة) وأغلبهم فرنسيون، فارتبط مع بعضهم بصلات علمية مثل موريس دولافوس (M. Delafosse) وهنري غادين (H. Gadin)، ولعل هذا ما لفت انتباه الحاكم الفرنسي للسنغال السيد كوربيار مارتن (Martin) المهتم بتاريخ إفريقيا الغربية، وجعله يطلب منه كتابة تاريخ شامل لشعوب السودان الغربي (Histoire des peuples noirs)، فكان ذلك سببًا في تأليفه «زهور البساتين في تاريخ السوادين».

توفي الشيخ موسى كامَرَه ببلدة غنغل (Ganguel) التي أصبحت تنسب إليه على مقربة من نهر السنكال سنة 1365 □ (1945 م) عن سن تجاوز الثمانين سنة تاركًا العديد من المصنفات التي لم تحظ بالتقدير والاهتمام والنشر بعد انتصار التيار التجاني المتحفظ على الشيوخ المنتسبين للقادرية، ومنهم الشيخ موسى كامَرَه. على أن ظهور جيل جديد من الباحثين عن تراث المنطقة، عمل مؤخرًا على إعادة الاعتبار له والتعريف بمساهمته العلمية، فأصبحت مؤلفاته موضع دراسة الباحثين.

ثانيًا: إنتاج المؤلف

عرف الشيخ موسى كامَرَه بشغفه بالقراءة وحبه للكتابة، فبدأ في تصنيف الكتب تلخيصًا وتأليفًا وتعليقًا وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وهذا ما مكنه من إنجاز العديد من المصنفات في شتى أبواب المعارف الدينية والأدبية، وكان له تميز في عرضه وتعليقه على مسائل اللغة والأدب والتاريخ والسير والمدائح والزهد، ناهز ما عرف منها خمسة وثلاثين مصنفًا مختلفة الحجم ومتباينة المواضيع بعضها ملخصات

وتعليقات وبعضها الآخر جاء في شكل مستخرجات من أعمال سابقة أو تفريعات أو اقتباسات من كتب اطلع عليها من قبيل ما أدرجه في مصنفه المعروف بـ «المجموع النفيس»، أما القليل منها فكان تأليفًا في التاريخ والأنساب والتصوف والمديح.

لقد عكس إنتاج الشيخ موسى كامَرَه ثقافة مجتمعه ومعارف عصره واهتمامات الجماعة المثقفة في زمنه، وهذا ما جعلها تشكل إسهامًا ثقافيًا متكاملاً، وتعبيرًا أصيلاً عن تراث السودان الغربي، فأولاها الرعاية المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء الذي أصبح يعرف بمعهد الشيخ أنت جوب الملحق بجامعة داكار.

يمكن إدراج مجمل ما ألفه الشيخ موسى كامَرَه في أربعة أصناف من حيث طبيعة الموضوع ونوعية المعلومات والاهتمامات، فالصنف الأول يتصل بعلوم اللغة والنحو ومسائل الأدب والطرائف والعادات، ويتضمن المصنفات التالية:

1. دليل السالك على معاني ألفية ابن مالك.
2. آلة العلوم على اليقين البت في شرح دواوين الشعراء الست.
3. الأستاذ الكافي في علمي العروض والقوافي.
4. شرح الصدر في الكلام عن السحر.
5. حصول الأغراض بشفاء الأمراض.
6. قصائد متفرقة باللغة الفلاّنية حسب أساليب الشعر العربي من حيث التفعلية والقافية.

والقسم الثاني يهتم بقضايا الفقه ومسائل الأخلاق والنصائح والحث على التقوى والصلاح، ومنه:

1. رفع الحرج والإثم عن من تعاطى ما لا يضره من الدخان والشم.
2. الفجر الصادق بالنور والظهور وإمام أهل الهدى وقدوة الجمهور في الجواب عن أسئلة سادات فرانس (فرنسا) عن مسألة فقهية في عادات فوت تور.
3. تقاييد مفيدة على مختصر خليل.

4. سلامة المسلم منوطة بترك الكبر والكذب وقطيعة الرحم.
5. كاد الاتفاق والالتئام أن يكون بين دين النصارى ودين الإسلام.
6. كتاب في الفقه (أشار إليه روبنسون دون أن يحدد عنوانه).

أما الصنف الثالث فهو يختص بالتصوف وما يتصل به من مدائح وأوراد واستغفار وذكر:

1. حب الرشد والسعادة ونيل الحسنى والزيادة في الصلاة على صاحب السعادة.
2. كتاب الزهد في ذم الدنيا وموجبات العبد.
3. تفصيل عقود الجمان بالدر والمرجان.
4. عون اللطيف في جواب أحمد الشريف.
5. الحق المبين في أخوة جميع المؤمنين واتحاد طرق الحائرين بطريقة الذكر والمجاهدة إلى حضرة رب العالمين.
6. العز الأسمى والحرز الأحمى في ذكر أوراد هذه الأسما.
7. حصول القرب والوصول ونيل كل المنى والسول في ذكر الله والتمسك بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم.
8. منية السائل في الصلاة على أسنى الرسائل.
9. تباشير البشرى في الصلاة على الوسيلة الكبرى.
10. حزب النصر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء أهل بدر.
11. مزج الكواكب الدرية بالأسماء الإدريسية.
12. البساتين المجتمعة في الكلام على صلاة الجمعة.
13. بلوغ القصد والمنى في شرح أسماء الله الحسنى.
14. العلم المفيد لكل عالم مشارك في جواب الوالويِّ أحمد بن المبارك.
15. تبشير الخائف الحيران بسعة رحمة الكريم المنان.
16. تنقية الأفهام من شبهات الأوهام.

أما الصنف الرابع والأخير من إسهام الشيخ موسى كامَرَه فيهتم بالتاريخ والسير والأنساب:

1. **سلسلة الذهب في ذكر أفضل النسب.**
2. **المجموع النفيس سرًا وعلانية في ذكر السادات البيضانية والفولانية.**
3. **انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور.**
4. **أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الشيخ عمر (97 ص.)، اعتمد فيه على شهادات مادية وشفوية ومكتوبة، فعرف فيه بأصول أسرة الحاج عمر وعلمه وجهاده وتوسعه في بلاد البمبارا وحروبه مع أحمد الثالث حاكم ماسنة، وفترة حكم ابنه أحمد وسقوط الدولة التي أنشأها على يد الفرنسيين.**
5. **الجواب السهل السائغ عن سؤال موسى برالدي عن ما عندي من أخبار أهل زاغ.**
6. **أكثر الراغبين في الجهاد بعد نبينا من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي عن من هلك في جهاده من العباد.**
7. **زهور البساتين في تاريخ السوادين، وهو أهم ما ألفه الشيخ موسى كامَرَه، موضوع التحقيق.**

ثالثًا: التعريف بكتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين»:

وضع له عنوانين آخرين حسبما ورد في خاتمة المخطوط وهما: «إحياء ما عفى واندرس من علوم تاريخ السودان وانطمس» و«انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور» الذي خصّه بكتاب آخر كما ورد في قائمة تآليفه.

ويعتبر كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» أهم ما ألفه الشيخ موسى كامَرَه من حيث مضمونه التاريخي والجهد الذي بذله في جمع معلوماته؛ وكان الدافع إلى تأليفه تلبيته لطلب الحاكم الفرنسي للسنغال في وضع تاريخ لشعوب السودان الغربي، فاستغرق العمل به ما لا يقل عن خمس سنوات، حيث انتهى من تحرير مادة الكتاب في مسودتها الأولى يوم الإثنين الثامن عشر من ربيع الثاني عام 1343 هـ الموافق للسابع عشر من نوفمبر 1924 م، فجاء في أكثر من أربعمائة صفحة بخط مغربي يحمل تعليقات وإضافات على الحواشي، مقسمة إلى جزأين، الأول يضم 261 صفحة والثاني يحتوي

على 208 صفحات مع اضطراب في الترقيم وسقوط بعض الصفحات وعدم وضوح كتابة بعض الكلمات والجمل.

والكتاب في مجمله من حيث مضمونه التاريخي يتألف من مقدمة وموضوع وخاتمة. اشتملت المقدمة على 26 صفحة ونصف صفحة، عرف فيها المؤلف بأصل العنصر السوداني وما ورد في شأنه من أقوال وملاحظات، بالرجوع إلى المصادر الإسلامية التقليدية حول بلاد السودان.

أما الموضوع الأساسي للكتاب فهو يشتمل على عرض مفصل لأوضاع قبائل السودان وأحوال شعوبه وعلاقاتها الاجتماعية ونشاطاتها الاقتصادية وتفاعلاتها الداخلية ضمن الحيز الجغرافي والفضاء الحضاري للسودان الغربي الممتد من حافة الصحراء شمالاً وحتى أعماق الغابات الاستوائية جنوبًا ومن سواحل المحيط الأطلسي غربًا وحتى تخوم وادي النيل شرقًا، وإن كان في ذلك يركز على المنطقة التي ينتمي إليها المؤلف وهي إقليم السنغال وخاصة ناحية فوتا تور.

أفرد الشيخ موسى كامَرَه لكل قبيلة أو مجموعة عشائر تتحد في الأصل والموطن عرضًا خاصًا بها ذكر فيه أصلها ونسبها وعاداتها وما عرف من تاريخها وما تناقل من أخبارها، وقد أولى في ذلك أهمية خاصة للحركية الاجتماعية لكل مجموعة بشرية مهما قل عددها وتأثيرها، خاصة ما يتصل منها بالمصاهرة والزواج أو ما يتعلق بحياة الشيوخ ومواقف الحكام وسير العلماء والأولياء وأهل الصلاح والتقوى.

أما الخاتمة فخصّها المؤلف بثماني عشرة صفحة ضمنها موقفه من الحركات التي رفعت راية الجهاد لنصرة الدين وتطبيق تعاليم الإسلام بأقاليم السودان، وتوجه فيها لأتباع الطرق الدينية المعروفين بالإخوان من أتباع مهدي تور، فحثهم على التخلي عن فكرة الجهاد، مؤكدًا لهم بأن ادعاء المهدوية الموعودة في آخر الزمان قد فات أوانه وانتهى زمانه وانقضى أمره، وأنه من سداد الرأي تركها والتخلي عنها. ولعله في ذلك يعبر عن موقفه المعتدل في انتسابه للطريقة القادرية، ويساير ولو بشكل غير مباشر توجهات السياسة

الفرنسية بالسودان الغربي لاستدراج شيوخ الزوايا للتعامل مع الإدارة الفرنسية ودفعهم لتقبل الحكم الفرنسي بعد الفشل العسكري الذي منيت به حركات المقاومة المحلية التي تزعمتها الممالك الإسلامية التي تبنت فكرة الجهاد والوقوف في وجه السياسة التوسعية للدول الأوربية بالسودان الغربي.

يتضمن الكتاب معلومات مهمة تتعلق بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للسودان الغربي في فترة انتقالية من حكم الدول والممالك الإسلامية الإقليمية قبل الخضوع للنفوذ الأوربي الفرنسي الإنكليزي، فيعرفنا بالشرائح الاجتماعية وخاصة جماعة العلماء، وطبقة الحرفيين (الأحرار) والأرقاء المسخرين في مختلف الأعمال، كما يوفر للباحث في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا مصدرًا في غاية الأهمية عن إثنوغرافيا السودان الغربي، وخاصة ما يتعلق منها بالهجرات والأنساب والمصاهرات وممارسة السحر والاعتقادات المتوارثة، وهذا ما يجعل الكتاب في مضمونه عرضًا للأسس المعيشية والسياسية والاجتماعية والروحية التي قامت عليها المجتمعات القبلية في السودان الغربي باختلاف أصولها وتنظيماتها.

لقد حرص الشيخ موسى كامَرَه أن يكون كتابه «زهور البساتين في تاريخ السوادين» تتويجًا لجهوده في البحث عن المعلومات وجمع الروايات، فجاء عرضًا شاملاً وتسجيلاً حيًّا للواقع الذي تعيشه الشعوب السودانية من حيث أسلوب عيشها وأوضاعها الاجتماعية وتفاعلاتها الثقافية؛ دون أن يغفل النظم التقليدية والحركات السياسية وظاهرة التدين التي أثرت على سلوك الفرد وعدلت من موقف الجماعة وحافظت على الهوية السودانية وأبقت الموروث الصوفي حيًّا في حياة شعوب السودان الغربي، فجاء الكتاب يعكس شخصية مؤلفه في ثقافته الموسوعية وتوجهه الصوفي وطابعه التقليدي وميله إلى الاعتدال وحرية الرأي وإعمال الفكر وتفهم مواقف الآخرين، وهذا ما جعله يعبر عن موقف النخبة ذات الثقافة التقليدية من أهالي السودان الغربي التي تميز موقفها بالتشبث بالعقيدة الإسلامية والمحافظة على التقاليد المحلية، وإن كانت في واقعها منقسمة بين المنتسبين إلى التجانية والناصرين للمريدية والمتبعين للقادرية، رغم كون المؤلف من المنتمين إلى الطريقة القادرية.

رابعًا: أهمية الكتاب من حيث منهجه وطريقة عرضه للأحداث

جاء كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» في شكل مدونة جامعة لأخبار شعوب السودان ومسجلة لأنسابهم ومعرفة بأوضاعهم الاجتماعية وحالتهم الاقتصادية وحياتهم الثقافية والروحية، مما يكسبه أهمية بالنسبة للباحث في تاريخ وثقافة الشعوب الإفريقية، ولعل المواصفات المنهجية التي تميز بها الكتاب هي التي تؤكد لنا أهميته وتحدد قيمته العلمية؛ ويمكن أن نجمل هذه المواصفات في النقاط التالية:

- تناوله لكل قبيلة على حدة حسب موطنها ومكانتها وما تميزت به من نشاط وعرفت به من أعمال، فأفرد لكل واحدة منها بابًا خاصًا بها حاول أن يجمع فيه ما انتهى إليه من أخبارها وأوضاعها وما تواتر عنها من حكايات تتعلق بهجراتها وأنسابها ومن اشتهر من أفرادها، وقد حاولنا في تحقيقنا أن نحدد الفقرات الخاصة بتاريخ كل قبيلة على حدة لتتابع مواضيع الكتاب وخلوه من العناوين الفرعية.
- رجوع المؤلف إلى العديد من المصادر الأولية باعتبارها مدخلاً أساسيًا وتمهيدًا ضروريًا للأحداث التي عاشتها بلاد السودان فيما بعد، فنقل عن البكري والإدريسي وابن بطوطة وياقوت الحموي وابن خلدون وابن زرع وأحمد بابا التنبكتي وأبو العباس الناصر السلاوي وغيرهم من المصادر التقليدية، كما استشهد بابن عربي وابن عطاء الإسكندري والوطواط وابن الوردي، ورجع إلى ما انتهى إليه من روايات وشهادات وأقوال وأشعار، فأوردها بنصها مع محاولة التعليق عليها وإبداء الرأي حول دلالتها والقصد منها، مثل قوله (ص. 145): « وتاريخ السودان القديم لم يزل غامضًا وغاية ما علم أن أول سكانه كانوا عدة فرق أولهم السودان وهم قوم هاجروا إليها غالبًا من آسيا...».
- محاولة الاستفادة من المصادر المحلية التي تناولت تاريخ السودان الغربي، حيث أدرج فقرات منها في سياق عرضه، وحرص على التعليق عليها ومقارنتها بغيرها، وخاصة تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي (ت. بعد 1066 □/1656 م)، وتاريخ

الفتاش لمحمود كعت (ت. 1002 □/1593 م)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت. 1036 هـ؟/1627 م؟)، وتذكرة النسيان التي يجهل مؤلفها (1165 □/1751 م)، وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بللو بن عثمان بن فودي (ت. 1253 □/1837 م)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وتاج العروس من درر القاموس وهو شرح لقاموس المحيط للفيروزبادي؛ كما استفاد من الكتب المؤلفة حديثًا مثل كتاب الدرس التام والتاريخ العام لأبي السعود عبد الله أفندي، وقطر المحيط لبطرس البستاني (ت. 1305 □/1884 م)، و كتاب منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان لمحمد أمين الخانجي (1324 □/1906 م)، وقطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا أبكاريوس (ت. 1307 □/1889 م).

- اعتماده على الروايات المتداولة ونقله الأحداث المتعلقة بالعديد من القبائل عن رواة الأخبار أو الذين حضروا الأحداث أو شاركوا فيها، فنقل رواياتهم على وجه الدقة بنصها ولو كان فيها تناقضًا وانتحالاً، وسجل أقوال المخبر كما سمعها، وكثيرًا ما ترد في نص الكتاب عبارات تؤكد ذلك مثل قوله: وزعم المخبر، وقد قال المخبر أو وقال المخبر، وقد وردت في العديد من صفحات الكتاب، وقوله ولم يذكر لنا المخبر... مثل قوله ولم يذكر لنا المخبر من عقبهما شيئًا (ص 437)، و ولم يذكر لنا المخبر عن قبيلة صمباي لا أدري هل ذلك لذهول منا جميعًا (ص 825)، وقوله وقد رأيت أحدًا من أبناء أرط عد فسألته عن ملك أرط عد ص 663).

- حرصه على التعليق على الأخبار التي نقلها أو الروايات التي رجع إليها، فهو يبدي رأيه فيما يرجع إليه اعتمادًا على طبيعة الأشياء ورجوعًا إلى العقل، مثل قوله: ويمكن أن يكون الحق مع صاحب تاريخ السودان لأنه من أهل ذلك الزمن وقد وقع الأمر في زمنه (ص 822)، ولا يتردد في رفض ما يعتبره مجانبًا للصواب خاصة ما يتصل بادعاء النسب وعدم صحته (ص ص. 77 و525 على سبيل المثال)، وقد يستدل على ذلك بأدلة تاريخية مثل قوله: وقد ظهر لك بهذا بطلان هذا النسب أيضًا لأن من اسمه أحمد ليس من ذرية الإمام عبد الله الكامل رضي الله عنه (ص 811)، وهو مع ذلك

يحاول المقارنة بين الأقوال وترجيح ما يراه أقرب إلى المنطق مثل قوله: وأظن أن الرواية الأولى أصح من هذه والله تعالى أعلم (ص 195)، وهذه الرواية تشبه الرواية الأولى إلا أن بينهما مخالفة أقل من الرواية المتوسطة (ص 813)، وقوله: وهذه الوثيقة الأخيرة فيها كثير من اللحن الفاحش لم أكتبه لأن اللحن الفاحش... أنه قد بلغني بأن الذي حملهم على كتمان نسبهم هذا لأنهم وجدوه في النوم (ص 504)، أو قوله: ثم ساق أخبارهم إلى آخرها في كلام مظلم لا يحتمل بعضه العقل (ص 182).

- حرصه على جمع الروايات وتسجيل الأخبار ولو في شكل قصص خرافية وأساطير وخوارق لا يمكن تصديقها، ورغم كونها خالية من الصحة إلا أنها ذات قيمة توثيقية بالنسبة للمؤلف لأنها تعبر عن الذهنية الجماعية والاعتقاد السائد في أوساط العامة وتندرج ضمن التراث الشعبي المعبر عن ترسبات الماضي البعيد وتفصح عن دلالات إثنوغرافية، وإن كان المؤلف لا يصدقها ويعتبرها من الخرافات ولا يتردد في التأكيد على منافاتها للحقيقة والعقل، لكنها ما دامت تعبر عن اعتقادات الناس ونظرتهم للحياة، فإن تسجيلها يصبح تسجيلاً لانشغالات الناس وتعبيرًا عن مستوى مداركهم. وكان الدافع له في ذلك اعتقاده بأن تاريخ السودان الغربي غالبًا ما يتصف بالغموض والتناقض ويستبد به النسيان والتجاهل، وهذا ما عبر عنه في الصفحة الثالثة من المخطوط بقوله: «وذلك لأن أمور الأولين غامضة وآثارها خفية علينا ومعالمها مطموسة لا يهتدى لها لاسيما السودان الذين لا يبالون بالماضي ولا يتفكرون في العواقب».

خامسًا: طريقة تحقيق الكتاب وكيفية التعليق

لقد حرص المحققان على معالجة مادة الكتاب والتعليق عليها لتكون في متناول القارئ العادي، وهذا ما تطلب ضبط كلماته وتصحيح فقراته ومراجعة عباراته، فوضعت له عناوين فرعية توضح المواضيع التي يتناولها حسب الأحداث أو القبائل التي وردت متداخلة في الكتاب ومسترسلة بدون فواصل، وهذا ما سوف يساعد القارئ على التعرف مبدئيًا على مضمون الكتاب ويسمح له بالرجوع إلى المواضيع التي تهمه.

كما تطلب تحقيق الكتاب أيضًا وضع العديد من الإحالات والشروح والإيضاحات التي تلقي الضوء على الأحداث والشخصيات والقضايا التي وردت في سياق الكتاب، أو التي تحدد تعقيبات المؤلف التي سجلها على هامش النص، أو تشير إلى بعض الكلمات التي تعذرت قراءتها أو الفقرات التي سقطت من النسخة المحققة كما هو معلق عليها في أماكنها من المخطوط.

وهذا ما تطلب منا كثيرًا من الجهد ومزيدًا من الوقت لعدم توفر نسخ أخرى من المخطوط ولندرة المصادر المحلية التي تكمل مادة الكتاب وانعدام تراجم للعديد من الأماكن والأشخاص والقبائل التي ورد ذكرهم في الكتاب، يستأنس بها ويعول عليها في التصحيح، فضلاً عن صعوبة الرجوع إلى مضان الكتاب، فأغلبها مستقى من مصادر شفوية وروايات محلية.

وقد وفقنا إلى حد كبير في الإحالة إلى مصادر الكتاب في مكانها من النص مع تحديد الفقرات التي وردت في نص الكتاب ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

أما الأسماء المحلية ذات الأصول السودانية وخاصة منها المتعلقة بالأعلام والأماكن والجماعات والمصطلحات، فقد حرص المحققان على إثباتها كما وردت حسب النطق المحلي المتعارف عليه في اللغات المحلية الإفريقية منها والبربرية، لأن محاولة وضع حروف خاصة بها لضبط طريقة النطق بها قد تشكل على القارئ وتؤدي إلى اضطراب في نطق الكلمات لاختلاف اللهجات من منطقة إلى أخرى، خاصة ما يتعلق منها بالتاء المركبة التي تبدأ بصوت شديد مهموس وتنتهي بصوت مجهور رخو (تذ اتشن) وخاصة الجيم السودانية المعجمة (ڮـ) التي أثبتناها في النص برسم (ک) مثل كلمة سنگال، كل ذلك دفعنا إلى اعتماد النطق العربي المبسط كما حاول مؤلف الكتاب الالتزام به، رغم كون الحروف العربية لا تتطابق في بعض الأحيان مع مخارج الحروف في اللهجات السودانية، وحتى نقرّب معاني بعض الكلمات الواردة في المخطوط وضعنا قائمة بالكلمات التي وردت في المخطوط بمعناها الإفريقي مع ترجمتها إلى العربية مرتبة ألفبائيًا.

وحتى تستكمل الفائدة من الكتاب فقد أضيفت له دراسة تاريخية جغرافية تحدد واقع السودان الغربي الطبيعي والبشري والحضاري وتعرف بالنهضة الإسلامية التي عرفتها المنطقة وما ترتب عنها من حركات جهاد ضد الهيمنة الأوربية، كما زود بعدة ملاحق تساعد القارئ على الاستفادة من مضمون الكتاب، منها بيبليوغرافيا إجمالية بأهم المراجع التي اعتمد عليها في تحقيق المخطوط، وكذلك جدول تاريخي يعرف بالأحداث والممالك التي عرفتها منطقة السودان الغربي بالتاريخين الميلادي والهجري، ومجموعة من الخرائط والصور والرسوم التي لها ارتباط بمادة الكتاب.

هذا ومع ما بذل في إخراج الكتاب والتعليق عليه من جهد وتحري وتدقيق، فإنه شأن كل عمل إنساني يظل دائمًا في حاجة إلى التعديل والمراجعة، وإن كان الهدف المتوخى من التحقيق قد تحقق من خلال التعريف بالإطار الزمني والجغرافي للمنطقة وبتحديد ملامح البيئة الاجتماعية والبشرية وعرض المعطيات التاريخية والمظاهر التراثية والسلوكية، والتي تمكن الباحثين من الاطلاع على مادته ومقارنتها بما قد يتوفر لهم من تقاييد وسجلات ودراسات حديثة لتكوين صورة متكاملة ودقيقة عن التاريخ المحلي لأقاليم السودان الغربي الذي طغت عليه وجهة النظر الأوربية على حساب المصادر المحلية وخاصة منها العربية الإسلامية التي يأتي في طليعتها كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين».

سادسًا: مكانة الكتاب في الذاكرة التاريخية للسودان الغربي وفي التراث الإفريقي

يعتبر كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» من حيث مادته ومواضيعه وطريقة عرضه مدونة جامعة لأخبار شعوب السودان الغربي ومسجلة لأوضاع القبائل وأحوال المجتمعات المحلية خاصة في المنطقة المعروفة اليوم بالسنغال، فهي حصيلة معارف مؤلفه وتتويج لجهوده في جمع الأخبار وتسجيل الأحداث، قلد فيه المصادر العربية الإسلامية التقليدية من البكري والإدريسي وحتى ابن خلدون والسلاوي، وحاول مجاراة المصادر المحلية المعتمدة في تاريخ المنطقة لعبد الرحمن السعدي ومحمود كعت وأحمد بابا التنبكتي وصاحب تذكرة النسيان، وتفوق على من كتب عن تاريخ السودان في القرن التاسع عشر من قبيل سري عباس وعثمان فوديو ومحمد بللو، واستفاد ممن

كتب عن المنطقة أو اهتم بها من المحدثين كالبستاني والخانجي، فقدم لنا بذلك صورة شبه متكاملة للواقع المعيشي والسياسي والاجتماعي والثقافي في المجتمعات القبلية في السودان الغربي.

وهذا ما جعل كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» خلاصة جهود المؤرخين المحليين بمنطقة السودان الغربي، ودفع المستفرقين الفرنسيين خاصة إلى اعتباره مصدرًا في غاية الأهمية بعدما اطلعوا على مسودته، فعزموا على ترجمته إلى اللغة الفرنسية ونشر نصه العربي حسبما يفهم من إحدى مراسلات مؤلفه مع غادين، لكن تحول الساسة الفرنسيين عن الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي بغرب إفريقيا وتحفظ دعاة التجانية على إنتاج الشيخ موسى كامَرَه لكونه منتسبًا للطريقة القادرية، كلها عوامل أدت إلى بقاء الكتاب في نسخته المخطوطة، وإن كان روبنسون يرجع ذلك إلى موت مؤلفه، وهذا شيء مستبعد إذا عرفنا أن وفاته كانت سنة 1945 حسبما أثبته الأستاذ الباحث محمد سعيد باه.

ظل كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» في مجمله مخطوطًا، ولم يترجم منه مؤخرًا سوى جزء صغير إلى الفرنسية بعنوان فلوريلاج (Florilège) برعاية منظمة أوروستوم (Orostom) وبمبادرة من بعض الباحثين السنغاليين. ولعل بقاء هذا المصدر التاريخي المهم والمرجع الأساسي في إثنوغرافيا شعوب السودان الغربي بعيدًا عن أيدي القراء هو الذي دفع المستفرق روبنسون إلى التنبيه إلى مدى القصور في الانتفاع بمادته وعدم إعطائه الأهمية اللائقة به لما كتب عن الشيخ موسى كامَرَه في دراسة له نشرها في مجلة «كراريس الدراسات الإفريقية» (Cahiers d›études africaines) (عدد 109) بعنوان «مؤرخ وعالم سلالات إفريقي»، ولعله في ذلك كان يرد على تساؤل المستشرق الفرنسي صاحب النفوذ السياسي فانسان مونتاي (Vincent Monteil) في كتاب «الإسلام الزنجي عقيدة تجتاح إفريقيا» (L›Islam noir) (ص. 104) حول كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين»: هل هو مصدر مستقل بذاته أم أنه مجرد نقل عن الآخرين؟ بعد أن عجز لجهله باللغة العربية عن الاطلاع على مضمون الكتاب والتعريف بمادته التاريخية.

إن كتاب «زهور البساتين في تاريخ السوادين» من حيث طريقة جمعه للمادة التاريخية والتي زاوج فيها بين أسلوب النقل والرواية والمعاينة مع حرصه على الالتزام بالنزاهة واتصافه بالجرأة العلمية في النقد وإبداء الرأي وتحري الحقيقة، وبالنظر إلى كون معلوماته تتصل بمختلف أوجه الحياة، يعتبر بحق مصدرًا أساسيًا لتاريخ السودان الغربي، إن لم يكن أول إسهام محلي حاول ربط الصلة بتراث الماضي واستكمال المصادر التي سبقته سواء منها العربية الإسلامية التي اهتمت بالسودان أو المحلية التي كتبها أبناء المنطقة، وهذا ما يجعل منه مدونة متكاملة للتراث المحلي وسجلاً حيًّا يحافظ على الذاكرة التاريخية والأدبية كإسهام نوعي يثري المكتبة التاريخية العربية – الإفريقية التي لا تزال تعاني من شح المصادر المحلية المتعلقة بالتراث المحلي للشعوب الإفريقية.

وفي ختام هذا الإسهام التاريخي لا يسعنا إلا أن ننوه بجهود مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في رعاية هذا الإسهام التاريخي، خدمة للروابط الثقافية العربية الإفريقية، كما نسجل اعتزازنا بالثقة الغالية التي حظينا بها من طرف القائمين على مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الرائدة في تعزيز روافد الحضور الثقافي العربي وتوسيع الفضاء العربي الإسلامي ليشمل البعد الإفريقي، فقد وجدنا منهم كل التشجيع والعون في هذا العمل الشاق والمفيد الذي يؤسس لتواصل عربي إفريقي ويشد الأقطار الإفريقية إلى ماضيها الإسلامي ويؤكد تواصلها مع البلاد العربية.

وفقنا الله لما فيه خدمة للثقافة الإسلامية، العربية منها والإفريقية.

المُحققان

د. ناصر الدين سعيدوني

د. معاوية سعيدوني

****

مدخل للتعريف ببلاد السودان الغربي:
بلاد المفارقات التاريخية والجغرافية

مقدمة:

تشكل بلاد السودان الغربي جزءًا مهمًّا من عالم الإسلام جنوب الصحراء، يظل غامضًا ومجهولاً لدى عامة القراء العرب، ولم يثر سوى اهتمام القلة القليلة من الباحثين المختصين. ولعل هذا يعود إلى كون هذه البلاد تقع في الأطراف الجنوبية الغربية للمجال الإسلامي وراء الامتداد الصحراوي الشاسع الذي تشكله الصحراء الكبرى، كما يرجع ذلك إلى عدم ارتباطها مباشرة بالأحداث التاريخية التي تأثرت بها الأقطار الإسلامية في الشرق الأوسط خاصة. فظل بذلك هذا الجزء من العالم الإسلامي بعيدًا عن الأنظار، رغم أنه يعتبر منذ فترة لا تقل عن عشرة قرون الجبهة الأمامية لانتشار الإسلام في المجال الوثني المسيحي شبه الاستوائي في غرب إفريقيا.

أوجد الاستعمار الفرنسي منذ نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في منطقة السودان الغربي واقعًا جديدًا مختلفًا جذريًا عن ذلك الذي كان سائدًا حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد نجح الاستعمار الفرنسي آنذاك في بسط هيمنته الإدارية والعسكرية على البلاد وتمكن من احتواء الدور الجهادي للطرق الدينية التي طبعت التاريخ المحلي طيلة القرن التاسع عشر وتمكنت رغم التحدي والتفوق الاستعماري من المحافظة على القوة الدافعة للإسلام الذي واصل انتشاره بين سكان غرب إفريقيا؛ ويكفي للتدليل على التغيرات الجذرية التي أحدثها الوجود الاستعماري في هذه البلاد أن نسرد هنا بعض الأحداث الموافقة زمنيًا لكتابة المخطوط، والتي شهدتها بلاد السنگال بالتحديد، فمن هذه الأحداث نذكر: إنشاء مدرسة الطب بداكار (1918)، وإنشاء الرابطة البحرية والاستعمارية (1921) (Ligue maritime et coloniale)، وإنشاء معهد

باستور بداكار (1924)، وإنشاء ثانوية فان فولنهوفن (Lycée Van Vollenhoven) بنفس المدينة (1925)، وتدشين أول خدمة بريد جوي دائمة بين فرنسا والسنغال (1925)، وربط الطيار ميرموز لأول مرة سان لويس بالسنغال بالبرازيل (1930)، والمعرض الاستعماري بفانسان (1931) (Exposition coloniale de Vincennes)[1].

رغم التحولات الكبرى التي تعكسها هذه التظاهرات والأحداث المرتبطة بالوجود الأوربي ببلاد السودان الغربي، إلا أن الثقافة التقليدية المحلية ظلت حية مكتفية بذاتها رغم انحصارها وانطوائها على نفسها، وما مخطوط «زهور البساتين في تاريخ السوادين» سوى تجسيد للهوة التي ما فتئت تتعمق بين حاملي الثقافة التقليدية من أمثال الحاج موسى كامَرَه من جهة، والتحولات الجذرية وعملية التحديث القسرية التي فرضها الاستعمار الأوربي على تلك المنطقة؛ مما يؤكد وجود عالمين: عالم السودان التقليدي وعالم السودان الذي فرضه الوجود الاستعماري.

وفي إطار التحولات التي نتجت عن اصطدام الحركات الجهادية المرتبطة بالطرق الدينية بآلية المشروع الاستعماري الفرنسي الإنكليزي، والحقائق الجغرافية والبشرية والاقتصادية التي تتحكم في حركية المجتمعات وتوجه النشاط الاقتصادي، فإن السودان الغربي يعتبر منطقة انتقال وتفاعل في عدة مجالات.

فمن الناحية البشرية، يشكل منطقة انتقال من المجال البشري المغاربي العربي الأمازيغي الأبيض إلى المجال الإفريقي الزنجي، حيث إن جزءًا من شعوبه هي نتاج الامتزاج بين العناصر البشرية في شمال إفريقيا والعناصر الزنجية المحلية، مما أفرز عنصرًا بشريًا حيويًا أخذ على عاتقه نشر الحضارة الإسلامية في البيئة الإفريقية.

وإذا نظرنا إلى طريقة عيش السكان وكسب قوتهم، نجد تعايشًا أو تنافسًا، حسب الحالات، بين نمط الحياة البدوية الضاربة بجذورها في الصحراء ونمط العيش المستقر القائم على تهيئة الأرض وحرثها وفلاحتها وصيد الأسماك.

1 - Pierre Biarnès, Les Français en Afrique noire, de Richelieu à Mitterrand, 350 ans de présence française au sud du Sahara, Paris, A. Colin, 19…, pp. 437- 438.

ومن الناحية الدينية، يعتبر السودان الغربي مجال توسع للإسلام في اتجاه قلب إفريقيا رغم مقاومة العادات والطقوس الوثنية المحلية التي كان ولا يزال لها أثر واضح في الإسلام المحلي من جهة، وبدرجة أقل مجالاً لانتشار المسيحية الذي ساعد عليه التوسع الاستعماري الفرنسي على وجه الخصوص في القرنين التاسع عشر والعشرين.

أما من الناحية الجغرافية فالسودان الغربي يعتبر كتلة جغرافية متميزة، تكاد تنقطع عن المجالات الجغرافية المجاورة لها: ففي شماله يمتد المجال الصحراوي القاري الذي يصعب اختراقه، ويشكل نطاقًا طبيعيًا فاصلاً بين شمال إفريقيا وغربها وإن كان كذلك حيزًا للتواصل البشري والحضاري بينهما؛ وفي الجنوب تبدأ الغابة الاستوائية الكثيفة التي لا يمكن التوغل فيها سوى انطلاقًا من المحيط الأطلسي عبر أنهار عديدة إلا أنها غير صالحة للملاحة. فالسودان الغربي يشكل بهذا مجال الانتقال من الصحراء إلى الغابة الاستوائية، حيث تغلب عليه طبيعة السفانا التي تسمح بالانتقال من الصحراء القاحلة إلى الغابة الكثيفة، ويغلب على هذا المجال المسطح المنفتح الجفاف وقلة النباتات، غير أن أنهارًا كبرى أهمها نهرا النيجر والسنغال ترويه وتجعل حياة الزراعة والصيد والاستقرار ممكنة فيه.

هذا وتظهر لنا أحداث التاريخ أن التأثيرات الخارجية في بلاد السودان الغربي عادة ما تأتي من الشمال والشرق عبر نطاق الصحراء القاري من خلال نزوح الشعوب البدوية والتبادلات التجارية والثقافية المثمرة، أو من الغرب انطلاقًا من المحيط الأطلسي كما هو حال التوغل الاستعماري الأوربي الذي اتخذ من بوابات الرأس الأخضر وسان لويس وجزيرة غوريه المقابلة لداكار الحالية وبانجول (عاصمة غامبيا حاضرًا) منافذ لتوسعه التجاري ثم العسكري.

هذا ولا يمكن فهم التطور التاريخي لبلاد السودان الغربي دون الأخذ بعين الاعتبار المحورين المؤثرين. وأولهما محور شمال – جنوب الذي يتخذ أحيانًا اتجاه شرق غرب والذي طعمت من خلاله الحضارة العربية الإسلامية شعوب وثقافات السودان الغربي؛ وثانيهما محور غرب – شرق الذي توغل من خلاله الاستعمار الفرنسي في وقت متأخر نسبيًا (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) باتجاه وسط إفريقيا. بالفعل كان القرن

التاسع عشر – الذي يتعرض المخطوط لكثير من أحداثه – فترة تصادم قوى المحورين: قوى المحور الأول ممثلة في حركات الجهاد والنهضة ونشر الدعوة الإسلامية ومقاومة الاستعمار وبعد ذلك في الثقافة الإسلامية التقليدية من جهة، وقوى المحور الثاني ممثلة في الاستعمار العسكري الفرنسي بتأثيره الإداري وبعده الثقافي المتمثل في الحركة الفرانكوفونية الإفريقية.

لعل هذه المفارقات وهذه الإشكالية هي التي تجعل من السودان الغربي مجالاً جديرًا بالدراسة والتمحيص لفهم التاريخ الإفريقي والعوامل المؤثرة فيه والقوى الموجهة لأحداثه. هذا وقبل التعرض للمسائل التاريخية والحضارية يجدر بنا التعرض للجوانب الجغرافية والبيئية التي لا يمكن فهم تاريخ السودان الغربي وواقعه دون التعرف عليها لتأثيرها في النشاط البشري وتوزيع السكان وأنماط عيشهم.

الجغرافية: السودان الغربي منطقة انتقال وتنوع بيئي

تشتمل منطقة السودان الغربي جغرافيًا على حوض السنگال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط وهي توافق بذلك المجال الشاسع الممتد جنوب غرب الصحراء الكبرى.[2] ويعتبر السودان الغربي، وعلى وجه الخصوص المنطقة التي يركز عليها المخطوط والتي تعرف اليوم بالسنغال، فهو منطقة انتقال عندها يلتقي إقليم الساحل الممتد شمالاً والغابة الغينية الكبرى جنوبًا، وهذا ما جعل بلاد السنگال تنتمي في الوقت ذاته لعالمين مختلفين ومتنافرين. ومما يزيد في خصوصية البلاد من وجهة النظر الجغرافية هي تلك الأنهار التي تخترقها بهدوء باعثة فيها الحياة وهي أنهار السنگال وغامبيا والسلوم والكازامانس.

إن نهر السنگال الذي يشكل الحدود الطبيعية بين موريتانيا شمالاً والسنغال جنوبًا، يشكل كذلك الحدود بين نطاق الجفاف ومجال الخضرة، فهذا النهر التي يرد ذكره مرارًا في المخطوط لارتباط الأحداث به، يعتبر بحق معجزة هذه البلاد، فبفضل مياهه دبت الحياة في أقاليم كان يمكن أن تكون صحار قاحلة والتي تحولت بتأثيره إلى ما يمكن اعتباره منطقة سافانا بغطائها النباتي ونشاطها البشري، فعلى ضفاف

2 - حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر(1849 - 1864)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994، ص. 12.

هذا النهر تزدهر اليوم زراعات الأرز وقصب السكر والدخن والسورغو، وكلما توجهنا جنوبًا ازدادت الخضرة وأصبحت الغابة أكثر كثافة كما هو الحال في منطقة فوتا جالون (كازامانس).[3] ولهذا ليس من الغريب أن تصبح هذه البلاد في أطراف الصحراء وفي أطراف الغابة الاستوائية – أي مجالين طبيعيين طاردين للسكان – وفي نفس الوقت منطقة جذب للسكان وتناحر وتنافس على الأرض وخيراتها كما يستشف من الأحداث التي يزخر بها المخطوط.

هذا ويتميز الوسط الطبيعي والجغرافي في هذه البلاد بظروف وإن كانت أفضل من ظروف الصحراء والغابة الاستوائية على حد سواء، إلا أنها تظل قاسية وصعبة، فأهم ما يميزها: المناخ الحار المؤثر سلبًا على النشاط البشري؛ واتساع المجال الذي يصعب التحكم فيه كما يثبت ذلك فشل مشاريع تكوين ممالك كبرى قابلة للاستمرارية على المدى الطويل؛ والكثافة السكانية الضعيفة نسبيًا والناتجة عن ظروف طبيعية وتاريخية كذلك طبعتها الحروب والهجرات المستمرة وتجارة العبيد عبر الأطلسي وباتجاه الشمال.[4]

أدى ضعف النشاط البشري وهشاشته في هذا الوسط الطبيعي إلى صراع دائم للإنسان من أجل التحكم في بيئته وكسب قوته، فتشكلت بذلك حلقة مفرغة رهيبة جعلت هذه البلاد في أغلب فتراتها التاريخية وإلى أيامنا هذه تقاوم من أجل البقاء والاستمرار وضمان وسائل العيش، وقليلاً ما تشكلت بها مراكز إشعاع وجذب حضاري إذا ما استثنينا الدور الفاعل والمثمر للإسلام في بعث حواضر وكيانات سياسية قائمة على المبادلات التجارية والوازع الديني القوي، إلا أنها سرعان ما تلاشت واندثرت بفعل الظروف الخاصة لبلاد السودان الغربي التي تطبعها الصراعات القبلية وبفعل الصدمة الاستعمارية، كما سنرى لاحقًا. على أن تشتت المجتمعات البشرية في غرب إفريقيا كان نتيجة طبيعية لنوعية الحياة في مجال طبيعي شاسع وقاس، ونوعية التركيبة المعقدة للكيانات السياسية، نظرًا لتنوع الأعراق واللهجات، وتعدد الديانات الوثنية قبل أن ينتشر الإسلام يسبغ عليها نوعًا من التجانس الديني النسبي ساعد على قيام دولة مركزية وعلى امتزاج العديد من الإثنيات والقوميات.

3 -Catherine & Bernard Desjeux, Sénégal, Guide Évasion, Hachette, 2008, pp. 21-22.
4 - Idem, p. 22.

إن الوضع البشري المعقد الناتج عن الظروف الطبيعية الخاصة يظهر جليًا في مضمون المخطوط الموضوع بين أيدي القراء. ففي الشمال، على امتداد الصحراء، يمتد مجال البدو الرحل من العرق الأبيض الذين يطلق عليهم صاحب المخطوط عبارة «البياضين»، أما في مجال هضاب الساحل والسافانا المعشوشبة المنفتحة، من السنكال إلى تشاد فيعيش الزنوج، ويختلطون بالعناصر البيضاء في الجهات الشمالية. وفي هذا المجال المتفاعل بشريًا والمنفتح طبيعيًا انتشر الإسلام بسرعة وأفرز كيانات سياسية تقوم على زعامات الطرق الدينية وشكل بذلك عامل تحديث اجتماعي وسياسي لا يمكن إنكاره، إذا ما قورنت أوضاع هذه الأقاليم الوسطى بالحالة السائدة في الجنوب حيث تمتد الغابة ويقتصر الوجود البشري على الزنوج الوثنيين المشتتين عبر أرجائها لا تحكمهم كيانات سياسية قوية وإنما تغلب عليهم الفوضى الناتجة عن تنظيم اجتماعي في شكل مجموعات عصبية صغيرة جدًا وبدائية.

عكس هذه الأطراف الجنوبية المعزولة، فإن بلاد فوتا تورو (فوت تور) بالتحديد والتي هي محور اهتمام صاحب المخطوط، تعتبر، لكونها الجناح الشمالي الغربي لبلاد السودان الغربي المتصل بالشمال الصحراوي، إحدى البوابات الرئيسية لانتشار الإسلام في غرب القارة الإفريقية وإحدى قواعد انتشار الثقافة العربية الإسلامية التي بالرغم من طابعها التقليدي وغلبة التحجر عليها إلا أنها تمثل ثقافة راقية مقارنة بالثقافات المحلية البدائية، وقد استفادت بلاد فوتا تورو في ذلك من انفتاح طبيعتها الجغرافية ومن سريان نهر السنكال في شمالها مما جعل الحياة تدب فيها وتستمر.

كما أن منطقة فوتا تورو تعتبر من حيث موقعها الجغرافي منطقة إستراتيجية مما أهلها لتلعب دورًا تاريخيًا رائدًا في تاريخ السنكال خصوصًا وبلاد السودان الغربي عمومًا، ففضلاً عن كونها القلب النابض لبلاد السنغال، فإنها حلقة الوصل بين مجالات جغرافية رئيسية، فمن الشمال تحدها موريتانيا (مرتن حسب كتابة صاحب المخطوط) ومن ورائها المجال الصحراوي للقبائل البربرية والعربية (البياضين حسب التعبير المستعمل في المخطوط) التي اعتادت الإغارة على فوتا تورو إلا أنها كانت كذلك منبعها الثقافي والحضاري بمراكزها التعليمية؛ وفي جنوب فوتا تورو تمتد منطقة فوتا جالون؛

وفي الشرق تمتد بلاد مالي أو حوض نهر النيجر (غانة وماسينا ومن ورائهما تومبوكتو وبلاد الهوسا وبلاد العير وصولاً إلى كاتسينا وكانو وبلاد تشاد ومن ورائها بلاد حوض النيل والمشرق)؛ وفي الغرب يشكل المحيط الأطلسي حدًا طبيعيًا.

تمتد بلاد فوتا تورو بالتحديد بين دمبكان شرقًا وداغنا غربًا، فهي من الناحية الجغرافية المجال الممتد على الضفة اليسرى للفرع الأوسط من نهر السنغال. وتنقسم البيئة الطبيعية الزراعية لفوتا تورو إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الشمالي وهو عبارة عن شريط زراعي أوجده نهر السنكال وهو من أخصب أراضي السودان الغربي، ويبلغ متوسط عرضه من الشمال إلى الجنوب 12 كلم ويعد من أكثف مناطق السودان الغربي سكانًا، وهم يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي والصيد.[5] أما الجزء الأوسط فهو عبارة عن سهول تتخللها مرتفعات، يقل فيها تساقط الأمطار من الشرق إلى الغرب (800 مم في ماتم في أقصى شرق الإقليم؛ 330 مم في داغنا في أقصى غربه)، وهذا الإقليم الأوسط زراعي بالدرجة الأولى ورعوي بالدرجة الثانية. بينما الجزء الجنوبي فهو عبارة عن إستبس ومراعي، ينتقل الرعاة منه في فترة الجفاف بمواشيهم في اتجاه النهر شمالاً لممارسة نشاطهم.[6]

تشكل بلاد فوتا تورو الموضوع الرئيسي للمخطوط بموقعها الجغرافي المتميز وبإمكانياتها الزراعية جزءًا استراتيجيًا من بلاد السودان الغربي بل يمكن اعتبارها حلقة رئيسية تربط بين الشمال (الصحراء) والجنوب (فوتا جالون وحوض غامبيا والنطاق الغابي) من جهة، وبين الشرق (حواضر مالي في حوض نهر النيجر) والغرب (المحيط الأطلسي).

التاريخ: شعوب مختلفة وقبائل شتى

إذا انتقلنا من الجغرافية إلى التاريخ فإن أول ما يستوقف الباحث في تاريخ إفريقيا عمومًا هو ذلك الشعور بصعوبة الإلمام به والوقوف على جميع جوانبه وتفسير

5 - Abdoulay Bara Diof, Société Toucouleur et migrations, Dakar, Institut français d›Afrique noire, 1965, p. 15.

6 – حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 14.

بنيته وتفاعلاته، نظرًا لقلة المصادر التاريخية المحلية الأصلية ولإهمال كتاب تاريخ هذه البلاد التي تميزها تركيبة بشرية معقدة ومتغيرة، حيث إن المجموعات السكانية في أغلب المجتمعات الإفريقية الزنجية تنقسم إلى طبقات عرقية وأصناف اجتماعية معقدة تعيش جنبًا إلى جنبًا ويتنقل بعضها من مكان إلى آخر حسب الظروف والمستجدات؛ وبالإضافة إلى التقسيم الأفقي القائم على المجموعات العرقية المختلفة والحركية المستمرة، تخضع أغلب المجتمعات الإفريقية إلى تقسيم عمودي يتمايز من خلاله أفراد المجموعة الواحدة من حيث المهام المنوطة بهم والحرف التي يمارسونها، مما يزيد في تعقيد البنية الاجتماعية.

ولا غرابة إذن أن تكون الشعوب التي دانت بالإسلام في وقت مبكر ورفعت لواءه هي الشعوب التي أثرت في تاريخ السودان الغربي ووجهته، وتتمثل هذه الشعوب أساسًا في شعوب التكرور في الغرب (فوتا تورو)، والفلاّني الذين يمتد مجالهم في كامل بلاد السودان الغربي وخاصة منطقة السنغاي التي ارتبط وجودهم بها هي المنطقة التي ينحني فيها نهر النيجر نحو الشمال والمعروفة لدى الجغرافيين بثنية النيجر (Boucle du Niger).

التكرور:

أما شعب التكرور الذي يطلق عليه تحريفًا شعب التوكولور[7] فيرجح أنه انبثق عن امتزاج الجماعات الفلاّنية بالزنوج المحليين (السيرير الذين سنتعرض لهم لاحقًا) والبربر.[8] وقد ارتبط هذا الشعب ببلاد السنگال وبالتحديد بما يعرف بفوتا تورو التي تطلق عليها كذلك تسمية بلاد التكرور، حيث اتخذ هذا الشعب من الحوض الفيضي الخصب لنهر السنگال من داغنا إلى ماتم وباغل وبودور (فوتا تورو وفوتا جالون) أو ما كان يعرف بمملكة التكرور موطنًا له، وقد استقرت العناصر التكرورية في هذه المناطق بعد أن زحزحهم البربر البيض من جنوب موريتانيا باتجاه الجنوب. هذا وترجع نظرية أخرى أوردها الملازم الفرنسي غاتولي (Lt. Gatelet) أصول التكرور إلى امتزاج الزنوج المالنكي (المنادنغ) المختلطين مع الفلاّنيين بالبربر.[9]

7 - عادة ما تحرف كلمة التكرور إلى عبارة توكولور: (Tucolors) بالإنكليزية و (Toucouleurs) بالفرنسية، اعتمادًا على النطق الأوربي.

8 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 36.

Catherine & Bernard Desjeux, op. cit., p. 39.

9 -Lieutenant Gatelet, Histoire de la conquête du Soudan Français (1878-1899), Paris-Nancy, Berger-Levrault et Cie, p. 10.

يتميز التكرور بروحهم الدينية العميقة، حتى أن الفرنسيين ألصقوا بهم وصف التعصب الديني والروح الحربية وممارسة أعمال النهب، لأنهم قاوموهم أكثر من غيرهم من شعوب المنطقة مدفوعين بروحهم الدينية.[10] وقد كان الفرنسيون يرون في العامل الديني أكبر عائق يواجه تقدمهم نحو دواخل بلاد السودان، ولذلك لا غرابة أن اعتبروا شعب التكرور المتدين أكبر عدو لمشروعهم الاستعماري.

ولعل هذه الروح الدينية المتجذرة ترجع إلى اعتناق التكرور للعقيدة الإسلامية في وقت مبكر، حيث دخلوا في الدين الإسلامي قبل غيرهم من شعوب بلاد السنغال. فبعد أن اعتنق حكامهم الدين الحنيف، انتشرت العقيدة الإسلامية على نطاق واسع بينهم منذ الفترات الأولى للتوسع الفلاّني، حيث تحولت جماعات التكرور إلى الإسلام منذ القرن الحادي عشر؛ ولعب هذا العنصر دورًا مهمًّا في حركة المرابطين، وظل يعمل على مدى قرون على نشر الإسلام بين غيره من شعوب البلاد بالدعوة وبحد السيف على حد سواء.

أما في العصر الحديث فقد أفرز شعب التكرور أكبر زعيم جهادي عرفه القرن التاسع عشر وهو الشيخ الحاج عمر حامل لواء التجانية في غرب إفريقيا الذي قاد حركة الجهاد ضد التوغل الاستعماري الفرنسي الذي أشرف عليه فيديرب (Faidherbe) والتي سنتعرض لها لاحقًا.[11]

هذا ولا يمكن فهم بروز شخصية الشيخ الحاج عمر الذي ترعرع ونشأ في بلاد التكرور إلا من خلال التنظيم الاجتماعي والسياسي والروحي المتميز الذي أوجده هذا الشعب في منطقة فوتا تورو السنغالية التي ارتبط بها والمعروف بنظام الإمامة التي لا تفصل بين أمور الدنيا وأمور الدين.

10 -Idem, p. 9.

11 - لم يقتصر الجهاد ضد التوغل الاستعماري على حركة الحاج عمر، حيث عرفت بلاد السودان حركات جهاد كثيرة خلال القرن التاسع عشر، نذكر منها: حركة السلطان أحمد بن الشيخ أحمد لوبو، وحركة ساموري توري في السودان وغينيا وساحل العاج، وحركة السلطان رابح في بورنو والذي قدم من السودان المهدوي، وحركة السلطان دودمورا وريث مملكة وادای الإسلامية، ومقاومة مرابطي السنوسية في التبستي. أنظر:
Pierre Biarnès, op. cit., p. 143.

يقوم هذا النظام، الذي تم استحداثه في أواخر القرن الثامن عشر واستمر إلى نهاية القرن التاسع عشر (1776–1881) وعرف بنظام الأئمة التوريين نسبة إلى فوتا تورو، على ريادة الأئمة، حيث ينتخب أحد العلماء زعيمًا فيما يشبه نظام البيعة الراشدي، ويجمع الإمام المنتخب بين تسيير الأمور الدينية والدنيوية إلا أنه يستشير في أداء مهامه هيئة من المنتخبين تشمل حكام بعض المناطق وبعض العلماء والأعيان والفرسان؛ وإذا حدثت أزمة حكم يعزل الإمام من منصبه، حتى أنه تعاقب على هذا المنصب أكثر من مائة إمام لم يحكم البعض منهم أكثر من ثلاثة أشهر. وأول من انتخب في منصب الإمام هو الشيخ عبد القادر خان (1776–1807) الذي حكم مدة ثلاثين سنة جامعًا بين الإمامة والقضاء وقيادة الجيوش وتسيير الشؤون العامة.

لم تكن لهذه «الجمهورية» عاصمة قارة وجهاز حكم مركزي، بل كان مقرها مرتبط بمقر الإمام المنتخب، وهذا ما لم يسمح ببروز دولة مركزية قوية وعمق الانقسامات والتنافس على الحكم وتسبب في حركات العصيان.[12] فضلاً على أن نظام الإمامة هذا كان يتعايش مع النظام العائلي التقليدي حيث كانت تسيطر على كل واحدة من النواحي التي تتشكل منها الكونفدرالية الفوتية التكرورية عائلة معينة.

ويقوم التنظيم الاجتماعي التقليدي على تجمعات عائلية كبيرة تعطى فيها الزعامة السياسية والروحية للأكبر سنًا؛ وهو بالإضافة إلى ذلك نظام طبقي ينقسم الأفراد فيه إلى: طبقة الأعيان (الأحرار) الذي يمتلكون الأراضي الزراعية الجيدة ويشتغلون بالزراعة وتربية المواشي ويشتغل البعض منهم بصيد الأسماك؛ وطبقة الحرفيين؛ وأخيرًا طبقة الأسرى.[13]

والتكرور اليوم مثلهم مثل الفلاّنيين يشكلون أقلية كبيرة في بلاد السنغال تضم حوالي 1560000 فرد، يمارس أغلبهم النشاط الزراعي، وهم يقبلون أكثر فأكثر على الهجرة نحو المدن لتحسين أوضاعهم الاقتصادية.[14]

12 - Diagne, Pouvoir politique en Afrique occidentale, Paris, Présence africaine, 1967, p. 202.

13 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص ص. 82–83

14 - Catherine et Bernard Desjeux, op. cit., p. 39

الفلاّنيون:

أما شعب الفلاّني الذي يرجح أن شعب التكرور انحدر من امتزاجهم بالزنوج والبربر في بلاد السنغال، فيعتبر بلا منازع الشعب المحرك للتاريخ السوداني. فكما أن الإسلام عامل تفسير لتاريخ السودان الغربي فإن ما يعرف بشعب الفلاّني الذي ارتبط به انتشار الإسلام في غرب إفريقيا يشكل أهم عنصر بشري دخيل أثر على الحياة البشرية في السودان الغربي وسرعان ما أصبح المحرك والموجه الحقيقي للتاريخ المحلي، حيث يمتد اليوم مجال هذا العنصر من السنكال غربًا إلى تشاد شرقًا ومن موريتانيا شمالاً إلى الكامرون جنوبًا (جبال أداماوة)، ويتواجدون بكثافة عالية في فوتا جالون في أقصى الغرب.

يتميز الفلاّنيون الذين تحرف تسميتهم عادة إلى البول ويطلق عليهم أحيانًا اسم الفولبي،[15] بالذكاء وعزة النفس والتمسك الشديد بالدين الإسلامي. وهناك صنفان من الفلاّني: الصنف الأول يتمثل في الرعاة المتنقلين بماشيتهم والذين ساعدهم نمط عيشهم القائم على الترحال والحركة على التأثير على جهات واسعة من غرب إفريقيا وأمدهم بقدرة على التأقلم جعلتهم يتفوقون على غيرهم من شعوبها؛ أما الصنف الثاني الذي نتج عن استقرار جماعات الفلاّني فيضم المزارعين المستقرين وسط شعوب غريبة عنهم، بحيث أصبحوا يمثلون الطبقة الحاكمة ذات النفوذ خاصة في شمال نيجيريا وفي أعالي السنغال. هذا وتقوم مجتمعات الفلاّني على التقاليد الأبوية، ويتزعم كل فرقة منهم زعيم وراثي يسمى بالأرط.

والغريب في الأمر أنه يوجد اختلاف كبير حول أصول هذا الشعب المؤثر والمهيمن، فهناك من يربطهم لغويًا ببلاد فوتا تورو نظرا للتقارب اللغوي بينهم و بين جيرانهم من السيرير (Sérère) والولوف (Ouolof) ؛ وهناك من يرى أنهم عنصر من البربر –حيث إن بشرتهم أقل سوادًا وهم أطول قامة من غيرهم من الزنوج – استقروا في منطقة أدرار وأعالي السنغال، واستقرت طائفة منهم في ماسينا، ثم تسربوا شرقًا حتى وصلوا

15 - تكتب عبارة الفلان باللغة الفرنسية: Peuls أو Pheuls، فحرفت كلمة الفلاّني، وهي تسميتهم في اللغة العربية، بسبب ذلك لتتحول إلى بول.

إلى بورنو وإلى الكاميرون وإلى شمال أداماوة؛[16] وهناك من يرى أنهم ينتمون إلى العنصر الحامي وجاؤوا من شرق إفريقيا في أزمنة غابرة؛[17] فيما يرى البعض الآخر أنهم ساميون جاؤوا في مطلع التاريخ الميلادي من برقة واتجهوا نحو الجنوب الغربي وتمركزوا في تومبوكتو وماسينا، ثم هاجروا في القرن التاسع الميلادي إلى شمال السنغال (منطقة فوتا تورو) حيث تخلوا عن لغتهم الأصلية وتكلموا لغة زنوج المنطقة من التكرور، حيث تشبه لغتهم لغات زنوج إفريقيا المحاذية للأطلسي (السيرير والولوف)؛ وتعتبر نظرية أخرى أنهم كانوا يقيمون مع شعبي الولوف والسيرير في منطقة أوكار وجنوب موريتانيا، قبل أن يزحزحهم المرابطون باتجاه الجنوب، فاتجهوا نحو بلاد التكرور (التي تعني فوتا تورو وفوتا جالون)، حيث ارتبطوا بشعب التكرور ارتباطًا وثيقًا إلى غاية القرن الرابع عشر الميلادي، وهي الفترة التي يكون الفلاّني قد بَدأوا خلالها في التوسع شرقًا كرعاة للماشية وسط قرى الزراع، ثم ثبتوا أقدامهم في القرن السادس عشر في منطقة ماسينا، ثم في بلاد الهوسا شرقًا، وبعد قرنين من ذلك وصل بعضهم إلى أداماوة واستقروا فيها.[18] هذا ويرجع الملازم الفرنسي غاتولي أصل هذا الشعب من الرعاة إلى بلاد الهند، معتبرًا أنهم قدموا من إثيوبيا مع قطعانهم.[19] ورغم الغموض والاختلاف الذي يكتنف أصل الفلاّني فإن النظرية الأكثر قبولاً هي التي تربطهم بالشعوب الحامية التي سكنت بلاد النوبة وجزءًا من إثيوبيا وبأمم الرعاة التي كانت تسكن الصحراء في عصور ما قبل التاريخ.[20]

وجد شعب الفلان في الطبيعة المنفتحة لبراري غرب إفريقيا مجالاً سهلاً لتوسعهم، ومهما كانت أصولهم الشرقية البعيدة المحتملة فقد ظهروا على مسرح التاريخ في القرن الحادي عشر الميلادي كشعب من رعاة الأبقار يتركز في منطقة فوتا تورو بحوض نهر

16 - Hubert Deschamps, Peuples et nations d›Outre-mer, Paris, Presses universitaires de France, 1954, p. 150.

17 - Yves Saint-Martin, L›empire Toucouleur et la France (1846 -1883), Revue d›Histoire, Dakar, 1967, p. 29

18 - رولاند أوليفر، موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولة أحمد صادق، القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، 1965، ص. 169.

David Boilat, Esquisses sénégalaises, Paris, Karthala, 1948, p. 390.

19 - Lieutenant Gatelet, op. cit., p. 2.

20 - Catherine et Bernard Desjeux, p. 40.

السنغال الأسفل، و منها انتشروا شيئًا فشيئًا عبر براري السنغال وحتى ما وراء تشاد في مراحل شهدت أهمها تشكل شعب التكرور في نهر السنغال الأسفل كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ كما اختلطوا بشعب الماندي مما نتج عنه شعب الفولانكي؛ واستقرت أعداد كبيرة منهم منذ القرن الرابع عشر في منطقة ماسينا التي أصبحت أحد أهم نقاط ارتكازهم؛ وتسربوا منذ القرن السادس عشر إلى جنوب فوتا تورو أي المنطقة المعروفة بفوتا جالون التي كونوا فيها إمبراطورية مع نهاية القرن السابع عشر وظلوا يشكلون غالبية سكانها؛ كما غزوا شمال نيجيريا ثم هضاب أداماوة ابتداء من القرن الثامن عشر؛ وقد تواصلت ملحمة توسع الفلاّني إلى وقتنا الحاضر حيث دخلوا في القرن العشرين إلى براري جمهورية إفريقيا الوسطى. هذا وعادة ما يبدأ تسرب الفلاّني بشكل سلمي في نوع من التوافق مع المزارعين المحليين الذين يكلفونهم بحراسة قطعانهم قبل أن ينقلبوا عليهم.[21]

بالإضافة إلى نمط عيشهم البدوي وجغرافية غرب إفريقيا المنفتحة، لعب انتشار الإسلام بين الفلاّني دورًا حاسمًا في توسعهم على حساب المجموعات البشرية الأخرى، بحيث انضوت الجماعات الفلاّنية تحت لواء الجهاد، وإن كان جل الكتاب الأوربيين يرون – تماشيًا مع نظرتهم المتحيزة – أن الفلاّني وجدوا في الجهاد تبريرًا دينيًا لحملات النهب والفتح التي اعتادوا على ممارستها، واعتبروا في تحليلهم أن الدين الجديد اتخذ بالنسبة للفلاّني خاصة منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر شكل تعصب حربي كان أساس المراحل الأخيرة من توسعهم في نفس الوقت الذي ساعدهم فيه الإسلام على الاستقرار وتنظيم فتوحاتهم ضمن دول مهيكلة في القرن التاسع عشر.[22]

رغم أصولهم الغامضة، نجح الفلاّنيون على مر القرون في تثبيت وجودهم في غرب إفريقيا، قبل أن يدخلوا التاريخ من بابه الواسع في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث رفعوا راية الجهاد ودعموا نفوذهم في سائر مقاطعات بلاد الهوسا، ثم في منتصف القرن التاسع عشر وأواخره اتسعت رقعتهم لتشمل أيضًا أجزاء من السنغال ومالي ونيجيريا

21 - كزافييه دو بلانهول، تاريخ أرض الإسلام: الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، ترجمة معاوية سعيدوني، تقديم ومراجعة ناصر الدين سعيدوني، تونس - بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص. 356.

22 - المصدر السابق، ص. 356.

باستثناء بورنو في أقصى الشرق. وأجبر الفلاّنيون الشعوب الوثنية التي لم تتقبل الدين الإسلامي على اللجوء إلى الجبال والغابات الكثيفة والانعزال فيها، من قبيل شعب الباساري الذي لجأ إلى فوتا جالون وحوض غامبيا في القرن التاسع عشر تحت ضغط الفلاّنيين.

ما من شك أن تقبل هذا الشعب الرعوي للإسلام في وقت مبكر لعب دورًا كبيرًا في حيويته ونشاطه واندفاعه وحميته الدينية التي جعلته منبت الكثير من العلماء والدعاة الذين حملوا راية الإسلام إلى القبائل الزنجية المجاورة. وأسس هذا العنصر في إطار حركاته الجهادية ممالك ذات أهمية مثل مملكة الهوسا تحت إمرة الشيخ عثمان بن فودي والتي عاش فيها وتأثر بها الشيخ الحاج عمر وتزوج منها؛ وإليها فر ما تبقى من أسرة أحمد بن الحاج عمر بعد احتلال فرنسا لمنطقة نفوذه. كما أسس الفلاّنيون مملكة أخرى حول ثنية نهر النيجر هي مملكة ماسينا (في بداية القرن التاسع عشر) بقيادة الحاج أحمد لوبو قبل أن يقضي عليها الحاج عمر خلال فتوحاته.[23] وفي بلاد السنغال أسس الفلاّنيون إمارة بند في أواخر القرن السابع عشر الميلادي بقيادة الشيخ مالك سي، أحد زعماء القادرية في السنغال، وهي إمارة وإن كانت اتخذت طابعًا إسلاميًا، إلا أنه يمكن تصنيفها ضمن الإمارات التقليدية القائمة على العرق لاعتمادها أساسًا على الفلاّنيين وقد ضعفت بفعل الصراع السياسي بين أقطابها قبل أن تنضم في الأخير إلى حركة الشيخ الحاج عمر[24]

يوجد الفلاّنيون اليوم في كامل السودان الغربي من تشاد إلى الأطلسي ومن موريتانيا إلى الكامرون. أما في بلاد السنغال بالتحديد فهم يشكلون أقلية مؤثرة حيث يبلغ عددهم حوالي 1350000 فرد يعيشون في منطقة فرلو وحوض السنغال، كما تخلى جزء منهم منذ أجيال عن حياة الترحال واعتمدوا حياة الاستقرار في أعالي منطقة كازامانس السنغالية (فوتا جالون) التي دخلوها انطلاقًا من الشمال الشرقي في إطار حركات الهجرة والجهاد التي اشتهروا بها.[25]

23 - حسين جاجوا، ص. 29.

24 - Richard Moulard, Afrique occidentale française, Paris, Berger-Levrault, 1971, p. 64.

25 - Catherine et Bernard Desjeux, p. 40.

وبعد استقرارهم في أقصى الغرب أسس الفلاّنيون في القرن الثامن عشر مدينة تمبو في جمهورية غينيا الحالية في منطقة مخضرة كثيرة الأنهار، وكانت تعتبر عاصمة الماماة (أئمة) الفلاّنيين الغربيين قبل أن يتراجع دورها وتندثر. أنظر: Ibrahima Baba Kaké, Mémoire de l›Afrique, Les villes historiques, Paris, A.B.C., 1976, p. 24.

السنغاي:

الشعب الثالث الذي ارتبط تاريخه بنشر العقيدة الإسلامية هو شعب السنغاي الذي يحتل قلب البلاد السودانية حول حوض نهر النيجر الأوسط أو منطقة ثنية نهر النيجر (حيث يتجه هذا النهر نحو الشمال الشرقي قبل أن يعرج نحو الجنوب الشرقي)، وقد اتخذ من هذه المنطقة الإستراتيجية الواقعة بين مدن جني وموبتي وتومبوكتو وغاو والتي تحف بها السهول الخضراء وتنمو الحشائش المائية التي تتغذى بها الماشية التي يجلبها الرعاة القادمون من مسافات بعيدة، موطنًا له،[26] وتمركز نبلاء هذا الشعب في كل من جني وتومبوكتو وغاو وهي المدن التي عرفت ازدهارًا كبيرًا بفضل علاقاتها التاريخية البشرية والروحية والتجارية بشمال إفريقيا، حيث أسس هذا الشعب مملكة مزدهرة عاصمتها غاو وضمت كذلك جني، وقد بلغت أوج قوتها على عهد الأسقيا الكبير في القرن السادس عشر.

يرجح أن السنغاي مثلهم مثل الفلاّنيين جاؤوا إلى بلاد السودان الغربي في إطار الهجرات الكبرى التي اتجهت من الشرق إلى الغرب، ويعتقد أنهم نوبيون قدموا في القرن السابع الميلادي من ضفاف نهر النيل،[27] واعتنقوا الإسلام في القرن الحادي عشر. وتعتبر نظرية أخرى أن شعب السنغاي الزنجي تكون أولاً من قبيلتي سوركو المشتغلة بصيد الأسماك وجبيبي المشتغلة بالزراعة، قبل أن يغزو البربر البلاد في القرن السابع الميلادي ويشرفوا عليها سياسيًا ويختلطوا بأهاليها؛[28] فأفرز هذا الاختلاط شعبًا لعب في وسط السودان الغربي نفس الدور المحرك الذي لعبه شعب التكرور في غربه. وكما لعب أهالي المغرب دورًا في تطعيم شعب السنغاي وجعله إحدى شعوب غرب إفريقيا الحاملة لراية الإسلام، فإنهم كانوا كذلك السبب المباشر في تراجع دور هذه البلاد التاريخي حيث تسبب الغزو المغربي في القرن السابع عشر الميلادي (1618 م) في القضاء على إمبراطورية السنغاي الزاهرة، على أن هذا الغزو لم يكن سوى عاملاً

26 – عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة (سلسلة الف كتاب، 382)، 1961، ص. 133.

27 -Lieutenant Gatelet, op. cit., p. 3.

28 – عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 133.

مساعدًا، حيث إن بلاد السنغاي التي قام ازدهارها على تجارة الذهب والرقيق تأثرت سلبًا بسبب تراجع أهمية هذه التجارة العابرة للصحراء بفعل التوسع الأوربي عبر البحار والعالم الجديد ومنافسة الطرق التجارية البحرية.

أما من الناحية الروحية فقد ارتبط السنغاي ارتباطًا وثيقًا بالطريقة القادرية التي كانوا من أشد المدافعين عنها، مما يفسر تصديهم فيما بعد للشيخ الحاج عمر التجاني خلال توسعه في بلاد ماسينا وتومبوكتو.

بالإضافة إلى شعوب التكرور والفلاّنيين والسنغاي، توجد شعوب أخرى يمكن أن نصفها بالأصلية، منها من اعتنق الإسلام وساهم في نشره ومنها من بقي على وثنيته الأولى.

الماندنغ:

أهم هذه الشعوب الماندنغ والذين يطلق عليهم كذلك اسم الماندي، وتعيش هذه المجموعة الكبيرة من السكان في حيز يمتد بين مجالي التكرور والسنغاي أي بين نهر النيجر شرقًا وأعالي نهر السنگال غربًا ومنطقة الغابات جنوبًا،[29] وهم بذلك أهم شعوب غرب إفريقيا حيث ينتشرون في السنگال والنيجر وغينيا وساحل العاج وغامبيا وغانا وسيراليون.[30]

خلافًا للفلاّنيين والتكرور المنبثقين عنهم والسنغاي، فإن عنصر الماندنغ، الذي يتكلم لغة الماندي والمالنكي في الجنوب ولغة السوننكي في الشمال، يعتبر من الشعوب الأصلية في غرب إفريقيا ومن أرقى شعوبها، وقد أصبح الجزء الذي اعتنق منهم الإسلام (أغلبه من السوننكي الشماليين) من أنشط دعاته، حتى أصبحت كلمة سوننكي مرادفة لكلمة داعية إسلامي، وكان موطنهم الأصلي مدينة مالي عاصمة دولة مالي الكبيرة التي ارتبط تاريخها بهم. كما ساهمت قبائل الماندنغ هذه في تعريف قبائل الهوسا بالإسلام. هذا وقد ساهموا أيضًا في محاربة الوثنيين البمبارا إلى جانب الحاج عمر أثناء توسعه في مملكة سيغو (سق في المخطوط).[31]

29 - عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص ص. 17 - 18.

30 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص ص. 30-31.

31 - المصدر السابق.

أهم دويلاتهم نشأت في مناطق كارتا غربًا وماسينا شرقًا وسيغو جنوبًا؛ كما أسس فرع السوننكي من الماندنغ في القرن السادس عشر إمارة قادياقا التي ازدهرت بفعل رواج تجارة الرقيق، قبل أن تضعف مع بداية القرن التاسع عشر، ليسيطر عليها الفرنسيون أثناء حربهم ضد الحاج عمر.[32]

يضم شعب الماندنغ فضلاً عن السوننكي والمالنكي قبائل الديولا والكرو، وهو يجسد أكثر من غيره من شعوب السودان الغربي التركيبة السكانية المعقدة والتداخل بين المجالين الإسلامي والوثني في غرب إفريقيا، ففيما تحول جزء منه إلى الإسلام ظل جزء آخر متمسكًا بوثنيته رغم وحدة العرق واللغة، وكانت الغابة الكثيفة في الجنوب عاملاً ساعد الجماعات الوثنية من الماندنغ في الحفاظ على ديانتها القديمة. وقد أسس عنصر المالنكي الوثني إمارة البامبوك، وهي من المناطق الأولى التي أخضعها الحاج عمر نظرًا لغناها وموقعها الإستراتيجي المشرف على السنگال والنيجر.[33]

هذا ويعكس صعوبة رسم خط فاصل لا جدال فيه بين الشعوب المسلمة والوثنية تقسيم الملازم غاتولي في كتابه عن تاريخ فتح السودان الفرنسي لشعوب المنطقة، والذي وضع المالنكي (القسم الجنوبي) والماندنغ ضمن الزنوج الأصليين المتمسكين بالوثنية.[34] هذا وتكمن صعوبة التصنيف في الحركية الدينية المستمرة لشعوب غرب إفريقيا التي لا تزال أجزاء منها وإلى يومنا هذا تتحول إلى الإسلام أو المسيحية.

أسس فرع وطارة من شعب الماندنغ في القرن الثامن عشر مدينة كونغ الواقعة حاليًا شمال جمهورية ساحل العاج والتي كانت تتحكم في الطرق التجارية في منطقة الانتقال من السافانا إلى الغابة الكثيفة، ولعبت لفترة قصيرة دورًا تجاريًا مهمًا في الجهات الجنوبية يذكرنا بدور تومبوكتو في الشمال التي كانت همزة الوصل بين السفانا

32 - Hyacinthe Hecquard, Voyage sur la côte et dans l'intérieur de l'Afrique occidentale, Paris, Larose, 1855, p. 183.

33 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 71-72.

34 - Lieutenant. Gatelet, op. cit., pp. 1-3.

والصحراء، إلا أن دور كونغ لم يعمر طويلاً حيث كانت نهايتها في أواخر القرن التاسع عشر على يد أحد أبناء شعب الماندنغ وهو ساموري.[35]

يعتبر ساموري من أهم شخصيات القرن التاسع عشر المنتمية لشعب الماندنغ وقد ورد ذكر حركته في المخطوط، حيث قاد حركة توسع ومقاومة للتوغل الفرنسي، وقد ولد وثنيًا (حوالي 1846) ثم اعتنق الإسلام وأصبح من المدافعين عنه، وهو يجسد لوحده التداخل والحركية المستمرة بين الإسلام والوثنية في مجال الماندنغ وكذلك اعتناق مجموعات وثنية كثيرة الدين الإسلامي خلال القرن التاسع عشر، هذا وسنتعرض لاحقًا لحركة ساموري في القسم المخصص لحركات الجهاد.

السيرير والولوف:

أما إذا اتجهنا غربًا نحو السواحل السنغالية للمحيط الأطلسي فإننا نجد شعبي السيرير والولوف، الذين كانت جماعاتهم، قبل دخول الإسلام، تعيش في الجهات الغربية (في فوتا تورو وعلى ضفاف نهر السنغال) جنبًا إلى جنب مع التكرور حيث كانوا يشكلون جزءًا من إمبراطورية التكرور؛ ورغم القرابة اللغوية بينهم وبين التكرور والفلاّنيين إلا أن السيرير والولوف يختلفون عن هاتين المجموعتين في كون جماعات منهم ظلت على وثنيتها أو دانت بالدين المسيحي -خاصة بالنسبة للسارار وبدرجة أقل الولوف.

أما السيرير فيعيشون في الشريط الساحلي بين نهر غامبيا وسالوم حيث يمارسون الزراعة والصيد بمهارة. وكان السيرير يعيشون على ضفاف نهر السنغال قبل أن يزحزحهم المرابطون في القرن الثاني عشر باتجاه الجنوب حيث واجهوا الولوف في هجرتهم هذه قبل أن يحتموا بالغابة الكثيفة في نواحي نهري سيني والسالوم، وقد اختلطوا بالماندنغ وتكلموا لغتهم. ولا يزال جزء من السيرير يعتنق الوثنية ما عدا الطبقة الحاكمة والمحاربين؛ أما عبيدهم فقد تمسح أغلبهم وظلت أقلية منهم على وثنيتها، وكان لهم دور في محاربة انتشار الإسلام كما تشهد على ذلك مساعدتهم للفرنسيين في حربهم ضد الشيخ الحاج عمر.[36]

35 - Ibrahima Baba Kaké, op. cit., p. 22.

36 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص ص. 32 – 34.

يلحق عادة بالسيرير شعب الديولا – وإن كان يصنف أحيانًا ضمن شعب الماندنغ (أنظر الفقرة السابقة عن الماندنغ) – وهو من الشعوب التي حافظ أغلب أفرادها على وثنيتهم. يتمركزون في منطقة كازامانس السفلى أقصى جنوب غرب السنغال، حيث يمارسون طقوسهم في بيئة تكتنفها الغابات الإستوائية، وهم يجهلون الطبقية الاجتماعية ويعيشون ضمن أسر أبوية متساوية، ويمارسون بمهارة زراعة الأرز كما يعيشون من ثمار الغابة.[37]

أما الولوف الذين كانوا يعيشون في الساحل الممتد من سان لويس والرأس الأخضر إلى غاية داكار، فقد أجبرهم العرب والبربر والتكرور على الهجرة نحو الجنوب، وقد تصدوا للفرنسيين إلى أن احتلت مناطقهم سنة 1886. خلافًا للسرير فإن أغلب الولوف يدينون بالإسلام وإن كانوا أقل تدينًا من جيرانهم التكرور، ومنهم أقلية اعتنقت المسيحية، ورغم ذلك فإن الطقوس الوثنية لا تزال متجذرة ومنتشرة بينهم. ويشكل الولوف اليوم غالبية سكان السنغال (5 ملايين من بين حوالي 12 مليونًا) وهم الأكثر تأثيرًا في غيرهم من السكان.[38]

تشكل الزراعة – خاصة زراعة الدخن – نشاطهم التقليدي الرئيسي ويمارسونها بواسطة محراث ملائم للتربة الرملية. ويقوم النظام الاجتماعي للولوف على طبقية أساسها المهام والحرف كما جرت العادة في المجتمعات الزنجية، ويضم هذا النظام:[39] طبقة الغور التي تتكون من الأمراء، والنبلاء (زعماء الأقاليم والزعماء العسكريون)، والفلاحين، والمرابطين؛ وطبقة النيانيو وهي طبقة الحرفيين من حدادين وصناع خزف ونساجين؛ وطبقة الغريو وهم الذين يجمعون بين دور الشعراء والموسيقيين والمؤرخين؛ وأخيرًا طبقة الديام وهم العبيد الذين يحتلون أسفل السلم الاجتماعي.

البمبارا:

البمبارا، الذين يطلق عليهم كذلك اسم البنابر وهو الاسم المعتمد في المخطوط، من الشعوب الزنجية الأصلية في غرب إفريقيا التي تمسكت بوثنيتها أكثر من غيرها رغم أن

37 - Catherine et Bernard Desjeu, op. cit., p. 39.

38 - Idem, p. 37

39 - Idem.

البمبارا يعيش معظمهم في مستوطنات في بلاد ماسينا في قلب المناطق الإسلامية. وقد كان البمبارا خاضعين لسلطان مالي قبل أن يظفروا باستقلالهم مع حلول القرن السابع عشر ويؤسسوا مملكة لهم بسيغو، اعتبرت من أكبر القوى المحلية منذ القرن السابع عشر، بفضل موقعها المشرف على نهر النيجر، كما ورثت هذه المملكة أجزاء هامة من إمبراطوريتي مالي وسنغاي بعد سقوطهما، وتعلم قادتها أساليب الحكم وفنون الحرب من المسلمين، وأصبحوا من أكثر الشعوب الوثنية تنظيمًا في غرب إفريقيا. ولم يطل هذه المملكة الغزو المراكشي للمنطقة واستقلت تمامًا عن باشوات تومبوكتو المراكشيين إلى أن سقطت على يد الشيخ الحاج عمر.[40]

وكان البمبارا قد توسعوا في القرن الثامن عشر نحو الشمال الغربي وأسسوا إمارة في كارتا بين نهري النيجر والسنغال، وأصبحت أكبر قوة في منطقة السنغال الأعلى. وضمت هذه المملكة خلافًا للأولى عناصر مختلفة من السوننكي والفلاّنيين والخاسونكيين والموريتانيين وإن كان البمبارا يشكلون العنصر الغالب فيها، وخاضت هذه المملكة حروبًا مستمرة مع جيرانها إلى أن ضعفت في منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن زحفت عليها مملكة ماسينا الإسلامية الفلاّنية بزعامة الشيخ أحمد لوبو سنة 1847، والذي انتقم من بمبارا الدياورة الذين قتلوا ابن الشيخ مامادي كنديان أحد زعماء المسلمين في جني، ثم استولى الحاج عمر على هذه المملكة خلال توسعاته باتجاه النيجر.[41]

بالإضافة لمحافظتهم على وثنيتهم عرف البمبارا بعدائهم الشديد للمسلمين كما تشهد على ذلك مواجهتهم المستميتة لحركة الحاج عمر، ونظرًا لعدائهم الشديد للإسلام فإن الفرنسيين استغلوا تعصب البمبارا في حربهم على الحركات الجهادية، كما استغلوا العداء الشديد بين التكرور (المسلمين) والبمبارا (الوثنيين) لضمان توسعهم في غرب إفريقيا. على أن البمبارا ظلوا يشكلون الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، فانتشار الإسلام

40 – حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص 71.
41 – حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص 73.

وثقافته وتراجع الوثنية كان حركة عميقة تأكدت على مدى عشرة قرون في غرب إفريقيا، فالمستقرئ لتاريخ هذه المنطقة يتيقن بأن الإسلام يمثل المستقبل والوثنية الماضي بالنسبة لجل شعوبها.

انتشار الثقافة العربية والإسلامية في السودان الغربي وحواضرها:

بعد تعرضنا لأهم الشعوب التي أثرت في تاريخ غرب إفريقيا يظهر جليًّا أن هذا التاريخ تمحور أساسًا حول انتشار الإسلام الذي كان الحد الفاصل بين الشعوب التي اعتنقته ونشرته وتلك التي حاولت مقاومته وآثرت الدفاع على تقاليدها الوثنية مثل شعب البمبارا، على أن هذه الأخيرة كانت تمثل الماضي والجاهلية الوثنية والأعراف البدائية، في حين أن الإسلام في نسخته الإفريقية كان عامل تنظيم وتحديث ورقي ثقافي للمجتمعات المحلية، فهو ثورة ونقلة نوعية جسدها تبلور ثقافة عربية إسلامية سودانية.

إن ثقافة السودان الغربي التي أفرزها انتشار الإسلام، كانت نتيجة تفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية الوافدة من الشمال والشرق والثقافات الإفريقية المحلية، وأبرز مظاهرها الدين الإسلامي واللغة العربية. فكما أن الإسلام أصبح أهم محرك للمجتمعات المحلية فإن اللغة العربية التي أقبل عليها المتعلمون من أهالي البلاد وأتقنوها كما تشهد على ذلك لغة المخطوط الذي بين أيدينا، طعمت اللغات المحلية القديمة، حتى أن أهمها وهما لغتا الهوسا والفلاّني أخذتا الكثير من اللغة العربية واعتمدتا الحروف العربية في كتابتهما على مدى قرون من الزمن.[42]

هذا وقد ساعد على التأثير الثقافي العميق للحضارة العربية الإسلامية في السودان الغربي ذلك التفوق الثقافي للإسلام والهياكل السياسية والاجتماعية المرتبطة به في مقابل انعدام التنظيم السائد في المجتمع الفلاحي الزنجي الذي لم يتجاوز مرحلة البنيات العصبية المفتقدة للتمايز. كما لا يمكن فصل التأثير الإسلامي عن التأثيرات الحضارية

42 – مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بيروت، المدار الإسلامي، 2005، ص 175.

التي بدأت منذ فجر حضارة المدن في الشرق الأدنى وضفاف البحر المتوسط والتي شملت فضاء الصحراء الكبرى الشاسع لتزرع بذورها المنعشة في العالم الاستوائي حسب تعبير الجغرافي الفرنسي كزافييه دوبلانهول.[43]

قام انتشار الإسلام على التجمعات الحضرية والتجارية وإقبال النخبة المحلية الحاكمة عليه، وقد ساعدت هذه العوامل على فاعلية ونجاح التأثيرات الإسلامية، رغم المسافات الطويلة وصعوبة الاتصال بمراكز الحضارة العربية الإسلامية عبر المنطقة الصحراوية الشاسعة التي كانت تشكل حاجزًا طبيعيًا منيعًا.

ولعل هذا ما يفسر بطء انتشار الإسلام وتجذره في غرب إفريقيا –خلافًا لما عرفه الشمال الإفريقي– حيث تم ذلك بشكل تدريجي وبخطى وئيدة على مدى عشرة قرون وهو ما زال متواصلاً إلى يومنا هذا. ومن العوامل الأخرى المفسرة لهذا البطء، بالإضافة إلى الحاجز الصحراوي، هو ذلك التطور المحدود والمنحصر في نقاط معدودة لحضارة المدن والتنظيم السياسي؛ وهذا ما جعل مهمة نشر الدين الإسلامي بين المجتمعات الفلاحية الزنجية لا تقتصر على المدن ونخبها وإنما وقعت كذلك في الفترة المتأخرة على عاتق الرحل الفلاّنيين الذين كان عليهم أن يواجهوا، رغم اندفاعهم، الظروف الطبيعية الصعبة التي تواجه الحياة الرعوية في غرب إفريقيا والوضع السياسي والاجتماعي المعقد للمجتمعات الفلاحية الزنجية المحلية التي اختلفت ردود فعلها من مكان إلى آخر.[44]

دخل الإسلام إلى السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر كدين النخبة المحلية التي يشكلها الأمراء وأعيان الممالك الذين وصلت إليهم الدعوة الإسلامية عبر المنافذ الثلاثة للطرق التجارية الصحراوية التقليدية، وهي: المنفذ الغربي المتمثل في بلاد التكرور المعروفة بفوتا تورو (حوض السنغال الأوسط والأسفل)؛ والمنفذ الأوسط في بلاد السنغاي أي منطقة ثنية نهر النيجر الإستراتيجية؛ والمنفذ الشرقي المتمثل في كانم جنوب شرق بحيرة تشاد؛ فكانت هذه المنافذ الثلاث بمثابة النوافذ التي فتحت من خلالها إفريقيا أعينها على العالم الآخر الأكثر تقدمًا وحداثة والذي كان يجسده الإسلام في زمن سبق بكثير وصول الأوربيين إلى السواحل الغربية والجنوبية.[45]

43 – كزافييه دو بلانهول، المصدر نفسه، ص 350.

44 – المصدر السابق، ص 350.

45 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 140.

تعود أصول الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي إلى هذه الفترة المبكرة، حيث قصد بلاطات ملوك غانة ومالي والسنغاي علماء مسلمون التف حولهم الأتباع، وتبلورت من خلال هذا التفاعل طبقة من المتعلمين الذين حافظوا على الصلات مع مراكز الثقافة العربية الإسلامية في شمال إفريقيا وتوارثوا العلم أبا عن جد.

وهكذا ارتبطت الثقافة العربية الإسلامية بمجتمع المدن في السودان الغربي بحيث لا يمكن فصلها عن الحواضر التي آوتها والتي كانت مجالاً لترعرعها وتأثيرها في محيطها الريفي قبل أن يدعم الجهاد الفلاّني هذه المكتسبات. ومن هذه الحواضر المؤثرة نذكر:

مدينة تومبوكتو وهي أشهر حاضرة ثقافية في السودان الغربي، تأسست في القرن الحادي عشر في موقع استراتيجي على ثنية نهر النيجر بين ما كان يعرف ببلاد مالي شرقًا وبلاد غانة غربًا ولعبت دورًا مهمًا في نشر الثقافة العربية والإسلامية إلى جانب جارتها الشرقية غاو. وينتمي إلى تومبوكتو أعلام الثقافة السودانية من أمثال العلامة الفقيه أحمد بابا التومبوكتي (ت. 1627) الذي ألف العديد من المؤلفات أهمها «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»؛ وعبد الرحمن بن عبد الله السعدي الذي يعتبر مؤرخ إمبراطورية السنغاي (ت. حوالي 1655) وهو مؤلف «تاريخ السودان»؛ ومحمد كعت التومبوكتي مؤلف «تاريخ الفتاش»،[46] وهذان المؤلفان من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها صاحب مخطوط «زهور البساتين في تاريخ السوادين».

ولا تقل مدينة غانة أو كومبي في غرب بلاد السودان أهمية عن تومبوكتو، فقد كانت من أزهر مدنه لاعتمادها على تجارة الذهب. وكانت هذه المدينة تتألف في القرون الوسطى – قبل أن يحسم الأمر فيها للإسلام – من قسمين: مدينة إسلامية ومدينة وثنية، وكانت المدينة الإسلامية مقصدًا للعلماء ورجال الدين والطلاب وضمت اثني عشر مسجدًا، وازدهرت فيها صناعات النسيج والنحاس والأحجار الكريمة والدروع والأسلحة المطعمة بالذهب والفضة. وكان لانتشار الثقافة الإسلامية في هذه المملكة القوية على حساب

46 – عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص 239.

المعتقدات الوثنية وكذلك الصلات التي ربطتها بدولة المرابطين دور حاسم في انتشار الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي على العموم.

بعد تراجع دور مملكة غانة في الغرب انتقل مركز الثقل إلى بلاد مالي في الشرق،[47] وبالتحديد إلى مدينة جني في قلب مالي (على بعد مائتي ميل جنوب غرب تومبوكتو) والتي تكون قد تأسست في القرن الحادي عشر، قبل تومبوكتو بثلاثة وثمانين سنة،[48] وأصبحت منذ القرن الرابع عشر قاعدة اقتصادية لتجارة الملح والذهب والعبيد وكانت أكثر ازدهارًا ونشاطًا من جارتها تومبوكتو، ومركزًا دينيًا مهمًا يقصده العلماء الذين ساهموا في نشر الدين الإسلامي بين عامة أهل حوض النيجر منذ القرن الثاني عشر، وازدادت أهميتها في عهد منسا سليمان في القرن الرابع عشر، إلا أن خلفاء هذا الأخير لم ينجحوا في الحفاظ على تماسك دولتهم، فسقطت المدينة نهاية القرن الخامس عشر (1468) في أيدي السنغاي، قبل أن تتعرض للغزو المغربي نهاية القرن السادس عشر. وبعد تراجع الهيمنة المغربية، سيطر البمبارا على جني التي أصبحت قاعدة لملك سيغو مع بداية القرن التاسع عشر؛ وبعد انهزام البمبارا أمام الفلاّنيين بقيادة الشيخ أحمد لوبو أعاد هذا الأخير تنظيم مختلف أوجه الحياة بجني، قبل أن يسيطر على المدينة الشيخ الحاج عمر وأتباعه من التكرور، لتخضع المدينة أخيرا للفرنسيين عام 1893.

أما إذا اتجهنا شرقًا باتجاه بلاد الهوسا وتخوم بلاد تشاد، فإننا نجد مدينتي كانو وكتسينا اللتين امتدت إليهما الثقافة الإسلامية خلال القرن الخامس عشر، ورحل إليهما بعض علماء تومبوكتو نهاية القرن الخامس عشر؛ وتعاظمت أهمية كانو في القرنين السادس عشر والسابع عشر بعدما أصاب تومبوكتو وبلاد مالي عمومًا من تراجع عقب حملة الملك السعدي المنصور الذهبي على بلاد السودان الغربي.

وفي بلاد الهوسا كذلك وبالتحديد في المنطقة المعروفة بغوبر ازدهرت مدينة سوكوتو تحت حكم الشيخ عثمان بن فودي ثم ابنه بللو حيث أصبحت عاصمة للدولة الكبرى التي

47 – المصدر السابق، ص ص 86 – 88.

48 - Ibrahima Baba Kaké, op. cit., p. 26.

مستشهدًا بارشينار (Archinard).

أقاماها، بل أصبحت بحق عاصمة شعب الفلاّني الذي لعب أهم أدواره التاريخية أثناء تلك الفترة.[49] وقد زار سوكوتو في عصر ازدهارها (بداية القرن التاسع عشر) كثير من الرحالة أهمهم المستكشف الإنكليزي كلابرتون (Claperton) الذي وقف على أهمية عمرانها ونشاطها التجاري، فيما قدر الجغرافي الفرنسي إليزي روكلو (Élisée Reclus) عدد سكانها بـ 120.000.[50]

بالإضافة إلى القواعد الحضرية المزدهرة، أسهمت قوافل الحج إسهامًا كبيرًا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي وفي ربط الصلات مع مراكز العالم الإسلامي الكبرى. ومنذ البدايات الأولى للإسلام في هذه البلاد، كان الملوك المسلمون (ملوك مالي وغانة) يحرصون على أداء فريضة الحج تأكيدًا لارتباطهم بالدين الإسلامي.[51] ومن أشهر الأمثلة على ذلك حج الأسقيا الكبير نهاية القرن الخامس عشر الميلادي والذي اصطحب معه جمعًا من علماء السنغاي، مما أسهم فيما بعد في توطيد الثقافة الإسلامية بين أهالي السودان وفي إدخال نظم الحياة الإسلامية على دولته. وكان علماء السودان يحصلون خلال رحلات الحج على إجازات علمية ومؤلفات قيمة يعودون بها إلى مواطنهم مما كان له أثر بالغ في المحافظة على شعلة الثقافة العربية الإسلامية متقدة في بلاد كان الإسلام فيها لا يزال غريبًا في بيئة صعبة تغلب عليها المعتقدات الوثنية.[52]

حتى زمن متأخر ظل الحج مناسبة يربط خلالها أهالي السودان الصلات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية مع باقي العالم الإسلامي. فحركة الشيخ الحاج عمر على سبيل المثال تجد أصولها –إلى جانب كونه ابن شيخ مرابط – في حجه الذي أداه حوالي عام 1827، قبل أن يعود إلى بلاد الهوسا داعيًا إلى عقيدة السلف وإلى تقويم الطريقة القادرية باعتماد الطريقة التجانية التي كان يرى فيها عامل تجديد وإصلاح.[53]

49 – تجسد النجاح السياسي للفلان في مملكة سوكوتو تحت زعامة الشيخ عثمان بن فودي، وفي مملكة ماسينا تحت قيادة الشيخ احمد لوبو مؤسس مدينة حمد الله.

50 - Ibrahima Baba Kaké, op. cit., p. 26.

51 – عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 35.

52 – مطير سعد غيث أحمد، المصدر نفسه، ص. 167.

53 – عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 38.

كانت الثقافة العربية والإسلامية في السودان الغربي – كما يظهر جليا من قراءة مخطوط «زهور البساتين في تاريخ السوادين» – امتدادًا للثقافة الإسلامية السائدة بمصادرها التقليدية وموضوعاتها الدينية والتاريخية مع مسحة محلية لا جدال فيها من قبيل تطعيم هذه الثقافة بالقصص المحلي المتوارث وشيء من الخرافات والمعتقدات الوثنية القديمة التي أسبغتها البيئة المحلية على الأطر الاجتماعية والاقتصادية والروحية.

هذا ويلاحظ على الثقافة العربية الإسلامية السودانية –التي بلغت أوجها في القرن السادس عشر– تقوقعها وميلها إلى الجمود منذ الغزو المغربي في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر،[54] على أنه من الخطأ المبالغة في تضخيم دور الغزو المغربي في تراجع الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، حيث لعب تراجع التجارة العابرة للصحراء في مطلع العصور الحديثة دورًا مؤكدًا في العزلة الثقافية لغرب إفريقيا، مما أسفر عن تراجع في العلاقات الإنسانية والثقافية بين شمال إفريقيا وغربها؛ كما أن التراجع الثقافي لغرب إفريقيا ليس حالة فريدة فهو جزء من الانحطاط العام الذي شهدته الحضارة العربية والإسلامية في الفترة المتأخرة.

هذا ورغم انكماش الثقافة العربية الإسلامية إلا أنها كانت تتميز عن غيرها من الثقافات الأصلية التقليدية في السودان الغربي بكونها ثقافة مكتوبة، مما ساعدها على التأصل في الأرض الإفريقية وعلى مد جذورها العميقة فيها، ولم يعد بالإمكان اجتثاتها، خاصة بعد أن دخلت في الإسلام كل تجمعات الفلاّنيين التي كانت تقطن المناطق الواقعة بين السنكال والنيجر على مدى القرن السابع عشر ولم يعد دين الحواضر الكبرى فقط كما سبقت الإشارة إلى ذلك.[55]

فضلاً على الانتشار العددي للإسلام، ظلت شعلة الثقافة العربية الإسلامية متقدة من خلال المصادر والمقررات التعليمية التقليدية التي سادت إلى غاية القرن التاسع عشر،

54 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 95.

55 - Pierre Biamès, op. cit., p. 141.

نذكر منها تفسير الجلالين ومختصر خليل والآجرومية والمعلقات السبع.[56] كما بقيت الثقافة التاريخية السودانية حية من خلال أهم مؤلفين تاريخيين كتبهما مؤرخون محليون هما تاريخ الفتاش لمحمود كعت التومبوكتي (كتب بين 1519 و1665)، وتاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي (كتب قبيل 1655).[57]

يدل هذان المؤلفان التاريخيان الذين يعتمد عليهما صاحب مخطوط «زهور البساتين» كثيرًا، على أن الثقافة العربية الإسلامية كانت مدخل أهل السودان إلى التاريخ ومنبع وعيهم بتاريخهم وأهمية تدوينه خلال الفترة الزاهرة للثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي (حوالي القرن السادس عشر).

رغم تأثير تراجع دور القوافل البرية بين مراكز العالم الإسلامي وبلاد السودان الغربي سلبًا على التفاعل الثقافي لهذه البلاد، فإن علماء وشيوخ الطريقة القادرية وبعدهم التجانية حافظوا على شعلة الثقافة العربية الإسلامية من خلال تعليمهم و مؤلفاتهم، وكان أغلبهم متمركزين في جنوبي موريتانيا وبرنو وكانم وبلاد العير وبلاد الهوسا، وهم الذين مهدوا الطريق لما يعرف بحركة الجهاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي كان لها تأثير إيجابي على الحياة الثقافية والعلمية ببلاد السودان الغربي، حيث انتشرت مدارس تعليم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية والدين الإسلامي، وأقبل الناس على التعلم بدافع ديني، وساعد على ذلك تنافس الطريقتين في تأسيس المدارس والزوايا خلال القرن التاسع عشر كوسيلة لبسط نفوذهما.

أما فيما يخص بلاد فوتا تورو السنغالية بالتحديد والتي يركز عليها المخطوط، فقد كان لارتباطها الثقافي بجنوب موريتانيا دور في الحفاظ على الثقافة العربية والإسلامية بها، ونذكر من أهم أقطابها: الإمام سليمان بل (ت. 1776)، والإمام عبد القادر خان (ت. 1807) الذين ورد ذكرهما في المخطوط، وكان مركزهما مدرسة بير في منطقة كجور.[58]

56 - لتفاصيل أكثر بهذا الخصوص، انظر: حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص ص. 119-123.

57 - عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 73.

58 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 109.

هذا ويجب التذكير بأن بلاد فوتا تورو كانت بمثابة رأس جسر المد الإسلامي في غرب إفريقيا منذ القرن الحادي عشر عندما اعتنق الملوك الزنوج ببلاد التكرور الدين الحنيف بفضل جهود المرابطين الذين ربطوا السودان الغربي ببلاد المغرب الإسلامي، وهكذا استمر المد الإسلامي الذي انطلق من أقصى الغرب (بلاد التكرور) على مر القرون.[59]

وبدخول الفلاّنيين في الدين الجديد وإقبالهم على تعلم مبادئه والنهل من مصادره، تزايدت أهمية البلاد السنغالية حيث تشكلت من فلاّنها طبقة من المتعلمين العارفين بالدين الجديد أشهرهم أولئك الذين يعرفون بالتوروب في فوتا تورو والذين ورد ذكر الكثير منهم في المخطوط كحاملين للواء العلم والتدين. وسرعان ما أنشأ هذا الشعب الفلاّني المتعطش للتعاليم الإسلامية والذي منحه الإسلام تفوقًا على الشعوب الزنجية التي بقيت على وثنيتها، ممالك قائمة على أسس دينية (نظام الأئمة): في فوتا جالون (1725)، وفوتا تورو (1775)، وبند (1780).[60]

هذا ويعتبر منتصف القرن الثامن عشر فترة حاسمة في انتشار العقيدة والثقافة الإسلامية في وسط وغرب بلاد السودان، عندما تحولت إلى الإسلام – بعد أن ظل الدين الإسلامي لفترة طويلة دين المدن والحكام والتجار – جماعات كثيرة من السكان، وإن تم هذا التحول في بداية الأمر بشكل سطحي، إلا أنه سمح للدين الإسلامي أن يرتقي من دين نخبة هشة وسط مجتمعات وثنية إلى الدين السائد.[61]

الطرق الدينية كإطار منظم للحياة:

مع انتشار الإسلام في غرب إفريقيا أصبحت الطرق الدينية وعلى رأسها الطريقة القادرية عاملاً مهمًا في الحياة الدينية والثقافية بل والاجتماعية والسياسية في بلاد السودان الغربي سمح بتكيف الإسلام مع بيئة المجتمعات الإفريقية وتقاليدها المعتمدة

59 – فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، القاهرة، دار المعارف، 1982، ص. 286.
60 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 141.
61 – فيج جي دي، المصدر نفسه، ص ص. 285-286.

على الطقوس وحلقات الذكر التي تستعمل فيها الدفوف والطبول، فهذا التوفيق بين العبادة والطقوس والحركات الراقصة المستمدة من الماضي الوثني والذي سمحت به الطرق الصوفية، لعب دورا لا يمكن إغفاله في تسهيل انتشار الدين الإسلامي بين الشعوب الإفريقية.[62]

كما لا يجب أن ننسى أن أكبر تحول ضمن استمرارية الإسلام في غرب إفريقيا، والمتمثل في بداية تحول شعب الفلاّني إلى الإسلام خلال القرن السادس عشر، قد تم من خلال دعاة الطريقة القادرية في تومبوكتو وغاو، فكانت الطريقة القادرية بذلك عاملاً حاسمًا في تجذر الإسلام في غرب إفريقيا بشكل لا رجعة فيه، فبعد أن دان به الفلاّنيون بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أصبحوا حملة راية الجهاد في القرن التاسع عشر قبيل وأثناء التوغل الاستعماري.[63]

هذا ويعود الفضل في انتشار الطريقة القادرية في بلاد السودان الغربي إلى قبائل كنته المنحدرة من منطقة توات في الصحراء الجزائرية؛ وقد ساعد على انتشارها توزع فقهائها ومعلميها، منذ القرن الخامس عشر، بين القبائل الوثنية التي تحولت تدريجيًا إلى الدين الإسلامي بفضل المدارس التي أسسها الدعاة.[64]

ظلت الطريقة القادرية مسيطرة على الحياة الروحية والسياسية في السودان الغربي إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، وقدمت للسودان الغربي عددًا من أكبر رجالاته الذين رفعوا راية الجهاد من أمثال الشيخ عثمان بن فودي (ولد حوالي عام 1745 أو 1754 حسب المصادر)، والشيخ أحمد لوبو (ولد عام 1755)؛ غير أن نفوذ القادرية بدأ في الأفول عندما دبت الصراعات بين أقطابها في كل من ماسينا (أحمد الثاني الذي أعلن الجهاد وأسس عاصمته حمد الله)، وتومبوكتو (الشيخ أحمد البكاي، ت. 1865)، على أن أكبر تحد واجهته القادرية هو بروز وتعاظم نفوذ عصبية جديدة تمثلت في الطريقة التجانية بزعامة الشيخ الحاج عمر الفوتي الذي بدأ في التوسع من الغرب انطلاقًا من السنغال نحو بلاد النيجر.[65]

62 – مطير سعد غيث أحمد، المصدر نفسه، ص 171.
63 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 141.
64 – مطير سعد غيث أحمد، المصدر نفسه، ص 172.
65 – حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص 84 – 87.

كان بروز الطريقة التجانية في الجهات الغربية من السودان الغربي وانتشارها انتشارًا كبيرًا خلال القرن التاسع عشر، استجابة طبيعية لتراجع نفوذ الطريقة القادرية، بعد أن ركنت لمهادنة الاستعمار الأوربي وتراجع المستوى العلمي لشيوخها الذين رضوا بالمتوارث من المعارف والعلوم ولم يسعوا إلى التجديد، مما أدى إلى ذوبانها بالتدريج في شكل محلي إفريقي جسدته الطريقة الصوفية المريدية التي أسسها أحمد بمب (توفي عام 1926).[66]

هذا ويمكن اعتبار الطريقة التجانية في غرب إفريقيا حركة ثورية جاءت لتقويم ما كان ينظر إليه كانحرافات للطريقة القادرية. وقد اختلفت التجانية عن القادرية من حيث اعتمادها على السيف ورفعها لواء الجهاد الحربي في وجه الوثنيين والاستعمار كما تشهد على ذلك حركة الشيخ الحاج عمر.[67]

حققت الطريقة التجانية نجاحًا كبيرًا في معظم بلاد السنكال وخاصة منطقة فوتا تورو، ثم انتشرت على عهد الشيخ الحاج عمر الذي عقد العزم على نشر الإسلام بين بقايا الوثنيين في النيجر وماسينا وبلاد البمبارا بحد السيف، فانتشرت بفضل جهود التجانية المدارس والزوايا والمساجد في موريتانيا والسنغال، على أن التحدي الاستعماري جعل الطريقة تضطر إلى مواجهة جبهتين لم تكن تتوفر على الوسائل اللازمة لمواجهتهما في أن واحد: جبهة الوثنيين وجبهة التوسع الاستعماري. كما أن هذه الطريقة التي وضعت أسس روح قومية محلية دينية عبر تأسيس دولة إسلامية تحت سلطة الشيخ الحاج عمر وخليفته وابنه الحاج أحمد، كان عليها مواجهة الانقسامات الداخلية والحسابات الضيقة للزعماء المحليين الذين لم يكونوا مستعدين لقبول سلطة مؤطرة، فأدى ذلك إلى الانقسام إلى شيع وطرق خدمت من حيث لا تدري مشروع الاستعمار الفرنسي.[68]

رغم ما قد يؤخذ عليها من خضوع مطلق للشيخ واعتقاد أعمى في كراماته وخوارقه واعتمادها على نظام وراثي لا يقوم دومًا على ما يتصف به الشيخ من صلاح وعلم وإنما

66 - عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1988، ص. 115

67 - عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 52.

68 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 92.

تتأثر بادعائه صفة المهدي، شكلت الطرق الدينية والحركات المهدوية في السودان الغربي في الواقع قوة تجديد وتجدد في مجتمعات السودان الغربي، فبالإضافة إلى مواجهتها للتحدي الخارجي (الاستعمار الفرنسي)، كانت عامل تحول ونهضة داخلية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ففي الوقت الذي أظهرت فيه قابلية كبيرة للتأقلم مع خصوصيات المجتمعات الإفريقية، حاربت بحزم بقايا الوثنية التي امتد تأثيرها إلى الإسلام الإفريقي الحديث النشأة في شكل الاعتقاد في السحر والخرافات والطلاسم، كما يشهد على ذلك مخطوط «زهور البساتين في تاريخ السوادين» الذي خصص صاحبه جزءًا منه لهذه المعتقدات الباطلة.

من جانب آخر كانت الطرق الدينية المؤسسات التعليمية الوحيدة التي نشرت علوم العربية والإسلام التقليدية من خلال تأثير الشيخ في تلاميذه الذين كانوا ينشرون بدورهم ما تعلموه بين عشائرهم؛ وكان هذا جانبًا إيجابيًا لروح التنافس بين الطرق الدينية التي كانت ترى في نشر التعليم وفتح المدارس لكسب الأتباع ضمانًا لديمومتها.

على أن التنافس والتناحر بين الطرق الدينية والسياسة الاستعمارية التي شجعته كانت له آثار سلبية لا يمكن إنكارها من قبيل انتشار ما يمكن اعتباره فوضى دينية فتحت الطريق لانتشار الخرافات وحلول السحر محل العلم في بعض الأحيان، حتى ارتبطت بعض الطرق الدينية بصريح السحر والشعوذة وانقسمت إلى شيع وأحزاب، بينما بقيت فئات طرقية أخرى متمسكة بخيط رقيق من عقيدة الإسلام وكانت لها ادعاءات بالإصلاح، فيما استطاع البعض الآخر مقاومة عوادي الفناء وضمن استمرار العقيدة السليمة بفضل تمسكها بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، ولعل محتوى المخطوط الذي نضعه بين أيدي القارئ دليل على محافظة بعض المتعلمين من أهل السودان الغربي على المعتقد الإسلامي الصحيح.

الجهاد والنهضة الإسلامية في بلاد السودان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

رغم حالة التفتت العرقي والاجتماعي، فإن المفتاح الذي يمكننا من دراسة وفهم تاريخ بلاد السودان الغربي يتمثل في عامل الدين الإسلامي الذي لا يمكن تفسير تاريخ هذه البلاد دون الرجوع إليه كعامل أساسي أثر فيها ووجهها بل وأدخلها التاريخ وأخرجها من مجاهل الحياة البدائية والتفتت الاجتماعي والتشتت العرقي والتناحر القبلي.

فبفضل الدين الإسلامي كانت بلاد السودان الغربي ولأول مرة في تاريخها مركز انطلاق حركة امتد نفوذها نحو الشمال وأسست إحدى الدول الإسلامية الكبرى في الغرب الإسلامي، حيث شهدت إحدى الجزر بنهر السنكال المقابلة للساحل السوداني البدايات الأولى لدولة المرابطين في القرن الحادي عشر والتي امتد نفوذها إلى نهر السنكال وقضت على إمبراطورية غانة. هذا وإن لم ينجح المرابطون في نشر الإسلام بين عامة الشعب الوثنية إلا أنهم فتحوا أمامه أبواب السودان الغربي في وقت مبكر حيث تقبل الدين الإسلامي شعب التكرور في الشمال والذي يرجح أنه نتاج امتزاج البربر بالزنوج، وقد أصبح هذا الشعب منذ ذلك الحين حامل راية الدين الإسلامي، حتى أنه أصبح يطلق عادة على بلاد السودان الغربي تسمية بلاد التكرور (الجزء الغربي من جنوب الصحراء الكبرى)، وأصبحت كلمة تكروري مرادفة لكلمة سوداني.[69] ومنذ ذلك الحين أصبح انتشار العقيدة الإسلامية المحور الرئيسي الذي يدور حوله التاريخ السوداني كله.

وإن كانت بداية انتشار الإسلام في هذه البلاد تعود إلى القرن الحادي عشر وبدايات الدعوة المرابطية، فإنه تم فعليًا وانتشر بعمق بين عامة الناس في وقت متأخر نسبيًا أي النصف الثاني للقرن التاسع عشر وتزامن ذلك تقريبًا مع التغلغل الاستعماري الفرنسي في السودان الغربي . ورغم أن تجذر الإسلام في البلاد يعود إلى فترة متأخرة نسبيًا إلا أنه لعب دورًا رائدًا في مقاومة الاستعمار الفرنسي وفي التأسيس لشخصية أهالي السودان الحضارية الذين اكتسبوا بفضله ثقافة مكتوبة جعلتهم يرتبطون بالثقافة الإسلامية والعربية، ويعود الفضل في ذلك للدور الرائد الذي لعبته الطرق الدينية كالقادرية والتجانية التي بلغت أوج تأثيرها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي تقوم على طاعة مؤسس الطريقة وخلفائه، وكانت ولا زالت هذه الطرق تلعب دورًا محوريًا في الحياة الاقتصادية والسياسية للبلاد. وكما يتضح من قراءة المخطوط فإن الممارسات المتعلقة بهذه الطرق يغلب عليها الطابع المرابطي الذي يزاوج بين الأمور الروحية والدنيوية ويتقبل المعتقدات الدينية والشعبية المتوارثة التي يكرسها المرابط أو الشيخ باعتباره الشخصية المتميزة التي تؤدي دور الوسيط بين عامة الشعب والعالم الآخر.

69 - المصدر السابق، ص. 12.

إن اعتبار الإسلام عاملاً مفسرًا للتاريخ السوداني كفيل بأن يجعلنا نرسم صورة متكاملة وواضحة لهذا التاريخ وأن نفك طلاسمه وبنية ودوافع الشعوب التي وجهته وأثرت فيه، فلا يبقى تاريخ السودان الغربي بذلك، كما جرت العادة، تاريخًا لمجموعات بشرية وقبائل متناحرة لا تخضع لصيرورة تاريخية عقلانية ولا تفرز سوى الفوضى والصراعات العقيمة.

لقد شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر نهضة إسلامية حقيقية تحت قيادة الطريقتين القادرية وبعدها التجانية. وأطلق على هذه النهضة أو الثورة الإسلامية تسمية حركات الجهاد لارتباطها بالدعوة إلى تقويم معتقد المسلمين من أهالي السودان، وسعيها إلى نشر الدين الحنيف بين بقايا الوثنيين، ثم مواجهتها في فترة لاحقة لتقدم الاستعمار الأوربي في دواخل البلاد.

كان من أبرز رجالات هذه الحركات: الشيخ عثمان بن محمد فودي في بلاد الهوسا؛ والشيخ أحمد الماسني المعروف بأحمد لوبو في شمال شرق مالي (ماسينا)؛ والشيخ الحاج عمر الفوتي الذي أسس إمبراطورية التكرور التجانية الإسلامية التي كانت امتدت من السنكال غربًا إلى حدود نهر النيجر شرقًا. وقد أسس هؤلاء الزعماء الثلاثة ثلاث دول إسلامية في فترة تاريخية وجيزة، مما يجسد بوضوح الحيوية التي ميزت الإسلام السوداني في هذه الفترة والتي أفرزت حركة توسع إسلامي لم يضع حدًا لها سوى التوغل الاستعماري. وأكدت هذه التطورات مرة أخرى الثلاثية التي تحكم تاريخ بلاد السودان، حيث دخل إليها الإسلام من منافذ ثلاث (الشرق والوسط والغرب) وتجددت دعوته من منابع ثلاث.

هذا ولا يمكن فصل هذه الثورة الإسلامية عن شعب الفلاّني –عثمان بن فودي وأحمد لوبو كلاهما فلاّني – الذي قامت على أيديه وتغذت من اندفاعه وروحه الدينية الجياشة. وكان لهذا الاندفاع آثار بالغة الأهمية في رسم الخريطة الدينية لغرب إفريقيا وفي ترسيخ الوجود الإسلامي فيها إلى الأبد. ففي الشرق قضت هذه الثورة على جذور الوثنية في بلاد الهوسا ممثلة في ملك غوبر الذي حاول قمع المد الإسلامي. وفي الوسط في بلاد ماسينا امتد نفوذ الشيخ أحمد لوبو حتى تومبوكتو في محاولته إنشاء دولة

إسلامية مركزية. أما في الغرب أي في بلاد التكرور وما جاورها فقد كان جهاد الشيخ الحاج عمر المستميت تحديًا للوثنيين البمبارا والمد الاستعماري في آن واحد.

يمكن وصف الممالك التي انبثقت عن هذه النهضة بالممالك الإسلامية لأنها قامت على مبدأ الجهاد والمعتقد وليس على مبدأ العرق الضيق الذي عادة ما كانت تقوم عليه دويلات السودان. ومن هذا المنظور فإن حركات الجهاد والممالك التي انبثقت عنها كانت محاولة للتغلب على التفكك والتفتت الاجتماعي والسياسي الذي لم يسمح بتشكل دولة قوية في هذه البلاد منذ سقوط دولة السنغاي على يد المغاربة نهاية القرن السادس عشر؛ فبرهنت هذه الممالك الإسلامية على إمكانية توحيد أجزاء متفرقة من بلاد السودان تحت لواء الدولة الواحدة، كما بينت في نفس الوقت، بالنظر لانهيارها السريع، صعوبة تأسيس دول مركزية قابلة للاستمرار طويلاً في بلاد السودان نظرا للتفتت الاجتماعي والعرقي والعقائدي، فضلاً على عامل الاستعمار الأوربي الذي لم يكن ليسمح بتأسيس دول محلية توحد الطاقات وتشحذ الهمم لمواجهته. هذا ونظرا لأهمية هذه الممالك الإسلامية في تاريخ السودان الغربي فإننا سنتعرض لها بإيجاز فيما يلي:

مملكة الهوسا:

ارتبطت بشخصية عثمان بن فودي (ولد عام 1754) زعيم النهضة والجهاد في الشرق، وهو من أبرز شخصيات التاريخ السوداني الحديث. انبثقت حركته عن الطريقة القادرية وأصبح حاكمًا فعليًا لبلاد الهوسا في شمال نيجيريا الحالية، وإن كانت أصوله تعود إلى إحدى فروع توروب السنكال وهي العشائر الفلاّنية الحضرية المتدينة؛[70] وقد جاءت هذه العشائر في هجرات متتالية من حوض السنكال إلى الشرق (بلاد الهوسا).

وقف عثمان بن فودي في وجه ملك غوبر نفاته ثم ابنه ينف اللذين حرما على أفراد شعبهما اعتناق الإسلام وفرضا عليهم الوثنية، وهزم عثمان بن فودي الذي كانت تحركه روح الجهاد ملك غوبر.[71] وبحلول عام 1810 كان عثمان بن فودي قد أخضع معظم بلاد الهوسا، وإن لم يمتد جهاده إلى منطقة الغابات الكبرى في الجنوب؛ وقسم دولته إداريًا

70- المصدر السابق، ص. 59.

71- عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص ص. 199-200.

بين ابنه بللو وأخيه عبد الله، بينما قنع هو بالزعامة الروحية واستقر بسوكوتو التي اتخذها مركزًا لدعوته.

فضلاً على زعامته الروحية والحربية كان عثمان بن فودي مؤلفًا وصاحب علم، فكانت شخصيته متكاملة جمعت بين السيف والقلم كما جرت العادة لدى الزعماء الروحيين للطرق الدينية في زمن ازدهارها، فقد ألف عثمان بن فودي الكثير من الكتب نذكر منها: «أصول الولاية» و«إحياء السنة» و«بيان البدع» و«سوق الصادقين» و«نصائح الأمة» و«نور الألباب» و«الهجرة»؛ كما كان أخوه عبد الله كذلك مؤلفًا من كتبه: «ألفية الأصول»، و«تزيين الورقات»، و«سبيل النجاة»، و«مفتاح التفسير»،[72] كما ألف ابنه السلطان بللو بن عثمان كذلك مؤلفات من أهمها كتابه «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» الذي جمع فيه الرسائل التي تبادلها مع محمد الكانمي.[73]

عند وفاته (1817) كان عثمان بن فودي قد فتح الطريق واسعًا أمام حركة جهاد الشيخ أحمد لوبو حاكم ماسينا الذي واصل جهاده في القطاع الأوسط، ثم الشيخ الحاج عمر التكروري الذي وإن كان تجانيًا إلا أنه تأثر بعثمان بن فودي كثيرًا واستلهم منهجه لإقامة دولة كبرى في أعالي نهر النيجر في منتصف القرن التاسع عشر، كما تأثر بحركة أحمد لوبو؛ ومما يؤكد التواصل بين الحركات الجهادية في غرب إفريقيا زواج الشيخ عمر ببنت السلطان بللو بن عثمان بن فودي، فكانت علاقة الحاج عمر بعثمان بن فودي ليست علاقة روحية فقط بل أسرية كذلك، خاصة وأن أصول كليهما تعود إلى البلاد السنغالية، كما أشرنا إلى ذلك.

مملكة ماسينا:

تطلق هذه التسمية على الدولة التي أسسها الشيخ أحمد لوبو الذي انطلق في حركة جهاده سنة 1817، بعدما طلب منه سكان مدينة جني الإسلامية حمايتهم من بطش حكام البمبارا الوثنيين، حيث جهز جيشًا من أتباعه مدعمًا ببعض أتباع الشيخ عثمان بن فودي، وانتصر على البمبارا في جني وأسر حاكمها الوثني.

72- المصدر السابق، ص ص. 202-203.

73- المصدر السابق، 241.

كان الشيخ أحمد لوبو يهدف إلى تأسيس دولة مركزية قوية في قلب السودان الغربي، حيث أسس عاصمة جديدة لدولته شرق نهر باني أطلق عليها تسمية حمد الله. كما اقتبس الكثير من حركة عثمان بن فودي ببلاد الهوسا، غير أنه زاد عليها بادعائه المهدوية.

لم يستطع ابنه أحمد الثاني المحافظة على قوة المملكة التي أسسها أبوه، وقد انتهى الأمر بابنه أحمد الثالث إلى التحالف مع حكام البمبارا ومع الشيخ أحمد البكاي التومبوكتي (زعيم القادرية بتومبوكتو) ضد الشيخ الحاج عمر زعيم التجانية، قبل أن يئول أمر مملكة ماسينا إلى السقوط عندما أخضع الشيخ الحاج عمر عاصمتها حمد الله سنة 1862 وقتل حاكمها أحمد الثالث.[74]

إمبراطورية الشيخ الحاج عمر أو إمبراطورية التكرور:

ارتبطت بشخصية الشيخ الحاج عمر الذي أسسها متبعًا منهج سلفيه الشيخين عثمان بن فودي وأحمد لوبو. وينتمي الحاج عمر كما سبق ذكره إلى شعب التكرور القاطن في منطقة فوتا تورو، وقام برحلة الحج عام 1825 حيث انخرط في الطريقة التجانية وأصبح من شيوخها، وفي طريق عودته زار الأزهر، وأقام مدة في كل من برنو وسوكوتو (عاصمة عثمان بن فودي) وحمد الله (عاصمة أحمد لوبو)، قبل أن يستقر نهائيًا في المنطقة الواقعة على حدود الفلاّنيين المتاخمة لفوتا جالون والدنجويري؛ وفي هذه الأخيرة بدأ في تأسيس نظام التجانية بتجنيد الفلاّنيين والتكرور والتوروب.

ولما جمع ما يكفي من القوة لإعلان الجهاد في بداية خمسينيات القرن التاسع عشر، زحف بجيشه باتجاه الشمال حيث دخل جيشه نيورو عاصمة دولة البمبارا الواقعة في منطقة كارتا عام 1854، وتصدت له القوات الفرنسية في زحفها في حوض السنغال الأسفل، وبعد عام 1857 زحف شرقًا لمحاربة مملكة البمبارا في سيغو، وحقق كذلك نجاحات كبيرة ضد الوثنيين الماندنغ ونجح في تحويل الكثير منهم إلى الإسلام؛ لكن

74 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 73.

دولة ماسينا التي كان يحكمها أحمد الثالث حفيد الشيخ أحمد لوبو رفضت الانضمام إلى دعوة الشيخ عمر، وكان للتنافس التجاني القادري دور في موقف فلاّنيي ماسينا هذا، حيث تحالفوا مع البمبارا وبرير كنته ضد حركة الحاج عمر المنافسة، ورغم ذلك تمكن هذا الأخير من الاستيلاء على ممالك سيغو (1861)، وفي 1862 استولى على حمد الله وتومبوكتو (1863)، لكن عداوة وثورة فلاّنيي ماسينا وشيوخ القادرية أدت إلى الغدر به وقتله (1864)، فخلفه ابنه الأكبر أحمد الذي دام حكمه ثلاثين سنة قضاها يصارع الفلاّنيين وأهل ماسينا وأبناء الحاج عمر الآخرين وأقاربه.[75]

كان أكبر تحد واجهه الحاج أحمد بن الحاج عمر هو الحفاظ على نفوذه في المجال الممتد حول أعالي نهر السنغال وحول نهر النيجر الذي تغلب عليه طبيعة السافانا حيث الطبيعة المنفتحة التي لم تسمح بمواجهة طوابير الجيش الفرنسي التي كانت تتنقل بسهولة في هذا المجال، فلعب العامل الطبيعي إلى جانب التفوق العسكري الفرنسي الساحق وتربص المنافسين دورًا مهمًا في تراجع المقاومة المحلية للتوغل الاستعماري وفي سقوط إمبراطورية التكرور. وكان أحمد بن الحاج عمر قد ورث سلطة أبيه على إمبراطورية واسعة بدأت أوصالها تتقطع، وبدأ سكانها يظهرون تململاً من الطريقة التجانية، وهذا ما جعله يركز على الحفاظ على صلات متينة مع مهد أسرته منطقة فوتا تورو، ويقاوم الفرنسيين بأسلوب دبلوماسي أكثر منه عسكري، حتى أنه قدم يد المساعدة لغالييني (Gallieni) في حملته ضد محمد الأمين، ووقع معه معاهدة حماية في غوريه في 12 مارس 1887 اقتصرت على بنود تخص التجارة والتنقل عبر الأنهار.[76] على أن استبدال غالييني بأرشينار (Archinard) كقائد أعلى بالسودان (1888) سرعان ما أدى إلى القضاء على إمبراطوريته التي تهاوت مراكزها الواحدة تلو الأخرى خلال ثلاث حملات عسكرية، وبذلك انتهت الإمبراطورية التي أسسها الحاج عمر ورحلت العناصر التكرورية الذين كانت قائمة على عاتقها إلى موطنها الأصلي فوتا تورو، فيما أعيد تنصيب الزعماء المحليين الذين أطاح بهم الحاج عمر خلال جهاده.

75 - فيج جي دي، المصدر نفسه، ص ص 298 – 300.

76 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 149.

رغم أن الحاج أحمد وابنه المدني واصلا مقاومتهما إلى غاية 1895، إلا أن هذه الأحداث التي شهدتها نهاية القرن التاسع عشر كانت مؤشرًا واضحًا على انقضاء عهد الممالك الإسلامية الكبرى، وانفتاح الطريق أمام التغلغل الاستعماري الفرنسي الذي كان يهدف إلى ربط الساحل الأطلسي بالتشاد لتكوين مستعمرة مترامية الأطراف في غرب إفريقيا.

هذا وبالإضافة إلى الدول التي أسسها عثمان بن فودي وأحمد لوبو والحاج عمر، شهدت نهاية القرن التاسع عشر حركة جهادية أخرى قادها ساموري توري الذي تمكن من تأسيس دولة اتسعت رقعتها سريعًا إلا أنها تهاوت بنفس السرعة التي قامت بها تحت ضربات الاستعمار الفرنسي.

بدأت حركة ساموري، التي ورد ذكرها في المخطوط، في منطقة سنغامبيا الواقعة عند تخوم البلاد السنغالية والغامبية وحملت لواء مقاومة التوغل الفرنسي، وإن كانت صبغتها الدينية أقل مما ميز حركة الحاج عمر، ولعل ذلك راجع إلى أصول ومنشأ ساموري، فهو ينتمي إلى شعب الماندنغ، وقد ولد على الأرجح وثنيًا (حوالي 1846) ثم اعتنق الإسلام، وهو يجسد بالفعل انتقال أجزاء مهمة من الشعوب الوثنية في غرب إفريقيا إلى الدين الإسلامي خلال القرن التاسع عشر.[77]

تمكن ساموري من تأسيس دولة بلغت أوجها حوالي 1881، قبل أن ينتهي أمرها على يد الفرنسيين الذين استولوا على عاصمته بيساندجو (1891)، واضطروه إلى التوجه شرقًا فيما يعرف اليوم بساحل العاج، ثم إلى جنوب غرب غانا، وانتهى أمره بأسره من طرف الفرنسيين (1898)،[78] ويرجح أنه توفي سنة 1900،[79] فكانت وفاته التي وافقت

77 - عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 39.
يذكر فيج دي جي، المصدر نفسه، ص. 301: أن ساموري ولد حوالي 1830 فيما يعرف اليوم بغينيا غير بعيد عن حدود سيراليون وليبيريا، وكان أميًا حتى أن الكثير من أفراد أسرته ارتدوا إلى الوثنية، غير أن رحلاته في ديولا جعلته يتأثر بالنهضة الإسلامية في القرن التاسع عشر وعمل جنديًا في خدمة ملك الماندينغ قبل أن يطمح في تأسيس دولة إسلامية من بين دويلات الماندينغ الصغيرة الواقعة جنوب أملاك الحاج عمر بعاصمته بيساندوجو القريبة من مسقط رأسه، ونظم إداريًا دولته التي ازدهرت بفضل فتوحاته وغنائمه، وأضفى عليها طابعًا إسلاميًا بأن حصل على لقب الإمام عام 1874، وبنى المساجد وفرض الشريعة الإسلامية على أتباعه.
78 - فيج دي جي، المصدر نفسه، ص. 302.
79 - عبد الرحمن زكي، المصدر نفسه، ص. 39.

بداية القرن العشرين نهاية لملحمة الممالك الإسلامية التي رفعت لواء الجهاد في غرب إفريقيا منذ القرن الثامن عشر، ليفتح المجال نهائيًا أمام الهيمنة الاستعمارية الأوربية المطلقة.

الاستعمار الفرنسي ونتائجه:

تعود أول صلات الفرنسيين بالسودان الغربي إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر في شكل محطات تجارية في الساحل مركزها الرئيسي قاعدة سان لويس، كما تأسست محطة سان جوزيف في كالم وسان بيير على نهر الفاليمي (فالم)، إلا أن الوجود الفرنسي تحول عن هدفه التجاري في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر،[80] حيث أسس الفرنسيون محطتي باكل وماتم المحروستين وبدأوا في توسيع نفوذهم شرقًا انطلاقًا من قاعدتهم في بلاد السنغال.

شكل التوغل الاستعماري طوال القرن التاسع عشر أكبر تحد تاريخي لمجتمعات السودان الغربي، فهو أول تحد خارجي حقيقي لمجتمعات تقليدية وجدت نفسها بأطرها التنظيمية المهلهلة وتفتتها وتناحرها السياسي والديني، وجهًا لوجه مع الحضارة الغربية ذات التفوق العسكري والتقني والتنظيمي الساحق. وإن كانت نتيجة هذه المواجهة بين عالمين غير متكافئين محسومة منذ البداية من منظور تاريخي، إلا أن النهضة الإسلامية الإصلاحية وحركات الجهاد التي كانت أهمها حركة الشيخ الحاج عمر والتي تزامن بروزها مع المد الاستعماري في الجهات الداخلية والتي رفعت لواء إصلاح المجتمع وتوحيده ضمن كيانات سياسية أكثر قوة واتساعًا، عرقلت لبعض الوقت المشروع الاستعماري وأوجدت حالة من عدم الاستقرار لم يضع الفرنسيون حدًا لها إلا مع بداية القرن العشرين باستتباب ما يمكن أن نطلق عليه السلم الفرنسي. ونظرًا لارتباط مقاومة التوغل الاستعماري بحركات الجهاد الإسلامية، فإن الفرنسيين ظلوا يعتبرون الإسلام – إلى جانب المنافسة الإنكليزية – أهم تحد لتوسعهم في غرب إفريقيا.

80 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 78.

يعتبر فيديرب (Faidherbe) –الذي عين لأول مرة حاكمًا للسنغال سنة 1854– مؤسس السنغال الحديث وواضع أسس ما عرف فيما بعد بإفريقيا الغربية الفرنسية، وحكم المستعمرة من 1854 إلى 1861، ثم من 1863 إلى 1865، وقد لعب هذا الرجل الدور الأكبر في تدعيم الوجود الفرنسي ثم الدفع به باتجاه الداخل، فبعد أن عمل على تحصين حدود مستعمرته من القبائل الموريتانية من براكنة وترارزة ومن الزعماء المسلمين الرافضين للوجود الفرنسي، نجح في تحويل مجموعة من المحطات التجارية الهشة إلى مستعمرة حقيقية تحكمت خلال قرن من الزمن في أجزاء شاسعة من غرب إفريقيا، بعد أن كانت فرنسا قبل 1854 تكتفي بحصني سان لويس وغوريه فقط كقاعدتين لبسط نفوذها في غرب إفريقيا.[81]

انتهج فيديرب سياسة فرض السلم بالقوة (Pacification)، التي تزامنت مع عصر الإمبراطورية الثانية التي اعتمدت مبدأ الفتح والتوسع الاستعماري، فبعد أن أعاد تنظيم الإدارة الفرنسية في السنغال بتوحيدها تحت سلطته كحاكم للسنغال، باشر توغله في داخل البلاد عبر النهر؛ فحارب وأخضع الترارزة الموريتانيين الذين كانوا يسيطرون على المحطات النهرية، وواجه الحاج عمر وأتباعه من التكرور في أعالي النهر، وكان الحاج عمر أهم عقبة واجهت مشروع بسط النفوذ الفرنسي على كامل السودان الغربي، حيث أقدم في مشروعه لإقامة دولة مترامية الأطراف على شاكلة دولة عثمان بن فودي، على مد يده إلى مجال النفوذ الفرنسي في السنغال، ففي سنة 1854 (السنة التي عين فيها فيديرب حاكمًا) بعث الحاج عمر رسالة إلى المسلمين من أهالي سان لويس يدعوهم إلى الثورة والجهاد،[82] غير أن محاولات الحاج عمر تكسرت أمام الحصون الفرنسية التي أقيمت لحماية النهر، وسرعان ما انتهى حلمه بصفة مأساوية في إحدى المغارات قرب باندياغارا في مالي عام 1864، بعد أن خانه بعض أتباعه وانقلب عليه قسم من الأهالي، ولم تفلح محاولات ابنه أحمد فيما بعد في المحافظة على تماسك واستمرارية الإمبراطورية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

81 - فيما يتعلق بتطور أساليب الإدارة الفرنسية في غرب إفريقيا، أنظر: فيج جي دي، المصدر نفسه، ص ص 335 – 340.
82 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 93.

فهم الفرنسيون من هذه التجربة عمق العقيدة الإسلامية ودورها في بعث روح الجهاد والمقاومة بين السكان، فعمل فيديرب منذ البداية على محاصرة الثقافة العربية والإسلامية ومنابعها باعتبارها معين حركة الجهاد، فمنذ 1857، أصبح لزامًا على كل من أراد فتح مدرسة قرآنية طلب رخصة من الإدارة الفرنسية،[83] كما استغل الفرنسيون العامل الديني لمد نفوذهم من خلال التحالف مع البمبارا الوثنيين ضد حركة الجهاد، وكذلك باستغلال الصراع بين الطريقتين القادرية والتجانية لإضعاف حركة المقاومة.

وفي نفس السنة (1857) التي فرض فيها طلب رخصة لمباشرة التعليم الديني، رأت النور نواة مدينة داكار التي ستصبح قاعدة غرب إفريقيا الفرنسية بتأسيس حصن صغير وبتملك الفرنسيين للأراضي المحاذية له، واقترح الفرنسيون بعد ذلك على دمل كجور المعروف بإبراهيم (براهيما) إنشاء طريق وخط تلغرافي ومحطات طريق محصنة تربط بين داكار ومستعمرتهم القديمة سان لويس، وعندما توفي براهيما بعد موافقته على المشروع، قاوم خليفته ماكودو الفرنسيين، الذين اضطروا سنة 1860 لمواجهة مقاوم آخر لتقدمهم هو لات ديور.

تبين كل هذه الأحداث أن بداية التوغل الفرنسي في بلاد السودان الغربي لم تكن سهلة أبدًا حتى في قاعدة انطلاقها السنغال، حيث كان على فيديرب الانتظار طويلاً قبل أن يحقق حلمه بإقامة مستعمرة فرنسية مترامية الأطراف يكون محورها نهر النيجر في قلب السودان الغربي، فعند مغادرته السنغال سنة 1865 بعد عهدته الثانية، لم تكن شعلة المقاومة قد انطفأت بعد، إلا أنه يعتبر بحق مؤسس المستعمرة الفرنسية الذي أخرجها من حيزها الضيق الذي ظل منحصرًا لوقت طويل في سان لويس وغوريه وما جاورهما.[84]

بدأ التوغل الفعلي للفرنسيين في دواخل بلاد السودان تحت قيادة الكولونيل بريار دوليل (Brière de l'Isle) الذي عين على رأس الحكومة في السنغال في شهر جوان 1876، وقد جدد هذا الأخير سياسات فيديرب وقمع الزعماء المحليين الثائرين في سيني

83 - حسين جاجوا، المصدر نفسه، ص. 126.
84 - Pierre Biarnès, op. cit., p. 95

وفوتا تورو. وتجددت مع هذا الحاكم سياسة «السلم» الاستعماري من خلال المشاريع الكبرى من قبيل مد قنوات المياه، وإنشاء أرصفة جديدة في مينائي داكار وسان لويس، وتوسيع شبكة التلغراف، والتحضير لإطلاق مشروع سكة الحديد السنگال – النيجر.[85]

إلى جانب هذه المشاريع الكبرى التي كان الهدف منها تثبيت الوجود الفرنسي في بلاد السنگال التي كانت تشكل رأس جسر باتجاه دواخل بلاد السودان، تجدد الجهد العسكري للتوسع في الداخل في شكل اثنتي عشرة حملة سنوية، سمحت الثلاثة الأولى منها باحتلال كيتا (1881) وبماكو (1883). ومكنت هذه الحملات من فرض الوجود الفرنسي في أعماق بلاد السودان باتجاه تشاد، وإن عرقلت تقدمها بعض الوقت مقاومة المالك الإسلامية: مقاومة أحمد بن الحاج عمر في الجهات الشمالية، ومقاومة ساموري توري في الجهات الجنوبية. كما واجه الفرنسيون مقاومة شديدة من طرف محمد الأمين، والتي تذكر بمقاومة الحاج عمر التي سبقتها بثلاثين سنة، ولم يقضوا عليها إلا بعد ثلاث سنوات من المواجهة (1887).[86]

هذا ويقسم الملازم غاتولي مراحل التوسع الفرنسي الفعلي في داخل السودان الغربي إلى ثلاث مراحل:[87] استمرت أولها من 1878 إلى 1888 وشهدت استقرار الفرنسيين في أعالي نهري السنگال والنيجر، وكسرهم شوكة التكرور ومقاومة محمد الأمين، ودخولهم في حرب مع ساموري؛ أما الفترة الثانية فقد استمرت من 1888 إلى 1895 وتمت خلالها عملية تشكل ما أطلق عليه اسم السودان الفرنسي بالقضاء على مملكتي الشيخ أحمد بن الحاج عمر وساموري واحتلال تومبوكتو؛ وشهدت الفترة الثالثة (1895–1899) احتلال منطقة ثنية نهر النيجر (Boucle du Niger) الإستراتيجية، وربط السودان الفرنسي بمستعمرتي ساحل العاج والداهومي جنوبيًا، وانتهت هذه الفترة بأسر ساموري.

ومع حلول عام 1899 أدخل الفرنسيون تنظيمًا إداريًا جديدًا على أقاليم السودان الداخلية التي أخضعوها، فقسموا البلاد، فضلاً على بلاد السنغال، إلى مناطق إدارية

85 - Idem, p. 146

86 - Idem, p. 148

87 - Lieutenant Gatelet, op. cit., pp. 20-21.

هي:[88] المنطقة الغربية، عاصمتها بماكو؛ منطقة الساحل، عاصمتها نيورو؛ المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية، عاصمتها دوري؛ منطقة النيجر – فولتا، عاصمتها بوبو ديولاسو؛ منطقة الجنوب، عاصمتها سيغيري.

مهد هذا التنظيم الإداري لتشكيل إفريقيا الغربية الفرنسية بصفة نهائية سنة 1904، وقد ضمت في البداية مستعمرات خمس هي: السنغال، وغينيا، وساحل العاج، والداهومي، والسنغال الأعلى – النيجر، ثم ضمت إليها مستعمرة موريتانيا. وفي عام 1911 تم فصل الإقليم العسكري للنيجر عن مستعمرة السنگال الأعلى – النيجر، وانبثقت عن ذلك مستعمرتان (1920 و1922). كما فصلت فولتا العليا في 1919، وأصبح يطلق على مستعمرة السنگال الأعلى – النيجر اسم «السودان الفرنسي» عام 1920. وقد ألغيت مستعمرة فولتا العليا بين 1932 و1947 وضمت أجزاؤها خلال هذه الفترة إلى كل من ساحل العاج (الجزء الأكبر)، والسودان الفرنسي، والنيجر. هكذا تمكن الفرنسيون من تشكيل مستعمرة واسعة في غرب إفريقيا، بلغت مساحتها 1.800.000 ميل مربع أي مساحة تبلغ تسع مرات مساحة فرنسا ذاتها.[89]

حاول الفرنسيون – اعتمادًا على تجربتهم في السنگال بتحويل الأهالي إلى مواطنين فرنسيين – إدماج سكان الغرب الإفريقي في البوتقة الفرنسية، على أن هذا الوهم الاستعماري الاندماجي لم يتجسد على أرض الواقع، حيث ظل المواطنون الأفارقة على هامش الوظيفة العمومية ونمط العيش الفرنسي، ويذكرنا هذا الوضع إلى حد ما بما عرفته الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.

على أن أدوات الفرنسة من تعليم اللغة الفرنسية وأداء الخدمة العسكرية والعمل في الوظائف الفرنسية أوجد فئة موالية وإن كانت قليلة للغاية نسبة إلى مجموع السكان،[90] إلا أنها كانت تكون النخبة التي ضمنت استمرارية التأثير بل والانتماء الفرانكوفوني

88 - Idem, p. 506-507.

89 – فيج جي دي، المصدر نفسه، ص. 335.

90 – المصدر السابق، ص. 339. قدر الكاتب عدد الأفارقة الذين كانوا يقطنون غرب إفريقيا الفرنسية سنة 1937 بـ 15.000.000 نسمة، كان من بينهم 80.500 نسمة من المواطنين الفرنسيين فقط، فيما بلغ عدد الذين اكتسبوا الجنسية الفرنسية نتيجة مولدهم في مستعمرة السنگال (سان لويس، غوريه، روفيسك، داكار) 2500 شخص فقط.

في غرب إفريقيا التي خرج من الفترة الاستعمارية مجزأة إلى دول ورثت الأطر الإدارية الفرنسية البيروقراطية والتي أثبتت عدم فاعليتها لتحقيق التنمية لعدم مواءمتها للظروف المحلية. ولا تزال هذه الدول بعد خمسين سنة من الاستقلال تواجه تحدي التحديث والتنمية الاقتصادية والثقافية وتواجه في آن واحد العوامل الطبيعية القاسية والطاردة للسكان من جفاف وتصحر من جهة، والضائقة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى. وهذا ما أوجد في غرب إفريقيا كما في غيرها من المجتمعات النامية المحدودة الموارد هجرة عارمة باتجاه المدن وحركة هجرة للشباب باتجاه أوربا عبر الشمال الإفريقي.

بالنظر إلى هذه التحديات الكبرى فإن منطقة السودان الغربي تجد نفسها اليوم في مفترق الطرق؛ فهل ستستمد من موروثها الثقافي وعمقها الحضاري العربي الإسلامي قوة الدفع اللازمة لتحقيق نهضة أصيلة، أم ستواصل الجري وراء سراب التحديث باعتماد أطر بيروقراطية استبدادية لا يتجاوب معها السكان الذين يصارعون يوميًا من أجل ضمان لقمة العيش.

لقد أثبت التاريخ إمكانية توحيد هذه البلاد وإصلاحها من طرف أبنائها كما تشهد على ذلك النهضة الإسلامية التي بدأت في القرن الثامن عشر واستمرت خلال القرن التاسع عشر قبل أن تصطدم بالمشروع الاستعماري الأوربي وخاصة الفرنسي الذي أجهضها.

ولعل أول خطوة لتحقيق النهضة والإصلاح تتمثل في الوعي بالذات الحضارية وتاريخها وتفعيل التواصل مع العالم العربي والإسلامي حتى لا يكون السودان الغربي جزيرة فقيرة منعزلة عن محيطها، وهذا ما عبر عنه الحاج موسى كامَرَه في مخطوطه تاريخ السوادين الذي يعكس وعي المتعلمين من أهل السودان بتاريخهم وبتميز شخصيتهم، وكذلك تشبعهم بالثقافة العربية الإسلامية في الفترة (عشرينيات القرن العشرين) التي بلغ فيها مشروع الفرنسة أوجه.

المُحققان

د. ناصر الدين سعيدوني

د. معاوية سعيدوني

****

نص المخطوط مع هوامشه وعناوينه

ملاحظات:

نظرا لاسترسال المؤلف في ذكر أحداث متداخلة تخلو في مجملها من الترتيب الزمني أو الموضوعي ولعدم وجود عناوين فرعية بالمواضيع التي يعرضها تمكن القارئ من التعرف على مضمون المخطوط، فإننا ارتأينا وضع عناوين فرعية مرقمة تحدد مضمون فقرات الكتاب وترشد متصفحه إلى المسائل أو الأحداث التي يريد الاطلاع عليها (أنظر قائمة العناوين الفرعية في نهاية التحقيق).

ومما يلاحظ أن الفواصل تكاد تنعدم في نص المخطوط إلا أننا أبقينا عليه كما هو في الأصل توخيا للأمانة العلمية.

هذا وقد أدرجنا أرقام الصفحات كما وردت في المخطوط بين علامتي [ ] وذلك لمساعدة القارئ الذي يريد الرجوع إلى أصل المخطوط.

أما بالنسبة للهوامش المدرجة، فإننا نذكر عند الإحالة إلى هامش آخر رقم هذا الهامش والصفحة التي ورد فيها في الكتاب حتى يمكن الرجوع إليه بسهولة.

المحققان

****

حسبي الله[1]

[2] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما،

1 – الدافع لكتابة تاريخ السوادين

قال الشيخ موسى بن أحمد وقاه الله من الكبر والحسد، المعروف بشيخ موسى وقاه الله في الدارين من كل شر، وبوسى الفوتي الماتمي الكوريكي الكنكلي، ثم السعدي الفاضلي،[2] الحمد لله الذي لا تحصى نعمه ولا يحد كرمه ومن كرمه دوام بره وستره وحلمه بعد علمه، ثم جعل تعالى خير الأمور وأفضلها وأعلاها وأكملها وأغلاها الإيمان والعقل والهمة واختار للأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام من الله تعالى والرحمة أوفر نصيب من الإيمان ونعمة القسمة، وجعل من نصيب الملوك والأمراء العقل والهمة، فلذلك كان أن عين الأعيان وسيد السادات في هذا الأوان السلطان الكبير والدستور الأمير الذي في خلقه كالبدر المنير وفي خلقه وعموم نفعه كالماء النمير وفي نجدته كالهزبر المبين وتكاد همته للتعلق بالثريا تطير ويكاد عقله أن يطلع على ما غيب وكتم في الصدور قائد القادات كوربير مرتن أمنع ملاذ وأوثق مأمن سيدنا مس كدن[3] حفظه الله في يومه وفي غده عند دار الإمارة في

1 – وردت عبارة «حسبي الله» في أعلى كل صفحة من صفحات المخطوط.

2 – انظر ترجمة صاحب المخطوط الواردة في التقديم.

3 – يقصد بها مسيو هنري كلاين (M. Henri Klein) الذي لا نعرف عنه سوى أنه كان أحد الموظفين الفرنسيين بالإدارة الفرنسية بداكار، وكان له اهتمام بالتاريخ المحلي والتراث الشعبي، ولا ندري إن كان له وجه قرابة مع هنري كلاين الذي كان له نشاط ثقافي بالجزائر في تلك الفترة والذي نشط ضمن لجنة مدينة الجزائر القديمة، ونشر ملاحظاته على آثارها ومعالمها تحت عنوان (Feulleits d'El-Djazaïr) (أثناء فترة الحرب العالمية الأولى).

سنكال[4] استقصى الوسع في الإحسان والتودد إلي وعلي بالأفضال، ثم التمس منه أن أجمع له تاريخ فوت تور.[5]

حديث شريف أورده البخاري بصيغة: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»، أو بهذا اللفظ، وهو حديث ضعيف أخرجه الهيثمي:

الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، ط. 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982، ج. 10، ص. 269.

2 – أسباب التردد في تأليف الكتاب

فتقهقرت عن هذا الأمر الخطير واعتذرت بأني لست لهذا الأمر ببصير بل كالأعمى فيه الضرير، فما زال بي حتى أنعمت له بالقول الزور وفي القلب أشياء وأي أشياء، ثم ما زال يراسلني مكاتبة ومخاطبة ويواصلني بإحسانات تورث عزًّا ومهابة فلما علمت [3] بأن لا بد من إسعافه بالمرغوب وإتحافه بالمطلوب لوجوب طاعتي له لتسلطه وتفضله علي قلت معتذرًا عن تأخير الجواب لأمر هذا الأمير، الذي مثله لا يأمر إلا بالصواب بل أمره يصير المباح واجبًا منحتمًا[6] بلا ارتياب، ثبطني عن تأليف هذا التاريخ خمسة أمور: الأول الغيبة وهي أن تذكر أخاك بما يكره سواء كان حقًا أو باطلاً لما في الحديث: «إياكم والغيبة فإن الغيبة

4 – السنغال: السنكال نظرًا لارتباط المؤلف بموطنه السنكال واتصاله بالإدارة الفرنسية بداكار، فإنه من الضروري التعريف بإيجاز بالسنغال الذي هو الآن دولة مستقلة (1960 م) عاصمتها داكار ومساحتها نحو 196.142 كلم مربع، وغالبية سكانها مسلمون، وهي تتشكل من أحواض أنهار السنكال وكازامنس وغامبيا. دخل الإسلام إلى السنكال في القرن العاشر الميلادي بواسطة التجار والدعاة القادمين من المغرب الإسلامي. وقامت بأرضها ممالك عدة (ق. 11 – 14م) منها التكرور (التوكولور) والسيرير والولوف في الغرب والوسط. كما شكلت أراضي السنكال جزءًا من دولة مالي التي أسستها قبائل كوينا (ق. 15 م)، ودولة السنغاي (أواخر ق. 15 م) التي أصبحت ضمن دار الإسلام. كما أصبح السنكال على اتصال بأوربا عندما تعرف البحارة البرتغاليون على مصب نهر السنكال في منتصف ق. 15 م ومارسوا التجارة مع سكانها، ثم تبعهم الهولنديون والفرنسيون (ق. 16 م). وأنشأ الأوربيون محطات تجارية على الساحل (ق. 17 م)؛ وأصبحت السنكال تحت النفوذ الفرنسي بعد أن تخلى الإنكليز لهم عن ممتلكاتهم التي حصلوا عليها في السنكال (1817)؛ بعدها توسع الفرنسيون في حوض السنكال على حساب الممالك المحلية، فتحولت السنكال إلى مستعمرة فرنسية (1882)، وغدت داكار قاعدة الاتحاد الفدرالي الفرنسي لغرب إفريقيا الفرنسية التي ضمت لمناطق النفوذ الفرنسي في غرب إفريقيا (1895).

5 – فوت تور أو فوت طور أو فوتا تورو: وهي المناطق الوسطى من حوض نهر السنكال وهي موطن التكرور الذين هم في الواقع نتاج اختلاط الفلاّنيين (Peuls) مع غيرهم من العناصر من حسانيين وسيرير وسوننكي.

6 – منحتمًا أي محتومًا.

أشد من الزنى، قيل له كيف قال إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».[7] الثاني الكذب وهو من أكبر الكبائر وناهيك قوله عليه السلام: «كل الخلائق يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب».[8] وذلك أن أمور الأولين غامضة وأثارها خفية علينا ومعالمها مطموسة لا يهتدى لها لاسيما السودان الذين لا يبالون بالماضي ولا يتفكرون في العواقب فيشبه المؤرخ لأمورهم بالكذاب بل هو هو لأن أخبارهم متناقضة فترى الواحد منهم يخبر بخبر متناقض في مجلس واحد وقد يخبر هذا بأمر ويأتي الآخر وينقضه كلاً أو جلاً فلا يمكن للمتكلم فيها إلا الاستعانة بالعقل واتباع الظن فيصيب تارة ويخطئ تارات، وفي القرآن: «و لا تقف ما ليس لك به علم».[9] الآية. والثالث إذاية الأولياء منهم لأن منهم من هاجر عن قومه وهجرهم في الله تعالى لعظم صلاحه وقبح فسادهم فلا يحب أن يذكر معهم والله تعالى أعلم، ومع ذلك أن الإنسان محل النقصان وقد تكون للولي زلات ويمكن أن الحق تعالى غفرها له وذكرها حينئذٍ من الإذاية المحضة والله تعالى أعلم، وفي القرآن: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينا».[10] وفي الحديث: [4] «من أذى لي وليًّا فقد آذنته بالمحاربة»، وفي رواية: «إني لأغضب للأولياء كما يغضب الأسد الحرد».[11] وفي ذلك أيضًا البحث عن أنساب الشرفاء والطعن في أنساب بعضهم وذلك مخطر دينًا.[12] وقد قالوا: «غابتان لا تدخل فيهما، غابة الولاية وغابة الشرف».[13] الرابع بغضي وكراهيتي لكثرة القيل والقال لما في الحديث ما معناه أن الله تعالى نهى عن كثرة القيل والقال وإضاعة المال، ولما في الحديث أيضًا ما

7 - حديث شريف أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر وضعّفه، انظر:
الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن الرازي (ت. 327 هـ/938 م)، علل الحديث، إعداد يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، 1986، ج. 2، ص. 120.

8 - حديث شريف أخرجه ابن عدي وضعّفه، والأصح «كل الخلال» وليس «كل الخلائق»، انظر:
الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت. 365 هـ/975 م)، «الكامل في الضعفاء»، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج. 1، ص. 392.

9 - قرآن كريم، سورة الإسراء، الآية 36.

10 - قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآية 58.

11 -أنظر كذلك: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت. 852 هـ/1448 م)، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصباح والمشكاة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني وتحقيق علي بن حسن الحلبي، دار الأرقم ودار ابن عفان، القاهرة، 2001، ج. 2، ص. 42 (الحديث رقم 2206 عن مسلم وابن ماجة).

12 - محظور دينًا.

13 - كناية عن تجنب الخوض في مسائل خطيرة تتعلق بالعادات والتقاليد.

معناه أن العبد ليهوي في جهنم سبعين خريفًا لأجل كلمة قالها وما يلقي لها بالا والله تعالى أعلم.[14] الخامس علمي بقصور باعي وبلادة طباعي عن اللغة العربية التي تليق بالملوك أمثالكم وتتذاكر بها عظام السلاطين أشكالكم.

3 - الدافع إلى الاستجابة للتأليف وتحديد عنوان الكتاب

فلما خفت من هذه الأمور العظام التي يشيب بها رأس الغلام تأخرت ثم تفكرت في مخالفة أمركم فوجدتها أشد علي من وقع الحسام، فعلمت أني معذور بل مأجور لطاعة ولي أمري لأني بطاعته مأمور، فقمت مشمرًا عن ساعد الجد لهذا الأمر الجد وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. فجاء بعون الله تعالى وحوله وقوته وببركة همتكم العلية كتابًا جامعًا ونورًا لامعًا يقتبس به في الأمور السودانيات الفوتويات المدلهمات الخفية والجلية، فلما جاء كذلك سميته باسمين، الأول «زهور البساتين في تاريخ السوادين»، والثاني «انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور».[15] فصار كالمفتاح للسؤال في تحقيق هذا المجال، ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة، المقدمة في هوان السودان عند البيضان، والأبواب في التواريخ التي اشتمل عليها هذا الكتاب، والخاتمة في نهي الإخوان عن التصدي للجهاد وعن ادعاء المهدوية الموعودة في آخر الزمان. وهذا أوان الشروع في المقصود بحول الله الملك [5] المعبود.

4 - الإشارة في البدء إلى نسل حام وسام ولدي نوح عليه السلام

فنقول في المقدمة في هوان السودان عند البيضان، وفي ذكر طرف من أصول ألقاب السودان، وقيل إن أصل هوان السودان على البيضان كما في «الدرس التام والتاريخ العام»[16] أن نوحًا عليه السلام كان دعا على ابنه حام لداعي أنه كان قد أساء الأدب في

14 - حديث شريف أخرجه البخاري وورد بهذا اللفظ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم، أخرجه البخاري (حديث رقم 6478).
انظر صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (676 هـ/1277 م)، ضبط وتوثيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 1995، ج. 18، ص. 93 (حديث رقم 2988).

15 - انظر تقديم المخطوط ودوافع تأليفه وكذلك قائمة بالعناوين الموضوعة له.

16 - رجع المؤلف فيما نقله عن بلاد السودان من أقوال إلى العديد من المؤلفات التي توافرت له حسبما أشار إلى ذلك، منها مصادر أولية سوف نحيل إليها في الهوامش، ومنها مراجع ثانوية وكتب مدرسية عامة لم تعد توجد بالمكتبات، ومنها «الدرس التام في التاريخ العام» و«الملخص في كتب التاريخ الأوربية والعربية» لأبي السعود أفندي وغيره لا نرى من الضروري الإحالة إليها. انظر هامش رقم (114)، ص. 122.

حقه، إذ كان أبوه قد شرب خمرًا فسكر فانكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه أبوه فقال له إنك لتكون خادمًا ليافث وسام، ولقد تحققت تلك اللعنة على الوجه التام وذلك أن الممالك التي كان بنو حام قد أنشأوها لم تلبث أن تخالطت مع أقوام من نسل أخويه المذكورين فتنازعوها معهم وكانت الدائرة على أبناء حام والغلبة لأبناء يافث وسام فأخذوها منهم واستوطنوها بدلاً عنهم، وأقام بنو سام في كلدة،[17] أي العراق والشام وفلسطين وجزيرة العرب، وأقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين[18] في بلاد الهند وفارس بلاد العجم، ولم يبق لنسل ولد حام الملاعين دولة إلا بإفريقية وخصوصًا بالديار المصرية حيث كان لهم بمصر في ذلك العصر أبهى نزلة مستعمرة وأبهج دولة ظاهرة يعني دولة الفراعنة الغابرة، بل استجيبت الدعوة الأبوية باللعنة على بني حام حتى في تلك الأقطار فيما بعد على توالي العصور، حيث كان بنو حام وإن مكثوا مستبدين بدولتهم مستعملين بصولتهم [كذا] في تلك النواحي أكثر من غيرها لكنهم كان عاقبة أمرهم في آخر عصرهم بأن صاروا خدمًا لأبناء سام، وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفنيقية والديار المصرية وشمال إفريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولد يافث، صاروا بعد ذلك أيضًا تحت طاعة العرب المسلمين [6] مسافة مدة مديدة من القرون. واستولى الحبش الذين أصلهم أيضًا

أبو السعود عبد الله أفندي بن الشيخ عبد الله (ت. 1295 هـ/1878 م)، الدرس التام في التاريخ العام، مطبعة الشرفية، القاهرة، 1289 هـ.

كما هو معلوم فإن أبا السعود أفندي يعتبر من تلاميذ رفاعة الطهطاوي وأن كتابه الدرس التام اقتصر فيه على التاريخ القديم ووصل فيه إلى تاريخ اليدنيين. انظر كذلك: الخوري بطرس الماروني الشامي (ت. 1376 هـ/1898 م)، فاكهة الأحباب في تاريخ الأحقاب.

17 - كلدة أي بلاد الكلدان أو مملكة بابل القديمة التي أقامتها أقوام سامية بجنوب شرق العراق ما بين القرنين 12 و9 ق.م.، وأسسوا مملكة في القرن السابع قبل الميلاد عرف من ملوكها الأوائل ميروداخ بالادان الثاني الذي واجه الآشوريين. أما أشهر الملوك الكلدان فهم: نيوبولصر (626–605 ق.م.) الذي أسس الإمبراطورية الكلدانية المعروفة بدولة بابل الجديدة (612 ق.م.)، وقضى على الدولة الآشورية؛ ونبوخذنصر الثاني (605–552 ق.م.) الذي جدد بناء عاصمته بابل وسبى اليهود. وقد ساهم الكلدانيون أو البابليون في تطوير علوم الهيئة والفلك والتنجيم ورصد حركة النجوم والكواكب. تمكن الفرس من احتلال عاصمتهم بابل والقضاء على دولتهم سنة 539 ق.م. ليبسطوا سلطتهم على الشرق الأوسط القديم.

18 - الآريون نسبة إلى الأقوام الآرية، وهم إحدى السلالات البشرية الكبرى، تميزت بملامحها القوقازية وخصائصها الجسمانية واللغوية. امتدت مواطنها الأولى من شمال الهند إلى أوربا الغربية، قبل أن تسود عناصرها العالم بفعل حركة الاستيطان والاستعمار. وقد اعتبرت بعض الدراسات الإثنية والنظريات العرقية والميول الفكرية أن الآريين جنس مميز من حيث الذكاء والنشاط والإسهام الحضاري، معتمدة في ذلك على الخصائص الإثنية للشعوب الناطقة باللغات الجرمانية من ألمان وأسكندنافيين وإنكليز ونيارلانديين (هولنديين).

من ولد سام على الإثيوبيين وهم سكان بلاد الحبشة الأقدمون.[19] وبالجملة فإذا كان ولد حام قد بقوا لغاية هذه الأعصار[20] متوطنين في بعض الأقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائمًا أصل أهاليها فإنهم منذ آلاف السنين لم يتيسر لهم فيها أن يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم،[21] أعني أنهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة أو ملة مستقلة، انتهت عبارته.

5 - أوصاف الإنسان الزنجي والرد على ذلك

هنا قلت والإثيوبيون الذين هم سكان بلاد الحبشة الأقدمون من نسل حام وكذا الفراعنة ملوك مصر وكذا النماردة[22] ملوك العراق أيضًا. وفي «عرائس المجالس» المسمى بقصص الأنبياء عليهم السلام للعلامة أبي إسحاق الثعالبي[23] رضي الله عنه: ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم، وحيثما كان ولده يكونون عبيدًا لولد سام ويافث. وفي «السيرة الحلبية» للعلامة الشيخ علي برهان الدين الحلبي[24] رضي الله عنه: (و) جاء أن نوحًا قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق أنكم في حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزًا، ويذكر أن ولده حامًا تعدى ووطئ زوجته فدعا عليه أن يسود الله لون بنيه فأجاب الله دعاءه فجاء ولده أسود وهو أبو السودان، وقيل

19 - هناك خلط وغموض فيما أورده المؤلف عن نسبة الشعوب والأمم القديمة، وهو ما لم يعد يتماشى ونتائج البحوث التاريخية الموثقة؛ ولعل من البديهيات أن اليونانيين (الإغريق) والرومان هم عناصر آرية، وأن الإثيوبيين هم الأحباش المنتمين إلى العناصر الحامية (الكوشية)، وهذا ما يجب التنبه له؛ مع العلم بأننا أبقينا الروايات والأقوال والاستشهادات كما وردت، محافظة على نص المخطوط كما كتبه صاحبه.

20 - الأعصار والأصح العصور.

21 - ملية أي ملة أو جنس خاص بهم.

22 - النماردة: من الراجح أنه يقصد بها دولة الآشوريين التي ظهرت بأعالي دجلة وعرفت ونسبت إلى أحد العناصر السامية التي هاجرت إلى شمال العراق قبل الألف الثالث قبل الميلاد، حيث أسسوا فيما بعد دولة توسعت في القرنيين 13 و12 ق.م. وأصبحت إمبراطورية تمتد من هضبة إيران إلى مصر (ق. 9–7 ق.م.)، واشتهر من ملوكها الفاتحين شلمنصر الثالث وتغلات بلس الثالث وسنحاريب وأسرحدون. هاجمها البابليون ووضعوا نهاية لها (612 ق.م.). عرف الأشوريون بمآثرهم العمرانية وخاصة رسوم الجدران واللوحات الحجرية المنحوتة، ونسبوا إلى عاصمتهم نينوى وإلى إلههم آشور أو أسور الذي يماثل مردوك عند البابليين.

23 - أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعالبي، عرائس المجالس المعروف بقصص الأنبياء، عيسى الحلبي، القاهرة، د. ت.

24 - الإمام الشيخ علي برهان الدين الشافعي الحلبي (ت. 1049 هـ/1624 م)، سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت.

في سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك، انتهت عبارته. وفي «مروج الذهب» للمسعودي:[25] وقد ذكر جالينوس في الأسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد في غيره، تفلفل الشعر وخفة الحاجبين، وفي نسخة وخفة العارضين، وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الأسنان ونتن الإبط وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب، وقال جالينوس وإنما غلب على الأسود الطرب [7] لفساد دماغه فضعف لذلك عقله. ولقد كان طاوس اليماني[26] صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول إنه عبد مشوه الخلقة. وبلغنا أن أبا العباس الراضي المقتدر بالله[27] كان لا يتناول شيئًا من أسود ويقول إنه عبد مشوه خلقه. فلست أدري أقلد طاوسًا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل إلى آخر كلام المسعودي. وقلت ولعل هذا الزنجي الذي كان طاوس لا يأكل من ذبيحته كان غير مسلم فقيه أو عارف بحكم الزكاة، وإلا فسيدنا بلال كان أسود نوبيًا وكان مؤذنًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخازن ماله وسيدًا جليلاً من سادات الصحابة رضوان الله عليهم وكان لا يميز بين السين والشين للعجمة رضي الله عنه، وكذلك أسامة بن زيد حبه صلى الله عليه وسلم (و) كان أسود وغيرهما من السادات.

6 – وصف عطاء بن رباح ومكانته وقصته مع الخليفة هشام بن عبد الملك

ولقد كان عطاء بن أبي رباح[28] أسود. وفي كتاب «غرر الخصائص وعرر النقائص الفاضحة» للشيخ أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحي المكبتي المعروف بالوطواط،[29]

25 – أنظر: أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي (ت. 346 هـ/957 م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991، ج. 2، ص. 92.

26 – يقصد به طاوس بن كيسان الخولاني الهمذاني اليمني نشاة والفارسي أصلاً، يعتبر من كبار التابعين، له علم برواية الحديث وأمور الفقه؛ انظر الزركلي، الأعلام، ج. 3، ص. 24.

27 – الخليفة العباسي الراضي بالله أبو العباس أحمد بن جعفر المقتدر، حكم ست سنين وعشرة أشهر (322-329 هـ/934-940 م)، اختل أمر الدولة العباسية على عهده، وخرجت الأقاليم عن سلطته، ولم يبق بيده سوى بغداد والسودان؛ على زمنه ظهر الحنابلة ببغداد واعترض القرامطة الحجاج بالحجاز.

28 – هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان (27-114 هـ/647-732 م)، ولد باليمن في خلافة عمر (ض)، وصف بأنه عبد أسود فصيح اللسان كثير العلم، سمع عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس، واعتبر مفتي ومحدث أهل الحجاز؛ قال عنه ابن عباس: يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء؛ انظر عبد السلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص. 926.

29 – لم نعثر على أية إشارة إلى عطاء بن أبي رباح فيما أورده المؤلف وأشار إليه من اقتباس من أبي إسحاق برهان الدين الأنصاري المصري (ت. 718 هـ/1318 م) المعروف بالكتبي لامتهانه صناعة الورق ونسخ الكتب، وضع مصنفًا في مباهج العبر في الكمياء والطبيعة ورسائل الفتوة ومراة المروة.

قال بعضهم: كنت بفناء الكعبة إذ مر بنا رجل أصلع أرسح أفحج كأن أنفه بعرة أشد سوادًا من إست القدر[30] عليه ثوبان قطويان، فقلت من هذا فقالوا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح، ووصفه آخر فقال: كان أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي بعد ذلك. قال عثمان بن عطاء الخراساني انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك فلما قربنا إذا بشيخ على حمار أسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية[31] [8] دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لأبي من هذا الأعرابي، قال اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح، فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام، فما استقر بهما الجلوس حتى آذن لهما، فلما خرج أبي قلت له حدثني ما كان منكما، قال لما قيل لهشام إن عطاء بن أبي رباح بالباب آذن له فو الله ما دخلت إلا بسببه، فلما رآه هشام قال مرحبًا مرحبًا ها هنا ها هنا ومازال يقول ها هنا ها هنا حتى أجلسه معه على سريره، ومس بركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا، فقال له ما حاجتك يا أبا محمد، قال يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله تقسم لهم أرزاقهم وعطياتهم، قال يا غلام اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ثم قال هل من حاجة غيرها يا أبا محمد، قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم، قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد، قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يردون من ورائكم ويقاتلون عدوكم تجري لهم أرزاقًا تدرها عليهم فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور، قال نعم يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد، قال نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يجبى صغارهم ولا يتقنع كبارهم ولا يكلفون ما لا يطيقون فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم، قال نعم يا غلام اكتب لأهل الذمة بأن لا يكلفوا ما لا يطيقون، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد، قال نعم اتق الله في نفسك فإنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحدًا، فأكب هشام ينكت في الأرض [9] وهو يبكي فقام عطاء، فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا

انظر أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم الأنصاري الكتبي، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، طبعة بولاق، مصر، 1284، والمطبعة الشرقية، 1299.

30 – أست القدر: وهو قاع الإناء الذي يسود من نار الموقد.

31 – قلنسوة لاطية: أي لاصقة.

أدري ما فيه دنانيرًا أم دراهم، فقال إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا، قال لا أسألكم عليه أجرًا إن أجري إلا على رب العالمين، فو الله ما شرب عنده قطرة ماء أهـ.

7 – شرح كلمات وردت في وصف عطاء بن رباح

تفسير ما أودع في وصف السيد عطاء بن أبي رباح من اللغات قوله أرسح والرسح قلة لحم الأليتين ولصوقهما، ورجل أرسح بين الرسح قليل لحم العجز والفخذين وامرأة رسحاء كذلك، قاموس والتاج،[32] وقوله أفحج وفحج في مشيته تدانى صدور قدميه وتباعد عقباه وفي لسان العرب الفحج تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة وقيل تباعد ما بين الفخذين وقيل تباعد ما بين الرجلين، والتفحج التفريج بين الرجلين، قاموس والتاج، وقوله قطويان وقطوان محركة موضع بالكوفة منه الأكسية القطوانية ومنه الحديث ، فسلم علي وعليه عباءة قطوانية، وهو عباءة بيضاء قصيرة الخمل، قاموس والتاج، وقوله أفطس والفطس بالتحريك تطامن قصبة الأنف وانخفاضها وانتشارها، والفطس انفراش قصبة الأنف في الوجه وانخفاضها، وقد فطس كفرح والنعت أفطس وهي فطساء والجمع الفُطس، قاموس والتاج، وقوله لاطية أي لاصقة، لطأ بالأرض كمنع ولطِئ بالكسر مثل فرح لصق بها بالأرض ولطِئت أي لزقت واللاطئة قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس يقال تقلس باللاطئة أهـ. قاموس والتاج.

8 – قصة عطاء بن رباح مع الخليفة عبد الملك بن مروان

وفي «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار» للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي[33] رضي الله عنه أيضًا موعظة عطاء بن أبي رباح لعبد الملك بمكة، حدثنا محمد بن إسماعيل مسلسلاً إلى أن قال حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على سريره، [10] وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام

32 – القاموس والتاج: القاموس المحيط للفيروزبادي، و«تاج العروس من درر القاموس» هو شرح لقاموس المحيط للفيروزبادي به متن القاموس، في عشرة أجزاء، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1306 هـ. سوف يشار فيما يأتي من الإحالات بكلمتي «القاموس» للقاموس المحيط، و«التاج» لشرحه.

33 – أبو بكر محمد بن علي محيي الدين بن عربي الحاتمي (ت. 638 هـ/1240 م)، «محاضر الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار».

إليه وأجلسه معه على السرير وقعد معه بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك، قال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله ورسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك مسئول عنها، واتق الله في من على بابك ولا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك، فقال له أفعل ثم نهض فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد سألتنا حوائج غيرك فقد قضيناها فما حاجتك، فقال ما لي إلى مخلوق من حاجة ثم خرج، فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك السؤدد.

9 – في فضل الموالي الذين سادوا العرب

وفي «حياة الحيوان الكبرى» للدميري[34] روينا عن الزهري أنه قال: قدمت على عبدالملك بن مروان فقال من أين قدمت يا زهري، قلت من مكة، قال فمن خلفت بها يسود أهلها، قال قلت عطاء بن أبي رباح، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي، قال فيم سادهم، قلت بالديانة والرواية، قال إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا الناس، قال فمن يسود أهل اليمن، قلت طاوس بن كيسان، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي، قال فيم سادهم، قلت بما سادهم به عطاء، قال من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس، قال فمن يسود أهل مصر، قلت يزيد بن أبي حبيب، قال فمن العرب أم من الموالي، فقال كما قال في الأولين، ثم قال فمن يسود أهل الشام، قلت مكحول الدمشقي، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة [11] من هذيل، فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل الجزيرة، قلت ميمون بن مهران، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي، فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل خراسان، قلت الضحاك بن مزاحم، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي، فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل البصرة، قلت الحسن بن أبي الحسن، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من الموالي، قال ويلك فمن يسود أهل الكوفة، قلت إبراهيم النخعي، قال فمن العرب أم من الموالي، قلت من العرب، قال ويلك يا زهري فرجت عني والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر وأن العرب تحتها، قال قلت يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط، أهـ.

34 – كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت. 808 هـ/1405 م)، حياة الحيوان الكبرى، دار الألباب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – دمشق، د.ت.، ج. 1، ص. 585.

10 - حكاية عن أنس بن مالك وابن سيرين

قلت قوله الحسن بن أبي الحسن يعني البصري رضي الله عنه، وفيه أيضًا وكان ابن سيرين بزازًا وكان من موالي أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وحبس بدين كان عليه وكان يقول إني لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين، قيل له ما هو قال قلت لرجل مفلس منذ أربعين سنة يا مفلس قال بعضهم، قلت ذنوبهم، فعلموا من أين يؤتون وكثرت ذنوبنا، فليس ندري من أين نؤتى وكان أنس بن مالك قد أوصى أن يغسله ويكفنه ويصلي عليه محمد بن سيرين وكان محمد بن سيرين محبوسًا لما مات أنس، فاستأذنوا له الأمير فأذن له فغسله وكفنه وصلى عليه ثم رجع إلى السجن ولم يذهب إلى أهله، وكان ابن سيرين من أعلام التابعين وكانت له اليد الطولى في علم الرؤيا إلى آخر ما في «حياة الحيوان».

11 - حكاية تولي الخصيب أمر مصر وذكر كرمه وموقف الخليفة العباسي منه

[12] قلت ومما يناسب هذا ما في رحلة ابن بطوطة[35] بأنه لما دخل مصر وسافر من البهنسة إلى مدينة منية بن خصيب وجدها مدينة كبيرة الساحة مبنية على شاطئ النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل [لما] بها [من] المدارس والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية مصر الخصيب، حكاية خصيب يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضي الله عنهم غضب على أهل مصر فآلى أن يولي عليهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصدًا لإرذالهم[36] والتنكيل بهم وكان خصيب أحقرهم إذ كان يتولى تسخين الحمام، فخلع عليه وأمره على مصر وظنه أن يسير فيهم سيرة سوء ويقصدهم بالإذاية حسبما هو المعهود ممن ولي عن غير عهد، فلما استقر خصيب بمصر سار في أهلها أحسن سيرة واشتهر

35 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة (ت. 779 هـ/1377 م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق وفهرسة عبد الهادي التازي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1997، ج. 1، ص ص. 224 - 225؛ مع الملاحظة بأن المؤلف نقل حرفيًا كل ما في رحلة ابن بطوطة عن بلاد السودان التي زارها سنتي 1352 - 1353م، وتعرف على أهلها وأحوالها، وسوف نشير له فيما يلي من الاقتباسات بعبارة رحلة ابن بطوطة. هذا ويلاحظ على ما أورده ابن بطوطة في رحلته دقة الملاحظة وتقصي الخبر مع ميل إلى المبالغة وتصديق للأقوال السائرة وميل للتصوف واعتقاد في الأولياء وحسن ظن في الروايات، مما يتوجب أخذ ذلك في الاعتبار فيما أورده من أخبار وروايات.

36 - لإذلالهم وتحقيرهم.

بالكرم والإيثار وكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه فيجزل العطاء لهم ويعودون إلى بغداد شاكرين لما أولاهم، وأن الخليفة افتقد بعض العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه وسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد خصيبًا وذكر له ما أعطاه خصيب[37] وكان عطاء جزيلاً، فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصيب وإخراجه من مصر على بغداد وأن يطرح في أسواقها، فلما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينهم وبين دخول منزله، وكانت بيده ياقوتة عظيمة الشأن فخبأها عنده وخاطها في ثوب له ليلاً وسملت عيناه وطرح في أسواق بغداد فمر به بعض الشعراء فقال له يا خصيب إني كنت قصدتك من بغداد إلى مصر مادحًا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها وأحب أن تسمعها [13] فقال كيف بسماعها وأنا على ما تراه فقال إنما قصدي سماعك لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت جزاك الله خيرًا، قال فافعل فأنشده (من بحر الكامل):[38]

أنــــت الخــصــيــب وهـــــذه مــصــر
فــتـــدفــقـــا فـــكـــلاكـــمـــا بـــحـــر

فلما أتى على آخرها قال له أفتق هذه الخياطة ففعل ذلك، فقال له خذ الياقوتة فأبى فاقسم عليه أن يأخذها وذهب بها إلى سوق الجوهريين فلما عرضها عليهم قالوا له إن هذه لا تصلح إلا للخليفة فرفعوا أمرها إلى الخليفة فأمر الخليفة بإحضار الشاعر واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بخبره فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر بمثوله بين يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب إلى أن توفي وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا، انتهى المراد منه. قلت وأمثال هؤلاء السادات من السودان وغيرهم كثير قديمًا وحديثًا فلا نطول بتعدادهم.

37 - الخصيب بن عبد الحميد القارسي محاسب أو ناظر أحوال مصر عام 187 هـ/803 م، على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ ومنية الخصيب التي مر بها ابن بطوطة، تقع حسب ابن جبير والوزان بين بني سويف وأسيوط. أما مهنة تسخين الحمام فهي من أحقر المهن، ولي أمر مصر من كان يشغلها نكاية بأهل مصر حسبما رواه ابن بطوطة: الرحلة، ج. 3، ص. 324.

38 - البيت من قصيدة لأبي نواس في الخصيب أمير مصر، مطلعها:

فـي مـجـلـس ضـحـك الـسـرور بـه
عـن نـاجـذيـه وحـلـت الـخـمـر

إلى قوله:

أنـــت الـخـصـيـب وهـــذه مـصـر
فـتـدفـقـا فـكـلاكـمـا بـحـر

انظر ديوان أبي نواس، تحقيق فاغر، القاهرة، 1958، ص. 226.

12 – أقوال في وصف نساء السودان

وفي «تحفة العروس ونزهة النفوس»:[39] ليس للنساء السود من الصفات المستحسنة مما يتميزون به إلا نقاء الثغور وحرارة الفروج والصفات المذمومة عليهن مع ذلك غالبة من تشقق الأطراف والشفاه وخشونة الأبدان وصغر الفروج ونتن العرق وشراسة الأخلاق، ويقال إن سود غانة سالمات من هذه الصفات المذمومة كلها. وفي «مروج الذهب» أيضًا للمسعودي:[40] والهند في عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم، وجفاء أذهانهم ودقة نظرتهم بخلاف سائر السود اهـ.

13 – شعوب بلاد السودان ووصف نسائهم وخصيانهم

وفي «خريدة العجائب» [14] للعلامة عمر بن الوردي[41] رضي الله عنه عند ذكره أمم السودان المغربية: أرض الكانم[42] هي أرض منبسطة واسعة على شاطئ النيل وأهلها مسلمون إلا القليل منهم وهم على مذهب مالك رضي الله عنه، أرض النوبة[43] أرض واسعة

39 – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التيجاني (كان حيًا سنة 710 هـ/1310 م)، تحفة العروس ونزهة النفوس (جعلها في 25 بابًا، 204 ص.)، مطبعة الشرفية، مصر، 1301 هـ.

40 – أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي، المصدر نفسه، ج. 2، ص. 92. أما تتمة الفقرة التي ينقلها المؤلف فهي: «بخلاف سائر السود من الزنج والدمادم وسائر الأجناس».

41 – سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الفوارس بن الوردي (689–749 هـ/1290–1349 م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، صححه وعلق عليه محمود فاخوري، دار الشرق العربي، بيروت، 1991، ص. 68، ويعرف تاريخ ابن الوردي بالمختصر في تاريخ البشر، (طبعة القاهرة، 1285 هـ). [وورد ذكر بلاد السودان الغربي بهذه العبارة: وأما أرض اليمن فهي تقابل أرض البربر وأرض الفرج وكلاهما عرفت بالصلاح والانقياد إلى الخير].

42 – كانم: عناصر تعود أصولها إلى البربر والزغاوة الذين هم مزيج من الزنوج والعناصر النيلية القادمة من أعالي النيل. خضعوا لجماعات مسلحة من فرسان التوارق والتوبو والتيدا منذ استقرارهم حول بحيرة تشاد منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، وظهرت فيهم الأسرة السيفية نسبة لسين بن ذي يزن والذي اسمه أبو زيد الذي قدم من المشرق حسب الروايات الشعبية، ونشر الإسلام ببلاد كانم في النصف الأول من القرن الحادي عشر واستقر في دوره، وإلى أحفاده تنسب ممالك الهاوسا التي حكمت مملكة الكانم من القرن 5 هـ/11 م وحتى 987 هـ/1432 م، واشتهر من سلاطينها: الماي عثمان بن زينب (1279–1300 م)، ثم تحولت أخيرًا إلى غرب بحيرة تشاد على عهد السلطان عمر بن إدريس (ق. 8 هـ/14 م) وعرفت باسم سلطنة كانم برنو بعد أن هاجمتها قبائل البولا بولا (البولالة) واحتلت عاصمتها نجيمي؛ ومن موطنها كانم برنو الجديد تمكنت دولة كانم أو أو برنو الإسلامية من التغلب على البولا بولا والتوسع في أراضي الهاوسا على عهد سلطانها الماي إدريس علومة أو ألوما أو الما (أنظر هامش رقم (443)، ص. 349). كاد أن يستولي عليها عثمان بن فوديو لولا تمكن محمد الكانمي من تجديدها قبل أن يضع حداً لها القائد رابح الزبير سنة 1311 هـ/1893 م.

43 – النوبة: من شعوب وادي النيل القديمة، انتشروا جنوب مصر وشمال السودان حتى الخرطوم، تعرف عليهم قدماء المصريون، وذكرهم استرابون في كتابه «الجغرافيا»، كما أشارت إليهم كتب المسلمين. كانت مناطقهم تعتبر مصادر للذهب، مما شجع الأسر التي حكمت وادي النيل ما بين 2000 و1000 ق.م. على التوسع فيها. حاول البيزنطيون تنصير النوبة على المذهب اليعقوبي. أسس النوبة قبل الفتح الإسلامي ممالك عدة منها

وإقليم كبير ومسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر وهي في حدود مصر وكثيرًا ما يغزوهم عسكر مصر، ويقال إن لقمان الحكيم الذي كان مع داوود عليه الصلاة والسلام وهو المذكور في القرآن العظيم من النوبة وأنه ولد بأيلة،[44] ومنها ذو النون المصري رضي الله عنه، وبلال ابن حمامة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه، وعندهم معدن الذهب، ودينهم النصرانية، وملكهم ملك جليل كثير الجنود، وهم فرقتان فرقة يقال لها علوة ومدينتهم العظمى ويلولة على ضفة النيل من غربيه وأهلها أحسن السودان وجوهًا وأعدلها شكلاً وفي بلادهم الفيلة والزرافات والقرود والغزلان ومن مدن النوبة المشهورة نوابية ويقال له نوبة وهي مدينة وسط وبينها وبين النيل أيام وشرب أهلها من الآبار وفي نساء هذه المدينة الجمال الفائق والحسن الكامل ولهم حسن النطق وحلاوة اللفظ وطيب النغمة وليس في سائر السودان من شعورهم مسبلة غيرهم وبعض الهنود وبعض الحبوش[45] لا غير وقيمة الجارية الحسناء منهم ثلاثمائة دينار وما فوقها، وحكي أنه كان عند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي جارية منهن لم ير أكمل منها قدًّا ولا أحسن خلقًا ولا أملح شكلاً ولا أنعم جسمًا ولا أحلى منطقًا ولا أتم محاسن وكانت إذا تكلمت سحرت الألباب بمنطقها وحلاوة ألفاظها فاشتراها الصاحب بن عباد منه بأربعمائة دينار وأحبها حبًّا عظيمًا ومدحها في بعض أشعاره، وقيل

مملكة نوباتيا في الشمال وعاصمتها فرص، ومملكة المقرة في الوسط ومركزها دنقلة، ومملكة علوة في الجنوب. بدأ فتح بلاد النوبة على عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر، فتوجه إليها عقبة بن نافع (20 هـ/640 م) لكن مقاومة القبائل النوبية في معركة رماة الحدق دفعت المسلمين إلى مصالحتهم بمعاهدة البقط (31 هـ/651 م) التي منحتهم حرية اعتناق الإسلام وأمنت حدود مصر الجنوبية ومكنتهم من الحصول على سبي النوبة. ومع توافد القبائل العربية من بني عكرمة وبني جعد إلى أرض النوبة ومع توسع السلاطين الأيوبيين والمماليك جنوب مصر، تعرضت بلاد النوبة للحملات وانتقلت عاصمتها من دنقلة إلى الدو، قبل أن تصبح جزءًا من دولة محمد علي بعد توسعه في السودان في القرن التاسع عشر.

44 – أيلة: وهو الاسم الذي كانت تعرف به مدينة القدس قبل الفتح الإسلامي، وتعود هذه التسمية إلى العهد الروماني، إذ بعد تدمير أورشليم على يد القائد الروماني تيتس (70 م)، وإثر قضاء أدريان على تمرد اليهود؛ فأعيد بناء المدينة وسكن فيها غير اليهود، وأقيم مكان الهيكل القديم الذي أنشأه اليهود بعد العودة من الأسر البابلي (ق. 6 ق.م.) معبد وثني به تمثال الإمبراطور أدريانوس (Aélius Adrien) الذي حملت المدينة اسمه فعرفت بإليا كابيتوليا (Aelia Capitolia) إثر قمع ثورة باركوشبا (138 م).

45 – الحبوش أي الأحباش، وهم من عناصر سامية استقرت بشمال ووسط هضبة الحبشة، تميزوا بلغتهم الأمهرية إحدى اللغات السامية التي يتكلم بها حوالي نصف سكان إثيوبيا الحالية، وكانوا على اتصال بالعناصر الكوشية بالمناطق الجنوبية والشرقية. وقد ظهرت بإثيوبيا مملكة أكسوم نسبة إلى عاصمتها (ق. 3–7 م)، ثم خلفتها مملكة زاقوي واتخذت روها عاصمة لها (ق. 11–13 م)؛ وفي القرن السادس عشر انقسمت إثيوبيا إلى عدة ممالك. تمكن الملك مينليك من توحيدها وألحق الهزيمة بالإيطاليين في معركة عدوة (1896 م)، ورغم تعرض إثيوبيا للتوسع الإيطالي إلا أن الإمبراطور هيلاسيلاسي (1930 – 1974 م) حافظ على سيادة إثيوبيا التي تحولت إلى جمهورية بعد الإطاحة به.

عنه إنه قبل شرائها كانت همته قد ذهبت وشهوته انقطعت [15]، فلما اشتراها وضاجعها انبعثت همته وتراجعت قوته لطيب ما وجد عندها إلى أن قال... الحبشة وبلادهم تقابل بلاد الحجاز وبينهم البحر وأكثرهم نصارى وهي أرض طويلة عريضة ممتدة من شرقي النوبة إلى جنوبها وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام في أيام الأكاسرة، وخصيان الحبشة أفضل الخصيان وفي نسائهم أيضًا جمال وحلاوة وحسن نغمة ومن مدنها المشهورة كعبر وهي مدينتها العظمى وهي دار مملكة النجاشي رحمه الله تعالى وبها من شجر الموز كثير وأهل تلك البلاد لا يأكلون الموز ولا الدجاج أصلاً اهـ. المراد منه. قلت وفي «الفتوحات الإسلامية» للعلامة دحلان[46] أن بجاوة أرض النوبة والبجاة[47] أهل تلك الأرض «هـ».

14 – أوصاف نسل نوح عليه السلام وما اختص به ذوو البشرة السوداء منهم

وفي «الدرس التام في التاريخ العام» عند ذكر أوصاف أنسال نوح وألوانهم بعد ذكر المرتبة البيضاء والمرتبة الصفراء، المرتبة الثالثة المرتبة السودانية أو الزنجية، وهي تنتشر في وسط بلاد إفريقية وفي جهة الجنوب منها وفي جنوب الأوقيانوسية كبلاد الأوسترالية ويعرف أهل هذه المرتبة بكون ألوانهم إما سوداء أو مسودة وجباههم منخفضة مع كون الفكين بارزين والأسنان مائلة مع كونها أطول من أسنان المرتبتين الأخريين وأنوفهم فطساء عريضة وشفاههم غليظة وأفواههم متسعة جدًّا وأصداغهم مرتفعة وشعورهم صوفية ووجوههم قليلة الانفراج، وأهل هذه المرتبة أقل تمدنًا والظاهر أنهم أقل فهمًا وفطنة من أرباب المرتبتين السالفتين، وقد استرق منهم الأوروباويون أقوامًا كثيرين ونقلوهم إلى بلاد أمريقة[48] بحالة المأسورين فاستخدموهم هناك في نزائلهم وأدخلوهم في مستعمرات قبائلهم. هذه هي المراتب الأهلية الأصلية التي أرجع إليها العلماء الأورباويون جميع أنواع الأمم والملل [16] الموجودين على سطح الكرة الأرضية من الخلقة البشرية.

15 – سبب اختلاف أوصاف الناس وألوانهم

ثم ذكر المراتب البينبينية، فذكر منها المرتبة الحمراء إلخ، ثم ذكر اختلاف العلماء الأوروباويين هل سكان الأرض من مراتب الإنسان من أصل نسل واحد ونوع متحد وهو آدم أم هم من عدة أنسال عدة أوادم متعددين، وذهب بعضهم إلى القول الثاني واحتجوا له بحجج واهية ودلائل مضمحلة فانية، وذهب بعضهم إلى القول الأول وهو وحدة نوع الإنسان على جميع الكرة الأرضية من كل مكان سواء الأبيض منه والأصفر والأسود والأحمر، قالوا إن اختلاف الصفات والألوان ناشئ عن اختلاف أحوال الأكوان المعبر عندهم بالوسط الذي يكون فيه الإنسان أي اختلاف أحوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد التمدنية التي يكون عليها الشخص بحسب اختلاف الأوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب الرجيح الذي عليه جمهور علماء الأنام من الإفرنج وأهل الإسلام، واستدل علماء الإفرنج على وحدة النوع البشري بدليل آخر واقعي عقلي وهو ما شوهد في جميع أنواع الحيوان من أنه إذا حصل تزاوج نوعين مختلفين تولد منهما نتاج يصير عقيمًا كما للبغل المتولد عن مزاوجة الفرس والحمار وبالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الإنسان حيث يتولد

46 – أحمد بن زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1968، ج. 1، ص. 261.

47 – البُجة أو البُجاة بضم الباء: أقوام من الرحل قطنت سواحل البحر الأحمر بإريتريا وشرق السودان، وتنتشر عناصر منهم شمال السودان وجنوب مر حتى أسوان، وميناؤهم الرئيسي عيذاب. كانت لهم مبادلات وحروب مع قدماء المصريين ثم البطالمة والرومان، وبعد الفتح الإسلامي لمناطق البحر الأحمر الإفريقية اختلطوا بالقبائل العربية، ثم خضعوا للحكم المصري على عهد محمد علي والخديوي إسماعيل بعد إلحاق منطقة لتكا (1821 م) وقاعدة كسلا وضم سواكن ومصوع (1866 م).

48 – يشير هنا المؤلف إلى مسألة نقل العبيد السودان إلى العالم الجديد (أمريكا). بدأ نقل الزنوج الأفارقة بصفة منتظمة إلى العالم الجديد للخدمة في المزارع مع تأسيس أول شركة للرق سنة 1588 باسم الشركة الملكية للتجارة الإنكليزية في إفريقيا؛ وانتظم استرقاق الزنوج مع تأسيس قلاع أوربية على الساحل (قلعة جيمس على نهر غامبيا، 1616؛ وقلعة كوروماندي، 1631)، وأصبحت النخاسة تجارة رائجة مع تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية (1664)، ودامت تجارة الرقيق نحو ثلاثة قرون، حتى صدر أمر بتحريمها بالنسبة للرعايا البريطانيين (1807)، ثم ألغي الرق رسميًا سنة 1832 في فرنسا. وقد قدر عدد العبيد الذين نقلوا عبر الأطلسي من سواحل إفريقيا وخاصة سواحل السودان الغربي من 1530 إلى 1660 بنحو مليون فرد، أي بمعدل 30 ألف نسمة سنويًا، بثمن حدد للشخص الواحد آنذاك بخمسة جنيهات. وقد كانت السفن الناقلة للعبيد تعود إلى أوربا محملة بقصب السكر والقطن والتبغ.
هذا وكان عدد الرقيق السود في المستعمرات الفرنسية (1815–1830) يتراوح ما بين 30000 و70000 رغم كون تجارة الرقيق كانت تعتبر نشاطًا مخالفًا للقانون، قبل أن يلغى في الأراضي الخاضعة لفرنسا مع إعلان الجمهورية الفرنسية الثانية (1848).
هذا وقد اشتهر الديولا بتجارة العبيد، وكانوا يحصلون عليهم عن طريق الغارات أو إيقاع العقاب بالمتمردين، وخاصة عندما اعتمد الحاج عمر في دولته مبدأ الجهاد واسترقاق الكفار، فاشتهر الديولا بجمع العبيد ونقلهم إلى أسواق النخاسة، وهذا ما ساعد على ازدهار تجارة العبيد عبر الصحراء نحو المغرب العربي، وأصبحت تدر أموالاً طائلة على التجار الموريتانيين والتوارق وغيرهم، وقد وصل طرابلس الغرب على سبيل المثال سنة 1865 (2708) عبيد من نساء ورجال، مع العلم بأن حصانًا واحدًا يستبدل بخمسة من العبيد أو أربعة صفائح من الملح، وأن العبد الجيد الخدوم قد يصل ثمنه إلى 40.000 كوريس بفعل إلغاء الإنكليز النخاسة 1807.
راجع: أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ، الرياض، 1981، ص ص. 89 وما بعدها.

عن مزاوجة إنسان كالأبيض مع الأسود مثلاً ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل كما يحصل تعلية الفرس على البرذون إذ يترتب على ذلك تحسين مادة النتاج لا عدم الإنتاج ومن ثم استنبطوا أن مراتب الإنسان ترجع كلها إلى نوع واصل متحد بمعنى أنها فروع عنه متفرعة لا أنواع متنوعة، انتهى المراد منه وبعضه بالمعنى.

16 - في طبيعة الأقاليم السبعة وتأثيرها على خصائص الشعوب نقلاً عن ابن خلدون

وفي مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي[49] بعدما ذكر الأقاليم السبعة وأحوال أهلها وذكر فضل الإقليم الثالث والرابع والخامس وقدم فضل [17] الرابع الذي أهله أهل العراق والشام على الثالث والخامس ولكنهما يليانه في الفضل والاعتدال، ثم قال وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم، فبناؤهم بالطين والقصب، وأقواتهم من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم أو الجلود وأكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وإدمها غريبة التكوين مائلة إلى الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفين من نحاس أو حديد يقدرونها للمعاملات، وأخلاقهم من ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من السودان أهل الإقليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والقياض[50] ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضًا وكذلك السقالبة[51] والسبب في ذلك لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الإنسانية بمقدار ذلك، وكذلك أحوالهم في الديانة أيضًا فلا يعرفون نبوة

49 - أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (ت. 808 هـ/1406 م)، المقدمة، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، ط. 2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص ص. 103-107.
«انظر المقدمة الثالثة: في المعتدل من أقاليم المنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثيرمن أحوالهم»، مع ملاحظة أن المؤلف ينقل كل ما أورده ابن خلدون عن العنصر الأسود حرفيًا إلى غاية ص. 22 من المخطوط. سوف نشير إلى ما اقتبسه المؤلف عن ابن خلدون بعبارة: مقدمة ابن خلدون أو تاريخ ابن خلدون.

50 - القياض: وهي الفيافي والأراضي القفار أو البرية التي لم تعرف الاستقرار البشري بعد.

51 - السقالبة أي الصقالبة: من الأقوام التي ظهرت بشمال القارة الأوربية، كانت مواطنهم الأولى على أطراف نهر الفولغا، وقاعدتهم التي يتجمعون حولها تقع بالقرب من مدينة قازان الروسية على بعد 6.5 كلم من الفولغا؛ وقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر بالله بعثة بطلب من زعيمهم ألمش بن يلطوار لتعريفه بشرائع الإسلام ولإقامة مسجد له، وكانت البعثة مؤلفة من أربعة أشخاص على رأسها أحمد بن فضلان غادرت بغداد (309 هـ/921 م) ووصلت بلاد الصقالبة بعد حوالي سنة، وقد وصف ابن فضلان أحداث الرحلة التي تعتبر مصدرًا أساسيًا للتعرف على أوضاع الصقالبة والشعوب المجاورة لهم من روس وبلغار.

ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد، ومثل أهل مالي وكوكو والتكرور[52] المجاورين لأرض المغرب الدائنين بالإسلام لهذا العهد يقال إنهم دانوا في المائة السابعة، ومثل من دان بالنصرانية من الصقالبة والإفرنجية والترك الشمال، ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوبًا وشمالاً، فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الأناسي قريبة من أحوال البهائم «ويخلق ما لا تعلمون»، الآية.[53] ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والأحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما إليها جزيرة العرب في الإقليم الأول والثاني، فإن جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاثة فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هوائها، فنقص ذلك من اليبس والانحراف [18] الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه، وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعاء نوح على ابنه حام وقد وقع في التوراة وليس في ذكر السواد وإنما دعا إليه بأن يكون ولده عبيدًا لولد أخويه

52 - أهالي مالي وكوكو والتكرور:
أهالي مالي أو ملي: نسبة إلى منطقة الماندينجو (الماندينغ) أو المالنكي، التي عرفها العرب باسم بلاد التكرور، ومركزها الضفة اليسرى لنهر النيجر أعلى مدينة باماكو الحالية. ظهرت بها دولة مالي أو الماندينجو بعد سقوط أسرة كايا ماجة التي حكمت دولة غانة، واستمر حكم دولة مالي من 1225 إلى 1455 م، وقد اشتملت هذه الدولة على مناطق شرق السنكال وشمال غينيا والداهومي وجنوب بلاد الشنقيط. ظهرت بها دولة حكمتها أسرة زا التي ينتمي إليها أول من أسلم من حكام مالي مسلم دام أو برمعداتة حوالي 400 هـ/1009 م، وكانت عاصمة الدولة كوكيا على نهر النيجر ثم تحولت إلى غاو (منذ 1009 م)؛ بعدها تولى حكم مالي ملوك من أسرة أيون المعروف بسني (1335-1493 م) وهي ذات أصول أمازيغية إفريقية؛ ثم حكمتها أسرة الأسكيا (الأسقيين) (1493-1598 م) التي قضت عليها حملة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (1590-1598 م).
أهالي كوكو: اسم شعب وإقليم بالسودان الغربي قاعدته سرناه على نهر النيجر، وتعرف باسم كوكو التي ذكرها الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق. 3 هـ/9 م) بأسماء مختلفة: ، فسماها الخوا بقوقو أو قنقو، وذكرها اليعقوبي باسم كوكو، وتعرف اليوم بغاو (Gao)، وكانت عاصمة مملكة السنغاي منذ ق. 5 هـ (11 م)، ومقر ملوكها من أسرة أسكيا.
أهالي التكرور: أو التكلور أو التوكولور (Tokolor): أقوام زنجية استوطنت النيجر الأوسط وحوض السنغال، اعتنقت الإسلام قبل أن تخضع لحكم المرابطين في القرن الحادي عشر، اشتهرت بلادهم بأنها مصدر التبر والعبيد. وقد وردت هذه التسمية لدى البكري والإدريسي وياقوت وغيرهم من العرب و البربر للدلالة على مدينة على نهر السنكال في منطقة الفوتا، ثم أطلقت على الدولة التي ظهرت بها، ثم توسع استعمالها ليشمل جميع السودان الغربي وخاصة البلدان التي كانت تابعة للأمراء المنحدرين من منطقة الفوتا.

53 - اقتباس من القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 8.

لا غير، وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فإن الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة إحداهما من الأخرى فتطول المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر، ونظير هذين الإقليمين فيما يقابلهما من الشمال الإقليم السابع والسادس شمل سكانها أيضًا البياض من مزاج أهوائهم للبرد المفرط بالشمال إذ الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة مرأى العين أو ما قرب منها ولا ترتفع إلى المسامتة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض ألوان أهلها وتنتهي إلى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود.[54] ثم قال ابن خلدون عاطفًا على برش الجلود وصهوبة الشعور وتوسطت بينهما الأقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر، والرابع أبلغها في الاعتدال غاية لنهايته في التوسط فكان لأهله [19] من الاعتدال في خَلقهم وخُلقهم ما اقتضاه مزاج أهويتهم وتبعه عن جانبيه الثالث والخامس وإن لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلاً إلى الجنوب الحار وهذا قليلاً إلى الشمال البارد إلا أنهما لم ينتهيا إلى الانحراف، وكانت الأقاليم الأربعة منحرفة وأهلها كذلك خَلقهم وخُلقهم، فالأول والثاني الحر والسواد، والسابع والسادس للبرد والبياض، ويسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان اسم الحبشة مختصًا منهم بمن تجاه بحر الهند، وليست هذه الأسماء لهم من أجل انتسابهم إلى آدمي أسود لا حام ولا غيره، وقد نجد من السودان أن أهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف إلى البياض، فتبيض ألوان أعقابهم على التدريج مع الأيام، وبالعكس في من يسكن من أهل الشمال أو الرابع بالجنوب، فتسود ألوان أعقابهم وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء. قال ابن سينا في أرجوزته في الطب: بالزنج حر غير الأجساد، حتى كسا جلودها سوادًا، والصقلب اكتسبت البياض، حتى غدت جلودها بضاضًا، وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لأن البياض كان لونًا لأهل تلك اللغة الواضعة للأسماء

54 - تعليق المؤلف: قلت وفي «تاج العروس» والبرش من اللون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك اهـ. يقصد بذلك الزعورة وهي شدة البياض.

فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الإفرنجة ويأجوج ومأجوج أسماء متفرقة وأجيالاً متعددة مسمين بأسماء متنوعة، وأما أهل الأقاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال في خَلقهم وخُلقهم وسيرهم [20] وكافة الأحوال الطبيعية للاعتماد لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك، فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والأمصار والمباني والغراسة والصنائع الفائقة وسائر الأحوال المعتدلة، وأهل هذه الأقاليم التي وقفنا على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني إسرائيل واليونان وأهل السند والهند والصين، ولما رأى النسابون اختلاف هذه الأمم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لأجل الأنساب، فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في ألوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا أهل الشمال كلهم أو أكثرهم من ولد يافث وأكثر الأمم المعتدلة وأهل الوسط المنتحلين للعلوم والصنائع والسياسة والملك من ولد سام، وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد إنما هو إخبار عن الواقع لا إن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود وما أداهم إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن التميز بين الأمم إنما يقع بالأنساب فقط وليس كذلك فإن التمييز للجيل أو الأمة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني إسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنصب كما للعرب ويكون بغير ذلك من أحوال الأمم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نحلة أو لون أو سمة وجدت لذلك الأب إنما هو من الأغاليط التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع الأكوان والجهات وأن هذه كلها تتبدل في الأعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم.

17 - في أثر البيئة على أخلاق الناس وتصرفاتهم اعتمادًا على ابن خلدون

ثم قال [21] العلامة سيدي عبد الرحمن بن خلدون المغربي رضي اله عنه قد رأينا من خُلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه

من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتحيى طبيعة الفرح، وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخنت لذلك حدث لهم فرح وربما تبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور، ولما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس إلى أهل الإقليم الرابع أشد حرًا فتكون أكثر تفشيًا فتكون أسرع فرحًا وسرورًا وأكثر انبساطًا ويحيى الطيش على أثر هذه، وكذلك يلحق بهم قليلاً أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته وكانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد يسيرًا من ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الإقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لأنها عريقة في الجنوب عن الأرياف والتلول واعتبر ذلك أيضًا بأهل مصر فإنها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبًا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة مأكلهم من أسواقهم، ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين أطراق الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى أن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة [22] ويباكر الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئًا من مدخره، وتتبع ذلك في الأقاليم والبلدان تجد في الأخلاق أثرًا من كيفيات الهواء والله الخلاق العليم. وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن إسحاق والكندي أن ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من خفة عقولهم، وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، انتهى. المراد من مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي[55] رضي اله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه.

55 - هنا ينتهي ما نقله المؤلف من مقدمة ابن خلدون، انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ص. 103-107.

18 - مسألة استرقاق أهل السودان ومدى جواز ذلك شرعًا

ولنختم هذه الفوائد بما في الاستقصا[56] مما له تعلق بما عنا من منع بين السودان واسترقاقهم ونص ما فيه كان بنو أقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو[57] ممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينًا ودنيًا بحيث تعدد فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه، ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود[58] على حاجتهم إلى أن كانت سنة اثنتين وألف،[59] فكان أهل السودان قد

56 - أبو العباس أحمد بن خالد الناصر السلاوي (ت. 1315 هـ/1897 م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ونشر جعفر الناصري ومحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال المغربية، الدار البيضاء، 1954 - 1956، الجزء الأول، الفصل السادس، ص. 34.
ملاحظة: المؤلف يثبت اسم الكتاب «الاستقصى» والأصح «الاستقصا» بالألف وبدون همزة، وقد صححنا ذلك في كامل المخطوط، وسوف نشير إليه فيما يلي من الهوامش اختصارًا بـ «الاستقصا».

57 - تنبكتو أو تومبوكتو أو تنبكت: أسستها عشيرة مغشرن أو مقشرن أو إيمغراشن التارقية التي قطنت ناحية أروان بعد موت زعيمها أبو بكر بن عمر اللمتوني، في مكان اعتادت قضاء الصيف به ، ومقطع «تن» الذي يعني بالبربرية المكان والمأوى يدل على ذلك، أما «بكت» فتذهب الرواية إلى أنه اسم امرأة كانت تقيم بذلك المكان. ويعود تأسيسها إلى حوالي 490 هـ/1100 م. ساعدها موقعها على نهر النيجر عند انحنائه نحو الشمال وقربها من الصحراء على أن تكون مركزًا تجاريًا مهمًا ما لبث أن خلف مركز ولاتة فتحول إليه التجار منذ ق. 10 هـ/16 م، واستقرت بها مع جماعات التوارق كسيلة الونغارة ذات الأصول السوننكية، وهذا ما جعلها مقصد حكام الدول التي قامت بالسودان الغربي، فاعتنى بها حكام مالي في ق. 10 هـ/16 م)، فبنى بها منسى موسى قصرا ومسجدا جامعا، وأثناء ذلك توسع عمرانها وأصبحت من أهم المراكز العلمية والتجارية بالسودان، وبلغت أوجها على عهد الأسكيا (الأسقيين) في ق. 10 هـ/16 م، وخاصة محمد أسكيا الكبير وخليفته الأسكيا داوود، فتعددت مدارسها ومساجدها مثل جامع سنكوري أو سنكري وسيدي يحي، لكن تأثرت من استيلاء جيش أحمد المنصور السعدي عليها (999 هـ/1591 م) وإيقاعه العقاب بسكانها المعادين له ونفي جمع من أعيانها وعلمائها ومنهم عالمها أحمد بابا التنبكتي، فتراجع ازدهارها التجاري وإشعاعها العلمي، ولم تلبث أن خضعت لنفوذ حكام ماسينا السياسي وأصبحت تابعة روحيا لشيوخ الطريقة القادرية من أسرة البكاي حتى استولى عليها الفرنسيون سنة 1308 هـ/1890 م.

58 - الباشا محمود: هو الباشا جؤذر بن عبد الله، أصله من نصارى إقليم غرناطة (لاس كويفاس) (Las Cuevas)؛ أسر صغيرًا ونشأ بقصر أحمد المنصور الذهبي، واكتسب حظوة لديه لنشاطه وفطنته وذكائه، فقربه وأسبغ عليه لقب الباشا، وكلفه بالمهام الخطيرة خاصة القضاء على حركات التمرد، وولاه قيادة حملة السودان التي انتهت بالقضاء على دولة السنغاي، فعبر على رأس جيش لا يتجاوز أربعة آلاف من المشاة العلوج وعدة آلاف من المتطوعين - بحيث ناهزت الحملة في مجملها 22 ألف رجل - الصحراء الكبرى، فوصل إلى نهر النيجر في ظرف 135 يومًا منها خمسين يومًا قضاها في السير، وألحق الهزيمة بجيش إسحاق أسقيا في معركة تنكَنْدبغ قرب تُنْدبي على بعد نحو 30 كلم من كاغو في شهر نوفمبر 1590، وانهزم جيش إسحاق الذي ناهز 104 آلاف رجل لقلة خبرته وبدائية أسلحته، واضطر إسحاق إلى الهروب حيث لقي حتفه على الأرجح على يد أفراد من عشيرة انجورما الذين التجأ إليهم سنة 1001 هـ/1592 م.

59 - 1002 هـ يوافق 1593 - 1594 م.

سئموا ملكة المغاربة وأنسوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلطانهم الأول وكانت أذنهم مع ذلك صاغية كحال أقيت فتخوف المنصور منهم وربما وشي إليه بهم، فكتب إلى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم إلى مراكش، فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد ابن عمر من محمد أقيت المدعو بابا صاحب «تكميل الديباج»[60] وغيره من التآليف، وكان فيها أيضًا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عم بن محمد أقيت وغيرهما، وحملوا مصفدين في الحديد إلى مراكش ومعهم حريمهم وانتهبت ذخائرهم وكتبهم إلى أن قال تتمة قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين الإسلام من لدن قديم وأنهم من أحسن الأمم إسلامًا وأقومهم دينًا وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلاً ومحبة وهذا الأمر شائع في جل ممالكهم الموالية للغرب كما علمت وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب [23] من لدن قديم من استرقاق أهل السودان مطلقًا وجلب القطائع الكثيرة في كل سنة وبيعهم في أسواق المغرب حاضرة وبادية يسمسرون بها كما تسمسر الدواب بل أفحش قد تَمَالأ الناس على ذلك. وتوالت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعًا هو اسوداد اللون وكونه مجلوبًا من تلك الناحية وهذا لعمر الله من أفحش المناكر وأعظمها في الدين إذ أهل السودان الآن قوم مسلمون فلهم ما لنا وعليهم ما علينا إلى أن قال والأصل في نوع الإنسان الحرية والخلو عن موجب الاسترقاق ومدعي خلاف الحرية مدع لخلاف الأصل ولا ثقة بخبر الجالبين لهم والبائعين لهم إلى أن قال ولا يعتمد أيضًا على قول ذلك العبد نفسه أو الأمة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الأغراض

60 - أبو العباس أحمد بن أحمد بن مقيت الصنهاجي المعروف ببابا أحمد التنبكتي (ت. 1036 هـ/1627 م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق ونشر عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989. وكما هو معروف فإن أبا العباس أحمد بابا التنبكتي ولد بأروان حوالي 963 هـ/1556 م. وانتسب إلى مدينة تومبوكتو، وأخذ قسرًا إلى مدينة مراكش عندما استولى جيش أحمد المنصور الذهبي السعدي على بلاد السودان وظل بها (1593-1608 م)؛ وعندما أطلق سراحه عاد إلى موطنه تومبوكتو حيث وافته المنية (1036 هـ/1627 م).

يعتبر من أشهر علماء بلاد السودان الغربي، ترك حوالي ستين مصنفًا أغلبها في الفقه واللغة والتراجم، منها تتمة كتاب الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب المالكي للقاضي أبي إسحاق إبراهيم بن فرحون في تراجم رجال المذهب المالكي (ت. 799 هـ/1397 م)، وقد عرفت تتمة بابا أحمد على الديباج بعدة عناوين أشهرها: نيل الديباج أو نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ وعندما هذبه واختصره أصبح يعرف بـ: كفاية المحتاج لمعرفة ليس من في الديباج الذي حققه محمد مطيع في جزئين بالمغرب (2000). ومن تآليف بابا أحمد المعروفة «معراج الصعود إلى حكم مجلوب السود».

والأحوال في ذلك، فإن البائع لهم قد يضربهم حتى يقرُّون إلا بما لا يقدح في صحة بيعهم وقد يكون للعبد أو الأمة غرض في الخروج عن ملك من هو بيده بأي وجه كان فيهون عليه أن يقر على نفسه بالرِّقِّيَة كي ينفذ بيعه عاجلاً إلى غير ذلك من الأغراض، وقد استفاض من أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم وقبل اليوم يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ويسرقونهم من الأماكن النائية عن مداشرهم وعمرانهم وإن فعلهم ذلك فعل أعراب المغرب في إغارة بعضهم على بعض واختطاف دوابهم ومواشيهم أو سرقتها والكل مسلمون وإنما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع، فكيف يسوغ للمحترم لدينه أن يقدم على شراء ما هو من هذا القبيل وكيف يجوز له التسري بإناثهم وفي ذلك ما فيه من الإقدام على فرج مشكوك إلى أن قال وقد ذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا قبائل من كفار السودان مثل موسي وبعض فلاّن وغيرهم، وقال إن كل من كان من هؤلاء القبائل فيجوز استرقاقه، وكذلك ذكر ولي الله ابن خلدون[61] أن وراء النيل قومًا من السودان يقال لهم لم قال وهم [24] كفار يكتوون في وجوههم وأصداغهم. قال وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب وهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر إلى آخر كلامه.

19 - في الترغيب في عتق العبيد

إلى أن قال فإن سبب الاسترقاق الشرعي الذي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مفقود اليوم وهو السبي الناشئ عن الجهاد المقصود به إعلاء كلمة الله تعالى وسوق الناس على دينه الذي اصطفاه الله لعباده، قلت وقد أعتق النبي صلى الله عليه وسلم جميع من ملكه من الرقيق ولم يمت صلى الله عليه وسلم وفي يده رقيق وقد رغب الناس إلى العتق حتى كان يجبرهم ويقهرهم عليه وقد كان يعتق الرقيق على لطمة فقط من سيده له، وفي «أسد الغابة» عن عكاشة الغنوي[62] أنه كانت له جارية في غنم ترعاها ففقد

61 - مقدمة ابن خلدون، ص. 70.

62 - عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت. 630 هـ/1232 م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.، ج. 4، ص. 2.

منها شاة فضرب الجارية على وجهها ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله وقال لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها، فدعاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها أتعرفينني، فقالت أنت رسول الله، قال فأين الله، قالت في السماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها فإنها مؤمنة، أخرجه أبو موسى، اهـ. المراد منه، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار حتى فرجه بفرجه.[63] وكان سيدنا عمر رضي الله عنه إذا رأى أحدًا من رقيقه يصلي يعتقه، فقيل له إنهم يخدعونك، فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له رضي الله عنه، ولعل هذا مذهبه الذي تمذهب به في خاصة نفسه وهو أن لا يملك أحدًا يصلي والله تعالى أعلم. وفي قواعد المذهب المالكي أن من أعتق بعض عبده كيده أو رجله أو أصبع منه أو أقل من ذلك استتم عليه، ومن مثل بعبده ولو بوشم بنار أو بضرب يشين جارحة عتق عليه إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة الموجبة للعتق. وفي «إحياء علوم الدين» للغزالي[64] وقال ابن المنكدر إن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب [25] عبدًا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بحق الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق إليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده، فقال رسول الله سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك، قال إنه حر لوجه الله يا رسول الله، فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار، وفيه أيضًا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم، فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة، وفيه أيضًا فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم ما تأكلون واكسوهم ما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم، وفيه أيضًا وكان عمر رضي الله عنه يذهب

63 - الحديث بهذه الصيغة أخرجه الذهبي في كتاب العلو. أنظر: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هداية الرواة...، المصدر نفسه، ج. 3. ص. 349 (حديث رقم 3316، عن أبي هريرة، عن البخاري ومسلم رضي الله عنهم).

64 - الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت. 505 هـ/1111 م)، إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لشريف الدين أبي الفضل عبد الرحيم البغدادي (806 هـ/1403 م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، المجلد الثاني، ص ص. 239-241.

إلى العوالم في كل يوم سبت فإذا وجد عبدًا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه، ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدًا ما مشي خلفه، وفيه أيضًا وقال الزهري متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر، وفيه أيضًا فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته، اهـ. المراد منه، قلت قوله في معاصيه متعلق بقوله ويتفكر، وقلت أيضًا وقد أراح الناس من ذنوب حقوق الممالك الإفرنج حيث أعتقوا جميع من في ممالكهم من العبيد ولا سبيل لأحد على أحد فالكل متساوون في الحرية، ولعل ذلك مراده صلى الله عليه وسلم ومنعه من ذلك عظيم رغبته في مداراة الناس وكثرة حيائه صلى الله عليه وسلم حتى يبلغ الكتاب أجله وقد بلغ من مداراته أنه عليه السلام وجد قتيلاً من أصحابه.[65]

20 - تعليل أصول ألقاب الفلاّن حسبما هو شائع

[28 لا يوجد ترقيم لصفحتي 26 و27 لانقطاع في ترقيم صفحات المخطوط] وقيل أن أصل ألقاب خمسة رجال جاءوا إلى جمع من البنابر فسلموا على الجمع فردوا عليهم السلام ثم رفعوا الخبر إلى سلطانهم، فقالوا أتى هنا رجلان متعمم وقائد عنز، فقام الملك فقال للمتعمم السلام عليك يا جلتك، وقال لقائد العنز السلام عليك يا باتك، ثم صارت الجماعة يقولون مثل قوله، وأمرهما بالنزول في دار عينها لهما، فنزلا فيها وصارا يتضاحكان، فقال المتعمم لصاحبه أنت با وقال قائد العنز له وكذلك أنت جل، فجرى اللفظان عليهما لقبًا، ثم بعد ذلك أتى راكب فرس وحامل بوص من الفرع، فقال لهما الملك السلام عليك يا سوتك لراكب الفرس والسلام عليك يا برتك لصاحب البوص من الفرع، فصارا أيضًا يتضاحكان فيما بينهما فيقول أحدهما للآخر أنت سو ويقول له الآخر وكذلك أنت بر فجرى اللفظان عليهما لقبًا ثم أتى أخوهم الذي هو أصغر منهم سنًا وسأل عنهم فقيل له أماجاد، ليسوا بمكان بعيد

65 - هناك انقطاع في ترقيم المخطوط واضطراب في سياق المعلومات يرجع إلى عدم وجود صفحتين منه (تحملان رقمي 26 و27).

عنك وأنزلهم الملك في دار واحدة، فقال لهم إن الملك قال لي أماجا، فضحكوا عليه فقالوا له أنت جا ونحن أيضًا كل واحد منا قال له بغير ما قاله للآخر فجرى عليه لفظ جا لقبًا، ثم قال الملك لصاحب منزلهم كنابل، لا تتركهم فجرى عليهم لقب بل لقبًا، وفي غده أمر الملك صاحب مثواهم أن يذهب معهم ليدلهم على رجل ساكن في واد كبير في ماسينا يسمى الواد بدهبى فلما وصلوا إليه لقبوه بده وهو أصل لقب دبي، ثم ترافقوا جميعًا مشرقين فلما وصلوا نمفال سكن هنالك صاحب منزلهم أولاً الملقب ببل، ثم تجاوز الباقون إلى تننك فسكن هناك جل، ثم تجاوزوا فلما قدموا سبر سكن هنالك سو، ثم تجاوز الباقون فلما وصلوا بهاب سكن هنالك من يلقب ببه، ثم تجاوز [29] الباقيان فلما وصلا أرض فرمك سكن هنالك من يلقب بده، ثم تجاوز الباقي الذي لقبه بر إلى فتوب فسكن هنالك، ثم إن المخبر لم يذكر لنا مسكن جا ولا أدري هل نسيه أو جهله والله تعالى أعلم. وهذه صورة أصول ألقاب الفلاّن كما قيل وقد قيل فيها أيضًا غير ذلك لأن فلاّن فلدك أي فرد من لقبه جل بكندي ومن لقبه به بحختبي ومن لقبه سه بسيدبه ومن لقبه بر بسنخري، قلت ولعل كن من كندي هذا وقلت أيضًا في ظني أن كن من أول لفظ كنعان وأن عان من آخر لفظه نسبة إلى كنعان الذي هو من أولاد حام، وأن لفظ جلّ من كلمة جلق اسم لدمشق الشام والله تعالى أعلم بغيبه، ومن الفلاّن من لقبهم كه والأصل فيه إنهم قتلوا نفسًا فخافوا من عدوى فعلهم فهربوا مسافة شهرين في بلاد السودان ثم إنهم جلسوا يتكلمون هل يسكنون في ذلك الموضع أو يتجاوزون عنه فقالوا كاكاكس أي هذا الكلام قد تم وانقضى فسكنوا في ذلك الموضع وسموه بكاكاكس فصار لقبهم كا إلى الآن ومنهم أهل سول الذين منهم أصلاً يحيى بن سارن محمد بن الفا أحمد ساج الذي الآن هو سيف في ديوان نكبى في مُرِتَن.

21 – ارتباط ألقاب أهل السودان بمواطنهم ومهنهم

ومن مثل هذا تكون ألقاب السودان منا كلاً وإذا تتبعناه يكون مجلدًا ضخمًا وقد يكون أصل اللقب من اسم أرض أو جد أو غير ذلك. كما قيل إن أصل لفظ كَمَرَ ومعناه مالك الدار لأن كا في كلام سرخل الدار ومر المالك ولعلهم كانوا قد كثر فيهم من يملك داره ملكًا تامًا ولا تملكه النساء البتة، فجرى لفظ كمر عليهم لقبًا إلى الآن، وأما تغيير ألقابهم فقد كثر جدًّا فكل من كان في بلد لم يكثر فيه لقبه فقد صار لقبه في ذلك البلد غريبًا والغرابة [30] سبب

من أسباب المنافرة فلذلك يغيره على موافقة أهل البلد وكذلك من دخل في حرفة من حرف السودان وألقاب أهلها تغاير لقبه فربما يغير لقبه لذلك، ومنهم من غير لقبه من شام إلى جلّ، ومنهم من غير لقبه من دنك إلى سو ومن فرن على جه، ورأيت من غير لقبه من بان إلى سو، ورأيت من غير لقبه من أه إلى سه أيضًا لدخوله في حرفة الفلاّن من الاشتغال بالماشية والقيام عليها، ومنهم من غير لقبه من جوب إلى به ومن جوب أيضًا على جه بضم الجيم، ومنهم من غير لقبه من جك إلى ون، ومنهم من غير لقبه من جلّ إلى كن لما صار من تورب بعدما كان من الفلاّن أهل الماشية سكان البادية ومن ده إلى دم كذلك ومن ترخور إلى تلّ ومثل ذلك لا يكاد ينحصر بتعداد والله تعالى أعلم، وسيرد عليك كثير من مثل هذا في أثناء هذا الكتاب[66] إن شاء الله تعالى، انتهت المقدمة ويليها تاريخ هوس.[67]

22 – تحديد بلاد الهوسا واستيلاء عثمان بن فودي عليها

وهي أرض واسعة تتاخم[68] بلاد غدامس تعمل بها ثياب تفضل على ثياب اليمن والروم السود ولم تكن لأحد من الأمم ثياب تماثلها وهي كثيرة بتنبكت وأروان وولاتة وتيشيت ووادان وشنجيط وتلك النواحي المغربية يتجربها أهل غدامس وأهل كيلو من أهل توات إلى

66 - يشير المؤلف إلى مسالة ألقاب وأسماء القبائل والأماكن والأشخاص بالسودان الغربي، ويظهر فيها فهمًا عميقًا للواقع الاجتماعي والإثنوغرافي للمنطقة، وهذا ما يتكرر في كامل الكتاب فيما يخص نسبة وأصل القبائل، مما يكسب معلوماته قيمة تاريخية وإثنوغرافية في غاية الأهمية، وخاصة الاشتقاقات والروايات المتعلقة بها ودلالات الألفاظ اللغوية.

67 - الهوسا أو الهاوسا أو الحوصة: جماعات زنجية من أصول شتى توحد بينهم لغة الهاوسة التي تعتبر من اللغات الحامية. يقطنون الأقاليم الواقعة بين النيجر غربًا وبحيرة تشاد شرقًا وبنوي جنوبًا. وأهم مراكزهم سوكوتو حيث تتركز الزعامة الروحية لسلطانها، وكاتسينا، وكانو، والزارية، ودورا، والجوبير (غوبر)، وبيرام، ورانو. شمل تأثيرهم الروحي والاقتصادي كامل أقاليم نيجيريا لإخلاصهم للعقيدة الإسلامية ولمهارتهم في الزراعة والتجارة وحذقهم في الحرف اليدوية خاصة الجلود والأقمشة. وحسب الروايات الشعبية فإن جدهم ينحدر من المشرق وهو حسب زعمهم أحد حفدة ملك بغداد يعرف بأبي يجيدر وهو تحريف لأبي يزيد على الأرجح. ولعل هذا النسب الأسطوري يعبر عن ميلهم الفطري للعرب واعتزازهم بالانتساب إلى قبائل الشام واليمن مثلهم في ذلك مثل قبائل الفلاّن (الفولاني) الذين يرجعون نسبهم إلى عقبة بن عامر الجهني. ورغم تميز أفراد جماعات الهاوسا بالقامة الطويلة والأطراف الطويلة والدقيقة والراس ضيق الجمجمة وعدم بروز الفكين إلا أنهم لم يكونوا شعبًا واحدًا رغم لغتهم المشتركة، فظلت بلادهم مجزأة إلى إمارات عرفت بممالك الهاوسا (هاوسا بكوري) في القرن الثامن عشر، ولم يخضعوا لحكم واحد إلى عندما تمكن شعب الفلاّن (الفولاني) الذي يتكلم لغة زنجية أخرى في القرن التاسع عشر من إخضاعهم وحكمهم بفعل حركة الجهاد التي تزعمها عثمان بن فوديو وابنه محمد بلّ (بيللو).

68 - تعليق المؤلف: قلت قوله أولاً تتاخم بلاد غدامس والتخوم بالضم الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود مؤنثة والجمع تخم كعنق، وأرضنا تتاخم أرضكم.

أروان وتنبكت ومن ثم تنتشر إلى بلاد الترارزة[69] بساحل بحر الظلمات المغربي وشاطئ نهر

69 – نظرًا لأهمية هذه البلدان فيما يتعلق بالمعلومات الواردة في المخطوط، فسوف نعرف بها باختصار:

– تنبكت (تومبوكتو): انظر هامش رقم (57)، ص. 89.

– سجلماسة: وهي مركز مجموعة من الواحات الواقعة بجنوب شرق المغرب الأقصى على تخوم الصحراء بمنطقة تافلالت كما يعرف مكانها اليوم. شيدها عيسى بن يزيد الأسود أو مدرار بن عبد الله الصفري الخارجي حسب بعض الروايات سنة 140 هـ/757 م. واستقرت بها أقوام من مكناسة الصفرية وجماعات من زناتة ومصمودة وصنهاجة والتجار العرب، فكانت مركز حكم دولة الخوارج الصفرية المعروفة بالدولة المدرارية (140 - 366 هـ/772 - 976 م). اشتهر من حكامها أبو القاسم سمكو وأخوه اليسع. استقطبت تجارة الصحراء مع السودان وتوسع نشاطها وعمرانها ونشاطها الاقتصادي. أشاد البكري في ق. 5 هـ/11 م بكثرة نخيلها وجودة فواكهها ومهارة نسائها في غزل الصوف. حاصرها عبيد الله الشيعي وخرب أرباضها لإقدام حاكمها اليسع على سجن عبيد الله الفاطمي عندما نزل بها في طريقه إلى المغرب الأوسط، وألحقها بالدولة الفاطمية العبيدية (308 هـ/921 م). ثم ظهرت بها إمارة مغراوة بزعامة خزرون بن فلفل (366 هـ/976 م). بعدها خضعت للمرابطين والموحدين (ق. 5-7 هـ/11-13 م)، وتراجعت تجارتها على عهد المرينيين، فانكمش عمرانها بعد حصار أبي الحسن المريني لها سنة 733 هـ/1333 م، وتحولت مع الزمن إلى أنقاض تعرف اليوم بخرائب الريصاني على وادي غير.

– أروان: تقع بإقليم فزان على طريق السودان على بعد 250 كلم شمال شرق تومبوكتو أي مسيرة عشرة أيام، يصل منها المسافر إلى تاودني وإلى تندوف وبها معدن الملح. غزاها عقبة بن نافع عندما توغل في الصحراء (46 هـ/666 م)، وأقام بها الولي الصالح أحمد بن آد السوقي أواخر القرن 10 هـ/16 م، وكانت آنذاك محطة للقوافل نحو بلاد المغرب أو السودان رغم كونها لا تتوفر إلا على النادر من الزرع والقليل من النخل، فهي مجرد مجموعة مساكن من الطين، وسكانها من العشائر العربية المنتسبة إلى كونته والبرابيش يعتمدون في معيشتهم على التجارة واستغلال منجم الملح وتربية الأغنام والجمال.

– تيشيت أو تشيت بالقرب من منطقة الحوض الموريتانية، وتعود عمارتها إلى الشريف عبد المؤمن بن صالح (حوالي 544 هـ/1149 م)، واكتسبت أهميتها لوجود معدن الملح وعيون المياه بالقرب منها، سكنها أهل الأخصاص ونزل بها أحد رجال العلم والصلاح الحاج عثمان الأغماتي الذي ينتسب إليه أولاد الحاج من قبيلة إيدو الحاج، ويتوزعون على ثلاث عشائر وهي الشرفاء وإماسنه وأولاد بله، حافظت على عمارتها بفضل مهارة سكانها في التجارة ولوجود النخيل حولها.

– ودان: مجموعة قرى صغيرة لقبيلة مسوفة تنتشر في واد به نخل يقع بالأراضي الموريتانية على بعد حوالي 90 كلم شمال شنقيط ينسب بناؤها إلى قبيلة ايدوَ لْحاج سنة 536 هـ أو 546 هـ)، وأصبحت سوقًا ومحطة للقوافل. خضعت لسلطة ملوك مالي أثناء توسع دولتهم في الشمال. سكانها من قبيلتي كنته و ايدوَ لْحاج كانوا يستغلون ملح سبخة إيَل القريبة من ودان. وقد ذكر الشيخ أحمد الكنتي في أرجوزته الغلاوية أن اسمها الأصلي إيولاتن ومعناها الملاحس أي المكان الذي كانت تأوي إليه الوحوش، وذكر ابن طوير الجنة أن معنى ودان واد من النخيل والعلم. هذا وقد ترجم له كل من محمد اليدالي والمختار ولد عامر ومحمد الأمين الشنقيطي.

محمد اليدالي، أمر الولي الصالح ناصر الدين، تحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1990، ص. 122 (أنظر قائمة المصادر المعتمدة في التحقيق).

– شنجيط أو شنقيط الأصلية: بنيت مكان آبير القديمة التي يعود بناؤها، حسب بعض الروايات، إلى حوالي 160 هـ/776 م، وينسب بناؤها عام 660 هـ/1262 م إلى عدة رجال منهم محمد قلي وعمر يَبْنى من قبيلة الأغلال؛ ومعناها عيون الخيل التي بأظهر أدرار (أو حائط أدرار). أوردها شرح القاموس في المستدرك بشنكات، وتطورت عمارتها في القرن التاسع الهجري على الأرجح، وأصبح بها أحد عشر مسجدًا أهمها الجامع العتيق، كما غدت محطة للحجاج. ونظرًا لكونها محاصرة بالرمال فقد تغير موقعها، وأصبح اسمها يطلق على الإقليم الواقعة به فعرف ببلاد شنقيط.

=

= – توات: منطقة بالجنوب الغربي الجزائري: تقع بوادي الساورة الذي يشكل الطريق الرئيسي عبر الصحراء

النيل عند انتهائه غربًا حتى يجتمع مع بحر الظلمات وإلى بلاد البراكنة بشاطئ نهر النيل من جملة فوت طور من بلاد السودان. والترارزة والبراكنة قبيلتان من المغافرة من حسان العرب

نحو بلاد السودان، تشتمل على 20 واحة تنتشر على مساحة واسعة تقدر بما يزيد عن 3500 كلم مربع، أهم هذه الواحات تيديكيلت، وغورارة، وتيميمون، وأدرار، وتعتبر تامنطيط قصبة توات حيث مقر محاضر الجماعة. دخلتها القبائل العربية في القرن 4 هـ. خضعت توات للمرينيين في ق. 13 م، وتأثرت بدعوة الشيخ عبد الكريم المغيلي الذي نجح في القضاء على مملكة يهودية أنشئت بها في القرن الخامس عشر. انظر هامش المغيلي، رقم (194)، ص. 91.

– بلاد الترارزة: نسبة إلى قبيلة عربية من بطون حسان المنتمين إلى قبيلة معقل.

– تاغازا أو تغزى أو تغاز عند السعدي وكعت، وقد تعرف بتغازي الغزلان: ليس بها آبار أو عيون، قال عنها ابن بطوطة بأنها قرية لا خير فيها، ماؤها عجاج وليس بها زراعة، يسكنها عبيد مسوفة المستخدمون في استخراج الملح بموقع «تانتال» الذي يبعد يومين عن المجابة الكبرى و20 يومًا عن سجلماسة. هجرت وخلفتها اليوم تاودني القريبة منها.

– أودغشت: على حافة الصحراء، تقع على بعد 40 كلم شمال مدينة تامشكط في الحوض الغربي من موريتانيا، يسكنها البربر والعرب والسودان. وصفها البكري وابن حوقل بأنها مركز تجاري هام يتحكم في تجارة الملح. خضعت لملوك غانة ثم أصبحت عاصمة لصنهاجة الملثمين (350–360 هـ/961–971 م) على عهد أميرها تين بروتن. خربها عبد الله بن ياسين (446 هـ/1055 م)، ثم خضعت أودغشت للصوصو (ق. 13 م)، لكن تجارتها لم تلبث أن تراجعت فتحولت مع مرور الزمن إلى مجرد خراب وأنقاض.

– أزكى أو أزاقى: إحدى محطات طريقة القوافل نحو السودان الغربي. تقع بالجهات الجنوبية الغربية من الصحراء الكبرى ببلاد لمتونة. ذكرها الشريف الإدريسي في «نزهة المشتاق» بقوله: «ومن مدينة سلي وتكرور إلى مدينة سجلماسة أربعون يومًا بسير القوافل، وهي أقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة الصحراء أزكى (أزاقى)، وبينهما خمسة وعشرون مرحلة، ويتزود بالماء فيها».

أنظر: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي (ت. 560هـ/1166 م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المكتبة الثقافية بمصر، د.ت.، ج. 1، ص. 19.

– ونجراته أو انجراته: إقليم على نهر النيجر يقيم به شعب الصوصو وشعب ماندينغ الذين عرفوا بسك النقود الذهبية، وهي وَنْقَارَة عند الإدريسي الذي وصفها بأنها بلاد التبر، وهي المشهورة بالطيب وكثرة الذهب من ترسبات نهر النيجر، يشتري ذهبها تجار العرب وخاصة من ورقلة (أنظر: الإدريسي، ج. 1، ص. 24). وهي منطقة ضمن مملكة غانة عرفت بكونها مصدرًا للذهب. ذكر ابن سعيد المغربي: ترقي، مداسة، سفمارة، سمقندة، غربيل.

– واغْري: على ساحل النيجر بماسينا الغربية، تسمى دياغارا من قبل الماندنغ ودياغار من قبل الفلاَن (البول).

– الزغاوة: من الشعوب التي جمعت بين التأثيرات الزنجية والحامية، انتشروا منذ القرن 2 هـ/8 م من بلاد دارفور وحتى بحيرة تشاد (انتشر بينهم الإسلام منذ القرن 5 هـ/11 م)، تعرضوا في القرن 6 هـ/12 م لهجرة عناصر من الطوارق والتوبو والتدا الذين حكم شعب زغاوة، وأسست إحدى أسرهم سلطنة كانم، وتعرف بالأسرة السيفية نسبة لبني سيف أو سيف بن ذي يزن حسب الاعتقاد الشعبي. ذكر ابن سعيد أن قاعدتهم تاجورة.

– تكدًا: تيكيدًا، وهي على الأرجح أزليك (Azelik) أزواغ: تقع بمنطقة العير (غاو) على الطريق إلى كوكو وغدامس على بعد 280 كلم شمال غرب أغاديس.

– تاودني، تاودوني: 100 كلم شمال تغازا، قرية حول سبخة الملح (تغازي الغزلان) على بعد عشرة أيام من تومبوكتو، محطة في طريق المغرب بالقرب من مناجم ملح بعد خراب تغازا.

المعقلية.[70] قال الشيخ محمد صالح بن عبد الوهاب البيضاني الحوضي.[71]

وثار ببلاد هَوْصَ (هوسا) هذه سوداني فلاّني اسمه عثمان بن فودي[72] كان من أهل العلم والدين في حدود سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ثم استولى الشيخ [31] عثمان المذكور على بلاد هَوْصَ كلها وقطع منها دولة ملوك السودان قبله.

70 - **المغافرة**: من عرب حسان **المعقلية** ينتمون في أصولهم إلى بني سليم الذين قدموا من صعيد مصر إلى بلاد المغرب (بنو هلال) فيما يعرف بالتغريبة الهلالية (ق. 5 هـ/11 م)، وقد حاول السلطان المريني يعقوب ومن بعده السلاطين السعديون إبعاد معقل نحو الصحراء لتميزهم بالغلظة والعنف والرغبة في التسلط. فانساحوا نحو وادي الذهب (ق. 6 هـ/12 م) وتغلبوا على جهات القبلة (شنقيط) (ق. 9 هـ/15 م)، فأصبحت كلمة حساني تطلق محليًا على من يحمل السلاح ويتميز بالعنف واستعمال القوة؛ والمغافرة هم إحدى فروع حسان فرضوا نفوذهم على أنقاض مشيخة أولاد رزك الحسانية حوالي 1040 هـ/1632 م، وانتهى نفوذهم مع خضوع بلاد شنقيط للفرنسيين (حوالي 1321 هـ/1903 م)؛ وقد أصبحت مع مرور الزمن كلمة مغفري تدل على الشهامة والتحلي بالمروءة والابتعاد عن كل ما يزري.

71 - الشيخ محمد صالح بن عبد الوهاب البيضاني الحوضي الناصري (ت. 1271 هـ/1854 م): عالم جليل جمع التاريخ والشعر إلى الفقه واللغة، له العديد من المصنفات منها «الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية» (حققها أحمد بن محفوظ). أنظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص. 520.

72 - الشيخ عثمان بن محمد بن صالح فوديو (1168-1232 هـ/1754-1817 م): أحد زعماء الفلاّن أو الفولاني (البول) في بلاد الهاوسا، ينتسب إلى قبائل الطرونكة (Torobé) التي نزحت من حوض السنكال نحو بلاد الهاوسا. ولد بماراتا على نهر النيجر بمناطق غوبر (جوبير)، وتحصل على ثقافة دينية ولغوية على يد العديد من العلماء منهم: عبد الرحمن بن حمدة وعثمان بدور وأحمد بن الأمين وجبريل ومحمد بن عال. أخذ بالطريقة القادرية عن الشيخ جبريل بمدرسة أغاديس، وتأثر بالدعوة الوهابية عندما أدى فريضة الحج. عرف بصلاحه ودعوته للتوحيد والرجوع إلى الكتاب والسنة وإحياء سنة الجهاد ضد الوثنيين (1795 م)، فتجمع حوله الأتباع بغوبر وأعلن الجهاد ضد ملك غوبر الوثني (1804 م)، وسيطر على كامل شمال نيجيريا بعد استيلائه على كانو (1809 م)، فامتدت دولته من نهر بنوي في الجنوب الشرقي إلى بحيرة تشاد في الشمال وإلى تومبوكتو في الغرب، وعرفت بسلطنة سوكوتو (Sokoto)، وحمل الشيخ عثمان لقب قائد الأمة وهو ساركن (Sarkin) بلغة الهاوسا. وبعد أن ترك عثمان بن فوديو الحكم لابنه محمد بيللو (1811 م) قضى السنوات الأخيرة من حياته (توفي عام 1817 م) بعيدًا عن مشاغل الدنيا ومتفرغًا للعبادة والذكر والتعليم والتأليف. تتلمذ عليه العديد من رجال الإصلاح منهم: أحمد لوبو حاكم ماسينا. كما ترك ما لا يقل عن تسعين مصنفًا جلها في التصوف والفقه والقضاء والأدب منها: «عمدة العباد في الإرشاد» و«تمييز المسلمين» (من الكفار) و«هداية الطالب» و«سوق الصادقين» في التصوف و«المسائل المهمة» في المسائل الفقهية كالبيعة والجهاد ونصائح الأمة في الحق على الاقتداء بالرسول (ص) و«أصول الولاية» و«إحياء السنة» و«إخماد البدعة» (منها مخطوط بمكتبة باريس الوطنية، رقم 169 م.ن.) و«تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان» و«نور الألباب» (ترجم إلى الفرنسية في المجلة الآسيوية، 1897-1898) و«بيان البدع» و«ترغيب العباد» و«عمدة العلماء» و«شفاء العليل» و«العقل الأول».

23 - رسالة محمد بل بن عثمان بن فودي إلى أهل الحرمين

ثم ملكها بعده ولده محمد بلّ بن عثمان فودي[73] وتسمى بأمير المؤمنين وكتب رسالة إلى أهل الحرمين الشريفين وعلى أهل المشرق وبعث بها أمير حجاجه علي بن نوح من قومه ونص رسالته كما بلغنا في كتب الحاج محمد الخويلدي الأوجلي رحمه الله تعالى الذين أتى بهم حجاج تيشيت إلى ولاتة في أواخر ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين وألف ونقلته من الكتب المذكورة التي أتى بها الحاج سيد أحمد بن الأمين بن إبراهيم الغلاوي المالكي التيشيتي:[74] «الحمد لله ذي الجلال والإكرام لمنته علينا بنعمة الإيمان والإسلام وبيانه لنا معالم الحق هاديًا لنا بنوره إلى الصراط المستقيم ولا نختبط خبط عشواء في الظلام وأثني عليه في بادئ الأمر وعانده، وأشكره على وافر عطائه ورافده وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد الذي ليس لنهايته أمد وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله من بختم النبوءة والرسالة انفرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه في كل أمد، من أمير المؤمنين محمد بلّ نجل الشيخ الإمام الأعظم العارف الرباني عثمان بن فودي محمد إلى حضرة أهل الله تعالى الذابين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموالين لمن والاه المعادين لمن عاداه أهل الطريقة ومعادن الشريعة والحقيقة ممن جاز عليه كتابنا وألقي إليه من أهل المشرق العالمين لأمر الله تعالى بالحق بأنا نقرأ عليكم السلام ونحييكم بأحسن تحية وأطيب كلام ونعلمكم بأنا مشتاقون إلى لقائكم والانتظام بكم ونعلمكم أيضًا حقيقة أمرنا فيما جرى بيننا وبين ملوك بلادنا مما عسى أن يبلغكم على غير وجهه لبعد المسافة لتكونوا منه على يقين وبصيرة وتقفوا على العين منه والصورة وما دعت إليه من ذلك الحاجة والضرورة فتعلموا رحمكم الله تعالى أنا ما حاربنا ملوك بلادنا إلا دفعًا عن أنفسنا

73 - محمد بيللو أو بللو أو بلّ بن عثمان بن فوديو (1196-1253 هـ/1783-1838 م): تتلمذ على أبيه الشيخ عثمان وجاهد بجانبه ونجح في قتل ملك غوبر (جوبير) يونفة. جمع بين العلم والصلاح وسداد الرأي والالتزام بأحكام الشرع. تولى حكم القسم الشرقي من مملكة أبيه، ثم خلفه في الحكم سنة 1817 م، ولقب بأمير المؤمنين (ساركين مسلمي)، واستمر حكمه 21 سنة، وعندما توفي خلفه أخوه عتيق أبو بكر. عرف محمد بيللو بثقافته وسعة اطلاعه وشغفه بالتأليف، فترك ما يناهز مائة مصنف في مختلف أصناف العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية، منها: «مفتاح السداد» و«روضة الأفكار» (في التصوف)، و«إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» (انظر هامش رقم (170)، ص. 145، وهامش رقم (314)، ص. 215.

74 - الحاج أحمد بن الأمين بن إبراهيم الغلاوي المالكي التيشيتي (حوالي 1289-1331 هـ/1872-1913 م): كان عالمًا بالأدب والسير، رحل إلى المشرق من بلدة شنقيط وأدى فريضة الحج (1317 هـ/1899 م)، وتجول في العديد من الأقطار منها الأقطار الإسلامية الخاضعة لروسيا والدولة العثمانية والشام، وعاد إلى القاهرة (1320 هـ/1902 م) حيث استقر حتى وافته المنية. ترك العديد من التصانيف.

وديننا وأهلينا لما آذونا واستفزونا وطلبوا منا أن نعود إلى ما لا يحل لنا، وقد بين الشيخ [32] المبارك عثمان بن فودي الحق فاتبعناه، فأغروا بنا سفهاءهم يؤذوننا وينهبون أموالنا ويقطعون طرقنا ونحن نجتهد في إصلاح ديننا ونشرنا ما عندنا من العلم وأرشدنا من وصل إلينا وهذا دأبنا ودأبهم، ولما رأوا أنا لا ننتهي عن ما نحن فيه ولا يزداد أمرنا إلا حسنًا وابتهاجًا ولا يزال عوام الناس يدخلون في دين الله أفواجًا غاظهم ذلك فأجمعوا كيدهم على نصب القتال بيننا ولا يشكون أن الدولة لهم لما يرون من ضعفنا عن القتال.

24 - الرسالة تخبر عن تعدي أمير غوبر وابنه ينف على المسلمين

فلم يرعنا إلا إنذار أمير غوبر[75] بثلاثة أمور، أنه لم يرض لأحد أن يعظ الناس إلا الشيخ وحده ولم يرض لأحد بالإسلام إلا وارثه من آبائه ومن لم يرث الإسلام فليغد إلى ما وجد عليه آباءه وأجداده وأن لا يتعمم عمة السنة بعد اليوم ولا تضرب امرأة بخمارها على جيبها، وهذا إنذاره في المشاهد والأسواق وكل ذلك سعيًا منه في مكيدتنا فكفانا الله تعالى كيده وأتاح الله تعالى له الموت بعد ذلك عن قريب، ولما ولي ابنه ينف شمر عن ساق الجد والاجتهاد على ذلك حتى غزا قرية عظيمة من قرى الإسلام على حين غفلة من أهلها فقتلوا بها ما شاء الله تعالى من الفقهاء والقراء عددًا كثيرًا في نهار رمضان وهم صائمون ونهبوا أموالهم وأسروا ذراريهم وجعلوا يفترشون الكتب والمصاحف ويحتطبون الألواح ويوقدون بها ويستهزؤون بأهل الإسلام ويسخرون منهم ويقولون لهم إيتونا بما تعدوننا إن كنتم صادقين، ثم جعلوا يعرضون بأهل الإسلام ويسخرون منهم بقرية الشيخ ويحومون حولها حتى أرسل أميرهم إلى الشيخ أن ينحاز بأهله وإخوانه وأبنائه فإنه يريد أن يهجم على القرية فأبى عليه الشيخ إلا أن يهاجر بجماعته فهاجر بهم إلى موضع يقال قد فلما وصل إليه جعل

75 - أمير غوبر أو غوبير أو جوبير (Gobir)، إقليم في منطقة مرادي (Maradi) غرب نيامي الحالية: وهو الملك الوثني يونفا (يونفه) الذي حارب عثمان بن فوديو عندما بدأ بالدعوة لحركته الإصلاحية (1775 م)، فطلب منه في مركز دعوته بديجيل إطلاق سراح من أسره وإعلان الخضوع له وهدده بإلقاء القبض عليه (1795 م)، فتحول عثمان بن فوديو عام 1804 م إلى جودو غرب مملكة جوبير حيث اجتمع حوله الأنصار وأعلن الجهاد على ممالك الهاوسا وعرف بقائد المؤمنين (ساركين مسلمي)، وتصدى لملك جوبير من 1804 إلى 1809 م، وبعد موت الملك يونفا (1808 م) خضعت أرض جوبير كلها لأنصار عثمان بن فوديو وتم الاستيلاء على العاصمة الكلوة (1810 م)، وشمل توسع أنصار عثمان بن فوديو مناطق زنفارا وزيارة وكاتسينا وكانو (1809 م)، وأصبحت السيادة في تلك المناطق للأنصار والمجاهدين الفلان (الفولانيين) بعد أن ألحقت الهزيمة بملوك كاتسينا وزازو ودورة وأدر.

الناس ممن أثر الإسلام يهاجرون إليه إرسالاً والكفرة تتعرض لهم وتقطع عليهم سبلهم بأمر أميرهم، ثم بعد ذلك يرسل إلينا بالسرايا والغارات والشيخ يكاتبهم فأبوا عليه مع أن الأمير يتجهز [33] للمسير إلينا، فلما وصل إلينا هزمه الله تعالى وشتت شمله ونجا بنفسه.

25 - التغلب على المناوئين وتنظيم البلاد وإقرار الشريعة

ولما رجع إلى داره أرسل إلى إخوانه أمير كاشنة وأمير كنو وأمير زوزو وأمير دورا وامير أزبن وأمير برنو ينذرهم بأنه أهمل نويرة شبت في بلده حتى انتشرت فوق طاقته وغلبه أن يطفئها فأحرقته فليحذر كل منكم أن يصاب في بلده بمثل ما أصيب هو به، فقام كل واحد منهم على من ينتسبون إلى الشيخ يقتل ويأسر، ففروا في البلاد عباديد يأوي بعضهم إلى البعض حتى صاروا جماعات فجعلوا يدافعون عن أنفسهم حتى صار الأمر في هذه البلاد إلى ما صار إليه وجرت بيننا وبينهم وقائع عظيمة وخطوب جسيمة، فأمدنا الله تعالى بجنوده وأيدنا بنصره، وشاهدنا من سلطان قهره وشديد انتقامه وانتصاره لأوليائه عجائب وغرائب وكرامات لأوليائه مما يزيد المؤمنين هدى وإيمانًا ويكسب الكافرين ذلاً وخيبة وخسرانًا، فلما مكننا الله في تلك البلاد جعلنا على كل إقليم عاملاً لنا يقوم بأمر الله تعالى فيه ويحملهم على الكتاب والسنة والسياسات الشرعية ويكفهم عما لا تحتمله القواعد الشرعية من العوائد والبدع الشيطانية، فكانت تلك البلاد بسبب ذلك صافية المناهل للوارد والصادر والعاكف والباد، كل آمن في سربه غير مكدر شربه، وخليت فيها السبل وسبلت وسارت الرفاق وقفلت ولا تخاف شيئًا إلا الله تعالى والحمد لله تعالى على ذلك، هذا وإنا قد بعثنا الحاج المبرور علي بن نوح إلى بيت الله الحرام مع من أراد من الإخوان الحج والزيارة لمدينة الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وقد جعلناه أمير حجاجنا ونترقب قدومه علينا وبالله تعالى على ذلك نستعين ونعزم إن رجعه الله تعالى إلينا أن نسير بأنفسنا إن شاء الله تعالى إلى الحرمين الشريفين، ثم إنا نطلب ممن هنالك من الفقهاء [34] والقضاة من أمكن له الوصول إلينا أن يقدم علينا حتى نستفيد مما علمه الله تعالى رشدًا، ونعلمكم أيضًا أن كل من أسره العدو من الجماعات المنتسبين وباعوه من التجار الذين يجلبون إليكم فإنه حر مسلم لا يحل استرقاقه، فاسعوا جهدكم في تحصيلهم وافتكاك رقابهم من الرق آجركم الله تعالى على ذلك والسلام، انتهت الرسالة.

ثم قال بعد كلام لا يتعلق بالرق، هكذا أوجده كويتبه محمد الصالح بن عبد الوهاب أحمد بن الحاج عبد الوهاب، قلت ومحمد بلّ هذا هو الذي جعله أبوه الشيخ عثمان أميرًا على جيش وأعطاه الراية فسار مع جيش قليل فجاوز البحر وقت المساء وقد وجدوا الكفار ينتظرونهم على الفراض الغربية،[76] فعبروا إليهم وطردوهم وقتلوا من قتلوا، فهربوا وتركوا حصونًا عديدة وراء البحر واجتمعوا إلى عظيم حصنهم إلو، فسار إليهم محمد بلّ بجيشه فقاتلهم فيه ففتحه الله لهم فقتلوا وأسروا ورجعوا سالمين غانمين، ثم بعد رجوعهم بقليل جمع محمد بلّ بن أمير المؤمنين عثمان جيوشًا إلى بلاد قار وأهلها كفار طغاة يغيرون على بلاد الإسلام ولم يفتح بلادهم ملك قط لأنها ذات حصون وقلاع وجبال وأودية، فسار محمد بلّ مع الجيوش حتى وصل إلى بلادهم ففتح حصونهم بعون الله فقتلوا وأسروا وأسر ملكهم وجيء به مغلولاً بين الأسارى والحمد لله على ذلك. قال الشيخ عبد الله بن فودي[77] في «تاريخ وقائعهم مع أهل هوص»، نظمت في ذلك قصيدة وهي هذه:

حمدا وشكرا لربي الواحد البار
على هلاك طغاة من بني قار

إلى أن قلت:

يقودهم بلّ[78] في خيل وفي رجل
بين الليوث كليث ثائر ضار

إلى آخرها والغرض الإلمام لا الإتمام.

76 - تعليق المؤلف: وقوله على الفراض الغربية وفي القاموس الفراض فوهة النهر وفيه أيضًا الفوهة من السكة والطريق والوادي، والنهر فمه كفوهته بالضم مع التخفيف، والفوهة أول الشيء كأول الزقاق، والنهر يقال طلع علينا فوهة إبلك أي أولها، إلخ عن «القاموس» و«التاج».

77 - الشيخ عبد الله بن محمد فوديو: وهو الأخ الأصغر لعثمان فوديو (1759-1830 م)، ولد في مارتا وأخذ العلم عن أبيه وأخيه عثمان وجملة من علماء بلده (بغواندو)، فلقب لذكائه وسعة معارفه بنادرة الزمان. تتلمذ عليه رجال إصلاح وزعماء جهاد منهم محمد بيللو (أنظر هامش رقم (73)، ص. 99)، والشيخ أحمد لوبو (أنظر هامش رقم (85)، ص. 108). قدر عدد مصنفاته بخمس وسبعين منها «ألفية الأصول» و«البحر المحيط» (في النحو)، و«الحصن الحصين» (في الصرف)، و«ضياء التأويل» (في التفسير)، و«ضياء الحكم» (في السياسة والإدارة)، و«تخميس العشريات وتزيين الورقات» (في الأدب واللغة). جمع العلم إلى السياسة والتصوف إلى الجهاد، فتولى حكم القسم الغربي من مملكة أخيه عثمان بن فوديو.

78 - إشارة إلى جهاد محمد بلّ بن عثمان بن فوديو (أنظر هامش رقم (73)، ص. 99).

[35] وغدامس[79] بالضم ويفتح وإعجام الذال بلد بالمغرب ضاربة في بلاد السودان، منها الجلود الغدامسية وهي مدينة لطيفة قديمة أزلية في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة، إليها ينسب الجلد الغدامسي وأكثر طعامهم التمر والكماة وتعظم الكماة في تلك البلاد حتى تنحت، فيها اليرابيع والأرانب جحورًا، ومن غدامس يدخل إلى بلاد تادمكة[80] وغيرها من بلاد السودان وبينهما أربعون مرحلة وأهلها بربر مسلمون متلثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة[81] وغيرهم، من كتاب الشيخ محمد الصالح بن عبد الوهاب الحوضي ببعض اختصار وحذف.

79 - غدامس (Cidamus): واحة بالصحراء الكبرى جنوب غرب طرابلس بحوالي 670 كلم، تعتبر من أهم محطات الصحراء، ذكرتها المصادر القديمة (الرومانية) كمركز لقبائل الجارامانت، وأصبحت مقصد التجار ومحط القوافل بين بلاد المغرب والسودان منذ أن فتحتها سرية من جيش عقبة بن نافع سنة 47 هـ/667 م. وقد عرف سكانها من بربر (بني وازيت) وعرب (أولاد بليل) وزنوج بممارسة التجارة والاشتغال بزراعة النخيل والبساتين لتوفر الينابيع الطبيعية (الإرتوازية) بها. خضعت لبايات تونس وأصبحت مركزًا ثقافيًا، فأمها الفقهاء وطلبة العلم وانتشرت بها الزوايا، وانتسب أهلها للطرق القادرية والتجانية والسنوسية، وأثناء ذلك غدت محطة رئيسية تربط تومبوكتو وسوكوتو بطرابلس وتونس. ذكرها العديد من الرحالة والجغرافيين المسلمين منذ البكري والقزويني وحتى ابن خلدون وأبو الفداء وياقوت الحموي والحسن الوزان، فأشادوا بصلاح أهلها وجودة جلودها وازدهار تجارتها وخصب واحتها وعظمة آثارها الرومانية؛ كما وصفها الرحالة الأوربيون في أسفارهم عبر الصحراء مثل لنغ (1826) ودسون (1845) ودوفييه (1860) ويوهلكس (1875). احتلها الإيطاليون سنة 1913 واتخذوها قاعدة في توسعهم نحو الجنوب (1924) قبل أن تتحرر من سيطرتهم (1943) وتحافظ على مكانتها كمدينة ليبية إقليمية متاخمة للحدود التونسية والجزائرية.

80 - تادمكة أو تامدكت: إحدى المراكز التجانية في الصحراء، تقع على بعد نحو 25 كلم من كيدال إلى الشمال من غاو؛ تعرف تادمكة في بعض المصادر بالسوق، ويرجح أن عقبة بن نافع الفهري وصل إليه عند توغله في الصحراء (حوالي 61 هـ/681 م). ينسب إليها العالم المصلح سيدي أحمد بن آد السوقي (ت. 1044 هـ/1634 م).

81 - لمتونة: من بدو البربر القاطنين بالصحراء الكبرى والمنتسبين إلى صنهاجة الملثمين الذين أقاموا دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس، مركزهم أودغشت حيث ظهرت بينهم حركة جهاد بزعامة يحي بن إبراهيم ثم أبي بكر بن عمر اللمتوني مكنتهم من إقامة دولة قضت على مملكة غانة واستولت على عاصمتها كومبي صالح (469 هـ/1076 م). انظر هامش رقم (146)، ص. 135، وكذلك هامش رقم (200)، ص. 169.

مسوفة: قبيلة بربرية قدمت من إقليم تندوف في ق. 2 هـ/8 م واستوطنت الجهات الواقعة إلى الشمال من نهر السنغال، واشتهر أفرادها كأدلاء في الأطراف الصحراوية. وقد تمكنت في فترة متأخرة من الاستيلاء على مملكة تيفرادي، ثم انتزعتها منهم قبيلة البرابيش. من مراكز مسوفة أزكى إحدى محطات طريق السودان بين النيجر وسجلماسة.

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من تاريخ هوس، ونقل إن محمد بلّ هذا هو الذي كتب للشيخ الحاج عمر الفوتي براوة[82] أرسلها معه إلى أهل فوت تور حين مروره بهم راجعًا من الحج ونصها: بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، فسلام تام على محفوف بمزيد بر وإكرام إلى حضرة الإخوان والخلان من بني طور وخصوصًا العلماء والأمراء والصلحاء من القبائل والجد أميرًا، الجموع.

منا إليكم سلام رابح
كأنه ورد مسك فائح
ومثله لمثلكم يكافح
وبالغ إليكم مصافح
و نور بدره منير لائح
كأنه بريد بشر فالح

أما بعد حمدًا لله على جزيل نواله وكثرة أفضاله والصلاة والسلام [36] على سيدنا محمد وآله، رزقنا الله وإياكم كل خير وأعاذنا وإياكم من كل شر، فإنه وصل إلينا الحاج الأخ الأجل المنظر أبي الناظور عمر بن سعيد العلم الناصح المشهور بتوسم الرجال ويزن المثقال بالمثقال، فسعدنا لرؤية وجهه الشريف وتبركنا بمواجهة شخصه المنيف وتوسمنا منه أنوار العناية وطلع علينا من أفقه بدر الهداية، ومن أعجب العجائب كون المطالع من المغارب، فإذا هو ضالتنا المنشودة وطلبتنا المفقودة، فأخذ بمجامع قلبنا وذهب بمعاقد لبنا، وحين رجع إلينا بعد قضاء المناسك وبلوغ المراد من تلك المسالك وقد امتزجت قلوبنا كامتزاج الماء

82 - البراوة أو البرية وجمعها براوات أو بريات: لفظة دارجة شائعة ببلاد المغرب العربي وبالسودان الغربي، ويقصد بها الرسالة أو البريد، وهي كما وردت عند المؤلف وسيلة مستعملة للدعاية ونشر الخبر، تتماشى والظروف الاجتماعية السائدة آنذاك في السودان الغربي، وكان الهدف المتوخى منها الترويج لبعض الأفكار والاعتقادات بين الأوساط الشعبية، وعادة ما ترد فيها عبارات تتوعد من يطلع عليها ولا يعيد نسخها عدة مرات وتوزيعها بالدعاء عليه بالثبور وسوء العاقبة.

بالشاي واشتبكت أرواحنا اشتباك الروح بالجسد لما سبق من مناسبات (.....) باطنية، كما ورد الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، تشبثنا به فانتشب وتعلقنا به فاصطحب، والقلب إلى الوطن وللحنين إليكم يكاد يطير والجسد من شدة الاشتياق ينهض وتلبثه المقادير، ونحن نرى مفارقته علينا من ناقع الموت وفوت المحبوب أي فوت على أننا لم نجهل ما يحق لكم عليه وعلينا فتأخرنا واستأنينا [أي انتظرنا] ورأينا آن نكتب إليكم كتابًا لتفقد أحوالكم وتعهد عرى حبالكم والسؤال عما جرى هنا لكم أجراه الله على وفق آمالنا وإلى الله ترجع الأمور، فعسى أن يأتي بالوصل المقدور:

أقل من التحنان واستنهض الصبرا
فيوشك أن يلقي زنادك قد أورى
وصابر خطوب الدهر ما جل وقعها
فإمرارها بعد البشاعة تستمرا
ولا تيأس من ذي وداد إذا نأت
به الدار أن يلقى اجتماع به قرا
فكم قرت العينان من ذي صبابة
فأفلح بعد النحس والفتنة الكبرى

[37]

و كم سرت السراء قلبًا مبلبلاً
وسر كما ضارتك ضرتها الأخرى
ومن بعد ما جدب توافيك نجدة
من الغيث تحيي القوم والسهل والوعرا
بأقهب هطال غزير هموعه
يجلد بطن الأرض بالصوب والظهرا
إذا هتفهت فيه الرعود تعاقبت
بوارقه فاستنضت الدر والدرا
فأسقي به في أرض فوت أحبة
وإخوان صدق قاطنين بها طرا

معاريق أجوادًا شماريخ شمخًا ... أنافوا بمجد في الورى أمرهم شورى

فمن ذي سباق في العلوم مبرز ... يبين عويصات المسائل إن قرا

ومن مستحث في المعالي بهمة ... وفازوا بملك لا يعار ولا يشرى

ومن دافع كيد العدى ومجاهد ... معد له النفط المدافع والسمرا

و من زاهد مستنفض القلب عابد ... على سعيه في ربه استنفد العمرا

فكل على نهج قويم مسبل ... إلى الفوز بالخيرات فاشرح به الصدرا

أولئكمو قومي وأصل عشيرتي ... لطور بني إسماعيل نعزى ونستقرا

فأبلغهمو شوقي لهم وتحنني ... إليهم وتهيامي وإن بعدوا قطرا

كساهم إله العرش جلباب رحمة ... تقيهم من البأساء ما صاحبوا الدهرا

انتهت.

و هذا السلام من أخي بني طور محمد بلّ بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد عور بن محمد جبّ بن محمد تتب بن ماسبران بن أيوب بن بوب باب بن ببل بن موسى بن جكل الطوري الفوتي. وموسى بن جكل هذا هو الذي انتقل من فوت لما جرى بينه وبين أخيه من أمور الولاية على قومه ما جرى، غفر الله للجميع بجاه سيدنا محمد الشفيع صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام والسلام.

29 - أصل كلمة فوت تور

قلت وقد أثبت أن اسم طور اسم رجل واسم أبيه إسماعيل وأن أهل فوت طور بنوه وإذا صح ذلك يحتمل أن يكون أهل قبيلة تور لقبهم [38] مشتق من اسمه وغلب على غيرهم من الألقاب أسماء أبائهم الآخرين أو أسماء بلدانهم أو غير ذلك والله تعالى أعلم.(83)

30 - رحلة الشيخ الحاج عمر إلى الحج واستقراره في أرض الهوسا

واعلم أن الشيخ الحاج عمر(84) خرج من فوت تور قاصدًا للحج وعمره حينئذٍ خمس وعشرون سنة، فلما وصل إلى أرض ماسينا وجد هنالك الملك العادل والشيخ الكامل المعروف بشيخ أحمد لبّ(85) وأحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد لبّ حينئذٍ رضيع، ثم تجاوز

---

83 - يورد المؤلف رواية عن نسب فوت طور، تعتبرهم عقب رجل يحمل نفس الاسم، وإن تعددت بعد ذلك ألقابهم نسبة إلى أسماء أبائهم وبلدانهم، مما يؤكد صعوبة الإحاطة بنسب أو بتفرع القبائل السودانية التي اجتهد المؤلف نفسه في ذكر ما انتهى إليه من انسابها (أنظر هامش رقم (5)، ص. 69).

84 - الحاج عمر أو عمر تال بن سعيد الفوتي (1212-1281 هـ/1797 - 1864 م): داعية ومصلح ومجاهد ينتسب إلى شعب التكرور (التوكولور). ولد بالوار (Alwar) قرب بودور (Podor) بمناطق التكرور بفوتا جالون. اكتسب ثقافة دينية ولغوية ومال إلى التصوف وأخذ بفكرة الجهاد أثناء رجوعه من الحج وإقامته عند محمد بيللو بن عثمان بن فوديو في سوكوتو (1830-1837 م) الذي زوجه إحدى بناته فولدت له الحبيب والمختار. تعصب للطريقة التجانية التي انتسب إليها بواسطة محمد الغالي مقدم التجانية بالحجاز الذي أقره خليفة للتجانية بالسودان. واعتبر الوثنيين وأتباع الطريقة القادرية أعداء له، واقتنع بأن العناية الإلهية قد هيأت له الظروف لأداء هذه المهمة، فانطلق من زاوية دياغوكو (Diagouku) في غينيا عند تخوم فوتا جالون، وأخذ بفكرة الجهاد التي عبر عنها في تصنيفه «رماح حزب الله» (1852 م)، وغزا مملكة البمبارا الوثنية واستولى على عاصمتها نيورو (Nyoro) بإقليم كارتا (1854 م)، واستولى على مملكة سيغو (السيجو) (1861 م)، وواجه الفرنسيين، وتوسع في مناطق الفلاّن (الفولاني، البول (Peuls)) بماسينا وقضى على حاكمها القادري أحمد الثالث حفيد أحمدو لوبُّو (1862 م)، كما واجه أتباع شيخ الطريقة القادرية بزعامة الشيخ محمد البكاي عندما استولى على تومبوكتو (1863 م)؛ فتشكل حلف معاد له من الفولاني في ماسينا وحكام البمبارا وأتباع القادرية، مما اضطره إلى الاعتصام بإحدى المغارات حيث مات مختنقًا بالدخان (1864 م)؛ فخلفه ابنه أحمدو شيخو الذي حافظ على دولة التكرور التي أقامها أبوه وتابع نشر الطريقة التجانية من عاصمته سيغو، إلا أن الفرنسيين تمكنوا من القضاء على هذه الدولة في عهد خلفائه (1898 م).

85 - أحمد لوبُّ أو أحمد لبُّ: المعروف بسيكو أو شيخو أحمدو لوبُّو (1775-1845 م): ينتسب في أصوله إلى قبائل الفلاّن (الفولاني) القادمين من فوتا تورو. ولد بقرية سبيرة على نهر النيجر، واكتسب ثقافته الدينية بمدينة جني (1805 م)، وانتسب إلى الطريقة القادرية على يد عثمان بن فوديو، وأعلن الجهاد على الوثنيين وخاصة البمبارا، وقد بدأ حركة الجهاد في ماسينا (1817 م) وتصدى للدفاع عن جني وأسر حاكمها الوثني، وقضى على سلطة حكام سيغو الوثنيين البمبارا، فامتدت سلطته من تومبوكتو شمالا وفوتا السوداء جنوبًا وكالا غربًا. وفي سياق ذلك تمكن من السيطرة على ماسينا والقضاء على بقايا الحكم المغربي بتومبوكتو (1827 م)، وجعل عاصمته حمد الله على نهر باني (1815 م)، أسس مملكة ماسينا وادعى النسب الشريف واعتبر نفسه

الشيخ عمر وجد في سيره حتى وصل أرض هوس ووجد هنالك الولي الفاضل والأمير العادل الشيخ محمد بلّ بن العارف بالله تعالى الشيخ عثمان فودي رضي الله عنهما، ومكث هنالك مدة طويلة في أرغد عيش وأنعم بال حتى دخل التعارف والمودة والثقة بينه وبين أهل تلك الأرض وتزوج فيهم امرأتين إحداهما أم ابنه الكبير أحمد وتسمى ستور، والأخرى أم ابنيه محمد الحبيب ومحمد المختار، وذهب بهما حتى وصل إلى أرض الحجاز وحج بيت الله الحرام، ثم لما تم حجه قصد المدينة المنورة للزيارة وفيها التقى مع شيخه ومربيه الشيخ محمد الغالي التجاني[86] ومكث معه يخدمه ثلاث سنوات، ثم ارتحل إلى أرض الشام مع زمرة الحجاج حتى بلغها وقت الصيام، ثم بعد ما حصل ما حصل له في الشام من المال رجع إلى الحرمين موادعًا لشيخه الشيخ محمد الغالي، وظعن من أرض الحجاز راجعًا إلى ناحية المغرب حتى ساقه لطف القضاء إلى أرض هوس فتلقاه واليها بالترحيب والفرح والسرور وأخذه وقال من لي بالمكث معك ما بقيت يا له من فضل ومزايا، ومكث فيها مدة أربعة أعوام في ضيافتهم حتى جعلوه رئيسًا لجيوشهم وكل جيش هو فيه يغلب ولا ينهزم غالبًا حتى كثرت عنده الأموال والأزواج والأولاد والعبيد والإماء والولائد، فسمع أهل فوت تور بخبره وأنه في أرض هوس هنالك، فارتحل إليه أخوه الكبير المسمى بألفا أحمد متوجهًا نحوه [39] وهو والد التجان بن ألفا أحمد[87] والي أرض ماسن، فوجده في هوس فقال له يا أخي قدمت من أرضنا للقياك لما سمعنا أنك ماكث هنا، فأجابه مرحبًا بك أهلاً وسهلاً وأكرمه وأنزله في دار ووهبه جارية جيدة أسيلة الخد وهي التي ولدت الأمير تجان في أرض ماسينا وقت رجوعهم إلى المغرب، ثم ظعنوا من أرض هوس ذاهبين إلى أرض ماسينا وهكذا يرميهم بلد عن بلد إلى أن وصلوا إلى فوت تور. هكذا رأيته في تاريخ ألفه بعض تلاميذه والله تعالى أعلم.

المهدي المنتظر وأخذ البيعة لنفسه، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد الثاني (1845–1852 م)، ومن بعده أحمد الثالث الذي قضى على حكمه الحاج عمر الفوتي في حركته الجهادية (1279 هـ/1862 م).

86 – أبو عبد الله سيدي محمد الغالي الشريف الحسيني (ت. 1294 هـ/1877 م)، التقى بأحمد التجاني في فاس وأصبح من خاصته، وأخذ الإجازة عنه. أخذ عنه سيدي مولود فال أسرار الطريقة التجانية. انتقل إلى الحرمين الشريفين بعد وفاة الشيخ أحمد التجاني، وقد التقى به الحاج عمر بالمدينة المنورة بعد أن خبره عنه مولود فال. أنظر: الشيخ التجاني بن الشيخ الهادي، طوالع السعود في حياة ومناقب غلام التجاني أبي السعود، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، 2008، ص ص. 58-99.

87 – تعليق المؤلف: وقيل إن مولد تجان بن ألفا أحمد كان في بعض بلاد فوت جلو والله تعالى أعلم.

31 – من كرامات الشيخ عثمان بن فودي

واعلم أن محمد بلّ هذا كان أبوه وليًا كاملاً اسمه الشيخ عثمان بن فودي محمد وله أخ شقيق أصغر منه اسمه الشيخ عبد الله بن فودي محمد[88] وهو أيضًا من أهل العلم جدًا وإمام كبير في أمور الدين وله تواليف عديدة مجيدة منها تفسيره للقرآن المسمى «ضياء التأويل»، وكتاب يسمى «ضياء الحكام»، وكتاب يسمى «ضياء المجاهدين» وغير ذلك من الكتب نفعنا الله بعلومه وأسراره وأنواره، وكذا لأخيه الكبير الشيخ عثمان فودي تواليف رائقة فائقة عديدة وكرامات خارقة وأنوار بارقة وأسرار صافية رائقة نفعنا الله به آمين. وقد رأيت في تأليف للعلامة الشيخ الهاشمي بن ألفا أحمد بن سعيد بن عثمان الفوتي الطوري أصلاً المدني وطنًا التجاني طريقة، حيث قال عند تعداد من رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة: وأما الشيخ عثمان فودي الفلاّني قبيلة الحوضاوي بلدًا القادري طريقة فقال في كتابه «تحذير الإخوان من ادعاء المهدوية الموعودة آخر الزمان»،[89] أما القول بأن الأرض تطوى لي أو أمشي إلى مكة والمدينة أو أمشي على الماء أو أطير في الهواء أو بلغت مقام القطبانية فيأمل قطعًا، وأما أمر الولاية فغاية ما عرفته في نفسي أن الله تعالى قد أقامني في حضرة واردات الأحوال من زمن الصبا إلى أن بلغت إحدى وثلاثين سنة [40] فجذبتني جذبة حالية (هكذا ورد في المخطوط) من أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة الصلاة عليه حتى حضرت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبكي وأردد قصيدة رثى بها أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته،[90] فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرددتها بين يديه فقرأتها عليه وهي هذه:

---

88 – انظر هامش رقم (77)، ص. 34.

89 – يقتبس المؤلف بعض الفقرات من تاليف عثمان فودي الفلاّني المعروف بـ «تحذير الإخوان من ادعاء المهدوية الموعودة آخر الزمان».

90 – القصيدة التي رثى فيها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (ض) الرسول (ص) بعد وفاته. تتألف من أحد عشر بيتًا أهمل منها صاحب المخطوط بيتين هما البيت الثاني:

وأسعد في البكاء وذاك فيما
أصيب به المسلمون قليل

والبيت الأخير وهو:

فقبر أبيك سيد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول

أوردها: أحمد زيني دحلان، الآثار المحمدية على متن السيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت.، الجزء الثالث، ص ص. 358-359.

أرقت فبت ليلي لا يزول

وليل أخي المصيبة فيه طول

لقد عظمت مصيبتنا وجلت

عشية فيها قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها

تكاد بنا جوانبها تميل

وزلزلت النفوس وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل

وذاك أحق ما سالت عليه

نفوس الناس أو كادت تسيل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا

يروح به ويغدو جبرائيل

نبي كان يجلو الشك عنا

بما يوحى إليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالاً

علينا والرسول لنا دليل

أ فاطم إن جزعت فذاك عذر

وإن لم تجزعي فهو السبيل

انتهت القصيدة.

فلما قرأتها وبلغت قوله في تلك القصيدة «ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا دليل»، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قف هنا، فوقفت وبشرني بقوله: أنا دليلك على طريق الدين فلا تضلون فكان ذاك التبشير خيرًا لي من الدنيا وما فيها. فثبت بما ذكرته أن مقامي مقام أرباب الأحوال، ومقام أرباب الأحوال دون مقام الكمل، فبطل القول بأني من كمل الأولياء من حضرة القدس.

32 - محاورة شعرية حول الاختلاط في مجالس وعظ الشيخين عثمان بن فودي وأخيه عبد الله

وكان الشيخ عثمان بن فودي محمد عالمًا ماهرًا ورعًا مخلصًا مولعًا بالوعظ والتدريس، وكان هو وأخوه الشيخ عبد الله [41] بن فودي محمد قادريين طريقة وكذا أتباعهما في ذلك العصر، وكان الرجال والنساء يجتمعون لوعظة فيختلط بعضهم لبعض، فأنكر ذلك بعض أهل العلم حتى جاءهم عالم برناوي اسمه مصطفى معروف بلقبه غني ومعناه الماهر، فتلقى الشيخ عثمان بأبيات له يأمر الشيخ فيها أن يمنع النساء زيارة وعظه، فقال في أولها:

عليك منا تحيات مباركة

شممن مسكًا ونسكًا من يلاقونا

يا ابن فودي قم وأنذر أولي الجهل

لعلهم يفقهون الدين والدونا

فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ

خلط الرجال بنسوان كفى شينا

لا تفعلن ما يؤدي لمعايب إذ

لم يأمر الله عيبًا كان يؤذينا، إلخ.

فقال الشيخ لأخيه عبد الله: أنت أولى بإجابته عن أبياته، فقال سمعًا وطاعة، فكتب إليه هذه الأبيات:

يا أيها الذي قد جاء يرشدنا

سمعًا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا

نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا

وقلت سبحان هذا كان بهتانا

إن الشياطين إن جاؤوا لمجلسنا

همو يبثون سوء القول طغيانا

لسنا نحن نخالط بالنسوان كيف وذا

كنا نحذر لكن وقت سلمنا

إن كـــان ذاك ولـكـن لا نـسـلـم أن
يتركن بالجهل هملاً كان إحساننا، إلخ.

33 - رأي الشيخ عبد الله بن فودي في خروج النساء للتعليم

وقال الشيخ عبد الله بن فودي [...][91] إلى آخر الأبيات فيه حذف اسم ليت وهو جائز في الشعر لقول الشاعر: فليت دفعت الهم عني ساعة البيت، وأن الأولى بل الواجب على المؤمن أن يحسن الظن بأخيه ويؤول جميع ما بلغه عنه ما وجد للتأويل محملاً ويعذره في ذلك، وأن ارتكاب أخف الضررين واجب في الدين والضروريات الخمس التي هي: الدين والعقل والمال والنسب والعرض، وإذا تعارضت قدم الدين واحتمل ضرر غيره، فهو أخف من ضرر الدين، وإذا اعتبرت ذلك وجدت ضرر ترك النساء في الجهل [42] لا يعرفن الواجب عليهن بل لا يعرفن الإسلام والإيمان والإحسان أشد، وضرر الثاني يرجع إلى النسب فافهم بأن تعلمن الواجبات أو وجدن من يعلمهن أو يسأل لهن من محرم أو زوج، فلا يجوز لهن الخروج للتعلم، وجدته في المختصر للشرح الخرشي وعبد الباقي وغيرهما. وأما خروجهن لمجلس علم أو ذكر أو وعظ فيمنعن عنه وإن كن منعزلات عن الرجال كما أفتى به ابن عرفة، انتهى.

34 - انتصار جيش عثمان بن فودي على أعدائه وفتح حصني منتكر وسلطان كن

قال الشيخ عبد الله بن فودي نقلته في تاريخه لوقائعهم مع أهل ذلك القطر، وقال في آخر ذلك التاريخ، فقد تم يوم الأربعاء في شهر الله شوال لثمانية عشر خلت من سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف (1228)[92] من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفي ذلك التاريخ أيضًا أن أمراء بلادهم لما صاروا يرسلون الجيوش إليهم قال: فاجتمعنا لما اشتد ذلك فأمرنا الشيخ أي الشيخ عثمان فودي علينا لينضبط أمرنا وهو قبل ذلك كان إمامنا وأميرنا، فكنت بحمد الله أول من بايعه على الطاعة على الكتاب والسنة، ثم حَفَرْنَا هنا وحَصَّنَا، ثم جعلنا ننتصر ممن يغزونا وفتحنا حصن منتكر ثم حصن سلطان

91 - انقطاع في سياق المخطوط.

92 - سنة 1228 هـ توافق 1811 م.

كن، ثم جاء سلطان قوير ينف[93] إلينا وقد جمع جيوش النوبة والتوارة والفلاّنيين المتبعين له مما لا يعلمه إلا الله، فأخرج لنا أمير المؤمنين جيشنا وأمرني عليه فالتقينا معه في مكان يسمى قردم قريبًا من حوض هنالك يسمى كت بكاف وتاء مضمومتين بضمة إشمام، فهزم الله جيوشه بمنه وفضله فله الحمد والشكر، فغنمنا أموالهم وقتلناهم وطردناهم ورجعنا إلى الشيخ سالمين، إلخ. و[...].[94]

35 - توجه الشيخ عبد الله بن فودي إلى الشرق وقصته مع أهل كن

وكنت قد جاءني وارد من الله تعالى برفض الأوطان والإخوان والتوجه إلى خير خلق الله لطلب الرضوان لما رأيت من تغير الزمان والإخوان وميلهم إلى الدنيا والتنافس في ملكها وأموالها وجاهها مع تركهم عمارة المساجد والمدارس وغير ذلك، وقد علمت أني شرهم وأن ما رأيت من غيري لا يعدوني فرأيت أنه (...) وجب علي فتركت الجيش واشتغلت بنفسي واستقبلت إلى الشرق نحو [...][95] إن يسر الله ذلك، فدخلت في المفازة مع خمسة [43] من أصحابي، فبتنا ثلاث ليال لا نرى أثرًا لأحد إلا آثار الفيلة الكبيرة في تلك المفازة حتى يسر الله لنا الوصول إلى العمران، فجرى ذلك قصيدة بائية في قلبي لم أخرجها لأحد حتى وصلنا إلى بلد كن، فمنعوني من التجاوز وطلبوا مني أن أعلمهم كيف يفعلون في إقامة الدين إذ وجدتهم قد دفع الله الكفار عنهم ولكن مرج أمرهم بينهم لما اشتغلوا بالدنيا، فرأيت فيهم ما هربت منه في ظني، فقلت لهم هذا الذي رأيت فيكم هو الذي فررت منه حتى قلت قصيدة لذلك في قلبي لم أخرجها لأحد، فألحوا علي إخراج القصيدة فكتبتها لهم ثم ألفت كتابي «ضياء الحكام»[96] وقرأت عليهم جميع تفسير القرآن، فتابوا جميعًا وصلح أمرهم وكسروا آلات اللهو التي وجدت عندهم وجعلوا عيدان طبولهم معلقًا لخيولهم، وفتح الله عليهم ما لم يفتح عليهم قبل ذلك ولله الحمد، والقصيدة:

و لـمـا مـضـى صـحـبـي وضـاعـت مـآربـي
وخـلـفـت فـي الإخـلاف أهـل الأكـاذب

93 - انظر هامش رقم (75)، ص. 100.

94 - انقطاع في السياق قد يعود إلى سهو وقع فيه المؤلف.

95 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

96 - يشير هنا عبد الله بن محمد فوديو في قوله هذا إلى أحد مؤلفاته في السياسة وهو كتاب «ضياء الحكم».

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا

هواهم وطاعوا الشح في كل واجب، إلخ.

و هي تنيف على أربعين بيتًا.

36 – ذكر بعض المعارك التي قادها الشيخ عبد الله بن فودي والانتصارات التي حققها الله على يديه

ثم قال ولما رجعني الله الحكيم من كن بقهره وحكمته، جعلنا نغزو من انتقص علينا وغيرهم حتى فتح الله حصن الفاضل وأهلك سلطان غوبر ينف بأيدي جماعتنا بحمد الله تعالى، وكفانا شر جميع قوبر، ثم جهز أمير المؤمنين عثمان إلى أرض قرم وراء البحر بلاد بني كرباس وأمرني على الجيش، فسرنا بحمد الله تعالى حتى وصلنا إلى حصن دب بدال وباء ممالتين، ففتحه الله لنا وأخذنا جميع من فيه، فمننت عليهم جميعًا وأخرجتهم من الحصن وأرسلت بهم إلى بلاد الإسلام وهدمت الحصن، فمضينا وسمع بذلك كفار تند فتفرقوا عن حصنهم ففتحه الله لنا، وكان من أشد الحصون علينا، فمضينا حتى وصلنا البحر فوجدناه قد جاء بما لا يتوصل إلى عبره الغربي إلا بعوم كثير، وكان عرضه مقدار ميل أو أكثر وفيه من دواب الماء ما يهلك الداخل فيه سريعًا [44]، فخافته الجماعة ونزلنا عنده محزونين لذلك، فدعونا الله تعالى، وبعد ذلك أرسلت إلى البحر رجلاً جريء القلب محسنًا للعوم فقلت له أدخل البحر لعل الله أن يعطينا محلاً نتجاوز منه سهلاً، فسار إلى محل من فراض البحر، فدخل الماء وسار حتى وصل العبرة الغربية ولم يتجاوز الماء صدره، فرجع وأخبرني فحمدت الله على ذلك وأخبرت الجماعة ففرحوا وبتنا عليه، ولما صلينا الصبح قمت على البحر على بعير لي وجعلت ذلك الرجل أمامي وتوكلت على الله، فاتبعني الجماعة ودخلت البحر فدخلوا كلهم يكبرون رجالتهم وفرسانهم على الخيل وبعضهم مع الحمير، ولم ينزلوا الأثقال حتى خرج جميع الجيش سالمين غانمين في جزيرة فاس، والكفار لا يطمعون أن أحدًا يتجاوز هذا البحر إليهم في ذلك الوقت، فوجدناهم في غرة فأغرنا عليهم وقتلنا وسبينا وأتلفنا جميع زروعهم، ثم جاء أهل الحصون التي تحصنوا فيها فأسلموا بحق، فتركتهم وأقررتهم بمحلهم، ثم رجعنا سالمين غانمين وخضنا البحر في ذلك المحل، ثم سرنا

إلى أرض جرم لنتواصل مع جموعنا الذين هنالك فاجتمعنا معهم ثم رجعنا إلى الوطن، فقلت في ذلك قصيدة وهي هذه:

حمدًا وشكرًا طيبا الأنفاس
لله ذا الآلاء رب الناس
يعطي ويمنع من يشاء بفضله
وبعدله لا يهتدى بقياس
فيعز من والاه في آلائه
ويذل من عاداه بالأرجاس
ومن الدليل عليه فتح جاءنا
في أرض غزم قرى بني كرباس
نصرًا لنا برماحنا وسهامنا
وسيوفنا ببطونهم والراس
أولادهم ونساؤهم مسبية
ورجالهم مقتولة بالفاس
بعد انتشار فراشنا بزروعهم
وتطاير الفرسان بالأتراس
حتى أغاروا أرضهم وتراجعوا
بسلامة الأبدان والأفراس

[45]

قد حرقوا بعض الديار وشتتوا
جمع الكفور جماعة الخناس
من بعد هدم وحرق دائب وطردهم
فارتاع تند فهل لهم من آسي
قولوا لهم توبوا فلا ينجيكموا
هرب لبرغ ولا إلى كنباس

تروى وكتب رأوا توى فتعوذوا
بالله والإسلام خوف الباس
فنجوا وقد أخذ الهلاك حلوقهم
بغياث عفو جاء بعد الياس
ظنوا بأن البحر يمنع جمعنا
فيه يغرهم أخ الوسواس
رأوا الجنود يمينهم وشمالهم
شرقًا وغربًا وهو جمع راسي
فيهم دعاء الشيخ يحدث في الفلان سبلاً فجاجًا عالي الأجراس
يا سائلاً أخبارنا عن بحرهم
خذ قصها واكتب على القرطاس
لما رأينا البحر طاع تفلقا
بعصا المعونة طائع الأجناس
ظلت عوادي مائه منكوسة
مكسورة الأنياب والأضراس
نُزُلاً لنا كالوحش دان ومأوه
سلوى ومنٌّ وهو صافي الكاس
حتى رجعنا ثم خضنا ثانيًا
وورودنا وصدورنا في فاس
صدق الرسول رأى جموع غزاته
في البحر كالأملاك فوق كراسي
سرنا يجرم تواصلاً لجموعنا
والبعض منهم جاء من كرتاس
ثم انصرفنا سالمين ونرتجي
أجرًا يزول به أسى الإفلاس
ما مسنا سهم ولا رمح ولا
سيف كمن أبوا من الأعراس

لله حمد والصلاة على العلي
خير الورى والآل والأكياس[97]

[46] ثم بعد ذلك سمعنا برجوع خالنا أبي علي محمد ثنب بن عبد الله بن محمد بن سعد العالم المشهور في قبيلتنا، ففرحنا برجوعه لأنه عالم من علمائنا وصالح من صلحائنا، لم يكن فينا حين خرج أفضل منه في العلم والصلاح بما أعلم، فمكثنا نهيم بروق وصاله، ثم سمعنا أنه مات في قرية أقدس قبل وصوله إلينا، فحزنا عليه حزنًا شديدًا لطمعنا في زيادة العلم بوصوله فرثيته بأبيات:

فيا للمسلمين ليبك خالي
محمد ثنب ذو علم وحال
فقد حمدت شمائله قديمًا
بعلم والتقى قبل الارتحال
إلى الحرمين حتى قام عشرًا
وبعضا فيهما يبني المعالي
فقدر ربه أن سوف يبدو
بأقدس قبره بعد الزوال
فرجعه إليه عام شزر
فشمنا نحوه برق الوصال
بروقًا خلبًا بدبور ريح
عظيم شابها ريح الشمال
تهب به الصبا بجنوب بشر
فصيرها ملمات الزوال
فخاب ظنوننا فيه فصارت
كأضغث الحلوج و[...][98]

[كتب في هامش الصفحة: قلت ولعل معنى شابه حمل من الشبه لأمر الشوب والله تعالى أعلم]

97 - تعليق المؤلف: وقولي لا يهتدى بقياس أي كل من عطاء الله ومنعه لا يعلم له سبب جل حكم الأزل عن الإضافة إلى العلل. والأرجاس جمع رجس وهو العذاب. و[...] اسم ملك مراء البحر وهو من أولاد أسكيا أمير سغني دو العدل والإحسان، إلا أنهم غيروا بعده وكفروا و[...] طبيب يداويهم من جراحها والاستفهام للإنكار [...] ونحو يماثل واحد منهما اسم بلد وجمع [...] أي ثابت [...] الأصوات وقت نزولهم [...] جمع جنس من دواب البحر. وفاس اسم جزيرة في ذلك البحر. و[...] اسم موضع على ذلك البحر. والأكياس جمع كيس وهو الذي دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

98 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

فأودع فيه في رمضان يوم الـ
ـعروجة منه للسبع الخوالي
فيسقيه غيوث العقود وما
وتسنيم الرضى أهل النوالي
[...][99]

و يسأل ناظم الأبيات سترًا
من الزلات من حلل الجمال
عبيد جاهل في بحر ذنب
غريق صار في بحر الخيال
حقير أعجم عجمي حتى
أبوه وأمه من آل عال، اهـ[100]

37 - تعليق حول لغة الفلاّنيين

وقوله عجمي فأبوه وأمه من آل عال وهم من توري الذين جاؤوا من فوت وهم فيما نسمع إخوان جميع الفلاّنيين ولغة الفلاّنيين لغتهم لأن عقبة بن عامر[101] المجاهد الذي فتح

99 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

100 - تعليق المؤلف: [...] لأنها لام مستغاث به، وقوله ذو علم فاعل بفعل محذوف كان قائلاً قال من يبكي ذو علم على حد قول الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة البيت، وقوله وخالي أي لمن خلا عن العلم، وهو الجاهل أي يبكيه العالم لفقد الزيادة والجهل لفقد المعلم.

101 - هناك التباس بين عقبة بن عامر الصحابي وعقبة بن نافع التابعي، فعقبة بن عامر هو الصحابي أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس الجهني (ت. 58 هـ/677 م)، كان عالمًا بالفرائض ومطلعًا على مسائل الفقه، حضر صفين مع معاوية وولاه مصر ثم عزله عنها (47 هـ)، ثم وجهه بعد ذلك لغزو قبرص.
أما عقبة فاتح المغرب: فهو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري القرشي (1-64 هـ/622-683 م)، وهو ابن خالة عمرو بن العاص، وقد وجهه هذا الاخير لفتح إفريقيا (42 هـ) فتوغل في حملته إلى تخوم السودان، ثم ولاه معاوية أمر إفريقيا، وتابع فتوحه حتى طنجة، وعند رجوعه إلى القيروان تقدمه الجند ولم يكن معه سوى سرية، فاستشهد مع أبي المهاجر في تهودة من أرض الزاب بعد معركة ضد جموع البربر والروم بقيادة كسيلة (64 هـ/683 م)، ولا يزال ضريحه والمسجد الذي بني بجواره موضع إجلال ومكان زيارة بمدينة سيدي عقبة قرب بسكرة بالجزائر. أنظر: عز الدين أبو الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير (ت. 630 هـ/1232 م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.، ج. 3، ص. 420.

بلاد المغرب[102] زمن عمرو بن العاص في مصر وصل إليهم وهم قبيلة من قبائل الروم، فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوج عقبة ابنة ملكهم اسمها بجمع، فولدت الفلاّنيين جميعًا، هذا ما تواتر عندنا وأخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد فوت تور أعني العلماء، فتكلموا بلغة أمهم ولم يعلموا لغة أبيهم لقلة من يتكلم تلك اللغة بها هنالك في ذلك الزمن. وأن ما يقال من أولاد عقبة هم أول من تكلم بتلك اللغة فبعيد لأن اللغات كلها ثابتة من لدن [...][103] ولأن ذلك خرق عادة وإن قرب أنهم تكلموا بلغة منهم وليست لتور أي لغة أصلية غير تلك اللغة والله تعالى أعلم [48] إلى أن قال وقوله أبوه وأمه من آل عال، فعال هذا من جدودنا واسمه علي لأن أمنا حواء هي بنت محمد بن عثمان بن عال، وأم أبينا هي مريم بنت جبريل بن حم بن عال، وأبونا هو محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورط وهو أخو عال، فيما نسمع وأبوهما محمد جب بن محمد تتب بن أيوب بن ماسراه بن بوب باب بن موسى، وموسى هذا هو الذي جاء من بلد فوت، بينما نسمع والله تعالى أعلم [...][104] في قصيدته التي أنشأها في أثر حال وقعة [...][105] موضع في [...][106] وقعت بينهم وبين كفار هوس وهو أمير ذلك الجيش، فرزقه الله النصر عليهم حيث قال في أثناء تلك القصيدة:

قبائل إسلام فتورب حينًا
فلانينا هوسينا كل مجمع
و نحن على الإسلام جمع تناصروا
ولسنا بشيء غيره نترقع
و فينا سواهم من قبائل جمعت
على نصر دين الله كان التجمع
فتورب إخوان الفلانيين إخوة
لقرب فمن دوم بن عيص تفرعوا

102 - هناك خلط في الروايات بين عقبة بن عامر الصحابي وعقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب (أنظر الهامش السابق).

103 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

104 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

105 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

106 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

فعقبة جد للفلانيين من عرب

ومن تور كانت أمهم وهي بجمع

إلى آخر تلك القصيدة رضي الله عنه ونفعنا به وعفا عنا وعنه آمين آمين.

38 - في أصل قبيلة توروب وشرط الانتساب إليها

قلت قوله فحينا أي قبيلتنا هم تورب الذين جاؤوا من فوت تور وإنهم تورب في أصلهم سكان فوت تور فقط، كما أن فوت جلنكوي هم سكان فوت جلو لا غير، وتورود واحد تورب ساكن فوت تور مطلقا، كما أن فوت جلنك ساكن فوت جلو [...][107] هم أهل القرى والمدن بشرط تعلمهم العلوم الإسلامية سواء كان أصلهم [...][108] بادية وتمدنوا بعد، أو أهل توحش كسكان الجحور والكهوف ثم تمدنوا بعد واشتغلوا بالعلوم الإسلامية وبشرط التكلم باللسان الفلاّني لا غيره من الألسنة العجمية والعربية وبشرط أن يتركوا حرفة الحواتين أي سبلب والحذائين والنساجين والغزالين والدباغين والخرازين وأن لا يكونوا بدويين، فمن سبق على التعلم والتمدن [49] من أهل اللسان الفلاّني ولم يكن من أهل الحرف المزرءة في فوت المذكورة فهو وجاجاب وسنسيب تورود سواء كان أصله فلاّنيًا كجلب أو بيضانيًا كليذب أو سطيًّا كأهل ساره ككف وبروب وسلناب وونونب وغيرهم، والسطي نسبة إلى سط وهو عبارة عن إنسان سوطاني لا غير سواء كان ولفيًّا أو سوتيكيًّا أو مندنكيًّا أو بمباريًّا أو غير ذلك من قبائل السودان بحسب اللسان. وأصل [...][109] فهو عبارة عن إنسان سوداني فلاّني اللسان بدوي مقيم على إصلاح الماشية وأجد فلب الذين هم أهل البادية والماشية المتكلمين باللسان الفلاّني فحسب العرف عندنا، فالتوردية إذا عندنا حرفة لا نسبة إلا إذا قيل بأنها نسبة إلى فوت تور لا غير، فيوافق ما قلنا أولاً ومن قال في تورود غير هذا فقد أسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرورة ومال عن الحق والصواب إلى الجهل والتعصب الباطلين، وقبائل

107 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

108 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

109 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

[...][110] ترجع إلى هذه الأصول الثلاثة وهي [...][111] لا غير وستزداد تفقهًا في تورود عند إيرادنا قبائلهم قبائل فوت تور في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

39 - حول أصل كلمة تورود

ثم نحكي أني لم أر للفظ تورود ذكرًا في الكتب مع كثرة مطالعتي وتفتيشي لها إلا ما يشبهه في اللفظ، وفي الدرس التام في التأويل [...][112] الملخص من كتب التواريخ الأوروبية والعربية في الساحة الخديوية، جمع وتعريب العبد الفقير أبي السعود أفندي، عند ذكر استيلاء الفينيقيين الكنعانيين على الأندلس مع غرناطة من بلاد إسبانيا وقد كان أهل ذلك القطر الأصليين الذين استولى الفينيقيون الصوريون عليهم في ذلك العصر، هم القومين اللذين كانا يدعيان باسم التورديتانيين والتورديليين، وكان الصوريون أيضًا قد استولوا على سائر طول بلاد القوم المسمين باسم البستولين ونقلوا إلى تلك الأقطار في تلك الأعصار كثيرًا من الليبيين الفينيقيين الذين كانوا متوطنين سواحل إفريقية ليعملوا لهم في حراثة الأرض، فامتزجت تلك الأمة بالأهالي البلديين الأصليين حتى نصوا على أن سكان إقليم التورديتانية في عصرهم كانوا من ذراري الكنعانيين، انتهى. المراد منه [...][113] هم القومين اللذين، إلخ، هكذا رأيته في ذلك الكتاب ولكن صحته [50] في العربية هم القومان اللذان، إلخ، بالألف لا بالياء، والله تعالى أعلم بمراده. وقول الشيخ عبد الله بن فودي هذا ما تواتر عندنا وأخذناه عن الثقاة اللذين يخرجون من بلاد فوت، أعني العلماء، إلخ. واعلم أن فوت اسم أحد أولاد حام.

40 - حول الأقوام الحامية ولغاتهم

فإن لحام بن نوح عليه السلام أربعة أولاد: الأول كوش، والثاني مصر، والثالث فوت، والرابع كنعان، فكوش والد أسلاف الحبش، ومصر والد المصريين أي القبط، وكنعان والد الصوريين الذين كانوا متوطنين بسواحل الشام قبل أن يطردهم العبرانيون. وفي

110 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

111 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

112 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

113 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

«الدرس التام في التاريخ العام» وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجد عند العلماء الأوروباويين بهذا العهد بأنه أبو الأمم والأقوام الساكنين على السواحل الشمالية من إفريقية، وإن كان قد ذهب جماعة من أعلمهم بهده المادة أن اسم فوت هذا إذا أخذ على أعم إطلاقاته إنما يدل على الأقوام الليبيين الأولين أي أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين الذين نزل بهم فيما بعد قبائل من بني يافث. في «الدرس التام» وفي «قطف الزهور»:[114] وأما حام فكان له أربعة بنين، الأول كوش وقد سكن أكثر نسله إفريقية ومنهم من سكن بلاد العرب، والثاني مصرايد ونسله القبط سكان مصر، والثالث فوط وقد سكن شمالي إفريقية، والرابع كنعان محله أرض كنعان وهي الشام وقد سكن بنوه أرض كنعان إلى زمان يوشع بن نون عليه السلام، انتهى. المراد منه بعضه بالمعنى. ورأيت في «تاج العروس» و«شرح قاموس» ما يخالف هذين الكتابين أي «الدرس التام» وفي «قطف الزهور» مخالفة يمكن أن تكون من النساخ ونصه: وفوط بن حام بن نوح عليه السلام أبو السودان والهند والسند.

114 - يشير المؤلف هنا إلى العديد من المراجع التي نقل منها، وهي إما كتب قراءة متداولة أو تآليف حديثة عامة تعرف ببلدان السودان، ومنها «الدرس التام» و«قطف الزهور» و«منجم العمران» و«القاموس» و«التاج» و«قطر المحيط» و«محيط المحيط»:

- الدرس التام، انظر هامش رقم (16)، ص. 71.
- يوحنا أفندي أبكاريوس (ت. 1307 هـ/1889 م)، قطف الزهور في تاريخ الدهور، المطبعة الأدبية، بيروت، 1912. وكما هو معروف فإن المؤلف هو ابن يعقوب آغا الأرميني، وقد اشتغل مترجمًا بالقنصلية الإنكليزية ببيروت، توفي بسوق الغرب بلبنان. صدرت الطبعة الأولى للكتاب ببيروت، 1885.
- محمد أمين الخانجي الحلبي الكتبي الشهير، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي (ت. 626 هـ/1228 م)، القاهرة، 1324 هـ/1906 م، وسوف نشير إليه فيما يلي من الهوامش بـ «منجم العمران». وكما هو وارد في عنوانه وكما هو معروف فهو استدراك وتذييل لمعجم البلدان لياقوت الحموي، ذكر فيه محمد الأمين الخانجي ما فات ياقوت من الممالك الأوربية والأمريكية المستحدثة، ورجع فيه إلى النسخة المطبوعة من كتاب «معجم البلدان» بأوربا. هذا ويعتبر محمد الخانجي من الكتبيين ذوي الثقافة العميقة، فقد خدم اللغة العربية بما نشره من أمهات ونوادر الكتب العربية، ومن مؤلفاته «الطريق الأدبية لطلاب العلوم العربية»، في ثلاثة أجزاء، مطبعة السعادة، القاهرة، 1325 هـ/1907 م.
- «القاموس» و«التاج» للفيروزبادي، انظر هامش رقم (32)، ص. 76.
- المعلم بطرس البستاني (ت. 1305 هـ/1887 م)، قطر المحيط، جزءان، بيروت، 1867، وهو تلخيص لقاموسه الكبير «محيط المحيط». انظر: محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط. 1993. وكما هو معروف فإن بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني المعروف بالمعلم من قرية الدبية بإقليم الخروب بلبنان، درس بعين ورقة التابعة للأكليروس الماروني، واستقر ببيروت ليشتغل بالتعليم والتأليف والصحافة، فاصدر مجلة الجنان (1870 م)، وألف محيط المحيط (1867 م)، ثم اختصره بعنوان «قطر المحيط»، وهو الذي رجع إليه المؤلف، وسوف نشير إليه فيما يأتي من الهوامش بـ: البستاني.

وقال في «قطف الزهور» أيضًا عند تقسيمه العالم إلى أربعة أقسام كبرى يقال لها قارات [...][115] ثانيها قارة إفريقيا وهي بلاد العبيد وتشتمل على بلاد نوبيا والحبشة ومصر وغيرها وعدد أهلها نحو مائة مليون، اهـ. المراد منه [...][116] بعد ذكر اللغات الساسنية أي لغات بني سل وبعد تبلبل إلى [...][117] [51] وهناك طائفة لغوية من اللغات الحامية[118] أي بني حام تشاركها فيما لها من الهيئة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية، وهي اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الأقوام المتوطنون بوادي النيل، وأعظم اللغات التي هي من هذه القبيلة هي: أولاً اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو الهيروغليفية وهي أقدم اللغات التي بقي لنا من كتاباتها أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فانعدمت بالكلية فلم يبق لها أثر إلا في صورة الأدعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قسس الطائفة النصرانية المعروفة بالقبطية، ثانيًا لغة القوم المعروفين بالجلى بفتح الجيم المعجمة واللام المشددة المفتوحة ببلاد الحبشة وما ألحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التي يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الأبيض المعبر عنه بالبحر الأبيض [...][119] ولغات بلاد النوبة وكردفان وهي كثيرة لا حاجة لحصرها غير أنه لا بأس بأن يقال إن منها اللغة المسماة بالبشارية التي لم يزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم، والظاهر أنها بقايا اللغة التي كان قد كتب بها الكتابات الهيوريجليفية، إلى أن قال وكذلك لغات أمم البربر ببلاد المغرب وهي بقايا اللغة الليبية القديمة ولم يزل يتكلم بها القبائل المتوطنة في جهة الشمال والشمال الغربي من

115 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

116 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

117 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

118 - اللغات الحامية: إحدى العائلات اللغوية المتميزة بنطقها الصوتي وبنيتها النحوية التي تعود إلى اللغة الأصل الذي تفرعت عنه؛ وهي تختلف بذلك عن اللغات السامية أو الزنجية (البانتو) التي تسود وسط وغرب القارة الإفريقية بين شعوب الغابات الإستوائية. ويتصف المتكلمون باللغات الحامية (الحاميون (Hamits)) بسمات الجنس القوقازي وخاصة لون البشرة الذي يميل إلى البياض بشمال إفريقيا (البربر) وهضبة إثيوبيا خاصة العناصر الكوشية منها في الصومال وكينيا وإثيوبيا التي امتزجت بحكم الجوار والاختلاط بالعناصر الزنجية. كما يمكننا أن نعتبر بعض شعوب إفريقيا الغربية وخاصة قبائل الهاوسا وجماعات الفولاني من عائلة اللغات الحامية لتأثرهم وامتزاجهم بالرعاة الحاميين القادمين من وادي النيل أو التوارق المنحدرين من منطقة الهقار. وبهذا التطور التاريخي يمكن القول بأن الشعوب التي تقطن الشمال والشمال الشرقي الإفريقي وحتى الصحراء الكبرى تعتبر أغلبها من الشعوب الناطقة باللغات أو اللهجات الحامية.

119 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

إفريقية كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه.[120] وقال في موضع آخر في «الدرس التام»: لم يزل نظر علماء اشتقاق اللغات البشرية يود للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها وأهمه وأقواه وأتمه اللغة القبطية القديمة حيث ثبت بواسطة معرفتها والوقوف عليها الآن أنه يرجع إليها بالضرورة لغة الليبيين سكان جبال ليبية وهي ببلاد برقة وما والاها من بلاد إفريقية، وهذه اللغة هي التي لم يزل يتكلم بها لغاية الآن الأقوام المعروفون بالقبائل والطوارق بشمال بلاد إفريقية، وكذلك اللغة الإثيوبية القديمة التي لم يزل يتكلم بها لغاية عصرنا هذا قبيلة العرب البشارية المقيمة على شواطئ الأعلى و[...][121] بعد كلام طويل في أمر مصر وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من الصحاري الكائنة على غربي الدلته المصرية يخرج منها أقوام رحالة نزالة أولو عيون زرقاء وشعور شقراء وهم الأقوام المعروفون بالليبيين ينزلون في ذلك العهد من جزائر البحر المتوسط الأبيض أو بحر سفيد [52] على قارة إفريقية فيهددون الأقاليم الشمالية أو البحرية ولا يضبطهم الجيوش المصرية إلا بغاية المشقة والجهد.[122]

120 - اللهجات البربرية بشمال إفريقيا: تنسب في مجملها إلى عائلة اللغات الحامية وتتميز عن غيرها بأصلها المشترك الذي يعرف باللسان الأمازيغي، وهو من حيث البناء اللغوي ومخارج الحروف ينتمي إلى عائلة اللغات السامية - الحامية التي كانت تشكل فضاء لغويًا واحدًا يشمل شمال القارة الإفريقية من واحة سيوة غرب وادي النيل وحتى جزر الخالدات (كاناري) بالمحيط الأطلسي. ولعل هذا الانتشار الواسع هو الذي جعل اللسان البربري (الأمازيغي) على صلة وثيقة بلغة قدماء المصريين عن طريق الاحتكاك والتواصل، كما كان على صلة وثيقة باللغات السامية وخاصة الفينيقية والعربية منها؛ فكانت نتيجة ذلك انتشار اللغة البونيقية (البربرية - الفينيقية) قديمًا، واكتساب اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي وتحول قسم كبير من البربر إلى التكلم بالعربية إثر هجرة القبائل العربية من بني هلال وبني سليم ومعقل منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)؛ ومما يلاحظ أن اللسان البربري (الأمازيغي) يتميز بتعدد لهجاته بين ناحية وأخرى، فلم يتحول إلى لغة أدب أو عقيدة أو أداة إدارة وحكم، فقد استعملت قديمًا البونيقية واللاتينية، وحديثًا العربية والفرنسية، بينما ظلت لغة الشعوب البربرية تتميز بتعدد لهجاتها مثل الريفية والشلحية والسوسية في المغرب الأقصى، والقبائلية والشاوية والميزابية والتارقية في الجزائر، والزناتية بجبل نفوسة في طرابلس. كما يلاحظ تلاحم بين اللغة العربية وتلك اللهجات مما أدى إلى اكتساب هذه اللهجات الكثير من الكلمات العربية أو الفرنسية وإلى تلاحمها وتمازجها مع اللسان العربي الدارج، رغم محاولة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب العربي توجيهها لمحاربة اللغة العربية.

121 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها.

122 - يشير المؤلف إلى غارات الهكسوس (ملوك الرعاة) على مصر. والهكسوس هي القبائل البدوية التي غزت مصر قادمة من فلسطين عبر شبه جزيرة سيناء في القرن 18 ق.م.، واستولى الهكسوس على السلطة حتى عام 1570 ق.م.، وعرفوا بملوك الرعاة وأطلقت عليهم تسمية الهكسوس وهي تعني الزعماء، وقد أدخلوا إلى مصر الحصان والعربة التي تجرها الخيول وأسلحة جديدة.

وقال في موضع آخر أيضًا قال الكلام على القلم المصري المسمى بالهيروغليفية، قال المؤرخ فرانسيس لونورمان: كان اليونان يطلقون على كيفية الكتابة الأهلية المصرية اسم الهيوريجليف وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناهما في الأصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة أو المحترمة أو الدينية، حيث كان قدماء اليونان يتوهمون أنها كلمة مركبة من صور أشياء مادية وليس أفعال كذلك، إلى أن قال: ولم يحصل إثبات مطلقًا لا من اليونان ولا من الرومانيين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعرف كيفية قراءة هذا القلم المصري القديم ولا اشتغل أحد منهم بشيء يقتضي له من التعلم والتعليم، حيث كانوا يتوهمون أنه سر مكنون وعمل مصون مع أن الأهالي المصريين البلديين كانوا لم يزالوا يستعملونه في سائر مدة ولايتهم عليهم وإقامتهم فيما بين ظهرانيهم، وبقيت الكتابة الهيروغليفية المذكورة مدة أعصار مديدة وأجيال عديدة محاطة بسحب مظلمة ومستورة بحجب كثيفة غير نافذة، ولم ينقل عن سلف المؤرخين المعتمدين في مدارس الأوروباويين من اليونان والرومانيين شيء مطلقا يدل على أنهم تعرضوا لما يساعد على فهمها، وكان قد حصل اليأس بالكلية من الوقوف على علمها حتى برز إلى حيز الوجود فتى فرانساوي ذو قريحة ثاقبة وفطنة صائبة، فتوصل بأن يكشف عنها القناع وتحصل على فتح ما كان عليه حصنها من شدة الامتناع وحقق بعجيب اجتهاده من طريق الاستنباط والقوة التفرسية أعظم استكشاف حصل في مدة القرن التاسع عشر هذا من الميلاد المسيحي فيما يتعلق بدائرة العلوم التاريخية، ألا وهو الشاب الذي اشتهر باسم يوحنا فرانسيس شامبوليون[123] [...][124] من إقليم اللوت ببلاد

123 - جان فرانسوا شامبوليون (J.-F. Champolion 1832 - 1790): مستشرق فرنسي درس اللغة القبطية، وعمل على فك رموز الكتابة المصرية (الهيروغليفية) وعرف بمبادئ كتابتها الرمزية في خطاب له للعالم الفرنسي داسييه سنة 1822، وكان منطلقه في تحديد قواعدها ووضع قاموس لها نقش حجر رشيد الذي اكتشفه الفرنسيون سنة 1802، ونقش جزيرة فيلة الذي تضمن مرسوما من بطليموس الخامس، وكلاهما كتب بالإغريقية والديموطيقية والهيروغليفية. أهلته بحوثه أن يصبح عضوًا بأكاديمية الفنون الجميلة بباريس (1830)، وأستاذًا بالكوليج دو فرانس (1831)، لكن الموت عاجله قبل أن يتمكن من نشر مذكراته حول مصر والنوبة، وقد نشر وطبع قاموسه للغة الهيروغليفية بعد وفاته (سنة 1832).
انظر: جورج برزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص ص. 151-152.

124 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها، والواقع أنه ولد عام 1790 كما هو مسجل في ترجمته في الهامش السابق.

فرانسة في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر [...][125] وتوفي بمدينة [...][126] في رابع شهر [...][127] ميلادية، وذلك أنه توصل لأن وضع أصول قراءة الحروف الهيوريجليفية على قواعد قوية، وجاء بعده جم غفير وجمهور كثير من العلماء الأوروباويين فاحتذوا حذوه في تلك الطريق التي افتتحها، انتهى.

42 - وصف الخليل بن أحمد الفراهيدي ومقارنته بعبد الله بن المقفع

المراد منه قلت قد أذكرتني هذه الحكاية ما في «شرح الشريشي على مقامات الحريري»[128] في ترجمة [...]، قالوا لا يجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة أدق ذهنًا من الخليل قال النظر ما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأي الخليل مثل نفسه، وكان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، [53] متخرق الثياب، متقلع القدمين، مغمورًا في الناس لا يعرف. قال محمد بن الفضل كان بالبصرة رجل يعطي دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله، وذكر الخليل فقال إنه نسخة، فقالوا لم نجد ما قال هل كان له آنية يعمله فيها، قالوا نعم إناء يجمع فيه أخلاطًا، قال فجيء به فجعل يتشممه ويخرج نوعًا حتى أتى في خمسة عشر نوعًا، ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه الناس، فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة في كتب الرجل فإذا فيها ستة عشر خلطًا فلم يغفل إلا عن خلط واحد، وكتب غليه ملك اليونان كتابًا باليونانية فخلا به شهرًا حتى فهمه، فقيل له في ذلك، قال قلت لا بد أن يفتتح الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه فبنيت أول الحروف على ذلك حتى انقاست لي. وكان الخليل يحب أن يرى عبدالله بن المقفع، وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد المهلبي، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليها ثم افترقا، فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله، فقال ما رأيت مثله قط وعلمه أكثر من عقلِ، وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل، فقال ما رأيت مثله قط وعقله أكثر من علمه،

125 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها وهو سنة 1790.

126 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها وهو سنة 1832.

127 - كتابة انمحى رسمها فلم يفهم مدلولها، والواقع أنه ولد سنة 1790 كما هو مسجل في ترجمته، انظر هامش رقم (123)، ص 125.

128 - أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت. 620 هـ/1212 م)، شرح مقامات الحريري البصري، نشر محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الثقافية، بيروت، 1952، الجزء الرابع، ص ص. 256-257. وأما الخليل فهو أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي (ت. 170 هـ/786 م) المعروف بإسهامه في تطوير علوم اللغة واللسان والقواعد.

وصدق في ذلك أدى عقل الخليل إلى أن مات وهو أزهد الناس وجهل ابن المقفع أرداه فكتب كتابًا لعبدالله بن علي عم المنصور وقال فيه ما كان مستغنيًا أن يقوله ولا يحتمل الأمراء دون الخلفاء مثله، فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه، عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حوابس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته، فاشتد ذلك على المنصور وكتب إلى أمير البصرة أن اقتل عبد الله بن المقفع فقتله، قلت ومن عقل الخليل أيضًا ما قيل وهو اتخذ عباد المهلبي أرضًا فأراد غرسها فلامه أصحابه وقالوا هي سبخة، فأشار عليه الخليل بغرسها، فجاءت بكل شيء حسن، فحمل إليها الخليل فاستحسنها وقال:

ترفعت عن ندى الأعماق وانخفضت
عن المعاطس واستغنت بسقياها
و مال بالخوخ والرمان أسفلها
واعتم بالنخل والزيتون أعلاها
وصار يغبطه من كان يخذله
ولائم لامه فيها تمناها، إلخ.[129]

ثم أخذ جماعة عن الخليل لم يكن فيهم مثل عمرو بن قنبر سيبويه ويكنى أبا بشر وأبا الحسن وهو من موالي بني الحارث بن كعب، اهـ.[130]

43 - العلاقة بين اللغتين السامية والحامية

المراد منه [...] لغات بني حام قال صاحب «الدرس التام» بعد كلام طويل: فهذه هي طائفة اللغات الحامية [54] النيلية وهي وإن كانت مرتبة لغوية خصوصية تقابل مرتبة بني حام في جملة ما سلف إيضاحه من مراتب الأنسال النوحية، غير أنه استقر الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الإفرنج المتأخرين على أن بينهما وبين لغات بني سام من العلائق القرابية والروابط النسبية ما يقتضي أن تعد منها وإن كانت هي من مرتبة من اللغات منفردة عنها وكأن لغات بني سام وحام كانت في الأصل واحدة كما قال بعضهم وذهب إليه وتقدم

129 - تتمة البيتين: أبا معاوية أشكر فضل واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها.
أنظر: أبو العباس أحمد الشريشي، المصدر نفسه، ج. 4، ص. 256-257 و260.

130 - انتهى ما نقله المؤلف عن شرح الشريشي. أنظر: المصدر السابق، ج. 4، ص. 257.

في موضعه التنبيه عليه [...] ولعل من قوله أولاً في تعداد اللغات السامية، الأولى العبرانية وهي التي كان يتكلم بها بنو إسرائيل والفنيقيون بيقين وسائر القبائل الكنعانيين بطريق الظن والتخمين إلى آخر ذكر اللغات السامية.[131]

44 – ذكر إسلام الفلاّنيين وما يروى في شأن نسبهم

[...] الشيخ عثمان بن فودي من الفلاّن الذين ينسبون إلى عقبة بن عامر المجاهد الذي فتح بلاد الغرب زمن عمرو بن العاص في مصر وصل إليهم وهم قبيلة من قبائل الروم، فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوج عقبة ابنة ملكهم اسمها بجمع، فولدت الفلاّنيين جميعًا، هذا ما تواتر عندنا وأخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد فوت تور أعني العلماء ومنهم، إلخ [...] وهذا الخبر في الورقة التي توجد عند بعض من يدعي العلم من أهل فوت تور.

فائدة نسب الفلاّنيين اعلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل عمرو بن العاص بالجيوش إلى المغرب وجعل الجيوش في السفينة في البحر المالح، وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص إن وجدتم ملوك الأرض فأرسلوا إليهم بالإسلام أولاً بقوله تعالى: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله، الآية، فلما بلغوا بلاد طور أرسل إليهم عقبة بن عامر وفي بعض النسخ عقبة بن ياسر بما قال عمر بن الخطاب، فأمر عقبة بن عامر ملك بلاد طور بالإسلام فأسلم الملك وأبى كثير من قومه الإسلام، فأفزعوا من أبى منهم وخوفوهم حتى أسلموا وحسن إسلامهم، وقيل إنهم وجدوا بعض قوم الملك مسلمين وبعضهم كفار، فلما أراد عمرو بن العاص الانصراف عن أرضهم قال له ملك بلاد طور أترجع وتتركنا في ظلمة الجهل، أعطنا من يعلمنا دين الإسلام، فقال له عمرو اختر من أحببت منهم أي من جيشنا، فقال له أحب أن تترك معنا عقبة بن عامر، وقيل عمار بن ياسر، فأعطاه ذلك ورجع عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده قد مات وقيل قد وجده حيًا، فتزوج عقبة بن عامر بن معاذ بن مغيث بن فلاّن بن سليم بن سعيد بن مرة بن كعب بن لؤي، وقد التقى مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد السابع، ابنة ملك طور اسمها بجمع، فولدت له أربعة أولاد ذكور، أولهم رعت جلّ هو أبو قبيلة جلّ، ثم وي بر أبو قبيلة بر، ثم أسن سه، ثم رعب به هو أبو قبيلة [55] به، وهذه القصة من رواية شيخنا الفاهم الأستاذ الشيخ الكبير وهو نقلها في مصر من مشيخة أهل مكة شرفها الله تعالى، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرم المؤمنين الفلاّن يرحمهم الله يوم القيامة، قال عمر بن الخطاب من هم يا رسول الله، قال هم المقيمون الصلاة في كل وقت المؤتون الزكاة في كل شيء، قال أبو بكر الصديق ما علامتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بيض الثياب وكلامهم لا في لغات العرب ولا في لغات العجم، يسمون الكتاب دفتر ويسمون الغزال بل ويسمون العصا سور ويسمون الماء ديم ويسمون القوم لاجل ويسمون النعل بط ويسمون السباع بروط ويسمون الدهن تورنبم، ويفعلون ما يؤمرون ومنهم الذين يقرأون القرآن ومنهم من لا يقرأ، جاهلهم أفضل من علماء العرب والعجم لأنهم يؤمنون بالله ويسمعون كلام الله تعالى ويعبدون الله كثيرًا فاعرفوهم وافعلوا أفعالهم، فقال [...] ما أصلهم يا رسول الله، قال هم أولاد عقبة بن عامر هكذا إلى هذا الكلام الظاهر لكل عاقل لبيب بطلانه، ويتبين على البديهة كذبه وبهتانه وفيه جراءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقول عليه بما لم يقل ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد الشديد و[...] على العوام هين وكثير ، وأهل فوت أكثرهم عوام ولا يخرج من العامية منهم إلا الفرد النادر في أزمنة متطاولة، فما على مثلهم يعد الخطأ ، ويماثل هذا [...] ما فعله بعض أهل وال جل وبعض أهل جامكل من التقول على إمبراطور فرانسيس بأن كتبوا على ورقة الفضة الفرانساوية بازب التي قيمتها عشرة دراهم فكتبوا فيها بالعربية بأن قيمتها عشرون درهمًا فباعوها بعشرين درهمًا، فلما ظهر ذلك للحاكم الفرانساوي السيد المؤيد كماندن ماتم [...] عاقبهم بالسجن الطويل[132] كما قيل ذلك والله تعالى أعلم.

131 – اللغات السامية: إحدى العائلات اللغوية الكبرى في العالم. تتميز بمخارج حروفها وبنيتها النحوية والتي تشترك فيها لغات الشعوب القاطنة فيما وراء البحر الأحمر بجزيرة العرب وما حولها من الأقاليم، قبل أن تنتشر بفعل الفتوحات الإسلامية وهجرة القبائل العربية إلى شمال إفريقيا وحوض النيل والصحراء الكبرى والمناطق المتاخمة لهضبتي إيران والأناضول. وهي تصنف عادة إلى ثلاث مجموعات أو شعب: 1. جنوبية وهي العربية والأمهرية. 2. وشمالية شرقية وهي الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري. 3. وشمالية غربية وهي العبرية والفينيقية والآرامية والأوغاريتية. وقد حملت هذه اللغات تراث الإنسانية الديني والثقافي ونزلت بها الكتب السماوية وبعث من أبنائها الأنبياء والرسل. وللغات السامية قرابة مع لغات البربر التي تشكل معها فضاء لغويًا واحدًا وهو فضاء اللغات السامية - الحامية الأفرو - آسيوية.

132 – إشارة إلى محاولة تزوير الأوراق النقدية التي صدرت على عهد الإمبراطور وهو نابليون الثالث، والتي حاول بعض السكان تزويرها، والتي بدأ تداولها في أفريقيا الغربية وخاصة مناطق السنغال، وقد حاولت الإدارة الفرنسية وضع حد لهذا التزوير بمعاقبة من تثبت عليه تهمة التزوير بالسجن المؤبد والغرامات الثقيلة.

45 – فتح برقة وطرابلس على يد عمرو بن العاص وتراجعه عن إفريقية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب (ض)

[...] أبو الدرداء [...] وهو لم يذكر في الصحابة الذين دخلوا إفريقية، فأحرى أن يدخل في فوت طور، فيا لله العجب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [...] في الجواب عما في هذه الورقة مما غير الحق والصواب قد [...] أرسل عمرو بن العاص بالجيوش إلى المغارب، إلخ. وفي «الاستقصا»[133] [...] لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والإسكندرية وفرغ منها، سار في سنة إحدى وعشرين من الهجرة[134] إلى برقة وكانت تسمى في القديم انطابلس [56] فصالح أهلها على الجزية ثم سار بعدها إلى طرابلس، فحاصرها شهرًا وكانت مكشوفة السور جانب البحر وسفن الرومان في مرساها فحسر الماء في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها، فاقتحموا البلد فيما بين البحر والبيوت، فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل المدينة ولم يفلت الروم إلا بما خف في المراكب، ثم عطف عمرو على مدينة صبرة[135] وكانوا قد أمنوا بمنعة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصبحهم في جيش المسلمين واقتحمها عليهم عنوة، وكمل الفتح ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية، وكان أكثر أهل طرابلس وصبرة برقة لواتة وهم بنولوي الأكبر، وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلتا القبيلتين من البتر. ولما فرغ عمرو رضي الله عنه من طرابلس وما معها استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التقدم إلى إفريقية فمنعه، وقال تلك المفرقة وليست بإفريقية أو كلامًا هذا معناه، فامتثل وعاد إلى مصر، فكان عمرو بن العاص أول أمير وطئت خيله أرض المغرب لكن لم يصل إلى إفريقية ولا كان من البربر إسلام. وفي كتاب الصالح بن عبد الوهاب الحوضي،[136] قال عبيد: لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه طرابلس كتب إلى عمر رضي الله عنه بما فتح الله عليه وأنه ليس أمامه إلا إفريقية، فكتب له عمر رضي الله عنه: إذا ورد عليك كتابي هذا فاطو دواوينك ورد عليَّ جندي ولا

133 – الاستقصا، الجزء الأول، ص. 81.

134 – سنة 21 هـ توافق 641 م.

135 – اكتفى المؤلف بما هو متداول عن فتح برقة وطرابلس، وهي روايات تحتاج إلى المراجعة؛ مع العلم بأن عمرو ابن العاص لم يتوجه مع قواته إلى صبرة وإنما أرسل إليها سرية من الجيش. راجع: الاستقصا، الجزء الأول، ص. 81.

136 – الرواية منقولة عن الشيخ صالح بن عبد الوهاب الحوضي. انظر هامش رقم (71)، ص. 98.

تدخل إفريقية في شيء من عهدي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إفريقية مفرقة لأهلها غير مجمعة ماؤها قاس ما شربه قوم من المسلمين إلا اختلفت قلوبهم، فأمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل قفولاً، وفي ذلك الكتاب أيضًا أنهم لما دخلوا إفريقية في زمن عثمان رضي الله عنه ورجعوا اختلفت قلوبهم عليه فما زالوا به حتى قتلوه، اهـ. بالمعنى قلت. ومثل ذلك في «تاريخ الفتاش»[137] بأن السلطان محمد أسكيا[138] ركب بحر تندرم الصغير وتبعه يومًا حتى انتهى إلى بحر فت، فلما رجع قال ما أجمل هذا البلد وأحسنه

137 – محمود بن الحاج المتوكل الكاتي المعروف بكعت (ت. 1002 هـ/1593 م)، تاريخ الفتاش في أخبار البلد والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر النص العربي مع ترجمة فرنسية أو. هوداس ودولافوس، باريس، 1913، ص. 78. وقد رجعنا في التحقيق إلى النسخة المصورة (باريس، 1964)؛ وسوف نشير إليه عند ذكره في الهوامش اختصارًا بـ «تاريخ الفتاش».

138 – الأسكيا محمد (الكبير) (899-934 هـ/1493-1528 م): من أسرة صنهاجية تنتمي إلى عشيرة توري أوسيلا المنتسبة إلى أقوام السوننكي ذات الأصول التكرورية. عُرف بورعه واعتداله، تزعم الثورة على سن باري الذي رفض اعتناق الإسلام بعد موت سني علي، وتمكن مع أخيه محمد من الاستيلاء على السلطة وحمل لقب أسكيا، وأسس أسرة مسلمة حكمت مالي باسم السنغاي (الصونغاي). أخضع ماسينا وديارا (غاو) (1512 م)، ومد نفوذه نحو الصحراء، فتحكم في مناجم الملح بتغازا، واستولى على أغاديس، وفتح كاتسينا وكانو ببلاد الهاوسا، وأخضع شعوب الجنوب التي تنتشر فيها الوثنية مثل البمبارا والموسي والدوجون. تعرف على المشرق واشتهر أمره عند أدائه فريضة الحج (902-903 هـ/1496-1497 م)، واصطحب معه 800 فارس وعددًا كبيرًا من العلماء منهم محمود كعت صاحب «تاريخ الفتاش» والفقيهين محمد تل ومحمد بغيغ، وحمل معه ما قيمته 300000 دينار ذهب لتغطية نفقاته. تعرف على القاهرة واتصل بشيخ الأزهر الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي صاحب التآليف الكثيرة، وقد كتب له رسالة «نصيحة ما يكون عليه الحاكم المسلم». وأثناء حجه أولى عناية بحجاج أهل السودان الذين أوقف عليهم دارًا بمكة، وكانت له علاقة مع شريف مكة الذي أسبغ عليه لقب «خليفة السودان». ويعتبر محمد أسكيا الأول من أشهر حكام السودان الغربي، فقد أقر النظام وطبق أحكام الشريعة وشجع التجارة ورعى العلماء وأقام العديد من المساجد، لكن تقدمه في السن نتج عنه اضطراب في أمور الدولة دفع بابنه الأكبر موسى الغازي لتنحيته عن السلطة وتولي شؤون الدولة. ترجم له العديد من مؤرخي السودان مثل السعدي في «تاريخ السودان»، ومحمود كعت في «تاريخ الفتاش».
هذا وتشير العديد من الكتب التي تناولت علاقة بلاد السودان وعلمائها وحكامها بالمشرق العربي إلى صلة شيخ الأزهر عبد الرحمن السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م) ببلاد السودان، وذهب بعضها إلى حد القول بأنه سافر إلى بلاد السودان وهذا ما لا تقره الوقائع التاريخية وإن كان أحد أحفاد السيوطي قد قدم السودان وكان أحد المؤذنين بالجامع الكبير بتومبوكتو. على أن عبد الرحمن السيوطي ربط صلات بحكام السودان وقدم لهم النصائح في الشؤون السياسية والفقهية عند مرورهم بالقاهرة في طريقهم إلى الحرمين الشريفين، ومنهم محمد الأسكيا محمد الكبير الذي عمل بنصائحه (903 هـ/1497 م)، وقبله منسى سليمان أبي بكر وماري جاطة الثاني حفيده. كما كان السيوطي يقدم نصائحه عن طريق المراسلة، ومن ذلك رسالة أجاب فيها عن تساؤلات الشيخ شمس الدين بن محمد اللمتوني عرفت بـ «مطلب الجواب بفصل الخطاب» بتاريخ 898 هـ/1493 م، فرد عليها السيوطي برسالة مطولة عرفت بـ «فتح المطلب المبرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور»، كما كتب للأسكيا محمد في النصيحة رسالة عرفت بـ «الأحاديث المثقفة».

ولكن أهله لا يتفقون على أمر واحد أبدًا، وقيل له في ذلك وقال الآن بحره معوج ومن شرب من مائه لا يثبت [57] قوله ولا يتفق. وفي كتاب الصالح بن عبد الوهاب قال ابن عبد الحكم: وكان البربر بفلسطين في الزمان الأول وكان ملكهم جالوت فلما قتله داوود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء ولا ينالهما النيل، فتفرقوا هنالك، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة فسكنت أرض انطابلس وهي برقة، وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه، ونزلت هوارة مدينة لبدة، قال فسار عمرو بن العاص رضي الله عنه في الجبال حتى أتى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم فصالحهم على ذلك، قال ولم يكن يدخل برقة يومئذٍ جابي خراج وإنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها، قلت وبرقة إقليم أو ناحية بين الإسكندرية وإفريقية مسيرة شهر كما في «تاج العروس على القاموس».[139] وقد علمت بهذا أن عمرو بن العاص لم يدخل إفريقية فأحرى بلاد فوت طور.

46 - عقبة بن نافع (﵁) وفتحه لإفريقية

وقوله فأرسل عقبة بن عامر، فالصواب عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري، وكان ابن خالة عمرو بن العاص ولاه عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر، فانتهى إلى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته، فقتل وسبى وافتتح في سنة ثلاث وأربعين مواضع من بلاد السودان وافتتح ودان وهي من حيز برقة من بلاد إفريقية، وافتتح عامة بلاد البربر إلى آخر ما في «أسد الغابة في معرفة الصحابة».[140] قلت ولعل هذا وقع بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي «الاستقصا»[141] أيضًا، ونصه وكان عمرو بن العاص وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خالته على إفريقية، فانتهى إلى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا

139 - تاج العروس على القاموس، انظر هامش رقم (32)، ص. 76.
140 - عز الدين أبو الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير، أسد الغابة...، المصدر نفسه، ج. 4، ص. 2.
141 - الاستقصا، ج. 1، ص. 89.

فغزاهم وقتل وسبى وافتتح في سنة اثنتين وأربعين[142] غدامس من تخوم السودان، وفي السنة بعدها افتتح ودان [58] وكورا من كور[143] السودان وأثخن في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتوح، فظهر غناؤه وعرفت نجدته وكفايته، فلما كانت سنة خمسين[144] ولاه معاوية على إفريقية استقلالاً وبعث معه عشرة آلاف فارس، فدخل عقبة إفريقية إلى أن استشهد في أرض الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة ومدينتها العظمى تسمى أربة، والزاب من إفريقية كما في «الاستقصا» وفي «تاج العروس على القاموس». قلت قد علمت بهذا أيضًا أن عقبة لم يدخل فوت تور إلا إذا قيل أن أصل فوت طور البربر، ويمكن ذلك فإن عقبة بن نافع سكن في الغرب في الجهاد إلى أن قتل كما مر الآن، وهو الذي بنى مدينة القيروان ويمكن أن يكون تزوج في البربر أو في كور السودان التي افتتحها وولد له من تلك الزوجة الأولاد، ويمكن أن يكون أصل إمان لوى من لواتة وأصل جاوب من زواوة أو من فازاز قبيلتان من البربر أو من أزداجة قبيلة أيضًا من البربر لأن أميرهم يسمونه أزد ولا يكون لقبه إلاّ جَة ويمكن أن يكون جاوب أيضًا من غيرهم. وقد أخبرني العلامة الحاج عينين سبك بأنه رأى في رحلته للحج قبيلة من السودان هنالك تسمى جاو في ملك الإفرنج غير الفرنسيس والله أعلم.

47 - معلومات عن جاوة كما وردت عند ابن بطوطة

قلت ولعل جاو الذين رآهم السيد الحاج عينين سبك هم الذين ذكرهم ابن بطوطة[145] في رحلته أنه بعد أن وصل إلى بلاد البر هنكار، فقال ورجالهم على مثل صورنا إلا أن أفواههم كأفواه الكلاب، وأما نساؤهم فلسن كذلك ولهن جمال بارع، ورجالهم عرايا لا يستترون إلا أن الواحد منهم يجعل ذكره وأنثييه في جعبة من القصب منقوشة معلقة في

142 - سنة 42 هـ توافق 662 م.
143 - تعليق المؤلف: ويقال دخلت كورة من كور خراسان، والكورة بالضم المدينة والصقع والجمع كور، إلخ، وفيه أيضًا والصقع بالضم الناحية، يقال فلان من أهل هذا الصقع أي من أهل هذه الناحية والجمع أصقاع.
144 - سنة 50 هـ توافق 670 م.
145 - رحلة ابن بطوطة، الجزء الرابع، ص ص. 107-113. لقد انتقل ابن بطوطة في رحلته بشرق آسيا من بلاد هنكار إلى جزيرة جاوة من أرخبيل الملايو (إندونيسيا الحالية) سنة 747 هـ/1346 م.

بطنه، ويستتر نساؤهم بأوراق الشجر، إلى أن قال ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين يومًا وصلنا إلى جزيرة الجاوة بالجيم وهي التي ينسب إليها اللبان الجاوي، إلى أن قال ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة، إلى أن قال وكانت إقامتي عنده بسمطرة خمسة عشر يومًا ثم طلبت منه السفر إذ كان أوانه ولا يتهيأ السفن إلى الصين في كل وقت، فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجمل جزاه الله خيرًا [59] وبعث معنا من أصحابه من يأتي لنا بالضيافة إلى الجنك وسافرنا بطول بلاده إحدى وعشرين ليلة ثم وصلنا إلى مل جاوة بضم الميم وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاوية العطرة والعود الطيب القاقلي والقماري، وقاقلة وقمارة من بعض بلادها، إلخ. قلت وبلاد الجاوة في جهة بلاد الهند والصين كما استفدنا ذلك من ذلك الكتاب، ومعنى الجنك السفينة. وسنذكر بعض قبائل البربر لعل عقلك يقتبس منها قبسًا تستضيء به على مدلهمات الأمور والله تعالى أعلم.

48 – توضيح وتصحيح حول عقبة بن عامر (ض)

وأما عقبة بن عامر فهو جهيني من جهينة ولم يدخل الغرب قط، وكذا عقبة بن عامر الأنصاري فلم يدخل الغرب أيضًا قط إلا إذا أراد بعقبة بن عامر أبا بكر بن عامر اللمتوني[146] الذي يسميه البيضان ببكر بن عامر الذي غزا بلاد السودان وفتح منها نحو مسيرة ثلاثة أشهر وما زال بها في الجهاد إلى أن قتل بسهم مسموم، وقبره في تكانت، وكان مسكن أهل فوت أولاً هنالك أي تكانت كما قيل والله تعالى أعلم. وأما عقبة بن ياسر فغير موجود في الصحابة، وأما عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الآكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب المذحجي ثم العنسي فقد قتل في صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهم ولم يدخل الغرب فضلاً عن فوت طور والله أعلم.

146 -أبو بكر بن عامر اللمتوني الصنهاجي (480 هـ/1087 م)، خلف أخاه يحيى الذي قتل في تيفر بتي (448 هـ/1075 م)، استولى على تارودانت بمعونة الزعيم الروحي للمرابطين الملثمين عبد الله بن ياسين، وتوسع في السودان الغربي، وتمكن بمساعدة قبائل التكرور التي كانت تدين بالإسلام من الاستيلاء على كومبي عاصمة غانة (حوالي سنة 431 هـ/1039 م)، وأناب عنه ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي انفرد بالجزء الشمالي من دولة اللمتونيين، بينما كان أبو بكر بن عمر منشغلاً بالتوسع في السودان الغربي، وقتل في حركته الجهادية (480هـ/1087 م) وقبره معروف بمقسم بن عامر على بعد نحو 40 كلم من تجكجه.

49 – ذكر أهل المغرب عند الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وأما قوله فقال أبو بكر الصديق ما علامتهم، إلخ، فلم أر شيئًا يشبهه قليلاً إلا ما رأيته في «الاستقصا» بأن صاحب كتاب «الجمان»[147] نقل أنه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافتتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاص، قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤوس واللحى، فقال عمرو ما أنتم وما الذي جاء بكم، قالوا رغبنا في الإسلام فجئنا إليه لأن جدودنا قد أوصونا بذاك، فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنه وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلمهم الترجمان على لسان عمر، فقال الترجمان على لسان عمر فقال لهم من أنتم، قالوا نحن بنو مازيغ، فقال عمر لجلسائه هل سمعتم قط بهؤلاء، فقال شيخ من قريش [60] يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر ذرية قيس بن عيلان خرج مغاضبًا لأبيه وإخوته فقالوا بربر أي أخذ البرية، فقال لهم عمر رضي الله عنه ما علامتكم في بلادكم، قالوا نكرم الخيل ونهين النساء، فقال ألكم مدائن، قالوا لا، قال ألكم أعلام تهتدون بها، قالوا لا، قال عمر والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فنظرت إلى قلة الجيش فبكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تحزن فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق، ثم قال عمر فالحمد لله الذي من علي برؤيتهم ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه، وكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يجعلهم على مقدمة المسلمين وكانوا من أفخاذ شتى، اهـ، والله أعلم.[148] قلت وأما غير هذا فهو من أفحش الكذب الذي يستحيى منه.

50 – الفرق بين الفرنج والروم

وأما قول الشيخ عبد الله فودي بأن تورب قبيلة من قبائل الروم، إلخ، لعل ذلك مما التبس عليه كما التبس على غيره لأن ملوك الروم الأولى كانوا مستولين على أرض المغرب بأسرها قد ملكوها مدة طويلة من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بكثير، ولما أخذ الروم

147 - الاستقصا، ج. 1، ص ص. 81-82. لم نعثر في كتاب «الجمان» على الفقرات التي اقتبسها من السلاوي في «الاستقصا».

148 - كما هو واضح من ظاهر معناه فإن هذا الحديث موضوع ولا يعتد به.

بدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك وكانت لهم اليد الغالبة على من جاورهم من الأمم مثل الحبشة والقبط والفرنج والقوط وغيرهم، حملوهم على الأخذ به فدانوا به معهم وتلقنوه عنهم وبثوه في بلادهم ورعاياهم، وكان الإفرنج مجاورين للبربر في المغرب الأدنى والقوط مجاورين لهم في الأقصى ونظر القياصرة منسحب على الجميع وأمرهم نافذ في الكل وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية، كما كان المقوقس صاحب مصر والإسكندرية وبرقة يؤدي الجباية له، وكما كان صاحب طرابلس ولبدة [61] وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الأندلس من القوط لما كان الروم قد غلبوا على هؤلاء الأمم أجمع وعنهم أخذوا دين النصرانية، وكان الإفرنجة هم ولوا أمر إفريقية ولم تكن للروم فيها ولاية وإنما كان كل من كان منهم بها جندًا للإفرنج ومن حشودهم، وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية فمن باب التغليب لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية ونقلت الأخبار عن العرب كما هي، فجرجير المقتول عند فتح إفريقية من الإفرنج وليس من الروم، وكذا الأمة الذين كانوا بإفريقية غالبين على بربر ونازلين بمدنها وحصونها إنما كانوا من الإفرنجة.[149] وقلت ومثل هذا ظن الناس من البيضان والسودان بأن النصارى أمة من الأمم وقبيلة من القبائل، وليس كذلك بل النصرانية ملة من الملل لا غير من دخل فيها فهو نصراني كائنًا من كان سواء كان من الروم أو من الإفرنج وهم سكان أوروبا أو من غيرهم، وصاحب الملة إسرائيلي وهو عيسى عليه السلام وليست بينه وبينهم قرابة ولا نسب كالمسلمين ومن دخل فيها فهو مسلم كائنًا من كان، ولعل الشيخ عثمان فودي أو من استند إليه رأى وسمع كونهم أولاً مطيعين للروم في إفريقية وأنهم كانوا على دين النصرانية حكم بأنهم قبيلة من قبائل الروم وليس العقل السليم يقبله وإنما يشبه الحق أو يقرب منه ما قلت لا غير والله تعالى أعلم. ومن وجد دليلاً نقليًا صحيحًا أو عقليًا ثابتًا لا يتزلزل في كون أصل أهل فوت من الروم فليثبته هنا مأجورًا وما أنا إلا متخبط في طلب ما يمكن قبوله إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين. وأما نسب عقبة الذي في الورقة من قوله فتزوج عقبة بن عامر بن معاذ بن مغيث بن فلان بن سليم بن سعد بن مرة، إلخ، فكذب باطل

149 - هناك اضطراب في الرواية وخلط في المعلومات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ إفريقيا قبل الفتح الإسلامي. للتعرف على أحداث الفتح، انظر هوامش: عقبة بن نافع (رقم 102 ص 119)، كسيلة (رقم 157 ص 140)، الكاهنة (رقم 159 ص 141).

أيضًا لأن مرة الذي هو الأب السابع من آباء النبي صلى الله عليه وسلم [62] ليس له ولد يسمى سعيد بل أبناؤه ثلاثة لا غير وهم كلاب وتيم ويقظة، كما قال بعضهم أبناء مرة كلاب، تيم، يقظة لا غيرهم، يا تيم أي يا رجل، اهـ.

51 - روايات في أصل فوت تور وصلتهم بأهل مصر

ثم اعلم أن المذهب الذي ذهب إليه ظني أن أهل فوت تور من فوت بن حام الذي في «الدرس التام» كما مر ذلك أو هم من البربر الذين خرجوا من الشام أو هم من القبط والقبط أيضًا أصلهم من الشام. وفي «الدرس التام في التاريخ العام» قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لا شك ولا تردد الآن أن أول السكان لمصر في سالف العصر من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسمى مصرائيم وأنهم وفدوا إلى الأقطار النيلية من بلاد أسية بطريق صحاري بلاد سورية وتوطنوا في وادي النيل الكريم، إلخ، قلت وقد أخبرني سيف دمك عبد السلام أن الفلان الذين في فوت أصلهم من قبيلة من قبائل قبط مصر بالفلاح أهل ماشية وقد كانوا أهل بادية في مصر وقد دخلوا الآن في التمدن، وقلت أيضًا قد أخبرني ابن أختي جاج بن صمب جوم مترجم بودعن كبتين بودعام أنه قرأ في تاريخ الإفرنج ما معناه أن لفظ الفلان الفلاح وأصلهم من فلاحي مصري، فلما طال تداول الألسن بالكلمة تبدلت الحاء نونًا لحنًا لا غير وأن أصلهم من مصر وبقاياهم هنالك يتكلمون بلغتهم إلى الآن والله تعالى أعلم. وقلت أيضًا يصدق ذلك أن طباع الفلان موافقة لطباع أهل مصر المذكورة في «تحفة الناظرين» فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين» للشيخ عبد الله الشرقاوي[150] رحمه الله تعالى ونصه أن أهل مصر الغالب عليهم الأفراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ومكر وخداع ولا ينظرون في عواقب الأمور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف [63] من السلطان ويخبرون بالأمور المستقبلة قبل أن تقع، ويقال مصر بأقوالها ذكر ذلك في «جواهر البحور». وقلت أيضًا الفلاح هو الذي يشق الأرض بالحراثة، وكلما تقادمت الحراثة ونقصت بركتها ارتحلوا إلى أرض أخرى جديدة زاكية البركة ثم إذا تقادمت واندرست أيضًا ارتحلوا عنها إلى أخرى وهكذا دأب الفلاحين من أهل كدمع وبنذ وفرل، فلا يستقرون في موضع للحراثة والقيام بإصلاح أمر الماشية والله تعالى أعلم. وقلت أيضًا قد رأيت في ورقة من

150 - الشيخ عبد الله الشرقاوي، تحفة الناظر فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، مكتوبة على هامش كتاب «أخبار الأول» لأحمد عبد المعطي الإسحاقي، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، 1311 هـ/1843 م، ص ص. 15 - 16.

تاريخ فوت أنهم قبطيون وانتشروا من مصر إلى بلاد المغرب فقطعة منهم سكنت في برن والأخرى في مندق، إلخ. وقلت أيضًا وفي كتاب محمد الصالح بن عبد الوهاب الحوضي إن الذي بنى مدينة عين الشمس في مصر أتريب بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليهم السلام، وثانيهم ابنه مصر وبه سميت مصر، وثلاثهم فقط بن مصر وبه سميت قبط ومدينة قفظ، ورابعهم أخوه شمس بن مصر وبه سميت أشمن من بلاد مصر، وخامسهم أخوهما أتريب المذكور باني مدينة عين الشمس.[151]

52 – في أصل كلمة إفريقيا ونبذة عن سكانها من البربر

وفي «تاج العروس على القاموس»، وإفريقية بكسر الهمزة وتخفيف الياء بلاد واسعة إلى أن قال:سميت بإفريقش بن صيفي بن سبا، وقال القضاعي سميت بفارق بن بيصر بن حام، وقيل لأنها فرقت بين مصر والمغرب وحدها من طرابلس الغرب من جهة برقة الإسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مليانة، وقال البكري الأندلسي[152] حد طولها من برقة شرقًا إلى طنجة غربًا وعرضها من البحر إلى مال التي فيها أول بلاد السودان [64] وهي مخففة الياء وقد جمعها الأحوص على أفاريق، وقد نسب إليها جملة من العلماء والمحدثين منهم أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن الغمر الإفريقي قاضيها وهو أول مولود في الإسلام بإفريقية، روى عن سفيان الثوري وابن لهيعة وقد ضعف، وسحنون بن سعيد الإفريقي من أصحاب مالك وهو الذي قدم بمذهبه إلى إفريقية وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين، اهـ.[153] ببعض اختصار وحذف وتقديم وتأخير. وفي «الاستقصا»[154] لم تزل بلاد المغرب إلى طرابلس بل وإلى الإسكندرية عامرة بهذا الجيل أي البربر ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلها بالمشرق والمغرب إلا

151 – تعليق المؤلف عن الصالح بن عبد الوهاب الحوضي: «وقيل إن أهل إفريقية من ولد فارق بن مصر وبه سميت إفريقية، وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم من زوجته قطور إلخ مخلصا ابن برهة الرائش وقيل سميت بإفريقش بن قيس، وطول إفريقية من برقة شرقًا إلى طنجة غربًا وعرضها من البحر إلى مال التي تلي بلاد السودان، الخ».

152 – أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت. 483 هـ/1034 م)، كتاب المسالك والممالك، تعليق وتقديم أدريان فان لويفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج – تونس، 1992، ج. 2، ص. 671.

153 – سنة 241 هـ توافق 855 م.

154 – الاستقصا، ج. 1، ص. 77 (نقلاً عن ابن خلدون).

في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم، فقد غزتهم ملوك اليمن من قراهم مرارًا على ما ذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم، إلى أن قال ثم ذكر إن البعض من البربر كانوا قد دانوا بدين اليهودية وأخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراين قبيلة الكاهنة وكما كانت نفوسة من برابرة إفريقية وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وفازاز من برابرة المغرب الأقصى حتى محا إدريس الأكبر جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل هـ.

53 – في أصل البربر وفروعهم

وفيه أيضًا واعلم أن أمة البربر أمة عظيمة قد طلت ما بين برقة والبحر المحيط شرقًا وغربًا وما بين بلاد السودان والبحر الرومي جنوبًا وشمالاً، ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربري عنهما، قال ابن خلدون:[155] علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جذعان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر ولذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس، وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد والجميع من نسل [65] كنعان بن حام، وقال سابق بن سليمان المطماطي[156] وغيره من نساب البرابرة: البرانس فقط من نسل كنعان وأما البتر فهم بنو بر بن قيس بن مضر، ثم قال فالحق أن الشعبين عريقان في البربرية وأن الجميع من ولد مازيغ ومازيغ هو من ولد كنعان بن حام. فأما البرانس فتنقسم إلى سبع قبائل: أوربة وصنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأريغة وإزداجة ويقال وزداجة بالواو بدل الهمزة، وزاد سابق المطماطي وغيره ثلاث قبائل أخر وهم لمطة وهسكورة وجزولة فتكون عشرًا. فأما أوربة فكان منهم كسيلة الأوربي[157] قاتل

155 – الاستقصا، ج. 1، ص. 71–72. (نقلا عن ابن خلدون).

156 – سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوناس المطماطي الضريسي، من المغرب الأوسط (الجزائر)، يعتبر من أشهر نسابة البربر في العصر الوسيط؛ قال عنه ابن خلدون بأنه انتهى إليه علم نسب البربر. ومنه أخذ كل من تناول أصول البربر وأنساب قبائلهم وفرقهم مثل صاحب كتاب مفاخر البربر.

157 – كسيلة الأوربي: وهو، حسب الأنساب المتداولة، كسيلة بن لمزم الأوربي، ولي أمر أوربة وخضعت له أغلب قبائل البربر المستقرة (البرانس) لفترة ناهزت العشرين سنة؛ تعامل مع الفاتحين العرب وأظهر إسلامه، لكنه ارتد وكان سببًا في استشهاد عقبة بن نافع؛ حاول حكم إفريقيا من القيروان لكنه لقي حتفه على يد زهير بن قيس البلوي في معركة ممس قرب القيروان بتونس سنة 67 هـ/687 م (أو 68 هـ/687 م).

عقبة بن نافع رضي الله عنه زمان الفتح، ومنهم إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي القائم بدعوة إدريس بن عبد الله رضي الله عنه. وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس أنهم مقدار الثلث منهم وكان منهم بنو زيري بن مناد ملوك مراكش.[158] وأما كتامة فهم القائمون العبيديين بإفريقية ومصر. وأما المصامدة فمنهم غمارة وكان منهم يليان النصراني صاحب سبتة وطنجة إلى أن قال ومن المصامدة أيضًا برغواطة أهل تامسنا وما اتصل بها إلى أن قال وأما البتر فهم بنو مادغيس الأبتر فينقسم شعبهم إلى أربع قبائل وهم ضريسة ونفوسة وأداسة وبنو لوي وهم لواتة، وأما ضريسة فمنهم زناتة كلها ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل أوراس،[159] ومن زناتة أيضًا مغراوة ملوك فاس، وبنو يفرن ملوك سلا وتادلا، ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان وبنو مرين ملوك فاس أيضًا، فهؤلاء كلهم من زناتة وزناتة هو زانا بن يحيى بن زجيك بن مادغيس الأبتر، وأما نفوسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر، واعلم أن كل قبيلة من هذه القبائل الأربع عشرة[160] على عمائر وبطون وأفخاذ وفصائل لا حصر لها، وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق. وفي «الاستقصا»[161] أيضًا في موضع آخر وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له:[162] اختلف الناس

158 - بنو زيري بن مناد ليسوا كما ذكر أبو العباس أحمد السلاوي ملوك مراكش، وإنما هم حكام إفريقيا الذين استخلفهم الفاطميون لحكمها عندما انتقلوا إلى مصر في عهد المعز؛ وقد كانت لهم علاقات حسنة مع ملوك السودان الذين كانوا يتوجهون بالهدايا إليهم، فقد أرسل حاكم من غانة (382 هـ/912 م) هدية لأبي مناد بن باديس بن أبي الفتح المنصور من ضمنها زرافة؛ كما وصلت إلى المعز (423 هـ/1013 م) هدية جليلة من ملك السودان تضمنت رقيقًا كثيرًا وزرافات وبعض الحيوانات الغريبة، حسبما أورد ذلك ابن عذاري في البيان المغرب، نشر فانيون، الجزائر، 1901، ج. 1، ص. 632.

159 - الكاهنة داهيا صاحبة جبل أوراس: اهتمت بذكرها مصادر الفتح الإسلامي للمغرب، مثل ابن عبد الحكم وابن عذاري وابن خلدون؛ تنتسب إلى قبيلة جراوة من البربر البتر، تزعمت المقاومة ضد الفاتحين المسلمين بعد هلاك كسيلة، وألحقت الهزيمة بجيش حسان بن النعمان في معركة وادي مسكيانة (وادي البلاء) (77 هـ/696م)، مما اضطر حسان إلى التراجع إلى ما وراء قابس، لكن لم يلبث البربر أن تخلوا عنها عندما انتهجت سياسة موالية للبتر الرحل على حساب المزارعين من البرانس وأحلافهم من الأفارق، وقد نسبت إليها عملية تخريب المزارع ظنًا منها أن ذلك يبعد العرب عن إفريقيا، ولم تتردد في وضع حد لحياتها (81 هـ/700 م) بعد أن تراجعت أمام حسان بن النعمان وبعد أن شجعت ابنيها على الالتحاق بجيوش المسلمين.

160 - القبائل البربرية الأربعة عشر هي: أوربة وصنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأوريغة وأزداجة ولمطة وهسكولة وجزولة، وهي من البرانس أي البربر المستقرين، وضريسة ونفوسة وأداسة، وهي من البتر أي البربر الذين يعيشون حياة البداوة، اعتمادًا على ابن خلدون وبالرجوع إلى نسابة البربر سابق المطماطي.

161 - الاستقصا، ج. 1، ص. 68.

162 - الصحيح هو كتاب «القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم العربية من الأمم» لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي (ت. 463 هـ/1070 م)، وهو كما يتضح من العنوان يتناول الأنساب، وقد أخطأ ابن خلدون في تسميته بالتمهيد، وجاراه في هذا الخطأ السلاوي صاحب الاستقصا. انظر: أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، نشر مكتبة القدس لحسام الدين القدسي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 هـ/1931 م، ص ص. 24-25.

في نسب البربر اختلافًا كثيرًا وأنسب ما قيل فيهم إنهم من ولد قبط بن حام وأنه لما نزل [66] مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر عمالة مصر وذلك فيما وراء برقة إلى البحر الأخضر مع بحر الأندلس إلى منقطع الرمل متصلين بالسودان، إلخ. وفي «القاموس والتاج»:[163] وبربر جيل من الناس لا تكاد قبائله تنحصر لفهم والحبشة من ولد حام وجمعه البرابرة وأكثر قبائلهم بالمغرب وفي الجبال من سوس وغيرها متفرقة في أطرافها وهم زناتة وهوارة وصنهاجة ونبزة وكتامة ولواتة ومديونة وشباتة، وكانوا كلهم بفلسطين مع جالوت فلما قتل تفرقوا، وبربر أمة أخرى وبلادهم بين الحبوش والزنج على ساحل بحر الزنج وبحر اليمن وهم سودان جدًا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم وكلهم من ولد قيس بن عيلان. وقال البلاذري[164] حدثني بكر بن الهيثم قال سألت عبد الله بن صالح عن البربر، قال هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس عيلان، وما جعل الله لقيس من ولد اسمه بر والأكثر الأشهر أنهم بقية قوم جالوت وكانت منازلهم فلسطين فلما قتل جالوت تفرقوا، إلخ.

54 - ذكر البربر في رحلة ابن بطوطة

وفي رحلة ابن بطوطة ما يشير إلى بعض أمورهم وهو قوله:[165] وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البربرة وهي طائفة من السودان وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقدشو ومواشيهم الجمال ولهم أغنام مشهوة السمن، وأهل زيلع سود الألوان، وزيلع مدينة كبيرة لها سوق عظيم إلا أنها أقذر مدينة في المعمور وأوحشها وأكثرها نتنًا وسبب نتنها كثرة سمكها والإبل التي ينحرونها في الأزقة، إلخ. ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مدينة مقدشو وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم وإسكان الواو، وهي مدينة متناهية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المائة في كل يوم ولهم أغنام كثيرة، وأهلها تجار أغنياء وتصنع بها الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها ومنها

163 - لم يأت «القاموس» ولا «التاج» بشيء جديد في نسب البربر، إذ كررت فيهما الروايات المتداولة وهي في جلها غير موثوق بها لتداخلها واضطراب معلوماتها ولعل أوثق المصادر حول نسب البربر ما روي عن سابق بن سليمان المطماطي وما كتبه ابن خلدون أو ذكره ابن الأحمر؛ هذا ومن المسلم به علميًا أن البربر لهم صلة من حيث أصولهم بسكان الجزيرة العربية القدماء، فتوارد عند النسابة أن جدهم مازيغ ينسب إلى كنعان، وصنهاجة وأوربة إلى حمير، وزناتة إلى عرب مضر؛ وقد اعتاد النسابة تقسيم البربر إلى برانس مستقرين وبتر مترحلين، نسبوا إلى القسم الأول: صنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأوريغة وازداجة ولمطة وهسكولة وجزولة، وخصوا القسم الثاني بكل من ضريسة ونفوسة وأداسة ولواته (بنو لوي).

164 - الإمام أبو العباس أو أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري (ت. 279 هـ/892 م)، فتوح البلدان، تحقيق وشرح وتعليق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص ص. 315.

165 - رحلة ابن بطوطة، ج. 2، ص ص. 111 - 123.

تحمل إلى ديار مصر وغيرها ومن عادة أهل المدينة أنه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار إليه ويكون في كل صنبوق جماعة من شبان أهلها، فيأتي [67] كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام ليقدمه لتاجر من تجار المركب فيقول هذا نزيلي، وكذلك يفعل كل واحد ولا ينزل التاجر من المركب إلا عند دار نزيله من هؤلاء الشبان إلا من كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فإنه ينزل حيث شاء فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه ببخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم، ولهم منفعة في ذلك ومن عادتهم أن يقولوا للسلطان الشيخ، وسلطان مقدشو يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمرو وهو في الأصل من بربرة وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائده أنه متى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم، فيعرف بذلك كله ويعرض على السلطان ومن استحق أن ينزله عنده أنزله عنده، ومن عادتهم أن يكرموا من أرادوا إكرامه من أوراق التنبول وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن وإدامه من الدجاج واللحم والحوت والبقول وغير ذلك من طعامهم، والواحد من أهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة لهم وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها، ثم ذكر كثيرًا من عوائد سلطانهم وقد حذفته للاختصار.

55 – ذكر ابن بطوطة لسواحل إفريقيا الشرقية (الصومال وزنجبار)

ثم قال ثم ركبت البحر من مدينة مقدشو متوجهًا إلى بلاد السواحل[166] قاصدًا مدينة

166 – رحلة ابن بطوطة، ج. 2، ص ص. 120-121. وكما هو واضح من رواية ابن بطوطة أن بلاد السواحل هي المناطق الساحلية لإفريقيا الشرقية الممتدة من جنوب الصومال إلى الموزمبيق والتي كانت على اتصال دائم بالجزيرة العربية وخاصة اليمن وظفار وعمان عن طريق التجارة والهجرة، ومن مراكز هذه السواحل الإفريقية الشرقية التي زارها ابن بطوطة وكانت مراكز تجارة هامة من جزيرة العرب والهند:

- مقدشو أو مقديشو (Mogadiscio): يعود تأسيسها إلى بعض المجاهدين العرب من منطقة الأحساء عرفت منهم أسرة المقري القحطانية، ومنهم إسماعيل بن المقري اليمني صاحب كتاب عنوان الشرف الوافي من سلاطين ماقدشو في القرن 6 هـ/12 م.
- مالندي: على ساحل إفريقيا الشرقية، مركز تجاري ومستودع للتجار العرب؛ ساعد أحد ملاحيها فاسكو دو غاما على الإبحار نحو الهند مستخدمًا الرياح الموسمية التي مكنته من الوصول إلى كاليكوت على ساحل الملابار في 18 أيار 1498 م بعد إبحار دام 63 يومًا في المحيط الهندي.
- كلوة أو كوليماني (Queliemane) كما وردت عند البرتغاليين، وهي تعرف محليًا بكيلوًا كيزواني (Kilwa Kisiwani)، وهي إحدى المراكز التجارية على ساحل تنزانيا تقع جنوب منبسا، يعود تأسيسها على الأرجح إلى النصف الثاني من ق. 4 هـ/10 م.
- سفالة أو سوفالا (Sofala): عرفت باسمها بلاد الموزمبيق عند المسلمين. أسسها تجار مقدشو، وأصبحت مستودع التجار العرب في ساحل شرق إفريقيا، كما كانت مقصد الباحثين عن الذهب في إقليمها الداخلي.

كلوا من بلاد الزنوج، فوصلنا إلى مدينة منسبى وأكثر طعامهم الموز والسمك وهم أهل دين وعفاف وصلاح، وجميعهم يمشون حفاة الأقدام، ثم ركبنا البحر إلى مدينة كلوا وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزنوج المستحكمو السواد ولهم شرطات في وجوههم كما هي في وجوه الليميين من جنادة، وذكر لي بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وأن بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفي يؤتى بالتبر إلى سفالة، ومدينة كلوا من أحسن المدن وأتقنها عمارة، إلخ، وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج والغالب على أهل كلوا الدين والصلاح، إلخ، وركبنا البحر من كلوا إلى مدينة ظفار وهي آخر بلاد اليمن [68] على ساحل البحر الهندي، إلخ.[167]

قلت وحيث ذكر ابن بطوطة التنبول[168] الذي يكرمون به من أرادوا إكرامه، فلنذكره هنا ليعلم العامة من السودان بأن ثمر الشجر التي يمضغونها الآن ويتكارمون بها بينهم ويسمونها كر ليست هي التنبول، وفي رحلة ابن بطوطة والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يغرس في مجاورة شجر النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما تصعد الفلفل ولا ثمر للتنبول وإنما المقصود من ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيمًا شديدًا وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما إن كان أميرًا أو كبيرًا وإعطاؤه عندهم أعظم شأنًا وأدل على الكرامة من إعطاء الفضة والذهب، إلخ.

خصها البحار الخليجي أحمد بن ماجد بأرجوزة «السُفالية». تعرف عليها فاسكو دو غاما (1487 م)، ومنها انتقل إلى ساحل زنجبار قبل القيام برحلته الشهيرة إلى الهند (1498 م). وأصبحت ضمن ممتلكات البرتغال في إفريقيا منذ مستهل القرن السادس عشر. في القرن التاسع عشر تراجع عمرانها وهجرها سكانها نحو مدينة شيلوان (Tchiloane) منذ سنة 1864 م.

167 – تعليق المؤلف: قلت وفي كتاب الصالح بن عبد الوهاب الحوضي، مقدشو بفتح الميم وكسر الدال المهملة والعامة تفتحها، بلد كبير بين الزنج والحبشة وهي مدينة بربرا من أمم السودان على البحر الهندي يعمرها تجار مسلمون لهذا العهد فاش فيهم وبربرا هم الذين ذكرهم امرؤ القيس في شعره، وهو قوله يصف فرسًا:

على كل مقضوض الذنابي معود
بريد السرى بالليل من خيل بربرا.

168 – رحلة ابن بطوطة، ج. 2، ص. 127. التنبول يعرف محليا ببلاد المغرب العربي بحب الطيب، وهي أوراق مخلوطة بقطع رقيقة من نواة الفلفل.

56 – عودة إلى ذكر الهوسا

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من تاريخ هوس ونقول إذا علمت ما ذكر تعلم أن الأقرب [إلى] الذهن المتوقد أن يكون أهل فوت من القبط أو البربر لكونهما أقرب إلينا من الروم ومع ذلك أن السودان من ولد حام وكذلك القبط والبربر، كما علمت بخلاف الروم فإنهم من ولد سام لا غير، وإذا فهمت ما كتبت لك من الجواب عما في هذه الورقة من غير الصواب تحققت ببطلان ما فيها وأن مثل هذا الشيخ الجليل والعالم النبيل عبد الله فودي لا ينبغي أن يقبل كلَّ ما سمع ولا بأن يغتر بكل ما رأى مكتوبًا ولو كان فيه ثناؤه ومدحه ورفعته واللائق بمثله أن ينصر الحق مطلقًا ويبطل الباطل إن تحقق أو يقف إن شك [69]، وفي الحكم العطائية(169) أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، وفي الشرح وقد شبه الحارث المحاسبي رضي الله تعالى عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به، ويقال له إن العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به، ولا شك أن العيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه. وقلت ولما كان مذهب الكثير من أهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه وأنه يقبل منه ما لا يقبل في الحلال والحرام، حتى أن السيرة النبوية تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع، ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله تعالى وليعلم الطالب أن السير تجمع ما صح وما قد أنكر، إلخ.

57 – الرجوع إلى ذكر سكان بلاد مالي ومن خالطهم من الأقوام

ولما كان الأمر كذلك قلت وفي كتاب «إنفاق الميسور [70] في تاريخ بلاد التكرور» للشيخ محمد بلّ الفلاّني(170) بن الشيخ عثمان المجاهد في بلاد حوص أن بلاد ملي في

169 – يعتمد المؤلف فيما يقتبسه من الحكم والأقوال على حكم تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء السكندري (ت. 709 هـ/1309 م) في التحذير من الاغترار بمدح الناس وثنائهم الذي يعتبره غاية في الجهل والغباوة. أنظر: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرّندي (ت. 792 هـ/1389 م)، غيث المواهب في شرح الحكم العطائية، وضع الحواشي خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص. 186.

170 – محمد بلّ (بيللو) بن عثمان بن فوديو (1196-1253 هـ/1783-1838 م)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، منشورات دائرة الوثائق والمكتبات، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1964. وكما هو معروف فإن محمد بللو جمع بين العلم والصلاح والحكم، تولى مسؤولية الحكم بعد أبيه الشيخ المجاهد عثمان دان فوديو (بن فوديو)، واستمرت خلافته

المغرب إقليم واسع يعمرها السودانيون ويقال إنهم من القبط وينبر والتورودي والفلاّنيين والعرب واليهود والنصارى وسرنكلي، قيل هم من الفرس، وفيها معادن الذهب ومرسى سفن النصارى من ملكان وإقليم التورودي هو إقليم فوت، وذكر أنهم كانوا وقفوا بجنب البحرين النيل والفرات فاستوطنوا هناك وجاوروا اليهود في الجزائر وكانوا إذا أضروا باليهود استفتح اليهود بجنود الصحابة ويقولون إنما أقمنا في هذه الجزائر لننتظر جنود نبي يرسل ولا نبي بعده فإذا بعث وتوفي قام بالأمر بعده صاحبه أبو بكر وإذا توفي قام بالأمر بعده صاحبه عمر فإذا توفي قام بالأمر بعده صاحبه عثمان ووردت جنوده على هذه البلاد ونزلوا على هذه المياه يعنون ترمس فإذا جاءوا تبعناهم وغلبناكم على هذه البلاد لأنهم لا يغلبهم أحد. هكذا وجدناه في كتبنا والتورودي يسمع، ولما نفذ جنود الصحابة إلى المغرب حسبما وردت به الأخبار، سارت إلى المغرب حتى نزلوا إلى ترمس، ولما رأى التورودي ذلك سبقوا اليهود فأسلموا، فقالت اليهود ليسوا بمن نقول لكم، فقال لهم التورودي نحن رأينا الحق فاتبعناه، فغزا الجيش سرنكلي ولما أرادوا الانصراف قال لهم أمير التورودي أتيتمونا بالدين ونحن جاهلون به، فخلفوا لنا ما يعلمنا فخلفوا لهم عقبة بن عامر وقيل عقبة بن نافع وهو الصواب، فجلس يعلم الدين والشرائع، فزوجه أمير التورودي ابنته بجمع، فولد منها أربعة أولاد دعت وناس ووي ورعرب أو رعر، إلخ، انتهى المراد منه، وسنأتي بشيء من تمام هذه القصة في تاريخ وطاب وتور إن شاء الله تعالى ذلك.

58 – نص وثيقة يتم تداولها على أنها صادرة من الروضة الشريفة

[71] قلت وفي فوت من مثل هذه الورقة الكاذبة(171) شيء كثير(172) ومثلها ورقة تدور فيها كل سنة إذا تأخر المطر عن إبّانه (أي أوانه) أو افتقرت واحتاجت أربابها واضطرت، فيزعمون أنها من الروضة الشريفة وأنها من إملائه عليه السلام على حاجب الروضة ووكيلها وكانوا يسمون الحاجب بالشيخ أحمد الوكيل فقط، ثم بدلوا ذلك في هذه السنين

21 سنة، توفي في بلدة ومركز رباطه برنو. له مؤلفات كثيرة منها «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» الذي نشر بمناسبة زيارة أحمد بلو رئيس وزراء نيجيريا لمصر سنة 1964 م (وهو أحد أحفاد المؤلف).

171 – الورقة الكاذبة، أو البرية وهي الرسالة ويطلق عليها المؤلف تسميتها باللسان الدارج وهي «البراوة» أي البرية أي البريد، وهي وسيلة دعائية تهدف لنشر بعض الآراء والأفكار اعتمادًا على حسن نية (أنظر هامش رقم (82)، ص. 104).

172 – تعليق المؤلف: قلت وفي فوت من مثل هذه الورقة الكاذبة كثير والبراوات الباطلة كثير.

القريبة وجعلوا مكانه الشيخ أحمد التجاني[173] لما ظهرت بركته وبهرت درجته في هذه البلاد الإفريقية، وتارة يكتبون فيها الشيخ سعد بوه[174] رضي الله عنه للترغيب والترهيب والتأكيد لشهرته أيضًا، ونصها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة على رسول الله، فهذه وثيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صاحب الروضة بينما أنا نائم أتاني الشيخ أحمد التجاني في منامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أمتي كادوا أن يعجزوني واستحييت من الله تعالى، فقل لأمتي فليتوبوا إلى الله توبة نصوحًا، فليخرجوا صدقة الطعام كله ويعطوه للمساكين والمجتهدين في طاعة الله وطاعة رسول الله والعلماء وأبناء السبيل يوم الخميس، فيقسمون الصدقة بين المساكين والعجائز، وبعد خروج الصدقة فليكتبوا هذه الآيات كل واحدة سبع مرات وهي: لقد رضي الله عن المؤمنين إلى قريبًا نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهذه الآيات كل واحدة منها سبع مرات، وآية الكرسي إلى آخرها مرة واحدة، قل هو الله أحد،

173 - الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن المختار التجاني الماضوي (1150 - 1230 هـ/1737 - 1814 م)، ولد بعين ماضي ناحية الأغواط بالجزائر، وهاجر إلى فاس (1171 هـ/1758 م)، وانتقل إلى الأبيض أولاد سيدي الشيخ، ثم ذهب إلى تلمسان، وتعرف على تونس ومصر. أخذ تعاليم الخلواتية عن الشيخ محمود الخلواتي في رحلته للحج (1186 - 1188 هـ/1772 - 1774 م). وبعد رجوعه إلى تلمسان تحول إلى فاس التي استقر بها؛ وبعد انتقاله إلى قصر الشلالة وأبي صمغون حيث أعلن طريقته وحدد الورد الذي يلتزم به مريدوه، عاد إلى فاس (1213 هـ/1798 م) مع خليفته سيدي علي بن حرازم، حيث أسس أول زاوية بها (1215 هـ/1800 م) وظل بها حتى توفي عام 1230 هـ/1814 م.

وكما هو معروف تقوم الطريقة التجانية على الاعتقاد ببركة مؤسسها الذي حصل على الفتح الأكبر والولاية العظمى لتربية مريديه والالتزام بالورد باعتباره سلم الترقي للمعرفة الربانية الشهودية والمساعد على اكتساب الطهارة الباطنة الكاملة وعلى القرب من الله تعالى، وهو حسب اعتقادهم يفتح باب الخصوصية العظمى. والأذكار المكفرات عن الذنوب حسب اعتقاد المريدين والتي يقوم عليها الورد التجاني هي الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله والتي عرف بصلاة الفاتح (انظر هامش رقم (366)، ص. 240). وقد نشط مريدو الشيخ أحمد التجاني في الدعوة إلى طريقته التي تصدى لها حكام الجزائر العثمانية، وفرضت التجانية وجودها كطريقة ذات نفوذ شعبي بفعل دعوة ابني مؤسسها محمد الكبير ومحمد الصغير ووكلاء الطريقة ومقدميها وفي طليعتهم علي بن عيسى مقدم زاوية تماسين، ومحمد التونسي الذي أعاد الطريقة إلى موطن مؤسسها (عين ماضي)، فتعرضت لعداء حكام الجزائر العثمانية الذين هاجموا مقر الزاوية (1199 و1200 هـ/1784 و1785 م)، ورد عليهم التجانيون بمهاجمة مدينة معسكر في سنتي 1243 و1244 هـ/1826 و1827 م، حيث قتل محمد الكبير، بينما واجه محمد الصغير حصار الأمير عبد القادر فيما بعد (1252 هـ/1838 م)، وكان له اتصال بالفرنسيين (المرشال فالي)، واكتسب حفيد صاحب الطريقة أحمد تأييد الفرنسيين سنة 1288 هـ/1871 م.

174 - الشيخ سعد بوه أبيه الخليفة بن الشيخ محمد الفاضل بن مامين التلقمي (ت. 1335 هـ/1917 م): أحد مشايخ الطريقة القادرية ذوي السمعة والمكانة لدى أتباعه الكثيرين بالسنغال.

إلخ، مرة، والحوقلة مرة، ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين مرة، وتغسل في إناء كبير، وكل صاحب دار يأتي بزرع فيأخذ شيئًا من ذلك الماء المغسول به الآيات فيشرب منه [72] هو وجميع عياله ويغتسلون به في موضع طاهر، واعلموا أن أبواب التوبة قد قرب غلقها واعلموا أيضًا أن بين السنة الماضية والسنة القابلة يموت فيه من بين الرجال والنساء اثنا عشر ألفًا لا يدخل أحد منهم الجنة إلا سبعة أربعة من أهل مكة وثلاثة من أهل المغرب، وقل لوكيل الروضة المشرفة فليقل للنساء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فليتصدقن على بعولتهن من صدقاتهن ومن لم يكن عندها من صداقها شيء فلتخرج من مالها حلالاً طيبًا سبعة أشياء فتصدقها على بعلها لأنهن لا يخفن الله تعالى ولا رجالهن ولا يستحيين ولا يتواضعن لأزواجهن وأن الرجال أيضًا لا يخافون إلا اليهود والنصارى ومن تنصر ولأن كثيرًا يلدن من الزنى ولدًا نجسًا، فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وقل لهم أيها الوكيل يتراضون بينهم ويتعافون ما بينهم من الغيظ ويتصدقون أموالهم عند قراءة الوثيقة ويتناصحون، والنساء يرضين أزواجهن فمن لم ترض منهن زوجها تمت في هذه السنة بلا كذب ويلحقها العذاب، وأن الرجال والنساء قد غيروا السنة وجعلوا مكانها البدعة ويتركون فرض الله ويختارون الكفر واللهو. وقال الشيخ أحمد التجاني: قال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب لا تهلكنا بذنوبنا ولا يغفر الذنوب إلا أنت واعلموا أن الحسد والعداوة والنميمة قد كثرت بين الجيران وكذلك الخيانة بين الإخوان وكذلك المتزوجون يتركون زوجاتهم ويتبعون الباطل وهو الزنى، ومن لم يخرج هذه الصدقة ير الفتنة والبلاء سريعًا، وكيفية الصدقة كل قرية بقرة وشاة يجتمعون ذكورهم وإناثهم على صدقة قميص وسروال وقلنسوة وسبع طنبولة بيضاء أي كر، ويطبخ النساء الطعام ويذبحون الغنم والدجاجة، وسلطان البلد يخرج العجل الأحمر وسبع طنبولة بيضاء ومائدة، وإن لم يخرجوا الصدقة ولم يتوبوا لا ينزل المطر ولا يرون قطرة إلا أن يتوبوا ويتصدقوا نساءهم كلهن لا تبقى واحدة منهن عزبة بلا زوج، ويعفو كل واحد عن أخيه الذي بينه وبينه غيظ، ويتركون ما بينهم [73] من العداوة والحسد والنميمة ويتوبون توبة نصوحًا ويتخذوا مساجد الله بيوتًا، وإن فعلتم بما في هذه الوثيقة نجاكم الله من جميع المصائب والبلايا والفتن والطاعون، وإن أبيتم ولم تمتثلوا ينزل عليكم العذاب ولا ينجو أحد منكم وعلامة هذا البلاء والفتنة أنكم سترون نجمًا ذا ذنب يظهر بين ذي الحجة والمحرم ويأتي ريح كبيرة ومرض كثير، وإن لم تخرجوا الصدقة

المذكورة تأت ريح كبيرة يموت بين الليل والنهار ألف من الماعز وألف من الضأن وألف من البقر وألف من الإبل وألف من الرجال وألف من النساء، أعاذنا الله تعالى من المصائب آمين، ومن حمل هذه الوثيقة من بلد إلى بلد يغفر الله ذنوبه ومن نقلها من قرية إلى قرية أخرى يجد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، يا جماعة المسلمين أبلغوا هذه الوثيقة من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مشارق الأرض ومغاربها يمينها وشمالها إلى غيرهما من جهات الأرض تؤجروا.

59 - رأي المؤلف في هذه الوثيقة وملاحظته على مضمونها

وهكذا رأيتها مشحونة بالتكرار واللحن وأنا الذي صححت منها ما قدرت عليه وما لا، فلا بد أنقلها كما هي، وهذه الوثيقة من منذ نحن صغار نراها تدور في البلاد ولم يتبدل منها حرف والعوام لا يتفطنون لها ومن تفطن لها منهم يرضها بما فيها من تصدق النساء بصدقاتهن على بعولتهن أو بإرضائهن لهم وإن لم تكن له زوجة يرضها أيضًا رجل بأن تصدق عليه بامرأة يتزوجها بلا تعب، والعاقل إن رآها يتقن على البديهة أنها أكذوبة إلا أن فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن لو كانت وعظًا خاليًا من الكذب عليه صلى الله عليه وسلم فلا بأس، ولكن فيها من الحيل والمكائد التي تكاد بها السفهاء من أنه كل من يأتي لأخذ غسالة الآيات[175] فليأت بزرع وأن الناس يجتمعون ويعطونه قميصًا وسراويلاً وقلنسوة وأن الزرع له أيضًا، وأن النساء يجتمعن لطحن الزرع الذي يأخذ غسالة الآيات والطبخ في المسجد وهن متبرجات لابسات أحسن ما عندهن من اللباس في مأتم عظيم، وفيها أيضًا تخويفات وتهديدات بالموت في هذه السنة وعدم نزول المطر ولا يحصى [74] ما فيها من المناكر، ومثل هذه الورقة الكاذبة كثير من قولهم بأن الشيخ الحاج عمر حي سالم ساكن بين مكة والمدينة وأنه راجع إلى فوت بعدما يئس الناس منه إلى غير ذلك من الأكاذيب بمجرد الأهواء المضلة والآراء الكاذبة المزلة، وإن سألت أحدهم عن ذلك وجدت بناءه على غير أساس ثابت والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

175 - غسالة الآيات: وهي إحدى أنواع الرقية الشائعة لدى العامة من أهالي السودان الغربي، وهي أن تكتب بعض الآيات أو السور القرآنية، وتمحى حروفها بالماء ليشرب منه أو يغتسل به.

60 - ذكر أصل بعض سادات الهوسا

ثم اعلم أن السادات من أهل هوس أمير المؤمنين الشيخ عثمان فودي وابنه أمير المؤمنين محمد بلّ وأخاه العلامة الشيخ عبد الله فودي أصلهم الفلاّن من قبيلة ده أودم وقراهم في فوت همد هنار وفمهار دهبب ودلماج دمب وسكت وجما الوال،[176] وأهل بند هم من تورب وكل من تاب منهم وصار من أهل العلم يغير لقبه من ده إلى دم ويهجر قومه البدويين ويركن إلى أهل العلم المسلمين من أهل القرى والمدن الذين هم تورب في عرفنا، ويتزوج منهم ولا يتزوج من قومه إلا إذا تابعوه في الدين، وهكذا أصل كل تورود، وقبيلة دم ليس منها في فوت تور أحد من الماماتها.

61 - نص وثيقة ثانية منسوبة إلى الشيخ أحمد الفاسي وكيل الروضة الشريفة

ثم بعدما كتبت هذا في شهر أكتوبر الإفرنجي عام 1920 من الميلاد،[177] سمعت بورقة أخرى تدور مثل الأولى في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت لها فجاءتني، ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي عليه السلام، واعلم بأن هذه البراوة جاءت من المدينة الشريفة ومن النبي صلعم، أن الشيخ سيدنا أحمد الفاسي وكيل الروضة الشريفة قال كنت ليلة الجمعة أتلو القرآن عند الروضة الشريفة بعد صلاة العشاء الأخيرة فنمت سبحان الله الذي لا ينام، فإذا النبي صلعم فقال لي من الجمعة إلى الجمعة يموت من أمتي مائة ألف وسبعون ألفا كلهم يموتون على غير الإسلام والعياذ بالله تعالى من ذلك إلا سبع مائة ماتوا على الايمان، وقال أنا استحييت ربي من أجل أمتي وبقيت متحيرًا ولا انظر إلى وجوههم لأنهم ما علموا بهذه البروة واتبعوا أهواءهم وزاد فسقهم وفجورهم والكذب والغيبة والنميمة وينامون عن أوقات الصلاة ويعملون الكبائر والفواحش، حتى قال الله تعالى إنه يريد أن يمسخهم [75] عن أقبح صورة، فقلت يا رب أسألك بعزتك وجلالك أن لا تمسخهم حتى أرسل إليهم هذه البراوة، فإن لم يطيعوا فافعل ما شئت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شيخ أحمد قل لأمتي إن يوم القيامة قريب وباب التوبة قد قرب غلقه

176 - تعليق المؤلف: وكذا في بند بعض قراهم وقد صار أهل همد هنار ودلماج دمب وجما الوال.

177 - سنة 1920 م توافق 1339 هـ.

وحينئذٍ لا يقبل منها شيء وهذا آخر شفاعتي لهم وقد أمرتهم أن يتوبوا قبل أن يغلق باب التوبة ويصوموا ثلاثة أيام من الشهر ويصدقوا على اليتامى والمساكين وفي اليوم الرابع يستغفرون الله تعالى ويكثرون من الصلاة على النبي صلعم ويصلون أرحامهم، ويا شيخ أحمد قل لأمتي فليصلوا في المساجد وليتركوا أهواءهم ويزوروا إخوانهم إذا مرضوا وإذا سلم أحد منهم على الآخر فليرد عليه السلام وإذا مات فليصلوا عليه، وقل لأمتي يا شيخ أحمد من دخلت هذه الوصية في يده ولم يقرأها للناس فإني بريء منه ويكون في النار، ومن كذب بها مات على غير الإسلام والعياذ بالله تعالى، ومن صدق بها آمن من عذاب القبر، وأيضًا يا قارئ الكتاب والمستمعين إني أرى في المنام أن الناس يكونون في الجوع مدة سبع سنين لا ينجو منه إلا من أخرج الصدقة وقال لا إله إلا الله الملك الحق المبين الباقي ألف مرة يوم الاثنين اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الحبيب وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم ألف مرة يوم الجمعة فإنهم ينجون من جميع البلايا والجوع، ومن لم يستطع قراءتهما فإنهما يكتبان ويعلقان على عنقه ولا يكون عليه عذاب شديد، ومن فعل وتصدق بماله فإنه ينجو منها، وقل لهم يرسلونها من بلد إلى بلد ومن دار إلى دار ومن قبيلة إلى قبيلة ومن أرسلها من موضع إلى موضع آخر فأنا شفيعه يوم القيامة وإذا مات يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، ومن كان بيده ولم يرسلها إلى بلد آخر فأنا بريء منه، والسلام على من اتبع الهدى والعذاب على من اتبع الهوى، انتهت. قلت وفي هذه أيضًا ما في الأولى من الكذب عليه صلى الله عليه وسلم ومن الحيل لأكل أموال الناس بالباطل المحض.

62 - نص وثيقة ثالثة تنسب إلى الشيخ سعد أبيه الخليفة

ثم لما نقلت هذه رأيت أخرى مثلها في يد بعضهم ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحمدلة، وبهذا إعلامكم أيها الناس ذكورًا وإناثًا قد جاء إليكم [76] خبر من عند الشيخ سعد أبيه الخليفة، قال نمت فرأيت في منامي وسبحان الذي لا ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي من الجمعة إلى الجمعة مات من أمتي مائة ألف وسبعون ألفًا كلهم يموتون على الكفر أعاذنا الله منه وأنت رسولي إليهم بأنهم قد اتبعوا

أهواءهم وزادوا في الفسوق والفجور والكذب والغيبة والنميمة وينامون في أوقات الصلاة ويعملون الكبائر والفواحش، وقال الله تعالى أردت أن أهلكهم وإن تصدقوا بحق وألا ينزل عليهم الشر والوباء والبلاء وقلة المطر والقحط والمصائب والجراد ويموت كل من يمشي على الأرض لا يبقى منهم شيء إن لم تتصدقوا، فإني الشيخ سعد أبيه أقول لكم عليكم بعمل الصدقة في المسجد وتتوبون إلى الله يرزقكم الله في الدنيا والآخرة وإلا وقع الطاعون في بلادكم بسبب جحودكم بما جاء إليكم من الكتاب وخبر الحريق وتأتون الفواحش والمناكر كالغيبة وقطع الأرحام والنميمة والغصب والحسد والبدعة وقلة صلة الرحم وقلة التقوى ونقص الأمانة بينهم وقلة الحياء في الناس وكثرة الفسوق، فبسبب ذلك سلط الله عليكم قلة الأمطار والقحط والمصائب والجراد والعصافير والخنافيس والفأر والغربان والقردة تأكل زروعكم حتى لا تجدون في حرائثكم ولو حبة واحدة وتموتوا بالجوع إلا إذا تصدقتم أبكاركم وثيباتكم وزوجتموهن رجالاً وتصدق نساؤكم مهورهن على رجالهن وتصدقتم الأغنام، وإن لم تفعلوا ما أقول لكم سلط الله عليكم الموت بلا تأخير ويموت صبيانكم وتبعهم أكابركم إلا أن تسألوا الله العفو وتتعافوا فيما بينكم أيها الناس، إن الدنيا لم يبق منها إلى قليل فما بعد الدنيا إلا الجنة والنار فتوبوا إلى الله بالعجل قبل هذا الأمر وأنتم ما ترون وقد أتى لكم النجم الذي له ذنب كذنب الحية وقد رئي في جميع البلاد وإن ذلكم من علامة الطاعون، وإن فعلتم الصدقة المروية فاكتبوا بعدها آمن الرسول وقل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة ينجيكم الله من الوباء والبلاء بلا شك، ومن شك في هذه البراوة فهو كافر يموت بالكفر ومن حملها من بلد إلى بلد ومن دار إلى دار ومن موضع إلى موضع ومن قرية على قرية إلى قرية حرم الله جسده على النار كما حرم جسد النبي صلى الله عليه وسلم، والسلام على من اتبع الهدى.

63 - حول استمالة الناس البسطاء بادعاء النسب الشريف

ونسخها [77] كثيرة ومعناها كلها يرجع إلى الكذب عليه صلى الله عليه وسلم وإلى الاحتيال الكاذب لأموال الناس بالباطل لأن أهل هذه البلاد جلهم سفهاء يستمعون إلى كل ناعق ويقبلون قول كل ناطق وجلهم لا يعرفون الحق فأحرى أن يعرفوا أهله، فلذلك من قال

لهم أنا شريف فكل ما حكم به عليهم فهو ماض ولا ينظرون إلى صحة دعواه، ومن قال لهم أنا المهدي فلا يشكون فيه، وأظن أن من ادعى فيهم النبوة الآن فلا يكذبونه ولا يرتابون فيه لاسيما إن كان فيه بعض كهانة وظاهر صلاح، وهم ضعاف عقلاً وحالاً، فليتق الله فيهم من اتقى الله. ومن رأى أحوال الشيخ عمر معهم وغيره ممن تظاهر بالقوة الباطنة والظاهرة ويما قلته، وقد جاء بيضاني إلى فوت وادعى الشرف فصدقوه على زعمه فسكن معهم يتقوت فيهم بالمكس وهو أخذ أموالهم قهرًا وكان معه ولدان له فلما مات قام أحد ولديه يجادل من ادعى الشرف من البيضان ومع هذا البيضاني المدعي الآن ورقة فيها نسبه، فلما جاءه ولد الشريف الفوتي جادله وأراد منعه من أخذ الهدية، فقال له البيضاني هذه النسخة فيها نسبي وأين نسخة نسبك أنت، وكان الفوتي لا يعرف نسبه بل سمع أباه فقط يدعي الشرف فادعاه هو كما ادعاه أبوه لا غير، فلما قيل له إيت بنسبك استمهلهم إلى غد فلما كان الغد جاءهم وأخبرهم أن أباه أتاه في النوم بنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نسبه كذا وكذا وأخبره أبوه أيضًا بأن هذا الذي يجادله ليس بشريف بل هو من الحدادين الفلاّنيين وأن ورقة نسبه هذه مقولة كاذبة، فقبل أهل فوت قوله ولم يشكوا في صدقه وطردوا الشريف البيضاني الذي أتاهم بورقة [النسب] وصدقوا خصمه الذي قال لهم إنه ألهم نسبه هذا في المنام، فهو الآن من أعظم شرفاء أهل فوت جاهًا بل هو أشرف شرفائهم الآن، ونسبه هذا مكتوم عندهم جدًا عن العلماء العقلاء، فلا يطلعون عليه أحدًا منهم البتة، فيا الله العجب كيف يثبت الشرف بالإلهام النومي إلا عند المجانين والصبيان الذين لا يتنبهون لشيء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول كذب النسابون مع أنه أولى بإلهام نسبه إلى أبيه إبراهيم عليه السلام ومع تحقق جميع العرب بأنه عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام، وانظر جراءة هذا المدعي مع الجهل على ما ادعى الحقيقي، والله يغفر لنا ويسامحنا آمين آمين [78]، وأعجب من ذلك أنهم يذكرون ذلك على معرض المدح له، حيث ألهم هذا من غير تعليم أحد ويعدونه من الكرامات الباهرة، فيا الله العجب الغير متناهي، وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الإنكار من أخبره بذلك.

64 - ذكر بعض الخرافات الشائعة عن السحر والسحرة وظاهرة المصاص والسلال

ومن سفاهة أهل فوت بل وأهل أرض التكرور تصديقهم بوجود سحرة[178] يمصون دم الشخص ويسلون قلبه من بطنه فيموت المسلول أو يخبل لذلك، ويزعمون أنهم في الليل يلتمسون ذلك من أرواح النائمين ويسمى واحدهم في كلام الفلاّن من أهل فوت سكج بضم السين والكاف وفتح الجيم العجمي، ويسمى عند أهل فوت جلو جامنيج وعند البيضان بالسلال. قلت واعتقادي بل واعتقاد كل عاقل سليم العقل بطلان ذلك وإحالته عقلاً، ويزعمون أنهم يعرفون ذلك في أشخاص بعلامات كلها باطلة لا أصل لها، منها أنهم يزعمون أن

178 - سحرة إقليم التكرور: السحر يحتل مكانة مميزة في العادات والممارسات لدى أهالي السودان الغربي، لما يدعيه السحرة من استخدام مفترض للقدرة فوق البشرية أو غير الطبيعية للتحكم في التصرفات والسلوك، ولما للظواهر الطبيعية من تأثير نفسي إيحائي أكثر منه عملي واقعي. ورغم محاربة الأديان السماوية لممارسة السحر ومنافاته للعقل السليم والسلوك السوي إلا أن ممارسته ظلت شائعة في الكثير من البلدان وخاصة مجموعات السودان الغربي، وهو يشمل أعمال الشعوذة والعرافة والدجل والتطبيب وقراءة الطالع والتكهن بالغيب، وهذا ما جعل الشامان (أي الطبيب الساحر) له مكانة في المجتمع، وحركاته وطقوسه وما يرتبط بها من تمائم وأحجبة وطلاسم وتعويذات أمورًا شائعة.
كان للسحر مكانة مميزة في معتقدات السودان قبل الإسلام ارتبطت بعبادة الأصنام (الدكور)، وظل له تأثير بعد انتشار الإسلام في المجتمعات الإفريقية، حيث كان الاعتقاد السائد أن أرواح الأسلاف تسكن الحيوان والاعتقاد في السحر والشعوذة والميل إلى الأخذ بالأساطير التي تأخذ بالمعتقدات الأولى (الطوطم). وقد احتل الثعبان مكانًا مميزًا في الميثولوجيا الإفريقية لارتباطه بفكرتهم عن أصول الحياة، فيكاد الثعبان يكون قاسمًا مشتركًا لغالبية الديانات الوثنية الإفريقية، فتعددت قصصه لدى الهوسا والفلاّني والسوفراي، وتذهب إحدى الأساطير إلى أن الثعبان «كوار» رزق بأربعة عشر ولدًا، توجه ثلاثة منهم إلى إفريقيا، واحد منهم تعاهد مع البول (الفلاّني) وأعطاهم البقر.
وذكر البكري أن «زافقو» يعبدون حية كالثعبان العظيم لها عرف وذنب، ومنهم من يعبد الحوت الذي يظهر في الماء، وأهل جار (Diara) طوطمهم الأسد لأنه أرضع جدهم وأنقذه من الموت، والكبالى طوطمهم السمكة التي أنقذت جدهم، والبمبه (Bambuc) طوطمهم الحشرة التي أنقذت جدهم من فك التمساح.
والسحرة (Aze) زمرتان: «أدريتو» الطيبون الذين يحمون الناس ضد الأعداء غير المرئيين، والسيئون الذين يقتلون خفية ويستطيعون استخدام وتسخير حيوان لشرب دم الضحايا وهم نائمون.
وللسحرة مكانة في المجتمع، يتميزون بملابسهم اللامعة والقرعان الموضوعة على رؤوسهم، ويستعملون «بو» للإزعاج أو الدفاع ضد الأعداء، وهو قطعة معدنية أو خشبية أو شريط أو ريش عصفور أو أسنان زواحف، تقرأ عليها تعويذة غامضة وهو «تشي» الذي يتيسر في النسيان والسكوت «الشاكاتو» الذي يسمم على بعد، و«زيندو بو» الذي يخفي الناس عن العيون، وتم الغبو (Gbo) الذي يحتفظ بالسموم والمواد المخدرة الأخرى، و«البوتو» (Boto) الذي يحرك ضد الأمراض والحوادث.
وحسب أحمد الأمين صاحب الوسيط فإن السحر قد انتشر بين عبيد أهل شنقيط وخاصة تججكة، فزعموا أنهم يأخذون قلب الذي يسحرونه ويوارونه التراب ليصبح كبشًا بعد مدة، وأن المسحور لا يموت ما لم يذبح ذلك الكبش. وفكر أهل شنقيط في قتلهم لكن حاجتهم إليهم في خدمة النخيل جعلتهم يستقدمون سحرة من السودان «شيرنه» (كيرنه) ليكشفوا عن سحرهم لكن بدون طائل. أنظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط. 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002، ص. 54.

السلال من علاماته أنه لا ينظر إلى من نظر إليه بل يرد السلال نظره عن الذي نظر عاجلاً أي لا تلتقي عيناه مع عيني غيره إلا رد عنه نظره عاجلاً، ومن علاماته عندهم أيضًا شدة حمرة العينين وأن الشخص إذا كان يرى في منامه بأنه يطير ويحضر محلاً يذبح فيه حيوان كبقرة أو نحوها أو يرى في المنام كأنه يأكل نحو بطيخ باطنه أحمر فإنه من أولئك السحرة المصاصين للدم، فلذلك ترى كثيرًا من الأغمار إن تكررت منه رؤيا ذلك في المنام يأت لكبير السحرة الذي يزعمون أنه هو الذي يرعاهم في الليل ويمنعهم من أكل الناس في كل ليلة، فيقول لذلك الكبير إني من السحرة المصاصين فأزل عني ذلك فيعطيه الأجرة، فيقيئه ذلك الكبير بأن يسقيه أدوية مقيئة فيقيء، ويزعمون أنه يقيء القلوب التي كان يأكلها أولاً فيسأله الكبير فيقول لمن هذا القلب فيقول قلب فلان وهكذا إلى أن يتم قيؤه، ثم يغسله كل يوم بماء فيه أدوية يزعمون بأن الاغتسال بها يطهر الساحر ويخلصه من سحره إلى أن تتم مدة الغسل المحدودة عندهم ثم يأخذ قرن البقر أو الثور فيطعن به حوالي نقرة قفاه يزعم أن ذلك يعمي أو يعور عينيه اللتين كان ينظر بهما من ورائه، ويطعن أيضًا في إبطيه ليكسر بذلك جناحيه ليمنعه بذلك من الطيران، وإذا تم ذلك كله يشرع [79] في تعليمه العزائم التي يحجب بها نفسه عن السحرة المضرين وغيرها من العزائم المتعلقة بذلك النافعة لما هنالك، ولا بد من أجرة لكبير السحرة في كل شيء من ذلك على قدره، ثم يعلمه خواص النباتات النافعة في الأمراض السحرية، قلت بل هي نافعة في تلك الأمراض بعينها من غير السحر، ونسمي كبير السحرة المداوي هذا بليج ومعناه في كلامنا الساحر، وهو الذي كان مصاصًا ثم تداوى عند كبير السحرة فأزال عنه ذلك بالقيء والغسل وتعليم العزائم وخواص النباتات، ويزعمون أيضًا أن كل مولود وقد نبتت أسنانه إذا بودر به وتعلم العزائم والخواص فقد صار كند ومعناه العليم أي الساحر العليم، وإذا لم يبادر به وترك يصير مصاصًا للدماء أو يمصوا دمه ويقتلوه عاجلاً، ثم اعلم أن أكابر السحرة العالمين بالأدوية قد يقولون فلان مصاص للدماء وسلال للقلوب فيقبل قولهم ويطيعهم فيقيئوه ويغسلون إلى أن يجيروه ويطلقوه فيصير مثلهم وقد ينكر ذلك منهم ويأبى عنه فيذهبون معه إلى سحرة آخرين فقد يوافقونهم ويصدقونهم فيضطر المنكر الآبي إلى الانقياد لهم حينئذٍ وقد يخالفونهم لكون المقال فيه ذلك قد أعطاهم شيئًا سرًا فرضوا عنه وحينئذٍ يخالفون السحرة المدعين وينكرون عليهم ذلك، فيسلم المدعى عليه، وقد لا يذهبون معه إلى سحرة آخرين بل يخوفونه في محفل عظيم يجتمع فيه الرجال

والنساء ويسمى ذلك المحفل عندنا برا ويرعبونه بأنهم يطيرونه الآن حتى يصير يطير ويراه الناس عيانًا فيتوهم صدق قولهم فيخاف ذلك ويقر تعجيلاً للراحة، وقلت لو لم يخف وثبت لم يقدروا على أن يطيروه ولو عملوا من السحر ما عملوا ولكن لا يثبت لذلك قلوب الحمقى لأن قلبه مهموم مغموم لافتضاحه بين الناس بأنه يأكلهم فيستحيي بذلك أشد الحياء فيجعل لقلبه الراحة بالإقرار، وقد يخوفونه أيضًا أنهم يصيرونه وتدًا موتودًا لا يجيء ولا يذهب بل ولا يقوم من مجلسه، فيخاف ويتوهم صدق قولهم فيقر تعجيلاً [80] للراحة أيضًا، ويزعم هؤلاء السحرة أن المصروع إذا تكلم الجني عن لسانه يقولون أنا المتكلم السلال المصاص لا الجني، وزعموا أن من الخواص إذا بخر المصروع بروث الحمار الذكر يتكلم سلاله الداخل فيه ويخرج فيفيق المصروع والله تعالى أعلم. ثم إن الذي قيل فيه إنه سلال ومصاص فأنكر وأبى يخاف منه الناس ويفرون منه فيضجر من ذلك فيضطر إلى الإقرار ليقيء ويغتسل ويتعلم ويصير من أكابر السحرة المحترمين لا من السلالين المهانين. وقد رجعنا من سفرنا إلى كنكل ذات مرة ووجدنا الناس من أهلها في إرجاف يقولون إن فلان كَوَاجِ منهم أقر على نفسه عند كبير السحرة بأنه سلال ومصاص وأنه يريد منه الاغتسال ليتطهر من السل والمص، فصاروا يقولون لولا أن السل حق لما أقر هذا على نفسه به، فقلت لهم إقرارهم على نفسه بذلك لا يوجب حَقِّيَتَهُ، فقالوا بل هو من موجباته لأنه لما قاء قام بعد ذلك في الطيران والسل فمن سمعته منكم يقول شيئًا كشفت عورته وفضحته بأنه سلال، فلما سمعت ذلك ناديته ليحضر عندي فلما حضر قلت له بحضرة مريدي وصهر الشيخ عبد الرحمن يا فلان نحن نسألك بالله تعالى ولا نحب الكذب إن كنت سلالاً وقد بلغنا بأنك أقررت بذلك على نفسك عند كبير السحرة فلان، فهل ذلك حق أم لا، فقال الإقرار حق وكوني من أهل الطيران والسل باطل إن كان السلال يعرف نفسه فقلت كيف ذلك، فقال إن الناس ادعوا علي أولاً بأني من شاربي الدم حين تزوج فلان أختي فلانة وهي صغيرة بكر فكرهته وصارت تهرب منه كل ليلة وتختفي في الفضاء تحت الأشجار حتى ذهب عقلها وجنت، فجمع زوجها أكابر أهل السحر فزعموا أني وأمي وأختي الأخرى فلانة نحن الذين أخذوها، فشاع أمرنا في ذلك ولم نجد حيلة في الدفع عن أنفسنا فذهبوا بي إلى ساحرة كانت في كنكل فقيئتني وغسلتني بأدويتها السحرية ثم بعد ذلك مرضت ابنة [81] أختي المذكورة فادعى زوجها أيضًا بأني أنا الذي أكلها لأني لم أتطهر من غسلتي الأولى فخفت على نفسي من هذا العيب والشتم،

فذهبت إلى ساحر كان في كنكل يداوي الناس من مرض السل ليغسلني ويطهرني من السل أيضًا فمكثت معه ثلاث سنين أغتسل وأقيء وأتعلم حتى أجازني وأطلقني فظننت أني سلمت من الناس، فمرضت ابنة أخرى لأختي التي مر ذكرها بالجنون وادعى زوجها أيضًا بأني أنا الذي سللت قلبها وإني لم أتطهر إلى الآن، وصار كلما لقيني أحد في طريق يعرض علي بالشتم ويقول لعن الله شارب الدم ولعن والديه حتى ضاقت نفسي بذلك فجئت إلى كبير السحرة فلان المذكور أولاً لكونه أشهر بالسحر من غيره لعله يجيزني فإن من أجازه منا يسلم من هذا العيب، فلذلك جئت إليه وأقررت له بذلك لأستريح لا غير. فقلت وقد بلغنا أنك هددت الناس بأنك تعرفهم وبأنهم كانوا أصحابك في السل، فقال نعم قد قلت ذلك بسبب أن الناس كانوا قد أتعبوني أولاً وأضجروني جدًّا وكنت آيسًا من الخلاص من هذا العيب، فلذلك زدت فيما أتيت من القيء والغسل بالتهديد الشديد وتخويفهم بهذا الوعيد لينتهوا عني، اهـ ما دار بيني وبين هذا الرجل.

65 - طنجينا أو الطقوس المزعومة لكشف المتهم بالسحر

واعلم أن مما يقيئون به من زعموا أنه مصاص ملء اليدين من عروق جفر بجيم وفاء عجميتين ثم راء لنبات معروف عندنا وملء اليد من عروق كوم الأسود بكاف عجمي شجرة معروفة عندنا وأيضًا ملء اليد من قشور بن وعروق بلب الأحمر ثم قصبات ثدي الفيل السبع وملء اليد من دقيق دربك يطبخ الجميع إلى أن يغلي ويطيب ثم ينزل القدر ويؤخذ ما فوقه من الماء الشبيه بالدهن مع قليل الماء التحتاني، ثم يسقى المصاص فإنه يقيء الدهنية فيظن الناس أنه مداد عن القلوب التي كان يسلها ويأكلها، ثم إنهم لا يسقونه منه إلا قليلاً لأنه سم قاتل ومتى سقي فوق القليل المذكور يمت فيقولون إن موته دليل على أنه ليس بسلال ولو كان سلالاً يموت به [82] وأن الذي قال فيه ذلك متوهم غالط لا غير، وهذا القيء أجرته بيصة، وأما الغسل فيغسل بدربك وثدي الفيل وكشوت[179] بلب أو بر كيلو في فخارة مملوءة ماء مع هذه الأشجار يغتسل بها سبعة أيام وأجرتها بيصة أيضًا، ثم فخارة أخرى كذلك، ثم أخرى كذلك إلى تمام ثلاث فخارات فيتم غسله، فيشرع في التعلم والقراءة للعزائم وخواص النباتات، انتهى والله تعالى أعلم. قلت ويشبههم في هذه العادة القبيحة السيئة أهل جزيرة

179 - تعليق المؤلف: والكشوث معناه توناو في كلامنا والله تعالى أعلم.

مداكسكر،[180] وفي «قطف الزهور في تاريخ الدهور»،[181] أما عوائد أهالي مداكسكر فقبيحة إلى أن قال ومن عوائدهم الوحشية عملية احتيالية يسمونها طنجينا[182] أي عملية كشف السحر، استعملوها في القضايا الواقع فيها الشبهة على بعض الناس من جهة كونهم يستعملون السحر أو لهم مداخلة في فتنة سياسية أو ميل نحو النصرانية، وكان اعتقاد العامة في صدق هذه العملية بهذا المقدار قويًا حتى أن الأبرياء المتهومين في الشكايات المذكورة فضلاً عن كونهم يخضعون ويسلمون بصحة تلك العملية كانوا يطلبون أن تجرى عليهم برغبة شديدة لتبرير أنفسهم أمام الشعب مع أن الأكثرين منهم يموتون من مخاطرها وتموت براءتهم معهم، أما كيفية تلك العملية فإنهم كانوا يؤتون المتهوم أمام رئيس الطنجينا ويقال له اللاعن فيضع في فمه ثلاث قطع من جلد دجاجة ليبلعها بدون مضغ ثم يطعمه قليلاً من الأرز المفلفل، وبعد ذلك يأتي بجوزة من السم فيبرش[183] منها قليلاً في عصير موزة ويسقيها للمتهوم ثم يضع يده على رأسه ويبتدئ بهذه الصلاة قائلاً اسمعي اسمعي وأصغي جيدًا يا أيتها الرايمانامانكوا أنت بيضة مستديرة من عمل الله، أنت التي تنظرين وليس لك أعين، أنت التي تسمعين وليس لك آذان، أنت التي تجيبين وليس لك فم، اسمعي إذن وأصغي جيدًا يا أيتها الرايمانامانكوا، ثم يطيل الكلام في تلك الصلاة التي لم نقف منها إلا على ما ذكرناه، وغاية قصدهم [83] بهذه الاستغاثة بالطنجينا أن تفحص أحوال المتهوم وتظهر ذنبه، فإن كان بريئًا تجعله يستفرغ ما ابتلعه من جلد الدجاجة صحيحًا كما كان، ولكن إذا كانت المعدة قد هضمتها ولم يخرج القيء شيئًا منها يحسبون ذلك دليلاً واضحًا

180 - يقصد بمداكسكر جزيرة مدغشقر الواقعة بالمحيط الهندي على بعد 400 كلم جنوب شرق القارة الإفريقية، وتبلغ مساحتها الإجمالية 584000 كلم مربع، ويغلب على سكانها العناصر المالاوية (المالاغاشية) في المرتفعات الوسطى والجنوبية وجماعات زنجية في السواحل، ويقدر عدد المسلمين من سكانها بـ 7 في المائة. خضعت مدغشقر في القرن الثامن عشر لحكم الدولة الماريتية، ومن ملوكها رامادا الأول الذي أصدر مرسوم تحريم الرق (1810)، والملكة رانا فالون التي حاولت الحد من النفوذ الفرنسي بالجزيرة سنة 1840، وبعد وفاتها (1861) نجح الفرنسيون في فرض سلطتهم على الجزيرة (1869) تم تحويلها إلى مستعمرة فرنسية (1896) حصلت على استقلالها عام 1960.

181 - قطف الزهور في تاريخ الدهور، انظر هامش رقم (114)، ص. 122.

182 - طنجينا أو تنجينا كما يفهم من رواية المؤلف هي طقوس سحرية وأعمال شعوذة تمارس عادة لكشف المتهم بالسحر على زعمهم.

183 - تعليق المؤلف: قلت ولعل يبرش معناه يخلط والله تعالى أعلم، والصحيح أنه يزيل القشرة أو ينزعها بدلكها بمادة صلبة حادة. أما ما ذكره عن الرايماناكوا فهي طقوس سحرية تمارس لمعرفة حقيقة المتهم بالسحر حسب زعمهم، وهي تماثل طنجينا عند أهالي السودان الغربي.

على ذنب المتهوم فيبتدئون حينئذٍ ضربه ضربًا أليمًا حتى يموت ثم يدفنونه في حالة الذل والإهانة، وفوق كل ذلك يضبطون جميع أملاكه ويغرمون أقاربه، وكان عدد الذين يموتون بهذه الميتة الشنيعة ثلاثة آلاف شخص كل سنة، ولكن هذه العادة قد بطلت الآن بواسطة دخول الديانة المسيحية، ومعنى الرايمانامانكوا المفتشة أو الفاحصة كما في ذلك الكتاب أيضًا والله تعالى أعلم.

66 – حكاية بعض أساطير الهنود الواردة في رحلة ابن بطوطة

ثم اعلم أن تعلم السحر في بلاد الهند إنما يكون بالرياضة على يد ساحر يربيه حتى يكون ساحرًا فيطلقه ويجيزه، فلنذكر هنا ما في رحلة ابن بطوطة من ذكر سحرة بلاد الهند لترى فيها ذلك وغيره إن شاء الله تعالى. قال ثم رحلنا[184] من مدينة كاليور بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء وسكون آخر الحروف وواو وراء إلى مدينة برون بفتح الباء المعقودة الراء وفتح الواو وآخره نون، مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار والسباع بها كثيرة وذكر لي بعض أهلها أن السبع كان يدخل إليها ليلاً وأبوابها مغلقة فيفترس الناس حتى قتل من أهلها كثيرًا وكانوا يعجبون في شأن دخوله وأخبرني محمد التوفيري من أهلها وكان جارًا لي بها أنه دخل داره ليلاً وافترس صبيًا من فوق السرير، وأخبرني غيره أنه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم لحاجة فافترسه أسد، فخرج أصحابه في طلبه فوجدوه مطروحًا بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لحمه، وذكروا أنه كذلك فعله بالناس ومن العجب أن بعض الناس أخبرني أن الذي يفعل ذلك ليس بسبع وإنما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية[185] يتصور في صورة سبع، ولما أخبرت بذلك أنكرته وأخبرني به جماعة، ولنذكر بعضًا من أخبار هؤلاء السحرة ذكر السحرة الجوكية وهؤلاء [84] الطائفة تظهر عجائب منها أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الأرض وتبنى عليه ولا يترك له إلا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور، وسمعت أن بعضهم يقيم كذلك سنة، ورأيت بمدينة منجرور رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة،[186] وأقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يومًا وتركته

184 - رحلة ابن بطوطة، ج. 1، ص ص. 19-22. أما مدينة برون فهي نروان (Narwan) الواقعة بين دلهي ودكن.

185 - السحرة الجوكية من كلمة (Joug) وهي مشتقة من لغة الهند القديمة (السانسكريتية)، ومنها كلمة يوغا (Yoga).

186 - تعليق المؤلف: والطبلة شيء من خشب تتخذه النساء، اهـ. من مستدركات التاج، قلت ولعله دنكى في كلامنا، والله تعالى أعلم.

كذلك فلا أدري كم أقام بعدي. والناس يذكرون أنهم يركبون حبوبًا يأكلون الحبة منها منها لأيام معلومة أو أشهر فلا يحتاج في تلك المدة إلى طعام ولا شراب، ويخبرون بأمور مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم ومنهم من يقتصر في أكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الأكثرون، والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها، ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتًا من نظرته، وتقول العامة إنه إذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون أكل قلبه، وأكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار. حكاية: لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك نفذ أمره بأن يعطي لأهل دهلي ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم، فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم فكان عندي منهم خمسمائة نفس فعمرت لهم سقائف في داري وأسكنتهم بها وكنت أعطيهم نفقة خمسة أيام، فلما كان في بعض الأيام أتوني بامرأة منهم وقالوا إنها كفتار وقد أكلت قلب صبي كان إلى جانبها، وأتوا بالصبي ميتًا فأمرتهم أن يذهبوا بها إلى نائب السلطان، فأمر باختبارها وذلك بأن ملأوا أربع جرات بالماء وربطوها بيديها ورجليها وطرحوها في نهر الجون فلم تغرق، فعلم أنها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن بكفتار، فأمر بإحراقها بالنار وأتى أهل البلد رجالاً ونساء فأخذوا رمادها وزعموا أنه من تبخر به أمن في تلك السنة من سحر [85] كفتار. حكاية:[187] بعث إلي السلطان يومًا وأنا عنده بالحضرة، فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤوسهم لأنهم ينتفونها بالرماد كما ينتف النساء إباطهم، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال لهما إن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره، فقالا نعم فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعًا فعجبت منه وأدركني الوهم فسقطت إلى الأرض، فأمر السلطان أن أسقى دواء عنده، فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع، فأخذ صاحبه نعاله من شكارة كانت معه فضرب بها الأرض كالمغتاظ فصعدت إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلاً قليلاً حتى جلس معنا، فقال لي السلطان هو تلميذ صاحب النعل ثم قال لولا أني أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم مما رأيت، فانصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربة أذهبت ذلك عني، إلى أن قال سافرنا

187 - رحلة ابن بطوطة، ج. 1، ص ص. 19-22.

من مدينة برون إلى منزل أمواري ثم إلى منزل كجرا وبه حوض عظيم هو له نحو ميل وعليه الكنائس فيها الأصنام قد مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الأربعة أربع قباب، ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الألوان من الرياضة، وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم، ويذكرون أن من كانت به عاهة من برص أو جذام يأوي إليهم مدة طويلة فيبرأ بإذن الله تعالى، وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طرمشيرين ملك تركستان وكانوا نحو الخمسين فحفر لهم غار تحت الأرض وكانوا مقيمين به لا يخرجون إلا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة، وشأنهم كله عجيب، ومنهم الرجل الذي صنع للسلطان غياث الدين [86] الدمغاني سلطان بلاد المعبر حبوبًا يأكلها تقويه على الجماع وكان من أخلاطها برادة الحديد فأعجبه فعلها فأكل منها أزيد من مقدار الحاجة فمات وولي ابن أخيه ناصر الدين فأكرم هذا الجوكي ورفع قدره، انتهى ما في رحلة ابن بطوطة من ذكر سحرة بلاد الهند والله تعالى [أعلم].

67 - ذكر بعض أعمال سحرة بلاد التكرور وكيفية اتقائها

قلت وإذا علمت هذا تعلم بأن سحرة بلاد الهند ونحوهم هم المخصوصون باسم السحر حقيقة لا مجازًا، ويقاربهم في السحر سحرة جلجبل أو سحرة سارار كما نسمع والله تعالى أعلم. وأما سحرة أرضنا بلاد التكرور الذين يقال فيهم إنهم يمصون دم الشخص ويسلون قلبه فإن ذلك مجرد تخويف فقط وترويع محض لا غير، فإن أولئك يكتسبونه بالرياضة والتعلم وهؤلاء ليسوا كذلك، ولكن قد مال إلى تصديق ذلك بعض علماء بلاد التكرور ومنهم الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي،[188] وقد قال في كتابه «الطرائف والتلائد»: ولا شك أن الله عز وجل أودع في أجزاء هذا العالم أسرارًا وخواصًا عظيمة كثيرة حتى لا يكاد يعرف شيء عن خاصية، فمنها ما هو معروف على الإطلاق كإرواء الماء وإحراق النار، ومنها ما هو ضار، ومنها ما هو نافع بمشيئة الضار النافع وقدرته، ومنها ما يفعل في الأجسام، ومنها ما يفعل في النفوس كما في جنس من الناس، ويغلب في السودان

188 - سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي مؤلف «الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد».

أن يدعون في لغة سنغى كركو وفي لغة أهل المغرب الأقصى من البيضان بالسلالة وفي لغة سودانهم سغنى، فإنهم يضيفون إلى ما غرز في أنفسهم من الشرارة والخبث أعمالاً يقوون بها ما في تلك النفوس الشريرة ما قوى الشرارة والخبث مما يتوصلون به بتسليط الله تعالى إلى امتصاص الدم من مجاريه في داخل البدن حتى يموت الممصوص أو يشرف على الموت، ويدعون أنهم لا يتم لهم ذلك إلا بذكر وأنثى، فإنهم يتوصلون إلى ذلك بظل الممصوص فيذبحه الذكر وتمصه الأنثى، وأنهم ربما صادفوا دمًا مرًّا أو معصومًا [87] لا يصلون إلى مصه رأسًا وربما مصوه ثم قاؤوه على الممصوص فأصبح متلطخًا دمًا، ومن هذا النوع جماعة بالهند إذا وجهوا نفوسهم لقتل شخص مات مكانه فيشق صدره فلا يوجد فيه قلبه بل ينتزعونه من صدره بالهمة والعزم وقوة النفس ويجربون ذلك بالرمان فيجمعون عليه هممهم فلا توجد فيه حبة ويتحصن من هذين الجنسين قبل الإصابة وحالة الهجوم على الأرض التي هم بها، ثم ذكر ذلك التحصين إلى آخر كلامه رضي الله عنه، وقد ذكر فيه آيات قرآنية وجدولاً مسبعًا ونافلة صلاة بركعتين رضي الله عنه، وقد تابعه على ذلك مريده الفائق وتلميذه الحاذق والعالم العامل والشيخ الكامل الشيخ سيدي بن المختار بن الهيب،[189] غفر الله لنا ولهم الذنب وستر علينا وعليهم العيب، حيث قال في أجوبة أسئلة مريده الفائق وصديقه الموافق محمد سيدي بن عبيدن غفر الله لنا ولهم ذنوب القلب والبدن: ومن أشد أهل السحر خبثًا جنس من الناس يوجد غالبًا في السودان يقال لهم في لغة بني حسان السلالة وفي لغة السودان سوبغ يمصون دم الشخص بسحرهم حتى يموت أو يقارب الموت.

68 - مداواة الممصوص ورقية المسحور

وقد ذكر شيخنا الخليفة سيدي محمد رضي الله عنه في كتابه «الطرائف والتلائد» ما يداوي به ممصوصهم ويحجب به عليها، فقال رضي الله عنه يكتب له بعد الإصابة في ورقتين توضع إحداهما على النار وتبخر في أنفه وتعلق الأخرى عليه وفيهما قوله تعالى،

189 - سيدي بن المختار بن الهيب (الهيبة) بن أحمد بن ابايك بن انتشايت الأبيري (1190 - 1285 هـ/1776 - 1868م)، نشأ بمنطقة الترارزة بموريتانيا، وانتقل لتلقي العلم على حرمة بن عبد الله الجليل العلوي وحبيب الله بن القاضي، وأخذ التصوف على الطريقة القادرية عن الشيخ سيدي المختار الكنتي، وعاد إلى موطنه ليؤسس زاويته المشهورة (1243 هـ/1827 م)، ويكرس جهوده لخدمة مجتمعه، وأدى فريضة الحج (1250 هـ/1834 م)، وعاد من المغرب بمكتبة غنية. بلغت مصنفاته أكثر من 50 مؤلفًا مع ديوان شعر ومجموعة من الفتاوى.

فذكر الآيات والجداول كما قال الشيخ سيدي محمد الخليفة في «الطرائف والتلائد». هـ. قلت وقد ذكر مثل ذلك الشيخ العلامة والبحر الفهامة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي[190] في كتابه «رشد الغافل وتحصيل الحاصل»، حيث قال في نصه المنظوم:

و مـص سـغـنـيـا لـدم الـقـلـب
كـنـزعـهـا لـه دعـي بـالـجـلـب
يـكـون بـالـطـبـع كـمـا فـي الـهـنـد
وغـالـبـًا حـصـولـه عـن كـد

ثم ذكر في الشرح الآيات التي ذكرها صاحب «الطرائف والتلائد» والجدول المسبع لكنه عمره بهذه الحروف السبعة: ف ج ش ث ظ خ ز، كل حرف في بيت ومشى فيه بطريق الفرزان إلى آخره، فقال إن الآيات والجداول تكتب في ورقتين يبخر المريض [88] بإحداهما وتعلق عليه الأخرى فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. قلت ومن فوائد بعض العلماء من أهل فوت تور أن سورة البينة إذا قرئت في أذن المصروع بالسل يتكلم العارض على لسانه ويفيق بإذن الله تعالى وكذلك إن بخرته بروث الحمار الذكر كما مر، وكذلك تكتب سورة البينة ويغتسل بمحوها مع سكرو هو الرماد المر، وكذلك سورة الملك غسالتها مع سكر التمسح بها نافع في ذلك، وقيل قراءة سورة يس وتبارك الملك والتفل في أذني المصروع تقيمه كأنما نشط من غفال، وكذلك قراءة القصيدة المصمصم ودعوتها عليه، والله تعالى أعلم. ومن فوائد السحرة من أهل فوت تور أن كشوث كلوك أو بركيو نافع في ذلك أكلاً واغتسالاً، ومن المجرب عندهم أن أكل دقيق ذونب أو دقيق كلك مانع من ضرر أهل السل قبل الإصابة ونافع فيما بعد الإصابة أيضًا. وقيل إن ما التوى من آخر ذنب الحرباء يقطع بعد قطع رأسه ويدخل الملتوي من ذنبه في فمه، فمن علقه في عنقه لا يقر به سلال ولا شيطان وهو أنفع لشؤم النساء من غيره كما قيل. والله تعالى أعلم. قوله ومص سغنيا، إلخ، أن هذه الكلمة عجمية من لغتنا أو قريبة منها لأننا نسمي السلال ونقول له في لغتنا سكج والأصل سغج والله أعلم.

190 - سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (1153 - 1234 هـ/1740 - 1818 م)، من علماء الأصول بشنقيط
نشأ في تكانت وأخذ بها العلم عن ابن بوله الجكني وغيره، وتحول إلى المغرب الأقصى واستفاد من علماء
القرويين، ثم استقر بموطنه بعد أدائه فريضة الحج (1190 هـ/1776 م) وتولى الإفتاء وتخرج من مدرسته
(محضرته) العديد من الفقهاء، ألف في الحديث ومصطلحاته وفي الأصول والبيان، ومن مؤلفاته: «رشد الغافل
وتحصيل الحاصل»، الذي ذكره صاحب المخطوط. انظر محمد المختار ولد السعيد، الفتاوى والتاريخ، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 44.

69 - نقل بعض الحكايات عن مسألة «المصاص والمصوص»

قلت أيضًا والأظهر إن الشيخ سيدي عبد الله العلوي والشيخ سيدي متقلدان للشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار رضي الله عنهم وهو إمام من آمن بوجود المصاص من علماء بلاد التكرور من بيضان وسودان، وأما هو فقد تقلد في كثير من كلامه بالسودان من أهل ماسينا من قوله: ويدعون أنهم لا يتم لهم ذلك إلا بذكر وأنثى، فإنهم يتوصلون إلى ذلك بظل المصوص فيذبحه الذكر وتمصه الأنثى، وأنهم ربما صادفوا دمًا مرًا أو معصومًا لا يصلون إلى مصه رأسًا وربما مصوه ثم قاؤوه على المصوص فأصبح متلطخًا دمًا، ومن هذا النوع جماعة بالهند إذا وجهوا نفوسهم لقتل شخص مات مكانه فيشق صدره فلا يوجد فيه قلبه بل ينتزعونه، وهذا الكلام موافق لكلام أهل أرضنا فوت كأنه نقله منهم حرفًا بحرف، ومثل هذا كثير في المؤمنين يؤمنون بكل شيء ويغترون بقول كل أحد ويصدقونه قياسًا على أنفسهم بأنهم لا يقولون إلا حقًّا، وكذلك يظنون غيرهم بأنه لا يقول إلا بما تحقق كما خدع السيد أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل خدعه عمرو بن العاص رضي الله عنه ومثل هذا لا يعد ولا يحصى.

70 - انتشار ظاهرة السحر عند عبيد شنقيط وذكر أفعال السحرة المتكسبين منه

[89] والمتنبه كابن عباس أقل من كل قليل قديمًا وحديثًا، ثم ما كانت زلة العالم ينجر إليها الكثير من العالم صار علماء المغرب من البيضان فأحرى السودان متفقين على اعتقاد وجود السحر السلالي وهم لا يحصون كثرة، ومنهم العالم الكبير العلامة والعلم الشهير الفهامة الشيخ أحمد بن الأمين[191] ذو الفهم الثاقب في العلوم والتمكين الشنقيطي نزيل القاهرة مؤلف كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» حفظه الله تعالى آمين، حيث قال في كتابه المذكور الكلام على السحر في شنقيط، انتشر السحر في عبيد أهل المدن من شنقيط

191 - الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي (1280 - 1331 هـ/1864 - 1913 م): ولد بتيشي من بلاد شنقيط، وانتسب إلى التجانية وأصبح من دعاتها بأدرار وتيشي خاصة لدى الزنوج. رحل إلى المشرق وطاف بأقطاره وأدى فريضة الحج واستقر بمصر. عرف بسعة علمه وبالتعريف بأحوال بلاده شنقيط. ترك العديد من المصنفات منها شرح جمع الجوامع والدرر اللوامع على همع الهوامع والدرر في منع عمر والمعلقات العشر وأخبار قائليها، واشتهر في المشرق العربي بمدونته الأدبية والعلمية حول شنقيط وهي «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدًا وتخطيطًا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك»، اعتنى بإخراجها وطبعها فؤاد السيد، انظر ط. 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002.

وفشا حتى أن العبد صار في تججكه إذا ضربه سيده أو غيره لا يلبث إلا يومًا أو يومين فيقع رأسه على الوسادة فيموت عاجلاً والناس يقولون إن العبد الساحر ينظر إلى رئة الإنسان وأنه إذا أراد أن يسحره ينزع قلبه لكن لا يأخذه إلا إذا لاصقه أو لاصق ظله، ويزعمون أنه إذا أخذ قلبه الشخص يواريه في الرماد فيقلب كبشًا بعد مدة قليلة وأن المسحور لا يموت ما لم يذبح ذلك الكبش، وهذا لا بد أن تكون خرافة، أما الذي لا يشك فيه فهو أن العبد يأخذ قلب الشخص ومتى وضع يده على صدره ليداويه إذا أتاه به أهل المسحور بعد أن يهددوه بالقتل يقم كأنما نشط من عقال، وسبب فشو السحر في عبيد أهل شنقيط كثرة العبيد المستجلبة من بنبارة[192] وهم جنس من السودان والسحر فيهم حائد القياس، ولما ظهر أهل تججكه على ما انتشر في عبيدهم من السحر تفكروا في قتلهم كلهم، فمنعهم من ذلك أن النخل لا يقدر على معاناة شئونه غيرهم، فأتوا برجل من السودان يقال له سيرنه بشين فارسية وبذلوا له مالاً كثيرًا في أن ينزع ما في صدور أولئك العبيد من السحر، فقال لهم وآية معرفتهم أني أحرق شيئًا عندي فإذا انتشر دخانه يأتي إلي كل ساحر في ذلك البلد، فأوقد بخوره ذلك، فأتى كثير [90] من العبيد الذي ما كان يظن بهم ذلك، فلما عرفهم صار يسقيهم علاجًا عنده فيتقيأون فزعم أنهم تقيأوا ما يعلمون من السحر فأخذ أموالاً كثيرة ورجع فبان أن السحر بقي في العبيد على حاله، فصارت الناس تقتل كل من اتهموه بأنه سحر أحدًا، فقلّ جدًّا، وأكثر ما يحملهم على قتل الناس على ما يقال إنما هو شدة شهوة اللحم والجوع والغيظ من المسحور وهو كثير في تججكه وأطار وأوجفت هـ. انظر إلى قوله وأما الذي لا يشك فيه، إلخ، تجده ذريعة إلى قتل النفس بلا موجب حقيقي بل هو موجب وهمي. قلت هذا الرجل كنت أعرفه ذاتًا واسمه سارن براهيم كمدو وكمدو قرية في كدمغ كانت مسكنه ومولده في قرية يقال لها نمرد من قرى بند وهو لا يعرف شيئًا من تلك الدعاوي التي ادعاها بل إنما كان من أهل الحيل الباطلة في طلب المال وفي غاية الحرص والتحيل له، وكانت له في طلب المال شبكات كثيرة ينصبها في طلبه وقد دخل في طلبه كل مدخل فأتى هؤلاء الأغمار من هذه الجهة ووجدهم في خوف شديد فاغتنمها واقتنص أموالهم ورجع وصار يخبرنا كيف خدعهم ويضحكنا بكلامه وفعله معهم، ولو أطلقت عنان القلم في مخازي هذا الرجل لأتيت منها بكثير ولكن الإشارة في بعض الأحيان قد تكفي عن العبارة والله العفو الكريم يعفو عنا وعنه بمنه وكرمه آمين.

192 - بنبارة: انظر هامش سحرة إقليم التكرور، هامش رقم (178)، ص. 154. ومن الملاحظ أن بنبارة فيهم حائد القياس (المؤلف) أي أن السحر خرج عن المألوف وما هو متعارف عليه.

71 - الايمان بالخوارق وتصديق التهيؤات النفسية

وإن قلت إن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي رضي الله عنهما يمكن أن يتلقى علم ذلك من الغيب والكشف. [91] قلت وفي «الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز»[193] سمعته رضي الله عنه يقول كنت قبل أن يفتح علي أشاهد صورة هائلة سوداء طويلة جدًّا على صورة جمل فلما فتح علي وشاهدت من عوالم ربي ما قدر لي فتشت عن عالم الصورة الهائلة وطلبت جنسها في أي موضع، فما رأيت له خبرًا فسألت سيدي محمد بن عبد الكريم[194] رضي الله عنه عن ذلك فأخبرني أنه لا وجود لجنس تلك الصورة أصلاً، فقلت له وأي شيء شاهدت، فقال ذلك من فعل الروح أعني روح ذاتك، فقلت له وكيف ذلك، فقال إن الذات إذا جعلت الشيء بين عينيها وجزمت به ساعفتها الروح في إيجاد الصورة التي جزمت بها وجعلت تخاف منها فتساعفها الروح في إيجادها ولو كان فيها ضرر الذات، قال وجزم الذات لا يقوم له شيء لا في جانب الخير ولا في جانب الشر، قال سيدي محمد بن عبد الكريم وكنت قبل الفتح مررت بموضع فعرض لي بحر في الطريق لا يقطع إلا بالسفن وهو من البحار التي على وجه الأرض، فحصل لي في الذات جزم عظيم بأني أمشي عليه ولا أغرق ولا يصيبني شيء، قال فوضعت رجلي على ظهر الماء والجم يتزايد فلم أزل أمشي فوقه حتى قطعته للساحل الآخر، فلما رجعت مرة أخرى وزال الجزم من ذاتي وجعلت أشك في المشي عليه فأدليت رجلي لأختبر فغرقت في الماء فأخرجتها وعلمت أني لا أطيق مشيًا عليه، قال الشيخ ما دامت الذات جازمة بالشيء فإن الشيطان لا

193 - أحمد بن مبارك السجلماسي (ت. 1155 هـ/1742 م)، الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز الدباغ (وهي في مناقب الشيخ عبد العزيز شيخ أحمد بن مبارك)، ط. 1، القاهرة، 1278 هـ، ط. 2، القاهرة، 1292 هـ.

194 - الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت. حوالي 909 هـ/1503 م)، من العلماء المصلحين، أقام بتوات وتوفي بها. اشتهر بمواقفه الداعية لتطبيق الشريعة والحد من نفوذ اليهود وتحكمهم في أهل توات (897 هـ/1492 م). توجه إلى بلاد السودان عبر منطقة الطوارق (العير)، وأقام مدة بكانو وغاو يدعو لتصحيح العقيدة ونصح المسلمين، وقد كتب لملك السنغاي أسكيا محمد نصيحة لنصرة الدين والقيام بفريضة الجهاد عرفت بأجوبة المغيلي عن أسئلة الأسكيا (908 هـ/1502 م)، وقد كان لأفكاره ومواقفه تأثير على مسلمي السودان، وله ما لا يقل عن 15 مصنفًا منها: «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» في الفقه، و«إكليل مغني اللبيب» وهو شرح لمختصر خليل، و«مفتاح الكنوز في البيوع»، و«تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين»، و«مفتاح النظر في علم الحديث» و«أرجوزة في المنطق».

يقربها وإنما يقربها إذا ذهب الجزم عنها بالوساويس حتى يفوتها الخير، قال رضي الله عنه فالجزم مثل سور المدينة الحصين فمتى كان للمدينة سور فلا يطمع فيها العدو ومتى حصل في السور خلل وظهرت فيه أبواب وفرج بادر العدو للدخول، فعيب الشيطان ووسوسته تابع لعيب سور الذات [92] الذي هو الجزم، فليبادر كل عاقل لصلاح سور ذاته حتى لا يقربه شيطان ولا يستفزه إنسان، قلت قد دل هذا على أن الخوف من الشيء يخيل للمكاشف وغيره بما لا حقيقة ولا وجود له، وفي الحديث ومن خاف من الشيء سلط عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم،[195] ومن لوازم الخوف انفتاح التعوذات والرجاء ونحوها على قلوبهم ليزول مخوفهم ويأمن خائفهم بإذن الله تعالى والله أعلم. وفي «النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة فرانصة (فرنسا)» لشيخنا وسيدنا الشيخ سعدبوه رضي الله عنه وعن الذين أحبوه مخاطبة لأخيه الشيخ ماء العينين[196] رضي الله عنه: وإن فرضنا أنك لقيته غيبًا وأذن لك في الجهاد فمن كان ينبغي عنده تقديم الإلهامات الغيبية على الأوامر الشرعية والسياسات الدينية فلا ترجح ذلك على ما كان يقول في عالم الشهادة الذي لا ينظر في الاحتمال في دار التكاليف التي هي المعتبر، قال في مراقي السعود:[197]

195 – من الأحاديث الضعيفة وهو موضوع عند محمد ناصر الدين الألباني؛ ونص الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما يسلط الله تعالى على ابن آدم من خافه ابن ادم، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط عليه أحدًا، وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره... أنظر: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، الجزء السابع، ص. 227 (حديث رقم 3226).

196 – هو مصطفى بن الشيخ محمد فاضل بن مامين المعروف بماء العينين (ت. 1328 هـ/1910 م): عرف بعلمه وورعه ومحبة الناس له لإحسانه ومساعدته لهم؛ تردد على الملوك العلويين بالمغرب الأقصى، وكانت له أملاك بمراكش؛ وقد وقف ضد التوسع الفرنسي في صحراء شنقيط، وتحول إلى الساقية الحمراء حتى يحصل على المؤونة والسلاح من ملك المغرب السلطان عبد العزيز وأعلن مبايعته له، وعندما تنحى السلطان بايع السلطان مولاي عبد الحفيظ في مراكش وأعلن نفسه خليفة للسلطان لاكتساب تأييد العامة، لكنه اضطر أن يتراجع أمام تقدم الفرنسيين، فلجأ إلى تيزنيت من أرض السوس حيث توفي. أنظر: الوسيط في أدباء شنقيط، ص ص. 365 – 368.

197 – محمد يحي بن محمد المختار بن الطالب الولاتي الشنقيطي (ت. 1330 هـ/1911 م)، فتح الودود على مراقي السعود، تصحيح ومراجعة بابا محمد عبد الله محمد يحي الولاتي، عالم الكتب للطباعة والتجليد، الرياض، 1992، ص. 88. وتتمة معنى ما استشهد به المؤلف بالبيتين التاليين:

في غيره الظن وفيه القطع
لأجل كشف ما عليه نقع
والظن يختص بخمس الغيب
لنفي علمها بدون ريب

ويلاحظ أن خمس الغيب هي مفاتيح الغيب الخمسة لنفي العلم بها الثابت في الكتاب والحديث الصحيح.

ويـنـبـذ الإلـهـام بـالـعـراء
أعني به إلهام الأولياء، إلى أن قال:
لا يحكم الولي بلا دليل
من النصوص أو من التأويل

وشريعته صلى الله عليه وسلم هي سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن حاد عنها هلك، اهـ.

72 - التعليق على مسألتي العين والسحر

قلت ليس في الشريعة إلا كون العين حقًّا وكون السحر حقًّا أيضًا، وأما العين فهو الإعجاب بحسن الشيء والتكلم به بلا تبرك لا غير، والعين قد تدخل الرجل القبر والجمال القدر، وإن المرء قد يعين نفسه فيصيبه الضرر بذلك وذلك مجرب، وأما السحر فهو حق أيضًا وفيه ما يقتل وفيه ما يخبل وفيه غيره، وقد أنكر أبو حنيفة وجود السحر رأسًا وأنه لا حقيقة له أصلاً وأول ما ورد في الآيات والأحاديث منه والله تعالى أعلم. ثم اعلم أن السودان مختلفون في حكم السلال، فبعضهم يقول إنه [93] أي السحر به لا يزول ولا يتطهر أبدًا وأن الساحر بالسل هو وأصله وفصله مثله لا يزول سحرهم ولا يتطهر بل حكم ملوكهم فيه وفي أصله وفصله وفصول أصله قتلهم كلاً لا غير وبئس الحكم هو وهو اعتقاد أهل كاس وبند وغيرهم من السودان، وأما اعتقاد دمك وقنار ونحوهما فهو أن الساحر بالسل يتطهر ويزول سحره السلالي ويتبدل بسحر محبوب وهو صيرورته طبيبًا وأنه قد يكون سلالا بخلاف أمه وأبيه وإخوته، وقد تكون أمه سلالة بخلافه هو وإخوته والله تعالى أعلم. وأما اعتقاد أهل تور ونحوهم من السودان فهو أن الساحر بالسل لا يزول سحره أيضًا ولا يتطهر أبدًا وأنه هو وأصله وفصله مثله وإن كانوا عبيدًا أرقاء يقتلوا أو يباعوا كلاً لغريب أجنبي من الأرض يخرجهم عنها ويبعدهم منها، فهو موافق لحكم أهل بند وكاس ونحوهم والله يعفو عنا وعنهم، وفيما ذكرنا كفاية لمن له عقل ودراية والله تعالى أعلم وأستغفره مما زلت به القدم وطغى به القلم فإنه مأمول للفضل والكرم.

وفي «تاريخ السودان»:[198] أما ملي[199] فإقليم كبير واسع جدًا في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط، وقيمغ هو الذي بدأ السلطنة في تلك الجهة ودار إمارته غانة[200] وهي مدينة عظيمة في أرض باغن، قيل إن سلطنتهم كانت قبل البعثة فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكًا وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكًا وعدد ملوكهم أربعة وأربعون ملكًا [94]، وهم بيضان في الأصل ولكن لا نعلم من ينتمون إليه في الأصل وقدامهم وعكريون[201] فلما انقرضت دولتهم خلفها في السلطنة أهل ملي وهم سودان في الأصل فوسعت سلطنتهم كثيرًا جدًا فملكوا إلى حد أرض جني وفيها كل وبندك وسبردك في كل من الثلاثة اثني عشر سلطانًا، إلى أن قال وأما سلاطين سبردك فهم وراء هؤلاء متجاورون إلى جهة ملي وملك سغي[202] وتنبكت وزاغ وميمة وباغن وأحوازها إلى البحر المالح، فكان أهلها أي أهل

198 - السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر (ت. بعد 1066 هـ/1656 م)، تاريخ السودان، منشورات المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، بعناية هوراس وبنوه، باريس، 1868، الطبعة التي استعملت في التحقيق طبعة مصورة لمكتبة أدريان ميزانوف، باريس، 1981، ص. 9. وسوف نشير إلى هذا المصدر فيما يلي من الاقتباسات بعبارة «تاريخ السودان».

199 - ملي أو مالي: انظر هامش رقم (52)، ص. 85.

200 - غانة: حملت اسمها إحدى الدول الحديثة بغرب إفريقيا وهي غانا التي استقلت عام 1960؛ أما غانة التاريخية التي يتناولها المخطوط فهي إحدى ممالك السودان التي أسستها قبائل نزحت من الصحراء الكبرى، والراجح أنهم من صنهاجة الملثمين الذين اجتذبهم الذهب والملح للنزوح نحو الجنوب، فامتزجوا مع السكان، ومنهم قبيلة السوننكي، وكونوا دولة حكمتها الأسرة السوننكية (154 هـ/770 م)، واستمرت دولة غانة حوالي قرنين، وقصد التجار عاصمتها كومبي صالح الواقعة شمال باماكو بـ 200 كلم، وانتشر بها الإسلام قبل أن يستولي عليها المرابطون ويقيمون بها حكمًا إسلاميًا سنة 469 هـ/1076 م، ويعلنون تبعيتهم للخلافة العباسية ببغداد (480 هـ/1087 م). انتهت دولة غانة عندما استولى عليها ملك صوصو «سامونجورو» سنة 559 هـ/1203 م، بعدها تعرضت للتخريب على يد الملك ماري جاطه (سن جاطه كيتا) سنة 637 هـ/1240 م.

201 - تعليق المؤلف: وقيل وعكر أي سرجل في لغة أهل تمبكت والله أعلم.

202 - سغي أو سونغاي أو سنغي أو سنغاي أو صونغاي: شعب زنجي يقطن الإقليم الواقع في جنوب تومبوكتو وعند منحنى نهر النيجر، أهم مراكزه غاو وتومبوكتو وجني. لعب دورًا مهمًا في السودان الغربي، ويتكون من فرعين متنافسين: السوركو وجيبيبي (الكيبيبي)؛ الأول يعيش على صيد الأسماك، والثاني على الزراعة. موطن السونغاي الأصلي يقع في دندي أسفل النيجر وشمال بوسي، وقد خضعوا في القرن السابع الميلادي لقبيلة لمتة البربرية التي امتزجت بهم وظهرت بها أسرة زا التي تولى زعيمها زا الأيمن الحكم واتخذ من كوكيا على نهر النيجر جنوب غاو عاصمة له، وتمكن من الاستقلال عن دولة مالي على عهد سوني أو سني علي أو ماسا أولين حوالي 869 هـ/1464 م، وتصدى لشعوب الموشي والمانديغ وجماعات الطوارق وغيرهم.
تولت حكم مملكة السونغاي أسرة الأسكيا (الأسكيين، الأسقيين) بزعامة محمد أسكيا الكبير (1493 م)، وكان آخر ملوكها الأسكيا داوود الذي قضت عليه حملة أحمد المنصور السعدي على السودان (1590-1598 م)، ورغم

ملي في قوة عظيمة وبطشة كبيرة التي جاوزت الحد والغاية وله قائدان أحدهما صاحب اليمين يسمى سنفرزومع والآخر صاحب الشمال يسمى فرن سرا وتحت يد كل منهما كذا وكذا من القياد والجيش حتى أورث ذلك الطغيان والتجبر والتعدية في أواخر دولتهم فأهلكهم الله تعالى بعذاب من عنده، فظهر لهم في يوم واحد ضحوة في دار سلطنتهم جند الله تعالى في صورة الأطفال فأعملوا فيهم السيوف حتى كادوا أن يفنوهم، فمن يومئذ دخل فيهم الضعف والوهن إلى دولة أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد فواصلهم هو وأولاده بعده بالغزو حتى لم يبق فيهم من يرفع رأسه وتفرقوا إلى ثلاث فرق كل واحد في طرف الأرض يزعم أنه سلطان وخالف عليهم القائدان فاستقل كل واحد منهما بنفسه في أرضه، إلخ. وفي «تاريخ الفتاش»:[203] وأما مل فإقليم واسع وأرض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى، ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة وكنا نسمع [95] من عوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة: السلطان الأعظم سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن، وسلطان مل، إلى أن قال ليس في مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها وأهلها ذوو ثروة ورفاهة عيش وحسبك بمعدن الذهب في أرضه وشجرة كور التي لا يوجد مثلها في الأرضين من التكرور إلا أرض برك، ويد سلطانها مبسوطة إلى فنكاس وكياك إلى سنفل وفوت وزار وعر بها في زمانهم الأول، ولا يتولى ملك كياك إلا عبيده وأمراؤه ولا يدخله إلا يعت، ثم بعد ذلك رجع أمره إلى جار، ثم غلب على تلك البلدان أهل كياك وخرجوا عن طاعة ملكهم وقتلوا أميره وخالفوا عليه، وتسلطن فيها أولاد جاور وتلقبوا كياك وقويت دولتهم وعظمت مملكتهم وقهروا أهل تلك الجهة وقاموا بالمحاربة وعظم جيشه وكثر، إلخ. وفي «الفتاش» أيضًا:[204] وأما سلطنة مل فما استقامت إلا بعد انقراض دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء وما كان منه وسلطان مل من عبيده وخدمه ووزرائه، وكيمع من الملوك الأوائل وقد مضى منهم عشرون ملكًا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم بلده فنب، وفنب مدينة عظيمة وكان انقراض دولتهم في القرن الأول من الهجرة النبوية وحدثني

خضوعهم ظل السونغاي محافظين على عاداتهم ومتشبثين بمواطنهم من غاو وحتى تومبوكتو، كما كانوا أشد المدافعين عن الطريقة القادرية والمناوئين لحركة الحاج عمر في توسعه في ماسينا وتومبوكتو.

203 - تاريخ الفتاش، ص. 39.

204 - المصدر السابق، ص. 41.

بعض السلف أن آخرهم كنسعي وهو الملك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله بلد اسمه كرنكع وهو مسكن أمه، وهي الآن باقية عامرة، إلى أن قال ثم أفنى الله ملكهم وسلط أرذالهم على كبرائهم من قومهم واستأصلوهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الجنين ويقتلونه واختلف أن قبيلة هم كانوا منها وقيل من وعكري وقيل من ونكر وهو ضعيف لا يصح.[96][205] وقيل من صنهاجة وهو أقرب عندي، إلى أن قال والأصح أنهم ليسوا من السوادين والله أعلم. وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه.

74 – أخبار بعض رجال ونساء قبائل ونكر وملنكي

وفي «الفتاش»[206] أيضًا فاعلم أن ونكر وملنكي من أصل واحد إلا أن ملنكي هو الجندي منهم وونكر من يتجر ويسعى من أفق إلى أفق، إلى أن قال وسلطان مل بلده الذي كانت فيه دار الإمارة لملكي اسمها جارب وأخرى تسمى ينع، إلخ. وفيه أيضًا أن جد سغي وجد وعكري وجد ونكر كانوا إخوانًا شقائق وأبوهم كان ملكًا من ملوك اليمن اسمه تراس بن هارون، فلما مات أبوهم تولى على الملكة أخوه يسرف بن هارون فضيق على أبناء أخيه أشد التضييق، فهاجر الأبناء من اليمن إلى سواحل البحر المحيط ومعهم زوجاتهم ووجدوا هنالك عفريتًا من الجن وسألوه عن اسمه فقال سار فقالوا ما جاء بط في هذا المكان فقال تك فقالوا وما اسم هذا المحل فقال لا أعلم فقالوا له يحق لهذا المكان أن يقال له تكرور، إلى أن قال وكان اسم كبير الرجال المذكورين وعكري بن براس واسم زوجته آمنة بنت يخت وهو جد قبيلة وعكري، واسم ثاني الرجال سغي بن براس واسم زوجته سارة بنت وهب وهو جد قبيلة سغي، وثالث الرجال اسمه ونكر وهو أصغرهم وليس له زوجة وإنما كان لهم أمتان اسم إحداهما سكرى واسم الأخرى كسرى، فاتخذ ونكر سكرى سرية له وكان جد قبيلة ونكر، وكان لهم عبد يسمى بمينك فزوجوه بأمتهم كسرى وهو جد قبيلة مينك وإلى أبائهم نسبوا ثم تفرقوا في الأرض، وكان كبيرهم وعكري سلطانهم وسموه كيمغ ومعنى ذلك في كلامهم طال الإرث، يريدون بذلك أطال الله وارثنا الملك وقيل غير ذلك، إلخ.

205 – تعليق المؤلف: وقيل إن ونكر ملنب إذا كان تاجرًا في لغة تمبكت أيضًا والله أعلم.

206 – تاريخ الفتاش، ص. 42.

75 – تعليق على رواية «الفتاش» من أصل ونكر وملنكي

قلت قوله [97] وعكري بن براس إلى أن قال سغي بن براس، إلخ، ولعلهم كلهم ابن تراس بالتاء لا بالباء لأنه قال أولا وأبوهم كان ملكًا من ملوك اليمن واسمه تراس بن هارون، وقلت أيضًا ويمكن أن يكون من برابرة اليمن الذين هم الزيلع أو يكون من الزنج وكلا البلدين في حكم اليمن بالقرب. وفي «فريدة العجائب»:[207] وأما أرض اليمن فهي تقابل أرض البربر وأرض الزنج بينهما عرض البحر، واليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب وفيه أيضًا أرض بربرة وهي تتصل بأرض النوبة على البحر وهي مقابلة اليمن، إلخ، وفيه أيضًا أرض الزيلع وهي تجاور الحبشة من الجنوب، وهم أمم عظيمة والغالب عليهم دين الإسلام والصلاح والانقياد إلى الخير، وقلت ولعله جعل الزيلع عير البربر مع أنهم متحدون، ولعله أراد بالبربر أهل مقدشو خاصة كما سمع بخلاف ابن بطوطة فإنه رأى بلادهم وعرف أحوالهم كما مر في تاريخ هوس فما راء كمن سمع.

76 – ذكر ملوك سنغاي والأحداث المتعلقة بمجيء زا الأول وأصل ماسينا الأول

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر تاريخ ملي وسغي وقلت أيضًا وقد أسند صاحب الفتاش أيضًا هذا الخبر إلى شمهروش الجني والله تعالى أعلم. وقلت أيضًا قوله وأبوهم كان ملكًا من ملوك اليمن، إلخ، ولعله من ملوك الحبشة لأن سودان الحبشة كانوا ملوك اليمن في ذلك الزمن والله تعالى أعلم. وفي «تاريخ السودان»[208] عند ذكر ملوك سغي أول من تملك فيها من الملوك زا الأيمن ثم زا زكي،[209] إلى أن قال هؤلاء أربعة عشر ملكًا ماتوا

207 – محمد بن الوردي، خريدة العجائب...، انظر هامش رقم (41)، ص. 80.

208 – تاريخ السودان، ص ص. 2–6.

209 – زا الأيمن او زا زكي: يعتبر أول ملوك السنغاي أو سغي الذين أسسوا مملكة بوادي النيجر بين البوريم (Bowrem) وساي (Say) فعرفت بهم؛ وتعود أصولهم إلى البربر أو العرب اليمانية، وأول مواطنهم كوكيا على نهر النيجر، وأول ملوكهم زا الأيمن أو زا زكي، وهو حسب السعدي في «تاريخ السودان» يعني الشخص الذي جاء من اليمن؛ وتذهب الرواية الشعبية التي اكتسبت طابع الأسطورة إلى أن زا تولى الملك بعد أن تمكن من قتل السمكة التي كان يدين لها المزارعون (الكايب) بالطاعة، وأبعد الصيادين (سيركو) عن حقولهم، فاعتبر أول ملوك السنغاي، وحمل بعده من تولى ملك السنغاي لقب زا حتى سنة 690 هـ/1335 م، وقد حدد دولافوس في ترجمته لتاريخ السودان للسعدي فترة حكم زا بالقرن السابع الميلادي؛ واستقر ملك السنغاي بتأسيس عاصمة للدولة عرفت بكوكو التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون المسلمون كالبكري واليعقوبي وابن خلدون وياقوت، بعد أن انتشر الإسلام بها على عهد ملكها زا كي الخامس عشر في القرن الخامس الهجري (الحادي =
عشر الميلادي) (حوالي 400 هـ/1009 م).

جميعًا في جاهلية وما آمن أحد منهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والذي أسلم منهم زا كسي يقال له في كلامهم مسلم دم معناه أسلم طوعًا بلا إكراه رحمه الله تعالى وذلك في سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، ثم زا كسي داربي ثم زا هن كزونك دم، إلى أن قال ثم زا ياسبي ثم زا دور ثم زا ونك بار ثم زا بس بار ثم زا بدا [98] ثم سن الأول علي كله وهو الذي قطع حبل الملك عن رقاب أهل سغي من أهل ملي وأعانه الله تعالى على ذلك، ثم السلطان بعده أخوه سلمن نار وهما ابنا زا ياسبي، إلى أن قال ثم سن محمد داع، ثم سن محمد كوكيا، ثم سن محمد فار، ثم سن كربيفا، ثم سن مار في كل جم، ثم سن مار أركن، ثم سن مار آرندن، ثم سن سليمان دام، ثم سن علي، ثم سن بار اسمه بكر داع، ثم بعده أسكيا الحاج محمد.[210] أما الملك الأول زا الأيمن فأصل اللفظ جاء من اليمن، قيل إنه خرج من اليمن هو وأخوه سائرين في أرض الله تعالى حتى انتهى بهما القدر إلى بلد كوكيا وهو بلد قديم جدًا في ساحل البحر في أرض سغي كان في زمن فرعون حتى قيل إنه حشر منه السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام، وقد بلغاه في بئس الحال حتى كادت صفة البشرية تزول عنهما من التقشف والتوسخ والتعري إلا خرق الجلود على أجسادهما، فنزلا عند أهل ذلك البلد فسألوهما عن مخرجهما، فقال الكبير جاء من اليمن وبقوا يقولون إلا زا الأيمن فغيروا اللفظ لتعسر النطق به على لسانهم لأجل ثقله من العجمة، فسكن معهم إلى أن قال وبايعوه ملكًا إلى أن قال ولا نعلم تاريخًا لخروجه من اليمن ولا لوصوله إليهم ولا ما هو اسمه، وبقي اللفظ علمًا وصدره لقبًا لكل من تولى بعده من الملوك، فتناسلوا وتكاثروا حتى لا يعلم عدتهم إلا الله سبحانه، وكانوا ذوو قوة ونجدة وشجاعة وعظم جثة وطول قامة بحيث لا يخفى ذلك على من كان عنده معرفة بأخبارهم وأحوالهم. وأما ماسينا الأول علي كلن فكان من قصته أنه سكن في الخدمة عند سلطان ملي هو وأخوه سلمن نار ابنا زا ياسبي، أصل اللفظ سليمان فتغير من أجل عجمة لسانهم، وأمهما شقيقتان، أما والدة علي كلن فاسمها

= انتهى حكم ملوك زا لمملكة غاو عام 690 هـ/1335 م ليبتدئ حكم سني أو شن وهو تحريف سني كي ويعني خليفة السلطان، على يد سن علي كلن؛ كما تمكن لاحقًا محمد بن أبي بكر الطوربي من القضاء على سني، فاتخذ لنفسه لقب أسكيا وبه ابتدأ حكم الأساكية (899 هـ/1494 م) الذي انتهى باحتلال جيش أحمد المنصور لمملكة السنغاي بقيادة القائد جؤذر والقضاء على آخر الأساكية وهو إسحاق (الثاني) بن داوود سنة 1000هـ/1591م. انظر هامش رقم (237)، ص. 184.

210 - أسكيا الحاج محمد: انظر هامش رقم (138)، ص. 132.

أما، واسم والدة سلمن نار فت وهي الأولى عند أبيهما فأخذت كثيرًا ولم تلد حتى أيست من الولادة، فقالت لزوجها تزوج أختي أما [99] لعلك تجد منها عقبًا حيث لم تجده مني، فتزوجها وهم من الجاهلين لأنهما لا تشتركان في العصمة، فحملتا بقدرة الله تعالى في ليلة واحدة ولدين ذكرين،[211] فطرحا على تراب في بيت مظلم دون غسل إلا في الغد وهي عادة عندهم في المولود بليل، فابتدأن بِغَسْل علي كُلَنْ ولذلك جعل كبيرًا ثم غسل سلمن نار فكان الأصغر بذلك، فلما بلغا مبلغ الاستخدام أخذهما سلطان ملي لأنهم في طاعته حينئذٍ للخدمة على عادتهم لأولاد الملوك الذين في طاعتهم وتلك العادة جارية عند سلاطين السودان كلهم إلى الآن، فمنهم من يرجع بعد الخدمة إلى بلادهم ومنهم من يبقى فيها إلى أن يموت.

77 - تعقيب على عادة التحاق أولاد الأمراء بقصر الملك

قلت أذكرتني هذه العادة عادة القوط في الأندلس قبل الإسلام كما في «الاستقصا»[212] أنه كان من عادة أكابر العجم بالأندلس أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون التنويه بهم إلى دار الملك الأكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بآدابه وينالوا من كرامته، حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضًا وتحمل صدقاتهم وتولى تجهيز إناثهم استئلافًا لآبائهم، فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكان أهلها نصارى، فبعث بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه إلى دار لذريق فوقعت عينه عليها فأعجبته ولم يتمالك أن استكرهها فافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها سرًا فأحفظه ذلك وحمى أنفه وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه ولأحفرن ما تحت قدميه، فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الأندلس مع سابق القدر، إلخ. قلت وقد ملك القوط الأندلس نحو أربعمائة سنة إلى أن جاء الله بالإسلام والفتح، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة ملوكهم كجرجير سمة ملوك صقلية.

78 - استقلال ملوك سنغاي عن مملكة مالي

[100] فلنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر ملوك سغي، فنقول وكانا أي علي كلن وأخوه سلمن نار هنالك أي عند ملك ملي، فعلي كلن يغيب في بعض الأحيان لطلب المنفعة على سبيل العادة ثم يرجع وهو لبيب عاقل فطن كيس جدًا وبقي يزيد في الغيبة حتى قارب

211 - تعليق المؤلف: في ليلة واحدة وولدنا كذلك.

212 - الاستقصا، ج. 1، ص ص. 123-124.

سغي وعرف طرقاتها فأضمر الخلاف والهروب إلى بلده فاحتال واستعد لذلك بما ينبغي من الأسلحة والأزودة وكمنهم في مواضع معروفات في طريقه ثم فَطّن أخاه وأطلعه على سره، فعلفا حصانيهما علفًا صحيحًا مليحًا جيدًا حتى لا يخشيان عليهما عجزًا ولا عياء، فخرجا وتوجها لسغي فلما فطن لهما سلطان ملي جعل في أثرهما رجالاً ليقتلوهما وكلما دنوا منهما تقاتلوا فيكسرانهم وتكرر القتال بينهم فما نالوا منهما نيلاً حتى وصلا إلى بلدهما، فكان علي كلن سلطانًا على أهل سغي وتسمى بس وقطع حبل الملك عن أهله من سلطان ملي، وبعدما مات تولى أخوه سلمن نار ولم يجاوز ملكهم سغي وأحوازها فقط إلا الظالم الأكبر الخارجي سن علي فزاد على جميع من مضى قبله في القوة وكثرة الجند، فعمل الغزوات وطوع البلادات وبلغ ذكره شرقًا وغربًا وهو آخر ملوكهم، إلا ابنه أبو بكر داع تولى بعد موته فعن قليل نزع الملك منه أسكيا الحاج محمد وذلك لما توفي سن علي بن سن محمد داعو في سنة ثمان وتسعين وثمانمائة (898)[213] وكان راجعًا من غزوة كرم بعدما حارب الزغرانيين والفلاّنيين وقاتلهم، ولما وصل بلاد كرم في رجوعه انطلق عليه سيل هنالك في الطريق يسمى كن فأهلكه بقدرة القادر المقتدر في خامس عشر من المحرم فاتح العام المذكور آنفًا، فشق أولاده بطنه وأخرجوا أحشاءه وملأوه عسلاً لئلا ينتن على زعمهم، جعل الله [101] ذلك مجازة لما كان يفعل بالناس في حياته أيام تجبره، فنزل عسكره في بعني، فتولى ابنه أبو بكر داعو السلطنة في بلد دنغ وكان الأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر الطوسي وقيل السلنكي [سطر ...، غير واضح] ذلك الخبر ضمر في نفسه الخلافة وتحيل في ذلك في أمور كثيرة، فلما فرغ من إبرام حبل تلك الحيل توجه إليه فيمن كان معه من خواصه فغار عليه في البلد في ثاني ليلة جمادى الأولى في العام المذكور، فانهزم جيشه وولى هاربًا حتى وصل قرية يقال لها أنكع وهي بقرب كاغ، ووقف هنالك حتى جمع عليه جيشه، ثم التقى معه فيها يوم الاثنين رابع عشر من جمادى الأخرى، فجرى بينهما حرب شديد وقتال عظيم ومعركة هائلة حتى كادوا يتفانون ثم نصر الله تعالى الأسعد الأرشد بن أبي بكر وهرب سن أبو بكر داعو إلى آين فبقي هنالك إلى أن توفي، فتملك الأسعد الأرشد يومئذٍ فكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، فلما بلغ الخبر بنات سن علي، قلن أسكيا ومعناه في كلامهم لا يكون إياه، فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا أسكيا محمد.

213 - سنة 898 هـ توافق 1492 م.

79 - تولي أسكيا محمد السلطنة وقيامه بأداء فريضة الحج

وفي «الفتاش»:[214] فمكث أسكيا محمد في السلطنة سنتين وخمسة أشهر فتم القرن التاسع، ففي تلك السنة فتح زاغ وأخذ منها خمسمائة بناء، فذهب بالأربعمائة إلى كاغ ليتخذهم لنفسه، واسم رئيسهم يومئذٍ كرمغ، مع آلات بنائهم، وأعطى أخاه عمر كمزاغ المائة الباقية، إلخ. وفي «تاريخ السودان»:[215] وفي السنة الثانية من القرن العاشر مشى إلى الحج في شهر صفر فحج بيت الله الحرام مع جماعة من أعيان كل قبيلة، إلى أن قال فحج وزار وحج معه من كتب الله ذلك من أولئك الجماعة في آخر تلك السنة، إلى أن قال فتصدق الأمير في الحرمين بمائة ألف ذهبًا واشترى جنانًا [102] في المدينة المشرفة وحبسها على أهل التكرور وهي معروفة هنالك، وأنفق بمائة ألف واشترى السلع وجميع ما يحتاج إليه بمائة ألف، إلى أن قال ورجع في السنة الثالثة من القرن العاشر ودخل في كاغ في ذي الحجة مكمل السنة فأصلح الله ملكه ونصره نصرًا عزيزًا وفتح له فتحًا مبينًا فملك من أرض كنت إلى البحر المالح في المغرب وأحوازهما ومن حد أرض بندك إلى تغاز وأحوازهما، فطوع الجميع بالسيف والقهر وكمل الله له مراده في الجميع، فكيفما ينفذ حكمه في دار سلطنته كذلك ينفذ في جميع مملكته طولاً وعرضًا مع العافية الباسطة والأرزاق الواسعة، فسبحان من يخص من شاء بما شاء وهو ذو الفضل العظيم.

80 - مسألة حج محمد عون الله وما وقع فيه من لبس مع حج أسكيا محمد

قلت ولعل الأمير محمد هو محمد عون الله اضبكري الفوتي الذي أخبرني به الحاج إسماعيل من أهل فت قرية من قرى فوت طور لأنه قال إن محمد عون الله قام من تمبكت إلى مكة وحج سنة 763 من الهجرة[216] واشترى سبع دور بالمدينة وثلاث حرائث من النخل وحبسها على زوجاته الثلاث فإن انقرض (عقبهن) رجع الحبس إلى أهل فوت، وذهب إلى تمبكت وتزوج من مسوف وولد له فيها الحاج محمد عون الله هذا، وكذا قيل إن زوجاته الثلاث من مسوف أيضًا ومن مسوف يكون أمراء بردام كما قيل والله تعالى أعلم. والظاهر أنهما غيران لأن سنتي حجهما متغايرتين وهذا توفي في المدينة والله تعالى أعلم وذاك رجع إلى أهله وعاش بعد ذلك زمنًا.

214 - تاريخ الفتاش، ص. 61.

215 - تاريخ السودان، ص ص. 72 و73.

216 - سنة 763 هـ توافق 1361 م.

81 - ذكر ما أورده ابن بطوطة عن محطة تغازى

قلت أيضًا وتغازي قرية بينها وبين سجلماسة مسافة خمسة وعشرين يومًا وبينهما وبين تاسرهلا مسافة عشرة أيام ومن تاسرهلا إلى إيولاتن [103] مسافة سبعة أيام.[217] وفي رحلة ابن بطوطة:[218] وقرية تغازي لا خير فيها ومن عجائبها أن بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقوفها من جلود الجمال ولا شجر بها إنما هي رمل به معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض يحمل الجمل منها لوحين ولا يسكنها إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب إليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن أغلى المجلوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحمل منه بإيولاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً إلى عشرين وربما انتهى إلى أربعين مثقالاً، وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعًا ويتبايعون به، وقرية تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر، وأقمنا بها عشرة أيام في جهد لأن ماءها زعاق وهي أكثر المواضع ذبابًا، ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشرة أيام لا ماء فيها إلا في النادر إلى آخر كلام صاحب الرحلة المذكورة.

217 - طريق الصحراء نحو السودان: يعرفنا ابن بطوطة بمراحل الطريق التي سلكها في رحلته نحو بلاد السودان، وهي نفس مسلك القوافل بين المغرب وبلاد السودان عبر الصحراء، ومحطاتها الرئيسية هي: تغزى حيث منجم الملح بتانتال أو تاودني (أنظر هامش رقم (69)، ص. 96، تاس هلا، سجلماسة (أنظر هامش رقم (69)، ص. 96، إيولاتن (أنظر هامش رقم (243)، ص. 185). انظر رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 239-251.

218 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 239-251.

حرص ابن بطوطة على ذكر محطات الطريق بين السودان الغربي وبلاد المغرب العربي عبر الصحراء ابتداء من سجلماسة ثم تغازي الملح، ثم تاسَرَ هَالا، ثم إيولاتن، ثم زاغري وونجراته، ثم كازسخو، ثم كابرة وزاغة وتومبوكتو، ثم مالي أو موليْ. ولا تخلو كتب الجغرافية الإسلامية وخاصة منها ما يهتم بالمسالك ومحطات الطرق - مثل البكري والإدريسي وابن سعيد المغربي - من ذكر مراحل الطرق الصحراوية الرابطة بين بلاد المغرب ومصر وبين اقاليم السودان الأوسط والغربي:

- أبو عبيد الله البكري (ت. 487 هـ/1094 م): ذكر أودغشت - مدينة تكرور - سلي على النيل (النيجر) - مدينة غانة - زانغو - غيارو - يرسني - انبارة - شفمارة (أنظر: البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 868-880).
- محمد الشريف الإدريسي (ت. 560 هـ/1166 م): ذكر مدن أوليل - أرض لملم - سلي - تكرور - برسي - دو - مورة تكرور - سغمارة - عبارة - كرغمة - كوكو - تملمة - زغاوة - مانان - انجيمي - ترابية - تاجورة (أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج. 1، ص ص. 1-3، 17-21).
- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت. 685 هـ/1286 م): أشار إلى بحيرة كوري (تشاد) - قاعدة كانم جيني - مانان - دنقلة - تاجورة - قاعدة الزغاويين (أنظر ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، ص ص. 96-97).

82 - مناجم ملح تغازي سبب غزو المنصور السعدي لمملكة السنغاي

وتغازي هي السبب في قتال المنصور لأهل التكرور، وفي «الاستقصا»:[219] وبعث رسالة إلى السلطان إسحاق بن داوود من آل سكية صاحب مملكة كاغو من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدن الملح الذي بتغازي بين المغرب والسودان ومنه يحمل الملح إلى أقطار السودان وظيفًا بأن يجعل على كل من يحمل منه شيئًا من الواردين عليه مثقالاً من الذهب العين تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار لأن ذلك بحر لا ساحل له، وكان المنصور لم يكاتبه في ذلك حتى استفتى علماء إيالته[220] وأشياخ الفتيا بها فأفتوه بما هو منصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقًا إنما هو للإمام لا لغيره وأنه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك [104] إلا عن إذن السلطان أو نائبه، وبعث إليه المنصور بتلك الفتاوى مع الرسالة الموجه بها مع الرسول، إلى أن قال ولما بلغت رسالة المنصور إلى السلطان إسحاق سكية واطلع عليها شق عليه ذلك وماطل في الجواب، وحيث بطأ الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكية من عدم إجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة[221] فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر للسودان، فهذا هو الحامل له على قصد تلك البلاد وتدويخها إلى آخر كلام صاحب «الاستقصا» من غزو جيوش المنصور للسودان، انظر ذلك إن شئت هنالك. وفي «الفتاش» أيضًا[222] ما معناه أن الحد بين سغي وأرض مل سبردك، اهـ.

83 - نسب محمد أسكيا اعتمادًا على السيوطي وبعض الرواة

وفي «الفتاش» أيضًا أن الإمام عبد الرحمن السيوطي قال لأسكيا محمد قبيلتك منسوبة بطورد من أهل اليمن ومسكنك بكوكو، إلخ. وفيه أيضًا أسكيا الحاج محمد بن أبي

219 - الاستقصا، ج. 5، ص ص. 116.

220 - تعليق المؤلف: ورد في «القاموس» أنه يقال القوم إولا وإيالة بكسر مما ولي أمرهم.

221 - الملاحة: المقصود بها هنا مناجم الملح «تغزا» (Taghaza) التي يؤخذ منها الملح إلى بلاد السودان حيث يشح وجوده، ويستبدلونه بما لديهم من تبر الذهب، وكانت هذه المناجم مقصد التجار، وتقع بالصحراء الكبرى شمال غرب تاودني حيث توجد مناجم الملح، بينها وبين سجلماسة عشرين مرحلة حسبما أورده البكري؛ كان يسكنها عبيد مسوفة الذين يعملون في استخراج حجارة الملح، وقد طلب أحمد المنصور السعدي من الملك أسكيا إسحاق (1546 م) أن يترك له مناجم الملح فرفض ذلك، وجدد طلبه في عهد أسكيا داوود مبديا رغبته في كرائها لعام واحد، بعد ذلك وجه جيشًا للاستيلاء عليها وغزو مملكة الأسكيا سنة 1590 م.

222 - تاريخ الفتاش، ص. 13.

بكر التوردي أصلا الكوكوي دارًا ومسكنًا، إلخ. قلت لا أدري هل قبيلته التي هي تورد من تورود فوت هذا أم لا والله تعالى أعلم. وقلت أيضًا ويمكن أن ينسب إلى قبيلة هنالك تسمى تورود ومعنى تور عندهم الصنم، ومن ترك عبادته إلى عبادة الله تعالى فهو تورود كما قيل لي ممن جاء من تلك البلاد. وقد أخبرني الحاج إسماعيل الفتوي مرير لاب في فوت ما هذا معناه: تورود بلاد للفلاّن بين بتنكوب الذين هم فلب سبان وبلاد ياك، وبتنكوب في مشرق تورود وياك في مغربهم، وسكي في شمالهم وكرم في يمينهم، وأما سكي وجرم فبينهما بحر وسكي في ورك أي دون البحر وجرم في رو أي وراء البحر، وسكي وجرم هكذا مع هذا البحر إلى أن انتهى سكي فجاوز جرم مع البحر إلى هوس وكلام أهلهما واحد، والله تعالى أعلم.

84 - قساوة سلوك سن علي

[105] وفي «الفتاش» أيضا[223] في ذكر قساوة قلب سن علي، قال وما له من الأعداء عدو مسخوط عليه يبلغ عنده فلن، وكل من رآه بعينيه من الفلاّنيين يقتله لا عالم ولا جاهل لا رجال ولا نساء، لا يقبل للعالم منهم صرفًا ولا عدلاً، قتل قبيلة سنقر حتى ما أبقى منهم إلا طائفة يسيرة اجتمعوا كلهم في ظل شجرة واحدة ووسعتهم، وكان يأخذ بعض أحرار المسلمين ويعطيهم لبعضهم ويزعم أنه يتصدق بهم عليهم، إلخ . قلت ومعنى فلن في كلامهم الفلاّني فقط.

85 - ذكر مملكة غانا نقلاً عن صاحب الاستقصا

وفي «الاستقصا[224] لأخبار دول المغرب الأقصى» للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي تلخيص القول في سودان المغرب والإشارة إلى ممالكهم ودولهم، إلخ، اعلم أن هؤلاء السودان من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين والمؤرخين، ويجاور البربر بأرض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة المغرب على مصب النيل السوداني فيه، وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف

223 - المصدر السابق، ص. 14. وردت بهذه الصيغة في الفتاش: «تغلظ سن عال الملعون في قتل قبيلة سنقر وكان خبره كثيرًا في أفواه الكهان وأنه يخرج على قبيلة سنقر فيقتلهم حتى لم يبق منهم إلا طائفة قليلة».

224 - الاستقصا، ج. 5، ص. 107.

بصوصوا بصادين أو سينين مهملتين مضمومتين، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها مالي، ثم بعدها أمة أخرى تسمى كوكوا ويقال كاغوا، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرور ويقال لهم أيضًا سغاي، ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنوا المجاورة لإفريقية من جهة قبلتها، ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر، وهكذا إلى بلاد الشرق أمم لا يحصيهم إلا خالقهم. فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا في صدر الإسلام من أعظم أمم السودان، أسلموا قديمًا وكان لهم ملك ضخم، وكانت حاضرة ملكهم هي غانة وهي مدينتان على ضفتي نيل السودان[225] من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرانًا، إلى أن قال ناسبا للشريشي شارح المقامات:[226] وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الإسلام في أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر [106] فيشترون بها خدما للتسري ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة، والإماء فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة في خَلقهن وخُلقهن فوق المراد من ملاسة الأبدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال الأنوف وبياض الأسنان وطيب الروائح، اهـ. وقال ابن خلدون:[227] كان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح، وقال «صاحب نزهة المشتاق»:[228] وإنه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن، وقد ذهب هذه الدولة لهذا العهد، ثم إن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى ملكهم في المائة الخامسة،

225 - نيل السودان ونيل الزنوج: المقصود به نهر النيجر، وقد اعتقد معظم الجغرافيين المسلمين بأنه فرع من فروع النيل، فسموه بنيل الزنوج، وفي غياب الرحلات الاستكشافية اعتبروا أن مجراه يمتد من السودان الغربي حتى بحيرة تشاد، ومنها يخرج نحو النوبة حيث يلتقي بالنيل الإفريقي الشرقي (النيل الأبيض) ويكون نهر النيل الذي يخترق السودان الشرقي ومصر. ونهر النيجر أحد الأنهار الكبرى بالقارة الإفريقية يبلغ طوله 4160 كلم، وينبع بالقرب من حدود سيراليون في جبال فوتا جالون، ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى يبلغ الهوامش الجنوبية للصحراء الكبرى عند تومبوكتو ليكون انحناءً كبيرًا حيث يجتاز سهلاً جافًا مليئًا بالحشائش، وبعدها يتجه نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى مصبه عند خليج غانة بعد أن يرفده العديد من الأنهار أهمها نهر ببنوي عند جوبر مكونًا دلتا ضخمة تنتشر بها الغابات الاستوائية الكثيفة. ويعود اكتشاف مصب نهر النيجر إلى المستكشفين الأوربيين في مطلع القرن التاسع عشر، ومنهم العالم الألماني ريتشارد لاندر (R.Lander) الذي وصل إلى مصبه في خليج غانة سنة 1830 ؟

226 - أبو العباس أحمد القيسي الشريشي، المصدر نفسه، ج. 3، ص ص. 334-335

227 - ابن خلدون، المقدمة، الفصل الأول من الكتاب الأول في العمران البشري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.، ص ص. 54 - 55.

228 - أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي (ت. 560 هـ/1166 م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة د.ت.، ج. 1، ص. 23.

واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي البربر، وزحف إليهم الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني فاتح المغرب ومستخلف يوسف بن تاشفين عليه حسبما مر ذلك في أخبارهم، فلما رجع الأمير أبو بكر إلى الصحراء غزا بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر واقتضى منهم الإتاوات وحمل الكثير منهم ممن لم يكن أسلم قبل ذلك على الإسلام، فدانوا به.

86 - ذكر بعض سلاطين مالي وأسباب زوال ملكهم

ثم اضمحل ملك أهل غانة بالكلية وتغلب عليهم أهل مملكة صوصوا[229] المجاورين لهم واستعبدوهم وصيروهم في جملتهم، ثم أن أهل مالي أكثر أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصوا وملكوا ما كان بأيديهم وبأيدي أهل غانة ثم افتتحوا بلاد كوكوا وأضافوها إلى ملكهم وصارت دولة مالي متصلة فيما بين غانة في الغرب وأرض التكرور في الشرق واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان، ومن هذه الدولة كان السلطان منسا موسى بن أبي بكر وأخوه منسا سليمان[230] اللذان كان بينهما وبين

229 - مملكة الصوصو أو سوسو: تنسب إلى جماعات السوننكة بأجلة كانيافا بين إقليمي غانة ومالي، وكانت تعتبر إحدى ولايات مملكة غانة القديمة قبل أن تحرر عندما أخضع المرابطون (لمتونة) تلك المملكة (1076 م)، فحكمتها أسرة جرسة السركلية وتوسعت في عهد حاكمها الوثني سومانكورو (سومانجورو) إلى نهر النيجر الأعلى، وخضعت له عاصمة دولة غانة كومبي (1203 م) الذي اضطهد مسلميها فتحولوا شمالاً نحو الصحراء ليؤسسوا مركز بير المعروف بولاتة (1224 م) الذي أصبح مركزًا تجاريًا. كما توسعت مملكة الصوصو في عهد هذا الملك (سومانكورو) في أراضي ماندنك (مانديغ) في كتجابة، ولم يوضع حد لهيمنة الصوصو إلا عندما تمكن ماري جاطة من تحرير شعب المانديغ من عبودية الصوصو بإلحاق الهزيمة بهم وبقتل ملكهم في معركة كيرينا (1230 م) وبالقضاء على دولتهم (1240 م)، مما اضطر ما تبقى من شعب الصوصو إلى التحول إلى بلاد التكرور حيث تولت حكمهم أسرة محلية قضى عليها الولوف سنة 1350 م.

230 - ملوك مالي:

- سندیانا، سندياتة أو ماري جاطة الأول أي الأمير الأسد (1230-1255 م): محارب قدير وقائد موهوب، يعتبر من أبطال شعب الماندي (المالي) بعد أن تمكن من تحرير مالي من سلطة السلطة بعد تحالفه مع رؤساء المانديغ (الونكارة) وإلحاقه الهزيمة بملك الصوصو سومانجورو (633 هـ/1235 م). أسس إمبراطورية مالي (1238 م) الممتدة من تخوم الغابات جنوبًا إلى حافة الصحراء الكبرى شمالاً ومن المحيط الأطلسي غربًا إلى نهر النيجر شرقًا، كما قضى على ما تبقى من دولة غانة وجعل عاصمته نياني أو آمالي على النيجر (1240 م). حكم 25 سنة واعتبر أبو ملوك مالي، وتعاقب على حكم مالي أربعة من أبنائه.
- منسا علي أو ماسا أولين أو منسى والي (653-669 هـ/1255-1270 م): ابن ماري جاطة من ملوك مالي المعروفين بصلاحهم وتقواهم، أدى فريضة الحج ومر بمصر في أيام الملك الظاهر بيبرس (658 هـ/1259م)، وعمل على إقامة علاقة مع مصر وبلاد المغرب الإسلامي. استولى على مراكز تجارة الصحراء بولاتة وتومبوكتو، وسيطر على مصادر الذهب في ونقارة (ونجارة)، وضم مملكة السنغاي.

السلطان أبي الحسن المريني مهاداة ومواصلة، وكان منها أيضًا السلطان ماري زاطة الذي هادى السلطان أبا سالم المريني وأغرب عليه [107] بالزرافة،[231] قالوا وكان هذا السلطان مسرفًا مبذرًا بحيث أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم وكاد أمر سلطانهم يختل حتى لقد انتهى الحال به في سرفه وتبذيره أن باع حجر الذهب الذي كان من الذخائر الموروثة عندهم وهو حجر يزن عشرين قنطارًا من الذهب العين منقولاً من المعدن كذلك من غير علاج ولا تصفية بالنار، وكانوا يرونه من أنفس الذخائر وأكبر الغرائب لندور مثله في المعدن، فعرضه منسا زاطة على تجار مصر المترددين إلى بلده فاشتروه منه بأبخس ثمن، ثم أصابته علة النوم وهو مرض يطرق أهل ذلك الإقليم كثيرًا وخصوصًا الرؤساء منهم بحيث يعتاده غشية النوم عامة زمانه غاية ويتصل سقمه إلى أن يهلك،[232] ودامت هذه العلة بهذا السلطان سنتين ثم

- منسا أو منسى موسى أو كنكو موسى (حوالي 712-738 هـ/1312-1337 م): من أشهر سلاطين مملكة مالي، حكم حوالي ربع قرن وتوسعت رقعة دولته بفضل حنكة قائده ساران منديان، فامتدت من تخوم الصحراء إلى نطاق الغابات الاستوائية. ذاعت شهرته لما كان بمملكته من ثروات وأبهة وكرم أثناء تأديته لفريضة الحج (724 هـ/1314 م). ذكره الكثير من المؤرخين منهم العمري والمقريزي وابن الوردي والفتاش والسعدي. وقد قدرت كميات الذهب التي أنفقها في رحلة الحج بطن ونصف طن من تبر الذهب، حملت على أربعين بغلاً وسخر لخدمته وحاشيته 6000 خادم. نال كرمه العديد من العلماء والأعيان، واشترى العديد من المنازل وأوقفها على حجاج السودان. استقبله في مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم التقى بمكة شيخ جماعة الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطوجين، اصطحب معه إلى السودان الفقيه عبد الرحمن التميمي، كما حرص على أخذ الفقيه عبد الله التومي معه عند مروره بغدامس لنشر الثقافة الإسلامية بدولته.
- منسا أو منسى سليمان بن أبي بكر: شقيق منشا موسى، تولى الحكم بعد ماغان الأول بن موسى، واستمر عهده تسعة عشر عاماً (741-761 هـ/1341-1360 م)، وخلفه ابنه قنبتا الذي واجه في الشمال أمراء السنغاي الراغبين في الاستقلال وزعماء لمتونة المرابطين، كما تصدى في الجنوب لشعب الموسي. تعرف على المشرق أثناء تأديته فريضة الحج (752 هـ/1351 م)، وتبادل المراسلات والهدايا مع السلطان المريني أبو الحسن. كانت مملكته تتميز بالرخاء والأمن حسبما أورده العمري في «مسالك الأبصار» وسجله ابن بطوطة في رحلته بعد أن قضى في ضيافته تسعة أشهر (حوالي 754 هـ/1353 م).
- ماري جاطة (زاطة) الثاني بن قنتبا وحفيد منسا سليمان: حكم حوالي أربعة عشر عامًا (761 - 776هـ/1360-1374 م): أساء في حكمه للرعية واتصف بإتلاف الثروة وتبديد الأموال. حاول عقد صلات مع سلاطين المماليك بمصر والمرينيين بالمغرب، فأرسل هدية إلى السلطان المريني أبو سالم (762 هـ/1360 م) اشتملت على بعض حيوانات السودان الغريبة عن أهل المغرب مثل الزرافة التي كانت محل إعجاب العامة. تولى الحكم بعده منسا موسى الثاني (776-785 هـ/1374-1387 م).

231 - أي بعث إليه بهدايا منها حيوانات غريبة مثل الزرافة التي لم تكن معروفة في بلاد المغرب.

232 - مرض النوم الإفريقي: تتسبب فيه ذبابة التسي تسي التي تعيش على شواطئ الأنهار، وتتغذى من دم الإنسان والحيوان، وتفرز طفيليات تشكل في الجسم غشاء متموجًا (داء المثقبيات)، وهو يهاجم الجهاز العصبي وينجم عنه غالبًا نوم طويل مظاهره ورم في الغدد اللمفاوية وطفح جلدي ووهن يصيب الإنسان والحيوان؛ وهو داء قاتل إذا لم يعالج، مما يعتبر مشكلة صحية خطيرة للإنسان وسببًا في هلاك الماشية؛ ويمكن محاصرته والحد من أضراره باستعمال مبيدات الحشرات.

هلك منها سنة خمس وسبعين وسبعمائة،[233] ثم توراثت بنوه الملك من بعده فكانوا في تراجع وانتقاص إلى أن انقرض أمرهم شأن غيرهم من الدول.

87 - قيام دولة آل سكية على يد الحاج محمد سكية وذكر مآثر هذا الملك

وظهرت دولة آل سكية من أهل مملكة كوكوا ويقال كاغوا، قال الإمام التكروري في كتابه «نصيحة أهل السودان» أن آل سكية أصلهم من صنهاجة وملكوا كثيرًا من بلاد السودان وأول ملوكهم الحاج محمد سكية[234] بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم هاء تأنيث، وكان الحاج محمد المذكور رحل في أواخر المائة التاسعة إلى مصر والحجاز بقصد حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم، فلقي بمصر الخليفة العباسي إذ كان رسم الخلافة لا زال قائمًا بها يومئذٍ حتى محاه السلطان سليم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسع مائة،[235] فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة [108] المذكور طلب منه أن يأذن له في إمارة بلاد السودان وأن يكون خليفة هناك، ففوض إليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الإقليم وجعله نائبه على من وراءه من المسلمين، فرجع الحاج محمد سكية إلى بلاده وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج أهل السنة، ولقي بمصر أيضًا الإمام شيخ الإسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام وسمع عليه جملاً من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه، فرجع إلى السودان ونصر السنة وأحيى طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال إلى السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم، فصلحت الأحوال وبرأ جسد الرشاد من الداء العضال، وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لأمة الدين محبًا للعلماء مكرمًا لهم يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء، ولم يكن في أيامه كلها بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب، وفرض عليهم شيئًا خفيفًا من المغارم وظفه عليهم وزعم أنه ما فعل ذلك حتى استشار الإمام السيوطي شيخه، ولم يزل على سيرته المذكورة إلى أن اخترمته المنية.

233 - سنة 775 هـ توافق 1373 م.

234 - الحاج محمد سكية أو أسكيا، انظر هامش رقم (138)، ص. 132.

235 - سنة 923 هـ توافق 1417 م.

88 - انتهاء أمر آل سكية على يد المنصور السعدي

فقام بالأمر بعده ولده داوود بن محمد[236] فأحسن ما شاء وتبع طريقة أبيه إلى أن لحق بربه ومضى لسبيله، فقام بالأمر بعده ولده إسحاق بن داوود فعدل عن بعض سيرة أبيه ولم يكن في أمره بالذميم واستمر حاله على الانتظام إلى أن غزته جيوش المنصور فنقضت ملكه ونثرت سلكه وانقرض عليه أمر آل سكية[237] بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان.

89 - نسب التكرور ومدح أبي إسحاق الكانمي للمنصور السعدي

وأما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلدون: كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين [109] لا تنسب إلى أب ولا أم وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة، فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة، وتكرور اسم للأرض التي هم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم. قال صاحب «الاستقصا»[238] وكان من كانم الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الشاعر وهو الذي دخل على يعقوب المنصور الموحدي فأنشده:

أزال حجابه عني وعيني
تراه من المهابة في حجاب

236 - مما تجدر ملاحظته هنا أنه بين فترة حكم الحاج محمد وداوود تولى ثلاثة ملوك آخرون من أسكية، وبين هذا الأخير (داوود) وإسحاق الثاني تولى الحكم ملكان يحملان اسم الحاج محمد باني حسبما علق على ذلك محقق الاستقصا، ج. 5، ص ص. 107-111.

237 - تندرج حملة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (956-1012 هـ/1549-1603 م) ضمن خطته التوسعية جنوب المغرب بهدف الاستيلاء على مصادر الذهب والتحكم في تجارة الصحراء والاستحواذ على مناجم الملح بتغازي التي كانت السبب المباشر الذي تعلل به المنصور لمهاجمة دولة السنغاي على عهد سلطانها إسحاق أسكيا (الثاني)، فتوجهت حملة عسكرية قوامها على الأرجح 4000 رجل ثلثاهم من الأندلسيين يسوقون معهم 1000 حصان و8000 جمل محملة بالذخيرة والمؤن وبعض المدافع، وتولى قيادتها العلج الإسباني جؤذر بن عبد الله وتمكن من إلحاق الهزيمة بإسحاق أسكيا واحتلال عاصمته أكاغو (999 هـ/1590 م)، وبعد أن استدعي إلى المغرب تولى قيادة الجيش ومواصلة فتح السودان القائد محمود بن علي بن زروق (1591-1595م)، ثم القائد منصور بن عبد الرحمن. تعاقب على حكم السودان (مناطق تومبوكتو خاصة) باشوات مغاربة من 1591 إلى 1670 م، بلغ عددهم 156 باشا كان آخرهم علي بن منصور بن علي الزرقيني المعروف بلقب بابا.

238 - الاستقصا، ج. 5، ص ص. 107-111.

و قربني تفضله ولكن
بعدت مهابة عند اقترابي

و أهل أرض كانم هم أهل مملكة برنوا المجاورة لإفريقية من جهة قبلتها وكانت لهم مع الدولة الحفصية في المائة السابعة وما بعدها مهاداة ومواصلة كما كان لأهل مالي مع بني مرين. قال صاحب «الاستقصا» ومن أهل برنوا الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوي شيخ الولي العارف بالله تعالى أبي فارس عبد العزيز الدباغ الموضوع في مناقبه كتاب «الإبريز».(239) واتصل أهل برنوا على الانتظام إلى أن كان أمرهم مع المنصور ما نذكره، قلت وهو مبايعة أهل برنوا للمنصور كما في «الاستقصا»،(240) هـ.

90 - انتشار الإسلام بالسودان الغربي

وكل هؤلاء الأمم كانوا على دين الإسلام قديمًا كما رأيت وكان فيهم العلماء والصلحاء والأدباء والشعراء كما علمته آنفًا وتعلمه فيما بعد إن شاء الله تعالى. قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السوداني في تقييده المسمى بـ«معراج الصعود»:(241) إن أهل السودان أسلموا طوعًا بلا استيلاء أحد عليهم كأهل كنو وكنتى وبرنوا وسغاي، ما سمعنا قط أن أحدًا استولى عليهم قبل إسلامهم ومنهم من هم قدماء الإسلام كأهل مالي أسلموا في القرن الخامس أو قربه وكأهل برنوا وسغاي.

91 - إيوالاتَنْ وبعض عادات أهلها نقلاً عن ابن بطوطة

تتمة نذكر فيها ما رآه ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد السودان مالي وتكرور من عوائدهم، قال:(242) ثم وصلنا إلى مدينة [110] إيولاتن(243) بعد سفر شهرين كاملين من

239 - أحمد بن مبارك اللمطي الفاسي (ت. 1155 هـ/1742 م)، الذهب الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز بن مسعود الحسني الإدريسي الشهير بالدباغ، توجد منه عدة نسخ، نشرت إحداها بالمطبعة الأزهرية سنة 1345هـ/1927م، حسبما أورده محقق الاستقصا، ج. 5، ص. 112.

240 - نقلاً عن الفشتالي في مناهل الصفا، الذي أورد أن وفد صاحب برنو وفد على أحمد المنصور السعدي وهو بفاس (990 هـ/1582 م)، وقدم له البيعة، أنظر: الاستقصا، ج. 5، ص. 112.

241 - أبو العباس أحمد بابا التنبكتي (ت. 1036 هـ/1627 م)، معراج الصعود إلى حكم مجلوب السود، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس، رقم (5295).

242 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 244.

243 - إيوالاتن أو إيولاتن أو ولات أو ولاتة أو ودان الحديثة: إحدى المراكز الصحراوية كما يفهم من معنى كلمتها البربرية المشتقة من المالنكية وهي «والا» وهي المكان أو المحطة. تقع على مسيرة يوم من شنقيط القديمة، يعود

سجلماسة وهي أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فربا حسين ومعنى فربا النائب، ولما وصلناها جعل التجار أمتعتهم في رحبة(244) وتكفل السودان بحفظها وتوجهوا إلى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف وأعوانه بين يديه بأيديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه، ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منه احتقارًا لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للأبيض، وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلاكنت كتبت له أن يكتري لي دارًا ففعل ذلك، ثم إن مشرف إيولاتن ويسمى منساجو استدعى من جاء في القافلة إلى ضيافته فأبيت على ذلك فعزم الأصحاب علي أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم أتي بالضيافة وهي جريش(245) أنلي مخلوطًا بيسير عسل ولبن قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا، فقلت ألهذا دعانا الأسود قالوا نعم هو الضيافة الكبيرة عندهم، فأيقنت حينئذٍ أن لا خير يرجى منهم، وأردت أن أسافر مع حجاج إيولاتن ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم، وكانت إقامتي بإيولاتن خمسين يومًا، وأكرمني من أهلها وأضافوني منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر وأخوه الفقيه المدرس يحيى، وبلدة إيولاتن شديدة الحر وفيها يسير نخلات أهلها حسان مصرية،(246) وأكثر السكان بها من مسوفة ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنًا من الرجال.

تاسيسها في مواطن مسفوقة إلى حوالي 536 - 546 هـ، وحلت محل ودان القديمة، وسكنتها قبيلتا كونته وإيدو الحاج. استفاد سكانها من معدن الملح بإجّل. ومعنى إيولاتن عند الشيخ أحمد الكنتي الغلاوي مروض الوحوش، كما أن وادان عند طوير الحبة هو وادان أي واد من النخيل وواد من العلم. يعود ازدهارها إلى هجرة تجار مدينة كومبي من «اسرغلات» الذين تحولوا من موطنهم غانة عندما استولى عليها الملك كانياجا المعروف بسومانغورو (Sumanguru) حوالي 611 هـ/1214 م، وبعد استقرارهم بها انتقلت إليها تجارة الصحراء، فعمرت بخراب كومبي عاصمة دولة غانة القديمة وبتحول طرق التجارة عن أودغشت. وقد سكنها فيما بعد المحاجيب وهم أهل صلاح ينسبون إلى أهل الزوايا بشنقيط وهم أهل السيادة بها. ومما يلاحظ أن ابن بطوطة تعرف على إيولاتن في رحلته (753 هـ/1352 م)؛ واعتبرها الحسن الوزان أنها «مملكة صغيرة بها بساتين النخيل وتنتشر حولها القرى الصغيرة». لكن توسع سلاطين السنغاي جعل النشاط التجاري يتحول من ولاتة إلى تومبوكتو، فظلت ولاتة مجرد محطة على التخوم الشمالية لمملكة مالي على عهد ملوكها السنغاي.

244 - الرحبة: المكان المخصص لعرض السلع والبيع والشراء، وهي بمثابة السوق الذي يقام خارج المدينة أو بجوارها في أوقات محددة وتحط به القوافل.

245 - تعليق المؤلف: والجريش دقيق فيه غلظ، وجرش الشيء لم ينعم دقه فهو جريش حسبما ورد في القاموس والتاج. قلت ولعل أنلي نبت أو ثمر، والله أعلم.

246 - تعليق المؤلف: يزرعون في ظلالها البطيخ وماؤهم من حساء (آبار) ولحم الضأن كثير بها.

92 - ما يحكى عن عادات النسب والاختلاط بين النساء والرجال عند قبيلة مسوفة نقلاً عن ابن بطوطة

[111] [ذكر مسوفة الساكنين بإيولاتن] وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب، فأما رجالهم ولا غيرة لديهم ولا ينتسب أحد إلى أبيه بل ينتسب إلى خاله ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد المليبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن. وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يتحجبن مع مواظبتهن على الصلوات، ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها، والنساء هنالك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب، وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك. حكاية: دخلت يومًا على القاضي بإيولاتن بعد إذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن، فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل، وقال لي القاضي لم ترجع إنها صاحبتي، فعجبت من شأنهما فإنه من الفقهاء الحجاج وأخبرت أنه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري أهي هذه أم لا فلم يأذن له. حكاية نحوها: دخلت يومًا على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدًا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان، فقلت له ما هذه المرأة فقال هي زوجتي، فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها. فقلت له أترضى بهذا وأنت سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع فقال لي مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها ولسن كنساء بلادكم، فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها واستدعاني مرات فلم أجبه.

93 - ابن بطوطة يصف الطريق بين مسوفة وزاغر (مالي)

ولما عزمت على السفر إلى مالي وبينها [112] وبين إيولاتن مسيرة أربعة وعشرين يومًا للمجد، اكتريت دليلاً من مسوفة إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق، وخرجت في ثلاثة من أصحابي وتلك الطريق كثير الأشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة

بظل الشجرة منها وبعضها لا أغصان لها ولا ورق ولكن جسدها بحيث يستظل به الإنسان وبعض تلك الأشجار قد استاس[247] داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها، ويكون في بعضها النحل والعسل، فيشتاره [كذا] الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكًا قد نصب مرمته[248] وهو ينسج فعجبت منه وفي أشجار هذه الغابة بين إيولاتن ومالي ما يشبه ثمرة الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش، وليست بها وفيها أشجار تثمر شبه الفقوس فإذا طاب انفلق شيء شبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه ويباع بالأسواق ويستخرجون من هذه الأرض حبات كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو [كذا] وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الإسفنج وقلوه بالغرتي والغرتي ثمر كالأجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان إذا أكلوه ويدق عظمه ويستخرج منه زيت لهم فيه منافع، فمنها أنهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقلون به هذه الإسفنج[249] ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد إلى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها ما تسعه القلة ببلادنا، والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشًا حسنًا، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من القرع، والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادًا ولا إدامًا ولا دينارًا ولا درهمًا، إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم، [113] وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسرغنت وهو بحوزتهم فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بأنلي واللبن والدجاج ودقيق الأرز والفوني وهو كحب الخردل يصنع منه الكسكسو والعصيدة[250] ودقيق اللوبيا، فيشتري منهن ما أحب من ذلك إلا أن الأرز يضر أكله بالبيضان والفوني خير منه، وبعد مسيرة عشرة أيام من إيولاتن وصلنا إلى قرية زاغر وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة، ويسكن معهم جماعة من البيضان يمذهبون مذهب الإباضية من الخوارج ويسمون صغنغو، والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري، ومن هذه القرية يجلب أنلي إلى إيولاتن.

247 - تعليق المؤلف: قلت أكله بمعنى تسوس أي أكله السوس، وربما يقصد نوعًا من الأشجار، والله أعلم.

248 - تعليق المؤلف: رمه، يرمه، رما ومرمة: أصلحه بعد فساده.

249 - تعليق المؤلف: الإسفنج عروق شجر نافع في معالجة العفنة (العفونة).

250 - تعليق المؤلف: العصيدة دقيق يلت بالسمن ويطبخ، عن «تاج العروس».

94 - ابن بطوطة يصف الطريق بين زاغر وصنصرة عبر مالي

ثم سرنا عن زاغر فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل[251] عليه بلدة كارسخو، والنيل ينحدر منها إلى كابرة ثم إلى زاغة ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي، وأهل زاغة قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب للعلم، ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تنبكتو ثم إلى كوكو ثم إلى بلدة مولي من بلاد الليميين وهي آخر عمالة مالي، ثم إلى يوفي وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول إليها ثم ينحدر منها إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية، ثم إلى دنقلة[252] وهي أكبر بلادهم وسلطانها يدعى بابن كنز الدين أسلم على أيام الملك الناصر، ثم ينحدر إلى جنادة وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة أسوان[253] من صعيد مصر، ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير، ولقد نزلت يومًا إلى النيل لقضاء حاجة فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف بيني وبين النهر فعجبت من سوء أدبه وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال إنما فعل ذلك خوفًا عليك من التمساح فحال بينك وبينه، ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة وهي نحو عشرة أميال من مالي وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا بالإذن وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة [114] البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين بن النقويش المصري ليكتروا لي دارًا، فلما وصلت إلى النهر المذكور جزت في المعدية ولم يمنعني أحد فوصلت إلى مدينة مالي حاضرة ملك السودان، فنزلت عند مقبرتها ووصلت إلى محلة البيضان وقصدت إلى

251 - انظر هامش رقم (225)، ص. 180.

252 - دُنْقُلة وهي دُمُقْلَة عند ياقوت الحموي: من المراكز العمرانية بالسودان الشرقي، كانت قاعدة دولة مسيحية بإقليم النوبة عرفت بدولة المقر؛ غزاها عبد الله بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان (ض) سنة 31 هـ/651م وعرفت بمقاومتها الشديدة وأصبحت مضرب المثل حتى قيل:

لم تر عيني مثل يوم دُمُقْلَة

والخيل تعدو بالدروع مُثْقَلة

خضعت لدولة المماليك بمصر (حوالي 716 هـ/1316 م) وأصبحت نظرا لبعدها ومناعتها ملجأ للمماليك الفارين من بطش محمد علي بمصر (1226-1236 هـ/1811-1820 م) قبل أن يستولي عليها. بعدها افتتحها أتباع حركة المهدي بأم درمان. أما دنقلة الحديثة فقد أسست على بعد 140 كلم من موقع دنقلة القديمة وأصبحت الآن مركز مديرية شمال السودان. انظر: معجم البلدان، ج. 5، ص. 309.

253 - تعليق المؤلف: وأسوان بالضم ويفتح، بلد كبير وكورة بالصعيد وهو أول بلاد النوبة على النيل في شرقيه، قال الحسن بن إبراهيم المصري: بأسوان التمور المختلفة وأنواع الأرطاب، إلخ، «تاج العروس».

محمد بن الفقيه فوجدته قد اكترى لي دارًا إزاء داره فتوجهت إليها، وجاء صهره الفقيه المقري عبد الواحد بشمعة وطعام، ثم جاء ابن الفقيه إلي من الغد وشمس الدين بن النقويش وعلي الزودي المراكشي وهو من الطلبة، ولقيت القاضي بمالي عبد الرحمن جان وهو من السودان حاج فاضل له مكارم وأخلاق بعث إلي بقرة في ضيافته، ولقيت الترجمان دوغا وهو من أفاضل السودان وكبارهم وبعث إلي بثور، وبعث إلي الفقيه عبد الواحد بغرارتين[254] من الفوني وقرعة من الغرتي، وبعث إلي ابن الفقيه الأرز والفوني، وبعث إلى شمس الدين بضيافة، وقاموا بحقي أتم قيام شكر الله حسن أفعالهم، وكان ابن الفقيه متزوجًا بابنة عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وغيره، وأكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء شبه القلقاس يسمى القافي وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام فأصبحنا جميعًا مرضى وكنا ستة فمات أحدنا وذهبت أنا إلى صلاة الصبح فغشي علي فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهلاً، فأتى بشيء يسمى بيدز وهو عروق نبات وخلطه بالأنيسون والسكر ولته بالماء فشربته وتقيأت ما أكلته مع صفراء كثيرة وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضت شهرين.

95 - وصف جلوس السلطان بالقبة والاستعراضات التي تؤدى بحضرته نقلا عن ابن بطوطة

ذكر سلطان مالي:[255] وهو السلطان منسى سليمان، ومعنى منسا السلطان وسليمان اسمه، وهو ملك بخيل لا يرجى منه كبير عطاء، واتفق أني أقمت هذه المدة ولم أره بسبب مرضي، ثم أنه صنع [115] طعامًا برسم غداء مولانا أبي الحسن رضي الله عنه، واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضي والخطيب وحضرت معهم، فأتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا لمولانا أبي الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان، ولما فرغ من ذلك تقدمت وسلمت على المنسى سليمان وعلمه القاضي والخطيب وابن الفقيه بحالي فأجابهم بلسانهم فقالوا لي يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر له على كل حال، ولما انصرفت بعث إلي الضيافة فوجهت إلى دار القاضي وبعث القاضي بها مع رجاله إلى دار ابن الفقيه

254 - تعليق المؤلف: والغرارة بهاء ولا تفتح، الجوالق، والجوالق وعاء معروف والجمع جواليق أي بسط عجم، والله تعالى أعلم.

255 - نقلاً عن رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 255.

فخرج ابن الفقيه من داره مسرعًا حافي القدمين فدخل علي وقال لي قم قد جاءك قماش السلطان وهديته فقمت وظننت أنها الخلع والأموال فإذا هي ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلوب بالغرتي وقرعة ماء رائب فلما رأيتها ضحكت وطال تعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم الشيء الحقير.

ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك وإحسانه إلي: وأقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل إلي فيهما شيء من قبل السلطان، ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك أتردد إلى المشور[256] وأسلم عليه وأقعد مع القاضي والخطيب، وتكلمت مع دوغا الترجمان فقال تكلم عنده وأنا أعبر عنك بما يجب، فجلس في أوائل رمضان وقمت بين يديه وقلت له إني سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولي ببلادك منذ أربعة أشهر ولم تضفني ولا أعطيتني شيئًا فماذا أقول عنك عند السلاطين، فقال لي أني لم أرك ولا علمت بك، وقام القاضي وابن الفقيه فردا عليه وقالا إنه قد سلم عليك وبعثت الطعام، فأمر لي عند ذلك بدار أنزل بها ونفقة تجري علي، ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء مالاً ليلة سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلثًا وأحسن إلي عند سفري بمائة مثقال ذهبًا.

ذكر جلوسه بقبته: وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره ويقعد فيها أكثر الأوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الذهب أو هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف[257] [116] فإذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم أنه يجلس، فإذا جلس أخرج من شباك إحدى الطاقات شرابة حرير قد ربط فيها منديل مصري مرقوم، فإذا رأى الناس المنديل ضربت الأطبال والأبواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاث مائة من العبيد في أيدي بعضهم القسي وفي أيدي بعضهم الرماح ميمنة وميسرة، ويجلس أصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون أنهما ينفعان من العين، وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه قنجا موسى وتأتي الفرارية وهم الأمراء، ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية[258] يمنة ويسرة في المشور

256 - **تعليق المؤلف:** قلت والمراد بالمشور بيت السلطان الذي يلاقي فيه الناس، والله أعلم.

257 - ستور ملف: أستار ملف، والملف قماش صوفي يمتاز بجودة نسيجه ونعومة ملمسه، ربما أخذ تسميته من مالفي إحدى المدن الإيطالية التي اشتهرت بالنسيج.

258 - **تعليق المؤلف:** والسلحدارية أهل السلاح الداوي (الناري). ويقصد بالسلاح الداوي السلاح الناري وهو البندقية التي أصبحت شائعة بفعل التجارة مع أوربا بالمراكز الساحلية بالسودان الغربي.

ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة[259] وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لهم في تعميمها صنعة بديعة وهو متقلد سيفًا غمده من الذهب وفي رجليه الخف والمهاميز لا يلبس أحد ذلك اليوم خفًا غيره، ويكون في يده رمحان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة وأسنتهما من الحديد، ويجلس الأجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فراري بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والأطبال والأبواق وبوقاتهم من أنياب الفيلة، وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة[260] ولها صوت عجيب، وكل فراري له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسًا وأصحابه بين مشاة وركبان، ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن أراد أن يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان. [117].

ذكر جلوسه بالمشور: ويجلس أيضًا في بعض الأيام بالمشور وهنالك مصطبة[261] تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي بفتح الباء المعقودة الأولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما، وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر الباز، ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق طولها أزيد من شبر وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة[262] من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس، ويخرج بين يديهم المغنون بأيديهم قنابر[263] الذهب والفضة وخلفه ثلاث مائة من العبيد أصحاب السلاح، ويمشي مشيًا رويدًا ويكثر التأني وربما وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والأبواق والأنفار ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويأتى بالفرسين والكبشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الأشجار.

259 - **تعليق المؤلف:** والزرد مثل السرد وهو تداخل حلق الحديد بعضها ببعض.

260 - **تعليق المؤلف:** قلت ولعل القرع كبل عجم.

261 - **تعليق المؤلف:** سمع الأزهري أعرابيًا يقول لخديمه ألا ترفع عن صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها بالليل، فرفع له من السهلة شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقي بها من الهواء في الليل، اهـ (عن التاج).

262 - **تعليق المؤلف:** قلت ولعلها من الوبر الذي هو شعر الأرنب والإبل.

263 - **تعليق المؤلف:** ولعله جمع قنبرة، طائر معروف.

ذكر تذلل السودان لملكهم وتتريبهم له وغير ذلك من أحوالهم: والسودان أعظم الناس تواضعًا لملكهم وأشدهم تذللاً له ويحلفون باسمه فيقولون منسى سليمان كي[264] فإذا دعي بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابًا خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخة ودخل رافعًا ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض ضربًا شديدًا ووقف كالراكع يسمع كلامه، وإذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل [118] بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تعمى أعينهم، وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته ويقول فعلت كذا يوم كذا وقتلت كذا يوم كذا فيصدقه من علم ذلك وتصديقهم أن ينزع أحدهم في وتر قوسه ثم يرسلها كما يفعل إذا رمى فإذا قال له السلطان صدقت أو شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الأدب.

ذكر فعله في صلاة العيد وأيامه: وحضرت بمالي عيد الأضحى والفطر،[265] فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعلى رأسه الطيلسان[266] والسودان لا يلبسون الطيلسان إلا في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فإنهم يلبسون في سائر الأيام وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير، ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان إليها وأصلح من شأنه ثم خرج إلى المصلى وقضيت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير وهنالك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه، ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على البنبي وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش[267] الذهب والفضة

264 - منسى سليمان كي أي السلطان. انظر هامش رقم (230)، ص. 181.

265 - حضر ابن بطوطة عيد الفطر (10 نوفمبر 1352 م)، وعيد الأضحى (18 يناير 1353 م).

266 - الطليسان: قماش من الحرير لونه أسود، تضعه بعض الشخصيات على أكتافها تمييزًا لمكانتها الاجتماعية ومنزلتها الأدبية، مثل العلماء والأئمة والقضاة والفقهاء.

267 - تعليق المؤلف: وما رأيت في القاموس والتاج ما يناسب معنى التراكش، ولعله من اللغات المحدثة. والله تعالى أعلم.

والسيوف المحلاة بالذهب وأغمادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور، ويقف على رأسه أربعة من الأمراء يشردون الذباب وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج، ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الأربع [119] وجواريه وهن نحو مائة وعليهن الملابس الحسان وعلى رؤوسهن عصاب الذهب والفضة فيها تفافيح[268] وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب بالآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات[269] ويغني النساء والجواري معه ويلعب بالقسي ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه عليهم جباب الملف الحمر وفي رؤوسهم الشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد طبله يضربه، ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة ويلعبون بالسيوف أجمل لعب ويلعب دوغا بالسيف لعبًا بديعًا، وعند ذلك يأمر السلطان له بالإحسان فيأتى بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ويذكر له ما فيها على رؤوس الناس، وتقوم الفرارية فينزعون قسيهم شكرًا للسلطان، وبالغد يعطى كل واحد منهم عطاء على قدره، وفي يوم الجمعة بعد العصر يفصل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه.

ذكر الأضحوكة في إنشاد الشعراء للسلطان: وإذا كان يوم العيد وأتم دوغا لعبه جاء الشعراء ويسمون الجلا[270] بضم الجيم واحدهم جالي، وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق وجعل لها رأس من الخشب لها منقار أحمر كأنه رأس الشقشاق، ويقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم، وذكر لي أن أشعارهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان أن هذا البنبي الذي عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك، ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبي فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل، وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديمًا عندهم وقبل [120] الإسلام فاستمروا عليه.

268 - تعليق المؤلف: قلت ولعله جمع تفاح والله أعلم.

269 - تعليق المؤلف: جمع قرعة، بدل تصغير.

270 - الجلا أي الجالي أو الديغلي ويعني المنشد.

حكاية:[271] وحضرت مجلس السلطان في بعض الأيام فأتى أحد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين السلطان وتكلم كلاما كثيرًا فقام القاضي فصدقه ثم صدقهما السلطان، فوضع كل واحد منهما عمامته على رأسه وترب بين يديه، وكان إلى جانبي رجل من البيضان فقال لي أتعرف ما قالوه فقلت لا أعرف، فقال أن الفقيه قد أخبر أن الجراد وقع ببلدهم فخرج أحد صلحائهم إلى موضع الجراد فهاله أمرها فقال هذا جراد كبير فأجابته جرادة منها وقالت إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها فصدقه القاضي والسلطان وقال عند ذلك للأمراء إني بريء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله، ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم عن رؤوسهم وتبرؤوا من الظلم.

حكاية:[272] وحضرت الجمعة يومًا فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى بابن خفكي فقال يا أهل المسجد أشهدكم أن منسى سليمان في دعوتي إلى رسول الله صلى عليه وسلم، فلما قال ذلك خرج إليه جماعة من مقصورة السلطان فقالوا من ظلمك ومن أخذ لك شيئًا، فقال منساجو إيولاتن يعني مشرفها أخذ مني ما قيمته ستمائة مثقال وأراد أن يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة، فبعث السلطان عنده للحين فحضر بعد أيام وصرفهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله.

حكاية: واتفق في أيام إقامتي بمالي أن السلطان غضب على زوجته وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر، وسجنها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الأخرى [121] بَنْجُوَا ولم تكن من بنات الملوك، فأكثر الناس الكلام في ذلك وأنكروا فعله ودخل بنات عمه على بَنْجُوَا يهنئنها بالملكة، فجعلن الرماد على أذرعهن ولم يتتربن رؤوسهن، ثم إن السلطان سرح قاسا[273] من ثقافها فدخل عليها بنات عمه يهنئنها بالسراح وتربن على العادة فشكت بنجو إلى السلطان بذلك فغضب على بنات

271 – رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 262–263.

272 – المصدر السابق، ج. 4، ص. 263.

273 – قاسا في لغة المالينكي تعني محظية الملك أو المرأة المفضلة لديه من بين نسائه.

عمه فخفن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن وعادتهن إذا دخلن على السلطان يتجردن من ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك ورضي عنهن وصرن يأتين باب السلطان غدوًا وعشيًا مدة سبعة أيام، وكذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان، وسارت قاسا تركب كل يوم في جواريها وعبيدها وعلى رؤوسهم التراب وتقف عند المشور متنقبة لا يرى وجهها وأكثر الأمراء الكلام في شأنها، فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه أنكم قد أكثرتم الكلام في أمر قاسا وأنها أذنبت ذنبًا كبيرًا، ثم أتى بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندك، فأخبرت أن قاسا بعثتها إلى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كنبرني واستدعته ليخلع السلطان عن ملكه وقالت له أنا وجميع العساكر طوع أمرك، فلما سمع الأمراء ذلك قالوا هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه، فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب وعادتهم أن يستجيروا هنالك بالمسجد وإن لم يتمكن فبدار الخطيب، وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسى موسى وكان كريمًا [122] فاضلاً يحب البياضين ويحسن إليهم وهو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال، وأخبرني بعض الثقاة أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاطة قد أسلم على يدي جد مدرك هذا.

حكاية:[274] وأخبرني الفقيه مدرك هذا أن رجلاً من أهل تلمسان يعرف بابن الشيخ اللبن كان قد أحسن إلى السلطان منسى موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلث وهو يومئذٍ صبي غير مغتبر، ثم اتفق أن جاء إليه في خصومة وهو سلطان فعرفه ودعاه وأدناه حتى جلس معه على البنبي ثم قرره على فعله معه وقال للأمراء ما جزاء من فعل ما فعله من الخير فقالوا الحسنة بعشر أمثالها فاعطه سبعين مثقالاً فأعطاه عند ذلك سبعمائة مثقال وكسوة وعبيدًا وخدمًا وأمره أن لا ينقطع عنه ذكر ما استحسنه من أفعال السودان وما استقبحه منها، فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدًا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه، ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها

274 – رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 265.

في الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ومن عاداتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له [123] بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد، وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له، ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة، ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوا، ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يومًا بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي ما فعل هذا أقتل ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي إنما قيد حتى يحفظ القرآن، ومن مساوئ أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيرًا منهن على تلك الصورة فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمل العشرون فما فوقهن من جواريه وهن عرايا، ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته، ولقد رأيت ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما ستر، ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدبًا، ومنها ما ذكرته من الأضحوكة في إنشاد الشعراء، ومنها أن كثيرًا منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير.

98 - مغادرة ابن بطوطة لمالي ووصفه لمشاهد رحلته

ذكر سفري عن مالي:[275] وكان دخولي إليها في الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وألف وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين[276] ورافقني تاجر يعرف بأبي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة، [124] وكان لي جمل أركبه لأن الخيل غالية الأثمان يساوي واحدها مائة مثقال، فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل لا يجاز إلا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر به أحد إلا بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل مقمر.

275 - المصدر السابق، ج. 4، ص. 266.

276 - 14 جمادى الأولى 753 هـ يوافق 29 يونيه 1352 م، و22 محرم 754 هـ يوافق 25 يناير 1353 م.

ذكر الخيل التي تكون بالنيل: ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فعجبت وظننتها فيلة لكثرتها هنالك، ثم إني رأيتها دخلت في النهر فقلت لأبي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر وهي أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وأرجلها كأرجل الفيلة، ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل من تنبكتو إلى كوكو وهي تعوم في الماء وترفع رؤوسها وتنفخ وخاف منها أهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك أن لهم رماحًا مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فإن صادفت الضربة رجله أو عنقه أنفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل إلى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير. قلت وفي بدائع الزهور ووقائع الدهور ومن عجائب النيل أن فيه فرس البحر، قال عبد الله بن أحمد الإسرائيلي أن فرس البحر في غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها أخفاف وهي في ألوان الخيل ولها معرفة وأذنان صغيران كأذني الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها أنياب كأنياب السباع ولها حافر مشقوق [125] كحافر البقر، وإذا ظفرت بالتمساح تأكله وإذا طلعت إلى البر ترعى الزروع فيطرح لها أهل القرى الترمس في الموضع الذي تطلع منه فتأكله فتعود إلى الماء فإذا شربت ربا ذلك الترمس في جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء، وقيل أن المكان الذي تسكن فيه لا يقيم به التمساح، هـ. منه حرفًا بحرف.

99 - حكاية القاضي أبي العباس مع سلطان مَنْسَى نقلاً عن ابن بطوطة

ثم قال ابن بطوطة في رحلته: وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فربا[277] مغا وهو ممن حج مع السلطان مَنْسَى موسى لما حج.

حكاية: أخبرني فربا مغا أن منسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكنى بأبي العباس ويعرف بالدكالي فأحسن إليه بأربعة آلاف مثقال لنفقته، فلما وصلوا إلى ميمة شكى إلى السلطان بأن الأربعة آلاف سرقت له من داره فاستحضر

277 - فربا وهو باميرا وهو الشخص الذي يمثل الحاكم (منسى مالي).

السلطان أمير ميمة وتوعده بالقتل إن لم يحضر من سرقها، وطلب الأمير السارق فلم يجد ولا سارقًا واحدًا بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم، فقالت له إحدى جواريه ما ضاع له شيء وإنما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له إلى الموضع فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر، فغضب على القاضي ونفاه إلى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فأقام عندهم أربع سنين ثم رده إلى بلده، وإنما لم يأكله الكفار لبياضه لأنهم يقولون أن أكل الأبيض مضر لأنه لم ينضج والأسود هو النضيج بزعمهم.

حكاية: قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من أهل السودان الذين يأكلون بني آدم معهم أمير لهم وعادتهم أن يجعلوا في آذانهم أقراطًا كبارًا [126] وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب، فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادمًا فذبحوها وأكلوها ولطخوا وجوههم بدمها وأتوا السلطان شاكرين، وأخبرت أن عادتهم متى ما وفدوا عليه أن يفعلوا ذلك، وذكر لي عنهم أنهم يقولون أن أطيب ما في لحوم الآدميات الكف والثدي. ثم رحلنا من القرية التي عند الخليج فوصلنا إلى قرية قرء منسى ومات لي بها الجمل الذي كنت أركبه فأخبرني راعيه بذلك فخرجت لأنظر إليه فوجدت السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف، فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاغر وهي على مسيرة يومين، وأقام معي بعض أصحاب أبي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة، فأقمت ستة أيام أضافني فيهل بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل، ثم رحلت إلى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها.

100 - وصول ابن بطوطة إلى تومبوكتو ثم مغادرتها وما وقع له مع الأمير فربا سليمان

ثم سافرنا منها إلى مدينة تُنْبُكْتُو وبينها وبين النيل أربعة أميال وكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكمها يسمى فربا موسى، حضرت عنده يومًا وقد قدم أحد مسوفة أميرًا على جماعة فجعل عليه ثوبًا وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة وأجلسه على درقة ورفعه كبراء قبيلته على رؤوسهم، وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي إسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطويجي، وبها قبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية.

حكاية:[278] كان السلطان منسى موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان، واحتاج إلى مال فتسلفه من سراج الدين وتسلف منه أمراؤه أيضًا، وبعث معه سراج الدين وكيله يقتضي المال فأقام بمالي، فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له، فلما وصل تنبكتو أضافه أبو إسحاق الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة، فتكلم الناس في ذلك واتهموا أنه سم، فقال له ولده إني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقضى علينا جميعًا لكنه انقضى أجله، ووصل الولد إلى مالي واقتضى [127] ماله ورجع إلى ديار مصر. ومن تنبكتو ركبت النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة، وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج إليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج، ثم وصلت إلى بلد أنسيت اسمه له أمير فاضل حاج يسمى فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدة ولا يتعاطى أحد النزع في قوسه، ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم جسمًا، واحتجت بهذه البلدة إلى شيء من الذرة، فجئت إليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فأخذت لوحًا بين يديه وكتبت فيه يا فقيه قل لهذا الأمير إنا نحتاج إلى شيء من الذرة للزاد والسلام، وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرًا ويكلم الأمير في ذلك بلسانه فقرأه جهره ففهمه الأمير فأخذه بيده وأدخلني إلى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عنده كتاب «المدهش» لابن الجوزي[279] فجعلت أقرأ فيه، ثم أتي بمشروب لهم يسمونه الدقنو وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل أو لبن وهم يشربونه عوض الماء لأنهم إن شربوا الماء خالصًا أضر بهم وإن لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل واللبن، ثم أتي ببطيخ أخضر فأكلنا منه ودخل غلام خماسي،[280] فدعاه فقال لي هذا ضيافتك واحفظه لئلاً يفر، فأخذته وأردت الانصراف فقال أقم حتى يأتي الطعام وجاءت إلينا جارية له دمشقية عربية فكلمتني بالعربي، فبينما نحن في ذلك إذ سمعنا صراخًا

278 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 270 - 273.

279 - أنظر: أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي (ت. 597 هـ/1200 م)، كتاب المدهش، ط. دار الجيل، بيروت، د.ت. وقد ألفه ابن الجوزي (591 هـ/1194 م) في مسائل التراث والعقيدة وجعله في خمسة أقسام، الأول في علوم القرآن، والثاني في علوم الحديث، والرابع في ذكر عيون التواريخ، والخامس في المواعظ وهو الجزء الأكبر من الكتاب الذي منه مواعظ في القصص القرآني والسيرة النبوية الشريفة في ست وعشرين موعظة ومواعظ أخلاقية في تربية النفس وترويضها في مائة موعظة.

280 - تعليق المؤلف: غلام خماسي طوله خمسة أشبار ولا يقال سداسي ولا سباعي، إلخ، عن «القاموس».

بداره، فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك، فعادت إليه فأعلمته أن بنتًا له قد توفيت، فقال إني لا أحب البكاء فتعال نمشي إلى البحر في النيل[281] وله على ساحله ديار فأتي بالفرس فقال لي أركب فقلت لا أركب وأنت ماش فمشينا جميعًا ووصلنا دياره على النيل وأتي بالطعام وأكلنا وودعته وانصرفت، ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل، والغلام الذي أعطانيه باق عندي إلى الآن.

101 - وصول ابن بطوطة إلى كوكو ووصفه لأهلها

ثم سرت إلى مدينة [128] كوكو[282] وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها في الأرز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوس العناني الذي لا نظير له، وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي، وأقمت بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفًا مزاحًا فاضلاً وتوفي بها بعد خروجي عنه، وأضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممن دخل اليمن، والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان، ثم سافرت منها برسم تكدا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وجين ومعناه الذئب بلسان السودان وكان لي جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد، فلما رحلنا أول مرحلة وقعت الناقة فأخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حمله وكان في الرفقة مغربي من أهل تادلا فأبى أن يرفع من ذلك شيئًا كما فعل غيره، وعطش غلامي يومًا فطلبت منه الماء فلم يسمح به. ثم وصلنا إلى بلاد بردامة وهي قبيلة من البربر ولا تسير القوافل إلا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنًا من الرجل وهم رحالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل يقيمون أعوادًا من الخشب ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد مشتبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن، ونساؤهم أتم النساء جمالاً وأبدعهن صورًا مع البياض الناصع والسمن ولم أر في البلاد

281 - نهر النيجر، انظر هامش رقم (225)، ص. 180.

282 - كوكو: عاصمة مملكة صونغاي (السنغاي) أو سنغي التي أسسها زا الأيمن أو زا زكي، وهي تعرف بكلمة كوكوا كوربا التي تعني مدينة الملك، ثم حملت اسم كاو أو غاو (Gao) ، وذكرها الخوازمي (ق. 3 هـ/9 م) باسم قوفو أو قنقو، وذكرها اليعقوبي (ق. 3 هـ/9 م) باسم مملكة كوكو. يعود تاسيسها إلى القرن السابع الميلادي، وعندما انتشر الإسلام بها بإسلام ملكها زا كي (الخامس عشر) (ق. 5 هـ/11 م)، أصبحت على صلة بالعالم الإسلامي، فذكرها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون ابتداء من البكري وحتى ياقوت الحموي. أقام بها ابن بطوطة حوالي 8 أشهر واعتبرها من أحسن مدن السودان وأوفرها سلعًا وأرزاقًا.

من يبلغ مبلغهن من السمن وطعامهن حليب البقر وجرش الذرة ويشربنه مخلوطًا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح، ومن أراد التزوج منهن سكن بهن في أقرب البلاد إليهن ولا يتجاوز لهن كوكو ولا إيولاتن. وأصابني المرض في هذه البلاد باشتداد الحر وغلبة الصفراء.

102 - وصول ابن بطوطة إلى تكدا ووصف أحوالها وذكر معدن النحاس بجوارها

واجتهدنا في السير إلى أن وصلنا إلى مدينة تكدا ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي وأضافني قاضيها أبو إبراهيم إسحاق الجاناتي وهو من الأفاضل وأضافني [129] جعفر بن محمد المسوفي. وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها إلا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادنا، وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدًّا بمثقال ذهب، وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيًّا ولم يبلغ، وأما الرجال فقلما تقتلهم، ولا شغل لأهل تكدا غير التجارة ويسافرون كل عام إلى مصر يجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها، ولأهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مالي وإيولاتن، ولا يبيعون المعلمات منهن إلا نادرا أو بالثمن الكثير.[283]

حكاية: أردت لما دخلت تكدا شراء خادم معلمة فلم أجدها، ثم بعث إلي القاضي أبو إبراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالاً ثم إن صاحبها ندم ورغب في الإقالة، فقلت إن دللتني على سواها أقِلْتُكَ، فدلني على خادم لعلي أغيول وهو المغربي التادلي الذي أبى أن يرفع شيئًا من أسبابي حين وقعت ناقتي وأبى أن يسقي غلامي الماء حين عطش، فاشتريتها منه وكانت خيرًا من الأولى وأقلت صاحبي الأول، ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب في الإقالة وألح في ذلك فأبيت إلا أن أجازيه بسوء فعله فكاد أن يجن أو يهلك أسفًا ثم أقلته بعد.

ذكر معدن النحاس بخارج تكدا: يحفرون عليه الأرض ويأتون به إلى البلد فيسكبونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فإذا سبكوه نحاسًا أحمر صنعوا منه قضبانًا في

283 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 274.

طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمثقال، وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح، ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار وعلى زغاي وإلى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يومًا من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه إدريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب، ومن هذه البلاد [130] يؤتى بالجواري الحسان والفتيان والثياب المجسدة، ويحمل النحاس أيضًا منها إلى جوجوة وبلاد الموريتانيين وسواها. ذكر سلطان تكدا.[284]

103 – مقابلة ابن بطوطة لسلطان تكدا وحسن ضيافته له

وفي أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو إبراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تكدا وهو بربري يسمى إزار وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركري وهو من سلاطين البربر أيضًا منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما، فأردت أن ألقاه فاكتريت دليلاً وتوجهت إليه وأعلمه المذكورون بقدومي فجاء إلي راكبًا فرسًا دون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة وكلها زرق ومعه أولاد أخته وهم الذين يرثون ملكه، فقمنا إليه وصافحناه وسأل عن حالي ومقدمي فأعلم بذلك وأنزلني ببيت من بيوت اليناطيين وهم كالوصفان[285] عندنا وبعث برأس غنم مشوي في السفود وقعب من حليب البقر وكان في جوارنا بيت أمه وأخته فجاءتا إلينا وسلمتا علينا وكانت أمه تبعث لنا الحليب بعد العتمة

284 – تعليق المؤلف: قلت وفي الحوط قوم من السودان متبيضنون يخلطون في كلامهم السرخلية والحسانية يقال لهم تكداوس، وأظن أن أصلهم من تكدا هؤلاء لتقارب البطنين وتوافقهما وغير ذلك، وأظن أن أصل الكل من سرخل والله أعلم، وقد زعم من لا أثق بكلامه من البياضين أن أصل سرخل عبيد لتكداوس فأعطى واحد من السادة ثيابه لأمته لتغسلها له فأعطتها تلك الأمة لأمتها أيضًا فأبطات فلما استبطأها ضربها جدًا وكان ذلك قرب يوم العيد فلما جاء العيد ودخل تكداوس في صلاة العيد عزلاً مجتمعين قتلهم العبيد كلهم فصاروا ملوكًا لتلك الأرض مكان ساداتهم وانتشروا في أرض البياضين. قلت وأنا أظن أن تكداوس كانوا أمراءهم فقط وأن أصلهم كلهم واحد والله تعالى أعلم، فائدة أجنبية وقد زعموا أن البياضين المسمين بالأغلال أهلهم من سرنخلي اسمه محمد غل ومعناه محمد الأبيض أو الأحمر وقد دخل في البيضان بعد فساد وكد وصار منهم وقيل كان له أخ يسمى محمد بن ومعناه الأسود وقد بقي مع قومه السودان والله تعالى أعلم، وقيل أن تكداوس يقال لهم أيضًا كلك أو كرك والله تعالى أعلم.

285 – تعليق المؤلف: جمع وصيف.

وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو، وأما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه، وأقمت عندهم ستة أيام وفي كل يوم يبعث بكبشين عند الصباح والمساء وأحسن إلي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب، وانصرفت عنه إلى تكدا، انتهى ما في رحلة ابن بطوطة مما يتعلق بهذا المحل والله تعالى أعلم.[286]

104 – ذكر ما يحكى عن موسى بن أبي بكر (كنك موسى) من أقوال شعبية

لنختم هذا الباب بما أمكن من أخبار مَلِّكي منْسَا (مَنْسَى) موسى بن أبي بكر بما لم نذكره من أخباره، أولا يقال له كنك موسى، وفي «الفتاش»:[287] وكان سلطانًا صالحًا تقيًا عابدًا ملك من منتهى مل على سبردك وأطاعه جميع من فيها من سغي وغيرها، ومن علامة صلاحه أنه كان يعتق كل يوم نفسا وحج بيت الله الحرام وبنى في سفره مسجد جامع تنبكت، وذكر خندم وديري وونك وبك ولحجه سبب حكاه الطالب [131] الحافظ لقصص الأوائل وهو محمد قم رحمه الله ذكر أن ملكي كنك موسى قتل أمه ناناكنك خطأ وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك وتصرف بمال جسيم وعزم على صوم الدهر وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل في الاستغفار لهذا الذنب، فقال أرى أن تفزع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهرب إليه وتدخل في حرمته وتستشفع به وسيشفعه الله فيك وهذا هو الرأي، وعقد العزم والحزم على ذلك في يومه ذلك وقام بجمع المال والجهاز للسفر ونادى من أرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون وخرج بقوة عظيمة ومال جسيم في جيش عرمرم زهاء ثمانية آلاف وفي قصة سيره أشياء أكثرها لا يصح ويأباه العقل، ومن ذلك ما لحقه يوم الجمعة في بلد من هنا إلى مصر إلا وبنى فيه مسجدًا يومه، ويقال أن مسجد بلد كندم ودكري من المساجد التي بناها، وإدام طعامه غداء وعشاء منذ خرج من داره إلى أن قفل لحم الحوت الطري والسلق الرطب، وحدثت أنه خرج معه زوجته المسماة إنار كنت مع خمسمائة نسوتها وخدمها إلى أن نزل بموضع من صحاري بين توات وتغاز وضربوا بها العطن وباتت زوجته تلك معه في فسطاطه ساهرة ونام هو ثم استيقظ ووجدها ساهرة لم تنم فسألها أما نمت ما لك، فما أجابته فبقيت إلى نصف الليل، ثم استيقظ فألفاها (أي وجدها) كذلك فأنشدها (أي سألها)

286 – انتهى ما اقتبسه المؤلف عن ابن بطوطة، وهو كل ما أورده هذا الأخير عن بلاد السودان. أنظر: رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 244-276.

287 – تاريخ الفتاش، ص. 32، مَلِّكي: يرد مَلِ كي ويعني ملك مالي.

بالله عما أصابها، فقالت ليس إلا وسخ بدني ودرنه وقد تمنيت البحر فأغتسل وأخوض فيه وأغتمس وأعوم فهل لك تحصيل ذلك وإيجاده في ملكك، ونهض كنك موسى جالسًا وغاظه ذلك وجلس متفكرًا ثم أمر بعبده الذي هو رئيس عبيده وقومه المسى فرب ونودي وأتى وحياه تحية الملك وعادة تحيتهم له أن يقلع قميصه ويأتزر به ثم يركع ويضرب صدره، ثم يجثو على ركبتيه ولا في مملكته [132] من يصافحه إلا قاضيه وهو الملقب بأنفار قم، وقم قبيلة ومنها يخرج قاضيهم ولا يعرفون القاضي وإنما يقال أنفار، فلما فرغ فرب من تحيته قال له يا فرب منذ تزوجت بزوجتي هذه ما طلبت مني وما خاطبتني بما تقصر عنه قدرتي ولا بما ليس في ملكي ويعجز عنه قدرتي إلا في هذه الليلة فقد سألتني البحر وإيجاده من العدم في هذه القفار وبيننا وبين البحر مسيرة نصف شهر وليس لهذا موجد إلى الله وحده فقد أعجزتني الآن، فقال فرب فعسى الله أن يصلحه عليك فخرج فرب باكيًا يضرب صدره إلى موضع نزوله ونادى العبيد وحضروا أسرع من طرفة عين وعددهم ثمانية آلاف وسبعمائة، هكذا قاله بابًا أُشرِع بمدينة جنبي وقال غيره بل تسعة آلاف كاملة، فأخرج لهم المديرات على حسبهم أن يعطيه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفين أو الثلاث أو الأربع يذهب معهم إلى بلده، ومشى ألف خطوة وأمرهم بحفرها وحفروها وأخرجوا ترابها ثم حفروها حتى نزل إلى نحو ثلاث قامات ثم أمر بالرمال والأحجار حتى امتلأت الحفرة ثم أمر بجذوات الحطب فجمعوها فوقها ثم أتى بقلبات بلنغة(288) ووضعها فوق ذلك كله ثم رمى عليها النار ووقدت واشتعلت فذاب ذلك البلنغات على الأحجار والرمال وكسرهم وملست الحفرة وصارت كالفخار ثم أمر بالمياه التي في قربهم وزقوقهم وحلوا أفواه القرب والزقوق فانصبت وسالت إلى الحفرة حتى امتلأت واعتلت وسمت بحيث تضطرب فيها الأمواج وتلاطم كالبحر العظيم ورجع [133] إلى كنك موسى فوجدهما جالسين وقد أيقظهما وهج تلك النار ودخانها فحياه بتحيتهم، ثم قال أيها السيد فقد أعانك الله وأذهب همكم وأين أنار فليأت فقد أقدرك الله على إيجاد البحر ببركة من تزوره رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو، ووافق ذلك طلوع الفجر الأعلى من تلك الليلة فقامت نسوة معها وهن خمسمائة وركبت على بغلتها إلى البحر فنزلن فيها فرحات مولولات مسرورات واغتسلن ثم رحلوا وغرف

288 - تعليق المؤلف على ما اقتبسه من تاريخ الفتاش (ص. 35): ولعل بلنغة من لغتهم لأنها ليست في القاموس ولا في التاج، والله تعالى أعلم.

بعضهم من ماء البحر، ومشى معه سلمان بن يعت وكان من خدمه يركب أمام الرفقة وورد في جمع كثير، ووردوا يومًا على بئر في قفار صحاريهم عطاشى ظامئين وأدلوا دلوهم في ذلك البئر ونزل على الماء فقطع حبله هنالك فقطع ثم أخرى فقطع فظنوا أن هنالك من يقطعها وهم في غاية الظمأ واجتمعوا كلهم على جرفها لا يدرون ما يفعلون، وشمر سلمان يعت عن ساعده وتأبط سكينه ورمى بنفسه إلى داخل البئر وترك القوم على البئر في كرب عظيم وإذا هو برجل هنالك لص محارب سبقهم على البئر مراده يمنعهم الماء حتى يموتوا عطاشى كلهم فيخرج ويجمع جميع أموالهم لنفسه ولا يظن أن أحدًا يقدر أن ينزل عليه هنالك، فقتله سلمان بن يعت هنالك ثم حرك لهم حبل الدلو وجروه فإذا هم بجنازة رجل قتلوه وجروه ورموا به في البئر ميتًا. وكان مع كنك موسى هذا حمل أربعين من الذهب ولما حج وزار طلب من الشيخ بلد الحرام مكة المشرفة أن يعطيه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفين أو الثلاث أو الأربع يذهب معهم إلى بلده ليتبرك أهل الناحية برؤيتهم وببركة أثر أقدامهم في بلدهم [134] فأبى الشيخ وأجمع على المنع والإباية عن ذلك تعظيمًا وإجلالاً لدمه الشريف لئلا يقع واحد منهم في أيدي الكفرة ويضيع أو يضل، وصمم عليهم في ذلك واشتد إلحاحه فقال الشريف لا أفعل ولا آمر ولا أنهى ومن شاء أن يتبعك فأمره بيده فأنا بريء، فأمر ملكي مناديًا في الجوامع من أراد ألف مثقال من الذهب فليتبعني إلى أرضي فله ألف حاضر فجمع عليه أربعة رجال من قريش قيل أنهم كانوا من موالي قريش وليسوا من أنفس قريش وأعطاهم أربعة آلاف كل واحد منهم ألفًا وتبعوه بأهاليهم راحلين، إلى أن قال قيل أن شرفاء بلد كيي أو كي منهم وكان جنكي أي ملك جن من أصغر عبيد ملكي وأرذل خدمه وحسبك أنه لا يقف إلا على زوجته أي زوجة ملكي ولها يعطي غرامة إقليم جنبي ولا يراه ملكي، اهـ، من «الفتاش» ببعض اختصار وحذف وتصرف.(289)

105 - الإشارة إلى بلاد الجنوب (السودان) وذكر بعض قبائلها

وقد علمت مما تقدم أن لفظ أرض مل كان يطلق على جميع أراضي السودان الغربية الإفريقية كما يطلق عليها أرض التكرور، ولعل الكل من نسل فُوتَ بن حام بن نوح عليه السلام، واشتهر به أهل أرضنا وأرض فوت جلو دون غيرهما من البلاد الإفريقية، أم أهل

289 - انتهى ما اقتبسه المؤلف من كتاب «الفتاش». انظر الفتاش، ص. 36.

الفوتين هم الذين خرجوا من نسل فوت بن حام وغيرهما من نسل أولاد حام الآخرين والله أعلم. ومن العجب أن يطلق عليها أيضًا أرض مغراوة كما في «خريدة العجائب»[290] بدليل ذكره فيها تكرور حيث قال: وقد ذكرنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق من المحيط [135] إلى المحيط، ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب وهي الواقعة بين المشرق والمغرب إن شاء الله تعالى، وهذه البلاد كلها بلاد السودان وأولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى على حكم ربع الدائرة، فأول بلادهم من المغرب الأقصى أرض مغراوة ومن مدنها المشهورة المعظمة وليلي وهي في البحر وبها الملاحة المشهورة التي يحمل منها إلى سائر بلاد السودان. وفي «معجم البلدان»،[291] وليلي[292] مدينة قرب طنجة، لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المغرب ناجيًا من وقعة فخ[293] حصل بها في سنة 172 هـ (788 م) في أيام الرشيد أقام بها حتى مات مسمومًا. وصلي وهي مدينة كبيرة على نهر النيل وهي مجتمع السودان وأهلها ذوو بأس ونجدة وملكها مؤمن، وتكرور وهي في جنوب النيل وغربه وهي مدينة كبيرة بها أمم عظيمة من السودان وهي مقر ملكهم وببلادهم معدن الذهب ويسافر إليها أهل المغرب بالصوف والنحاس والخرز والودع ولا يجلب منها إلا الذهب العين، ولم وهي مدينة متوسطة وعندهم

290 - محمد بن الوردي، خريدة العجائب...، انظر هامش رقم (41)، ص. 80.

291 - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت. 627 هـ/1229 م)، معجم البلدان، ج. 5، ص. 384، وسوف نشير إليه فيما يلي من الاقتباسات بعبارة «معجم البلدان».

292 - تعليق المؤلف: قلت ولعل وليلي هي إيولاتن ، ولعل صلى بالصاد تصحيف الناقلين والأصل ملي بالميم لا غير.

293 - وقعة فخ (169 هـ/785 م): قضى فيها الجيش العباسي على عهد الخليفة موسى الهادي على ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بالمدينة ومعه عماه إدريس ويحي ابني عبد الله. وقد قمعت هذه الثورة وقتل فيها متزعمها الحسين بن علي بن الحسن، وهرب عمه يحيى نحو اليمن ومنه إلى المغرب ثم خراسان، أما عمه إدريس فتوجه نحو مصر ثم وصل المغرب واستقر عند قبيلة أوربة عند أميرها إسحاق في مدينة وليلي، وجمع العديد من قبائل البربر على دعوته وخلع طاعة بني العباس وبدأ في بناء عاصمته فاس التي تأسست فعلاً سنة 192 هـ/807 م. وقد تمكن الرشيد العباسي من التخلص منه، إذ دس له سليمان بن جرير الذي تظاهر بالخروج على بني العباس السم. فبايع البربر ابنه إدريس الثاني (177 هـ/793 م) على الطاعة، فكانت دولة الإدريسيين بفاس أول دولة تنشق عن العباسيين ببغداد.
مع العلم بأن وليلي هي المدينة الرومانية الرئيسية داخل المغرب الأقصى المعروفة بـ: فوليبيليس (Volubilis) التي ما زالت آثارها الرومانية قائمة بالقرب من مدينة مولاي.
هذا وقد بدأ إدريس الثاني بتأسيس مدينة فاس سنة 191 هـ/806 م، واستقر بها بعد سنة. وأقامت بها فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري مسجدًا بعدوة القرويين سنة 254 هـ/868 م، ثم وسع سنة 344 هـ/955 م. كما أنشأت بها مريم بنت عبد الله الفهري (مريم الفهرية) مسجدًا بعدوة الأندلس سنة 245 هـ/859 م ووسع عام 345 هـ/956 م.

معدن الذهب، وباقي أرض مغراوة صحاري وبراري ومفاوز لا عمارة بها ولا سالك لقلة الماء والمرعى، وشمالها أرض غانة وجنوبها الأرض من الربع الخراب، إلخ، اهـ المراد منه. قلت ولعل وليلي هي إيولاتن، ولعل صلي بالصاد من تصحيف الناقلين والأصل ملي بالميم لا غير، ولعل مدينة تكرور هي كاغ التي هي كاو وقد ذكرها المصنف كما سمع لا غير، والله تعالى أعلم، تأمل وقلت أيضًا ومغراوة أيضًا اسم قبيلة من قبائل البربر كما في «الاستقصا»،[294] وقد مر ذكر قبائلهم في تاريخ هوس، فتنبه لهذا الأمر وتأمله جدًا، ولعل هذه القبيلة من البربر هم الذين سكنوا هذه البلاد ثم تحولوا سودانًا، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وإليه المرجع والمآل. انتهى (...) ثم رأيت بعد ذلك أيضًا في «الكنز المدفون والفلك المشحون»[295] للسيوطي رضي الله عنه، وأولاد حام بن نوح عليه السلام القبط والبربر والسودان. أما القبط فجنس واحد، وأما البربر فأجناس لواتة وسرت وصولرة ونفوسة وزناتة ومزاتة، وأما السودان فالأصل فيهم جذمان نقارة ومقزارة وهاتان الطائفتان تنقسمان إلى طوائف وهم لم وتمتم ودمدم وكانم وتكرور وفانته وكوكو وزغارة وكوار وفزان، وأما أجناس النوبة فهم أنج وأنكرسا والبتان وغلوة ومكرًا، وأما أجناس البجة فصنفان، صنف يقال له الحدارية وصنف يسمى الزناتي، ثم ذكر باقي أجناس السودان، إلخ، قلت و (...) بهذا أيضًا أن مغراوة مصحف عن مقزارة وقوله نقارة ومقزارة، والله أعلم. وقلت أيضًا ومما يدل على إطلاق لفظ التكرور على الأرض المغربية سودانها [136] وبيضانها قول الشيخ العلامة الصالح بن عبد الوهاب الحوضي[296] وكل قرية بصحراء تكرور مثل أزوان وأبي جبيهة وولاتة وتيشيت وودان وشنجيط وتججك وتقب وتارني فأهلها من مسوفة، انتهى.

106 - ذكر بلاد شنقيط وبعض علمائها وفي مقدمتهم العالم المختار بن بون

وقوله أيضًا شنجيط[297] اسم قرية بالمغرب الأقصى شمالي بلاد السودان من ناحية تكرور معروفة خرج منها جماعة من العلماء والزهاد منهم الحافظ بن المختار بن الأعمش

294 - الاستقصا، ج. 1، ص. 72.

295 - جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م)، الكنز المدفون والفلك المشحون أو الكشكول، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص ص. 172 - 173.

296 - الشيخ صالح بن عبد الوهاب الحوضي. انظر هامش رقم (71)، ص. 98.

297 - شنقيط أو شنجيط أو شنكيك: انظر هامش رقم (69)، ص. 96.

وأحمد بن أحمد بن الحاج والقاضي عبد الله بن محمد بن حبيب وحفيده سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي وابن أخيه سميه سيدي عبد الله بن الفقيه سيدي أحمد بن محمد بن القاضي وأحمد بن خليفة العلويون الشنجيطيون الفقهاء، والعلامة عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله والطالب محمد بن أبي بكر بن الهاشم تلميذ بن الأعمش والطالب محمد بن أحمد والشيخ أحمد بن الوافي الغلاويون الشنجيطيون الفقهاء وغيرهم.[298] وفي «تاريخ السودان» اسمها شنيط بالياء المثناة من تحت بدل الجيم وهي في لغتنا اليوم بالقاف المعقودة بدل الجيم أو الياء شنقيط وهي المراد بقول الحرم بن عبد الجليل العلوي[299] فيما كان بينهم وبين كنت وإيد والحاج أهل وادان من الحروب:

298 - الفقهاء الشناقطة يصنفون حسب أنسابهم ومواطنهم إلى علماء علويين وغلاويين، ومن العلماء العلويين:
- الطالب محمد بن المختار بن الأعمش بن يعقوب العلوي (ت. 1107 هـ/1696 م): أخذ العلم عن علماء عصره أمثال عمر بن المحجوب الولاتي وعبد الله بن محمد العلوي والحاج عبد الله بن بو المختار الحسني. تصدى لأهل الباطن مثل الإمام المجذوب بأدرار. تتلمذ عليه العديد من العلماء ومنهم ابن الهاشم الغلاوي وعثمان بن عمر الولاتي، وانتهى إليه مدار التدريس والفتوى بشنقيط. له العديد من التأليف والشروح في العقيدة والنحو منها: «شرح على إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة» للمقري وعلى «الفريدة» للسيوطي في النحو.
- القاضي عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت. 1103 هـ/1692 م): تولى القضاء عند البراكنة وفي شنقيط. عرف بعلمه وصلاحه، وتحول مع بعض قبيلته إلى جهات القبلة (داخل موريتانيا) تجنبًا للفتنة بين العلويين بشنقيط (حوالي 1070 هـ/1660 م). أنشأ في موطنه الجديد مدرسة للعلم (محضرة). حج وعاد من المشرق بمكتبة غنية، وكانت له علاقة صداقة مع عالم مصر علي الأجهوري.

ومن العلماء الغلاويين نذكر:
- عبد الله بن أحمد بن الحاج حماه الله الغلاوي (ت. 1209 هـ/1785 م): من أشهر علماء منطقة الحوض بموريتانيا. تتلمذ على خاله سيدي عبد الله الشمشاوي والمختار بن بونة. عرف بمواهبه الأدبية وتبحره في علوم العربية. ترك ما يزيد عن أربعين مصنفًا أغلبها منظومات شعرية وشروح وتعليقات مثل منظومة الرسالة ومنظومة العروض.
- النابغة محمد بن اعمر الغلاوي (ت. 1245 هـ/1829 م): ارتحل كثيرًا لطلب العلم، جمع بين الشريعة والأدب، وتتلمذ على أحمد العاقل وعلى خاله عبد الله بن الحاج حماه الله. من تاليفه منظومته «بوطليحية» في مسائل الإفتاء والكتب المعتمدة فيه، و«السند العالي في مناقب اليدالي المعروف بـ «النجم الثاقب لما لليدالي من مناقب».
- الطالب محمد بن أحمد الغلاوي (ت. 1299 هـ/1882 م): أخذ عن والده أحمد الغلاوي وعرف بمعارفه اللغوية والأدبية، من تصانيفه: مختصر لكتاب المواهب النحوية. توفي غرقًا في طريقه إلى الحج.

ملاحظة: اعتمدنا في هذه الترجمات على خليل النحوي في تراجمه لبعض الأعيان. أنظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط.

299 - حرمة أوالحرم بن عبد الجليل بن الحاج بن سيدي الحسن العلوي الشنقيطي (ت. 1243 هـ/1828 م): تتلمذ على المختار بن بونه، واشتهر بمعارفه الفقهية والأدبية، افتتح مدرسة خاصة به (محضرة) تخرج منها العديد من العلماء منهم الشيخ سيدي الكبير.

أتت كنت شنجيطا يريدون هدمها
فالفوه من أحياء كباد أعسرا

وكباد بفتح الكاف والباء الموحدة المشددة وبعد الألف دال مهملة، رجل من أشراف كنت قتل إيدوعل رحمه الله تعالى في تلك الحروب، فكان بينهم وبين قومه كنت بسبب قتله ما كان مما يطول ذكره، هـ. [137] وقوله أيضًا واران أرض بصحراء المغرب الأقصى من جهة بلاد السودان هي المراد بقول الشيخ الإمام العلامة المختار بن بون الجكني:[300]

حدت حداة بني يحي بن عثمان
إبلي بزيز فزمور فوارانا
و إن بقينا حدتها غير خائفة
حداتنا بين إدليم ودامانا

وكان المختار بن بون هذا من تجكانت من زاوية بالمغرب الأقصى المشهورة بالعلم والدين وكان إمامًا علامة مبرزًا في علم العربية وعلم الكلام وله يد طولى في غيرهما من العلوم وأخذ عنه كثير من علماء المغرب الأقصى وهو ناظم «الألفية الحمراء» المزوجة بألفية الإمام محمد بن مالك السوداء المعروفة بالخلاصة في النحو، وناظم «وسيلة السعادة في علم الكلام ومذهب أهل السنة»، وكان شاعرًا مجيدًا وكانت بينه وبين محمد بن حب الله المعروف بالمجيدر[301] ومولود بن أحمد الجويد[302] من علماء إيد يعقوب ملاحات، ومن شعره قصيدته الميمية التي خاطب فيها إيد يعقوب من مشاهير تشمس من زاوية المغرب الأقصى بقوله:

300 - المختار بن بونة الجكني (ت. 1220 هـ/1805 م): من تجكانت بإقليم القبلة إحدى مناطق موريتانيا، يعد من أشهر علماء القرن الثالث عشر الهجري، نبغ في علوم العربية والنحو، وكانت له علاقة بالشيخ المختار الكنتي المقيم بأزواد وكان يشدد النكير عليه، وكانت مكاتبات بينهما سعيًا لربط أواصر الصداقة. ترك العديد من التاليف منها منظومته التي سماها «الاحمرار» والتي عرفت بالألفية الحمراء تناول فيها: تسهيل ألفية بن مالك في النحو، وله أيضًا كتاب «الوسيلة في العقيدة».

301 - محمد بن حب الله اليعقوبي المعروف بالمجيدري (ت. حوالي 1205 هـ/1788 م): فقيه من شنقيط، حج وتعرف على العديد من علماء المغرب ومصر والحجاز، منهم مرتضى الزبيدي الذي أخذ عنه وتأثر به، له توجه سلفي متشدد، وعرف بمجادلته لبعض العلماء في المسائل الفقهية ومنهم المختار بن بونة.

302 - مولود بن أحمد الجويد بن محمد بن عبد الله بن أحمد اليعقوبي (ت. حوالي 1243 هـ/1727 م): تتلمذ على المختار بن بونة، وتميز بمواهبه الأدبية وميله لقرض الشعر ورغبته في الجدال، فدخل في خصام ومساجلة مع شيخه ابن بونة ومع الشيخ المجيدري. ترك بعض المصنفات في القواعد وأصول الفقه، منها شرحه للوسيلة في علم الكلام لابن بونة.

فلا تنكروني آل يعقوب واذكروا

ليالي أجلو ما على الناس أظلما

و من شعر المجيدر في الحمراء قوله:

لخستها لم تستقل بنفسها

فصارت علندى بالخلاصة توقف

و فاعلم وفادر وانتبه واقف جلها

وفيها من التعقيد ما ليس يوصف

و قوله في «وسيلة السعادة» عند قول المختار فيها في قبول التوبة من الكفار:

لقوله قل للذين كفروا

إن ينتهوا يغفر لهم ما أغبروا[303]

و بدلت قول الله قل للذين في

وسيلتك الشامي وذلك منكر

[138]

فإن كنت قد أبدلته متعمدًا

فتبديل قول الله عمدًا يكفر

و إن كان جهلاً كان أقوى دلالة

على أن من يقفوك بالعلم أخسر

و فيما كان بين المختار وبين الشيخ سيدنا المختار[304] يقول عبد الله بن سيدي محمد محمود الحاجي

إن ابن البون له سر وأنوار

والشيخ سيدنا المختار مختار

أف فأف لمن أمسى حليف هوى

له على أحد الشيخين إنكار

303 - تعليق المؤلف: أي ما أسلفوا وقدموا.

304 - انظر ترجمة المختار الجنكي، هامش رقم (300)، ص. 210.

ولعبد الله المذكور قبل ذلك في المختار بن بون وكان شيخه وقدم على تكانت وافدًا:

ما كنت أحجو منى المذنب

أن تطلع الشمس من المغرب

حتى أتى ابن بون في موكب

لم يبق في الآفاق من غيهب

و فيما وقع بين المختار ولد بون وبين الشيخ سيدي المختار من الجدال:

أتسلبني والله ما شاء مثبتي

إذا صرت في توفير عرضك مفرطا

و كونك ذا جاه وعز رتبة

علت في قلوب الناس لم يمنع الخطا

و كوني لم أذكر لذكرك لم يكن

ليمنعني التوفيق من مانح العطا

107 - بلاد إفريقيا وأصل تسميتها

قلت أيضًا وكما يطلق عليها الأسامي المتقدمة يطلق عليها اسم الإفريق، فإن علماء أوروبا قسموا الدنيا كلها خمسة أقسام والقسم الخامس هو الإفريق الزنجي وغيرنا فيه، وقد قسم الإفريق أيضًا إلى ثلاثة أقسام، قسم يسمونه أفريك أرينتال، وقسم يسمونه أفريك أكسدنتال، وقسم يسمونه (...)،[305] ومحل تفاصيل هذه الأفاريق في كتبهم فانظره هنالك والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وإليه المرجع والمآل وأنه تعالى متفضل كريم بر رحيم. انتهى. [139] وقد عن لي أن أكتب لك هنا ما رأيت من ذكر السودان في «معجم البلدان» أو في «منجم العمران» مع ما أمكن لي من الاختصار ليزداد تنبه عقلك فيما مضى أو ما يأتي من ذكر السودان والله تعالى أعلم. وأقول في «معجم البلدان» للشيخ شهاب الدين أبي عبد

305 - يذكر المؤلف أسماء أقاليم إفريقيا الفرنسية كما ترد في اللغة الفرنسية، وهي: الأفريك الزنجي (Afrique noire) (إفريقيا السوداء)، والأفريك أرينتال (Afrique orientale) (إفريقيا الشرقية)، والأفريك أكسيدنتال (Afrique occidentale) (إفريقيا الغربية)، والأفريك سبتنتريونال (Afrique septentrionale) (إفريقيا الشمالية).

الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفي في سنة 424 رضي الله عنه:(306) سميت إفريقية بإفريقس بن أبرهة بن الرائش، وقال أبو المنذر هشام بن محمد هو إفريقس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وهو الذي اختطها، وذكروا أنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء فأمر أن تبنى هناك مدينة وسماها إفريقية، اشتق اسمها من اسمه ثم نقل إليها الناس ثم نسبت تلك الولاية بأسرها إلى هذه المدينة ثم انصرف إلى اليمن فقال بعض أصحابه:

سرنا إلى المغرب في جحفل بكل قرم أريحي همام نسري مع إفريقس ذاك
الذي بالعزيمة يملك أولاد سام
نخوض بالفرسان في مأفط(307) يكثر فيه ضرب أيد وهام
فأضحت البربر في مقعص(308) نحوسهم(309) بالمشرفي الحسام
في موقف يبقى لنا ذكره ما غردت في الأيك ورق الحمام

108 - أقسام قارة إفريقيا حسب الدول المستعمرة لها

وذكر أبو عبد الله القضاعي أن إفريقيا بفارق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق إفريقية، قالوا فلما اختط المسلمون القيروان خربت إفريقية وبقي اسمها على الصقع جميعه، وقال أبو الريحان البيروني إن أهل مصر يسمون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب ولذلك سميت بلاد إفريقية وما وراءها بلاد المغرب يعني أنها فيما بين مصر والمغرب، فسميت إفريقية لا أنها مسماة [140] باسم عامرها، إلخ «معجم البلدان».(310) وقال في «منجم العمران في المستدرك على معجم

306 - معجم البلدان لياقوت الحموي (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979)، ج. 1، ص ص. 228-231. ذكر المؤلف خطأ سنة وفاة ياقوت الحموي في 424 هـ. والصحيح أنه توفي في 627 هـ/1229 م.

307 - تعليق المؤلف: والمأفط كمنزل موضع القتال والمضيق (...)، نقلاً عن القاموس.

308 - تعليق المؤلف: القعص الموت طعنًا بالرمح أي الموت السريع والقتل المعجل، يقال مات فلان قعصًا أي أصابته ضربة أو رمية فمات، والمقعاص والمقعص والقعاص الأسد الذي يقتل سريعًا، إلخ، نقلاً عن القاموس والتاج.

309 - تعليق المؤلف: ونحوسهم تعني (...)، ونحست الإبل (...) أي أتعبته وأشقته أي أوقعته في المشقة، والنحس ضد السعد، نقلاً عن القاموس والتاج.

310 - انتهى ما اقتبسه المؤلف من معجم البلدان.

البلدان» للشيخ محمد أمين الخانجي رضي الله عنه:(311) إفريقية ذكرها في الأصل، وقال البستاني(312) أيضًا هي بشديد الياء وتخفف، إحدى القارات الخمس وهي أصغر من آسيا وأكبر من أوروبا واقعة من الجنوب الغربي من المعمورة، إلى أن قال تقاسيمها خط الاستواء يقسم إفريقية إلى قسمين، شمالي وجنوبي، والشمالي يضاعف مساحة الجنوبي، وهي منقسمة إلى خمسة أقاليم: أقاليم المغرب أو بلاد البربر الشمالية وهو يحتوي على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وقسم من الصحراء وإقليم النيل، والشمالي الشرقي وهو يشتمل على مصر والنوبة والحبشة وكردفان ودارفور، وإقليم السودان وهو يشتمل على الصحراء والتكرور وبلاد السودان أو الزنوج وسنغال وغينيا العليا والسفلى وبلاد كونغو، وإفريقية الجنوبية وفيها بلاد رأس الرجاء الصالح وزنجبار، إلى أن قال وهي بالنسبة لاستعمار الدول فيها سبعة أقسام: إفريقية الإنكليزية، إلخ، وإفريقية الإسبانيولية، إلخ، وإفريقية الفرانساوية وهي ثلاثة أقسام: الجزائر وسنقال المحتوية على سان لويس وغورية ومملكة والو وجزيرة بوربون إلى آخر ما ذكره من مستعمراتهم، وإفريقية البورتغالية إلى آخر ما ذكره من مستعمراتهم، وإفريقية العثمانية وهي معلومة، وإفريقية الإنكليزية الأمريكانية وإفريقية الهولندية إلى آخر ما ذكره من مستعمراتهم الخ.(313)

109 - سكان قارة إفريقيا وذكر ممالكها كما وردت في كتب بعض المؤرخين

إلى أن قال تاريخها لا إمكان للوقوف على تاريخ عام لأمم هذه القارة وأقسامها إلا اعتمادًا على حَدسٍ وتخمين [141] وتقاليد غامضة كاذبة غير مقنعة خصوصًا لأهالي هذا العصر المتنور، إلى أن قال وغاية ما بلغه العلم من ذلك وينبغي أن يعول عليه أن الأمم المنتشرة في القسم الأكبر من إفريقية لم يزالوا إلى الآن نائمين في مهد الجهل لا علم عندهم إلا بالأخبار الخرافية، وأما الطوائف الجنوبية فلا علم لهم إلا بتاريخ ولادتهم الشخصية فلا يعرفون شيئًا عن المهاجرات التي قام بها آباؤهم ولا أخبار تواريخ أممهم القديمة، وأما

311 - منجم العمران...، المصدر نفسه.

312 - البستاني...، المصدر نفسه.

313 - يحاول المؤلف مجاراة الجغرافيين والمؤرخين الأوروبيين، فقسم إفريقيا إلى مستعمرات أوربية فرنسية وبرتغالية وإنكليزية، وأطلق تسمية إفريقيا العثمانية على أقاليم برقة وطرابلس وفزان، والأمريكانية على إقليم ليبيريا، ولم يجد ما ينسبه إلى هولندا التي ربما قصد بها إسبانيا التي كان لها بعض المستعمرات بإفريقيا كغينيا الإسبانية والصحراء الغربية.

الطوائف الذين في أواسط القارة فإنهم وإن كانوا أكثر تقدمًا من أولئك إلا أنهم ليس عندهم من العلوم التاريخية القديمة ما يعتمد عليه سوى ما ذكره السلطان محمد بلو في تاريخه المسمى تاريخ تكرور[314] وهو عبارة عن مجموعة تاريخية لقسم من إفريقية الوسطى أثبت فيها أن غوبر وميلي كانتا وطنًا للأقباط وأن بورنو سار إليها من الشرق قوم من البربر طردوا من اليمن ومن الشمال الشرقي طوارق من أوجلة، وأن ياوري ويعربة استوطنها قوم من الكنعانيين المخرجين من بلاد العرب، وزعم بوديك أن الأشانتة خرجوا من بلاد الحبشة ويظهر أنه ولا بد أنهم قدموا السواحل المجاورة لهم وهم جيرانهم الدومانيين، وأما في سنغمبيا فتقول قبيلة المندنغ أنها من نسل أمة بمبارة الشرقية، ويقول البول أنهم من الفلاتة، ولا زالت الدلائل غامضة عن بيان تقلبات الممالك السودانية، ومما اشتهر أنه قد كان لهم ممالك كثيرة مثل موتابا وكونغو وعجولوف وتمبكتو وهي الآن ساقطة، ومن مماليكهم ما ثبتت شوكتها قرونًا عديدة كمملكة برنو ويعربة وغيرها، إلى أن قال ومملكة حوساء التي أنشأها عثمان دنفود يو وزادها مجدًا ابنه محمد بلو.

110 - اكتشاف قارة إفريقيا من طرف الأمم الأخرى واستعمار الأوربيين لها

إلى أن قال بعد كلام طويل لا حاجة لنا به لقلة فهمنا إياه، وأما الكنعانيون فانتشروا في الغرب واختلطوا بالعناقيين واستفيد من كتب أنساب الأمم الباقية هناك أنها من ولد مازيغ بن كنعان وقد اختلط بهم عدة أنواع من القبط والكوشيين والعرب الصابئة والعمالقة والفلسطينيين، ومع ذلك الاختلاط لا زالوا ممتازين بامتيازات خاصة تدل على أن صنهاجة وكتامة ولمتة وهوارة ومصمودة ولواتة من نسل جليات، إلى أن قال بعد كلام طويل تاريخها الاستعماري ذكر أنه في عهد [142] فرعون تيخو طافت جماعة حول هذه القارة كلها،[315]

314 - كتاب «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» من أهم مؤلفات الداعية المجاهد محمد بيللو بن عثمان بن فوديو (ت. 1838 م)، جمع فيه الرسائل التي تبادلها مع محمد الكانمي المناوئ لحركة عثمان بن فوديو، وصف فيه الفولة (الفلاّن، الفولاني) أو الهوسا جغرافيًا وبشريًا، وأرجع فيه أصول سكان مملكة غوبر (غوبير) إلى أقباط مصر. نشر الكتاب مؤخرًا من طرف المستر ونتج بكانو (نيجيريا)، ثم نشر بمصر بمناسبة زيارة أحمد بلو رئيس وزراء نيجيريا وأحد أحفاد محمد بيللو، انظر:
محمد بيللو بن عثمان بن فوديو (ت. 1253 هـ/1838 م)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، منشورات دائرة الوثائق والمكتبات، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1964. (انظر هامش رقم (170)، ص. 145).

315 - يقصد بها الرحلة التي قام بها بحارة فينيقون حول قارة إفريقيا والتي أمر بها نيخاو الثاني (Néchao II) المعروف عند هيرودوت بنيكوس (Nécos)؛ يعود تاريخها إلى نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وتعتبر أول

وذكر أيضًا أن القرطاجنيين استقرؤوا قسمًا من داخليتها غير أن ذلك أضاع ثمرات متاعب أجدادهم، فلم يبق لذلك أثر وغاية ما علم أن اليونان والرومان لم يعرفوا من هذه القارة إلا شواطئها على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وأن العرب هم أول من جاس خلال هذه الديار وأسسوا جملة معلومات اكتشافية وتاريخية بها استعداد خلفهم على سلوكهم في هذا الموضوع، ثم في ابتداء القرن العاشر الهجري أخذ الأوروبايون في إرسال وفودها لاكتشاف هذه القارة باسم التجارة وكان سابقهم في ذلك البورتغاليون ثم لحقهم الهولنديون ثم تبعهم الفرنساويون ثم الإنكليز،[316] فالبورتغاليون اكتشفوا أولاً شواطئ المحيطين من إفريقية وجالوا في جهة نهر الكونغو وزمبزه وأعالي النيل ودونوا ما اكتشفوه من الأنهر والبحيرات في خرائط كانت تدرس في مكاتبهم العمومية، وكان ذلك في القرن الحادي عشر الهجري، إلا أنه كانت اكتشافاتهم في تلك القارة إجمالية لم يتحقق تفصيلها إلا فيما بعد حتى قدم مكتشفوها أنفسهم ضحية للناموس العلمي، فلنكتف بذكر أشهرهم في ذلك، ثم شرع في ذكر المكتشفين وذكر تواريخهم إلى أن قال وفي ابتداء القرن العاشر الهجري أخذ الأوروبايون يؤسسون المستعمرات في إفريقيا، فأخذ الإسبانيول جزائر كنارية والبرتغاليون أغلب جزائر المحيط الأتلنتيكي وشواطئ غينيا الشمالية وموزمبيق وزنجبار، ثم أتى بعدهم الهولنديون الدانمرقيون واحتلوا غينيا الشمالية والكاب، ثم تبعهم الفرانساويون فاستولوا

رحلة تعرفت على السواحل الإفريقية؛ أحيطت بالسرية لطابعها التجاري والسياسي؛ سايرت سواحل إفريقيا الشرقية وعادت عن طريق جبل طارق عبر سواحل المحيط الأطلسي. اختلطت أخبارها بالخرافة والقصص الساذجة التي تروي أخبار الناس والبلدان. انظر:
J. La Carrière، Hérodote et la découverte de la Terre، Arthaud، Paris، 1968، p. 257.

316 - كان البحارة البرتغاليون في طليعة من تعرف من الأوربيين على سواحل إفريقيا الغربية من الرأس الأبيض ببلاد شنقيط وحتى مصب نهر الكونغو. فقد أثمرت جهود ملك البرتغال هنري المعروف بهنري الملاح في استكشاف الساحل الإفريقي جنوب المغرب الأقصى، فوصل نينيو تريستاو (Nuno Tristao) إلى الرأس الأبيض، واكتشف دينيس دياز (Dinis Diaz) مصب نهر السنكال وجزر الرأس الأخضر (1445 م)، وبلغ ألفارو فرناندس (Alvaro Feranandes) مصب نهر كازامانس (1446 م)؛ وبدأ نفوذ البرتغاليين بتلك السواحل عندما أقاموا حصن أرغين (1450) (Arguin م)، وأقاموا اتصالات تجارية مع الحكام المحليين عندما اتخذ البحار البندقي العامل في البحرية البرتغالية كاداموستو (Ca da Mosto) مركزًا تجاريًا في دامل (دمل) ((Damel] 1455) م)؛ بعدها توغل الملاح دييغو غوميس (Diego Gomes) في نهر غامبيا (1456 م)؛ ثم تقدمت السفن البرتغالية نحو ساحل سييرا ليون ومنها إلى ساحل النخيل ثم ساحل الذهب (1471 م)، ثم بلغوا ساحل الغابون (1475 م)، مما شجع الملك البرتغالي يوحنا الثاني على إنشاء مركز تجاري وحصن عسكري على ساحل غانة عرف بالميناء الذهبي للقديس يوحنا (St-Jean d'El-Mina d'Oro)، فكان أول المراكز الأوربية المحصنة والمزودة بالمخازن والورشات بساحل السودان الغربي.

على السنغال[317] ومدغسكر والجزائر المجاورة لها، ثم الإنكليز فاستولوا على جزء من غينيا وبعض جزائر في المحيط الأتلنتيكي إلى آخر ما ذكره هنالك، انتهى المراد من «منجم العمران».

111 - إفريقيا السوداء، مدنها ولغات أهلها

وقال أيضًا في «منجم العمران» سودان تطلق هذه اللفظة على بلاد الجنس الأسود من إفريقيا وتطلق على إقليم إفريقية الوسطى المحصور بين الأوقيانوس الأتلنتيكي[318] غربًا والبحر الأحمر شرقًا والصحراء الكبرى شمالاً والبحيرات الواسعة جنوبًا، وهي منقسمة إلى قسمين كبيرين وهما السودان الشمالية والسودان الجنوبية، أما الأولى فيطلق عليها الجغرافيون من الإفرنج اسم تكرور باسم بعض أجزائها ويريدون بها النوبة وسنغامبيا من الشرق [143] إلى الغرب وغينيا العليا من الشمال إلى الجنوب ويلحقون بها أقسامًا أخرى من إفريقية، وأما الثانية فيريدون بها القطعة الواقعة بين غينيا والصومال وزنجبار وموزامبيق جنوبًا إلى بلاد الكفرة، وقسم الإقليم السوداني بعضهم إلى ثلاثة أقسام: السودان الفرنساوي وهو البلاد الواقعة على الأوقيانوس الأتلنتيكي الممتدة إلى النيجر الأدنى، والسودان الأوسط وهو البلاد الواقعة بداخل شاد والوالية لشرقي النيجر وهو مشترك بين ألمانيا وفرانسا وإنكلترا، إلى أن قال بعد كلام ويطلق السودان المصري الآن على الإقليم الممتد على ضفتي النيل من جنوب مصر إلى منابعه قرب خط الاستواء من النيل الأحمر عدى الحبشة ومن النيل أيضًا إلى وَدَايْ غربيًا، تبلغ مساحتها نحو مليونين ونصف من الكيلومترات المربعة تقريبًا، وعدد سكانها نحو العشرة ملايين من الأنفس على بعض الإحصاءات التقريبية وهم من أجناس شتى يمكن إرجاعها إلى أربعة أصول وهم الزنج والنوبة والبجة والعرب من حضر وبادية وهم العنصر الغالب، إلى أن قال ولغة ثلثي الأهالي العربية وباقيهم يتكلمون بلغات مختلفة باختلاف أقاليمهم منها البربرية، والدين السائد[319] فيهم هو الإسلام على المذهب المالكي عند أكثرهم.

317 - تعليق المؤلف: قلت والبيضان يسمون ولف على الكلام الحساني سنغام أو سنغل، والله تعالى أعلم قلت والبيضان يسمون ولف على الكلام الحساني سنغام أو سنغل، والله تعالى أعلم.

318 - ويعني به المحيط الأطلسي الذي يحد إفريقيا غربًا.

319 - تعليق المؤلف: قلت ولعل السائد من السيادة والله أعلم.

وقد كان معظم أهالي السودان جاهلين القراءة والكتابة مستولية عليهم الخرافات الفاسدة والأوهام الباطلة والأخبار بالغيبيات والتطير والعزائم والسحر والطلاسم واستخراج الكنوز واستخدام الجن، وبعد فتح السودان الأخير أشعروا بضرورة التعليم وصاروا يرسلون أولادهم إلى المكاتب والمدارس حتى غصت مدارس الخرطوم وأم درمان بالتلاميذ واضطرت الحكومة إلى توسيعها مرارًا، إلى أن قال ولم تزل أهالي السودان على الحالة البدوية والبساطة في المعيشة قائمة حياتهم بسكنى أخصاص القش وأكل الدخن[320] وشرب البوزة مستترين بأبسط [144] الأقمشة وعليه لم يوجد راع يضطرهم للالتفات إلى الصناعة بل هم مكتفون بنتائج بلادهم لما تقوم له حياتهم إلا أنه يوجد في المدن الكبيرة من يعاني الصنائع البسيطة كالحدادة والنجارة والصياغة والصباغة وعمل السلاح ونسج الأقمشة وعمل الصابون ودبغ الجلود وعصر الزيوت وعمل الطوب ونحو ذلك، إلى أن قال وهواؤها مختلف باختلاف الجهات والفصول وعلى العموم شديد الحر في الصيف ولطيف في الشتاء والليل، وليس في السودان سوى فصل الصيف ويشتمل الربيع والشتاء ويشتمل الخريف وباقي أيام السنة، ويكثر امتداد الأول كلما قربت الجهة الشمال ويمتد الثاني كلما كانت الجهة إلى الجنوب أقرب وسقوط الأمطار يكون غالبا من شهر مايو إلى شهر سبتمبر، إلى أن قال وإذا هطل أحيانًا ينهمل كأفواه القرب، وتهب الريح الشمالية فتلطف الهواء جدًا وتهب في الصيف الريح الشرقية من صحراء ليبيا فتزيد الحر شدة وهي مع ما يصحبها من انتشار الغبار تصير بلاء على الأجسام وعمى للأبصار، ويكثر في هذه البلاد غالبًا الحميات بأنواعها[321] خصوصًا المتقطعة فإنها مستوطنة وتسمى عندهم بالوردة ويكثر بها

320 - تعليق المؤلف: الدخن أي البشنة، عن تاج الوسيط. ويقصد بها الذرة، وهي من المحاصيل الرئيسية بإفريقيا التي أدخلها الأوربيون إلى القارة.

321 - الحميات: يتعرض المؤلف لتلك الأمراض الموسمية التي أثرت على الوضع الصحي لسكان السودان الغربي، والتي تحولت في العديد من المرات إلى وباء مثل انتشار الكوليرا في حوض نهر السنكال سنة 1286 هـ/1869م. وتعرف الحمى المنتشرة في بلاد السودان وشنقيط في فصل الخريف بتوجى أو توجاط، ويصاحبها عادة ارتفاع شديد في حرارة الجسم وصداع وعدم الرغبة في الطعام وارتجاج في الأعضاء وضعف في النشاط، وهي تشبه إلى حد ما نزلة البرد في الشتاء وتعرف محليًا بملحسن. ونظرًا لكون أغلب مناطق السودان الغربي ضمن المناطق المدارية فإن أغلب الأمراض التي يعاني منها السكان هناك تتمثل في الإسهال الشديد ومرض النوم والرُّمد والجدري وبثور الجلد وصداع الرأس (الشقيقة) والملاريا والبلهارسيا والالتهابات الرئوية وطفح الجلد

أيضًا خصوصا في الصيف الدوسنكاريا والجدري وأحيانًا الهواء الأصفر، ومن الأمراض الوطنية الفرنتيت وهو بثرة تظهر في الجسم يتكون بها عرف رفيع مرن صدفي اللون أشبه بالدود البسيط لا يتم شفاء البشرة حتى يخرج جميع هذا العرف، وأردأ الفصول في نواحي البحر الأزرق شهر أكتوبر ونوفمبر، وفي أواسط السودان كالخرطوم وكردفان أغسطس وسبتمبر، وفي النيل الأعلى يونيه وسبتمبر.

113 - أقاليم السودان الثمانية

إلى أن قال وتنقسم أراضي السودان بالنظر لأجزائها الطبيعية إلى ثمانية أقاليم، إقليم البحر الأبيض وهو ممتد من بحيرة نوالي ملتقى النيل الأزرق بالأبيض جهة الخرطوم يسكن جنوبه عدة قبائل من السود وثنيون منهم الشلوك بشاطئه الأيسر والدنكا بشاطئه الأيمن ويقطن شماله عدة قبائل من النوبيين والسودانيين المسلمين، والثاني إقليم بحر الغزال وهو غرب إقليم بحر الجبل يستوطنه أمم سود وثنيون أشهرهم الديور والبونجو والمكراكا والنيام نيام ويوجد بين هذه القبائل من المسلمين، الثالث إقليم البحر الأزرق وهو واقع شرق البحر الأبيض وغرب الحبشة، سكانه [145] كلهم مسلمون بين عرب ونوبيين، والرابع إقليم النيل الأوسط أو النوبة وهو ممتد من الخرطوم جنوبًا إلى وادي حلفا شمالاً بين الحبشة والبحر الأحمر شرقًا والصحراء الكبرى غربًا وسكانه قبائل البجا أشهرهم الشكورية والهدندوه وبني عامر، والخامس إقليم بحر الجبل وهو ممتد من بحيرة موتنزيجة إلى ملتقى بحر الغزال بالنيل عند بحيرة نو وسكانه أمم سود وثنيون أشهرهم قبائل الدنكا والنوير والباري، والسادس إقليم كردفان وهو غرب إقليم البحر الأبيض أهله كلهم مسلمون بين عرب ونوبيين وسودانيين، والسابع إقليم دارفور وهو غرب إقليم كردفان سكانه كسكان الذي قبله، والثامن إقليم البحيرات الكبرى عند منبع النيل يسكنه أمم سود وثنيون، وهي منقسمة إلى محافظة وست مديريات وثلاث مأموريات، فالمحافظة هي سواكن وهي ميناء تجارية

(الفرمبيزا) وحمى النهر والتلوث الدوري، وكان يُلجأ طلبًا للعلاج إلى المتطبب أو رجل الطب الذي يستعمل غالبًا خليطًا من الأعشاب والتعاويذ والطلاسم، وفي جالة ما إذا عوفي المريض لمقاومة جسمه للمرض يرجع ذلك إلى مهارة رجل الطب المعالج.

على البحر الأحمر مرفأها صعب كثير الشعوب ولها علاقة تجارية مع جدة وجميع بلاد السودان، والمديريات أولها دنقلة وهي بلدة على ساحل النيل الغربي رديئة الهواء علاقاتها ما دارفور وكردفان، وثانيها بربر أو بربر وهي مدينة كبيرة على الشاطئ الأيمن للنيل ذات تجارة واسعة ومركز اجتماع القوافل خصوصًا بين سواكن والخرطوم، وثالثها الخرطوم وهي مدينة كبيرة جميلة الموقع كثيرة التجارة واقعة عند ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض وهي عاصمة الحكومة السودانية الآن، ورابعها سنار وهي واقعة على الشاطئ الأيسر للنيل الأزرق، خامسها كردفان وهي واقعة بين الخرطوم ودارفور، سادسها كسلا وهي واقعة على خور القاش، والماموريات هي حلفا وهي واقعة على الشاطئ الأيمن للنيل وهي في مبدأ الحكومة السودانية من الجهة الشمالية، وفشودة وهي واقعة على الشاطئ الأيسر من النيل الأبيض، وبحر الغزال وهي واقعة على شاطئ بحر الغزال.

114 - نبذة عن تاريخ السودان قديمًا وحديثًا

وتاريخ السودان القديم لم يزل غامضًا وغاية ما علم أن أول سكانه كانوا عدة فرق أولهم السودان وهم قوم هاجروا إليها غالبًا من آسيا قيل وكانوا بيضًا ولكن سودتهم حرارة الشمس وسوء المعيشة وانتشروا في إفريقيا وأسسوا بها عدة ممالك، ثم لحقهم بنو كوش من أولاد حام من أرض الحجاز بعد الطوفان واستوطنوا بعض جهات الإقليم وأسسوا أيضًا عدة ممالك امتدت من أصوان عند الشلال الأول إلى قرب الحبشة، إلى أن قال والبجة هم من بقية أولاد حام سكنوا الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، ثم في القرن الأول الميلادي وصلت النصرانية إلى تلك البقاع وانتشرت وامتدت إلى بلاد النوبة، ثم فتحها المسلمون تدريجًا وانتشر فيها دين الإسلام [146] في القرن الأول الهجري، ثم في القرن التاسع ظهرت بها طائفة الفونج وحكمتها مدة طويلة، ثم في القرن الثالث عشر هاجت بين أهاليها عدة فتن ونكبتها عدة محن واستولى عليها الوهن وانكسرت شوكتهم، فانتبه إليها المصريون في أيام محمد علي باشا وبهمته استولى على مدينة سنار وجزر من البلاد ثم اتسع نطاق حكم المصريين في زمن إسماعيل باشا إلى أن قارب إقليم خط الاستواء، ثم في أيام توفيق باشا زاد اتساعًا بواسطة غردون باشا الذي كان حاكمًا عليها من قبل الدولة

المصرية[322] ثم في زمنه هاجت نار الثورة العرابية[323] وتبعتها الثورة المهدوية[324] التي قام بها محمد أحمد المهدي واستخلص عدة جهات منها الأبيض وكردفان والخرطوم، ثم

322 - التوسع المصري في حوض النيل الأعلى والقرن الإفريقي وتخوم الحبشة (إيثيوبيا): تعود صلات حكام مصر بشرق إفريقيا إلى العهود القديمة، لكن التوسع العسكري الحديث لم يبدأ عمليًا إلا مع انتهاج محمد علي (1805-1848 م) سياسة توسعية في حوض النيل، فتولى قيادة الجيش المصري ولداه إسماعيل وإبراهيم باشا وصهره محمد الدفتردار. كللت هذه السياسة بالقضاء على مملكة الفونج والاستيلاء على مناطق سنار وكردفان وبحر الغزال، وأصبحت الخرطوم التي أسست بجوار أم درمان (1820 م) قاعدة مركزية للحكم المصري في السودان، وهذا ما مكن من شن الحملات على كورتي وسنار وبربر وشندي، ومع إخضاع القبائل السودانية أنشئت مديريات السودان (1874-1885 م). وقد واصل هذه السياسة التوسعية الخديوي إسماعيل باشا، فاعتمد في ذلك على بعض الضباط من الإنكليز مثل السير بيكر وغوردون الذين تمكنوا من الوصول إلى أعالي النيل وبحر الجبل ومديرية خط الاستواء، والتقدم نحو منطقة البحيرات العظمى ومنابع نهر النيل (1865 م)، وأثناء ذلك حصل الخديوي إسماعيل على سواكن ومصوع من الدولة العثمانية وتم إلحاقها بمصر (1866 م) لتكون منافذ بحرية للسودان وتوسع في إريتريا، لكن تدخل الإنكليز في المنطقة بعد فتح قناة السويس وتمكنهم من فرض سلطتهم على مصر إثر انتفاضة عرابي باشا (1882 م) وقضائهم على ثورة المهدي (1889 م) مكنهم من الاستحواذ على أملاك مصر في سودان وادي النيل وشرق إفريقيا، فاحتلوا زيلع وبربر (1884 م)، وسمحوا للإيطاليين باحتلال مصوع (1885 م)، وألحقوا مديرية خط الاستواء ومنطقة منابع النيل بحكمهم المباشر (1889 م).

لمزيد من المعلومات، أنظر:

- المستر جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب أحمد شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.
- مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان)، دار الثقافة، بيروت، 1980 (فصل التوسع المصري في عهد إسماعيل).

323 - الثورة العرابية: حركة تحررية ضد سياسة الخديوي وتدخل الإنكليز في شؤون مصر، تزعمها أحمد بن محمد عرابي الذي ولد بقرية هدية بالزقازيق (1841 م)، ودرس بالأزهر، وانتمى للجيش (1854 م)، وأصبح أحد ضباطه (1859 م)، تجاوب مع الحركة المطالبة بإدخال إصلاحات وبتطوير الجيش فاكتسب شعبية (1881 م)، لكن تدخل الإنكليز بإلحاق الهزيمة به في التل الكبير (يوليه 1882 م) سمح لهم باحتلال القاهرة، فحكم عليه مع محمود سامي البارودي ومحمود فهمي بالإعدام ونفوا إلى سيلان (1883-1901 م)، وعندما عفا عنه الخديوي عباس حلمي الثاني، ظل يعيش حياة العزلة حتى وافته المنية (1911 م)، لكن حركته ظلت إحدى المحطات المهمة في الحركة الوطنية المصرية الحديثة.

324 - الحركة المهدوية في السودان: تنسب إلى محمد بن أحمد الملقب بالمهدي (1844-1885 م). وقد ولد بإقليم الجزيرة بالسودان جنوب دنقلة وعرف بالتقوى واشتهر بالصلاح، وهذا ما ساعده على تزعم حركة جهاد تدعو إلى الإسلام السلفي، وتعمل على إحياء العقيدة الإسلامية وإقامة دولة إسلامية على منوال الخلافة الإسلامية الراشدة، مما أثار سخط السلطان العثماني عبد المجيد الثاني عليه. وقد نجحت الحركة المهدوية في تعميق الإسلام في نفوس العامة وأن تنشره في المناطق الوثنية بالجنوب، وتحولت إلى حركة سياسية ظهرت بجزيرة أبا على النيل الأبيض عندما استولت على الأبيض (1882 م) وحظيت بمبايعة قبائل السودان على الجهاد، وقد استغل الإنكليز عداء الدولة العثمانية لها فاستخدموا الجيش المصري للقضاء عليها، لكن حملة وليم هيكسر (1883 م) منيت بالفشل، ثم أعادوا الكرة على عهد خليفة المهدي عبد الله التعايشي فاستولوا على مركز الحركة المهدوية وهي أم درمان (1889 م).

بواسطة تأخر الحكومة المصرية وانجلاء عساكرها ورجوعها إلى وادي حلفا اتسع حكم المهدي من دارفور إلى كسلا وسواكن ومن لاد وإلى وادي حلفا وصار جميع ذلك في قبضته وجعل مقر حكومته في أم درمان ثم بعد وفاته قام بالخلافة بعده ابنه عبد الله التعاشي وفي أيامه انعكس سعد السودانيين وتسلطت مطامع الدول الأوروباوية على السودان، فجاءت إيطاليا واستولت على كسلا ثم تقدمت فرنسا من جهة الكونغو على إقليم الغزال، فلما رأى الإنكليز تطفل الأوروباويين على السودان قام وانتدب لاسترجاعه ووافقه السعد على ذلك ثم بعد تمامه أخذ في تنظيم إدارته، وفي سنة 1317 عقدت اتفاقية بين الحكومتين المصرية والإنكليزية بجعل السودان مشتركًا بينهما،[325] اهـ، من «منجم العمران» للسيد محمد أمين الخانجي، وقد قال في هذا الباب قبل هذا: ويحكم السودان حاكم إنكليزي بانتخاب الحكومة الإنكليزية وتعيين الحضرة الخديوية الفخيمة، وقد صارت هذه البلاد مشتركة بين الحكومتين المصرية والإنكليزية بمقتضى اتفاق جرى بينهما سنة 1317 هجرية، وحاكم السودان هو سردار الجيش المصري أو وكيله الإنكليزي وجميع الموظفين في هذه الحكومة من مديرين أو مأموري مراكز أو غيرهم من المستخدمين العالين من الإنكليز، اهـ، من المنجم أيضًا.

115 - وصف بلاد النوبة كما جاء في كتاب معجم البلدان

وفي «معجم البلدان»:[326] النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه [147] صالح النوبة على أربعمائة رأس في السنة، وقد مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال من لم يكن له أخ فليتخذ أخًا من النوبة، وقال خير سبيكم النوبة والنوبة نصارى يعاقبة لا يطئون النساء في الحيض ويغتسلون من الجنابة ويختتنون، ومدينة النوبة اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل وطول بلاده مع النيل ثمانون

325 - خضع السودان لحكم إنكليزي مصري مشترك (1317 هـ/1899 م) بعدما تمكنت بريطانيا من القضاء على الحركة المهدوية بالسودان، وقد مهدت بريطانيا لذلك عندما طلبت من الجيش المصري الانسحاب من السودان وتركه للمهدويين سنة 1883 م، وبدأ الإنكليز يخططون لفرض سلطتهم عليه متعللين بحجة مهاجمة المهدويين لحدود مصر الجنوبية، فتوجه الجيش المصري مع جنود إنكليز لاستعادة السودان (1896 م) بقيادة كتشنر، وتم إيقاف تقدم الفرنسيين في حادثة فاشودة (1898 م)، وأصبح السودان خاضعًا للنفوذ الفعلي للإنكليز بعد توقيع اتفاقية الحكم المشترك المصري الإنكليزي (1317 هـ/1899 م).

326 - معجم البلدان لياقوت الحموي (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979)، ج. 5، ص ص. 308-309.

ليلة ومن دمقلة إلى أسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة ومن أسوان إلى الفسطاط خمس ليال ومن أسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليال، وشرقي النوبة أمة تدعى البجة وبين النوبة والبجة جبال منيعة شاهقة وكانوا أصحاب أوثان، قالوا والنوبة أصحاب إبل ونجائب وبقر وغنم وللكهم خيل عتاق وللعامة براذين ويرمون بالنبل عن القسي العربية وفي بلدهم الحنطة والشعير والذرة ولهم نخل وكروم ومقل وأراك وبلدهم أشبه شيء باليمن وعندهم الزنج مفرط العظم وملوكهم يزعمون أنهم من حمير ولقب مالكهم كابيل وكتابته إلى عماله من كابيل ملك مقرئ ونوبة، وخلفهم أمة يقال لهم علوا بين ملك النوبة وبينهم ثلاثة أشهر، وخلفهم أمة أخرى من السودان تدعى تكنة وهم وعلوا عراة لا يلبسون ثوبًا البتة إنما يمشون عراة وربما سبي بعضهم وحمل إلى بلاد المسلمين ولو قطع الرجل والمرأة على أن يستتر أو يلبس ثوبًا لا يقدر على ذلك ولا يفعله، إلى أن قال وفي بلادهم ينبت الذهب وعندهم يفترق النيل، قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة، اهـ من المعجم. وفي «معجم البلدان»[327] أيضًا مقرئ بلد بأرض النوبة فتحه عبدالله بن سعد بن أبي سرح في سنة 31 هـ منه.

116 - وصف دُمُقْلَة وإقليمها عن معجم البلدان ومنجم العمران

وفي «معجم البلدان» أيضًا دمقلة[328] مدينة كبيرة في بلاد النوبة، إلى أن قال وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل ولها أسوار عالية لا ترام مبنية بالحجارة وطول بلادها على النيل مسيرة ثمانين ليلة، غزاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سنة [329]31 في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأصيبت يومئذ عين معاوية بن حديج وقاتلهم قتالاً شديدًا ثم سألوه الهدنة فهادنهم الهدنة الباقية إلى الآن، وقال شاعر المسلمين:

لم تَرَ عيني مثل يوم دُمْقُلَهْ

والخيل تعدو بالدروع مُثْقَلَهْ

وقال يزيد بن أبي حبيب ليس من أبي لهيعة وسمعت يزيد بن أبي حبيب كان يقول أبي من سبي دمقلة والله أعلم، اهـ من المعجم.[330] وفي «منجم العمران» للسيد محمد أمين

327 - المصدر السابق، ج. 2، ص. 470.

328 - المصدر السابق، ج. 2، ص. 47 يقصد بها دنقلة.

329 - سنة 31 هـ توافق 651 م.

330 - تعليق المؤلف: وقال ابن أبي لهيعة من أهل مصر والأساود عهد إنما هو أمان بعضٍ من بعض نعطيهم شيئًا من قمح وعدس ويعطوننا دقيقًا.

الخانجي:[331] دنكلة ذكرها في الأصل وقال البستاني[332] هي ولاية في بلاد النوبة العليا في وادي النيل عدد سكانها 70 ألف نسمة وهي جيدة الهواء قليلة الأمراض جدًا سوى الحمى وشدة حرها من شهر آذار على تموز وقت فيضان النيل الذي يغمر من الأراضي المجاورة [148] لضفتيه نحو 15 ميلاً وبذلك تخصب تلك الأراضي وتشتغل مرتين في السنة ومعظم محاصيلها الحبوب والتمر ومن مزروعاتها القطن والتبغ والبن والأفيون والنيل[333] وقصب السكر والفول والزعفران وخيلها من أجود الخيول وهي تفوق الخيول العربية حجمًا، وسكانها أغلبهم من العائلة الحبشية وهم من نسل المماليك الذين استوطنوا بها في أوائل القرن الحالي ومن أوصافهم الكسل وحب الذات والبساطة في المعيشة ومعظم تعيشهم من تربية المواشي، وقاعدة الولاية دنكلة واقعة على ضفة النيل اليسرى وسكانها 10 آلاف نسمة، أهلها من أحسن السودان وجوهًا وأعدلهم شكلاً، ومن حيواناتهم الفيلة والزرافات والقرود والغزلان، وبها عدة أبنية من الطرز الجديد وبعض معامل وغير ذلك، وقد كانت قديمًا مركز بلاد النوبة، وفي القرن الثاني عشر اكتسحتها العرب الشيكية، وفي سنة 1227 هجرية آتاها المماليك المنفيون من مصر وحاولوا إنشاء حكومة بها فخاب سعيهم، وفي سنة [334]1236 أخضعهم إبراهيم باشا المصري وبقيت من ذلك العهد هي تابعة لمصر، هـ من المعجم.

117 - وصف إقليم دارفور عن معجم البلدان

وفي «معجم البلدان»[335] دارفور أي بلاد الفور بلاد التكرور من إفريقيا الوسطى وهي واحة كبيرة في الجهة الجنوبية الشرقية من الصحراء الكبيرة يحدها غربًا وداي وجنوبًا رونغا وفرتيت وشرقًا فلاة، يسكنها بدو ورحالة تفصلها من كردفان مساحتها ألف ميل مربع وعدد سكانها نحو 3 ملايين نفس وقيل خمسة ملايين، بها عدة أراض خصبة من محصولاتها الأرز والذرة والسمسم والفول والتبغ والثمار وعدة أنواع عقاقيرية وبها كثير من المواشي خصوصًا الجمال والأفيال والماعز ومنها أكثر ثروة الأهالي وبها عدة من

331 - منجم العمران. انظر هامش (114)، ص. 122.

332 - البستاني. انظر هامش (114)، ص. 122.

333 - تعليق المؤلف: النيل هو بر في كلامنا الفلاني. والواضح أن المؤلف يقصد به النيلة.

334 - سنة 1236 هـ توافق 1820 م.

335 - الأصح منجم العمران للخانجي وليس معجم البلدان لياقوت.

الحيوانات البرية الإفريقية وكثير من المعادن، وهواؤها حار جدًا وفصولها ثلاثة: الربيع والصيف والخريف والأخير يسد مسد الشتاء وبه يكثر وجود القوس قزح بحيث أن الإنسان يرى أربع أو خمس أقواس في وقت واحد، وأهاليها عرب وزنوج ولغتهم العربية وديانتهم الإسلامية ومعارفهم وآدابهم منحطة كثيرًا وهم مغرمون بتكثير الزوجات والمهنة كلها على النساء إلا حمل السلاح، وكان حاكمها مستقلاً مستبدًا في بلاده وكانت له احتفالات خصوصية غريبة وكان لا يتكلم مع أحد بدون ترجمان وإذا بصق يلزم حاشيته أن يجمعوا أبصاقه بأيديهم وإذا كبا فرسه به لزم كل فرد من حاشيته أن يفعل مثله وهكذا إذا عطس أو سعل وحرسه كان مؤلفًا من فرقة من النساء العجائز، أما الآن فقد ضمت إلى مصر وأعظم مدنها قبة وتجارتها في البضائع السودانية مع مصر رائجة كغيرها، اهـ من المعجم أيضًا.

118 - وصف إقليم أسبن وعاصمته أغاديس

وفي «منجم العمران» للسيد محمد أمين الخانجي، أسبن[336] هي أكبر واحة في صحراء [149] إفريقية بعد فزان يحدها شمالاً بلاد الطوارق أو التوارك وجنوبًا بلاد السودان، مساحتها نحو 400 كيلومتر من الشمال إلى الجنوب و325 كيلومتر من الشرق إلى الغرب، وهي بلاد جبلية تخترقها أودية كثيرة المياه وأشهر جبالها جبل الضخم علوه عن سطح البحر 1400 متر، وعدد سكانها 70000 نفس ما عدا أهل الناحية وبها من المدن 180 مدينة أشهرها في الوسط من الشمال إلى الجنوب طفاجيت وسلوفية وطنطفادة وطنطرود سلطانها مستقل وأصوري وأغلفو وغاديس وهي عاصمة المملكة وستذكر في بابها. أما تجارة أسبن فهي نشيطة تأتيها القوافل من تونس وسنار ومراكش ومنها يذهبون إلى كاشنا وكانواد وغير ذلك من بلاد السودان، أشهر مزروعاتها التمر والحنطة وأشبهها، إلى أن قال وسكانها أقصر وأشد سوادًا من سكان أزقار وأدور وجهًا وأكثر بشاشة، وأهلها مسلمون متعصبون ومن عادتهم أنهم إذا تزوجت امرأة رجلاً من قرية أخرى فعلى الرجل الانتقال إلى قرية زوجته، وأسلحة الأهالي عمومًا هي الرمح والسيف والخنجر وترس كبير من جلد الغزال، ويوجد عندهم أيضًا القوس والنشاب ولا توجد البنادق عندهم إلا قليلاً، وهم قليلو الاعتناء بالحراثة والزراعة وجميع ملبوساتهم من الخارج وعيش الأهالي غالبه

336 - هي على الأرجح واحة سبها عاصمة فزان الحالية.

من تجارة الملح ومداخيل الحكومة تكاد تكون منحصرة في رسوم الملح، وفي قرن الستمائة هجرية كانت أسبن وقاعدتها أغاديس مركز بلاد البربر الممتدة في أسوان مسيرة أشهر عديدة، وفي القرن الحادي عشر الهجري كانت مملكة أغاديس خاضعة لسلطان تنبكتو، وهذا ما وصلنا إليه من ترجمة واحة أسبن، اهـ من المنجم. وفي «منجم العمران» أيضًا: أغاديس[337] مدينة في صحراء إفريقية وعاصمة مملكة أسبن موقعها في واحة باسمها عدد سكانها نحو 8000 نفس وفيها قصر للسلطان عبد القادر وبها سوق للجزارين تكثر فيه العقبان منتشرة فيه كالحمام رغبة في التقاط فضلات اللحم، وهي مقر لكثير من التجار لنقل الحبوب منها ولاسيما الذرة البيضاء وطريقة البيع والشراء بها عجيبة حيث القيم عندهم هي الذرة البيضاء فقط وبها من البيوت المسكونة نحو 1000 بيت وبها جملة مدارس ابتدائية، أما سجنهم فإنه في صورة مخيفة حيث إنه مملوء بالسيوف والرماح وغير ذلك من أنواع الأسلحة، وبها جامع كبير له منارة ارتفاعها نحو 25 قدمًا عن سطح الجامع، بناؤها من اللبن على شكل هرمي، بني الجامع المذكور سنة 1290،[338] وبها أيضًا عشرة جوامع أخر كبيرة وصغيرة، ومدخول السلطان منها هو من الهدايا التي تأتيه عند جلوسه [150] على تخت ملكه وكل عائلة تقدم له أيضًا على كل جمل يدخل البلد حاملة عشرة مثاقيل، وأهاليها يتكلمون بثلاث لغات لغة التوارك وسنفاء وهوسا برباء سركي، وموقع المدينة في نقطة مرتفعة فلذا كان هواؤها جيدا. قال بابا أحمد العربي في كتابه المعنون بتاريخ السودان أن الحاج محمد عسقيا من سنغاي فتحها سنة 922 [339] وطرد منها قبائل البربر، قيل إن بناءها كان في التسعمائة من الهجرة بناها البربر لتكون محطًا لتجارتهم وكان أهم تجارتها الذهب وكان لها شأن عظيم وأن عدد أهاليها كان 50 ألف نفس إلا أنها الآن في حالة ضعيفة وتجارتها متأخرة وليس لها من الأهمية سوى كونها واقعة على طريق مؤد إلى الجهات المجاورة لها من السودان، اهـ من المنجم.

337 - أغاديس: تقع بالصحراء المتاخمة لأقاليم السودان الغربي شمال نيامي عاصمة النيجر على بعد 965 كلم، سكانها من صنهاجة (التوارق)، ذكرها ابن بطوطة بأن منازلها من الحجارة، وهي مركز تجاري بين مالي ومصر، عرفت بنحاسها الجيد الذي يستخرج من المناجم الواقعة بالقرب منها إلى الشمال بنحو 25 كلم، يشتغل العديد من سكانها بالتجارة مع السودان وبها العديد من المساجد والمدارس وينتسب إليها عدد من أهل العلم والصلاح منهم الشيخ العاقب المسوفي.

338 - سنة 1290 هـ توافق سنة 1873 م.

339 - سنة 922 هـ توافق سنة 1516 م.

119 – ذكر زيلع وما عرف عن أهلها من عادات غريبة

وفي «معجم البلدان» أيضًا:(340) زيلع هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، وقال ابن الحائك ومن جزائر اليمن جزيرة زيلع فيها سوق يجلب المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها ويرمى بأكثر مسائحها في البحر، وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش، حدثني الشيخ وليد البصري وكان ممن جال في البلدان أن البربر طائفة من السودان بين بلاد الزنج وبلاد الحبش، قال ولهم سنة عجيبة وهم طوائف يسكنون البرية في بيوت يصنعونها من حشيش، قال فإذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن كفؤًا لها عمد إلى بقرة من بقر أبي تلك المرأة ولا تكون البقرة إلا حبلى فيقطع من ذنبها شيئًا من الشعر ويطلقها في السرح ثم يهرب في طلب من يقطع ذكره من الناس فإذا رجع الراعي وأخبر والد الجارية أو من يكون وليًا لها من أهلها فيخرجون في طلبه فإن ظفروا به قتلوه وكفوا أمره فإن لم يظفروا به مضى على وجهه يلتمس من يقطع ذكره ويجيئهم به فإن ولدت البقرة ولم يجيء بالذكر بطل أمره ولا يرجع أبدًا إلى قومه بل يمضي هائجًا حيث لا يعرفون له خبرًا فإنه إن رجع إليهم قتلوه وإن قطع ذكر الرجل وجاءهم به تملك الجارية ولا يسعهم أبدًا أن يمنعوه ولو كانت من كانت، قال وأكثر من ترى من هذه البلاد من الطائفة المعروفة [151] بالزيلع السودان إنما هم من الذين التمسوا قطع الذكر فأعجزهم فإذا حصلوا في بلاد المغرب التمسوا القرآن والزهد كما تراهم، قال وزيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش فيها طوائف منهم ومن غيرهم، قال وأكثر معيشة البربر من الصيد، اهـ المراد من المعجم هنا.

120 – ذكر زويلة السودان وزويلة المهدوية

وفي «معجم البلدان» زويلة(341) بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في البر بين بلاد السودان وإفريقية، وقال البكري(342) تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق

340 – معجم البلدان، ج. 3، ص. 164.

341 – المصدر السابق، ج. 3، ص ص. 159–160.

342 – أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت. 487 هـ/1094 م)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج – تونس، 1992، ج. 2، ص. 658.

قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالإبل، ولما فتح عمرو بن العاص برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين، إلى أن قال وبين زويلة ومدينة أجدابية أربعة عشر مرحلة، إلى أن قال ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية وما هنالك ومبايعاتهم بثياب قصار حمر، ومن بلد زويلة إلى كانم أربعون مرحلة وهم وراء صحراء من بلاد زويلة(343) من المعجم، والأخرى زويلة المهدوية وهي مدينة بإفريقية بناها المهدي عبيد الله إلى جانب المهدوية بينهما رمية سهم فقط، إلخ، المعجم.

121 – وصف زغاوة ونبذة عن حياة ملكها

وفي «معجم البلدان» أيضا(344) زغاوة بفتح أوله وفتح الواو وقيل هو بلد في جنوبي إفريقية وقيل قبيلة من السودان جنوبي المغرب، وفيهم يقول أبو العلاء المعري:

بسبح إماء من زغاوة زوجت

من الروم نعماك سبعة أعبد

و قال أبو منصور: الزغاوة جنس من السودان والنسبة إليهم زغاوي، وقال ابن الأعرابي الزغي رائحة الحبش، وقال المهلبي ولزغاوة مدينتان يقال لإحداهما مانان وللأخرى ترازكي وهما في الإقليم الأول، ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حد المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر بينهم مسيرة عشرة أيام وهم أمم كثيرة وطول بلادهم خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة وبيوتهم خصوص كلها، وكذلك قصر ملكهم وهم يعظمونه ويعبدونه من دون الله تعالى ويتوهمون أنه لا يأكل [152] الطعام ولطعامه قومة عليه سرًا يدخلونه إلى بيوته لا يعلم من أين يجيئونه به فإن اتفق لأحد من الرعية أن يلقى الإبل التي عليها زاده قتل لوقته في موضعه، وهو يشرب الشراب بحضرة خاصة أصحابه وشرابه يعمل من الذرة مقوى بالعسل، وزيه لبس سراويلات من صوف رقيق والاتشاح عليها بالثياب الرفيعة من الأسماط والديباج الرفيع، ويده مطلقة في رعاياه ويسترق من شاء منهم، أمواله المواشي من الغنم والبقر والجمال والخيل، وزروع بلدهم أكثرها الذرة واللوبياء ثم القمح، وأكثر رعاياه عراة مؤتزرون بالجلود ومعايشهم من

343 – تعليق المؤلف: زويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء على طريق بلاد السودان فيها جامع وحمام وأسواق.

344 – معجم البلدان، ج. 3، ص. 142.

الزروع واقتناء المواشي وديانتهم عبادة ملوكهم يعتقدون أنهم يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون، وهي من مدائن البلماء وقصبة بلاد كاوار على سمت الشرق منحرفًا إلى الجنوب، اهـ من المعجم.

122 – ذكر كاوار

وفي «معجم البلدان» أيضًا كاوار[345] ناحية واسعة في جنوبي فزان خلف ألواح بها مدن كثيرة منها قصر أم عيسى وأبو البلماء والبلاس، وأكبر مدنه أبو البلماء وألوان أهلها صفر يلبسون ثياب الصوف، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير ولهم سلطان في طاعة ملك الزغاوة، هـ من المعجم. قلت ويمكن أن يكون أصل أهل زاغا من هؤلاء والله تعالى أعلم.

123 – ذكر ولاية زافون

وفي «معجم البلدان» زافون[346] ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب متصلة ببلاد الملثمين لهم ملك ذو قوة وفيه منعة وله حاضرة يسمونها زافون وهو يرتحل وينتجع مواقع الغيوث وكذا كان الملثمون قبل استيلائهم على بلاد المغرب وملك زافون أقوى منهم وأعرف بالملك والملثمون يعترفون له بالفضل عليهم ويدينون له ويرتفعون إليه في الحكومات الكبار، وورد هذا الملك في بعض الأعوام إلى المغرب حاجًّا على أمير المسلمين ملك المغرب اللمتوني الملثم فتلقاه أمير المسلمين راجلاً ولم ينزل زافون له عن فرسه، قال من رآه بمراكش يوم دخوله إليها وكان رجلاً طويلاً أسود اللون حالكه، منقبًا أحمر بياض العينين كأنهما جمرتان، [153] أصفر باطن الكف كأنما صبغا بالزعفران، عليه ثوب مغطوط متلفع برداء أبيض، دخل قصر أمير المسلمين راكبًا وأمير المسلمين راجل بين يديه، هـ من المعجم. قلت ويمكن أن يكون أصل أهل جافن ونحوهم من هؤلاء والله تعالى أعلم.

124 – ذكر بلاد كانم وسكانها

وفي «معجم البلدان» كانم[347] من بلاد البربر في أقصى المغرب في بلاد السودان وقيل كانم صنف من السودان، إلى أن قال قال البكري: بين زويلة وبلاد كانم مرحلة وهم وراء

345 – المصدر السابق، ج. 3، ص. 142.
346 – المصدر السابق، ج. 3، ص. 127.
347 – المصدر السابق، ج. 3، ص. 432.

صحراء من بلاد الزويلة لا يكاد أحد يصل إليهم وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قومًا من بني أمية صاروا إليها عند محنتهم ببني العباس وهم على زي العرب وأحوالها، اهـ من المعجم. قلت وفي بلادنا فوت تور قوم يزعمون أنهم من بني أمية وهم من قبيلة كن ويمكن أن يكونوا من هؤلاء وأن كن من لفظ كانم هذا مصحفًا والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، وحينئذٍ فيشترك معهم في هذا الانتساب كل قبيلة جلّ لاتفاق الفلاّنيين كلهم على أن أصل كل كن جلّ لا غير، وحينئذٍ فيشترك معهم في هذا الانتساب أيضًا قبيلة به وقبيلة بر وقبيلة سه لاتفاق مؤرخي أهل العلم من أهل فوت بأن أبا هؤلاء واحد، ويزعمون أنه عقبة بن نافع القرشي الفهري والله تعالى أعلم.

125 – ذكر بلاد إثيوبيا (الحبشة)

وفي «منجم العمران» للخانجي: أثيوبيا[348] اسم لبلاد قديمة من إفريقيا واقعة في جنوبي مصر وقد عمت إثيوبية عند الجغرافيين القدماء كل البلاد الواقعة بين البحر الأحمر والأوقيانوس الأتلنتيكي إلى جنوبي ليبية ومصر، وأما أثيوبية الأصلية فكانت تعم حكومة مروة التي يظن أنها كانت واقعة في سنار ولما صارت مدينة مروة عاصمة تلك البلاد في أيام الدولة المَرَويّة كان يطلق اسم مملكة مروة أحيانًا على عموم بلاد أثيوبية، وكانت ناباتا عاصمة أخرى لهذه البلاد ويظن أن موقعها كان في جوار جبل باريال، والراجح أن فرعًا كبيرًا من النسل الكوشي الذين كانوا على ما يظن يقطنون أراضي الحجاز من بلاد العرب قطعوا البحر الأحمر قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وأتوا إثيوبية وأراضي ناباتا ومروة التي لا يزال الزنوج يقطنونها، فدعيت تلك البلاد الواقعة [154] على النيل الأعلى ببلاد كوش نسبة للكوشيين المذكورين، وقطن آخرون من الكوشيين يعرفون بالصابئة سواحل إفريقية التي هي أكثر اتجاها نحو الجنوب المقابلة أراضي اليمن من بلاد العرب، فاختلط الكوشيون الشماليون حالاً بالزنوج والمصريين فاكتسبوا خصائص في هيئتهم ولغتهم فصلتهم عن إخوانهم الكوشيين الساحليين، إلى أن قال بعد كلام طويل، بعد ذلك كان المصريون يقومون في كل سنة تقريبًا بغارات على بلاد أثيوبية ويأسرون ألوفًا من أهاليها من كل سن ذكورًا وإناثًا ويستعبدونهم في بلادهم وذلك أشبه بتجارة الأرقاء، إلخ «منجم العمران».

348 – انظر هامش رقم (45)، ص. 81.

126 – **ذكر ولاية فزان**

وفي «معجم البلدان»: فزان[349] ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب وهو في الإقليم الأول، قيل سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام، بها نخل كثير وتمر كثير ومدينتها زويلة السودان والغالب على ألوان أهلها السواد، وقد ذكرهم جرير في شعر له بقوله:

قَفراً تُشَابِهُ آجالُ النِّعام بِه

عِيداً تَلاقَتْ بِهِ فَزانُ والنُّوبُ، هـ

127 – **ذكر جزيرة مارتينيك**

وفي «منجم العمران»: مارتينك[350] جزيرة واسعة من مستعمرات فرنسا ببحار أمركا عدد سكانها 200000 نفس من البيض والسود، وهي جيدة التربة خصبة لطيفة الهواء ومركزها مدينة فوردفرانس وأشهر مدنها مدينة سان بيير وهي غاية في الظرف عدد سكانها نحو 45 ألف نسمة مرفأها جيد جدًا، اهـ من المنجم.

128 – **ذكر مدينة أدماوا**

وفي «منجم العمران» للسيد أمين الخانجي: أدماوا مدينة من أجمل البلاد الواقعة في داخليه بلاد السودان من إفريقيا الوسطى وقصبتها يولا أو يولا وهي مدينة تحتوي على 12 ألفًا من السكان يقيم فيها حاكم أدماوا وهو خاضع لسلطان سقطو وهي مملكة إسلامية ذات تبعة أكثرها وثنية من أمم مختلفة فتحها في القرن الماضي قائد شجاع من رؤساء الفلاتة يقال له أداما أو أدما فسميت باسمه وكان حاكمها سنة 1268 هجرية[351] ابنه، والأهالي في

349 – معجم البلدان، ج. 4، ص. 260.

350 – جزيرة المارتينيك (La Martinique) إحدى جزر أرخبيل الأنتيل (Antilles)، تتميز بتضاريسها الجبلية البركانية وبتعرضها للأعاصير المدارية والهزات الزلزالية العنيفة والمتكررة، مثل زلزال جبل بيليه (1902م) المدمر. تقدر مساحتها بـ 1105 كلم مربع، ويقوم اقتصادها على زراعة قصب السكر والموز وإنتاج المطاط وشراب الروم. اكتشفها كولمبوس (1502 م)، واستولى عليها الفرنسيون (1635 م) واتخذوا مدينة فوردفرانس (Fort-de-France) عاصمة لها. يتألف سكان المارتينيك من جماعات من الزنوج والهنود الحمر وخليط من المهجنين بفعل اختلاط العنصر الأوربي بالسكان المحليين، ويقدر عددهم حاليًا بأكثر من مليون نسمة.

351 – سنة 1268 هـ توافق سنة 1851 م.

تلك البلاد دأبهم الحروب وشن الغارات، أما البلاد الواقعة في الجهة الشمالية من نهر بنوي فهي مستقلة كل الاستقلال وأهاليها وثنيون [155] وهي من أجمل بلاد إفريقية الوسطى تكثر فيها الأنهار وهي بالإجمال مسطحة ترتفع تدريجًا إلى جهة الجنوب حتى يبلغ ارتفاعها 1400 قدم، يتخللها جملة جبال أكبرها جبل أتلنتيك ارتفاعه 2000 قدم ومحيطه نحو أربعين ميلاً، يسكنه قوم وثنيون مستقلون يسودهم سبعة من الشيوخ، ومن مزروعاتهم الحنطة والجوز والقطن والموز، ويوجد عندهم ينابيع حارة ويكثر عندهم الفيل من اللون الأسود والأشهب والأصفر، إلى أن قال ويوجد عندهم نوع من الثيران لا يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام أشهب اللون يسمونه موتور، وحديد بلادهم أحسن أنواع الحديد ونقودهم قداد منسوجة من القطن يسمونها لبي، وللصابون قيمة عظيمة عندهم، والمسلمون منهم يلبسون ملابس جيدة ونظيفة، وأما الوثنيون فيفضلون العري إلا قدة من الجلد مشدودة على القبل والدبر، وحلي نسائهم صحيفة معدنية رقيقة ذات رأس محدد تعلقها في الشفة السفلى وليس للخضاب وجود عندهن ولونهن الحمرة الضاربة للصفرة، والرِّقية متسعة عندهم حتى ربما كان لملك منهم ألف عبد يستخدمونهم في الفلاحة والزراعة، وحاكم تلك البلاد يأخذ سنويًا جزية 4 آلاف عبد عدا الخيل والمواشي، انتهى من «منجم العمران» للسيد محمد أمين الخانجي الذي تم كتابة المنجم هذا في رمضان من عام 1324 من الهجرة.[352]

129 – **حول أسماء الشهور الإفرنجية وبعض مصطلحات قياس المسافات**

قلت وحيث ورد فيما كتبت ذكر آذار وتموز ونحوهما من الشهور السريانية فأرتبها لك من أول السنة السريانية إلى آخرها مع تعبيرها، فأقول أول سنتهم تشرين الأول ثم تشرين الثاني ثم كانون الأول ثم كانون الآخر ثم شباط ثم آذار ثم نيسان ثم أيار ثم حزيران ثم تموز ثم آب ثم أيلول، وتفسيرها في الرومية على هذا الترتيب المتقدم أن تقول أكتوبر ثم نونبر ثم دجنبر ثم يناير ثم فبراير ثم مارس ثم أبريل ثم مايه ثم يونيه ثم يوليه ثم أغشت ثم شتنبر، وعدة أيام السنة السريانية مثل أيام السنة الرومية، اهـ، ومنهم يعجم دال أذار ومنهم من يهمله والله تعالى أعلم. وأما كيلومتر فهو عبارة [156] عن ألف متر أي ألف

352 – سنة 1324 هـ توافق سنة 1906 م.

وثلاثمائة وخمسين ذراعًا وكل خمسة آلاف متر عند علماء الجغرافية مساحة ساعة والمرحلة نحو عشر ساعات كناية عن المسافة التي يقطعها المسافر، وفي تكملة «فاكهة الألباب في تاريخ الأحقاب» للخوري بطرس الشامي الماروني الدنبتاوي (...) كما في «منجم العمران» للخانجي رضي الله عنه وَالله تعالى أعلم، والميل 1800 ذراع كناية عن 4280 قدمًا كما في «فاكهة الألباب في تاريخ الأحقاب»، وأما مليون فهو ألف ألف لا غير،[353] وأما الواحات ففي «معجم البلدان»: الواحات واحدها واح على غير قياس لا أعرف معناها وما أظنها إلا قبطية، إلخ.[354] فلنرجع إلى ما كنا بصدده ونشرع الآن إن شاء الله تعالى:

130 – أصل سلاطين ماسينا وقصة خروج مغن بن سادي منها واستقراره بأرض باغن فاري

[157] في تاريخ ماسن، ونقول وفي «تاريخ السودان»[355] أن أصل سلاطين ماسينا من كم وهو اسم موضع في أرض قياك يقال له أيضًا تُغْ وترمس، فكان فيه سلطان يقال له جاجي بن سادي وله شقيقان مغن ويك، فمات يك عن زوجة فأراد السلطان جاجي أن يتزوجها فامتنعت وهي لا تريد إلا مغن فهو لا يريدها ولا يقدر عليه خوفًا من أخيه السلطان، فبقي الناس يتحدثون بها حتى أن يومًا واحدًا أتى عليها مغن يلومها في ذلك ويقول لها كيف تمتنع من زواج السلطان ومن يقدر عليه غيره وكيف بأولادنا الذين معك وقلبها حتى أعيا فلم تقبل، فلما رآه النمامون وقت خروجه من دارها قالوا للسلطان أليس الذي قلناه لك عن مغن حقًا وقد رأيناه الساعة يخرج من دار المرأة، فجاء يسلم عليه فلما امتثل بين يديه قال له بارك الله فيك هذا الذي تشتغل به هو الفعل وأريد زواج امرأة وأنت تفسد رأسها علي، فغلظ له في الكلام وقبح، خرج مغن وهو غضبان فركب فرسه ورمى وجهه للغيبة وتبعه أربعة فرسان أو خمسة وطائفة من الماشين حتى غابت عليهم الشمس [158] نزلوا وأوقدوا النار

353 – يعرض المؤلف إلى التعريف بمقاييس الطول والمساحة اعتمادًا على الكتب التي توافرت لديه وهي «فاكهة الأحباب في تاريخ الأحقاب» لبطرس الشامي الماروني، و«منجم العمران» للخانجي، وقد حرص المؤلف على تسجيلها وذكر مصادرها لكونها غير متعارف عليها وغير شائعة الاستعمال وحديثة العهد على ذوي الثقافة التقليدية، راجع هامش رقم (114)، ص. 122.

354 – معجم البلدان، ج. 5 ، ص. 341. ويعقب المؤلف على ما اقتبسه من معجم البلدان اعتمادًا على ما ورد في الكتاب المدرسي و«الدرس التام في التاريخ العام» بقوله: « الواحات أي أراضي خصبة ينبع فيها بعض عيون من الماء فتزرع أرضها ويسكنها الناس. قلت أظنها تراب لا جبال ولا رمال والله تعالى أعلم، انتهى.

355 – تاريخ السودان، ص ص. 184 – 186.

فإذا الضَّالُون من البقر وقعوا عليهم وقبضوا واحدًا منهم وذبحوه وتعشوا به، فلما أصبح الصبح ساروا في مسيرهم وساقوا البقرات معهم حتى أتوا ربوة تسمى ماسينا وهي في أرض باغن فاري، فوجدوا فيها الصنهاجيين أولي الضفائر وهي مسكنهم فسكنوا معهم حتى لحقهم فيها ما تركوا وراءهم من عيالهم، ثم ذهب إلى باغن فاري فوقف عليه وسلم وأخبره بقصته وبما يريد فرحب به وأكرمه وأمره أن يرتع أينما أحب في أرضه ثم جعله سلطانًا على قومه الذين معه وجعل الفلاّنيون يأتونه ويسكنون معه من قبيلته ومن قبيلة سنقر وهم يومئذٍ يرتعون ما بين ساحل البحر وميم، ثم تفرع منه أولاد الأكبر منهم اسمه بهم مغن وعلي مغن ودنب مغن وكرن مغن وهارند مغن، هؤلاء خمسة رجال شقائق أمهم دم بنت يدل، ثم يَلِ مغن وحده من زوجة أخرى، ثم حمد بند وسنب شقيقان.

131 – ذكر خلفاء السلطان مغن بن سادي

ولما توفي سلطان مغن بن سادي خلفه في السلطة ولده الأكبر بُهْمْ فتزوج امرأة تسمى يدنكي فولد منها ناكب يدنكي، ثم تزوج امرأة أخرى أيضًا تسمى كف فولد منها كانت علي ومنه تنسل وورارد علي، ثم تزوج امرأة أخرى أيضًا تسمى تد فولد منها حمدتد وإليها ينتسب ورتد، ولما توفي سلطان بهم مغن خلفه في السلطنة أخوه علي مغن وإليه ينتسب ورعلي، ولم يتول السلطنة غيرهما من أولاد مغن الذكور، ولما توفي علي مغن [159] خلفه ابن أخيه كانت بن بهم، فتزوج امرأة من قبيلة سنقر تسمى درام سافو فولد منها جاجي كانت وأنبيا كانت، ثم تزوج امرأة أخرى تسمى بنك فولد منها مد كانت وحده وإليه ينتسب وُرُمَكْ، أما جاجي كانت فتزوج بَنْب حمدتد فولد منها سود جاجي وتفرع منه أولاد منهم وُرُبُك ووُرُدبّ ومنه تنسّل الفقيه أحمد بير الماسني، ولما توفي كَانْتْ خلفه في السلطنة أخوه علي فولد دنب علي وجنك علي وشم علي، ولما توفي علي خلفه في السلطنة أنبيا كانت وهو الذي انتقل من ماسينا إلى جنبل في مدة سلطان الأمير أسكيا الحاج محمد، ولبث في السلطنة ثلاثين سنة في ماسينا وعشر سنين في جنبل، خلفه في السلطنة ابن أخيه «سود بن جاجي كانت» فمكث في السلطنة عشر سنين فتزوج يبكن ابنة أنبيا فولد منها إل سود وحمد فلاّني، ولما توفي سود اختلف ابنه إل وعمه حمد سر ولد أنبيا وتنازعا على السلطنة، إلى أن قال في

«تاريخ السودان»:[356] أما هاهارند مغن فمنه تنسل ورير، ولما امتنع حلة أنبيا من أتباع حمد فلاّني رجع حمد سر عليها سلطان، فاستقرت السلطنة فيها إلى هلم جر كما استقرت في حلة بوب إل، فصارت سلطنة ماسينة مقسمة بين أربع حلات، حلة أنبيا وحلة بوب إلُ وحلة مك كانت وحلة أرد علي مغن، انتهى المراد من «تاريخ السودان» ببعض حذف واختصار. وفي «تاريخ السودان» أيضًا[357] أن أصل ماسينا تشيت استطراد.

132 - بعض أخبار أهل ماسينا ونزول الشيخ أحمد حمدلب نكم وقصته مع فلاَن ماسينا وتأسيسه مدينة حمد الله

[160] وفي «تاريخ السودان» أيضًا[358] أن الأمير أسكيا داوود غزا إلى تغ اسم موضع في أرض باغن ويقال له ترمسي وكنم وحارب فيه فنو نك جاجي تماني وفيه أتى بالقينين [القيون] والقينات [القيان] كثيرات المسماة مابي، وجعل لهم في كاغ، انتهى المراد منه. ولعل مابي عندهم مابب عندنا والله أعلم. قيل أن أهل ماسينا قبل ارتحالهم إليها كانوا كالبياضين في كثرة الرحيل بالمواشي وعدم السكنى في موضع واحد، وكذلك لما صاروا في ماسينا يرتحلون بالمواشي ولا يسكنون في موضع واحد وإنما كانوا يضفرون رؤوسهم ويشربون الخمر، ووجدوا في ماسينا قبيلتين سلب ولقبهم كلّ معروفين بكثرة البقر والسماكين وسألوهم عن ما يضر فعله في ماسينا وما ينفع ويسعد فاعله بأن قالوا لهم كون سوط ماسن، فقال لهم سلب سوط ماسينا ترك الإضرار بالسماكين وترك قطع الأشجار المسماة ساياج التي واحدها ساياو، فسكنوا وامتثلوا الأمر ولم ينتهكوا النهي إلى أن جاء الشيخ أحمد حمدلب[359] من كمبل وسكن في نكم من بلاد بسبر في برك ومعه تلاميذه وعبيده يطلبون الصدقة ويصيدون الحيتان، فإذا وجدوا حوتة كبيرة بيضاء يغصبها من أيديهم أرباب الجاه من فلاَن ماسينا ويشتكون ذلك إلى الشيخ فيأمرهم بالصبر والاحتساب، وبينما تلميذ للشيخ اسمه عبد الله يطلب الصدقة في يوم قيام سوق قرية اسمها سمي وهي الآن خربة وقد حضر فيها ابن أرد من أردات ماسينا ومعه جماعته وهم في لهو وشرب خمر، فجاء التلميذ يطلب الصدقة فقام ابن أرد هذا فضربه وطرده فقال له لا ترجع إلى هذا

356 - المصدر السابق، ص. 189.

357 - المصدر السابق، ص. 102.

358 - المصدر السابق، ص. 102.

359 - احمد لبَ: يقصد به أحمد لوبو، انظر هامش رقم (85)، ص. 108.

الموضع بعد هذا أبدا، فرجع إلى شيخه محرومًا مضروبًا فأمره شيخه بالصبر والاحتساب، ثم في يوم من أيام سوق تلك القرية جاء التلميذ أيضًا [161] يطلب الصدقة ووافق ذلك أيضًا حضور ذلك الابن لأرد ماسينا فرآه ابن أرد فقام إليه أيضًا فضربه وطرده وقال له إن رأيتك ثالثة هنا قتلتك، فهرع التلميذ إلى شيخه يبكي فسأله عن موجب بكائه فقال أن ابن أرد الذي ضربني في ذلك النهار ضربني اليوم أيضًا وقال لي إن رآني بعد اليوم قتلني، فقال الشيخ هل تقدر أنت على قتله فقال نعم إن أمرتني بذلك فقال قد أمرتك بذلك إن صال عليك بعد اليوم، ثم اتفق قيام سوق تلك القرية في يوم فذهب التلميذ إليها ومعه حديدة رمح جعلها تحت إبطه وهو يطلب الصدقة إلى أن رآه ابن أرد المذكور فقام إليه أيضًا يريد أخذه ليضرب إلى أن يموت فلما أخذه طعنه بالرمح الذي كان معه تحت إبطه حتى دخلت الحديدة كلها في صدره فمات وهرب التلميذ مختفيًا في اختلاط الناس راجعًا إلى شيخه فأخبره بالواقع وقال لا بأس، ثم إنهم وقعوا على قرية الشيخ فقام إليهم عبيده وتلاميذه فهزموهم بإذن الله تعالى، وكان ذلك إبان دخول سيل فحال بينهم وبين الشيخ فصبروا إلى أن غاض السيل فجاؤوا إليه بجيشهم فهزمهم الشيخ بإذن الله تعالى أيضًا، ثم إنهم انقادوا إليه وطاوعوه وبايعوه، ثم أمرهم الشيخ بالسكنى وترك الرحيل وأمر نساءهم بالاحتجاب، وكل من ليس له صداق لامرأة يعطيه الصداق من السماكين، ومن أراد جارية يتسرى بها يعطه الجارية من بنات السماكين أيضًا، هذا كله بشرط عدم البيع لسماكي أو سماكية، وأمر بقطع الأشجار ساياج التي نهى عنه سلب ثم أمروه أن يرتحل من برك إلى موضع يقربه السيل ولا يدخله، فبنى مدينة حمد الله فسكن فيها [162] إلى أن توفي رحمه الله تعالى ولم يخرج غازيًا قط إنما يرسل الجيوش فقط إلى من لم يطعه من الكفار ومدة ملكه 29 سنة، ثم خلفه ابنه أحمد الشيخ ومدة ملكه 8 سنين، ثم لما مات خلفه ابنه أحمد (...) ومدة ملكه 9 سنين.

133 - نهاية حكم الشيخ عمر كنته

فجاء الشيخ الحاج عمر كنته[360] عماد موبت وملك ماسينا سنتين، ثم اجتمع أهل ماسينا والكنتيون فحاربوه عند حمد الله تسعة أشهر وثلاثة أيام،[361] فخرج منها يوم الأربعاء هلال رمضان عام 1280 إلى الجبل الذي مات فيه واسمه دكمبر فوصل إليه عشية

360 -الحاج عمر، انظر هامش رقم (84)، ص. 107.

361 - تعليق المؤلف: وقيل ثلاثة أشهر.

الجمعة من الشهر المذكور إلى أن آل أمره بأن رمى نفسه في غار[362] ذلك الجبل هو ومن تابعه في فعله ذلك خوفًا من الموت في الذل والهوان. وبين دكمبر وحمد الله مسيرة يومين كما قيل والله أعلم.[363] وقيل إن الشيخ لما دخل الغار ومن معه أوقدوا عليهم البارود فماتوا جميعًا والله تعالى أعلم. وكان الشيخ قد أرسل ابن أخيه تجان بن ألفا أحمد في مدة محاربتهم له عند حمد الله ليأتيه بجنود تغيثه عليهم فرجع في غروب شمس ذلك اليوم أي يوم موته مع سبعة جيوش من أرض هاير وغيرها ومع كل جيش أميره منهم سندسن أمير هاب كلهم وهم أهل أرض هاير وهي أوسع من فوت تور كما قيل، ومنهم الكسوج الساكن عند دوكمب قرية في أرض هاير، ومنهم أمير بور من هاير أيضًا، ومنهم دمب أمير بنجكر، ومنهم كوكن أمير أرض كان، ومنهم أمير داو وهي قرية من الفلاّن، ومنهم بكار القال أمير فتوب وهو فل بهاج، فهزمهم تجان في تلك الليلة ورجع [163] الكنتيون إلى كندك كلاج، وفي غده هزم بالب أيضًا وطرده إلى برك ثم أقام في الملك عند بَنْجَكر 24 (سنة) فمات عندها وهو ابن 48 سنة.

134 – نبذة عمّن تداولوا الحكم بعد الشيخ الحاج عمر

وخلفه في السلطنة سعيد حبي بن أخي الشيخ الحاج عمر الشقيق لأن أباه حبي شقيق للشيخ وكذا ألفا أحمد والد تجان المذكور، فأقام في الملك ثلاثة أشهر ثم مات وخلفه منير بن الشيخ عمر في الملك ثلاث سنين فقاتل الكنتيين في هذه المدة وقتل أميرهم عابدين بن الشيخ سيدي البكاي عند موضع يقال له مر، فحين تكميله ثلاث سنين في ملكه ماسينا أتاه الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر[364] منهزمًا من جور طرده الفرنسيس منها، فعزل منير عن الملك فأقام الأمير أحمد هناك سنين فجاءه جيش الفرنسيس[365] أيضًا ومعهم عاقب أخوه فاقتتلوا عند كركر، فانهزم الأمير أحمد وخرج مع جيشه مشرقًا يحارب كل من يمر بهم إلى أن وصل إلى هوس فمات عند قرية من قراها اسمها ميكنكي، وخلفه أخوه بشير فمر بالجيش إلى أن اجتمع بإنكلين وبعض

362 – تعليق المؤلف: وهو بعيد الغور والله تعالى أعلم.

363 – تعليق المؤلف: وقيل بينهما ثلاثة أميال لا غير.

364 – أحمد بن الحاج عمر المعروف بأحمدو بورنو أو أحمدو شيخو (ت. 1316 هـ/1898 م) وهو الابن الأكبر للحاج عمر الفوتي، شارك أباه في حركة الجهاد وتولى شؤون الحكم عندما استولى والده على ماسينا، وبعد وفاة والده الحاج عمر (1864 م) تولى حكم دولة التكرور (التوكولور) في بورنيو وعمل جاهدًا على المحافظة على وحدة دولته من عاصمته سيغو (Ségou)، وأصبح خليفة على أتباع الطريقة التجانية واتخذ لقب أمير المؤمنين الذي نازعه فيه إخوته وأفراد من أسرته وبعض التجانيين. توترت علاقته مع الفرنسيين بسبب توسعهم في الأقاليم الخاضعة له منذ 1877 م، وعندما تمكنوا من الاستيلاء عليها التجأ مع ابنه المدني إلى سوكوتو (1311هـ/1893 م) التي أقام بها حتى وفاته.

يرجع النزاع والتنافس بين أحمد بن الحاج عمر الفوتي وإخوته وأبناء عمه في جانب مهم منها إلى كون أمه

فاطمة بنت أحمد بللو الداعية الإصلاحي بسوكوتو والتي فضلت البقاء بموطنها مع ابنها وكانت منافسة لأم إخوته الآخرين وهي عائشة التي كانت تنقم على ضرتها وغرست لدى أبنائها كره أخيهم لأبيهم وهو أحمد بن فاطمة الذي خلف أباه في إمارة الجهاد. وتتمثل الصعوبات التي واجهها أحمد بن الحاج عمر مع أفراد عائلته في عدم اعتراف ابن عمه التجاني حاكم ماسينا به، ومنازعة إخوته له في خلافته لأبيه الحاج عمر، خاصة المتمركزين منهم في الأقاليم البعيدة عن مركز السلطة (سيغو) بإقليم دانغراي الذي كان يحكمه أخوه حبيبو سنة 1861 م والذي وجد المساندة من إخوته الآخرين المختار وداعي ومنيرو له عند دخوله في نزاع مع حاكم نيورو ألفا مصطفى منذ عهد الحاج عمر (وقد كان الحاج عمر أثناء حركته الجهادية قد عين ألفا مصطفى حاكمًا على كونياكري عام 1276 هـ/1859 م).. هذا وتمكن أحمد بن الحاج عمر من الحد من النزاع بتعيين أقيو على نيورو (1873 م)، وإرغام حبيبو والمختار على الخروج من دانغراي ووضعهما في السجن بالعاصمة سيغو (1876 م)، وتعيين أخيه بسيرو حاكمًا على كونياكري وأخيه الآخر مونتاقا حاكمًا على نيورو الذي لم يتردد هو الآخر في رفض سلطة أخيه أحمد. وقد مكنت هذه النزاعات والثورات التي قام بها إخوة أحمد مكنت الفرنسيين من أن يتدخلوا في شؤون دولته تحت غطاء إمداده بالسلاح والذخيرة وتقديم العون للبمبارا، فساعدوا السيراكوليين على رفض سلطته والخروج عن طاعته وشجعوا شعب البمبارا على التخلص من هيمنة التكرور (التكولور) (1870–1872 م) الذين كانوا يشكلون العنصر الرئيسي للدولة التي كانت تقوم على فكرة مناصرة الطريقة التجانية وعلى مواجهة التدخل الفرنسي ونشر الإسلام في أوساط الوثنيين.

365 - فيما يتعلق بالتوسع الفرنسي في السودان الغربي فإن الوجود الفرنسي الذي كان يكتسي طابعًا تجاريًا حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر – إذ كان التجار الفرنسيون يترددون على المراكز الساحلية لمبادلة سلعهم بالمنتجات المحلية – أخذ شكل هيمنة ونفوذ سياسي، وتحول على يد الحاكم العام على السودان لويس فيديرب (1818) (1889–Louis Faidherbe) إلى مشروع استعماري توسعي اعتمد على بناء وتحصين القواعد العسكرية مثل حصن بودور (250) (Fort Podor كلم عن سان لويس)، وعلى شن الحملات في الأقاليم الداخلية وإرغام السكان على الخضوع بتجريد الحملات العسكرية، وعقد اتفاقيات سلم وصداقة مع الرؤساء المحليين تحت الترغيب والتهديد في الأربعينات من القرن التاسع عشر، وتمكن من فرض سلطته بإخضاع القبائل الموريتانية بنواحي سان ليو (1854–1858)، فاضطر الترارزة والبراكنة إلى التحول إلى الضفة اليمنى لنهر السنغال؛ وأثناء ذلك توسع في الداخل وأنشأ حصن مدينة (1855) (Médine) (على بعد 150 كلم من باكل) عند نهاية الملاحة البحرية لنهر السنغال؛ وجردت حملات عسكرية ضد التكرور (1860–1864) التي تصدى لها أحمد بن الحاج عمر الذي حاصر الفرنسيين في سيغو (Ségou) (فبراير 1864)؛ بعدها توقف التوسع الفرنسي في السودان الغربي نتيجة هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية (1870). ولم تعتمد سياسة الاحتلال الشامل إلا مع مطلع الثمانينات عندما استولت القوات الفرنسية على كيتا (1881) وباماكو (1883) وتومبوكتو (1893) وواغادوغو (1896)، ولم يتوقف الاندفاع الفرنسي في أقاليم السودان إلا عندما اصطدم بالنفوذ الإنكليزي بوادي النيل وكادت حادثة فاشودة (19 سبتمبر 1898) أن تتحول إلى نزاع دولي لولا عقد اتفاقية 1899 التي مهدت للوفاق الفرنسي الإنكليزي (1904). هذا وقد عرف التوسع الفرنسي في السودان الغربي ثلاث مراحل متميزة: الأولى (1878–1888) وصل فيها التوسع الفرنسي إلى أعالي نهري السنكال والنيجر وتمكن فيها من تحطيم قوة التكرور؛ والثانية (1888–1895) استكمل فيها الفرنسيون سيطرتهم على الأقاليم الداخلية بتحطيم ممالك أحمدو وساموري وبالاستيلاء على تومبوكتو؛ والثالثة (1895–1899) استولوا فيها على منحنى نهر النيجر وربطوا السودان الغربي بالمستعمرات الفرنسية بساحل العاج والداهومي.

من ذلك الجيش وصلوا إلى مكة والمدينة شرفهما الله تعالى، ورئيسهم الشيخ العلامة هاشمي بن البا أحمد أخو تجان المذكور وعمر الشيخ عمر سبعون سنة لأنه ابتدأ القتال وهو ابن 48 سنة وأقام فيه 12 ثم مات في الجبل دكمبر وحضر أربعًا وسبعين حربًا وعمر ابنه الأمير أحمد 64 لأنه استخلف في مدكي وهو ابن 24 وأقام في الملك 41 وعمر تجان 48 لأنه استخلف وهو ابن 24 وأقام في الملك مثل ذلك وقاتل 324 قتالاً حضر منها 24 وعمر عاقب بن الشيخ الحاج عمر 63 سنة، ومدكي قرية في أرض بلار [164] استخلف الشيخ ابنه أحمد عندها بعدما حاربوها وهزموها وقتلوا أميرها اسمه كتل، ثم حاربوا قرية كن وقتلوا أميرها اسمه بنابج، ثم حاربوا قرية دمف وقتلوا أميرها اسمه دفل، ثم حاربوا جابل فقتلوا أميرها اسمه بنتا، ثم حاربوا ويتيل فوجدوا فيها ستين ألف مقاتل منهم تسعة آلاف قناصون وسبعون راميًا بالقوس فهزموهم بإذن الله تعالى، ثم حاربوا سنس فجاءهم عندها أهل ماسينا وأهل ساغو فقتلوا من جيش الشيخ 45 رجلاً ثم هزمهم الشيخ في غده فقتل أمير جيش ماسينا أحمد حم برك، فرجع الشيخ إلى ساغو فوجد عندها عل فهزمه وأخرجه منها فخرج هاربًا إلى ماسن، ثم أقام الشيخ في ساغو قليلاً مثل عشرة أيام فجاءه بالب بجيش عرمرم فأعرض الشيخ عن مقاتلته 14 يومًا ثم خرج إليه فهزمه، ثم استخلف ابنه على ساغو وخرج إلى ماسينا إلى آخر قصته الواقعة بينه وبين أهل ماسن.

135 - الشيخ أحمد حمدلب، نسبه وبعض أخباره

واعلم أن الشيخ أحمد حمدلب رضي الله عنه ابن عم لساري سليمان بال في فوت تور كما زعم بعضهم، وهم من بكارناب من قبائل الفلاّن عندنا وعند أهل ماسينا من قبيلة سنقر، وعنى سنقر بر، وساري سليمان بال من بكار براهيم والشيخ أحمد من عثمان براهيم، وقيل أنه الذي هاجر على ماسينا وسكن في بلد يقال له فتوب، فتعلم هنالك العلم حتى مهر وبهر، فهو والد بوب عثمان والد حمد بوب وهو حمدلب عيش وهو والد الشيخ أحمد حمدلب، وللشيخ أحمد حمدلب أخ اسمه بوبكر حمدلب وهو أكبر منه سنًا وله ابن يقال له بالب بوبكر وهو المجاهد مع عمه الشيخ [165] أحمد حمدلب في ماسينا وعاش إلى زمان التجان، وسنذكر نسب ساري سليمان بال إلى جدهم براهيم هذا عند تاريخ أَلْمَامْ عَبْدُل الفوتي رضي الله عنهما إن شاء الله تعالى. ومن أذكار الشيخ أحمد حمدلب المعظمة عنده صلاة الفجر وقد قيل أنه كان يلازمها كل ليلة أربعة آلاف وأربع مائة وأربعين (4444)،

وقيل إنه كان لا ينام الليل كما قيل ذلك عن زوجته أح عند موته رضي الله تعالى عنه، وهي عنده كصلاة الفاتح عند التجانية[366] والله تعالى أعلم، ثم أنه غير لقبه إلى سيسي لا أدري هل ذلك كان لقبًا لشيخه فاختاره لنفسه لشدة محبته لشيخه واعتقاده فيه وتعظيمه له وكمال انتسابه إليه وذلك ظني أم لا والله تعالى أعلم، فصار كل عالم وكل قارئ لا لقب له في ماسينا إلا سيسي فقط إلى يومنا هذا. وقد بشر السيوطي بوجود هذا الشيخ في ماسينا قبل وجوده كما في «التاريخ الفتاش»[367] لسيدي محمود كعت الكرمني دارًا التنبكتي مسكنًا الوعكري أصلاً عند ذكر حج سيدي الأمير أسكيا الحاج محمد قال:[368]

136 - لقاء الحاج محمد أسكيا في مصر بالشيخ عبد الرحمن السيوطي وتبشيره بظهور رجل صالح عامل من علماء سنقر

ثم تهيأ أسكيا الحاج محمد للرجوع فلما وصل مصر وقد هنالك الشيخ عبد الرحمن السيوطي فسأله أسكيا عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم بالمدينة واثنان بمصر وواحد بالشام واثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم وبقي اثنان بأرض التكرور أنت أحدهما ويأتي بعدك الثاني، إلى أن قال ثم سأل الشيخ أيضًا هل يخرج من صلبه من يقيم الدين ويصلح أمره، فقال له الشيخ لا ولكن يأتي رجل صالح عالم عامل تابع السنة اسمه أحمد يظهر أمره في بعض جزائر سبر ماسينا ولكن من قبيلة علماء سنقر وهو الذي يرثك في الخلافة والعدالة [166] والصلاح والجود والتقى والزهد والنصرة ويكون كثير التبسم والسنة دائم التحرك في جلوسه ويسبقك بكونه متبحرًا في العلوم وأنت لا تعلم إلا أحكام الصلاة والزكاة والاعتقادات وهو آخر الخلفاء المذكورين، ثم سأل أسكي الشيخ هل هذ الخليفة يجد الدين فيجدده أو يجده خامدًا فيوقده، فقال له الشيخ بل يجد الدين

366 - صلاة الفاتح: هي الذكر الذي أخذ به المنتسبون إلى الطريقة التجانية، وصيغتها حسبما وردت في «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» لأبي حرازم بن العدلي الفاسي: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق، الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى حق قدره ومقداره»، وقد أثارت جدلاً لدى الفقهاء لادعاء بعض المتحمسين للطريقة من العوام بأنها أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة، وأنها من كلام الله القديم، وأن من لم يعتقد فيها لم ينل الثواب.

367 - تاريخ الفتاش، ص. 13.

368 - تعليق المؤلف: ذكر حج أسكيا ولقاؤه السيوطي وبشارته بالشيخ أحمد حمدلب. للتعرف على حج السلطان محمد أسكيا، انظر هامش رقم (138)، ص.132.

خامدًا فيكون كشرارة الجمر وقعت في يابس الحشيش فينصره الله على جميع الكفار والمخالفين حتى تعم بركته البلاد والآفاق والأقطار فمن رآه وتبعه كان كمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم ومن خالفه فكأنما خالف النبي صلى الله عليه وسلم، فتوسط الأولاد في زمانه لكنهم لا يزالون على الجهاد إلى فنائهم، قال الراوي عن شيخه القاضي حبيب فبسبب هذا الرجل المذكور والخليفة المنصور تغلظ شي عال الملعون في قتل قبيلة سنقر وكان يسمع خبره كثيرًا من أفواه الكهان وأنه يخرج على قبيلة سنقر فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا طائفة قليلة.

137 - الشيخ عبد الكريم المغلي يطلب من الحاج محمد أسكيا أن يكتب رسالة للخليفة العادل المبشر به

إلى أن قال ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الكريم[369] أسكي الحاج محمد أن يكتب إلى الخليفة الذي يجيء بعده ويطلب منه الدعاء وقال له أسكي الحاج محمد وهل تبلغ تلك البراوة،[370] فقال له الشيخ أرجو أن تبلغ إن شاء الله، فأمر الكاتب علي بن عبد الله أن يكتب براوة ونصها: «هذا كتاب أمير المؤمنين قامع الفجار والكافرين أسكي الحاج محمد بن أبي بكر إلى وارثه المسعد وقائم بأمره المؤيد أمير المؤمنين أحمد المنصور، فالسلام أشهى من كل مشتهى وإكرام أنور من الدر وأبهى يخصك ويعم على كافة من منك وإليك بروح وريحان، فموجبه إليك أيها الأخ البر الصالح إعلامك وتبشيرك بأنك آخر الخلفاء، وقاهر الأعداء وهادي السعداء باتفاق العلماء ونحن نطلب منك الدعاء وأن أكون يوم القيامة في كريم زمرتك [167] كما نسأل الله تعالى العصمة من فتن الزمان ونرجو من الله أن يجعلنا وإياك في زمرة خير الورى آمين»، فدعا له الشيخ أن يبلغ هذه البراوة بأيما وجه فأمن الحاضرون على دعائه إلى أن قال: قال الفقيه محمود ويعضد قول الإمام ويوافقه ما روي عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أنه سيكون آخر الزمان في أرض التكرور خليفتان أحدهما يظهر في آخر القرن التاسع والآخر في أول القرن الثالث عشر ينكرهما أهل عصرهما أشد التنكير وينسبون أفعالهما إلى الظلم والأباطيل، فيقمع الله لهما كل جاهل جحود وكل عالم حسود، يستويان في جميع الأوصاف الحميدة إلا في العلم، يبيض الله في أيديهما الأموال العريضة المخزونة

369 - انظر ترجمة محمد بن عبد الكريم المغيلي، هامش رقم (194)، ص. 166.

370 - هامش رقم (82)، ص. 104.

يصرفانها فيما يرضي الله، هـ. قلت وذلك لأن ظهور سلطنة الحاج أسكيا محمد علي سنغي كان في عام 898 كما في «الفتاش»، وظهور الشيخ أحمد حمدلب على ماسينا كان في عام 1234 تقريبًا وظنًا وتخمينًا. قلت قوله فيما مر: ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الكريم أسكيا الحاج محمد أن يكتب على الخليفة الذي يجيء بعده، إلخ، والمراد بالشيخ محمد بن عبد الكريم هذا المغيلي لأنه كان يصاحب الشيخ السيوطي كثيرًا والله تعالى أعلم. وفي «الفتاش» أن الأمير أسكيا الحاج محمد حج في العام الثاني بعد تسع مائة 902 رضي الله عنه،[371] وفيه أيضًا من الفوائد أن ملكي أي صاحب مل كنك موسى حين أراد السفر للحج أتى بعض مشائخه يطلب منه أن يختار له يوم الخروج للسفر من الأيام، فقال له أرى أن تنتظر يوم السبت الذي يكون ثاني عشر شهر واخرج فيه لا تموت حتى ترجع لدارك سالمًا إن شاء الله تعالى، ومكث يتربص حصول ذلك في الشهور وينتظره ثم لم تحصل إلا بعد تسعة أشهر وافق ثاني عشره بيوم السبت [168] وخرج بعدما وصل رأس قافلته بتنبكت وهو بداره بمل والسبت الموافق بثاني عشر شهر كان منذ حينئذٍ يتفاءل به مسافروهم ويمثل به في مسافر رجع بسوء المنقلب فيقال هذا ما خرج بداره سبت خروج ملكي، اهـ المراد منه والحمد لله رب العالمين. قلت وفي رحلة ابن بطوطة[372] أن أهل الهند يختارون للسفر اليوم السابع من الشهر مطلقًا واليوم السابع عشر منه واليوم السابع والعشرين منه أيضًا.

138 - نص جواب الشيخ علي البكاي على دعوة أحمد بن أحمد حمدلب لمبايعته

واعلم أن أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد حمدلب كان قد طلب من الشيخ سيدي البكاي بن الشيخ سيدي الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي[373] أن يبايعه فأبى عن

371 - سنة 902 هـ توافق سنة 1496 م.

372 - تكرر ذكر هذه الأيام في أسفار ابن بطوطة، انظر: رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 121، 124 و137.

373 - سيدي البكاي بن الشيخ سيدي الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي: أحمد البكاي الكنتي (ت. 1282 هـ/1865 م): نافس أخاه الشيخ المختار الصغير الكنتي (1826-1842)، واكتسب تأييد بعض قبائل التوارق، فاشركه أخوه (المختار) في سلطته على الزاوية القادرية، وأصبح مشرفا على قبائل الحوض (الموريتانية)، وعلى تومبوكتو (1270 هـ/1853 م)، فازداد نفوذه وتحرر من نفوذ الشيخ أحمد الثاني حاكم ماسينا، واستقبل الرحالة الألماني هنري بارث (Barth) في مقر إقامته بتومبوكتو (سبتمبر 1853 م)، ونجح في المحافظة على نفوذ زاوية القادرية في النيجر الأوسط (ماسينا وملحقاتها) الذي أصبح مهددًا من جراء توسع الحركة التجانية في حوضي السنكال والنيجر على يد الحاج عمر الفوتي بعد هزيمة أتباع القادرية المتحالفين مع جيش ماسينا في معركة كساكري (اغسطس 1856 م) وبعد أن انفصل عنها بعض الشيوخ وفي وقت اشتد فيه التنافس بين أتباعها من القبائل الصنهاجية الصحراوية والعشائر الحسانية العربية الموريتانية، فتأسست فروع ثانوية

ذلك وأنكر أن يكون جده الشيخ أحمد حمدلب من الأئمة الاثني عشر الذين يأتون بعده صلى الله عليه وسلم، ونص جواب الشيخ سيدي البكاي له رضي الله عنهما: لا أبايعك لأنك لست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبقوله لا والله لا أقبل أن تجري علي ولا من معي أحكام مولانا الشريف عبد الرحمن ولا السلطان التركي عبد المجيد، فكيف أقبل أحكام السوداني الفلاّني أحمد بن أحمد قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إن نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا،(374) وبقوله وأما أنا فلا أرضى بك إلا تلميذًا لي وإلا فصديقًا لي حبيًا أو عدوًا أجنبيًا كيف أفتدي بك وقد ذم الكفار من بنبار ابن عمك بالب بذلك فلم ترضه له الكفار فكيف أرضاه أنا لنفسي، إنما أقتدي بولي عالم كامل قطب كأبي وجدي وإلا فلا، وبقوله وأما التزام أحكامك فالنار دونه والعار وشجونه والموت وشئونه ولو كنت الإمام فكيف وأنت أحمد بن أحمد فلا مطمع في هذا مني أما ترى أنكم إلى الآن لم تملكوا غير الفلاّن في هذا من الزمان ولكن وقاحة منك وسفاهة وقلة مبالاة بما ينتج لك ذلك من كلامي وملامي فأعاملك ببعض خلاف مقصودك فأسكت عنك احترامًا [169] لجدودك وأنشدك ما قال بعض صعاليك العرب:(375)

عن الزاوية القادرية الأم منها الطريقة الفضلية للشيخ محمد فاضل مقدم الطريقة القادرية في الحوض، والسيدية التي أسسها أهل سيدي من أولاد بري (من الترارزة) على يد الشيخ سيدي الكبير وابنه أحمد بزاوية بوتلميت (صاحب الطريقة المريدية).

وأحمدو بامبا (أمادو بامبا) (1267-1346 هـ/1850-1927 م) هو عالم صوفي من منطقة السنغاي، أسس الطريقة المريدية التي لقيت إقبالاً واسعًا بمناطق زراعة الفول السوداني (Arachides) بحوض السنغال، تعرض زعيمها للمضايقة والاضطهاد من السلطات الفرنسية، فالقي القبض عليه ووضع تحت الإقامة الجبرية بالغابون (1895 م)، ثم في جلف بالسنغال (1902-1907 م)، قبل أن يتخذ موقفًا متفهمًا للفرنسيين بفعل تأثير أقاربه وأتباعه (1910 م)، فأيد انضمام أتباعه للجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى (1914-1918 م)، فسمح له الفرنسيون بالعودة إلى ديوربال (Diourbel) بالسنغال (1912 م)، ومنحوا له نيشان جوقة الشرف (Légion d'Honneur) الذي رفض تسلمه باعتباره رمزًا مسيحيًا.

وتوجد قصيدة نظمت في أحمدو بامبا طبعت منها 25000 نسخة، وناظمها هو الشيخ حمد الله أو حمدو الله (1300-1362 هـ/1882-1943 م) (Hamallah/Hamadoullah) وهو عالم صوفي موريتاني، أسس أحد فروع التجانية، وتعرض للنفي والسجن بسبب موقفه المعادي للفرنسيين، واتهم بتحريض أتباعه المريديين على إحداث الإضطرابات، كما قاوم ممثلي التجانية من العائلة العمرية الموالين للسلطات الفرنسية بالسنغال، ففضل العزلة والموت بالمنفى في مونلوصون (Montluçon) بفرنسا.

374 - استشهاد من القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 89.

375 - الصحيح أن البيتين لأبي الطيب المتنبي، خاطب فيهما علي بن إبراهيم التنوخي، ويسبق البيتين:

أحق عارف بدمعك الهم   أحدث شيء تهدا بها قَدَم

وبعدهما بيت: بكل أرض وطئتها أمم   تُرعى بعبد كأنها غنــــم

أنظر: إبراهيم العريض، فن المتنبي بعد ألف عام، دار الهوى، بيروت، 1993، ص ص. 133 - 134.

و إنمـــا الــنــاس بـالملـــــوك ولا   تــفــلــح عـــرب مــلــوكـــهــا عـجـم

إذ لا أدب عــنــدهــم ولا حـسـب   ولا عـــهـــود لـــهـــم ولا ذمـــم

و لعمري لا أعلم أمرًا من الدنيا يضطرني على ما طلبت مني إلا أن أعلم إني لا أدخل الجنة ولا أنجو من النار إلا باتباعك، إلى أن قال فكل شر خير من اتباعك وكل شر في اتباعك إذ تعزل الكبراء وتولي الصغراء وتبعد الفقهاء وتقرب السفهاء وتكبر الأبناء وتصغر الآباء وتعز أولاد البغايا وتذل أولاد المزايا، وكيف أكون في أحكامك ومن فيها يكرهها، وبقوله لا أتبع ولا تجري علي أحكام عجم الألسنة غلف القلوب يدعي المدعي أنه يكلم الله تعالى فلا يكذبونه ويدعي فيهم المدعي أن فيهم المهدي موجود فيصدقونه ويقول القائل إن ثاني عشر الخلفاء من قريش فيهم فيعتقدونه فهم كبنت عشرين لا عقل ولا دين، وأيضًا لو قبلت لنفسي وأعاذني الله من ذلك لأباه الشرع علي، فكيف أفعل ممنوعًا في شرعي مكروهًا إلى طبعي وأيضًا لا يجوز لأحد من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يبايع من ليس من أمته إلى أخر كلامه، ثم قال والحاصل أن أمر الوفاق منوط بترك أحكامكم وطرح كلامكم ونبذ مرامكم من حلالكم وحرامكم فهموه لإمامكم فإنه لا يفهم غير كلامكم، انتهى المراد من كلامه هنا. قلت وقد دعا أحمد بن أحمد الشيخ الحاج عمر إلى مبايعته أيضًا فأجابه الشيخ بجواب البكاي إلى أن أفضى ذلك إلى وقوع ما وقع بينهما. ومن جواب البكاي أيضًا لأحمد بن أحمد: فإن دعواكم أنكم على بصيرة من دينكم ما دمتم على طريقة شيخكم إن كان هو دين الإسلام فغير صحيحة ولا صادقة، كيف تكونون على بصيرة من دين الله وأنتم على سنة بشر غير نبي بل أنتم إذًا على غير بصيرة وعلى غير بصر، إلى أن قال وما ادعاها قبلكم قط أحد من بيضان العرب [170] ولا بيضان العجم فضلاً عن السودان، إلى أن قال فكيف يدعيه فلاّني بجهله لفلاّني من أهله فيسمع بأذن أو يقبل بذهن لا ها الله ما صدق من قال صدَّق من سمع وأيضًا لا أدعوكم إلى سنة أبوي شيخيّ فلا تدعوني إلى سنة أبويكم شيخيكم وأيضًا ما أنا ممن يعظم والديه بما يسبهما لفساد تصوره.

و إن لســان المــرء مــا لــم تــكــن لــه
حــصــاة عــلــى عــوراتــه لدليل[376]

إلى أن قال وأيضًا لا أقول في شيخيكم شيئًا ولا أذكرهما بشر ولا خير ولكني أشهد أنكم لستم على سيرتهما إن كانا متبعين للسنة، إلى أن قال فوحق شيخيكم ما أنتم على السنة ولو قطعتم لساني وأبعدتم مكاني ثم لا يدعي عندي مدع أنه على السنة إلا عالم بها ولا عالم بها إلا عالم بالكتاب ولا عالم بالكتاب ولا بالسنة في عصرنا هذا، إلى أن قال وأما علم بالكتاب والسنة فو الله فما هو عندكم وما أنتم بأهله ولو كنتم من أهله لجئتموني ولو حبوًا على الركب بل لم تطردوني حبًا للذهب بل للودع والخشب، فلا عالم في دهرنا لكن الإمام محمد بلّ بن الشيخ عثمان له ذوق من الكتاب والسنة وله ميل إلى علمهما ووجب له وللشيخ أحمد حظ من الفقه والتصوف ولابنه خليفته الأمير أحمد حظ من الرجولية ثم أنتم أعلم بأنفسكم والإنسان على نفسه بصيرة.

و مــهــمــا تــكــن عــنــد امــرئ مــن خــلــيــقــة
ولــو خــالــهــا تــخــفــى عــن الــنــاس تعلم[377]

إلى أن قال فليتكم قطعتم عنكم اللسان بأنكم على سنة صاحب السنة ولو كنتم كاذبين فإنه خبر لكم فإنه لا ضلال إلا أن ينتمي إلى طريقة أب له أو شيخ له خارجة عن طريق الأنبياء وسنتهم، إلى أن قالوا لك [171] إنا على مذهب العالم فلان وهو على السنة فيرضى أحدهم لنفسه أنه على مذهب لا على سنة إلى آخر كلام البكاي. قلت وقد حذف شيء من ما قبل قالوا لك، إلخ، مما لا يتم الكلام بدونه ولعله وإذا سألتهم عن دينهم مثلاً أو عن من ينتمون إليه ونحو ذلك، إلخ. ومن جواب الشيخ الحاج عمر مما يشبه هذا، فإن عامة الناس من الجهلة يتخذون آباهم وأشياخهم حجة على الشرع فيتبعونهم في التحليل والتحريم حتى يبلغوا غاية التقليد المفضي إلى الكفر وعلى هذا ورد تكفير الله تعالى لليهود حيث قال: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله،[378]

376 – البيت ينسب إلى الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد. أنظر: طرفة بن العبد، الديوان، نشر كريم البستاني، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.، ص. 81.

377 – أنظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د.ت.، ص. 88. ومما يلاحظ أن المؤلف أورد البيت ببعض الأخطاء والنص الصحيح هو:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

378 – استشهاد من القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 31.

اهـ المراد منه. قلت وقوله من بيضان العرب ولا بيضان العجم ولعل مراده ببيضان العجم البربر الذين منهم الطوارق وغيرهم من بيضان العجم وهم كثيرون والله تعالى أعلم. وفي كتاب «تبكية البكاء» للعلامة الشيخ يوركي تلف مختار بن وديعة الله التجاني الماسني التكروري[379] ما يومئ بل يصرح بأن الشيخ سيدي البكاي[380] كان قد أضمر في نفسه حب التملك لماسينا، ونصه: ثم لا عجب عندي في معاونتك أحمد بن أحمد على بقاء ملكه والحال أنك حاولت نزع الملك عن أبيه، خاطبت في ذلك بعض الفلاّن في تلك الناحية وقلت إن آل الشيخ أحمد قد بدلوا وغيروا واستهانوا بحرم العلماء والأولياء واستحلوا أموال المسلمين وتسيروا بسيرة البنابر وطلبت مني معاونتك على ذلك مراسلة وأنا في دا فأجبتك بكلام مستور بمسائل نحوية تخوفًا مني من فشو الخبر وإشارة عليك بعدم التمكن وتحاميًا عن حوض ليلى وتحاشيًا عن إنكاح الثريا سهيلاً، فكتبت إليك هذه العبارات في طيها إشارات: [172] اعلم أن إعراب الكلام عند النحاة مشروط بتركب الكلمات إن تركبت أعرب فيرفع مستحق الرفع منها وينصب مستحق النصب منها ويخفض مستحق الخفض ويجزم مستحق الجزم منها وأن الألفاظ قبل التركيب موقوفة لا معربة ولا مبنية فوقف ألفاظك قبل تركبها لا تبنها ولا تعربها وأن الفعل المضارع الصحيح الآخر مجزوم بالسكون فاجزم أنت فعلك المضارع الصحيح الآخر بالسكون، هذا ما طلبتنا في أحمد بن الشيخ أحمد وليس بأسوأ حالاً من ابنه بل ابنه أسوأ حالاً منه، إلخ «تبكية البكاء».

379 – الشيخ يوركي تلف مختار بن وديعة الله التجاني الماسني التكروري من دعاة الطريقة التجانية له «تبكية البكاء» و«جامع الأنوار في الصلاة على النبي المختار».

380 – تكرر ذكر شيوخ كنته من أسرة البكاي التي ارتبطت بالطريقة القادرية بالأزواد (ولاتة) وتومبوكتو، وكان لها نفوذ بالصحراء ومختلف أقاليم السودان الغربي، مما يجعل أسماءهم و الأحداث التي ارتبطوا بها وأثروا فيها تلتبس على القارئ، وهذا ما يتطلب الإشارة إلى أهم شيوخ أسرة البكاي:
- الشيخ أحمد البكاي بن الشيخ محمد الكنتي (ت. 910 هـ/1504 م): عرف بعلمه وصلاحه، ارتبط بالطريقة القادرية وأسس زاوية كنته الأم بقصر سي محمد بلحاج بولاتة.
- سيدي الشيخ المختار الكبير الكنتي (ت. 1226 هـ/1811 م): عرف بعلمه وصلاحه وكثرة تاليفه في التفسير والفقه ومغالبة العدو ونصرة العقيدة، وكان يعتبر أن الجهاد الأكبر هو جهاد ترويض النفس وكبحها عن الآثام.
- سيدي الشيخ محمد البكاي القادري بن سيدي الشيخ المختار الكنتي: انظر هامش رقم (560)، ص. 614.
- سيدي البكاي بن الشيخ سيدي الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي: أحمد البكاي الكنتي (ت.1282هـ/1865م): نافس أخاه الشيخ المختار الصغير الكنتي (1826–1842) (انظر ترجمته: هامش رقم (373)، ص. 243).
- سيدي محمد بن الشيخ سيدي الخليفة بن سيدي المختار الكبير المعروف بسيدي المختار الصغير: تزعم القادرية ونافسه أخوه سيدي أحمد البكاي على زعامتها.

139 – قصيدة الشيخ المختار وديعة الله يمدح فيها الشيخ عمر الماسني

ثم اعلم أن مختار بن وديعة الله المعروف بالشيخ يوركي تَلْفٍ هذا كان من جملة موارد الشيخ الحاج عمر الماسني وكان قادريًا ثم تحول تجانيًا على يد الشيخ الحاج عمر الفوتي وله تواليف عديدة مفيدة وله في شيخه هذا قصائد كثيرة وأشعار شهيرة ومن بعضها قصيدته الكاملية البائية التي مطلعها:

أخيال سلمى أم أميمة جندب
منع الرقاد فبت مثل معذب
لا ذا ولا ذا بل لذكر مقطب
هاد دليل الحائر المتذبذب
شيخ له همم سمت فسمت به
أراؤه عن كل أدنى مطلب
فيمينه فيها الندى وشماله
فيها الردى للقتل والمتحبب
ضدان حازهما فحاز لجمعه
إياهما ما نال كل مكوكب
بحر العلوم وإن علاجي مركب
فأعجب لبحر راكب في المركب
شمس الضحى ضاءت ولا كضيائها
شمس النهار بأرض فوت المغرب

[173]

هنيتمو أيا أهل فوت بكامل
طب خبير بالدواء مطبب
شدوا بأيديكم عليه فإنه الكبريت الأحمر عند كل مهذب

لا شك في تخليفه عن شيخنا
ختم الختوم ممن كل مقطب
قل للمقصر عن دخول طريقه المثلى خسرت تجارة في المكسب
و لمن أبى لقياه في أيامه
إن المراتب قد شأونك فاطلب

إلى آخرها، وله في شيخه هذا قصائد جيدات غير هذه وقد قتله الماسنيون صبرًا في بعض حروبهم مع تجان في شهر الله ذي الحجة عام 1280هـ.(381)

140 – قصة المرأة الزانية وموقف زوجها من مولودها

وقد بلغني من أخبار ماسينا أن الشيخ أحمد حمدلب وابنه أحمد وابن ابنه أحمد ماحمد قد أرسل يومًا جيشًا إلى بعض الكفار فتأخر رجوعهم إلى أهاليهم قدر ثلاث سنين أو أكثر فحملت امرأة أحدهم من زنى عندما قرب قفولهم وكانت النساء في زمنهم محجوبات، فلما قدم الجيش وخلا زوج المرأة الحبلى من الزنى بها ليلاً قالت له إني قد ابتليت بعدك بالحمل من غيرك وقد قربت ولادتي فقال ولعله لم يشعر به أحد فقالت لا إلا الله تعالى، فقال أحسنت فأمسك نفسه عنها إلى أن ولدت في بعض الليالي فحمل الولد إلى المسجد فوضعه في رحبته ليلاً وكان من عادة الإمام أن يربي مثل هذا الولد من بيت المال ويؤدبه وإذا كبر يجعله من جملة عسكره، فلما حضر الإمام وصلوا الصبح والغلام يبكي نادى من يقوم لي في إرضاع هذا الولد ولمرضعته في كل شهر كذا فابتدر زوج المرأة وقال أنا فإن لي امرأة ترضعه بلبنها فدعا له بخير وأمره بحمله إلى امرأته فحمله ورده إلى أمه من غير علم أحد، فسبحان من حسن خلق هذا الزوج ووسع لبه وأكمل مروءته وأصلح سريرته، فجزى الله [174] الجميع بالعفو والغفران والرحمة والرضوان فإنه تعالى أهل لذلك ومتفضل على من هنا وهنالك.

141 – بعض قبائل فلاّن ماسينا وما اشتهروا به من صفات

ثم اعلم أن من قبائل فلاّن ماسينا كب وكمكل وكوتي ويالرب وسناب وأوررب وجلب وولرب وجفراب ويرليب وسوسوب وسبنكوب، ومن أجملهم وأحزاهم ورقيا وهم أهل حزاء

381 – سنة 1280هـ توافق سنة 1863 م.

جدًّا يعرفون الغيب في الحيوانات بالتوسم، ومن ألسنهم كوتينكوب، ومن أسخاهم فرمك، ومن أعلمهم سوسوب تكر، ومن ألأمهم جفراب، ومن أشجعهم بعد يرليب الذين هم قبيلة دك سناب وكبنكوب، وقد قيل فيهم سوسب شر هلب سري أي لفرط حيائهم، وأسحر أهل ماسينا أهل وركير كجير وزنًا لا معنى وسقلب وهم فلاحون وحواتون لا ماشية لهم إلا أنهم أحرار وليسوا كالسماكين، والذين لقبهم دك هم الأمراء من جلب فمن صار منهم أميرًا في ماسينا صار لقبه دك وهو لقب أَرْطُ خاصة، وقيل غير ذلك والله أعلم. وقيل أن أسرع أُرْزِ ماسينا إفراكًا وطيبًا وأبركها وأزكاها طبخًا بكرتب وفيه خطوط أسود وإذا أنبض في الكف يصوت جدًّا ويليه في سرعة الإفراك والطيب أرز عندهم يسمونه ياوك، وعندهم أيضًا أرز أخر يكبر مع السيل ويكبر عند انتهائه، وعندهم غير ذلك من المأكولات الطيبات والله تعالى أعلم. انتهى ما انتهى إلي من أخبار ماسينا ويليه تاريخ وكد.

142 – ألقاب أهل وكد وبعض أخبارهم

[175] إن شاء الله تعالى ألقاب أهل وكد: سيسي، وهو لقب أميرها وساخو وياتبر وسلي وكمر وسامسا وجاكراك وترور وسمار ولقب جاراب وكددبته ولقب كسرفي وكد دفيما خوس ولقب الدباغ أي كرنك في وكد كناس ولقب الحداد في وكد بموثودوق، ويسمى الذين هم في وكد مثل كلياب عندنا جوخا كمه، وأول أمير فيها كما قيل دق ويسمى أيضًا منق سيسي وهو والد صمب سيسي ويسميه بعضهم جابي سيسي أمير، وكذلك المشهور المنصور ووزراؤه أربعة وهم وكنبي ساغو وكان من أكبر أمراء جيوش وكد، وجامير ترور وقيل جامير سلي، وكومبي كومن، وكسي كمر، وهؤلاء الأربعة هم السادات في زمنه يناكحونه وينكح منهم بخلاف غيرهم، وقد كان ياتبر من رجل اسمه أحمد الكيري وكان إمام مسلميهم في صلاتهم بعدما كان السماري هو إمام مسجدهم، فلما رضوا بالياتبري وقدموه إماما لهم تلا عن الياتبري والسماري بأن قال للياتبري لا كثركم الله في بلد واحد، وقال هو للسماري لا رزقكم الله الاستقامة على الهدى فاستجيب دعاء الكل على الآخر كما قيل، والياتبريون لا يكثرون في بلد، والسماري قلمًا يستقيم على الهدى [176] والله تعالى أعلم. ومعنى يات في لغة سرخل الأسد، ومعنى بر السرير المنصوب، وذلك أن أحمد الكيري قتل أسدًا فحملوا الأسد على عادتهم وجعلوه على فراشه مسجى، فقيل له ياتبر أي أسد الفراش فجرى له لقبًا ولبنيه إلى الآن.

143 – أخبار عن أمير وكد وأبنائه وحكاية الابن الذي يشبه الحية

وقيل إن أمير وكد دق جاء من المشرق إلى جن فتزوج فيها امرأة ولم تلد له وتزوج أخرى فولدت له ثلاثة بنين فمات أحدهم وبقي اثنان، وأحد الباقين اسمه جافن والد جكنبي ومنه جاء فننكوب والآخر اسمه جكفن ومنه قبيلة سوار، وقيل إن لدق زوجات من الجن اسم إحداهن جنكن بره والأخرى كتبره والأخرى سنكا كلي سني خره، فولدت له جنكن بره خمسة أولاد ذكور وولدًا كالحية، واحد منهم اسمه تركن منه قبيلة سغن وهم الآن في كدوم وكثير منهم في كدمغ وانجاج بن وكثير منهم الآن من أهل العلم وقيل إن من خاصيتهم جلب المطر أو دفعه، والثاني منهم اسمه ترنكل وقد مات ولم يعقب، والثالث منهم اسمه لنفكي ممد بند مبري ومنه قبيلة برت ومنهم دار واحدة الآن في جول، والرابع اسمه كركده ومنه سامكا جاني وكثير منهم الآن في كيهيد وهم أهل سحر جدًا، والخامس منهم اسمه تنكم مد كبدا ومنه قبيلة جابي، وأما الولد الذي يشبه الحية فمنه البيضان إدوعيش، وقد نقلت كثيرًا من هذا من كمادي ماتم مس كلمبن عام 1921،[382] وذلك أي المنقول من مس كلمبن من قولي، وقيل أن أمير وكد دق جاء، إلخ، والله تعالى أعلم. قلت وأنا أظن أن الذي خرج من الولد الذي يشبه الحية الرجل الذي سمي باسمه أرض جمبغ وهو جمبن تنكي، قيل هو أول من سكن جمبغ [177] هنا وكان إذا تزوج امرأة لا تلد له إلا حية إلى أن جاءه شيخ اسمه بلله ماريك فسكن معه واشتكى إلى الشيخ أمره فدعا له مبتهلاً إلى الله تعالى أن رزقه الله الأولاد على صور الآدميين، وقيل فإلى الآن إن كل ولد يولد لهم تجيء حية وتسكن معه في البيت وقيل في الفراش مع الولد إلى أن تتم سبعة أيام فتغيب الحية عنهم وهكذا إلى الآن وقيل إن كل مولود لهم ولم تسكن معه الحية قبل تمام السبعة الأيام فإنهم يرتابون في كونه من نسلهم أو من زنى، ولقبهم بيران سه ومعناه قبيلة الحيات.[383]

144 – استغاثة وكُبنى ساغو (سَغْ أوسَكْ) بأمير وكد وقصته معهم

ومن زمن سكنى بلله[384] ماريك إلى الآن 664 سنة كما قيل، وهذه السنة 1339 من الهجرة[385] والله أعلم، وقيل إن وكُبنى ساغو كان قبيح المنظر متراكب الأسنان، وقد أتاهم

382 – عام 1921 يوافق 1340 هـ.

383 – تعليق المؤلف: وقيل لقبهم بيداناس ومعنى بيدا الحية السوداء في لغة سرخل والله أعلم.

384 – تعليق المؤلف: ومعنى بلله عبد الله.

385 – سنة 1339 هـ توافق 1920 م.

رجل مع قومه يستعينون بأمير وكد على أعدائهم فأمرهم بأن يذهبوا إلى وكُبنى ساغو ليعينهم على أعدائهم وكان من أشجع الناس ومن عوائده إذا دخل في الحرب يقتل مائة رجل ومعه عبده وهو شجاع مثله أيضًا يقتل في الحرب تسعة وتسعين نفسًا، فلما دلوهم على وكُبنى وجدوه نائمًا يغط غطيطه واللعاب يسيل من فمه فدنا إليه ذلك المستغيث فقال له الجيش الجيش، فقام فزعًا وقتل من أصحاب المستغيث مائة رجل وقتل عبده تسعة وتسعين رجلاً، فقال المستغيث أكفف أكفف يا هذا فإن هذه الفتنة والمصيبة راجعة إلينا ومعناه [178] في لغة سرخل كيد كرن جان، فحرف لفظ دكري للمستغيث لقبًا ولبنيه إلى الآن.(386)

145 - ذكر ساخوب ولهجاتهم وهجرتهم إلى النيل الفوتي (النيجر) وذرياتهم

ومن وكني هذا أصل جميع ساخوب الذين في فوت وغيرها وقد هاجر ساخوب لما فسد وكد وانتشروا في البلاد ومنهم من صار لسانه مندنكيا نحو تنبابكر الذي قاتل الشيخ عمر في طابة في دكراو، وكثير منهم بقي على لسانه السرنخلي كرؤساء قرية جور في كلم، ومنهم من صار لسانه فلاّنيًا كأهل سارن بسمور لأنه لما فسد وكد هاجر هو ومن معه ودخلوا في أرض البياضين وانقطعوا إلى براكنة ومكثوا معهم أزمنة متطاولة ثم نزلوا إلى النيل الفوتي فنزلت هجرتهم تحت أشجار وسيدهم تحت شجرة كانت ضفرت تحتها فلاّنية رأسها واسمها بس قيل إنها من جاوب وقيل إنها من بنات جوم بار اسم جبل في مرتن كسك، فأضيف رئيسهم إليها فقيل له سرن بسمور، والأصل الشيخ الذي نزل تحت شجرة بس مورنو وبس اسم الفلاّنية كما تقدم وموراد تضفير الرأس لا غير، والباقون منهم الآن ذرية سري مختار ودرمان مختار، وسري والد أحمد سري والد عبد الله أحمد وعبد الرحمن أحمد ومختار أحمد وسري أحمد، وأما عبد الله أحمد فهو والد مختار عبد الله المقتول في سنسن وهو والد الشيخ العلامة والحبر الفهامة ساري أحمد مختار وعبد الله أحمد والد مختار هذا هو أيضًا والد مصطفى المقتول في كرت ويوسف المقتول في كلمن وسري آدم المقتول في كم وسري آدم هذا أمه فاتمة آدم أخت [179] للشيخ الحاج عمر والدهما سارن سعيد، وأما عبد الرحمن أحمد فهو ولد لِمَنْ عبد الرحمن والد عبد الرحمن لمن الذي هو عبد

386 - تعليق المؤلف: وذكر بعضهم أن من ذرية وختي ساغو خمسة أولاد، فسكن أحدهم في كسبال والآخر في جاكل والآخر في يكل والآخر في كومل والآخر هو ساري بسمور.

الرحمن ساخو، وأما مختار أحمد فهو والد عثمان مختار ومحمود مختار الذي هو محمود سل، وأما سري أحمد فهو والد محمد سري والد أحمد مجد، وأما درمان مختار فهو والد عبد الله درمان والد سارن لمن ساخ الذي علم الشيخ عمر القرآن وهو زوج أخته فاتمة آدم، ولسارن لمن ساخ من الأولاد ألفا محمد الذي كان قائدًا من قواد الأمير أحمد بن الشيخ عمر وقد قتل في سنسند، وبعد موته ناب منابه عبدل همد الذي كان من أهل كدل لأنه كان من أفره وزرائه في حياته، وسارن لمن ساخ قد زوج بنته جليا لسارن وس أحمد وهي أم سعيد جليا وعبد الله جليا والعلامة الشيخ عمر جليا والد محمود عال التاجر الذي في ماتم الآن، وسارن وس أحمد هذا والد سخن تور وأمها من تلكرناب سنسبمب وهي أم خليلي سارن بل الهناري والد بوكركد الذي يتعلم الآن اللغة الفرانساوية، وسارن وس أحمد المذكور شقيق لسارن وس محمد والدباب تور الذي في همد هنار الآن وهؤلاء من قبيلة تور، فأول ظهور تور في مندي وأهله أهل العلم فيها ويقال تور مندي مور أي شيخ مندي والله تعالى أعلم. وأما أهل ساخو الذين مر ذكرهم فكل رئيس منهم يلقب بسارن بسمور والله أعلم.

146 - ذكر أهل جافن وكنكل وبعض أخبارهم

وأما أهل جافن فأصلهم كما قيل من وكد أيضًا ولما فسد هاجروا وسكنوا في كمب ثم خرجوا منها لفتنة وقعت بين أخوين منهم لتنازعهما في الأمر [180] فتحاربا وغلب الكبير منهما الصغير فخرج مهاجرًا إلى جافن فوجدوا فيها أسوانك لقبهم جكن واستولى عليهم من غير حرب ولا فتنة ولقبه دكري وهو لقب رؤساء جافن اليوم. وأما أهل كنكن فأصلهم جافن أيضًا كما تواترت به الأخبار، وفودي بن محمود هو الذي جاهد أرض كنكن بعد مجيء الشيخ الحاج عمر وتلمّذه له، وزعموا أنه أخذ من الشيخ الاسم الأعظم ولقبه جختي وقبيلته تسمى قبيلة كبي ويزعمون أن أصلهم من حمزة بن عبد المطلب وهم رؤساء كنكن اليوم وفيها قوم لقبهم كامغر سادات فيها ولكن الجختيين هم المقدمون عليهم وهكذا حالهم إلى أن أتاهم سامور فحاربهم ونزع الأمر من أيديهم والله تعالى أعلم، وقيل إن أهل كنكن من أهل وكد ولما فسدت هاجروا منها إلى كنكن ولم يمروا بجافن قط والله تعالى أعلم. وقيل أيضًا أن سرخل الذين في جول وبعض من في كيهيد خرجوا من جافن لجوع شديد أصابهم هنالك فجاؤوا لفوت عام جبياب، ومن الذين في كيهيد ممد كدي أخو فاكر الجولي وبنا فاتم وعنسمان جاج

تنجي وفودي مام سر فاتم أخو جابي مام سر فهؤلاء في كيهيد من أهل جافن وفي مَدِين (مدينة) جاجب داران من أهل جافن إحداهما من قبيلة سلي والأخرى درام وكذا أهل لقب تمبد من جافن جاؤوا أيضًا عام جبياب، ولقب أمراء جافن دكري والملكون لهم قبيلة كسم، وأهل سلي هم الذين يقدمون واحدًا من أهل كسم فيكون حينئذٍ أكبر الوزراء فيقدم من يليق بالتقديم من أهل دكري، وزعموا أصل سلي من عباس بن مرداس السلي.

147 - نشأة وكد وحكايتهم مع النسر والثعبان

وزعموا أن كيفية ابتداء وكد أن أهلها قبل سكناها [181] هاجروا يطلبون مسكنًا راكبين خيولهم يجولون حتى مروا تحت نسر على شجرة والنسر لا ريش له وسألهم النسر عن حاجتهم، فقالوا نطلب مسكنًا، فقال أعرف مسكنًا يكثر فيه الذهب والفضة كالمطر، فقالوا دلنا عليه، فقال لا أقدر على الطيران لانحصاص ريشي بالجوع، فقالوا إن داويناك باللحم حتى نبت لك الريش هل تدلنا على ذلك المسكن، فقال نعم، فجعلوا كل أسبوع يتناوبون فيه بمهر من الخيل سمين يأتون للنسر به فيقتلونه له فمازالوا هكذا حتى سمن النسر ونبت ريشه، فقال الآن قدرت على أن أريكم المسكن فطار النسر فتبعوه إلى أن أتوا وكد، فقال لهم هاهنا فاسكنوا، فنزلوا فرأوا هنالك ثعبانًا عظيمًا كالفيل وقالوا له نريد أن نسكن معك هنا، فقال نعم بشرط أن تؤجروني كل سنة ببنت بكر من بناتكم حسينة، فقبلوا هذا الشرط الفاسد وسكنوا وجعلوا يتناوبون إخراج البكر بينهم، فما زالوا على هذا سنين عديدة حتى جاءت النوبة ذات سنة على قبيلة ياتبر ولهم بنت جميلة اسمها أسيا ولها خادم من قبيلة ساخو يسمى مامد سف دختي فلما دنت ليلة رمي البكر للثعبان جاء مامد إلى عجوز واسمها دمب تنكر أنها هي التي تشيع البكر إلى الثعبان فسألها عن كيفية التقام الثعبان للأبكار، فقالت يأتي أولاً مع غبار ثم يرجع ثم يأتي ثانيًا مع دخان ثم يأتي ثالثًا مع نار ثم يلتقم، وقال لها عزمت على قتله ولكن اكتمي الأمر وإلا قتلتك ثم ذهب إلى الحداد ليحد ويسن له سيفه ففعل حتى صار يبري العظم ويفلق الصخرة وذكر له ما عزم عليه واستكتمه أمره وقال له إن ظهر ما أسررته إليك قتلتك فقال نعم، ثم انتظر ليلة تسليم البكر للثعبان وجعلوا يلعبون

لذلك كالعيد فلما جاءت الليلة وحان تسليمها إليه [182] ركبوا خيولهم وأخرجوا البكر إلى الثعبان فتبعهم جميع قومهم ومامد سف دختي راكبًا جواده ولا يسبقه يومئذٍ من خيل وكد إلا فرس خاله محمد سلي، فلما سلموها للعجوز وقادتها إلى الثعبان وفعل كما ذكرنا أولاً إلى آخر المرات، فابتدر مامد سف دختي وقطع رأسه فطار في الهواء قائلاً قد فسد المسكن فلا يمطر عليكم مطر إلا بعد سبعة أعوام، فهرب مامد وتبعه أهل وكد يريدون قتله فسبقهم فرسه إلا خاله فقد لحقه بعد أن غابا عن أعين الناس وكره أن يقتله فطعن رمحه في الأرض فغاص الرمح فيها فوقف هنالك حتى جاءت خيل قومه فاستعان بهم على قلع الرمح وزعم أنه لحقه ورماه بالرمح فأخطأه فأعانوه وقلعوه من الأرض، ثم تبعه ثانيًا ففعل مثل ذلك أيضًا، ثم ثالثًا كذلك حتى فات مامد سف دختي والحمد لله رب العالمين، ومن ذرية عجوز وكد دمب تنكر هذه من سكن في جاكل اليوم كما قيل والله تعالى أعلم. وزعم سارن إبراهيم دو من أهل ولف في ذكر هجرتهم من مصر إلى فوت وجلف أن وكد سميت باسم أحد من كبراء تلك الهجرة جكاوكاد، وأن مندق من كلام ولف، وذلك أنهم لما هاجروا من مصر إلى وكد فسكنوا فيها ثم لما فسدت هاجروا إلى مندق وأرسلوا قومًا منهم يطلبون لهم مسكن من سبقهم إلى المغرب من الذين خرجوا من مصر أولاً فسكنوا في جلف قبلهم وهم سابور منجفاي وبلب عال كرل وبلب باب وبلب سم، فهم أول من هاجر من مصر وسكنوا في جلف كما زعم، فلما ذهب رسل أهل وكد ووصلوا جلف رأوهم ورجعوا إلى قومهم فسألوهم هل مسكنكم بعيد من هنا أم لا، وكانوا في مندق، فقالوا مند قل دي أي بعيد جدًا، فسمي ذلك البلد مندق، ثم ساق أخبارهم إلى آخرها في كلام مظلم لا يحتمل بعضه العقل.[387] قلت ولكن الكثير من أهل كجور وجلف وسرير يعرفون وكد ويذكرونه وينتسبون إليه والله تعالى أعلم، ثم قلت ولعل الثعبان الذي عند وكد كان من جلقاتهم أي أصنامهم [183] أي أصنامهم السحرية، فبعض كفار الفلان إلى الآن يتخذون جلق في مساكنهم على صورة الحية على شروط لذلك الصنم فمتى اختل شرط منها يصيبهم شيء يضر بهم، ويزعمون أنه يكثر مواشيهم ويقضي حوائجهم وهم يذبحون له الغنم والدجاج ويتكلمون معه في زعمهم والله أعلم.

387 - وهنا يظهر المؤلف موضوعيته ونظرته العلمية وعدم قبول الأمور غير المنطقية، رغم أن تلك الاعتقادات راسخة في المجتمعات المحلية بالسودان (قصة الثعبان).

148 – فيضان النيل وإبطال الخليفة عمر بن الخطاب (ض) عادة إلقاء الفتاة فيه

قلت وكانت في مصر عادة مثل هذه، وفي أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول أن عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى إليه أهلها وقالوا يا أيها الأمير لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فقال لهم وما هي، قالوا إنه إذا كان اثنتي عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر القبط عمدنا إلى جارية بكر وأخذناها من أبويها وحملناها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم نلقيها في النيل، فقال لهم عمرو لا يكون هذا في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤنة وأبيب ومسري لا يجري النيل فيها لا قليلاً ولا كثيرًا حتى هم أهل مصر بالرحيل، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص إني كتبت لك بطاقة فألقها في النيل، فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد، فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن مصر وصار يعمل في ليلة وفاء النيل المبارك في كل سنة إشارة عظيمة كبيرة ينصب بها قناديل تعلق بحبال كثيرة على أخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير في البحر وذلك باق مستمر إلى تاريخه، قلت تاريخه كان عام 1216.[388]

149 – موسم فيضان النيل وذكر الشهور القبطية

وشهر بؤنة في القبط هو شهر مايه (مايو) في الإفرنج لأن النيل المصري [184] تدخل فيه الزيادة أواخر شهر مايه الإفرنجي أو أوائل شهر يونيه الإفرنجي أيضًا، وكذلك العادة في النيل الفوتي[389] أو قريبًا من ما ذكر، فيا لله العجب. وفي «قطف الزهور في أخبار الدهور»: يفيض نيل مصر في مدة معينة تقريبًا 14 حزيران وأواسط أيلول، فيبتدئ النهر في الازدياد قليلاً قليلاً في مدة ثلاثة أشهر وفي أب تفتح الترع ويجري فيها وتمتد إلى داخل الأراضي البعيدة وتسقيها، ثم من أول تشرين الأول يبتدئ بالتناقص إلى آخر أيار ولولاه

388 – عام 1216 هـ يوافق 1801 م.

389 – النيل الفوتي أو نيل السودان، المراد به نهر النيجر (أنظر هامش رقم (225)، ص. 180).

لكانت ديار مصر في حالة تعيسة لقلة الأمطار. قلت وحزيران هو يونيه وأيلول هم شتنبر وأب هو أغشت وتشرين الأول هو أكتوبر وأيار هو مايه، وقد تقدم تفسير الشهور السريانية في تاريخ مل. قلت أيضًا ولعل قوله وأواسط أيلول أي إلى أواسط أيلول إلخ، أقول أيضًا وحيث ورد ذكر الشهور القبطية، اعلم أن السنة القبطية تبتدئ بتوت وهو أغشت ثم بابه ثم هاتور ثم كيهك ثم طوبة ثم أمشير ثم برمهات ثم برمودة ثم بشنس ثم بؤنة ثم أبيب ثم مسري، هـ، كما تقول أغشت، شتنبر، أكتوبر، نونبر، دجنبر، يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايه، يونيه، يوليه، هـ، وكلها ثلاثون ثلاثون إلا الأخير فأيامه خمسة وثلاثون يومًا إلا الأول ففيه تسعة وعشرون يومًا كما في «الممتع على المقنع» للسوسي[390] رحمه الله تعالى.

150 – حكاية المغربي مع عفريت جزائر ديبة وإسلام أهلها نقلاً عن ابن بطوطة

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته[391] مثل هذه العادة السيئة أيضًا، فقال عند ذكر جزائر ذيبة المهل ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر وذكر العفاريت من الجن التي تضر بها في كل شهر: حدثني الثقاة من أهلها كالفقيه عيسى اليمني والفقيه [185] والفقيه معلم علي والقاضي عبد الله وجماعة سواهم أن أهل هذه الجزائر كانوا كفارًا وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عادتهم إذا رأوه أخذوا جارية بكرًا فزينوها وأدخلوها إلى بدخانة وهي بيت الأصنام وكان مبنيًا على ضفة البحر وله طاق ينظر إليه، ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفضوضة ميتة، ولا يزالون في كل شهر يقترعون بينهم فمن أصابته القرعة أعطى بنته، ثم إنه قدم إليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري وكان حافظًا للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم بجزائر ذيبة المهل، فدخل عليها يومًا وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه فأتى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت، فقال لها أبو البركات أنا أتوجه عوضًا من ابنتك بالليل وكان سناطًا لا لحية له، فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بدخانة وهو متوضئ وأقام

390 – أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيتي (ت. 1089 هـ/1678 م)، الممتع في شرح المقنع في علم ابن المقرع (في علم الميقات)، ط. فاس، 1313 هـ، ط. الجزائر، 1326 هـ.

391 – رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 62-63.

يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القرآن غاص في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله، فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقونها فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به إلى ملكهم وكان يسمى شنورازة وعلموه بخبره، فعجب منه وعرض المغربي عليه الإسلام ورغبه فيه، فقال أقم عندنا إلى الشهر الآخر فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت، فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام [186] فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته، ثم حمل المغربي لما دخل الشهر إلى بدخانة ولم يأت العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الأصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها، فأقام المغربي عندهم معظمًا وتمذهبوا بمذهبه مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وهم إلى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبنى مسجدًا هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشًا في الخشب: أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي وجعل السلطان ثلث مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذ كان إسلامه بسببهم وهم على ذلك حتى الآن، وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الإسلام، ولما دخلناها لم يكن لي علم بشأنه فبينما أنا ليلة في بعض شأني إذ سمعت الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الأولاد وعلى رؤوسهم المصاحف والنساء يضربن الطسوت وأواني النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ما شأنكم فقالوا ألا تنظر إلى البحر، فنظرت فإذا مثل المركب الكبير كأنه مملوء سرج ومشاعل فقالوا العفريت وعادته أن يظهر مرة في الشهر فإذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا، انتهى المراد من رحلة ابن بطوطة رحمه الله.(392)

151 - اكتشاف الذهب بالسودان واشتهار دولة صمب سيسي بسبب ذلك

وزعم محمد الداعي المعروف بألفا دمب كيناك أن جامي جاور السرنخلية التي كانت في قدور أخبرته بأن دولة وكد كانت غير قوية إلى زمن الأمير صمب سيسي فأصابتهم في بعض سنة مجاعة شديدة فخرجت امرأة من نسائهم أو أمة من إمائهم تحفر قرى النمل

392 - تعليق المؤلف: قلت وجزائر ذيبة المهل في جهة بلاد الصين كما يعلم ذلك من ذلك الكتاب والله تعالى أعلم.

لطلب القوت مع جملة النساء الخارجات لذلك [187]، فلما حفرت المرأة قرية من قرى النمل أثارت فخارًا مملوءًا ذهبًا إبريزًا ولم تعلم بأنه ذهب فأخذت منه قليلاً تحسبه نحاسًا فأتت به إلى صائغ ليصوغه وتبيعه بما تأكل، فلما رآها الناس تبيع هذا الذهب بثمن بخس ظنوها سارقة ونموا بها إلى أميرهم صمب سيسي فأحضرها وسألها عن أمرها مع الذهب فقصت عليه القصة فجعل الأمير معها أناسًا يأتونه بذلك الفخار، فلما حفروه وجدوا معه غيره من الفخارات المملوءة ذهبًا فأتوه بها كلها فأعطى المرأة ما يكفيها من الذهب وقال لها إن هذا ذهب لا نحاس، وخزن ما بقي منه وجعل يحضر به الجيوش ويحارب به البلاد ويغلبها واشتهر أمره وارتفعت دولته على الدول السودانية حوله، ومن هذا الأمير انتشار دولتهم وكانت لصمب سيسي هذا خيمة لها أربع قوائم كل قائمة منها يحفظها ألف عبد ورئيسهم يسمى فرب، فالكل في حفظ الخيمة فأقاموا على ذلك أزمنة متطاولة. قلت ولعل الذهب كان مخزونًا في تلك الخيمة والله تعالى أعلم. فبينما هم كذلك إلى أن أتاهم جيش عمرو بن العاص، قلت أيضًا ولعله جيش أبي بكر بن عامر اللمتوني،(393) فحاربهم وهزمهم وأجلاهم فتفرقوا في البلاد هاربين بعدما دفنوا ذهبهم بعدما تيقنوا بأنهم مغلوبون وأتى بعضهم إلى فوت تور ومنهم فرب جول وفرمال وفرب أرم وفرب والل وفرب جم، فأصل الكل من وكد عبيد لسلطانها صمب سيسي وكل واحد منهم دخل في الفلان وسكن معهم حتى صار الأمر إليه وتسمى بفرب والله تعالى أعلم. ثم لما سكنت الفتنة ورجعت الجيوش عن وكد بعدما أفسدوها كل الإفساد رجع بعض الناس الذين يعرفون موضع دفن الذهب فحملوه وذهبوا به إلى ساغو ودفنوه تحت شجرة يقال لها كارلو وهي معنى ساغو سيكر، إلى أن أتاهم [188] قناص يسمى بتو فحاربهم وطردهم عن ذلك الموضع ولما علم واطلع عليه سكن عنده واتخذه قنية فالذهب الكثير الذي كان يذكر في ساغو منه فصار بتو أميرًا كبيرًا لذلك كما زعموا والله تعالى أعلم. ولكن الظن أن ملك وكد لما فسد إنما قام بعده ملك مندق التي اشتهر ملوكها سنجت مع ملك سمنكر ثم ملك جاو ثم ملك ساغو والله تعالى أعلم. وقد أخبرني فودي عبد جكن في واود بأن ملك وكد لما فسد وأهله سيسي قام ملك كنات مندق وأهله كيتا وهم أهل سب، فلما فسد ملكهم قام ملك جاور ولقبهم نبيس ثم صار جاور وكان لقبًا للاقط دامنكل الدباغ والله تعالى أعلم بصحة ذلك. قلت وفيما قيل بأن وكد أفسدها عمرو بن العاص أو

393 - يحاول المؤلف أن يرجع سبب ذلك إلى حملة أبي بكر اللمتوني.

أبو بكر بن عامر اللمتوني مخالفة لما تواتر على الألسنة بأن الذي أفسدها قتل مامد سف دختي لحيتها الجلقية أي الصنمية، انظر بعقلك هل يمكن جمع الروايتين أم لا تأمل، انتهى ما التقطته من تاريخ وكد والله تعالى أعلم وأستغفره لما زلت به القدم أو طغى به القلم، ويليه تاريخ مندق إن شاء الله تعالى.

152 – ذكر مندق وتمكن سمنكر من القضاء على ملوكهم

و أما تاريخ مندق، فقد زعم بعضهم أن حدها من كيت إلى بمكو وإلى كدس وإلى بور من الجهات الأربع، وأول من ملكها سبنكوب وهم من ملنكوب لا أدري هل أصلهم من أهل مالي الذين ذكرهم أم لا والله تعالى أعلم، وما زالوا يغلبون من حاربهم إلى أن ظهر سمنكر الذي قيل أن أصله من عبيد أهل سيسي في وكد بعد فسادها، فكانوا يحاربونه فيغلبهم [189] ويقتل ملكهم إلى أن قتل من ملوكهم سبعة وقيل اثني عشر ملكًا وبسط أمره، كما قيل إنه من عبيد سيسلنكوب الذين انتشروا من فتنة وكد وذهبوا إلى مندق ثم إن عبيدهم انتشروا وتفرقوا لطلب المعيشة وسكن سمنكر في قرية تسمى تمبن تنتبا وكان سمنكر يحرث وإذا حصد زرعه يقسمه نصفين قسمة لنفسه وقسمة لسيده، فما زال دأبه هكذا إلى أن كثر رزقه جدًّا وتوجهت الناس إليه من كل جانب ومكان للسكنى معه لكون مسكنه يصلح فيه الزرع جدًّا واكتسب المال الكثير وبنى القصور واشترى الخيل وأسمنهم جدًّا، فصار كل من أراد أن يسمن فرسه يذهب إلى تلك القرية فصاروا يسمون القرية قرية الخيل صوصو ومعنى صو الفرس ولعلها سميت بلفظ الفرس مكررًا والله تعالى أعلم، ثم ما زال سمنكر يقاسم زرعه مع سيده إلى أن كثر قومه وأطاعوه جدًّا في كل ما أمر ونهى، فلما رأى ذلك وقد حان الحصاد وجاء رسل سيده للمقاسمة صعد فوق قصره وقال بأعلى صوته أبيت أبيت، فرجع الرسل على السيد بلا شيء، فأرسل إليه السيد أيضًا رسلاً تترى يطلب حصته من الزرع، فلم يقبل واشتكاه السيد إلى أمير مندق، فأرسل أحد وزرائه يسمى فمنقور مع قوال له أي جليج اسمه بلكوات، فأتيا إلى سمنكر فقالا له إن أمير مندق أمرك أن تعطي لسيدك حصته من زرعك، فأبى أيضًا وأخذ القوال ومنعه من الرجوع كرهًا واصطفاه لنفسه لمهارته في ضرب المزمار، ورجع فمنقور إلى الأمير وأخبره بقول سمنكر وفعله، فأرسل إليه الأمير بأن يرد إليه قواله فأبى فاستجاش الأمير جيشًا فذهب إليه مع جيشه، فخرج إليه سمنكر

فتقاتلا وهزمه سمنكر وقتله واسم ذلك الأمير كما قيل كردنيا، [190] ثم تخلف على أهل مندق ميس كر فقتله سمنكر أيضًا، ثم تخلف عليهم أيضًا ميس قند فقتله سمنكر، ثم فربق كمخا فقتله، ثم كج ميس مخ فقتله، ثم جخمبا دنيا فقتله، ثم كلمبا فقتله، ثم ميس خير نتبي فقتله، ثم بكر والد الحاج موسى، والحاصل أنه قتل منهم اثني عشر ملكًا كما قيل، والله تعالى أعلم.

153 – حكاية رجوع سنجت إلى مندق وعزمه على الانتقام من سمنكر

وكان سنجت قد ولد أقعد وقد بلغ الحلم وهو أقعد ثم من الله تعالى عليه بالقيام والاستقامة في المشي بعد ذلك، قيل بسبب غضب شديد حصل له، فلما غضب طلب عصا من الحديد وتوكأ عليها فقام بإذن الله تعالى، ثم إنه ما زال في مندق راميًا من الرماة فبغضه بنو عمه وجعلوا يسحرونه، فقال له السحرة نرى أن تخرج الآن من هذه البلاد وهو أفضل لك وسترجع إليها ملكًا كبيرًا، فقبل كلامهم فخرج متغربًا مهاجرًا مع أمه سكلن كنتبي، وقيل أن كنتبي وجر بمعنى واحد، ومعه أخوه الصغير الشقيق بكر كنات وأخته جما سوخه، وقيل سكا سوخه، فذهبوا إلى أرض ميم وهي بلاد في ملك فرن برام تنكر وهو ملك كسات يومئذ، وكسات قبيلة من سرخل كما أن كجاك قبيلة من سرخل أيضًا، وألقاب أهل كسات تنكر وهم الملوك، ثم دكري وسمقري ودنبا كمسخ إلى غير ذلك من ألقابهم، ودولة كسات من الدول السودانية الأولى وسنلم بشيء من ذكرهم في ختام هذا الباب إن شاء الله تعالى. وكان سنجت في ميم صيادًا يقتل الأفيال وغيرها، فما زال هنالك إلى أن ظهر سمنكر المذكور وقتل من قتل من ملوكهم واتفق سحرة مندق وكهانها بأنه لا يغلبه إلا سنجت وإلا يَفْسُدُ ملك مندق، وقيل إن سمنكر لما قتل من قتل من ملوكهم اجتمع أولاد الملوك الباقون وأحضروا مشائخهم من أهل سيسي وتور وخما وبرتي وجانه، ثم أمرهم أن يدخلوا لهم الخلوة فدخلوا ومكثوا فيها سبعة أشهر، فخرج أربعة منهم مخبرين باليأس من سمنكر وأن لا سبيل إليه لأحدهم وكان قد بقي [191] في خلوته خامسهم وهو صاحب تور، فقالوا لا تيأسوا حتى يخرج الخامس، ومكث في خلوته إلى تمام أربعة عشر شهرًا، فخرج وقال لهم إن لكم ابنًا غائبًا منذ أعوام لو أتيتم به لكشف عنكم الهم والغم بعد أن وصف بهم وصفه، فطلبوا منه أن يعينهم على طلبه ويرافق رسلهم في طلبه، فقبل واسمه سلمن قند تور، فذهب وطلب سنجت ومعه

فنمنكور من وزراء ملوكهم وبل سكي كوات من قواليهم، فما زالوا في طلبه إلى أن قيل لهم إنه في بلاد ميم، فأتوا إلى منزل سنجت فوجدوه هو وشقيقه غائبيْن للصيد فنزلوا عند أمه وأخته، فرجع سنجت ووجد الضيوف من قومه في داره فسلم عليهم وجعل يسألهم ويقول كيف حال فلان ابن عمي فقالوا قتله سمنكر، فقال كيف حال فلان أيضًا فقالوا تخلف بعد المقتول فقتله سمنكر أيضًا، فما زالوا يتساءلون ويتعاطون الأخبار إلى أن سألهم عن حال أخيه الكبير من الأب فقالوا تخلف بعد المقتولين فقتله سمنكر أيضًا، فغضب سنجت لذلك غضبًا شديدًا وعزم على الرجوع إلى بلاد مندق فأتى بأصنامه وجعلها على جذع لشجرة يابسة فاهتز الجذع من حينه واخضر وأورق لسحره حتى صار الجذع شجرة مخضرة مورقة، ثم سحر سنجت أمه لتموت لكبر سنها وأنه لا يقدر على الرجوع بها إلى مندق الآن فماتت وكان كل من يموت لا يدفن إلا بعد إعطاء فرن برام 40 مثقالاً أو أقل فأخذ سنجت قبضة من الحشيش وخزفة من خزف القدور و(حمة) من الحمم وبيضة طائر وحشي يسمى في كلامنا [192] الفلاّني كرلل، فأرسل هذه الأشياء إلى الملك فرن برام تنكر وتأملها ولم يفهمها فنادى الملك كهانه ليخبروه عن معنى هذا فقال له أحذقهم مراده بهذه الأشياء بانه يقاتل الأرض فيخربها ويحرق بيوت أهلها فتصير خرابًا فتبيض الطيور فحذروه من مقاتلته وأن لا يمنعه من دفن أمه فأمره فرن بدفنها.

154 - عجز سنجت عن التغلب على سمنكر والحيلة التي دبرتها أخت سنجت للإطاحة بسمنكر

ثم طلب سنجت من ملوك ميم الجيش فوجد الجيش من أهل سوسخ واسم ملكهم كل، ومن أهل دمبل واسم ملكهم ترامخ، ومن أهل كمر واسم ملكهم قني، ومن أهل كنتي أو كنتبي ولم يذكر لنا المخبر اسم ملكهم إما لجهل أو نسيان والله تعالى أعلم. ثم رجع سنجت مع جيوشه إلى مندق فلما وصل ملكوه عليهم وصار يقاتل سمنكر فتارة يدال له وتارة يدال عليه إلى أن طال هذا بينهم وخاف أهل مندق من الغلبة وكادوا أن ييأسوا من ملكهم، فقامت أخته سكا سوخو وكانت كاهنة ساحرة جميلة أيضًا، فذهبت إلى سمنكر فأعطته نفسها زاعمة أن ملكهم كاد وقرب فساده وزواله فلذلك أتت إليه طائعة أول مرة لتزوج نفسها به ومرادها بذلك أن تعرف ما يضره وما سبب موته وغلبته، فأحبها سمنكر وتزوج بها، فلما خلا بها راودها

عن نفسها، فقالت لا حتى تعلمني تنا أي الفعل الذي يضرك لأني لا أعرف هل ألد منك ولدًا أعرفه له، فما زالت به حتى علمها ذلك فلما علمت ذلك قالت له اصبر لي حتى أقضي الحاجة الإنسانية، فلما خرجت هربت إلى قومها، والذي ذكر لها أن الذي يقتله أن يراش ظفرًا لديك في حشيشة ويرمي بها بالقوس وإن طعن بذلك يمت، فلما علمت قومها بذلك فعلوا كذلك وقاتلوا سمنكر وقتلوه بذلك.

155 - سنجت وأولاده يبسطون سلطتهم على جميع بلاد السودان حتى زمن احتلال فرنسا لها

وبقي سنجت ملكًا كبيرًا قيل أنه قد ملك جميع بلاد السودان [193] المغربية كلها وأمراء جيوشه 14 منهم سيسغ وترور وجر الذي هو وكنتبي واحد، ومنهم كمر وفوفن ودتبا كمسخ إلى غير ذلك، وكانوا يناكحونه.[394] وكان سنجت قد قاتل سمنكر أربعين قتالاً وفيه قتال يسمى كنكجا وهو أشد حروبه مع سمنكر وفيها اشتد الخوف جدًا على أهل مندق وصار الكثير من رؤسائهم من أهل الحرف المزرئة كالحدادة والدباغة والنسج وغير ذلك لئلا يعدوا من أهل الحرب فيتركوا. ثم ما زال سنجت وبنوه هم ملوك مندق إلى زمن فرانس[395] كما قيل والله تعالى أعلم. وكان منهم ملك اسمه تخنتا في كيت وكان يقاتل كممنخو وهي أرض فلاّن بركو وهي التي فيها قرية مرقلا، فطلب من فرانس أن يعينوه على خصمه وقرنه فأعانوه وقتلوا خصمه ثم سكنوا في كيت،[396] ثم بعد ذلك قتلوه بعدما تركوا أسارى كممنخو، ثم سافر فرانس إلى جغسولي ممب وقتلوه وبنوا في جغسولي قصرًا، ثم تجاوزوا إلى كابا ممب وأخذوه هو وبنوه وكانوا أربعين ذكرًا وأتوا بهم إلى كنجور وأسكنوهم فيها إلى أن مات كابا ممب، ثم بعد ذلك أمروا بنيه بالرجوع إلى مندق إن شاءوا فنبشوا قبر أبيهم وأخذوا عظامه ورجعوا بها إلى كابا مدينة ملك مندق وقيل إنهم وجدوا مَدِ فقَرْ قد تولى الملك فمنعهم كما ترك مندق عن سكناهم فيها وأسكنهم في بمكو والله تعالى أعلم.

394 - يقصد يزوجونه أو يصاهرونه.

395 - انظر هامش التوسع الفرنسي في السودان الغربي، هامش رقم (365)، ص. 238.

396 - تعليق المؤلف: ويمكن أن يكون أصل كيتا كيتغ أو كيتغ فبدلوا التاء من الميم لطول الزمان، وقيل أن كيتا لقب مخصوص لملك مندق.

إن لقب بني سنجت الصغار كنات وإذا شابوا إلى أن يموتوا كيت أي قبض الإرث، لا أدري هل ذلك مع كيمع واحد أم لا، وقد مر معناه في تاريخ مل[397] والله تعالى أعلم، ولقب بنات سنجت مطلقًا سوخو. ثم اعلم أن باغن كلها في ملك كاكرنوب ومن خواصهم ماكس جغد ثم فوفن كانجو ثم كمر دنسخ وهو الرئيس على جميعهم كما قيل، قلت ولعله هو فرن باغن كما مر في تاريخ ماسينا [194] بأن أوائل فلاّن ماسينا لما وصلوا إليها أتوا إلى باغن فاري واستأذنوه في السكنى إلى آخره بالمعنى والله أعلم. قيل وأصل ماكس ماكسيا ومعناه الكثير ولكنه وكمر واحد معنى كما قيل.[398] وقيل أن ميم في جملة وكد في نحو كمب في أرض باغن، واعلم بأن باغن اثنان باغن بن أي الأسود، وباغن خل أي الأبيض، وباغن بن هي مسكن كمراب اليوم وكمراب هم رؤساء كاكرنكوب، وباغن خل هي التي فيها وكد وكمب، وأما جيك فهي قرية في بلاد لمبلخ ويقال أيضًا بلاد فادق ومدينتها دنف، وجارسو لقب لحكام تلك البلاد ورؤسائها، واعلم أن ميم اسم أرض كانت لسرخل المسمين كسات وملوكها تنكر وكمر دنسخ وجارسو وكل واحد منهم له حصة خاصة من تلك البلاد، وقياد جيش كمر دنسخ خم دبتا كمسخ وفوفن كانجو وماكس، ويطلق عليهم جميعًا اسم كاكر والله تعالى أعلم، ويقال كمردب هاو فري دوتور ومعناه صاحب عمامة الملك لأن معنى فري الملك ومعنى دوتور العمامة والله تعالى أعلم. وقيل إن كن وجر وماره ووراري وكنتبي كلها بمعنى جاي، وإذا تسلطن أحدهم يلقب بتمبره وأصل ملكهم في أرض سنكرن، وقيل إن ساخو وسمار ووكنبي وجمبار وميك كلها واحد في جن والله تعالى أعلم، وقيل أيضًا ماره وكل ودبي ودابو كلها بمعنى مكسب والله تعالى أعلم. وقيل أيضًا إن سمنكر كان عبدًا من عبيد ساكوب فلما ظهر أمر سنجت في مندي وشاع ذكره خافه الكل حتى أهل وكد، فقال لهم عبد من عبيد ساكوب أعطوني الكثير من العبيد أسكن بينكم وبين مندي لأكفيكم أمر سنجت فأعطوه من العبيد حتى استكفى فسكن في صوص وحال بينهم وبين سنجت، وقد قيل لسمنكر ذات يوم أن أمتك الفلاّنية ولدت في حرثك [195] فقال كنتبي أي ما ذلك الحرث، فقالوا حرثك بمكن فلقب بكنتبي بمكن وقيل أن بنيه صاروا بعده حدادين وهم الذين يلقبون بكنتبي، اهـ.

397 – انظر مالي، هامش رقم (52)، ص. 85.

398 – تعليق المؤلف: وقيل إن أكثر ملوك بلاد السودان من كمر نحو بلاد بركا وبلاد سيكي وبلاد ميحي وبلاد سيبي وبلاد كنيا وبلاد بوري وملكها الآن يسمى بس كمر ونحو بلاد بليا وأميرها الآن يسمى مصطفى وغير ذلك من البلاد والله تعالى أعلم.

قلت وأظن أن الرواية الأولى أصح من هذه والله تعالى أعلم بما بين أيدينا وما خلف ذلك ولا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد.

157 – أرض ساغو وأول ملوكهم «بتو» (ورد الاسم بصيغة سَكُ وسَغُ)

تاريخ ساغو، اسم أرض للسودان البنابر الذين يشرطون خدودهم في كل خد بثلاث شرطات من الأذن إلى الذقن المعروفة بسك. بينها وبين فوت في المسافة شهر أو أكثر جهة الجنوب والمسمى بسك منها أربع قرى: ساغو سيكر وهي المشرقية مما يلي أرض ماسينا وهي كلها على شاطئ النيل جَالِبَ الذي يجري ماؤه إلى المشرق أي الجنوب عكس نيلنا فإلى المغرب أي الشمال فسبحان القادر على كل شيء، فسميت الأرض كلها باسم هذه القرى الأربع. قلت كونهم يشرطون خدودهم إلخ، يشبهه ما ذكره ولي الله ابن خلدون[399] أن وراء النيل قومًا من السودان يقال لهم لملم، قال وهم كفار يكتوون في وجوههم وأصداغهم، قال وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب وهم عامة رقيقهم، وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر، إلى آخر كلامه رضي الله [196] عنه. قلت ويمكن أن يكون هؤلاء البنابر منهم والله تعالى أعلم. وأول ملوك سغ، فيما بلغنا، بتو وهو ضخم حتى أن ملوك الفلاّن من ماسينا كانوا في طاعته ويؤدون الخراج إليه، وما زالوا في طاعة ملوك ساغو إلى زمن الشيخ أحمد حمدلب، فحاربهم ونفاهم عن أرض ماسن. وقد ملك بتو هذا كثيرًا من البلاد التي تلي ساغو أو كلها، وكان عبيده قواد جيوشه وعدد القواد منهم 1700 قائدا من العبيد وكل تحته عدد كثير من الجيوش وكل منهم ساكن في أرض خاصة له مع جيشه، وكان مسكن بتو ودار ملكه ساغو كر وكانت الأشجار المسماة في كلام الفلاّن جسط واحدها جسك كثيرة وراء ساغو فقالوا لا يعلم أحد عددها إلا الله، فأمر بتو سائسي الخيل أن يقف كل واحد منهم عند شجرة من أشجارها في غده، فلما أصبح وغدوا إلى علف الدواب وقف كل واحد منهم فإذا هي 4444 وهذا يدل على كثرة خيله وكثرة خدمه وعظم جيشه، وقيل أن هذه الواقعة وقعت في زمن دامنسو والله تعالى أعلم، وقد أعدم سبحانه الكل بقهره وأفنى الجميع بإرادته وأمره سبحانه وتعالى ما أعظم شأنه وأعز سلطانه. وكان بتو حسن السياسة جيد الإمارة وقد طال زمن ملكه.

399 – ابن خلدون، المقدمة.

158 - تولي جاكر بتو الملك وتخلص قواده منه لظلمه وسفاهته

فلما مات خلفه ولده جاكر بتو وكان ذكور أولاده 13 ولدًا وجاكر هو الكبير فلذلك تخلف مكان أبيه وكان سيء [197] الملكة شديد العريكة سفيه الرأي فاسد التدبير، فلذلك فسد ملكهم وذلك أنه طلب من بنات العبيد القياد للجيوش خاصة مائة بكر مختارة جميلة، فظن الآباء أنه يريد التسري بهن فأعطوه إياهن، فحفر في موضع جلوسه فدفنهن كلا في تلك الحفرة وهن في الحياة وصار يجلس عليهن ظانا أن ذلك له منقبة ولم يعلم أنه مثلبة من أعظم المثالب ومجلبة شر إلى أفظع المصائب، فلما علم القياد من العبيد ذلك قالوا فيما بينهم إن تركناه على هذه الفعلة تكن سنة لمن يأتي بعده من الملوك فالرأي قتله لا غير فاتفقوا على ذلك ولكن عجزوا عن الحيلة لقتله لكثرة حجابه لأنهم كانوا جيشًا عظيمًا محيطًا بداره وفي داخل الدار أيضًا جيش من النساء القوالات التي يقال لهن في لغتهم كرسك وبيوتهن محيطات ببيوت أزواجه من جميع الجوانب، فقال لهم أصغر القياد سنًا وكان أحزمهم رأيًا وأعقلهم يقال له قل دعوا هذا الأمر المنغلق في يدي فقبلوا ذلك منه، فقام قل في تدبير الأمر وجاء إلى العبيد الحجاب فاستمالهم بكلامه وماله ومما قال لهم إن هذا الفعل الذي فعل بنا سيلحق بكم بل أنتم أولى به لأنكم لا جيوش لكم ونحن أولو جيوش كثيفة وتحت يدي أحدنا أكثر من مائة ألف جندي متسلح، فإذا فعل بنا هذا الفعل فأنتم أحرى به، فعلموا أن هذا الكلام حق فقبلوه جدًّا وصاروا مع القياد يدًا واحدة على ذلك الملك جاكر وتعاونوا جميعًا على كرسكات فاستمالوهن كلهن [198] بالمال والكلام المميل فملن إلى ما قالوا وقبلن جميعًا قولهم وصاروا يدًا واحدة على الملك، وكان من عادة الكرسكات أنهن اللاتي يحمين الماء ويحملنه إلى المغتسل في الكنيف كل صباح لاغتسال الملك، فقال لهن القياد متى جعلتن الماء المحمى في الكنيف وخرج الملك للاغتسال ونزع ثيابه للغسل فأعلمننا بذلك ندخل عليه حينئذٍ ونقتله على تلك الحال، فلما كان الأمر كذلك أعلمن الحجاب وأعلم الحجاب القياد فدخل عليه بعض منهم فوجدوه نازعًا ثيابه يغتسل على خشبة منحوتة عريضة فوق حفرة عميقة نافذة من تُحْيثْ إلى وراء الدار ليخرج الماء منها فضربوه على أم رأسه بالفأس فمات في الحال وأدخلوه الحفرة ودفنوه فيها ثم أخذوا بقية إخوته فقتلوهم إلا الصغير منهم يقال له بوكر فأبقوه لأنه كان يألفهم فتركوه لأمر أراده الله تعالى لأنهم لما تركوه ذهب إلى أرض

كَرْتَ بعدما كبر ومعه الكثير من قبيلته وبني أعمامه، فملكها بإذن الله تعالى فكان لهم هنالك ملك ضخم يتوارثه ذريتهم، وقد ملكوا جاور وكاس وكل من دون بسك يدين بطاعتهم ويقال لهم مسسه أي منس سي ومعناه بذر الملك وسي البذر ومس الملك، ونقول لهم نحن أهل فوت مسلنكوب وهم الذين كانوا يأتون إلينا فيقتلون ويأسرون إلى أن غزاهم الشيخ الحاج عمر الفوتي فأفسد ملكهم وسنأتي إن شاء الله تعالى بشيء من تاريخهم.

159 - تولي «العبيد القياد» السلطة بعد مقتل أميرهم جاكر بتو

وأما ما صار إليه أمر العبيد القياد بعد قتل أميرهم وابن سيدهم جاكر بتو أنهم لما قتلوه خلفوا مكان الملك واحدًا منهم وهو أكبرهم سنًا واسمه كل جكجر ثم لما مات [199] ولوا مكانه الذي يليه في السن واسمه جمنتلي ثم لما مات ولوا مكانه كفا جكو، وهكذا يولون مكان الملك القائد الذي يليه في السن، وكانوا نقلوا دار الملك من ساغو إلى ساغو سيكر إلى أن ولوا سادس العبيد القواد واسمه انكوج تممسا ثم قتلوه لأنه أراد أن ينقل دار الملك إلى قرية من أرضه التي أسره منها بتو قائلاً حق لمن وجد العز والملك أن يجعله في دار قومه وعشيرته فأبى عليه ذلك بقية القواد فقتلوه لذلك ثم ولوا مكانه قل الذي قلنا أولاً أنه كان أحزمهم رأيًا وأعقلهم، والذكور من بني قل يشرطون في خدودهم ثلاث شرطات والإناث من ذريته يشرطن في أعضادهن ثلاث شرطات فقط، ومعنى قل الجلد في لغتهم فصاروا يسمون الجلد سيال ساغو خوفًا من تجريد اسم الملك وامتهانه وله ثلاثة أولاد، جي وهو الكبير منهم، ومنسو، وولد آخر لا أعرف اسمه.

160 - مملكة جي بن قل وذكر بعض الطقوس التي يمارسونها لصنمهم ووفاء لملكهم بتو

وكان أسكن جي في قرية من قرى مملكته يقال لها بمبك في البر وكان قد أمد جي ولده هذا بما استطاع عليه من القوة بالجيش والسلاح، وكلما زاد عنده شيء من القوة يرسله لجي وكان لذلك قويًا جدًّا وكان لهم أصنام يعظمونها جدًّا وأعظم أصنامهم كلها صنمان كانا عظيمين معظمين عندهم من زمن بتو واسمهما مكنكبا وننكركو،[400] وكانا في زمن بتو عند دار ملكه ساغو كر ثم نقلهما القواد إلى ساغو سيكر في زمن ملكهم وكانا صنمين

400 - يعرض المؤلف هنا إلى جانب مهم من الإثنوغرافيا المتعلقة بشعوب السودان الغربي، وهي مسألة الطوطم وما يرتبط بها من عبادة الأصنام وممارسة طقوس السحر. انظر هامش رقم (178)، ص. 134.

معظمين عند ملوك ساغو البنابر وكانوا يذبحون لهما في كل سنة إنسانًا وثورًا أبيض أو أسود أو أحمر أو أصفر الذي لا شية فيه بل لون شعره واحد، وكلبًا وديكًا في عيد الأضحى، والإنسان الذي يذبحونه لهم لا يكون إلا رئيس قرية أو أمير بلد غزوه وأخذوا أميره مأسورًا يأتون به إلى ساغو [200] ويسجنونه إلى أن يأتي العيد الأضحى فيذبحونه مع المذكورات ويخلطون لحمه مع لحومها إلا قلبه، فيطبخون الجميع ويأكلونه مدبرين، وأما قلبه فيمسكونه عندهم حتى ييبس فيدقونه حتى يصير دقيقًا فيخزنون الدقيق عندهم فإذا أتى لَسَغُ أحد ملوك البلاد التي تحت طاعتهم وهو شديد منيع وفي قلبه نفاق لا يأمنونه على المخالفة يجعلون دقيق القلب في طعامه من غير علمه ليرجع مطيعًا خالص الطاعة لهم، وهذا سر لا يعلمه إلا خواص الملك بل ربما ينكر العوام أمر القلب هذا لجهلهم له وإنما كتموه لئلا يسري علمه إلى من أرادوا أن يطعموه إياه من الولاة. وكانت البنابر من ساغو إذا حلفوا بهذين الصنمين لا يخشون في حلفهم أبدًا خوفًا من مؤاخذاتهما لهم في زعمهم وكانوا يذبحون لهما المذكورات أيضًا في غير الأضحى عند شدة قحط أو أزمة عظيمة، فحينئذٍ ينقلون الصنمين إلى قبر بتو الذي في ساغو كر فيضعونهما عند رأسه وقبره في بيته في داره، فيخرج الخواص والعوام من الدار، فيدخل الملك وحده عاريًا وعليه تبان أي سروال صغير لا يبلغ نصف فخذيه بل لا يجاوز مقعدتيه نقول له في كلامنا الفلاّني كمب، وعليه قميص صغير لا يجاوز سرته أو لا يبلغه متحزمًا بحبل على رأسه حبل مشدود كالعمامة وفي يده آلة محددة من الحديد منعوجة يقطع بها الحشيش وهي المنجل التي يقال لها في كلامنا الفلاّني وفد، فيدخل الدار والبيت هكذا ولا يتبعه إلا القوالون أي جليب وجاراب يقول شعرًا في مدح بتو وهم يجاوبونه، وهكذا حتى يصل قبر بتو فيطلب منه ومن الصنمين حاجته وحاجة أهل البلد، فيرجع إلى الموضع الذي خلع فيه ثيابه فيلبسها ويخرج [201] من الدار ويأمر الناس بالدخول وذبح ما يذبح فيأتيهم المطر سريعًا أو تنكشف عنهم الأزمة سريعًا بإذن الله تعالى الكريم الوهاب ولسان حال هذا الملك الداخل إلى بتو يقول نحن ما زلنا عبيدا في خدمتك وطاعتك ولكن ولدك هو الذي أفسد فخرجنا عن طاعته لفساده وأما أنت فنحن عبيدك وخدامك أبدًا.

161 - حيلة «قل» على أهل ساغو لإبقاء الملك في عقبه

وإذا علمت أمر هذين الصنمين عند ملوك ساغو فاعلم أن قل لما تخلف أراد أن يبقى الملك له ولذريته من بعده، فاحتال لذلك حيلة فأمر مناديه أن ينادي في ملكه ساغو أن يحشروا يوم كذا إلى موضع عينه لهم وراء النيل جالب وإنهم إنما يحشرون إلى الصنمين ولا يأتي أحد بسلاح إلا سكينًا يذبح به ما يذبح مما جرت العادة بذبحه، فقال إن ذلك مما أمر به الصنمان بإيحائهما إلى الكهان والسحرة، وكان قد أمر ولده جي سرًا أن يأتي بجيشه متسلحين لذلك الموضع إذا اطمأنت بالناس مجالسهم وأن كل واحد من جيشه يشير بسلاحه إلى أحد من الجلاس، فمتى امتنع من الحلف الذي يأمرهم به فليقتله فورًا، فلما اجتمعوا في ذلك الموضع جاء جي بالجيش وهم زهاء 1700 متسلح، فلما حضر أنكر قل عليهم الحضور بالسلاح ظاهرًا فقالوا نحن لا نفارق سلاحنا، فحينئذٍ قال جي للجماعة الحاضرين فليحلف الآن كل واحد منكم بحق هذين الصنمين لا يطلب ملك ساغو ولا يليه ولا ذريته أبد الآباد وإلا فليفسدا أمره وأمر ذريته أبدًا ولا ترضون إلا بملك قل وذريته في سك، فحلفوا جميعًا بذلك الحلف على ذلك الأمر فرجعوا وخلى لبيت قل [202] ملك ساغو لأنهم لا يتجرؤون بعد الحنث فاعتقدوا أن هذا أمر من الله تعالى فرضوا به.

162 - حكاية جي ولد «قل» مع فرس البحر

ثم اعلم أن جي ولد قل هذا هو الذي حفر بحيرة من جالب إلى بامبك في البر ثم أنفذها إلى جهة أخرى من جالب أيضًا، وكان جي يتكلم يومًا لأهل مملكته فدخلت خيل البحر بحيرته حتى حادت قريته بامبك وهي تصوت وتزفر بأصوات هائلة، فانقطع كلامه لأجل ذلك فأمر عبيده أن يصعدوا فرس البحر إلى داره حيًا وذهب عبيده إلى السماكين فأعطوهم مالاً جزيلاً واستعانوا بهم على ذلك، فقال لهم السماكون نحن نقدر أن نصعد فرس البحر منه إلى البر بحيلنا وعزائمنا وأما أخذه فلا، فقال لهم العبيد كفانا ذلك فلما أصعدوه جاء العبيد بالحبال فأخذوه بها وأوثقوه وقادوه إلى دار سيدهم جي بعد أن قتل الفرس منهم عشرين إنسانًا، فلما رآه جي ضربه ألف سوط من ملوي القد وجعل معه صرة كبيرة من الودع وأمر برده إلى البحر، فقال له تداو بهذه الصرة ألم ضربك وجراحك، وزعموا أن خيل البحر من

ذلك الوقت إلى الآن إذا حادت بامبك لا تصوت حتى تجاوزها والله تعالى أعلم، ولكن قدرة الله صالحة لكل شيء، ثم إن جي مات قبل موت أبيه قل، ثم لما مات قل تخلفه ولده منسو وله من الأولاد دا وهو الكبير ثم سافل ثم تركرمر ثم عل وغيرهم ممن لا أعرف أسماءهم لعدم الحاجة إليهم.

163 - حكاية منسو ولد «قل» مع دا سكر أحد أحفاد بتو

وفي زمن ملك منسو أرسل دا سكر من أحفاد بوكر ابن الملك بتو الذي هرب إلى كرت بعد قتل إخوته كما مر إلى منسو، فقال له أنتم عبيدنا ومن عادة العبيد النسج ونريد منكم أن تنسجوا لنا ثيابنا، فقال لهم منسو نعم سنأتي إليكم لنسج ثيابكم الآن، فأرسل إليهم جيشًا كثيف الحواشي، فلما علم [203] دا سكر بإتيان الجيش هرب هو وقومه وجلوا عن أرضهم، فلما علم الجيش بهروبهم أرسلوا بذلك إلى منسو يخبرونه بالواقع منتظرين أمره، فقال لهم منسو امكثوا في أماكنهم ثلاثة أشهر تأكلون زروعهم وتعلفون منه دوابكم ولا تتغوطوا إلا في بيوتهم ليعلموا بذلك إذا رجعوا بأننا عبيدهم وأن ذلك من عادة العبيد أيضًا، ولكن لا تتبعوا أثرهم، ففعلوا ذلك ورجعوا إلى منسو.

164 - كيف بدأت عادة ثقب أنف المرأة في قبيلة البنابر

ثم إنه لما مات خلفه ولده دا ومعنى دا في لغتهم فلر في كلام الفلان، ولما تسلطن صاروا يسمون فُلَّر كَمْنَا أي الحامض، ودا هذا هو أول من ثقب أنف المرأة من البنابر وجعل فيه قرطًا من الذهب مكان الخزام، وذلك أن عادة ملوكهم أن يجمعوا الكثير من النساء الشواب قدر عشر أو أكثر عند شابة أسن منهن أو أقدم عند الزوج والكل زوجات وعند الأخرى كذلك بقدر الملك والقدرة، فقال دا يومًا لبعض الشواب الصغار سأفرح قلبك اليوم أو سأعطيك اليوم ما يفرحك، فأففت الكبيرة لقوله لها وقد حانت من دا التفاتة فرآها تتأفف لقوله تقول قد سمعنا مثل ذلك أو أكثر، فلما رآها كذلك غضب وحلف على أن يثقب أنفها ودعا حدادًا اسمه جي وأمره أن يثقب مارن أنف زوجته تلك واسمها تقتق وهي كبيرة عشر من النساء، فثقب الحداد أنفها فلما اندمل وبرئ جعل في الثقبة قرطًا كبيرًا من الذهب العين فازدادت حسنًا وجمالاً وبهجة وكمالاً فاقتفت أثرها كافة نساء البنابر فجعلن يثقبن أنوفهن كذلك ويجعلن في الثقب الأقراط من الذهب العين من ذلك الوقت إلى الآن والله تعالى أعلم.

165 - الملك «دا» يأمر بترحيل أهل بوس إلى سك

ويقال للحداد في لغتهم نم وكان اسم ذلك الحداد تم جي وكانوا يسمون هذا الملك [204] بنادا ومعنى بنا العم ومن معاني دا أيضًا في لغة البنابر القدرة بكسر القاف، فتركوا لذلك تسمية القدرة بل كانوا يسمونها تبلى أي كدفري. ودا هذا هو الذي أتى بالسماكين الماسنيين المسمين ببوس إلى سك، وذلك أن رئيس سماكي زمانه اسمه دَاوُدَ من سار لا قال له يومًا أني أشتهي سماع كلام بوس وليس في مملكتي من السماكين بوسي، فقال له دا تجدهم عن قريب، فأرسل في الحال إلى ماسينا جيشا وأمرهم أن يرحلوا سبع قرى من قرى بوس إلى ساغو وأن لا يتعرضوا لقتل أحد إلا من قاتلهم، فذهبوا إلى ماسينا وأرحلوا من قرى بوس سبع قرى وهي كوى ونقه وسمه وجكه وسركري ودندك كما أمرهم دا إلى سك، وأسكنهم كلا بننكر قرية كبيرة وأحاطها بسور عظيم وسماها سيفنسوا ومعناه الشعر الأسود لأنه أسكن فيها 100000 شاب أمرد أي مائة ألف شاب أمرد الذي لا لحية له، ومثل ذلك القدر شابة بكرًا ناهدة الثديين فمتى مات واحد من الذكور أو صار ذا لحية يخرج ويخلف مكانه مثله ومتى ماتت واحدة من الإناث أو انكسر ثدياها أو ولدت تخرج وتخلف مكانها مثلها بكرًا ناهدة الثديين وهكذا وهم فيما اشتهت أنفسهم لا يرون جوعًا ولا عطشًا ولا عريًا ولا تعبًا إلى أن مات دا.

166 - حديث عن السماكين وذكر بعض رجالهم

ثم إن عادة ملوك ساغو في السماكين أن يقوموا لهم في الآدام من الحوت وسمنه ما يكفيهم هم ووزراؤهم وخواصهم كل يوم وأن الجيش متى رجع بالقسمة فإن نصيب الملك منها يقسمه ثلاث قسمات، قسمة يجعلها سماكين وقسمة يستعين بها على شراء الخيل وآلات الحرب وقسمة [205] يجعلها خدامًا للحرائث وللدار، ويجعل على هؤلاء السماكين أميرًا منهم، وكان أمير السماكين في زمن الملك بتو من قبيلة كن وكان مع الملك في سَكُ كُرُ، وأما في زمن ملك العبيد القواد فأمير السماكين من سارلا ودمبلبلا أي من قبيلة دمبل وكلتا القبيلتين في ساغو سيكر، وأصل سارلا رجل جاء من وَكُد تاجر وبضاعته كُر الذي يقول العوام في عربيته طنبول أو تانبول وكلاهما ليس بصحيح، وهذا الرجل من قبيلة وك

ومعنى سار في كلام البنابر إناء صغير ينسج من ليف متداخل عيدانه مثل جك في كلامنا الفلاّني، يجعل فيه ذلك الرجل ما يريد بيعه من كر في السكك والطرق، فنسب إليه فقيل فلان سار واسمه بار فجرى اللفظ لقبًا له ولذريته وكان قبل صيرورته سماكًا قد اتخذ أحد العبيد القواد خليلاً قبل تملكه وكان يعطيه كل حين مما عنده من كر، فلما نفذت بضاعته صار يصطاد له الحوت بالشص وكلما أخذ حوته يعطيها له إلى أن تملك ذلك القائد فجعله رئيس السماكين من قرية ورد كلا إلى الحد بين ساغو وماسينا من جانبي النيل جَالبُ جميعًا، وإسماعيا ساره مريدنا السماك منهم ومن كلكر إلى فاسغ بحرًا من الجانبين للأمير الآخر من قبيلة دمبل، ولكنَّ السَّارلاوي هو الكبير المقدم على الدمبلاوي، وكلام الملك مع الكبير منهما ومازال الأمر هكذا من زمن هؤلاء القواد إلى زمن الشيخ الحاج عمر الفوتي وابنه الأمير أحمد إلى زمن ملك فرانس لسك، فجعلوا الأمر كله لسارلا لأنهم أول من جاء لأمير جيش فرانس مظهرين الطاعة كما قيل وما زال الأمر في أيديهم إلى الآن. وقد بلغنا أن أمير السماكين داود الذي تقدم ذكره أنفًا له ستون ولدًا ثلاثون ذكورًا وثلاثون إناثًا وإذا مات واحد من الذكور تموت واحدة من الإناث وهكذا إلى أن تفانوا جميعًا [206] وهذا من عجائب الاتفاق.

167 - تولي تُزكُرمَر وقصة إسلامه على يد الحاج عمر

ثم إن دا لما مات تخلفه أخوه سافل ثم لما مات تخلفه أخوه تركرمر وكان يعذب من انتهك نهيه أو تعدى الحدود التي حدها بصب الزيت المغلي الحار والسمن كذلك على عينه حتى تتفتت وتندلق وإن عاد يفعل بعينه الأخرى كذلك وإن كان ذنبه أكبر من ذلك يصب الزيت الحار على عينيه جميعًا حتى تفتتا وتندلقا، ثم إن الشيخ الحاج عمر لما جاء من الحج إلى ساغو نزل ضيفًا على تركرمر فأنزله تركرمر في بيت أخته واسمها باجو وأحسن إليه جدًّا حتى أنه أسلم وتاب على يديه كما قيل، ولكنه أخفى إسلامه عن قومه خوفًا منهم وكانوا يضفرون رؤوسهم فلما أسلم حلق رأسه وخيط ذوائبه في قلنسوته وإذا أراد الخروج إلى قومه يجعل القلنسوة على رأسه وتظهر الذوائب تحتها كأنه ما حلقها، وكان من عادة ملوكهم أن يحضروا الخمر في مجالسهم فيشربونه في كل قليل بمحضر الناس وكان يخرج مع إناء الخمر وفيه العسل على وجه يلبس أمره عليهم ولا يفطنون له فكان يشرب منه كل

قليل بمحضر منهم، فما زال أمره هكذا إلى أن ظهر لهم إسلامه فقتلوه وألقوه في النيل جالب عريانًا، فقام أمير السماكين من سارلا حينئذٍ واسمه بلعباس فأخرجه من الماء خفية تحت النيل ودفنه، هذا خبر محمود سمننك، قلت ولو لم يحلق رأسه لكان أولى لأن الضفر للرجال لا يضر بإسلامهم بل هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم لذلك ولأن الضرورات تبيح المحظورات، وقيل أن رسل أهل ماسينا سبقوه أي الشيخ عمر إلى ملك أرض ساغو المعروفين بكل سي ليقتله غدرًا، ثم أرسل ذلك الملك وزراءه إليه وهو في قرية جامن وأخذوه مع جميع من معه من الأهل والعيال [207] وجميع الأموال قهرًا إلى قرية ساغو وسجنه سجنًا محكمًا ولبث في السجن ما شاء الله، ثم لما أراد الله إطلاقه من يد هذا الملك أوقع محبته في قلب أخته، فقالت للملك يا أخي إن لم تطلق هذا الولي سنفسد قبل فساد الناس لأن أهل ماسينا أدباء ولم يقتلوه وقد غدروك بأمرهم إياك أن تقتله فلا تمتثل بأوامرهم لأنهم الأعداء، وقال لأخته صدقت وبالحق نطقت، فأطلقه من السجن وأكرمه غاية الإكرام ووهب له كثيرًا من الذهب حتى لا يدخل تحت الحصر، نقلته من تاريخ ألفه بعضهم في سيرة الشيخ عمر هذا. قلت ولعل تركرمر أسلم على يديه بعد إطلاقه إياه من السجن والله أعلم.

168 - تولية عل منسو وانهزامه أمام الحاج عمر وانقراض دولة القواد تبعًا لذلك

ثم اعلم أن تركرمر لما قتل خلفه أخوه عل منسو وكان صفوف جيشه الراجلين 35 صفًّا وكل صف يقدمه 3000 وهو ثلاثة آلاف فارس وجملة الفرسان 105000 فارس أي مائة ألف فارس وخمسة آلاف فارس ولم يتعرض لذكر عدد ما في كل صف من الراجلين لجري العادة بأن الرجالة أكثر من الفرسان في الجيش غالبًا فلا يحصون لكثرتهم، ثم إن عل مكث في الملك سنتين وفي الثالثة جاء الشيخ الحاج عمر بجيوشه يريده، فأرسل عل إليه بالجيش فتقاتلوا في دانبا فهزمه الحاج عمر ثم مَرْكَي كذلك ثم كن كذلك ثم جابا كذلك ثم في وَيْتَلْ قرية ابنه فهزمه الحاج عمر أيضًا وذلك بأنهم قوم لا يفقهون وأن الله مع الصابرين، ثم خرج عل عن ساغو هاربًا إلى ماسن، قيل أنه لما جاء لأحمد بن الشيخ أحمد حمدلب هم بالمجاوزة فقال له امكث هنا معنا، فقال ما أعددت للشيخ الحاج عمر فقال 25000 فارس أي خمسة وعشرين ألف فارس، فقال خيلي العور فقط أكثر من ذلك، ولكن أحمد بن أحمد ما زال يؤمنه إلى أن مكث عنده، فلما جاء الحاج عمر وقتل أحمد بن أحمد أخذ مدة وأظهر أنه عفا عنه ثم قتله في آخر الأمر وبقتله انقراض [208] دولة القواد والله تعالى أعلم بغيبه وأسأله بفضله أن لا يؤاخذ أحدًا منا بذنبه.

169 – حكايات تبين مدى غنى أهل ساغو (ورد كذلك: سَغُ أو سَكُ)

خاتمة في كثرة أموال أهل ساغو بالنسبة إلينا فوت تور، ومن ذلك أن الشيخ الحاج عمر لما نزل في سنسن قرية من قرى ساغو قبل هروب عل منسو قال لرئيس قريتهم يومئذ واسمه بوب سيسي نحب أن تجمع أهل قريتك كل واحد يأتي بشيء فيجمع ذلك ويشترى به لباس الجيش الذي معي، فقال له الرئيس وهل ثم جيش آخر غير الذين معك فقال لا فقال إذا أعجزتني كسوة هذا الجيش فكيف أكون أميرًا للقرية، فأعطى كل واحد من الجيش رجلاً وامرأة كبيرًا وصغيرًا ثلاثة أثواب، فتعجب الشيخ الحاج عمر من ذلك وكان نازلاً على رجل اسمه كرمم نمير أمير القرية، فقال له ذلك النزيل لا تتعجب من مثل هذا في رئيس القرية فإني غير رئيس قرية ولكني أقدر على أن أزوج كل رجل من جيشك بجارية مع أمة خادمة وتكون نفقة الكل وكسوتهم علي لا تحتاجون إلى شيء بعد حتى أموت، فازداد الشيخ تعجبًا من غناهم، وقد قيل إن من له من الرقيق مائة فقط لا يدعونه للحضور في قسمة ما نابهم من وظائف الملوك ونحوها فيعدونه من جملة الفقراء ويقولون إنه ليس له إلا ما يتعشى به فقط وليس فضل مال، اهـ. والشيخ الحاج عمر لما وصل إلى ماسينا وقتل أحمد بن أحمد ونزل بحمد الله دار ملكه جاءه فلاّني من فلاّن ماسينا معروف بكثرة الماشية، فسأله الحاج عمر عن كمية بقره فتصامم عنه لأنه لا يعرف الجواب عن هذا السؤال فسأله ثانيًا ولم يفهم السؤال فيجيب عنه [209] فسأل بعض الحاضرين عما يقوله الشيخ، فقال له إنه يقول كم رعاة بقرك، فقال الآن فهمت السؤال فقل له بأني أعطيته الآن من ما يحلب له خمسمائة بقرة كل منها ترضع عجلة أنثى هدية له وقد أعطيته من اللحم سبعمائة وأربعين خصيًّا من خصيان البقر هدية أيضًا، فعلم الشيخ بذلك كثرة بقره، وقد قيل إن الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر[401] في زمن تخلفه على ملك ساغو أنه سمع بأن امرأة من السماكين تاجرة من أهل جامن كثيرة المال وأن ذهبها لا ينفد واسمها كلنتك فل، فكلفها أن تعطيه أحد عشر صاعًا من الذهب الإبريز أحبت أم كرهت محتجًّا بأنها اكتسبت الذهب في زمن ملك البنابر وأن ذهبها من الغنيمة مع أنها كانت مسلمة من قبل وكذلك سائر السماكين كانوا مسلمين من قبل كما قيل، فكالت له المبلغ من الذهب في الحين وأن ولد هذه المرأة اسمه موسى دمبل

401 – عن الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر، انظر هامش رقم (364)، ص. 238.

نزل عليه وحده من جيش الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر في بعض أسفاره ألف إنسان ورؤساؤهم عشرون إنسانًا وخيولهم ثلاثمائة فرس وهم ضيوفه وحده، فنادى عبده المتولي أمره فقال له إن هؤلاء نزلوا علينا ولا أحب اللوم ولا الإيذاية منهم فقم لي في أمرهم واكفني شأنهم مدة مكثهم عندنا، فقام العبد بأمر نفقتهم اصطباحًا وغداء وعشاء، وفي كل يوم يعطي لكل رئيس من رؤسائهم العشرين عشرة من كر، وفي كل عشية يكيل صاعًا لكل فرس من الخيل الثلاث مائة، وما زال معهم هكذا إلى تمام مدة تسعة أشهر، فارتحلوا آخر يومهم من الشهر التاسع بارتحال أميرهم [210] فلما ارتحلوا نادى موسى دمبل عبده المذكور فسأله هل بقي لنا شيء من القوت أم نفد، فقال بقي عندنا ما يبلغنا الزرع في القابل، ولموسى دمبل هذا أخ شقيق اسمه كرمك دمبل في جامن أيضًا، كان من الأغنياء المحسنين وقد قيل إنه يكيل كل يوم مائة صاع يتصدق بها على المساكين ومعها من ثمن الآدام عشرون ألف ودعة، والودع عندهم كالفضة عند أهل أروب يتصرف بها في جميع المتمولات، وكان يأكل في مائدة كرمك دمبل كل يوم تسعة رجال اصطباحًا وغداء وعشاء وكسوتهم أيضًا عليه ونفقة أهاليهم في دورهم عليه أيضًا وهذا دأبه إلى أن مات رحمة الله علينا وعليه آمين آمين، وكان من عادة البنابر في عام الجوع أن لا يبيعوا الزرع للجائعين حين يغلو ثمنه بل يسلفونه لهم ويردون لهم عند الحصاد مثله وقدره لا أزيد، ويقولون إن ثمن القوت الغالي في عام الجوع يفسد الدار ويخربها ولا يعمرها مجرب، وقيل إن أحد حراثهم إن فتح مخازنه للزرع يمكن أن يقوت منه أهل فوت كلا عامًا كاملاً وأن الزرع يخزن عندهم سبع سنين أو أكثر والله تعالى أعلم.

170 – سلوك بوكرتك مع أهل سنسن والمكيدة التي دبرها له بُرَهَمنسيان

ومن ذلك ما قيل أن الشيخ الحاج عمر بنى جُمُفُتُن وسط قرية سنسن وجعل فيها جندًا وجعل رياسته لبوكرتك اسم رجل من أهل فوت، ولما مات الشيخ في ماسينا وتخلف ابنه الأمير أحمد جعل رياسته أيضًا في يده ولم يعزله عنها، ثم أن بوكرتك استفزته الرياسة وعجز عن حملها فقال لأهل سنسن إني أريد أن أجعل ما حول القرية حرثًا لي تحرثونه ولا يحرثه إلا الأحرار لا عبيدكم، فاستعظموا ذلك فقال لهم بن أمير سنسن واسمه بُرهَمَنسيان وهو أكبر [211] أبناء رؤسائها يومئذٍ دعوه يقول ما شاء فأنا من الخادمين في ذلك الحرث

بنفسي فأحرى أقراني ومن هو أصغر مني سنًّا وأما آباؤنا فلا يعملون فيه، فاتفقوا على ما قاله ورضي به بوكرتك وأظهروا له الرضا بذلك، فلما نزل المطر قام بُرَهَمنسيان يعمل بنفسه في ذلك الحرث ومعه زوجته تسقيهم الماء، ثم أرسل إلى ملك اسمه قنقي بك سنتك 500 مثقال[402] وقال له إني أبذر الآن حرثًا وأريد منك الإعانة في حصاده وقت الحصاد، وأرسل مثل ذلك المال إلى ملك اسمه سؤل دكبا وقال له مثل ذلك، ثم أرسل إلى أمير بلد سنًّا 250 مثقالاً وقال مثل ما قاله للأولين، ثم أرسل إلى أمير بلد كل 250 مثقالا وقال له مثل ذلك المطلب أيضًا، فلما حان وقت الحصاد جاؤوا بجيوشهم إلى أن نزلوا قربهم قدر فرسخين فسمع بوكرتك بخبر قدومهم فأرسل إلى برهمنسين ليحضر عنده فعلم بأنه إنما يريد أن يخبره بخبر الجيوش القادمة، فأرسل فرسانًا في الحال إليهم بالتحول عن منزلهم ذلك إلى جهة أخرى قدر البعد بينهما مسافة فرسخين أيضًا وأن لا يتركوا من آثارهم وآثار دوابهم هنالك وأن يقلعوا أوتاد خيولهم ونحوها، فلما انطلق الرسل ذهب هو إلى نادي بوكرتك فقال له بلغنا قدوم الجيوش البمبرية إلى موضع كذا، فقال له الرأي أن تهيأ رسلاً وأرسل أنا رسلاً مع رسلك لينظروا لنا صدق الخبر، فلما خرج الرسل ووصلوا إلى المكان المذكور لم يروا شيئًا من آثار ما ذكر فرجعوا فقالوا وجدنا الخبر باطلاً، فقال بوكرتك أظن أن أهل بمبر لا يجترئون على مثل ذلك، ثم أرسل بُرَهَمنسيان [212] إلى الجيوش البمبرية بخمسين ثورًا لضيافتهم وأنهم لا يطلع الفجر إلا وهم في داخل سنسن فلما قرب طلوع الفجر حضر الجيش ووقف خلف القرية والأبواب مغلقة، فأحس بذلك بوكرتك فأرسل إلى برهمنجين يخبره بحضور الجيش فأرسل إليه ثلاث بركل سند في كلامنا أو ثلاث عفاصات من الرصاص وثلاث عفاصات من الحجر للمدافع وقال له فليستعن بهذا على الجيش القادم، ثم أرسل رسله إلى الأبواب ليفتحوها للجيش ففتحوها فدخل الجيش فأرسل إليه بوكرتك بأن الجيش قد دخل القرية، فقال للرسول قل له إنما الداخل أنا لا الجيش وإنما جاؤوا ليعينوني على حصاد حرثه، فلما سمع ذلك سقط في يده، فجعلوا يتقاتلون إلى أن هزمهم جيش بمبر

402 - المثقال: يختلف من حيث الوزن والقيمة في بلاد السودان من منطقة إلى أخرى، وهو في العموم، عند ابن بطوطة، يساوي ثمن أوقية ذهب، ويحدد وزنه بتومبوكتو بأربعة غرامات ذهب؛ ومشتقاته من الودع وهي قراقع الكوري التي تنمو في المياه الحارة وتستعمل بمثابة النقود، بحيث يساوي المثقال 400 قطعة من الودع. وفي القرن 19 م أصبح قيمة المثقال، حسب الرحالة بارث، بـ 4000 قطعة من الودع، قبل أن يبطل المجاهد الحاج عمر التعامل بهذه القراقع، وينتهي استعمالها في بلاد السودان الغربي.

ولم ينج منهم إلا من اختفى في دار كرمم نزيل الشيخ عمر ومضيفه، وكان الانهزام آخر النهار فلما دخل الليل فتح لهم الباب فهربوا إلى ساغو ومن جملتهم بوكرتك، فلما وصل إلى الأمير أحمد وأخبره بالواقع قال له لا ينبغي لمثلك أن يخبر بهذا الخبر والأفضل أن تكون من الموتى في المعركة، ثم هيأ الأمير أحمد جيشًا فيهم مختار ساخو والد العلامة سارن بن أحمد مختار القاضي في بكي، وأمير هذا الجيش ألفا عبدل من أنابالناب في بوسى، فلما وصلوا سنسن وفيها الجيوش البمبرية قاتلوهم فهزمهم البنابر وقتلوا ألفا عبدل وقتلوا مختار ساخ وأخذوا بوكرتك باليد وقتلوه صبرًا وقطعوه إربًا إربًا إلى أن مات، ثم إن الأمير أحمد أرسل إلى سنسن أيضًا جيشًا [213] أميره سارن الحسن به من أورب كد فهزمهم أهل سنسن أيضًا مع البنابر، ثم قام الأمير أحمد بنفسه غازيًا إلى سنسن فحاصرهم ثلاثة أشهر، ثم قال أميرها لأهل علم السحر من العلماء الإسلاميين أنا أعطيكم 1000 مثقال ذهبًا ومائة بقرة ومائة شاة ومائة من الرقيق ومائة ألف ألف من الودع[403] 100000000 ليدعوا له بانكشاف هذا الجيش عنهم، وكان هذا بعد صلاة الجمعة فانكشفوا ليلة الاثنين فأدخل الله تعالى الرعب في قلوبهم فارتحلوا ولم يبق في منازلهم إلا الجرحى الذين لا يقدرون على المشي، فخرج إليهم أهل سنسن وأجهزوهم ومن ذلك اليوم إلى أن دخل ملك فرانس فيهم لم يملكهم الأمير أحمد وكان ولبوباب يقول للأمير أحمد أولا إنه بوكرتك عن فعله هذا مع أهل سنسن فإنهم مرك أي سرخل يتحزمون بالأردية كالنساء ولكن تحت تلك الأردية السراويلات ولم يلتفت الأمير إلى كلامه وكان حينئذٍ شابًا صغيرًا غرًّا، إلخ، فجرب الأمور إلى أن كان ما كان، اهـ. وقيل إن معنى بُرَهمنسيان في كلامهم إبراهيم مصغرًا ومعناه في الفلاّنية براهيميل والله تعالى أعلم.

171 - قصة العبد كنج مع لامن سلي بن الملك علوسلي

وقيل أيضًا أنه كان رجل تاجر غريب في سنسن يسمى مامد سكل قال لأمير سنسن إذا أردت الصدقة فنادني لأعينك فقال إن صدقات سنسن كبيرات لا تقدر عليها ولا تطيقها، فقال اجعلني من أعوانك في الصدقة فقط، فلما أراد أن يتصدق أرسل

403 - الودع، جمع ودعة، يقصد به البقر الذي لم يسخر بعد في خدمة الأرض، والمودعة الناقة التي لا تركب ولا تحلب.

إليه بأن يعينه فيها بأربعين مهرة من الخيل ومائة مثقال ذهبًا وخمسمائة ألف ودعة [214] 500000 فأعانه بخمسين مهرة لم يلدن قط ومائتي مثقال ذهبًا ومائة ألف ودعة 100000 والله تعالى أعلم، ومن ذلك أن الملك بنابي من ذرية قل كان في زمني في سنسن رجل غريب تاجر يسمى علو سلي وكان كثير الذهب جدًا وكان له عبد يسمى الكنج وقد ملك من العبيد لنفسه 240 من الرقيق، وكان دار الكنج قريبة من المسجد وكان يعطي لمن سبق بالآذان للظهر قدر عشائه كل يوم وكان هذا دأبه إلى أن مات، وكان سيده علو سلي قد مات وترك ولدًا دون البلوغ اسمه لامن سلي وكان المال في يد الكنج يحفظه للصبي حتى يبلغ، فجاء أهل سنسن إلى بنابي فأخبروه بموت علو سلي وأن ماله في يد عبده الكنج وأنه كثير لا ينبغي أن يترك في يد العبد، فنادى بنابي العبد فسأله عن قدر ملكه فقال أملك 240 من الرقيق فقال الملك يا أهل سنسن إنكم ما عنيتم بعبوديته وإنما عنيتم بعبوديتي فأتوني الآن بألف مثقال ذهبًا وأربعين ألف ألف من الودع وإلا فلا ترجعوا إلى مساكنكم البتة، فأعطوه ذلك في الحين ثم إن ولد علو سلي المسمى لامن سلي كان من لدات ابن الكنج ومن أقرانه وقد بلغا وكان يحسبان أن الكنج والدهما معا وكانا قد تنازعا في ركوب فرس وتضاربا لذلك فجاء لامن يشتكي ذلك إلى الكنج، فنادى باللجام فلما جيء به حبا على الأرض بيديه ورجليه وأمر لامن بالركوب عليه وأن يلجمه باللجام ليعلم ابنه بأنه عبد له فأبى لامن عن ذلك فأكرهه وقهره على ذلك ففعل ثم قال له إن لأبيك اثني عشر قرية من العبيد وسأدعو كبراءها وأعلمهم بملكك لهم لأنهم إنما يحسبون بأني أنا مالكهم [215] ومتى أحضرتهم وأخبرتك فقل لي أنك لم تخبرني بأمرهم حتى الآن ولم ذلك ثم اجعل في رجلي السلسلة وقيدني بها ليتحققوا من صدق ملكك لنا، فناداهم الكنج وكانوا قدره كبيرًا وقال لهم أن هذا هو سيدنا جميعًا واعلم يا لامن بأني وهؤلاء ملك لأبيك وهذا تحته كذا من العبيد وهذا كذلك وهذا كذلك، إلخ، فقال له لامن لم لا تخبرني بهذا من قبل فسجنه بالقيد فخاف العبيد وعلموا بصدق الخبر بأن هذا هو مولاهم فتشفعوا إلى لامن ليطلقه فقبل وأطلقه، ثم قال لالكنج إن هؤلاء العبيد في يدك كما كانوا أولاً كلما احتجت إلى شيء أطلبه منك وكانا هكذا على أن ماتا رحمة الله تعالى علينا وعليهما وعلى عباد الله الصالحين آمين آمين.

172 - حكاية الأميرة آمنة سيسي وابنها بابا

وقيل كانت أخت بعض أمراء سنسن اسمها آمنة سيسي وكانت لها 4 بُلُوج وهي جمع بلير أصله بيت في باب الدار يبيت فيه الحرس وكان يعمر تلك البيوت الحرسية ويبيت فيها مائة بكر كل في أنفها قرط كبير من الذهب وفي أذنيها كذلك وكلما نكحت أخلفت مكانها بأخرى وهكذا دأبها إلى أن ماتت، وكان لها ابن اسمه بَابَ قال لأمه في يوم يكون غده يوم العيد أحب قميصًا لم يلبسه سنسني قط، فقالت له ذلك غير ممكن وقال لها يمكن ذلك بأن يخرج القطن ويحلج ويغزل وينسج فيصير قميصًا منسوجًا في يوم واحد ويصبغ في ليلته حتى يسود ويلبس في غده، فقالت ذلك ممكن [216] ففعلت ذلك ولكنه لما صلى العيد لم يرجع إلى أمه بل مات فجأة في المصلى، فسبحان القادر على ما يشاء وكان هذا الولد يطعم التلاميذ والغرباء الذين في سنسن كل صباح وهم كثيرون جدًّا، وقيل بل كان يأكل من طعامه في كل صبح كل من أراد من أهل سنسن والله تعالى أعلم.

173 - تصرف الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر

وقيل إن الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر في زمن تملكه لسك كانت نفقته لأهله في كل ثلاثة أيام خمسين مت، ومت في كلامنا الفلاّني عشرون صاعًا فتكون الجملة ألف صاع، تأمل، ومع ذلك في كل يوم مائة حوتة تامة جديدة طرية، وقد قيل أيضًا إن الأمير أحمد بن الشيخ عمر حين خرج من ساغو إلى جور خروجه الذي لم يرجع إليها بعد حمل معه من الذهب 120000 مثقالاً أي مائة ألف وعشرين ألف مثقال ذهبًا والله تعالى أعلم. ومن أخلاق البنابر حفظ العهد وقلة الخيانة فيه وفيهم أيضًا الشجاعة، ومن ذلك أن ناحية من بلاد ساغو يقال لها جامدك كانت في طاعة الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر، فأتعب أهل البلد رسله يكلفونهم بما يكرهون وكانت في تلك الناحية 15 قرية، فلما تأذى بالرسل أمير تلك الناحية أخرج الرسل من أرضه وخلع طاعة ابن الشيخ الحاج عمر وعلم الرسل بخلعه طاعة الأمير أحمد بن الشيخ، فرجعوا وعلموه بالأمر فأرسل إليهم سرية فأغاروا على أرضهم وأسروا منها أعلاجًا من جملتهم ابن أميرهم الذي خلع الطاعة، فلما أحضروا عند ابن الشيخ الحاج عمر أمر بقتلهم عن آخرهم فجعل المأمور يقتلهم ولم يتأوه...(404)

404 - انقطاع في ترقيم المخطوط: الانتقال من ص. 216 إلى ص. 219 وذلك لعدم وجود الصفحتين 217 و218.

[219] تسعمائة واثنين وأربعين سنة، ثم سرمبا كيت، ثم بتر كلبل في بلد سكر كر، ثم قُلُ جر إلى عل ويتال، وجملة مدتهم جميعًا ثلاثمائة واثنان وثلاثون سنة وسبعة أيام، فلما مضت هذه المدة جاء الشيخ عمر تال فأفسد ملكهم.

174 - بعض الحكام المتعاقبين على ملك ساغو (سَغُ أو سَكُ)

ثم ملك ساغو مع ابنه أحمد تال وابن ابنه مدان تال ومدتهم كلهم ثلاث وثلاثون سنة، ثم جاء النصارى فملكوا سق عام 1307 وأفسدوا ملك الحاج عمر وملكوا مَادُمْبَ سَه أرض سق في عام 1309 ومكث في ملك ساغو سبعًا وعشرين سنة وستة أشهر وسبعة عشر يومًا ثم مات ليلة الجمعة السابعة عشرة من شهر شوال عام 1339 من هجرته[405] صلى الله عليه وسلم، انتهى.

175 - نص رسالة بعثت بها آمنة كبر تستعجل فيها عودة ابن أخيها باب بن كوكير

وأما علماء سق فالذي بلغني خبره منهم الآن الشيخ العلامة والحبر الفهامة بَابَ سُوسُ وكان مسكنه في سنسند، ثم ارتحل عنها وانقطع إلى ساغو سيكر وهو فيها في قيد الحياة إلى الآن والحمد لله رب العالمين، وقد جاءته يومًا آمنة كير أخت تلميذي إسماعيل كير تستكتبه براوة إلينا لأمره برد ابن أخيه الأكبر باب بن كُوكيرُ وكان قد توجه إلى عمه إسماعيل تلميذي هذا على رسم الزيارة فحبسه عن الرجوع إليهم فلما استبطؤوه جاءت آمنة المذكورة إلى الشيخ باب سوس تستكتبه كما قلنا، ونص البراوة: بسم الله والحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وبعد، فالسلام [220] والتحية والإكرام والمحبة والإعظام والتوقير والاحترام من أمة ربها راجية من مولاها قضاء أربها وستر عيبها وغفر ذنبها آمنة كير إلى العارف بالله الجامع بين الشريعة والحقيقة ومحيي رسوم الطريقة الشيخ [...] وقانا الله تعالى به وسائر المؤمنين كل بوسي ومتعنا به برهة، آمين آمين آمين بجاه النبي الأمين صلى الله عليه وعلى آله كل وقت وحين موجب الحروف تلميذك وخادمك أخي الشقيق إسماعيل كير قد كان توجه إليه من عندنا ابن أخينا الأكبر باب بن كوكير على وجه

405 - سنوات 1307 و1309 و1339 هـ توافق على التوالي السنوات الميلادية التالية: 1889 و1891 و1920 م.

الزيارة فالآن قد استبطأناه جدًا جدًا جدًا لأجل أن أخاه الأصغر محمدًا مريض وأن أصهاره الآن قد استبطؤوه جدًا حتى أنهم عازمون على فسخ نكاح بنتهم، ولذلك أرسلت إليك هذا الكتاب لترسل إليه وتأمره بإرساله إلينا من غير تريث ولا إبطاء وأنا أسلم عليك جدًا ثم عليه وكذا يسلم عليك كاتب الحروف باب سوس بن الطالب عثمان سوس عاملهما بلطفه القدوس فالسلام. فلما رأيت البراوة قلت بخ بخ إن هذا يحسن العربية جدًا ما شاء الله لا قوة إلا بالله فتبارك الله أحسن الخالقين.

176 - بعض الأحداث التي وقعت في سك

وقد قيل إن ساغو لم يقع فيها قتال قط إلا بما لا تعتبر بل إن أتى ملك جديد متغلب قاهر يخرج الذي كان فيها هاربا [221] لخاصية وأن الغالب أن يملكها الغرباء والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، وأن قبيلة جرلا أول من سكن ساغو سيكر وأنهم فيها أهل علم وإسلام قديمًا وحديثًا، ومما يتعلق بتاريخ ساغو أن كجي بلد بين كن دك وسك موضع مملكة رجل اسمه ففا وكان أولاً من سائسي دواب الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر، فغزى الأمير معه ذات مرة فخرج ففا في سرية ومعه قدر عشرين من الفتيان يغيرون على بعض القرى من غير استئذان للأمير أحمد فوقعوا على بعض قرى كن دك فهزموها بإذن الله تعالى وأصابوا شيئًا من الغنيمة فقسمها ففا بين رفقته ولم يأخذ منها شيئًا لنفسه فقدموه عليهم لزهده في المال، ثم وقعوا على قرية أخرى فأفسدوها وأخذوا الغنيمة منها فقسمها ففا أيضًا بينهم خاصة دون نفسه فأخذ أصحابه من الغنيمة ما اشتروا له به فرسًا وأمروه بركوبه لأنه أميرهم، فما زال أمره يزداد وزهده في المال لم يزل إلى أن وجد جيشًا عظيمًا فسكن عند كجي فوسع ملكه، فلما مات تخلفه ولده كر مني وما زال ملكًا عظيمًا إلى زمن فرانس فقاتلوه ثلاثة أشهر عند كجي إلى أن قتلوه بها. وأما كن دك فهي بلد في جهة يمين ساغو إلى المغرب وأهلها يسمون سنف وأول أمير بها فيما نعرف دَاوُلاَ وأولاد ملوكهم يشقون من الفم ثلاث [222] شرطات طولاً في الخد وأولاد غير الملوك يشرطون من الفم عرضًا في الخد أيضًا، ولكن لما تملك باممي منع عن ذلك كله، فهو أي داولا والد كل كمنفى وهو أول أولاده فلما مات داولا تخلفه كل هذا، ولداولا أيضًا ولد يسمى سبى فأخذ كثيرًا من الذهب وذهب به إلى الأمير أحمد بن الشيخ عمر فوجده غائبًا في غزوة بَلَدُكْ وقد خلف على ساغو رجلاً

من فلاّن كرت يقال له ولبْوابَابَ، فسأله سبى عن الأمير فذكر له غيبته وأمره بالانتظار له حتى يرجع فأبى عن ذلك وطلب منه دليلاً يذهب معه إليه ففعل، فلما وصل إلى الأمير أخبره بحاله وأنه يريد منه جيشًا يقاتل به أخاه كل كمنفى فوعد له بذلك إذا رجع فاستصحبه سبى مدة إقامته هنالك، فلما رجعوا مكثوا قدر شهرين ثم خرج الأمير لقتال قرية اسمها باكن، فخرج سبى معه فأفسدوها ورجعوا أيضًا لسك، ثم استجاش الأمير جيشًا وأمر عليه لمَنْ سَاغُو وحَمّى دَسّ، فقال لهما اذهبا مع سبى إما أن تموتا وإما أن يملك كُنْ دُكْ، فذهبوا معه وقاتلوا أهل كن دك ثلاثة أشهر فهزموهم وقتلوا كل كمنفى، فتخلف سبى مكانه ومكث في الملك إلى أن سمع بإتيان جيوش فرانس، فأرسل إليهم أخاه الصغير المسمى باممي، فوجد فرانس في بمكوا[406] يريدون ساغو فاستصحبهم إليها فأفسدوها وهو معهم فأخذوا زوجة مدان بن الأمير أحمد وهي نفساء وحينئذ وأعطوها لباممي [223] فتزوجها ورجع بها إلى أخيه سبى بعد المبايعة لفرانس ومعاهدتهم كما أمره أخوه الكبير سبى، ثم لما مات سبى تخلفه باممي هذا وهم في كل ذلك في طاعة فرانس، ثم طلب منه فرانس أن يبنوا قصرًا عند قريته سكاسوا فأبى عن ذلك وامتنع منه فقاتلوه على ذلك حتى أفسدوا القرية، فلما علم بأنهم إن ظفروا به قتلوه أمر أحدًا من عبيده أن يقتله قبل ذلك فقتله ثم قتل العبد نفسه.

177 - نبذة عن حياة ساموروكيف ظهر أمره

وأما ابتداء أمر سامور،[407] كما أخبرنا به صمب كطَاطُ الذي كان أصله ماب ثم صار بمباط في مر، فإن والد سامور يسمى لانفي توري وأمه سخن كمر وقريتهم سننكر، وقد وقع

406 - استولى الفرنسيون على مدينة باماكو بعدها توجهوا إلى منطقة سك.

407 - أحمد ساموري توري أو سامور بن لانفي توري (Samory Touré) المعروف بالإمام الصمد (صمادو): ولد بميلو بمنطقة أعالي النيجر المعروفة بسنغامبيا سنة 1246 هـ/1830 م. وكان جنديًا وثنيًا اكتسب ثقافة دينية على يد أحد المرابطين، وتلقى تدريبًا عسكريًا لمدة سبع سنوات (1853-1859 م). تزعم الماندينغ وأسس دولة إسلامية بأعالي النيجر، فاستولى على كانكان وجعل قاعدته بيساندوجو (1873 م)، واتخذ لقب فاما أي (الملك). واجه الوثنيين وقضى على دولة السيسي، ثم تصدى للفرنسيين الذين شهدوا له بالشجاعة والمهارة في وضع الخطط. وقد تمكن بفضل جيشه المدرب والمزود بالأسلحة النارية من مواجهة الفرنسيين لمدة تناهز العشرين سنة (1881 - 1898 م)، قبل أن يضطر إلى التراجع أمام التفوق الفرنسي في العدد والعتاد، فتحول إلى جونجما (1896 م) حيث واجهه الإنكليز، فالتجأ إلى توما في الغرب حيث اعترضه الفرنسيون في جيليمو (1898 م) وألقوا القبض عليه، وظل في الأسر حتى توفي سنة 1900 م.

عليها الأمير سر برام ملك كني الساكن في قرية تسمى مدين وأسر أمه، وبين مدين وسننكر مسيرة سبعة أيام، وكان أبوه بقارًا وطلب منه سامور أن يعطيه من بقراته ما يفدي بها أمه فأبى عليه فذهب وحمل للتجار أثمان كُر ثم وأجروه من كر لما باعوا الأثمان فرجع بذلك وجلس في بسندك يبيع ما عنده من كر وأميرها يسمى ناري وزوجته منكي فخطب منهما بنتهما عيشة لما أطعماه فيها لما عنده من كر وكايساه إلى أن أنفد ما عنده من كر ثم أظهرا له الإباية والمنع فطلب منهما أن يردا له ما أعطاهما من كر فامتنعا أيضًا ورجع إلى أبيه خائبًا بائرًا وصار أهل قريتهم يضحكون منه لخيبته في سعيه، فطلب [224] من أبيه ثانيًا بقرات يفك بها أمه فأبى عليه أيضًا، ثم قام وقصد الأمير سر برام وقال له هذه أمي أريد أن تملكني معها فقال له حبًّا وكرامة ثم أنزله الأمير في دار أخيه الشقيق عمر سيسي، ثم غزا الأمير سر برام قرية من قرى أعدائه وذهب معهم سامور فوقعوا عليها فلما قتل حامل الراية سر برام أخذها سامور بيده وأظهر شجاعة بالغة فلما فسدت القرية أخذ منها اثني عشر أسيرًا ودفعهم إلى الأمير سر برام ثم رجعوا، ثم قام سر برام إلى قتال آخر وذهب معهم سامور أيضًا وحمل الراية فوقعوا على أعدائهم وغلبوهم وأخذ منهم أيضًا اثني عشر رقيقًا مأسورين ودفع الكل إلى سر برام، فقال له أنت وأمك الآن حران، فقال له سامور إن كان الأمر كذلك كذلك دعني أرجع مع أمي إلى أهلنا، فقال نعم ولكنك لا تستصحب شيئًا إلا هي، فرضي بذلك سامور ورجع مع أمه إلى سننكر فمكثا فيها إلى أن ماتت أمه فرجع أيضًا إلى سر برام مخبرًا بموت أمه وأنه الآن يريد صحبته إلى أن يموت، ففرح الأمير بذلك ثم طلب منه سامور أن يعطيه جيشًا يجاهد به قراهم فأعطاه إياه فلما فصل سامور بالجيوش أرسل إلى أخواله الكمريين الذين هنالك وكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد وأنه يريد منهم أن يستجيشوا [225] من قبيلتهم ما أمكنهم من الجيوش ويلتقوا معه متأهبين لقتال بسندك، فالتقوا معه قربها وهم زهاء مائتين من الفتيان المتسلحين، فوقعوا على بسندك وهزموها وقتلوا أميرها صهره وأخذ ابنته عيشة وتسرى بها، فقال للجيش كلما أخذتم من هذه القرية فهو لكم دوني وليس لي منها إلا جاريتي هذه فقط، ثم وقعوا على قرية أخرى وأفسدوها وأخذ غنيمتها واشترى بها السلاح والكراع فأعطاهم تلك الأسلحة والخيل، ثم وقعوا على قرية أخرى وفعل بغنيمتها كما فعل أولاً من بيعها بالأسلحة والخيل، فسمع بأمره سر برام فارتاب فيه وأرسل إليه بالرجوع إليه مع الجيوش، فأبى وقال لهم من اختار منكم سر برام

فليرجع إليه ومن اختارني فليبق معي فاختاره الكل لما رأوا من زهده في المال وسخائه ولم يرجع أحد منهم إلى سر برام، فأرسل سر برام إليه جيشًا أميره أخوه الشقيق عمر سيسي فالتقى الجيشان وهزمه سامور وقتله، ثم جاء سر برام بنفسه مع جميع جيوشه يريد قتاله فتقاتلا وهزمه سامور أيضًا وقتله، وهذا ابتداء أمره كما قيل والله تعالى أعلم بغيبه ونسأله بفضله أن لا يؤاخذ أحدًا منا بذنبه وإنه قادر على ذلك ولا يعجزه شيء من ما هنالك.

178 - بعض أخبار ملوك مسل وكيف توسعوا على حساب قبيلة جاور

انتهى تاريخ ساغو ويليه تاريخ مسسي[408] [226] ونقول لهم في كلامنا الفلاّني مَسَلَنْكُوبْ، وقد قدمنا الكلام بأن العبيد القواد لما قتلوا جاكر بتُو قتلوا بقية إخوته إلا الصغير منهم يقال له بوكر فتركوه لأمر أراده الله تعالى لأنهم لما تركوه هرب إلى أرض كرت بعدما كبر ومعه من قبيلة بتو وبني أعمامه أربعة رجال وهو خامسهم ولعل منهم قبائل ملوك مسل الخمس الذين يتناوبون الملك فيما بينهم الآن وهم: باكرلا وملاّ وموسرلا ودن ببو وسربوا، ولعل معهم الكثير من أتباعهم وعوامهم، فلما وصلوا إلى كِنْقَ وكَرْتَ ترحب بهم أهل جَاوَرَ وجَاوَنْبَ كرت الذين كانوا كالوزراء لأهل جاور ومن جملة أهل المواشي من مملكتهم، فأعطاهم أهل جاور فرسين كرامة لهم وأعطاهم جاونب كرت خمسة من العجول ضيافة لهم وأسكنوهم في كدومَ قريتين من قراها وهما مَدينَ ويَلْمَانْ، وكان جاونب تابعين لجاور نكوب وآراء الكل متفقة متحدة لاسيما في محاربة الأعداء، وصار أهل جاور يتعاونون بأضيافهم مسل على محاربة الأعداء، ثم إذا حصل لهم شيء من الغنيمة يقسمونها بينهم وبين مسل بالسوية وأن مسل يجمعون حصتهم ويتركونها من غير قسم ويبيعونها بالخيل والأسلحة لا غير، فلذلك قويت شوكتهم في أقرب مدة وصاروا أمراء الأرض بالقهر والغلبة ودانت لهم أهل جاور فصاروا يعطونهم في كل عام فرسين [227] كالجزية عليهم وجاونب يعطونهم خمسة ثيران كل عام أيضًا، وكان دار ملكهم يلمان قد مكثوا فيها مائة عام ملوكًا ما أزعجهم أحد في أمرهم وكانوا يتناوبون الملك بين قبائلهم الخمس وعادتهم أنهم لا يتناكحون فيما بينهم وإنما ينكحون من غيرهم كأهل جاور ونحوهم وينكحون بناتهم لأهل جاور كثيرًا فوقعت المناسبة بينهم وبين أهل جاور لذلك، وأما المسلي فلا ينكح مسلية أبدًا وذلك فرض مقطوع وحد عنه ممنوع وسنذكر السبب لذلك آخر الكلام عليهم إن شاء الله تعالى.

408 - تعليق المؤلف: مسل مسسي أو مسلنكوب بلغة الفلاني.

179 - اتحاد القبائل بزعامة الشيخ عمر للإطاحة بملك مسل

فكل من جنى جناية ولاذ بأهل جاور واستشفع بهم نجا وسلم بإذن الله تعالى، وهذا دأبهم مع أهل جاور حتى جنى أحد من أهل مسل جناية في ملك قرن وهو من قبيلة سربو فاستشفع هذا الجاني بأهل جاور فشفعوا فيه عند الملك قَرَنْ فرد شفاعتهم ولم يقبلها واقتص من الجاني، فصار ذلك سببًا للمنافرة والغضب والعداوة بينهم ولكنهم ما اقتتلوا حتى مضى زمن قرن والعداوة تزداد بينهم حتى تولى مامد كنجي الملك وهو من موسرلا وكان لا يتجاسر أحد على مقاتلة مسل في زمنهم، فاستجاش مامد كنجي هذا جيشًا يريد قتال أهل جاور ولكنه لم يبين مراده بل كتم أمره، فلما قرب منهم خرج رجل من أهل جاور يقال له كرنك متفطنًا لمراد مامد كنجي ومعه جيشه من الذين أجابوه إلى جل مراده فوصل إلى موضع بين فربك وكلمن يقال له واي جيم فتوغر مامد كنجي له غضبًا لتجاسره على الخروج عليه فوقع عليه عند ذلك الموضع فاقتتلوا وهزمه كرنك بإذن الله تعالى ونعوذ بالله من البغي والعجب فإنهما مهلكان دينًا ودنيا، فلما رأى أهل جَاوَر [228] ذلك تجاسروا على مسل وعلموا أنهم يهزمون وما كانوا يظنون ذلك بهم، فاجتمعوا بكرنك وصاروا يدًا واحدة على أهل مسل، فما زالوا يقتتلون إلى أن أتى الشيخ الحاج عمر الفوتي، فذهب إليه أهل جاور ومعهم كرنك وصاروا مع الشيخ وتعاونوا جميعًا على مسل ثم أجلوهم من كرت بعدما قاتلوهم سبع سنين أو أكثر، ولعل ذلك قبل مجيء الشيخ والله تعالى أعلم. وإن الشيخ عمر هو الذي قتل مامد كنجي وهو الذي قتل كرنك أيضًا بعد ذلك لما طلب منه أن يملكه أرض كرت، وقد قيل أن جَاوَرِيًا من رؤسائهم ولعله كرنك تكلم مع مامد كنجي ملك مسل ولعل التكلم وقع بالمراسلة بينهم في بعض سني المقاتلة بينهم، فقال له المسلي من أنت إنما أنت سوننكي سرغلي فقط، فقال بل أنا جاوري، فقال إذًا لا تكلم بكلام أسوانك بل تكلم بكلام جاور فأفحمه ذلك ولكنه قال وسأكلمك بكلام جاور الفصيح، فجاء بجيش وأغار على أموالهم وأولادهم وعبيدهم، فساقهم إلى قومه وأرسل إليه فقال له هذا كلام أهل جاور الذي سألت عنه. قلت وقد أذكرتني هذه الحكاية بما دار بين الشيخ الحاج عمر وبين أعيان تورب من أهل فوت الذين جاءوه وهو في مجلسه فسألهم هل أنتم فلاّن فقالوا لا لسنا بفلاّنيين إنما نحن من تورب، فقال لهم تكلموا إذا بكلام تورب أسمع، فجعلوا يتكلمون بكلام الفلاّن، فقال لهم

لا إنما هذا كلام الفلاّن لا كلام تورب، فقالوا نحن لا نعرف لتورب كلامًا غير هذا الكلام، فقال إذا أنتم فلاّن لا تورب فضحكوا وتعجبوا من عقله [229] وقبلوا لما علموا صدق قوله.

180 – رواية عن سبب منع المسلي من تزوج المسلية

ثم اعلم أن مامد كنجي هذا هو الذي سكن في أنجور منهم ومكث فيها إلى أن أتاه الشيخ الحاج عمر، وأول من عمر جور وأحياها بالسكنى عبد لجاونب كُرتَ اسمه بلال، ثم بعد ذلك ارتحل إليها مامد كما مر الآن، وكان مسل يغيرون على ما بين كنك إلى فوت طور وأيامهم مشهورة كدندور وكلك وبروج، ولعلنا سنلم بشيء من ذلك عند التأريخ في أمر دينكوب. وأما السبب في عدم تزاوجهم كما قيل أن رجلاً منهم تزوج ابنة عمه وللزوجة أخ شقيق فقدر الله الفتنة بين الزوج وأخي الزوجة فقتل أخا زوجته وقطع رأسه وجعله في إناء وغطاه وهذا كله والمرأة غائبة لغسل ثيابها، فلما رجعت أخبرها زوجها بفعله بأخيها وكشف عن الإناء وأراها رأسه وهذا الزوج هو ملكهم يومئذ، فقالت له زوجته متجلدة كاتمة غيظها إنما قتلت ونقصت نفسك وكأنك قطعت عضوًا من أعضائك وقد كان عصا من عصيك وفارسًا من فرسانك ولا ينبغي لي أن أبالي لهذا أو أتحرى له إنما ينبغي الحزن لك، فسكتت ولم تظهر لأحد تأسفها على أخيها قط فمكثت على ذلك أعوامًا حتى تنوسي أمرها وكانت أم زوجها في قيد الحياة وإنها إذا نامت لا تنتبه إلا بالدفوف والمزامير، فلما طال الأمد ونسي الكمد احتالت الزوجة وقتلت أم زوجها في جوف الليل وشقتها وأخرجت شحمها وطبخت به الأرز وقت السحر، فلما حان وقت الاصطباح قربت المطبوخ لزوجها فأكله مع وزرائه قائلين متعجبين من دسومته ما أسمنه من لحم، ثم أمر الملك أرباب [230] الدفوف والمزامير أن ينبهوا أمه، فلما وقفوا على الباب وفعلوا كعادتهم فلم تنتبه فتحوا الباب فإذا هي مقتولة ممثلة بها مثلة من أفظع المثلات، ثم رفع الخبر إلى الملك فجعلوا يفتشون الأمر ليعرفوا من فعله ولم يقفوا له على خبر، فجاءت الزوجة وزوجها جالس بين جماعته فأظهرت لهم أنها هي الفاعلة لذلك جزاء على فعله المتقدم بأخيها وأنها أطعمته لحم أمه وشحمها، فشاور الملك وزراءه في أمر هذه الزوجة هل يقتلها أو يطلقها، فقام كبراء مسل للتشاور في هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم، فاتفقوا على منع المسلي من تزوج المسلية ما بقي الدهر، وهكذا قيل والله تعالى أعلم، وقيل إن من عادتهم أن لا يواجه أحدهم دار الآخر ببَوْلٍ وذلك من شدة الغيرة لا غير، والله تعالى أعلم.

181 – أصل ملوك جاور وسبب تسميتهم بهذا الاسم

انتهى تاريخ مسل ويليه تاريخ جاور، وقد بلغنا أن أصل ملوكهم عبد لكرنك أي الدباغ الذي يخرز الجلد فخرج ذلك العبد ذات يوم إلى الصحراء يتصيد فالتقط هنالك سيفًا صقيلاً جدًّا ورجع به وخزنه عنده مكتومًا خوفًا أن ينتزعه منه سيده وإذا أراد أن يطويه طواه وإن أراد أن ينشره نشره، وكان النصر مقرونًا معه، فعثر عليه سيده الدباغ فطلبه منه فامتنع وأراد أن ينتزعه منه فقتله، فقام الناس من الدباغين وغيرهم يريدون أخذ العبد [231] وقتله وكان قد انضم إليه ثلاثة من العبيد يريدون الدفع عنه والمنع منه، فقاتلهم السادات وهزموهم وما زال الناس يجتمعون لقتالهم وينضم العبيد وغيرهم إلى الجاوري ويغلبهم الجاوري إلى أن صار ملكًا ضخمًا، وكان السادات يقولون عند القتال جا أي كما يقال للكلب عند زجره أور أي اترك، وهذا معنى جاأور أصلاً في لغة أسوانك أي اخسأ واترك السيف، فلما غلب الجميع وصار ملكًا اختار أن يلقب بهذا اللقب جاور، فحذفت الألف تخفيفًا إلهامًا من الله تعالى فقيل جاور، وقيل إن لقبهم جاور مشتق من اسم أرضهم جار والله تعالى أعلم، ويسمى البيضان لأهل جاور إتمال لا أدري هل ذلك نسبة إلى مالي أم لا والله تعالى أعلم.

182 – دامنكل واتصاله بسنجت ورواية عن السيف «سر الملك»

ولقب الملك منهم فرن ويقال فرن فلان، وقيل إن أصلهم من رجل اسمه دامنكل،[409] وكان صيادًا وضل في فلاة زمنًا طويلاً ثم أخذه أحد الدباغين وكان يطلب الصلاح في لغة البياضين أي كود في كلامنا الفلاّني، ولعل اسمه في العربية القرظ والله تعالى أعلم، فذهب به إلى سنجت وقال له قد وجدت هذا الصياد تائهًا سائحًا على وجه الأرض فجئت به إليك، فأخذه سنجت واستصحبه فرأى فيه سيمة خير فأحبه محبة شديدة وكان يصطاد في كل يوم في عادته ويرجع في الليل إلى الدباغ الذي التقطه، ثم أن سنجت زوجه بابنته لفرط محبته فيه واسمها كرى سنجت، فلما أراد دامنكل الرجوع على قومه أمر سنجت أحد علمائه أن يعطيه سكينًا من سكاكين الاصطياد وهن مجتمعة في قصرهن فدخل [232] الغلام القصر وكان مع تلك السكاكين سيف اسمه والي ويقال إن في ذلك السيف سر الملك، فأتى به الغلام فلما رآه أخو سنجت واسمه كر قال له أردده إلى القصر واجعله تحت السكاكين كلها فرده إليه

409 – تعليق المؤلف: وسيأتي أن دامنكل من ملنكوب أصلاً.

وجعله تحتها، فخرج وأمر كر بمعنى الجلد في كلام الفلاّن غلامًا آخر فدخل القصر فإذا بالسيف قد علا فوق السكاكين فأخذه وخرج به وأمره برده أيضًا وبأن يجعله تحتها ففعل وخرج، ثم أمر ثالثًا فدخل ووجده فوقها فخرج به أيضًا فأراد أن يأمره برده أيضًا، فقال له سنجت أعطه إياه لأنه متزوج ببنتي، فرجع به دامنكل إلى كمنتري وهو موضع في شرقي كني. قلت وأهل جاور يختارون هذا القول، وقلت أيضًا ما أشبه قصة السيف بقصة عصا موسى عليه السلام الذي أعطاه شعيب عليه السلام، انظر ذلك في قصص الأنبياء عليهم السلام وتواريخهم تجده شبيهًا بهذا، ولا أدري هل خبر هذا السيف من تزخرفات المؤرخين أم لا والله تعالى أعلم، ولكن أهل جاور يحترمون الدباغين جدًّا ويقولون إنهم ساداتهم، ولا أدري أيريدون بذلك القول الأول أو الثاني والله تعالى أعلم. وأول من لقب من ملوكهم بَفْرِنْ سلاَمَخْ أمَان ثلاثين سنة، وبعده فرن حان مخ أمه نجل كنكج ملك عشر سنين، ثم كريا محمود أمه كري كيتا، قلت ولعل أبو هذا هو الذي ضل في اصطياده تائهًا سائحًا إلى أن أخذه الدباغ إلى سنجت إلى آخر ما مر، فإذا القولان غير مختلفين لأنهما ليسا في شيء واحد، لأن الأول يذكر أصلهم ومبدأ أمرهم والثاني ليس كذلك بل يذكر أن دامنكل هو أصل اتصالهم بسنجت وأنه أتاهم منه بسيف فيه سر الملك والله أعلم.

183 – الحكام المتعاقبون على ملك جاور

وقد ملك كريا محمود هذا ثلاثين سنة، [233] ثم فرن ألجم دمب ملك خمس سنين، ثم فرن سلنخور أمه جم تور ملك أربعين سنة، ثم داب محمود وأمه فاتم دابو ملك شهرين، ثم خمس بنجك خمس كر بر ملك سنة، ثم فرن مخنجان أمه جان بن ملك سنة، ثم دال مود أمه دال قلان ملك سنة، ثم فرن سلنكن أمه كن يخل ملك عشر سنين، ثم فرن وال سرو أمه سرياف ملك خمس سنين، ثم فرن وال خنب كيسغمبن ملك خمس سنين، ثم فرن مكت أمه فاتم جخل ملك شهرًا، ثم دام بن وأمه بنا بنبار ملك ثمانية أعوام، ثم فرن بيفات وقيل بنك فات أمه فات مخار ملك عشر سنين، ثم فرن صمب كس، أمه فند تور ملك ثلاثة أشهر، ثم فرن جبد أمه جماسوخ ملك عشر سنين، ثم فرن سنكل عس أمه بوبو فوفن ملك ثمانية أعوام، ثم فرن محمود مل أمه سدهاسن ملك عشر سنين، ثم فرن صنب نيب أمه نيب صنب

ملك سبع سنين، ثم فرن مندال أمه دال ماكس ملك سبع عشرة سنة، ثم فر محمود جان أمه جان فر ملك سنة واحدة، ثم فرمد كدمبي أمه سخناد مباك ملك سنتين، ثم فر بيسري أمه كم صمب ملك سنة واحدة، ثم فر صنب فري أمه كيمبار ملك خمس سنين، ثم دامنسل وفي أمه يغلي دلكا ملك سنتين، ثم فر بيصمب أمه جمامود ستامود ملك أربع عشرة سنة، ثم كرنك مود أمه دال فاتم سخنغ ملك ثلاث سنين، ثم فر دام تكن أمه نامن تور ملك أربع سنين، ثم فر بيد ندن أمه دندن ملك أربع سنين، ثم فرن محمود عس أمه عس كت ملك خمس سنين، ثم فر محمود جاب أمه جاب فر ملك ثلاثة أشهر، [234] ثم فرن مندال أمه دال ماكس ملك سبع سنين، ثم فرن بك أمه يغلي فر ملك سنتين، ثم فر مادسك أمه كم صمب ملك خمس سنين، ثم فرن كت ملك أربع سنين، ثم فر سلم صمب ملك خمس سنين، وفي زمنه ضل سيف السلطنة في جار اسمه فغل، وبعد ذلك رأوا السيف في جبل جالا وأتوا به إلى جار وبعده ملك فرمغل أو مخل أمه سرسوخ ثلاث سنين، ثم فر ماسري ولم تتم سنة حتى ملكهم الشيخ الحاج عمر الفوتي، ثم اعلم أن جميع عدد ما ملك الجاوريون في جار مائتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر، هكذا رأيته في ورقة بيد بعض أسوانك.

184 – بعض المعلومات الخاصة عن أهل جاور

ورأيت في خط بعض أسوانك أن في زمن فرن ماسري هذا وقعت الفتنة بين سكون ودابون، فارتحل دابون إلى المغرب وبقي سكون في المشرق، ولم يذكر فيه الشيخ عمر، وفيه أن محمود لما مات ترك ولدًا صغيرًا وجعل الملك في يد مد جنكرنك خمس سنين ثم تخلف الولد واسمه سلامخ، وفيه أيضًا أن عبدًا من عبيدهم اسمه ألجما دمب تسمى بفرن يومًا واحدًا ثم قتل بعده والله تعالى أعلم، واعلم أنهم يقلبون الإضافة ويضيفون المضاف إليه إلى المضاف نحو مال زيد يقولون فيه زيد مال، فلذلك ترى المضاف منهم إلى أمه كثيرًا ما يذكرون اسم الأم أولاً ثم يذكرون اسمه بعده كما نضيف نحن في لغتنا الفلاّنية اسم الولد إلى اسم أبيه أو أمه نحو زيد بن عمر ونقول فيه زيد عمر أو زيد بن هند نقول فيه زيد هند مثلاً، وأسوانك يقولون فيهما عمر زيد وهند زيد وهكذا،[410] ولعل الأم لها اعتبار زائد عندهم

410 – تعليق المؤلف: فائدة اعلم أن أسهل العجم من أهل تكرور أهل فوت تور ونحوهم كلها مبنية الضمرات لا غير، والله تعالى أعلم.

فلذلك يقولون وأمه كذا ولا يذكرون أباه والله تعالى أعلم. ثم اعلم أن أهل جاور معروفون [235] بالجمال الفائق لا أعرف هل ورثوا ذلك من أهل مَسَلِ للمناكحة الكثيرة بينهم أو غير ذلك والله تعالى أعلم.

185 - رواية أخرى عن دامنكل وكيف حصل على السيف وتولى الملك

وأخبرنا بك جاور سايفد ولاس فجره بأن الحكايتين الأوليين كلتيهما باطلة وحجة من احتج بهما داحضة ساقطة، والحق أن أصل جاور من رجل اسمه دامنكل وكان في أول أمره صيادًا سائحًا في الأرض ويأوي إذا جنه الليل إلى موضع أشجار ملتفة وإذا أصبح يغدو إلى صيادته، وكان ذات يوم عند روضة فمر به أحد الحجاج وهو زاغوي اسمه الحاج سوار وصلى هنالك بعض الأوقات ونسي عند موضع صلاته جيد نعامة مملوءة ذهبًا فأخذه دامنكل عنده وخزنه عنده ولم يحل وكاءه فضلاً أن يأخذ ما فيه، فلما وصل ذلك الحاج مكة المشرفة تفقد ذهبه وتذكر أنه تركه في تلك الروضة التي وجد عندها دامنكل وتسلف هناك قدره وصرفه في حوائجه ثم رجع إلى تلك الروضة فوجد فيها دامنكل أيضًا، فلما رآه يتفقد علم أنه صاحب لقطته وسأله ما الذي ضاع لك، فقال جيد نعامة مملوء ذهبًا، فأتاه به فقال له الحاج كم وجدت عدد هذا الذهب، فقال والله لم أحل وكاءه منذ لقطته إلى الآن، وسأله ما الذي يريد منه ليعطيه فقال له لم أرد منك شيئًا إلا الدعاء وسكينًا للصيد، فأخذ الحاج ذهبه ورجع به إلى مكة وقضى جميع ديونه فسأله أهل مكة عن قصته فأخبرهم بما جرى بينه وبين دامنكل ودعوا له بالبركة وأعطوا الحاج قطعة سيف يقال إنه سيف سيدنا علي رضي الله عنه وأمروه أن يعطيه له، فلما رجع ولم ير دامنكل ودع القطعة عند منامخ ملك كان من ملوك جار قبل أهل جَاوَرَ [236] ولقبه جَغَتي وصار لقب بعض بنيه الآن سكات وكثير منهم في أول وجان يقال لهم جلبا ومورمسي في نتبل منهم، فلما ودع قطعة السيف عنده قال له إن رأيت صيادًا سائحًا في صحاري أرضك فأعطه إياها، وكان هذا الملك جائرًا في رعيته فإذا ركب يطعن برمحه المسموم كل من لقيه، فطعن ذات يوم غلامًا من الرعية فصار مجروحًا متحيرًا يجول في الأرض سبع سنين، فرآه دامنكل في تلك الحال وداواه إلى أن برئ من الجرح، فقال له الغلام شيعني إلى البلد فشيعه إلى القرب من قرية الملك فوقف هنالك ووصل الغلام إلى القرية فلما رآه أهله تعجبوا من برئه وسألوه عن خبره فأخبرهم به وذهبوا إلى

دامنكل يطلبونه وأول من أخذه دباغ، فرجعوا به إلى القرية وأعطاه الملك ذلك السيف المودع عنده، فلما أخذه وخرج به إلى الفلاة تبعته الوحوش فعرف أن فيه سرًّا فخزنه عنده، ثم إن أهل القرية أحبوه جدًا وقالوا إن مثل هذا لا يليق بالعقلاء أن يتركوه يذهب عنهم فأخذوه عندهم ثم احتالوا في أمر منامخ ملكهم وسحروه حتى جن وخرج سائحًا في الأرض، فأمروا دامنكل عليهم.

186 - بعض الأحداث التي وقعت في جاور كما رواها بك

فولد محمود دامنكل فهو والد سلامخ محمود وولد سلامخ سبعة وثلاثين ولدًا ذكرًا وبنتًا واحدة وهؤلاء أصل جاور، والسبعة الأولاد التابعة للثلاثين هم الملوك عليهم وتخلف فيهم على الملك أربعة وأربعون رجلاً، ثم وقعت الفتنة بين قبيلتي جاور وسكون ودابون لتنازعهم في الأمر فاقتتلوا سبعة أعوام ثم استغاث سكون بمسلنكوب فغلبوا دابون فانهزموا فخرجوا إلى كاس وطلبوا منهم الإعانة فلم يقدروا على ذلك، وجاوزوا إلى فوت طور مارين وراء النيل جهة البياضين، [237] فلما وصلوا أرسلوا إلى أَلْمَامْ عبدل(411) يعلمونه بقدومهم يريدون السكنى في أرضه، فأرسل إليهم عال محمود عال راس قلت أو أحدًا من ذريته، فلقيهم هناك وقطعوا النيل عند وَارْمَ، وفلر جاور من رؤسائهم يومئذٍ، فسكن عند فجر فأعطاه ألمام عبدل ما حولها من الضياع وذهبت بقيتهم منتشرين في فوت، ولا ترى ملكًا لجاورنك في فوت إلا في فجر كما زعم بك جاور، وقيل أن حرائث كُلَاَطَ التي حول لجلب كأول فجر لا غير كما سيأتي ذلك في تاريخهم إن شاء الله تعالى وإنما بك مدع فقط والله تعالى أعلم، ومدة مجيئهم إلى هذه السنة وهي سنة 1920 من الميلاد(412) مائة وست وستين سنة كما زعم بك والله تعالى أعلم، وسنزيد في ذكر كيفية قتالهم بأبسط من هذا، وزعم بك أيضًا بأن سبنكوب الذين كانوا ملوك مندي ولقبهم كنات وهم منتكوب، لما أفسد سمنكر الذي لقبه كنتي ملكهم وأجلاهم جاءهم في جار ولاذوا بهم ومكثوا معهم في كنك قبل الفتنة التي وقعت بينهم أربعين سنة، وبعد ذلك وقعت الفتنة بين سكون ودابون فانهزم دابون إلى فوت وهاجر معهم سبنكوب إلى فوت وهم أهل بك لج وغيرها من القرى، وزعم بك أيضًا بأنه يعرف نسب نفسه

411 - عن حكم الإمام عبدل (عبد القادر حمد كن)، انظر هامش رقم (507)، ص. 456.

412 - سنة 1920 م توافق 1339 هـ.

إلى دامنكل وأما ما وراءه من الآباء فلا يعرفه أحد منهم إلا الكذاب، فقال في نسب نفسه أنه بك بن دب بن فلر بن ماسنبل بن خل بن سنكل بن بيفاتي بن سلب سندي بن سلامخ بن محمود بن دامنكل، انتهى كلام بك والله تعالى أعلم.

187 - أسباب الفتنة بين قبيلتي دابون وساكون من أهل جاور

ثم اعلم أن أهل جاور قبيلتان متكافئتان إحداهما دابون والأخرى سكون، فوقعت الفتنة بينهما في جار وسببها أن رجلاً منهم اسمه بَنْجُكْ [238] نازعه ابن أخيه واسمه سلاماك في الملك وكان سالاماك أكبر من عمه سنًّا، فقال له بَنْجُكْ أنا أحق بالملك منك لأنك ابن أخي، وقال له سلاماك بل أنا أحق بالملك منك لأني أكبر منك سنًّا، وكان مع سلاماك إخوة له كثيرون فاجتمعوا كلهم ومن انضم إليهم من أحبابهم على بنجك وتقاتلوا زمنًا ثم استغاث بنجك بأهل مسل فصاروا معه وأغاثوه على جيش سلاماك وهزموهم بإذن الله تعالى وأرحلوهم من كرت وأخرجوهم منها، فهاجروا مغربين حتى وصلوا فوت فأرسلوا إلى ألمام عبدل يستأذنونه في السكنى في أرضه فأمرهم أن يسكنوا حيث شاؤوا، فانقسموا أقسامًا كثيرة، ومن رؤسائهم يومئذٍ فلر فاختار فجر وهو أصل من فيها اليوم، ومنهم رجل آخر اسمه كت فاختار سوريك، وصمب نيب اختار كنل وذريته فيها اليوم صاروا حواتين وتركوا أسوانك أصلاً، وقد صار بعضهم من بوناب سمفن كما قيل، وقد أخبرني بعض أهل كنل وقال لي إن أهل جاور الذين صاروا في كنل حواتين قد انقرضت الآن ذكورهم إلا رجلاً واحدًا في سلل اسمه بوب كاي، وهو لا يعرف لغة أسوانك، انتهى والله تعالى أعلم، وفر مخ مامدا اختار ساين كلياب وكانت فيها قرية تضاف إلى مالك وهو والد صمب مالك وكان تاجرًا مشهورًا ثم انتقل بنوه إلى مدين جاجب ولقبهم كسم جابي، وفل مختار اختار نباج، ومسي دابو اختار بكجو، وكت مامدا اختار سادل، ومود كنجي اختار سانكن، ودب موط اختار جم وفي أوك سوم ماسر، وهؤلاء كلهم من قبيلة جاور، وبوكر جكن اختار كيهيد وليسا من أهل جاور، وهكذا إلى آخر أمرهم، وقيل أن منهم من صار من كلياب في كلجن وغيرها والله تعالى أعلم، وقيل إنهم لما انهزموا تفرقوا ثلاث فرق [239] فرقة منهم ذهبت على قرية من قرى باقن تسمى باقوي وفرقة إلى جالا وفرقة إلى بند وفوت وهي التي انقسمت أيضًا هذه الأقسام المتقدمة، وقيل إن سبب الفتنة بين سكون ودابون امرأة يخطبها فتيان أحدهما من سكون والآخر من دابون

وهو في غاية من الجمال والسكوني ذميم قبيح المنظر، وقال الدابوني الجميل للمرأة ألا ترين وجه الذي يخطبك، فقالت بلى رأيته فظن أنها ما رأت وجهه ولم تتأمله فاجتمعا عندها ذات ليلة ومع كل واحد منهما جماعة من قومه فأراد الدبوني إفضاح السكوني فقال قد سقط هنا خاتمي آتوني بنار لأطلبه بها فتفطنت المرأة بمراده وقالت لا توقد النار بل ارجع فقط وأنا أطلب لك خاتمك وآتيك به صبيحة غد فأبى إلا إيقادها وتفطن السكوني أيضًا بمراده، فقال للمرأة دعيه يوقدها ولكن متى أوقدها الليلة فلا تنطفئ بعد بين أهل جاور فلما أتوه وأوقدها قتله السكوني بسلاحه، فاقتتلت الفئتان فصار سببًا لإيقاد الفتنة بين القبيلتين فاقتتلتا مدة من الزمان ثم انهزمت قبيلة الدابون فخرجوا من كرت وهاجروا إلى بند وفوت والله تعالى أعلم، والمشهور الحكاية الأولى. وقيل إن مسكن أهل جاور كان في كنك التي فيها جار فلما غلب سكون دابون ارتحل دابون وسكنوا في جمبغ أرض كاس فافتتن أهل كاس بموت أبيهم دمب ساكي وكان اسم ولده الكبير مَدٍ واسم الصغير سمبل وكان معه أهل جاور دابون، فذهب مد واستغاث بمسل وأعانوه وغلبوا سمبل فانهزم هو وجماعته وهرب أهل جاور [240] إلى كدمغ وأرسلوا قومًا منهم إلى فوت فوجدوا ألمام عبدل في غزوة بُنْكُوُ فترحب بهم سارن مل وانتظروا قدوم ألمام فأنزلوهم في دكناب إلى أن رجع الإمام فأخبره سارن مل بأمر أهل جاور فأمره الإمام بالذهاب معهم إلى كدمغ والإتيان بقومهم إلى فوت ففعل، فلذلك يعدون من مشرق بوسي عند صفوف القتال وقد طلبوا من الإمام أن يقسم لهم شيئًا فقال قد تم ما يقسم ولكن لكم أن لا تخمسوا عند الغنيمة ولا يتجسس عليكم وأنتم الحكام في دمكم وكلما ذبح في الجيش من البهائم فلكم الرجل القدّامة، اهـ عن ممد بوب السبنكي في بك لج. وفي «التاريخ الفتاش» للقاضي ألفع محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت التنبكتي الوعكري، قيل إن مل مشتمل على نحو أربعمائة مدينة وأرضها كثير الخير ليس في مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها، وأهلها ذوو ثروة ورفاهة عيش، وحسبك بمعدن الذهب في أرضه وشجرة كور الذي لا يوجد مثلها في الأرضين من التكرور إلا أرض بُرْكُ، ويد سلطانها مبسوطة من بيت فنكاس وكياك إلى سنفل وفوت وزار وعربها في زمانهم الأول ولا يتولى ملك كياك إلا عبيده وأمراؤه ولا يدخله إلا يَعْت ثم بعد ذلك رجع أمره إلى جاز.

188 - أخبار عن كياك ووصف عاداتهم وعادات ملوكهم

ثم غلب على تلك البلدان أهل كياك وخرجوا عن طاعة ملكي وقتلوا أميره وخالفوا عليه وتسلطن فيها أولاد جاور وتلقبوا كياك وقويت شوكتهم وعظمت دولتهم وقهروا أهل تلك الجهة وقاموا بالمحاربة وعظم جيشه وكثر حتى كان [241] يخرج إلى القتال في نيف وألفين من الخيل وكان بأرض كياك مدينة عظيمة قديمة سبقت زَارَ بناء وإمارة واسمها سائن دنب بسين مهملة مفتوحة فألف مكسورة فنون ساكنة، وهو بلد الجافناوين الذين يقال لهم جافننك وهي موجودة من زمن كيمع ثم خربت عند انقراض دولة كيمع في أيام فتنتهم، وبعد خرابتها بنيت زار ورحل بعضهم إلى كسات وهم المسمون بكس وبعضهم إلى زار وهم قد غلب عليهم كياك فرن وسلب ملكهم وعلى جميع عربها إلى فطط وتشْتَا وتَكَنَكَعْ، وأرذل الناس وأصغرهم عندهم فلن يغلب رجل واحد منهم عشرة من الفلاّنيين وأكثر ما يأخذون من طاعتهم من الغرامة الخيل إلا أن ملوكهم ليس عليهم هيبة الملوك ولا يلبسون في زي الملوك ولا يخرجون في زينتهم ولا يلبسون العمامة ولا يجلسون على الفرش إنما هم في الفلاّنيين أبدًا وربما يجلس الملك بين أصحابه مختلطًا بهم ولا يعرف من بينهم ولا يملك مع كثرة خيول جيشه إلا فرسًا واحدًا أبدًا عادة جارية فيهم مع قوة سلطنته ولا يخرج من بيته إلى زيارة أحد ولا يخرج من بيته إلا إلى الجهاد فقط ولا يدخل المسجد إلا لصلاة العيد لا غير، وكانوا يقولون كفى الملك زينة ملكه وسلطنته ولا يحتاج إلى الزينة بعد ذلك، ومرّ كُرْ منْ فَارِ على كياك إلى تَنْيِضّ ملك فوت وخافه كياك فرن وتحير في أمره وظنه يأتيه وبعث إليه الهدايا يطلب رضاه.

189 - خروج كرفار عمر لقتال تنيض ملك فوت

قيل أن كياك فرن وقع بينه وبين تنيض [242] ملك فوت أمور وخصومة وتشاجر وحلف بأن يكسر بلده ويصيره صحراء، وكان أقوى منه قوة وخيلاً ورجالاً، فاستغاث لذلك بكنفار عمر ولذلك خرج إليه وهذا أول ما سمعنا من القصة، ثم أخبرني بعض العارفين بسيرهم أن سبب خروج كر فار عمر إليه أن أحد الزغرانيين من أهل سغي كل سنة يخرج إلى فوت ويتجر فيها وسمع به تنيض وأخذ ماله ظلمًا وجورًا وأراد قتله وهرب إلى كر من فار عمر

ووقع فيه وأغضبه ولذلك خرج إليه وقد بلغ أهل سغي في الحرب وعلم القتال والشجاعة والنجدة ومعرفة المكيدة غاية ونهاية، انظر كيف خرج كر من فار عمر بهذا الجيش العرمرم الكثيف وقطع بها هذه المفازة البعيدة إلى قتال تنيض ملك فوت مسيرة نيف وشهرين من تندرمة إلى فوت، وكيف ظفر بهم وتمكن من ملكهم وقتله وغنم فيهم الأموال الجسيمة وكان ذلك في عام ثامن عشر بعد تسع مائة.[413] انتهى المراد من تاريخ «الفتاش» هنا وسنأتي بقتل تنيض هذا أيضًا في تاريخ تنيضنكوب أي دانينكوب إن شاء الله. قلت قوله عن طاعة ملكي ومعنى كي في كلامهم الصاحب أو الرب أي صاحب مل، وقوله فلن معناه في كلامهم الفلاّني أي فل في لغتنا الفوتية، وقوله كياك فرن أي فرن كياك لأنهم يقلبون الإضافة يقدمون المضاف إليه على المضاف، وقوله في سائن دنب بسين مهملة مفتوحة فألف مكسورة، إلخ، ولعله فألف مد ساكنة، تأمل [243] والله تعالى أعلم، وقوله أحد الزغرانيين وهم في ظني جاونب وواحدهم زغران في لغة الوعكريين أي سوننكيين ولغة أهل تنبك زورن، وقوله كياك أي كجاك، وقوله كنفار عمر وكر من فار عمر كلاهما لقب لأخي الحاج محمد أسكيا أصغر منه ولعل معنى اللقبين النائب أو نحو ذلك واسمه عمر كمزاغ، وقوله من تندرمة وهي قريته ومسكنه بنيت عام الثاني والتسع مائة من الهجرة.

190 - الأحكام في تومبوكتو للقاضي وليس للسلطان

وفي تاريخ «الفتاش»[414] أيضًا عند ذكر تنبكت وهي أي تنبكت يومئذٍ أي قبل نزول الجيوش المراكشية وقبل إجلاء القاضي محمود بن عمر وحفدته وأسباطه ليس فيها حكم إلا حكم متولي الشرع ولا سلطان فيها والقاضي هو السلطان وبيده الحل والربط وحده، ومثلها أي تنبكت في أيام سلطنة مل جعب بلد الفقهاء وهي في وسط أرض مل لا يدخلها سلطان مل وليس لأحد حكم فيها إلا قاضيه ومن دخله كان آمنًا من ضيم السلطان وجوره ومن قتل ولد السلطان لا يسأله السلطان بدمه يقال له بلد الله، ومثلها أيضًا بلد يقال له كنجور بكاف مضمومة فنون ساكنة فجيم ممدودة فراء مهملة، بلد بأرض كياك بلد قاضي تلك الأقاليم وعلمائها لا يدخلها جندي ولا يسكنها أحد من الظلمة إلا سلطان كياك يزور علماءها

413 - سنة 918 هـ توافق سنة 1512 م.

414 - تاريخ الفتاش، ص ص. 11-13، 60. انظر هامش تومبوكتو رقم (57)، ص. 89.

وقاضيها في شهر رمضان [244] من كل عام على عادتهم القديمة بصدقاته وهداياه ويفرقها عليهم، وإذا كانت ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه ويحملها وهو قاعد وهم قائمون تعظيما لهم وهم على ذلك إلى هلم جرا، كذا، حدثني به الحاج محمد بن محمد سر الكجاكوي، انتهى. قلت وهذا يدل على أن ملك جاور كان ممتدا إلى كنجور وما وراءها لأن أهل جاور هم ملوك كياك كما يعلم ذلك من كلام صاحب تاريخ «الفتاش»[415] وأن كنجور مدينة لأسوانك قرب خلي في سدي، انتهى.

191 - عودة للحديث عن أصل دامنكل

واعلم أن أصل دامنكل من ملنكوب ولذلك كان بنوه من أهل جاور يلبسون كثيرًا اللباس الأصفر وكان مسكنه كنتور وجاء لثول صيادًا يجول في الفيافي إلى أن جاء لمندق وجاءه الملك فيها كما تقدم وكان لقبه أولاً تبايس ثم صار جاور، قيل أنه كان لقبًا للأقطه الدباغ فاختار التلقب به وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم، والملوك من بينه 33 ملكًا وملك من عبيدهم اثنان وقتلا في آخر يوميهما كما قيل، وكان مسكنهم كنك فلما جاء مسل أسكنهم أهل جاور في كرت فصارت في ملكهم خاصة لهم دون أهل جاور، ثم اعلم أن قبائل سكون ست وهم جغلنقر ومكت وفرمبوب ودام وبنجكر وسلنكر، وقبائل دابون ست أيضًا وهم فرن جكد وجكري ودال مود وساكاماد وفرممغ وكسرنكوب، وأبوهم دابو محمود الذي أمه فاتم دابو، وسابع قبائل سكون بكر خمب الذي منه عبيدهم صاروا منهم، أخبرني بهذا...[416]

192 - تزويج أهل جاور بناتهم لسادات مسل تجنبًا لمواجهتهم بالحرب

[247] وزيره وابن عمه نيما لمقاتلة ملك جاور فرضي الجاوري بذلك، وكان قتالهما بالقسي فتقاتلا بقوسيهما وكان أحدهما يرمي الآخر بسهم القوس نحو السماء ثم ينزل على

415 - تاريخ الفتاش، ص. 39، وقد ورد ذلك بهذه العبارات: «ملك ملّ (مالي) مشتمل على أربعمائة مدينة وأرضها كثيرة الخير... ولا يتولى ملك كياك إلا عبيده وأمراءه... ثم غلب على ملك البلدان أهل كياك وخرجوا من طاعة ملّ كي (ملك مالي) وقتلوا أميره وخالفوا عليه وتسلطن فيها أولاد جاور وتلقبوا كياك وعظم ملكهم وقهروا أهل تلك الجهة، انتهى».

416 - عدم وجود ورقتين من المخطوط (ص. 245-246)، وهذا ما تسبب في انقطاع السياق وإهمال ترقيم صفحتي 244 و 246.

المرميُّ فيصيبه أو يخطئه فما زالا كذلك إلى أن أصاب سهم قوس نيما رأس ملك جاور فقتله وصار ملك جار منضمًا إلى ملك كل ولعل هذا قبل إتيان أهل مسل إلى أرض جار، فلما أتوا صار الملك لهم كما مر في تاريخ مسل، وهذا لم يفسد ملك جاور بل صاروا تحت غيرهم فقط وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم، ثم أن أهل جاور معروفون بالجمال الفائق لا أعرف هل ورثوا ذلك من أهل مسل للمناكحة الكثيرة بينهم، وقيل إن هجرة جاورنكوب المتقدمة لما وصلوا إلى مخن من قرى بسلنكوب اتفق أهل بسل على إيقاع الغارة عليهم فعلم أهل جاور أن لا قدرة لهم على الدفع عن أنفسهم إلا بهذه الحيلة وهي تزويج بناتهم لسادات أهل بسل يومئذ، فأخرج جاورنكوب بنتا لهم تسمى سندي ابنه بنجك وال سقا فزوجوها صمب ياسين وأخرج أهل جن كنت سلم بكر وهم أهل موسى دمب الذي كان في همد هنار كدايج نكر فأعطوها لواحد من أهل بسل اسمه خسن وأخرج سبنكوب بنتًا تسمى جامي بل فأعطوها لوال صمب كني وكان هؤلاء الثلاثة أقوى أهل بسل يومئذٍ فلذلك خصوهم بالإعطاء ولذلك رجعوا عن إيقاع الحرب بهم، وأما سندي فقد ولدت لصمب ياسين مامد سندي وسلمن سندي وسل سندي، وأما مامد فقد قتله الشيخ عمر وأما سلمن فهو والد برك بنتل الذي كان سايف وتوفي [248] في الأعوام الماضية، وأما كدايج بكر فقد ولدت لخسن سري خسن والد بياك جوك وجابي جوك المقتول في مقام زمن سارن براهيم وياس جوك وكان بياك هذا من تنكات مخن، وأما جامي بل فلم تعقب إلا بنتًا واحدة.

193 - عودة إلى أخبار جاور وعلاقتهم بالقبائل الأخرى

ثم إن هجرة جاورنكوب تجاوزت إلى كدمغ وتركوا أهلهم عندها وأرسلوا رسلهم إلى ألمام عبدل فوجدوه قد خرج إلى بنكوو وترحب بهم أهل مل من أهل سلن ثم أرسلوا دمب سر الذي هو دمب مختار والد موسى دمب وبل الذي منه سبنكوب بك لج وحمد تقاير جد مخننكوب الذين منهم كندي لك وفودي كرير ودمب عس جاراج وفل مختار، وهؤلاء فرسانهم المرسلون إلى ألمام عبدل وقد لحقوه في كلكول من قرى جلف، فما زالوا معه إلى أن حضروا معه القتال، فلما أسر الإمام رجعوا إلى سلن أودكناب ومكثوا فيها تسعة أشهر منتظرين للإمام لعله يطلق، فلما رجع الإمام سأل عن حالهم فقيل له إنهم ما زالوا في انتظارك إلى الآن، فأمر بإحضارهم فحضروا فترحب بهم وأمرهم أن يختار كل واحد منهم أي موضع شاء، فاختار كل كبير قوم منهم ما شاء من المواضع، فاختار أهل جن كنت سادل وهم أبناء

سلم بكر الذي كان يكنى بجن كنت وقيل أنهم كاكرنكوب وأصلهم مغن كمر كان ملكًا في بلد دوروك في المشرق كما قيل ثم إن حفدته افترقوا بعده فذهب مغن كت كمر إلى مندق وهو والد سلمن سغن ومنه مخننكوب الذين منهم كندي لك في همد هنار وذهب جبيا إلى جار فهو والد فاتم مغا والد دمب والد مود والد سلامخ والد بكر والد سلامخ والد [249] كت والد مود والد دمب والد موسى دمب الذي كان في همد هنار. وكان لفَاتُمْ (مَغَا) جاه عظيم عند ملوك يغتي ملوك جار الأولين قبل أهل جاور كما قيل، وكان للملك منامخ ولد قتل بقرة فلاّني عزيزة عنده جدًا وكان قد خير الفلاّني ذلك الولد أن يقتل من بقره ما شاء إلا هذه البقرة فأبى وقتلها ثم قتله الفلاّني، فلما علم منامخ بذلك أمر جيشه أن يقتلوا كل شيء أحمر لشبهه بالفلاّن وأن يقطعوا كل شجرة حمراء فلما علم بذلك أمير الفلاّن أتى إلى فَاتُمْ مَغَا فقال له إني أعطيتك الفلاّن المسمون بماخناب الحمر والسود منهم وهم جاونب ملن ولقبهم في فوت دف وفي كنك درام، وأما الحمر فألقابهم سه وجل وغيرهما، فأعطاه أمير الفلاّن كثيرًا من الفلاّن ليفارق منامخ وحينئذٍ قال له إن لم تترك قتال الفلاّن فقد فارقتك وقيل أنه طرده عن جار وأخرجه عنها بالرغم فذهب إلى لمبايد فمات فيها، فلما خرج أتى فَاتُمْ مَغَا بمحمود بن دامنكل الجاوري وملكه عليهم وهو أول ملوكهم، وهذا سبب تملك أهل جاور عليهم كما قاله موسى دمب الهناري، وقبيلة يغتي هم الذين صار لقبهم في المغرب الآن سكات وفي المشرق جاري، وقيل إن فاتم مغا تشارط مع محمود الجاوري أنه لا يحب بناته وأنه لا حاجة له بهن وإنما حاجته في ماله فقط وإن أراد محمود الجاوري نكاح بناته هو فله ذلك وكانوا على هذا الشرط من ذلك إلى الآن، ثم إن جد مخننكوب سلمن سغن هو الذي جاء إلى جاور من مندق ولم يشارط الجاوريين بشرط فاتم مغا فلذلك يتناكحون إلى الآن.
وقيل إن دامنكل صار عبدًا لسنجت تغلبا وجاء دباغه وطلبه منه فأعطاه إياه وهو الذي طلب له من سنجت السكين للصيد، وقيل إن هذا السكين هو الذي أتى به من مكة الحاج موسى خنجك وكان دامنكل يدبغ سبع سنين [250] للدباغ إلى أن ذهب دامنكل إلى ساغو فأعطاه ملكها بنته واسمها كري وهي والدة محمود الساكن في أول قرية لهم تسمى تود نكني، وأن ابن ملك جغتي منامخ اسمه بمبا وهو الذي كان معه رمح مسموم يطعن به من لاقاه فلقي واحدًا من أولاد الملكين لهم فطعنه برمح مسموم، واسم بقرة الفلاّني جلفر ومعناه جل فر فقتلها فقتله الفلاّني فهرب الذين معه إلى أبيه فأخبروه بفعل الفلاّني فقام أبوه مع جيشه

فقاتلهم فقتلوه فلما قتلوه أتوا بمحمود بن دامنكل فولوه عليهم وكان أبوه قد مات قبله، اهـ، هكذا أخبرني ممد بوب في بك لج والله تعالى أعلم. ثم إن أهل جاور لما هاجروا إلى فوت هاجر معهم الفلاّن ماخناب وكانوا مع أهل فاتم مغا وهم أهل سلم بكر جن كنت وهو والد بكر جامي ومتار وكت، وأما بكر فهو والد كنق دمب ومعنى كنق في لغتنا الذهب وكنق والدة دمب سر والد موسى دمب وأما كت فهو والد مود كت والد متار مود والد دنب متار الذي هو دمب سر والد موسى دمب أيضًا ومن أولاد كت أيضًا ماسلي كت والد ماسكاماسلي والد متار جاور الذي كان في الأعوام الماضية في تربنال خاي وأما متار جن كنت فهو والد بياك والد جف والد ألخال والد جف الذي في همد هنار الآن.

194 - أخبار جف الأول ومواجهته لأهل تمبا كندي

وأما جف الأول فهو من جملة جاورنكوب الذين أتوا مع الهجرة، وقد تقدم أن أهل جن كنت اختاروا سادل ومنهم جف ومعهم الفلاّن ماخناب أبناء جك عيش، ومكث جف مع قومه في سادل مدة طويلة ثم صاروا يصعدون أوان الخريف إلى نباج وبعضهم إلى بجكو، وفي سادل إلى الآن مواضع شتى تنسب إليهم ومنها جب كت في ناحية سنكال وبارل جف في مرتن، وبعد مدة ارتحل عنها جف إلى دو وبنى فيها بناء وحصنًا حصينًا محيطًا بأهله ونسمي ذلك البناء في لغتنا تت فلذلك يقال لقريته إلى الآن دوتت، ثم ارتحل إليه كثير من أهل كدمغ [251] للسكنى معه كقبيلة هيان وبران وسيدهم يومئذٍ فودي سليمان والد باب آدم وهو من قبيلة بران، وقد كان جف يألف البياضين جدًّا ويسمع كلامهم ولذا كانت اللصوص منهم يأوون إليه ويختفون في قريته ويسرقون أموال القرى من أهل سنقال ويرجعون إليه وهكذا فكثرت فيهم السرقة وبيع الأحرار والعبيد، وسلط عليهم الله الطيور فأكلت زرائعهم أولاً بذنوبهم وسوء أفعالهم، ثم أرجف بذلك أي بسوء أفعالهم المرجفون ورفعت به الشكايات إلى ألمام يوسف، فقال الإمام أنه من جملة أضيافنا الجاوريين والرأي أن نحضر كبارهم ونشاورهم في أمره، وكبارهم يومئذٍ كت وال في همد هنار وكت ماسنبل في سوريك وأولاد سوما في أوك وفل مختار في نباج وفلر في فجر، فأحضر الإمام الكل منهم وشاورهم في أمر جف وأن أهل فوت اشتكوا إليه أمره، فاتفق الجاوريون وقالوا للإمام جزاك الله عنا خيرًا حيث أكرمتنا في الاستشارة والرأي عندنا أن ترسل إليه وتقول له إنك تريد الخروج

إلى جلف للغزو فلا بد لك من مرافقته معك فليأتك الآن مع فتيانه وشبان قريته، ففعل الإمام كما أمرُوا، فلما علم الإمام بأن جف خرج من قريته هو وشبانه يريدونه أرسل جيشًا وأمرهم أن يقطعوا البحر عند ودبر ويذهبوا إلى القرية دو ويرحلوها الآن إليه وأن لا يفعلوا لأحدهم بشيء يسوءه إلا من أبى ولم يمتثل أمرهم والإمام يومئذٍ في كنل مع جف، فلم يشعر جف بشيء إلى أن رأى عياله واقفين بين يديه فقال لقد تم علي الدست ثم تفرق أصحابه فمنهم من سكن في بو وبعضهم في كن وبعضهم في هردلد [252] ومنهم سيد أهل كدمغ فودي سليمان وقد مات في هردلد وقبره فيها وذريته اليوم في بل في كدمغ والله تعالى أعلم، ثم اختار جف سوريك وسكن فيها إلى عام جب ياب وهو عام جوع شديد في فوت، فلما اشتد على الناس الجوع رحل جف كجملة أهل فوت إلى بند ومكث هنالك إلى أن مات، وقيل كان رجلاً يحب الحرب ويعرفه وقد حضر مع ألمام عبدل يوم بنكوو ثم غزى غزوتين مع أهل جاور إلى تمبا كُنْدَا في أُولْ، وغزوتهم الأولى قد أغاروا على تمبا كندا فخرج لهم أهلها وطردوهم إلى داخل بند، فظن أهل جاور أن أهل تمبا كندى قد رجعوا عنهم فاستراحوا في كركت قرية معروفة من قرى بند، فقال لهم جف لا تجلسوا فإني غير آمن من هؤلاء فلم يقبلوا قوله بل أزالوا السروج عن خيولهم وجلسوا، وأما جف فلم يزل سرجه من على فرسه وتبعه على ذلك فرمخ الصغير وأمَّا غيرهما فقد أزالوا السروج عن الخيول ثم إنهم لم يمكثوا غير ساعة حتى أحاط بهم فرسان تمبا كندا فاستوى جف وفرمخ على فرسيهما وقتل كثير من الآخرين، ومن جملة من مات يومئذٍ من رؤسائهم كت بنكوم وبنجك مليل وهمد بنجك وسيدهم بوردب، إلا أن مامد سقا قد انتقم لهم جدًا في غزوة ثانية، وصورة ذلك أنه قد أخرج الجيش إلى تمبا كُنْدَا فلما قربوا من القرية قسم جيشه ثلاث قسمات، قسمتان أمرهما بالاضطجاع على جانبي الطريق للاختفاء والقسمة الثالثة أمرهم بالغارة على القرية، فأخذوا حتى امتلأت أيديهم من الأسرى فرجعوا هاربين فتبعهم أهل تمبا كندا أيضًا حتى دخلوا بين القسمتين المضطجعتين على جانبي الطريق فقاموا عليهم [253] بالبارود فقتلوا جُلَّ أهل تَمْبَا كُنْدَا، فرجع جاورنكوب سالمين غانمين، وقد قيل أن ألمام عبدل[417] سألهم حين التقى معهم هل تحبون أرضًا تحرثونها فقالوا نحن لا نحب إلا أن تتركنا مع مدافعنا نغير بها على بلاد أعدائك فما وجدنا فهو لنا وتتركنا على عوائدنا فلا يتجسس علينا أحد، فقبل لهم ذلك والله

417 – انظر هامش رقم (507)، ص. 456.

تعالى [أعلم]، وهذا يدل على أن انجان ونحوها لم يدخل في ملك ألمام عبدل أو إن كانوا قد دخلوا فيه أولاً فقد ارتدوا آخرًا والله تعالى أعلم.

195 - بعض عادات أهل جك عيش

وأما جك عيش رئيس فلاّن ماخناب فإنهم سكنوا في سادل تبعًا لأهل جن كنت الذين منهم جف لأنهم ما كانوا يسكنون إلا معهم، وقيل إن جك عيش سمع ثورًا يخور في جار فقال يا عجبًا، فسئل عن ذلك فقال إن بقراتنا ستساق إلى فوت وإلى قرية من قراها تسمى سادل، ولذلك السبب اختار جف سادل مع الفلاّن ماخناب فسكنوا فيها زمنًا طويلاً، وكانت عزائبهم تجول بمواشيهم في مراعي فوت وترجع إلى مساكنهم في سادل وقد كثرت مواشيهم جدًّا حتى إذا ولدت بقرتهم العجل الأسود أو الأحمر يصدقونه على الفقراء ولا يقتنون من ذكور البقر إلا الأبيض، فما زالوا كذلك إلى أن هاجروا كلهم مع الشيخ الحاج عمر إلى المشارق ولم يبق لهم في فوت الآن أثر ولا يعرف لهم خبر إلا قليلاً من الآحاد الأفذاذ فسبحان الموجد الموجود الإله الواحد المعبود لا رب غيره ولا خير إلا خيره. ثم اعلم أنه كان من عوائد جن كنت الذين هم كاكرنكوب مع أهل جك عيش الذين هم الفلاّن ماخناب أن بنتًا من بنات ماخناب إذا تزوجت فلا بد لزوجها أن يعطي لأهل جن كنت عجلاً جسدًا، ثم على أهل جن كنت أن يكسوا [254] البنت المتزوجة رداء لفائفه تسعة وأذرعه تسعة وإذا ذبحت لبنت من أهل جن كنت بهيمة فلماخناب منها الضلوع وإينابنار في لغتنا من كل بهيمة قلت البهائم المذبوحة أو كثرت إلى غير ذلك من عوائدهم معهم والله تعالى أعلم. وقيل إن جاورنكوب لما تركوا أهلهم في كدمغ وأرسلوا رسلاً منهم إلى فوت فترحب بهم أهل مل من أهل سلن جاءوا بأهلهم الذين في كدمغ إلى أف فانتظروا إذن الإمام هنالك على أن جاء فخيرهم في أي موضع شاؤوا كما مر والله تعالى أعلم.

196 - تفرق قبائل الفلاّن ومنهم أهل ماسن

انتهى تاريخ جاور ويليه تاريخ القاسات أي أهل ماسينا واعلم أن أهل كاس من الفلاّن لا غير ولكن لسانهم صار بمبريا، كما أن واسلوا وبركوا وكنادك وبسندك وماسينا وفوت تور فوت جلو أصل الكل واحد وهو الفلاّنية. وزعم المخبر بأن أصل الكل من تنكل

بن فلاّن والمخبر من أهل واسلوا والله تعالى أعلم ذلك ولا أدري هل تِنْكَلْ هذا هو تِكَلْ وَالِدُ كُلِ أو غيره والله تعالى أعلم، ولكن واسلوا وبركو وقنادك وبسندك وكاس متغير عن أصل اللسان الفلاّني والله تعالى أعلم، وقد قيل إن الفلاّنيين كلهم كانوا مجتمعين في أرض البياضين[418] كتفنت وتيشيت وإرقيب إلى ولايت وما والى هذه المواطن والأماكن يرتحلون بالمواشي كالبياضين، ثم وقعت الفتنة بينهم وبين البياضين بقتل بعض الفلاّن بعض أولاد البياضين، فعظم ذلك على البياضين فاجتمع بعض قبائل منهم أولاد الناصر وغيرهم وطردوا الفلاّن إلى حوض وباقنة وكنك وما والى هذه الأماكن، فمكثوا هنالك ما شاء الله ثم ضاق الأمر على الفلاّن لضيق الأماكن مع كثرة المواشي، فتشاور كبارهم في أمر الهجرة والتفرق في الأراضي، ثم مر ذات يوم وفد من كبار جلب على رجل كبير تحت شجرة وَرِيقَةٍ وكان الوفد [255] يتكلم في أمر الهجرة، فقال لهم الرجل الجالس تحت الشجرة الفضل للمتقدم أي الدولة والدرجة لمن هاجر أولاً وفي غده ارتحل كار جلب إلى ماسينا وبعد ذلك هاجر أرط أوروب إلى فوت تور وهاجر الباقون إلى مندق ثم تجاوز فرقة منهم إلى فوت جلو وفرقة إلى واسلوا، ولعل لذلك إذا سألت ماسنيًا عن أصله يقول نحن من فوت وأهل فوت تور أيضًا كذلك ينتسبون إلى ماسن، ومما يدل على ذلك أن أهل ماسينا فيهم جلب وأوروب وفريب وبرناب، وكذلك أهل فوت تور وأهل فوت جلو وأمراء تمبت برناب وأمراء لب جلب وأمراء كين أوروب إلى آخر أراضيهم وقبائلهم. ثم اعلم أن من الذين بقوا في أرض باقن بعد تفرق قبائل الفلاّن في البلاد أهل كاس.

197 - سبب خروج أهل كاس من أرض باقن وقتل جاج كنديل لأمير خجار

وسبب خروجهم عنها ومجيئهم إلى هذه البلاد رجل اسمه جاج كندابل وكان عاشر تسعة من إخوته وكلهم من أب واحد وهو أكبرهم سنًّا فولدوا كلهم إلا هو فقال بعض الكهان إن في بقراتك ثورًا فحلاً فاحفظه جهدك ولا تتلفه لأنك إن لم تخرجه من يدك ترزق ولدًا،

418 - أرض البياضين أي أرض البيضان خلاف السودان وتطلق على الأراضي المأهولة من غير أهالي السودان، أي مناطق موريتانيا ومراكز قبائل التوارق شمال تومبوكتو. ويعرف البيضان ببشرتهم التي يغلب عليها البياض ويتميزون بطريقة حياتهم وعاداتهم البدوية المرتبطة بالبيئة الصحراوية، وينتمي أغلبهم إلى جماعات صنهاجة البربرية وخاصة التوارق منهم وإلى القبائل العربية ولا سيما عشائر الحسانيين. وقد أصبح لفظ البياضين بحكم الاستعمال يطلق لدى أهالي السودان الغربي على سكان بلاد شنقيط ويخص الناطقين منهم باللهجة الحسانية.

فاختتن أولاد إخوته في يوم واحد ثم أتوه وسألوه ما يذبحون فذهب بهم إلى البقرات وقال لهم اذبحوا منها كل يوم واحدة مدة مكثكم في الاختتان سواء ذكورها أو إناثها إلا هذا العجل فقط فاتركوه لي ولا تذبحوه، فقبلوا له ذلك وجعلوا يذبحون كل يوم ما شاؤوا منها، فقال لهم واحد منهم ذات ليلة أنا أقتل لكم هذا العجل غدًا، فقالوا له لا تفعل لأن عمنا جاج كندابل قد حذرنا منه أي تحذير ولا ينبغي أن نخونه، فقال إن ذلك حق ولكني سبقني لساني ولا أقدر أن أرجع عن ما قلت فإذًا لا أكون كرلاج، فلما أصبح غدًا إلى البقرات فطعن [256] الثور برمحه فمات فذهب راعي البقرات إلى جاج فأخبره به فلم يجبه بل سكت عنه حتى إذا جن الليل أتى إليهم بغتة فقتلهم كلهم، فخرج هاربًا إلى موضع بين جور والنيل يقال له شرق عند أسوانك ويقال له سنكي عند أهل كاس، فوجد فيه أسوانك في آبارهم فسألهم أن يسقوه فأبوا فحفر بئرًا فشرب منها وتلك البئر باقية إلى الآن يقال لها فل كده أي بئر الفلاّن، ثم ذهب إلى موضع بين كنك وجافن يقال له خجار فطلب من أمير ذلك الموضع السكنى معه فقال له الأمير ما حرفتك فقال رعاية المواشي والحرب فأعطاه بقراته يرعاها له يؤاجره كل سنة بعجلة، فلما أكمل السنة أعطاه إياها فجعلها في يد امرأة كان الأمير أنزله عندها، ثم إن الأمير أخذ العجلة من يد صاحبة المنزل في حال غيبته مع البقرات فأعطاها إحدى زوجاته، فلما رجع في الليل أخبرته المرأة بما فعل الأمير فأتاه في تلك الليلة وقتله غيلة أي خدعة في بيته فبات معه في ذلك البيت إلى أن أصبح الصبح، فلما غدا الناس إلى دار الأمير أرسلوا واحدًا منهم إليه فوجدوه ميتًا وجاج جالس في البيت، فقالوا له لأنك أنت القاتل للأمير لا غير، فقال نعم فأخبرهم بما فعله من انتزاع عجلته وإعطائها لزوجته، فقالوا إنه ظلمك ثم تشاوروا في أمره وقالوا إن قتلناه لا يتسبب ذلك في حياة الميت فاتفقوا على نفيه وإخراجه من أرضهم فأخرجوه منها فذهب إلى كك قرية من قرى كنسكي اسم بلد للنكوب واسم ملكهم كنت فري مد بوراما، فلما قرب من تلك القرية جلس تحت شجرة تيدوم، فمرت به أمة الأمير وهي من الفلاّن وكانت تحتطب فسألته عن حاله وأخبرها بأنه من الفلاّن، فرجعت إلى سيدها وأخبرته بأمره فأمرها أن تناديه، فدخل على الأمير [257] فطلب منه السكنى أيضًا كالأول، فاستخبره عن حرفته فأخبره بها فآجره في رعاية البقر أيضًا وكان اللنكيون لا يأكلون لبنًا حينئذٍ بل لا حاجة لهم في الماشية إلا اللحم فقط، فجلب لهم ذات مرة وسقاهم اللبن الحليب فقاؤوا كلهم فحقنه لهم إلى أن صار رائبًا فسقاهم إياه أيضًا فلم

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

زهور البساتين في تاريخ السوادين

مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

الحاج موسى أحمد كامره

تقديم وتحقيق وتعليق
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

زهور البساتين في تاريخ السوادين
مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

PART -2

الجزء ٢

الكويت
2010

يقيئوا فصاروا يأكلون الرائب دون الحليب، وكان الملنكيون أيضًا يأنفون من تزويج بناتهم للفلاّن حينئذٍ فتزوج جاج كندابل تلك الأمة الفلاّنية فولدت بنتًا تسمى أمن، ثم إن إخوة جاج كندابل أرسلوا أخاهم من الأب واسمه مارنف صمب إليه لأنه شقيقه فقالوا له اذهب على شقيقك فأمنه منا وقل له فليرجع إلينا معك فلا بأس عليه ولا تثريب لأنه لا يأمن أحدًا منا غيرك، فلما أتاه وأخبره بذلك قال له جاج الحمد لله الذي أتاني بك لأنه ما كان لي هنالك إلا أنت وحدك والآن لا أذهب أنا ولا ترجع أنت إليهم أبدًا، ثم إن مارنف صمب أراد التزويج فقال له جاج لا تجد من هؤلاء امرأة أبدًا لأني كنت طلبت ذلك منهم ولم أجد إلا أمة لهم هذه وهي أم بنتي هذه فالرأي أن تتزوج ببنتي هذه لا غير، فتزوج بها عمها مارنف صمب هذا فولدت ولدًا يسمى مخنجا وهو والد ديا مخنجا وسندق مخنجا وكِلو مخنجا، وديا مخنجا هو أصل أهل ديال وسندق مخنجا هو أصل أهل بمباير وكلوا مخنجا هو أصل أهل باقلب.

198 – حكاية عن مارنف صمب وانفراده بالحكم

ثم إن الملك كنت فري مد بوراما جهز جيشًا يريد قتال أعدائه، فطلب منه مارنف صمب أن يعيره فرسًا يركب عليه حتى يرجع الجيش لأنه يريد أن يذهب معهم [258] ليقاتل معهم الأعداء فقال نعم متى أردنا الخروج أعرك الفرس، وكان له فرسًا لا ينزجر بلجام ولا يمنعه عن إقدام ولا إحجام، وكان للملك أخ فطلب منه ذلك الأخ أن يركبه على ذلك الفرس أيضًا، فقال له إن ضيفنا الفلاّني سبقك إليه ووعدته فقال له لا بد لي منه، فقال له الملك إذا عزمت على ذلك فخذ الفرس من غير علمي لئلا يقول إني أخلفته الوعد، فلما أن يوم الخروج للسفر إلى القتال غَلَّسَ (وقت الغلس أو الظلام) وأخذه بغير علم أحد إلا سائسه، فلما أصبح أتاه مارنف صمب وسأله عن الفرس، فنادى السائس وسأله عنه فقال له إن أخاك ذهب به وقت التغليس، فقال مارنف صمب لا بأس عليك ولا عليه فذهب راجلاً، فلما التقوا مع الأعداء جمح الفرس براكبه وذهب به إلى الصحاري فما رأى له أثر ولا عثر إلى الآن، ثم إن مارنف صمب أظهر شجاعة عظيمة في تلك الغزوة وأخذ أمتين، فلما رجعوا اشترى بإحداهما صهرته التي هي زوجة أخيه جاج قلت ولعله اشترى بالأخرى زوجته التي هي بنت أخيه، فما زال أهل كاس من الفلاّن في ازدياد وتناسل.

199 – ظهور ملنكوب ويامد هاو وتوليهما الحكم

إلى أن مر بهم واحد من أهل العلم بالسر أو السحر وقيل هو مالك سه ورأى ضرر ملنكوب بهم وبأمثالهم من الضعفاء كنومخاب، وكان أحد ملنكوب يمر بأحدهم وهو يحلب بقرته فيقول تحفظ من الدم فيقتل البقرة برمحه أو بقوسه أو سيفه، فيقوم الحالب عنها باكيًا حزينًا، فقال لهم العالم بالسر أو السحر المار بهم هذا قاتلوا هؤلاء الظالمين وأنا أعمل لكم حجابًا للنصر يرمى للأعداء ولكن إذا رمي يموت الرامي والمرمى به معًا ثم ينزل النصر لحزب الرامي، فقبل ذلك يامدهاو هو ولد سندق مخنجا وذكر ذلك لمن معه من قومه الفلاّن ولنومخاب وكان [259] ملك هؤلاء ملنكوب الآن اسمه فري كنك دامخ وهو وجماعته مخالفون لملكهم الأول ينهون جماعة الثاني من ظلم الفلاّن وغيرهم من الضعفاء فلا ينتهون عنه فلذلك لما توافق الفلاّن على قتالهم وافقهم على ذلك قوم الملك الأول واستصحبوهم على قتال الملك الآخر، ولكن الفلاّن ومن انضم معهم خافوا من رمي ذلك الحجاب، فقال لهم يامدهاو فها أنا أتوكل على الله تعالى وأرمي الحجاب للأعداء بشرط إن أمت ووجدتم النصر عليهم يكن الملك الآن لولدي فيكون الخمس المأخوذ من هذه الغزوة له، فقبلوا له ذلك الشرط فقاتلوهم فأول قرية وقعوا عليها تمبن فر وكانت قرية الملك فري كنك دامخ ومعهم كنسكنوب وهم قوم كنت فري مد بوراما، وقالوا إن الفلاّن كانوا ضيوفًا لجدنا كنت فري مد بوراما فلننصرنهم ولنقاتلن معهم، فقاتلوا معهم ملك ملنكوب فري كنك دامخ، فنصروا عليهم وهزموهم وطردوهم إلى داخل بمبغ فلذلك يقدم أهل كاس أهل كنت فري مد بوراما، ويقال لهم أهل كنسك في الجيوش إلى الآن، ثم إنهم لما هزموا أعداءهم ورجعوا وفوا بالشرط.

200 – تولي ساكا دوي بن يامد هاو الحكم

وولوا ابن يامدهاو وقد قتل في ذلك الجيش واسم ذلك الابن ساكا دوي فلما قوي سلطانه اجتمع وزراؤه وعبيده وقالوا الرأي الرشيد أن نطلب له بنتًا من بنات الملوك ليكون أبوها سندًا وعونًا لنا على أعدائنا، فخطبوا له [260] بنتًا من بنات ملوط دينيكوب بمال جزيل وزفوها إليه ومعها من وزراء أبيها وعبيده كلياب ثلاثمائة لجام أي فارس ليسكنوا معها هنالك ويؤنسوها واسمه قرمل قيسر فولدت له قيسر جاج وكان ليامدهاو أيضًا أخ

صغير اسمه كاج سندق وهو والد بنته فنت نومخ وولده سافر كنت فتوفي كاج سندق فتزوج ساكادوي فنت نومخ فولدت له كمب كنت وحليم كنت وهي أنثى تسمى بنوكمب كنت هذا بقمبيا وهم الآن في بافلب وماهن، وتزوج أيضًا بامرأة تسمى بل هاو فولدت له دمب ساكي وسلتك يامد وهاوار وهي أنثى، ثم توفيت كرمل قيسر فأخذ قيسر جاج ابنها جميع ما أتت به من أبيها وعمر به قرية جاجيا وهم أهل مك دك ومنهم من في خاي الآن ويقال لهم دمبيا، وسلتك يامد هو أصل أهل دكري وسروجامكا ويقال لهم سلتكيا، واسم الكل أهل بمبار، وأول أولاد دمب ساكا دب سمبل والد هاو دمب والد جخسمبل وكنت سمبل، ومن أولاد ساكا أيضًا دمبممد ويقال لبنيه دمبممديا ولا يملكون الآن شيئًا كما قيل والله تعالى أعلم، وأما سلتك يامد فهو والد كمبس سافر والد مربا الذي هرب إلى قر في جافن وطلبه الأمير أحمد بن الشيخ عمر من أهل قر فأبوا أن يردوه إليه وكان ذلك سبب الفتنة بينه وبينهم إلى أن أفسدها وخربها، ومن أولاد سلتك يامد أيضًا مارن كمب تمان وكمبس دمب وجامايقل ومارن كمب ساكا، قلت ولعله هو ألمام ساكا وقد أمره بالتسمية به واحد من ألمامات فوت جلو في تمب حين جاء في كاس والذين معه حينئذٍ هم الذين جاؤوا بثمار نت شجرة معروفة وكانت تلك الثمار من أزوادهم فلذلك نبتت شجرة نت في بلاد كاس وما والاها، [261] ولم يسم بألمام أحد من ملوك كاس غيره قبله ولا بعده، ويقال لبنيه ألماميا، وكان ساكادوي هذا يسكن بمبار إلى أن توفي.

201 - حكم قيسر جاج بن ساكا دوي الحكم

وتَخَلَّفَهُ (أي خلفه) ابنه الكبير قيسر جاج وحارب ملنكوب فأتاه إخوته كمب كنت ودمب ساكا وسِلَتِك يامد وأسكن كمب في قرية جنكل، ثم أتى كمب كنت إلى كجكار فبنى فيها مسكنًا ثم مات قبل أن يسكن، ثم قال دمب ساكا لأخيه الكبير قيسر جاج فليقسم مال أخينا الميت، فقال له إنه ما ترك إلا النساء فاذهب أنت وسلتك فاقسما زوجاته وهن ثلاث، أولاهن تكت وكانت قد ولدت لكمب كنت تكت ساكا، والثانية هاو جاي وكانت قد ولدت له أيضًا هاو محمود وهاو ساكا، والثالثة بتور وكانت قد ولدت له أيضًا بتور ساكا، ثم إن تكت وهاو تزوج بهما دمب ساكا، وأما بَتُورَ فتزوج بها سِلَتِك، ثم إن دمب ساكا سكن في كجكار التي بناها كمب كنت وسكن سلتك في تيسي قرية من قرى كدمغ وسر، ثم إن قيسر جاج ارتحل

من جاجيا فسكن كنماكن قرية بين مدين وكجكار وأسكن ابنه كم ساكا في مدين قرية بين جمبك وسر، ثم إن أبناء كمب كنت سكنوا في ترنكا بلد بين جور وجمبك وهم هاو محمود وساكا، فسكن عبيد قيسر جاج في نواحي وادي كول ين وعدد قراهم هنالك 33 قرية، وكول بن في وراء البحر بين خاي ومدين، ثم إن قيسر جاج ارتحل أيضًا من كنماكن إلى قرية خمار في جمبك ولم يبعد ما بينهما وبين كان اسم قرية لأهل كاس، فسمع بهم بمبر كرت وقرية مملكتهم كم واسم ملكهم يومئذٍ سيبا من وكان عبيده يجولون في البلاد فأتوا قرية كان فوجدوا فيها أحدًا من شبان كاس يضفر رأسه وله كلب، فلما أرادوا المرور عنده عض أحدهم كلبه فقتله [262] المعضوض وأخبروه به فقام بسلاحه وقتل قاتل كلبه ثم رجع العبيد إلى سيدهم وأخبروه بما وقع فأتاهم بجيوشه فخرب القرية كان وسكن فيها في داخل حصن عمل له فيها فأتاه هناك كيسر جاج فتقاتلا، ثم أتاهم جيش من مدد بمبر فهزموا جيش كَيْسَرْ جَاجَ وقتلوه في ذلك اليوم، فسكن بمبر في جامكا وتخلف دمب ساكا وقاتلهم هنالك وقتل سيبا من، فخرجوا إلى كرت.

202 - تولي الحكم هاو دمب حفيد ساكا دوي وتنظيمه لمملكته

فلما توفي دمب ساكا تخلف مكانه ابن أخيه سلتك يامد واسمه مارن كمب ثمان، فلما توفي استخلفه كمبس سافر، فلما توفي استخلفه جامايقل، فلما توفي أراد كمبس دمب بن سلتك يامد بن ساكادوي أن يستخلف الملك فأبى ابن عمه هاو دمب بن دب سمبل بن دمب ساكا بن ساكادوي وطلب الخلافة لنفسه فأبى عن ذلك الجمهور منهم لكون كمبس دمب في مرتبة أبيه دب سمبل وهو في مرتبة الأبناء، ولكن وافقته على ذلك شرذمة منهم فافترقت لذلك كلمتهم وتخالفت آراؤهم، وكانت لهم عبيد مجموعون من الغنائم لم يقسموا من أول ابتداء ملكهم إلى ذلك الوقت يسمونهم فربا وكل رئيس يكونون معه، فطلب هاو دمب أن يقسموا بين الورثة فمن استحق منهم شيئًا أخذه، فقسموا بينهم وأخذ هاو دمب نصيبه ثم أنهم استخلفوا عليهم كمبس دمب فقاتلهم هو دمب واستغاثوا بمسل فأعانوهم عليه، فطردوه فهاجر وسار حتى وصل إلى تياب، فأسكنه تنك وراء النيل في مُرتَنٍ لأنه كانت معه المواشي وخافوا من إفسادها للزروع والحرائث، وهناك موضع معروف بويند هاو دمب إلى الآن، ثم ارتحل منها هاو دمب إلى وال جنتنك، فأسكنه رئيس دينينكوب في موضع حذاء

كركر [263] يقال له الآن ويند هاو دمب في مرتن، فما زال فيها إلى أن صار مع جماعة ألمام عبدل حتى قتل كما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في تاريخه، ثم رجع هاو دمب إلى أن وصل أرض بند ومكث قليلاً ثم تجاوز إلى مكم فاتم ملك بلد لوق الذي دار ملكه ساب سري وأعطاه بنته جك هاو فتزوج بها مكم فاتم فولدت له ولدًا يسمى جخ هاو دمب والآخر يسمى جك هاو بل، والأول هو والد قك وسيكا وماكسي جكس وأسكوماجقس وسر الذي هو رئيس لوق اليوم الساكن في ساب سري، ثم أن هاو دمب لما زوجه بنته طلب منه أن يعطيه موضعا يسكن فيه يسعه هو وجماعته، فقال له اختر أي موضع شئت فاختار ماماير موضع جبل فوق قرية جاي يسكنه الآن ليبرت فسكنها هو وجماعته وعبيده فزرعوا ووجدوا زرعًا كثيرًا في تلك السنة وجاء له عبيده وشكروا الله تعالى على ما رزقهم من الزرع وقالوا له إن الحراثة هي الأفضل من كل حرفة، فذهب بنفسه إلى مواضع زروع العبيد ومجامعها فكان كل عشرة منهم يجمع زروعهم في مكان واحد، فحرق الكل بالنار وقال لا تقوتوا إلا في أسلحتكم فإنكم إن عودتم أنفسكم بهذا تذلوا، ثم إن نصرانيًا من فرانس يسمى درنتو جاء إلى مدين كاس وذهب على ماماير مسكن هاو دمب فالتقى معه وتحابا وزوجه بنته المسماة ساج با، فقال درنتو لو سكنت قربنا في حاشية النيل لطاب مقرنا ليكون مسكنك مرسى لسفننا، فقال له هاو دمب إني أحب ذلك ولكن هذه الأرض مملوكة لغيري حتى أستأذنه في ذلك، ثم طلب من مكم فاتم الارتحال عن ماماير لأن موضعه بعيد عن الماء فأمره بذلك فارتحل وسكن في سايرمي في يمين قرية مدين ووجده أيضًا يستقي سكانه بالحسيان ولا تشرب ماشيته كما يراد ويختار وطلب من مكم فاتم أيضًا الارتحال إلى قرب النيل وأن يقطع غيل الأشجار التي بين سايرمي والنيل فقبل له مكم فاتم [264] ذلك فقطعها كلا ونزل إلى موضع القرية مدين وكان الحد بين لوق وأهل بسل في وادي كمنتر الذي تحت مغرب قصر كمادي مدين كاس ويسمى هذا الوادي عند أهل كجاك دمبرن أي وادي بليج دب وهو الذي كان الحد بين لوق وكجاك، ثم إن هاو دمب لما نزل مدين بنى حصنًا وسورًا محيطًا به هو وجماعته بأخشاب غلاظ وطين، وكان لمكم فاتم أخ أصغر منه يسمى دكر قد منع أخاه الكبير من إسكان هاو دمب في أرضه وقال أنه يخاف منه الخيانة لأن الفلاّن معروفون بالخيانة والخداع، فقال له مكم كيف تخاف الخيانة من المهاجر الذي جال البلاد يطلب الملجأ والملاذ فلم يجده إلا عندنا فاتركه يسكن حيث أراد في بلادنا، فقال والله لا أتركه فمتى سكن في

مدين لأقاتلنه ولأطردنه، فقال إذًا تكون وحدك دوني فقال نعم سواء، فلما أكمل هاو دمب عمل الحصن والسور وهم في داخله آتاهم دكر بجيش جرار وحاصرهم مدة ثم نصرهم الله عليه فطردوه إلى أن تجاوز لنت وكندا، فأرسل إليهم مكم فاتم بأن لا يجاوزوا هنالك فوقفوا ثم اتفقوا على أن يجعلوا هذه القرية حدًا بينهم وبين لوق وهي قرية في وسطها واد فاصل بينها فقالوا من الوادي إلى جهة ساب سري لأهل لوك ومن الوادي إلى جهة مدين لأهل كانن ملكا، وما زال الوادي حدًا بينهم إلى الآن ثم ما زال هاو دمب يقاتل أهل بسل أيضًا إلى أن جعلوا الحد بينهم وبينه موضعًا بين سام وجغندق، وأما درنتو فقد جعل خيطًا من عيدان طوج اسم أشجار في كلام الفلاّن واحدها طوك في الموضع الذي فيه قصر كمادي مدين الآن، وهو أول نصراني جاء لمدين كاس كما قيل، ثم رجع إلى أندر وذهب مع زوجته ساج با ولكن لم يؤمر بالرجوع إلى مدين وأقام مس فضرب...(419)

203 - الحرب بين أهل لوق وأهل كاس وسببها

[265] وارتد مربا سافر وخلع بيعتهم من رقبته وبلغ ذلك سيد كاي فركب حتى قدم على محمد البشير وتحاور معه في أمر مربا بأنه ارتد، فركب سيد كاي أيضًا حتى قدم على مربا فوعظه كل الوعظ ونهاه عن الفتنة فأبى مربا إلا الارتداد، فلما أيس منه رجع إلى محمد البشير وعلمه بأمره فقال له إن لم يرجع مربا عن ما هو فيه لأقاتلنه، فقال له سيد كاي نعم إن قاتلته لنقاتلنه معك وليقاتلنه الله تعالى، وهو على هذا الحال يطلب الصلح بين عمه مربا وابن الحاج عمر فبينما هو في ذلك إذ سعى به ميحن بن كرتوم سمبل بن هاو دمب إلى ابن الشيخ عمر فأفسد بينهما جدًا، فاحتال له محمد البشير إلى أن أخذه وقتله صبرًا رحمه الله تعالى. وأما ارتداد مربا فسببه أن مربا سافر وبوكرديبي أخوان ابنا سافر وبوكرديبي هو والد مربا جوكر الذي هو السبب في ارتداد كاس، وذلك أن ابنة سيد ولي كانت في غاية الجمال والكمال لا نظيرة لها عند قومها في عصرها، فخطبها فتى من رؤساء لوق يقال له دمب فزوجوها له فنكحها وزفها إلى أهله في لوق ثم بعد مدة قدم معها إلى أهلها كاس للزيارة فأحبها ابن عمها مربا بوكر الذي هو السبب في ارتداد كاس أمير كرجن الآن حبًا شديدًا، فطلب الحيلة في إفساد نكاحها فلم يجد، ثم إن المرأة وزوجها تأهبا للرجوع إلى

419 - هناك انقطاع في سياق المخطوط يعود إلى سهو المؤلف عن إتمام الجملة.

لوق وذهبا فتبعهما مربا بوكر حتى وصل إليها فقتل زوجها غيلة وغدرًا ورجع إلى أهله وتجاوز أصحاب المقتول إلى بلدهم لوق وذكروا لهم فعل مربا بوكر بالمقتول بسبب المرأة، فركب رؤساء لوق في الحين إلى محمد البشير لأنهم كانوا [266] في طاعته حينئذٍ، فلما وصلوا إليه علموه بالخبر، فقال لهم البشير فلنرسل إليهم أن يجيبونا إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، فأرسل رسولاً إلى مربا سافر ورجع إليه الرسول فأخبره أن مربا قد خرج عن طاعتك وارتد، فقام أولاد الحاج عمر وقاتلوا مربا ومن معه إلى أن انهزم مربا إلى جافن في قر وصار أهل مربا وأموالهم غنيمة، وكان أهل لوق مع جيش أولاد الحاج عمر وقد وقع كثير من أهل كاس في أسرهم فرجعوا بهم إلى لوق واسترقوهم، وكان من جملة الأسرى غلام اسمه يامد بن دادبا يامد بن سافر وكان من علامات أهل كاس أن يشرطوا ثلاث شرطات قصار في كلا الخدين وثلاثًا عراضًا في الجبهة، فرآه أحد أبناء سمبل اسمه دمب وعرفه بالعلامة فسأله عن والده فأخبره به فرجع إلى قومه وأخبرهم بما رأى، وقال قد بلغ من الصغار والذل والحقارة حتى يسترقنا أهل لوق فساءهم ذلك جدًّا، فقاموا وأغاروا على سرح قريتهم كندا أي جهتها اللوقية، فساقوه إلى مدين فقام اللوقيون وأغاروا على سرح تلك القرية كندا أيضًا أي جهتها الكاسية، فتبعهم أهل كاس فحاربوهم ثم انهزموا عنهم مدبرين، فتبعهم أهل لوق إلى أن دخلوا مدين فرجعوا عنهم، وكان كمادي مدين يومئذٍ ينظر إليهم وهو فوق قصره ويسأل من هذا الراكب على الفرس الفلاّني أي الذي لونه كذا وعليه ثياب كذا، فيقال هذا فلان فيقول كمادي هذا شجاع جدًّا نعم الرجل هذا ما أشجعه، ثم جاء أهل كاس إلى كمادي يستعينون به على أهل لوق فقال لهم اذهبوا إلى أندر واطلبوا الإعانة منهم، فذهبوا إليها واستنصروا بهم...[420]

204 – تتمة تاريخ كاس أو نهاية الحرب بين أهل كاس وأهل لوق

[269] فغزاهم النصارى[421] وسلطانهم يومئذٍ اسمه جامود بجيم عجمي بين الجيم والياء فأفسدوهم جدًّا وخربوا قراهم فهربوا إلى وراء النيل في جمبك في زمن المطر وقتل في تلك الغزوات أميرهم جامود المذكور، فحاز أهل سمبل هاو دمب بلادهم وملكوها وارتحلوا

420 – هناك انقطاع في سياق المخطوط يعود إلى سهو المؤلف عن إتمام الجملة.

421 – أي الفرنسيون الذين هاجموا أهل لوق بعد أن استعان بهم أهل كاس.

وسكنوا في مساكنهم، ثم بعد ذلك قام رؤساء لوق وكبيرهم آلكو بدق حينئذٍ فدخلوا في السفينة متوجهين إلى أندر، فلما وصلها آلكو بدق وكان قد استصحب معه كثيرًا من الذهب، طلب من النصارى أن يرجع قومه إلى بلدهم فقبلوا لهم ذلك وكتبوا لهم براوة إلى كمادي مدين بأن يخرج أهل سمبل عن بلد هؤلاء بالرغم بمجرد وصول البراوة إليه، فرجع آلكو بدق بمراده، فلما قرأها كمادي أخرج أهل سمبل عن بلادهم ومساكنهم في زمن المطر أيضًا، فرجع أهل لوق إلى مساكنهم فرحين مطمئنين. واعلم أن كرديبي بن مربا بوكر الذي كان سببًا لهذه الفتنة له أخ شقيق يقال له كنك ديبي بن مربا وأمهما امرأة من دينيكوب لوبال كما قيل والله تعالى أعلم، واعلم أن مربا سافر مسمى باسم جده والد أمه سلطان مسل الذي كان مسكنه يلمان وهو والد جابا مربا والدة مربا سافر الكاسي البمبايري. هذا وأما كاس فمعناه في لغتهم الإعطاء وذلك أن واحدًا من أكابرهم يقال له دمب جك ومعناه دمب الطويل وكانوا يتبركون به جدًّا، فلما مات اتخذوا قبره كالصنم يقصدونه في جميع مهماتهم ويذبحون عنده البقر والغنم والدجاج وكانوا إذا أرادوا الذهاب إليه يقولون كاس دمب جك أي نعطي دمب جك هذه الأشياء أو أعطوه إياها، فجرى اللفظ كاس اسمًا لهم. وأما نومخاب فلقبهم نومخا وأصلهم [270] من أسوانك وهم من رجل اسمه لبال هاجر من جلف، وقراهم في كاس قريتان لوكباو ومخنجا. وأما أصل بمباير فهو اسم جبل في تلك الأرض والله تعالى أعلم. انتهى تاريخ كاس ويليه تاريخ لوق وتمر.

205 – الخبر عن أهل لوق

ولقب الكل سوسق ولكنهم يزعمون عدم اتحاد نسبهم، ومعنى سو الفرس وسق الطعن وذلك لاجتهاد أهل هذا اللقب في قتال أعداء سنجت ملك مندق وكانوا يطعنون خيول الأعداء فهزموهم بذلك فلقبهم سنجت بهذا اللقب والله تعالى أعلم، وسبب ارتحالهم عن مندق أن سنجت لما تغلب على الأراضي المغربية قسمها بين أهل دولته، فأعطى أهل لوق هؤلاء بمبك وقد وجدوا فيها قبائل من أسوانك قبيلة دكري وقبيلة دابو وقبيلة سمار وقبيلة كسم وقبيلة ساكن وقبيلة قلخ، وهؤلاء هم الذين كانوا في بمبك قبل قدوم أهل لوق، ومنذ سكنوا ما حاربوا أحدا إلا أهل بمباير حاربهم كنك دامخ في موضع يقال له تمبن فر بين بافلب وبمبك شرقيها وراء البحر، ثم ما تحاربوا إلا في زمن هاو دمب في زمن مكم فاتم، وقد وقعوا على

أهل كاس في مدين إلا أنهم ما غلبوهم وقد مات من كل جهة خلق كثير، ثم رجع أهل كاس إلى مدين وأهل لوق إلى أماكنهم ومن ثم ما تحاربوا إلا في زمن جك صمبل لذي أرسل ابنه إلى أمير الأندر فأتى إليهم بجيش فطردوا أهل لوق وسكنوا في مساكنهم في زمن جامود، وفي ذلك القتال مات ثم خلفوا بعد موته بدق الذي أرسل ابنه إلى أندر ورجع ببراوة الأمير ورحل [271] أهل كاس عن أماكنهم ورجعوا إليها وقد مر ذلك في تاريخ كاس. وباين سرمن والد كنت فرن مد بوراما الذي كان ساكنًا في قرية كك وهو والد ستمكماك والد مخم فل الكبير والد جوم مهاد والد سايتك دكن والد ترن صمب والد اسنس والد سغن المخبر وسلامخ والد فرنقال والد وحمود فند والد مس ماك والد مخم فاتم وسنكل ومخم فاتم والد جامود المعروف وبدق شقيقه وسنقل أخو مخم فاتم هذا هو والد سنحن مس والد سر مقني ألكو والد هاكايتى دمب المعروف بدمب سيسق وكان بركجي في سرننم بكل، فلنكتف بهذا من أنسابهم للاختصار، وقد ثبت بهذا أن أصولهم من هذين الرجلين باين سرمن وسلامخ والله تعالى أعلم.(422)

206 - الخبر عن أهل تُمُرَ، نسبهم ومدة حكم ملوكهم

وأما تُمُرَ فقد زعم بعضهم أن أَلْحَجْ مسى هو الذي جاء لمندق في زمن سُنْجُتْ فأعطاه بعض جواريه فولدت له مخردم مسى هو والد فردنكن كياج والد فرنكن سرمن والد جاكمبر مخن جن والد سنقي مسى الذي ملك تمر 26 سنة وهو والد دلي دمب ودلي محمود الذي ملك تمر 25 سنة ودلي محمود والد خجممد والد مور كتند والد كبي سوسق المخبر، وأما دلي دمب فهو والد سخن مسى الذي ملك تمر 39 سنة وهو والد هام كسي دمب الذي وجده الشيخ الحاج عمر في ملك تمر ولدلي محمود ولد يسمى سخن ساكا هو أخو سخن مسى من الأم وقد تزوج بأمهما دلي محمود بعد أخيه دلي دمب وقد ملك سخن ساكا هذا تمر 15 سنة ثم خجممد قد ملك 18 سنة ثم هام كسي دمب الذي وجده الشيخ الحاج عمر [272] في ملك تمر كما مر الآن، ثم تخلفه وسب بن سخن ساكا 5 سنين، ثم تخلفه كمبا محمود بن سراخنت مسى بن دلي محمود 8 سنين، ثم كمن بادمب بن مرسار بن دلي محمود ملك تمر مدة 7 سنين، ثم سري بن سراخنت ده مسى 14 سنة، ثم كم مسى بن سخن ساكا سنتين،

422 - تعليق المؤلف: سخنا مود والد ساتك والد جابا سرمن والد ساكا دوي والد سنقا سنمن والد صح.

ثم مود جامي سنة واحدة، ثم تكساكا بن وسب 13 سنة، ثم عمر جن بن بل سراخنت مسى 7 سنين، ثم كنك سار بن كمن بادمب 3 سنين، ثم ترنا جن كندا وهو الذي في ملك تمر الآن والله تعالى أعلم.

207 - بعض عادات أهل تُمُرَ في الزواج

ثم إن شرطات أهل تمر ثلاث في كلا الخدين من أعلاهما إلى الذقن وشرطات أهل لوق كذلك، وإذا صار أحد من أهل لوق ملكًا يتزوج زوجة من جاراب وهم قوالوهم وأصل لقب أصولهم كوات وغير هذا اللقب في جاراب دخيل لا أصيل، ويقال لأهل كوات مندق جل أي جاراج مندق، وأما قسك السوسقيون فإذا دخل أحدهم في الملك فأول زوجة له حدادة من قبيلة كنتي لا غير، وأما أهل كاس فإذا صار أحدهم ملكًا يتزوج بمرأة من مابب من قبيلة به أو من قبيلة كيط، قلت ومابب منهم أهل كيط فقط، وأما به فهو لقب ومباب عندنا لا لقب مابب مطلقا ولعلهم يطلقون على الكل ومباب والله تعالى أعلم. وفي نساء أهل كاس جمال فائق وحسن رائق ونظافة وتجمل ولا يكون الملك في كاس إلا من قبيلة جل لا غير والله تعالى أعلم.

208 - سيرة الحاج سوار وابنه

ثم اعلم أن في بمبك قرية يقال لها جاخابا قد أسسها واحد من علماء زاغا اسمه الحاج سالم ولقبه سوار وهو مشهور [273] بالحاج سوار وهو الذي وافق زمنه زمن موسى سوسغ الذي هو أصل سوسغيين ويسمى بسنقا مسى وقد دعا له الحاج سوار بثبات الملك وعهد له موسى سوسغ هذا عهدًا فبنوه إلى الآن محترمون جدًّا عند بني موسى سوسغ هذا كما قيل، وأولاده أي الحاج سوار فابولا وهو الكبير ويوسف وفودي، ولما مات ورث ابنه فابولا منبره وسجادته وعصاه التي يتوكأ عليها ولا يخرجون هذه الأشياء إلا في يوم العيد للتبرك والزيارة وهم في جاخابا في أرض بمبك إلى الآن، وكان من تلاميذه فودي يوسف كسم وقد أخذ العلم من الحاج سالم السواري هذا، وبعد موت فودي يوسف هذا قام بالأمر بعده توري فودي ولما توفي توري قام بالأمر بعده مد فاتم بن فو بن توري فودي يوسف ثم أحضر أهله وتلاميذه وقال لهم أن أهل بمبك كفار ولا أحب مجاورتهم، فارتحل هو ومن معه إلى بند فترحب به أميرها يومئذٍ وأسكنه في قرية تسمى ديد ومكث فيها إلى أن مات،

ثم قام ابنه الحاج سالم كسم ويعرف بكرمك با يطلب العلم وما سمع بعالم من علماء وقته إلا وقصده إلى أن سمع بعالم في أرض جن اسمه فودي نوح فقصد نحوه ومكث معه في تعليمه وتربيته أربعين سنة وحصل في تلك المدة من العلم ما لا يعد ولا يحد، ثم رجع إلى بند فترحب به أهل بند غاية فقال لهم إن الله ما أسكنني هنا، ثم ارتحل بأهله إلى جكل وطلع الجبل قاصدا نحو فوت جلو، فلما وصل قرية پكون بقي هنالك بعض تلامذته من أهل سوار وغيرهم للحراثة، ثم تجاوز الحاج سالم كسم إلى توبا كت [274] وراء بحر كمبا وعمرها وسكن فيها ما شاء الله تعالى، ثم قام له أهل تند بالإيذاية وصاروا يقتلون بعض تلامذته ويسرقون البعض فيبيعونهم، فلما اشتدت عليهم إيذاية أهل تند رحلوا إلى بنان، فترحب به ألفا ملب أي أمير لب وقيل هو ألفا صالح وأسكنهم في بنان في توبا إلى أن توفي الحاج سالم فيها وهو والد محمد التسليم والد كَرْمَكْ قطب ومحمد المصطفى وغيرهما.

209 - أبيات من قصيدة في رثاء الحاج سالم كسم للعلامة سارن سعد

وقد توفي الحاج سالم كسم هذا ليلة الإثنين الثالثة من شهر الله صفر عن تسعين سنة ورثاه العلامة سارن سعد دلن بقصيدة وافرية رائية مطلعها:

سأحمد ربنا حمدًا وشكرا
على نعم عدت عدًا وحصرا
أصلي بالسلام على نبي
هوت لظهوره الأصنام طرا

إلى أن قال:

وبعد فإنني راث وداع
لشيخ نابه ذكرا وقدرا

إلى أن قال:

وكم بلد أتاه طلاب علم
وجاز مخاوفا برًا وبحرا

فلما حل شيخنا لَوْ دَعيا
وليًا فائق الأقران برا
يسمى نون نور واو ود
وحاء الحفظ بالمطلوب سرا
غدا شجرًا أو نور العلم نور
بسر القلب والقلب الفكرا
و لو جعلت فنون العلم كلا
بحارًا جازها بحرًا فبحرا
و من يقسم بأن الشيخ نوحًا
ولي الله جم البر برا
فلما نال ما يبغي جميعا
بهذا الشيخ رُجعَتُهُ تَحَرى
حباه الله إكرامًا وجاهًا
بتاج من جبين الأمن أزرى
فكم أرض أتى واجتاز حتى
أتى واختار فوت جلوا مقرا

إلى أن قال:

له عمر على التسعين عامًا
ولم ينقصه ضعف الجسم برا
صيام نهاره وقيام ليل
وتسبيحًا وتهليلاً وذكرا

[275]

ووِرْدُ دلائل الخيرات دأبًا
وسَرْدُ الذكر تفسيرًا وذكرا

إلى آخرها وهي تنيف على خمسين بيتًا رضي الله عنهم أجمعين وعنا بهم آمين.

210 - أبيات للمؤلف (موسى كامَرَه) في سالم كسم ومحمد التسليم يتوسل بهما طلبًا للشفاء

وقد مر أن الحاج سالم كسم الذي هو كرمخ با هذا هو والد محمد التسليم الذي ظهر منه في زمنه بالعلم والعمل غاية وهو والد كرمك قطب ويسمى بالشيخ عبد القادر العالم المشهور والولي المنصور مريد الشيخ سيدي بن الهيب ذي السر والنور وهو والد العلامة الشيخ محمد التسليم الملقب بسنكمبا ومعناه زمن المطر في الخريف، وهؤلاء السادات هم الذين توسلت بهم من قبل في مرض أصابني فشفاني الله تعالى منه بفضله ومنه وكرمه حيث قلت:

ربـــي بـــجـاه شـيـخـنـا ومـعــه
بـحـق أشـيـاخٍ بـنَـانٍ الأربــعــة
مـحـمـد الـتـسـلـيـم مـع أبـيــه
قـطـب الـمـغـارب الـولـي الـنـبـيـه
و بـابـيـه الـذاكـر الـتـسـلـيـمـي
فـعـاف مـوسـى مـن بـلا وخـيـم
نـابـه مـحـمـد الـسـالـم فـاشـ
ـف الـعـبـد مـوسـى مـن ضـنـاه ينتعش
بـحـق شـيـخـنـا وحـقـهـم عـلـيـك
لا تـردنـا خـيـبـة مـن مـا لـديـك
و عـاف كـلـنـا مـن الأدواء
ونج كـلـنـا مـن الأسـواء
بـحـق شـيـخـنـا وحـقـهـم عـلـيـك
صـل عـلـى أفـضـل مـن سـعـى إلـيـك
مـحـمـد وآلـه والـصـحـب
وسـلـمـن عـلـيـهـم يـا رب، هـ

211 - أبيات لمحمد التسليم في مدح المؤلف (موسى كامَرَه)

وولده محمد التسليم الملقب بسنكمبا هذا هو الذي قال في لما أتيت قريتهم توبا في بنان:

أيـا أفـضـل الأضـيـاف جـاؤوا بـلادنـا
وهـبـنـاك فـي سـر وجـهـر قـيـادنـا
هـنـيـئـا لـنـا أنـا حـبـبـنـا سُـمَـيْـذَعــا
يـبـاسـطـنـا وجـهًـا ويـشـفـي فـؤادنـا

[276]

هـنـيـئًـا لـنـا مـن وجـهـه الـبـدر مقبل
إلـيـنـا فـيـعـطـيـنـا دوامًـا مـرادنـا

و هو الذي قال فيَّ أيضًا:

فـمـنـي إلـى شـيـخ الـشـيـوخ الـكـوامـل
وعـين ذوي الـعـرفـان شـمـس المحافل
فـمـوجـبـه أنـي مـريـد وخـادم
لأهـل الـعـلى والمجـد أولـي الـفـضـائل
و لـسـت أحـاشـي عـامـهـم بـعـد خـاصـهـم
ولا طـلـهـم بـين الـغـيـوث الـهـواطـل
فـقـم لـي بـإقـدام نـعـين وتـمـنـح
مـرادي وفـضـلـنـي عـلـى كـل فـاضـل
سـلام كـأنـفـاس الـصـبـا فـي ريـاضـهـا
يـريـح فـؤاد الـصـب مـن كـل شـاغـل

إلى غير ذلك من قوله في رضي الله عنه وعنا به، ولأبيه كرمك قطب تواليف عديدة مفيدة، ومن أولاده محمد التسليم هذا ومحمد السنوسي ومحمد المغيلي المشتهور بكرمك

معاد ومحمد الخليف وبكلي وسوار وكرممبا ومحمد المختار ومحمد الأمين وخيربا ومد فاتم، وكان لكرمك قطب أخ شقيق أكبر منه سنًا صالح جدًا اسمه محمد المصطفى ومن أولاده اليدالي الشاعر المفلق ومحمد كسم المعروف بأفأماد وكرمك وسيدي وفودي با الشاعر أيضًا وزروق وكايمخ ومحمد التسليم والسنوسي وخيربا والخليف وقطب وسلا وموربا ومحمد التسليم أيضًا والحسن محمد المصطفى سمي أبيه، نفعنا الله بهم جميعا آمين.

212 - ذكر بعض علماء زاغا

قلت في بند وغيرها من بلاد السودان المغربية قوم من أهل زاغا معروفون بالعلم والدين ولا يعرفون غيرهما غالبًا، ومنهم قوم في أنجان في بحيرة كمبن في قرية اسمها كنتن وكان فيها رجل صالح [277] عالم عابد من تلاميذ الشيخ سيدي اسمه فودي الشيخ سلاً وكان أصله من بند في قرية تسمى بني إسرائيل، فارتحل منها إلى كمبي وكان كريمًا سخيًا تقصده الوفود لطلب خيره، وقد زرته في حياته فأعطاني حتى أرضاني بعدما كتب إلي ورقة بخط يده فيها: حسبي الله الأمر كله لله ونحن عبيده يتصرف فينا كيف شاء بما شاء متى شاء نفوض أمورنا إليه وهو القادر والمقدر فما كان عندي عندك وما كان عندك فهو عندي والسلام، رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وله أولاد وتلاميذ هناك نائبون منابه الآن، وأما هو فقد توفي في السنين الماضية رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وكان من عاداته أن يأمر تلاميذه وأولاده بقراءة القصيدة اليدالية الميمية:(423)

صـــــلاة ربـــــي مـــع الـــســـــلام
عـلـــى حـبـيـبـي خـيـــر الأنـــــام

423 - الشيخ محمد بن المختار بن محمد السعيد اليدالي الديماني (ت. 1166 هـ/1753 م): من قبيلة إدَ وداي، عرف بالعلم والصلاح وجمع بين الفقه والشعر. كانت له حظوة لدى أمير الترارزة أحمد بن هيبة. له عدة تصنيفات في اللغة والفقه والتصوف والتاريخ، منها: أمر الولي ناصر الدين، وشيم الزوايا، وخاتمة التصوف. والقصيدة الميمية المعروفة باليدالية والتي تتألف من 46 بيتًا، أولها:

صـــلاة ربـــي مـــع الـســـلام
عـلـى حـبـيـبـي خـيـر الأنـــام

وآخرها:

وارزق لـنـا يـا بـاري الـبـرايـا
عـنـد الـمـنـايـا حـسـن الـخـتـام

أنظر: الوسيط في أدباء شنقيط، ص ص. 223-226؛ و محمذن ولد بابا، الشيخ اليدالي، تونس، ص ص. 19-54.

إلى آخرها جماعة بأصوات طيبة مطربة مشجية كل ليلة في مدحه صلى الله عليه وسلم، جزاهم الله خيرًا. قلت والسادات من أهل زاغا من أهل فوت جلوا وغيرها كثيرون جدًا ومنهم فودي غزالي رضي الله عنه، ومن أهل زاغا الأقدمين الشيخ العلامة إبراهيم فادقا وهو لقبه وكان من تلامذة الشيخ الحاج سوار وكان مسكنه في جاخابا وفيها ذريته إلى الآن، ومنهم سرغي فادقا وهو في قيد الحياة في زاغا إلى الآن وكانت له تآليف عديدة مفيدة ومنها تآليفه في البدع الحادثة [277 مكرر] في السودان وذكر فيها البدعة السلالية وقد أبطلها جدًا وزيفها غاية بوفور عقله وعزة وجود شكله، ولكن تلك التآليف قد اندرست لاندراس العلم في تلك البلاد، وقد رأيت تآليفه في البدع السودانية هذا أولاً ولكن ما نقلته وقد طال عهدي به وهو تأليف مفيد جيد رضي الله عنه وعنا به، آمين. وفي رحلة ابن بطوطة:(424) ثم سرنا من زاغري فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل عليه بلدة كارسخو، والنيل ينحدر منها إلى كابرة ثم إلى زاغة، ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي، وأهل زاغا قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب علم، ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تنبكتو، انتهى ما في الرحلة ما يتعلق بهذا المحل كما مر في أول الكتاب. وفي «تاج العروس على القاموس»: وزغاوة(425) بالضم وفي المحكم مضبوط بالفتح، جنس من السودان والنسبة إليه زغاوي، قلت ولعلهم هؤلاء والله تعالى أعلم، قلت وأظن أن هؤلاء الزاغويين أصلهم من سرخل ثم تمندقوا بعد وصار لسانهم مندنكيا والله تعالى أعلم، ولكن العالم منهم إذا شرع في تعليم تلاميذه وتفسير العلم لهم فإنه لا يفسره لهم إلا بلسان سرخل والله تعالى أعلم بموجب ذلك، ولكن قد أخبرني بعض الحذاق من أهل كاس بأن أصل لغات جميع السودان المغربية سرخل ما عدا كلام الفلاّن فقط والله أعلم. اهـ. ويليه تاريخ بسلنكوب.

213 - أول ظهور أهل بسل وأنسابهم

ويقول لهم البيضان هل بيتليات ومعناه هل بسلبات أي أهل بسل أي أهل لقب بسل [278] وكان أول من ظهر من أهل بسل في سغر بعد فساد وكد منق بكخور ومعناه منق الرجل الكبير وكان صيادًا في البحر فطعن سمكة برمح والسمكة دبو في كلام الفلاّن فغاصت السمكة في الماء فأخذ منق عود الرمح وغاص مع السمكة إلى أن طلعا في بئر

424 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 250.

425 - زغاوة: انظر هامش رقم (69)، ص. 96.

سغر فجاء وُرادُهُم للبئر فأدلوا دليهم فأخذها منق فجذبوا الدلي فطلع منق معها فوجدوا رجليه مشقوقتين فقالوا في لغة البنابر سمفرلي، ثم صار اللفظ لقبًا له، فلما طال الأمد تغير اللفظ وصار سمفر، وقيل أن منق يكخور كان صيادًا يجول في الصحاري إلى أن أتى سغر فسكن في موضع البئر وكان مشقوق الرجلين فقيل له في لغة بمبر سمفرلي، إلخ. قلت وهذا القول أقرب للإمكان العقلي من الأول، وكان معه أصحابه الفلاّنيون وهم سيم جندكن وحمي فلان ويات ساكني والفلاّنيون سيبوب ومعه حداد له أيضًا يسمى درام خاي، ثم ارتحلوا من سغر إلى أن وصلوا إلى أرض جمبك وسكنوا في ناحية جبل تافا وعمروا هنالك قرية مارن تمانيا، وكان مع منق أيضًا رجل من فلاّن هندرب يرعى له البقر، فذهب الراعي ذات يوم إلى الصحراء فالتقط من هنالك غلامًا صغيرًا فأتى به إلى منق فقال له جك منق[426] بمعنى خذ يا منق، فاتخذه منق بمنزلة الولد لأنه ليس له ولد وقد يئس منه حينئذٍ، ثم بعد ذلك رزق ولدين وهما تمب مرنكسين وتمب جيخور، ومعنى تمب في لغتهم اسم سمكة نقول لها في لغة الفلاّن سدر وهي سمكة عريضة الرأس منتنة الريح لا قشر لها وسبب تسميتهما بتمب تعسر الولد على والدهما قبلهما فسماهما باسم هذه [279] السمكة ليعيشا كما هو زعم السودان، وتمب جيخور هو الصغير صارت ذريته سيبوب ويعدون منهم إلى الآن، وتمب مركسين هو الكبير وهو والد بسلنكوب كلهم، ثم انتقلوا من مارن تمانيا وسكنوا لفر قرية في قرب خولم فمات فيها منق ثم انتقل ابنه تمبوا إلى دمبرن وهو اسم الوادي في مدين كاس، فسكن فيها ثم انتقل منها إلى كج فسكن فيها فما زالوا يكثرون وينتقلون إلى أن انتشروا في أماكنهم تلك، وتمبو هذا هو والد سالنك تمبو وهو سالنك الكبير والد سالنك دنقمي وهو سالنك الصغير ومعنى دنقمي الفخور في لغتهم، وسالنك دنقمي هو والد جات سالنكا والخسن سالنكا وجكرن سالنكا ويللي سالنكا وبند حمد وولنك، وأما جات سالنكا فقد ملكهم زمنًا طويلاً ومات في الملك وهو ابن سبعين عامًا وهو الذي أوقع الفتنة بين أهل بسل وطردهم عن أرض جمبك ولذا خرج أهل تياب إلى تياب فسكن غيرهم من أهل بسل من تياب إلى خاي، وقيل إن تنك جات كان يقدم أولاده على إخوته ويجعل قبيلته كالعامة في التكاليف السلطانية، فلذلك قلوه وبغضوه إلى أن قتلوه كما سيأتي، وقيل سميت قرية جاتيا من قرى جمبك قرب كجكار بجاتيا لأنها كانت مسكنًا له وهو أول من عمرها، وقد استولى جات هذا على أهل بسل ملكًا

426 – تعليق المؤلف: في لغة الفلاّن.

قاهرًا إلى أن مات وهو ابن سبعين سنة، ومن تلك الحروب انتشر من انتشر منهم وتفرقوا في البلاد، وربما لقيت من يلقب بجات لانتسابهم إليه فجاءه أولاد خسن مريم وهم عل خسن وسلمن خسن وحمى دمبي خسن [280] وهؤلاء المذكورون من بسلنكوب اليوم لا غيرهم، وأولاد عل خسن في كمير بمعنى فوق أي وراء بحيرة فلم إلى مشرقها، وأولاد سلمن خسن في كوي بمعنى تحت أي ما دون بحيرة فلم إلى مغربها. وأما آخر أمر جات سالنكا فلم يبق من ذريته إلا دار واحدة في كلم وأهل تلك الدار لا يملكون إلا فناء دارهم لا غير، والحاصل أن سالنكا دنقمي هذا له من الولد ثلاثون ولدًا ذكرًا وثلاثون بنتًا، ومن ذكور أولاده جابي فنخن والد الخسن مريم الذي انتصر أولاده على تنك جات سلطانهم انتصارًا بينًا، وذرية الخسن مريم هم الباقون اليوم في تمبنكان ومسال ولانيج ومخناج وكوتاير إلى فلم، وكذلك ملوك تياب من ذرية الخسن مريم، وأما ذرية جكرن سالنكا فقد رجعوا إلى المشرق فصاروا هنالك جاونب ولقبهم بسل كلقب القبيلة، وأما يللي سالنكا فقد صاروا أهل علم منتشرين في كدمغ، وأما بند حمد وولنك فقد انقرض نسله، وأما الخسن سالنكا فهو والد حمى دمبي الخسن ومعنى دمبي في لغتهم الأحمر فأولاده قليلون اليوم مع قلة جاههم فهم الباقون في جمبك إلى الآن، وأما جك منق المذكور آنفًا فذريته باقون إلى الآن في قرية أرند ويعدونهم من جملة بسلنكوب إلا أنهم لا يملكون الرقاب، وقد تقدم أن أولاد سلمن خسن هم الذين في كوي وذلك أنه هو والد صمب سلمن المشتهر عندهم بصمب وور الذي هو أول من سكن تياب منهم وعمرها وله أربعة أولاد لا يملك تياب إلا من كان منهم وهم سلمن صمب وتَقل صمب ومسى أرب [281] وحمد لكري ومعناه في لغة الفلاّن كد وهو آخر الأولاد وأصغرهم وأولاد هؤلاء هم المتناوبون ملك كوي في تياب والله تعالى أعلم.

214 - حدود ملك بسل والنزاع بين صمب ياسين وصمب خمب حامي

وما زالوا يتناوبون ملكها إلى زمن سلمن تمبو وهو الذي صادفه مالك سه في ملك كوي وحد ملكهم من فلم إلى جرل واد متفرع من النيل بين دمبنكان وسايرق جهة سنكال، وأما ملك كماير فكان من فلم إلى كج ثم صار من فلم إلى جغندق، وكان أهل بسل ملكهم واحد الذين في كوي منهم والذين في كماير إلى زمن أميرهم الذي يسمى صمب ياسين في مخن، فأتى بجيش من بمبر وأميرهم يومئذٍ جغلن كرن فوقع على تياب ورئيسها يومئذٍ

صمب خمب جامي، قلت ولعل صمب ياسين حسده لشدة ظهوره ووفور جاهه فقط ولكن لم يظفر به بل خرج صمب خمب جامي إلى ألمام بران يطلب منه جيشًا يقاتل به صمب ياسين، فأنزله ألمام بران في مدة ستة أشهر ثم أبى أهل فوت عن إعطائه الجيش كما قيل فرجع وأعطاه ألمام بران عشرة أفراس وأعطاه سارن مل سبعة أفراس وأعطاه الفك عشرة أفراس، ورجع وسكن في كنكن ثم أتاه فيها صمب ياسين بالجيش البمبري أيضًا فهزمهم صمب خمب جامي ثم كذلك على ثلاث مرات وهو يهزمهم فافترق ملكهم لأجل ذلك واختص صمب جامي بما دون فلم إلى جرل وكان كلم قرية عبيدهم يستعملونهم في بناء الحصون للوكهم وفي الغزوات، وإذا ما أحدهم يأخذ رئيس أهل بسل ما أراد من أمواله ويترك الباقي لأولاده وإن لم يكن له ولد يأخذ [282] الجميع، إن غزا أحدهم في الجيش ووجد الغنيمة يأخذ خمسها مولاه من أهل بسل، وكذلك قرية كنط مثلهم حرفًا بحرف لا فرق بينهم في ذلك والله تعالى أعلم.

215 - ذكر بعض قرى أهل بسل أو النزاع بين بني صمب وبنيجابي جايك

وقرى أهل بسل في كماير مما وراء فلم كوتاير ولان ومخناج التي هي ثلاث قرى ومسال وتمبنكان فكل من هو أكبر سنًّا منهم هو الأمير على الكل، وتمبنكان ومخناج تت أي الثلاث، ومسال ولان ملكهم واحد وكوتاير وحدها منفردة، وكل هؤلاء يتناوبون الملك ويقدمون الكبير سنًّا ويعرف بعضهم بسنت كار وبعضهم بمغنكار والله تعالى أعلم. وأما بجلل فهي قرية كانت بين بكل وتياب وأصلهم من جابي جايك وهو أخو صمب وور من الأب، فأسس صمب وور تياب ولعل جابي هذا هو المؤسس لبجلل، وأبوهما سلمن خسن، وقد ملك من بني صمب وور أربعة ملوك ولاء ولم يملك أحد من بني جابي لتقديمهم لكبير السن لا غير، ثم لما تملك مسى جابي من بني صمب وور قام صمب جكان من بني جابي جايك فقال لا بد أن أكون ملكًا وقد طال علينا الأمد ولم يملك منا أحد فقال له مسى جابي اصبروا حتى يكون الكبير سنًّا فيكم، فأبى إلا الملك فأعانه على ذلك جل سيبوب فملكوه يوم الأحد وفي غده يوم الإثنين ملك بقية سيبوب مسى جابي فأرسل إلى صمب جكان في بجلل أن ينعزل لصغر سنه فأبى فأرسل أخاه الصغير صمب بن بعنق نعامة مملوء من الذهب العين إلى أمير بلد كنك دك يستجيشه فأعطاه جيشًا وأتى به إلى كسم بلخ وهو واد فوق بكل، فأرسل إلى أخيه

مسى جابي يعلمه بقدوم الجيش إلى هنا فقال لهم امكثوا هناك إلى الفجر نلتقي [283] عند بجلل، فلما أصبح التقوا عليها وأفسدوها وقتلوا صمب جكان فافترق أهلها شذر مذر فذهب بعضهم إلى كدمغ وهم فيها إلى الآن، وذهب بعضهم إلى دينيكوب فصاروا من جملة كلياب، ورجع بعضهم إلى تياب بشرط أن لا يملك أحد منهم القرية فسكنوا فيها على ذلك إلى الآن والله تعالى أعلم.

216 - نسب أهل بسل وذكر بعض علمائها

وأما أخبار جايب بكل فسنأتي بها عند ذكر جايب جلف إن شاء الله تعالى، وغاية معرفتنا من نسب أهل بسل رجل يسمى سوم وهو والد يم والد سندق والد لب والد تمق والد تم تمق والد هنق يك خور الذي مر ذكره وسبب تلقيبهم ببسل بعد سمفرا أن منق كان يسير مع بعض وزرائه من سيبوب وهو سيم جندكن إلى أن أتيا واديًا فقال له سيم أتقدر على أن تخطو الوادي بحيث لا تمس الماء فقال نعم ففعل فلقبه سيم ببسل، قلت ولعل ذلك الوادي هو وادي بسل في جهة وادي كنجم وهما خارجان من النيل عند قرية من قرى ديوان بافلب يقال لها كولنكم وتلك المواضع كانت أول مساكنهم كما ذكر ذلك سمبل الكاسي من أهل مك دك لأن أهل بسل كانوا يسكنون في لفر قرية قرب خولم في مارناجاتيا وكان من عظمتها يصنع فيها من صناع الحديد فقط 32 حدادًا، ومن قراهم كنماكن وكوفلي وبنيا وجامكا وكابت، ثم سكنوا في دمبرن وهو موضع قرب خاي ومعناه بلايج والله تعالى أعلم. وكان في مملكة تنك تياب ومعنى تنك في لغتهم الملك عالم فقيه كبير وسيد مبارك شهير بفودي جمو،[427] وكان مسكنه كنكن اسم قرية قرب بكل يمينها الشرقي ويقال لها أيضًا كرل هاير وقد توفي رحمه الله تعالى وقد تخلف [284] مكانه في العلم ولده المبارك وشبله العالم الناسك فودي محمد وهو الآن في قيد الحياة ولله الحمد والمنة، وقد مر بعض سلسلة أشياخهم في العلم في تاريخ جاور فراجعه إن شئت. وكان أيضًا في مملكة تنكات وراء فلم وهم أهل كماير عالم فقيه يسمى فودي لخم المسالي من أهل كنكل موضع في جهة تمبنكان وكان مدرسًا وأبوه يسمى الفغ جك وهو الخارج من كنكل إلى جغندق ولكن قبره في كنكل بوصية منه، ثم ارتحل فودي لخم هذا إلى مسال ومن أولاده العلامة الشيخ يوسف سمبل ومعناه وديعة الله ومن أولاده

427 - تعليق المؤلف: وقوله عالم اسم كان في قوله وكان في مملكته تنك تياب وهي تامة لا تحتاج إلى خبر.

أيضًا الشيخ إبراهيم وعبد السلام والإمام محمد الفوتي ومحمود، وقد ارتحل الكل الآن إلى مارنه من القرى البرية الفوقية للحراثة بينها وبين مسال نصف يوم وهم من قبيلة درام.

217 – إرسال الشيخ يوسف تأليفًا له مع رسالة إلى المؤلف (موسى كامَرَه)

وللشيخ يوسف سمبل هذا تواليف مفيدة منها نظمه لمقدمة الأخضري في الفقه، وقد أرسل به أخاه الصغير وتلميذه الكبير الشيخ إبراهيم إلي وأنا يومئذ في خاي وقد سمع بي مع براوته ونصها: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، فإنه إلى العالم الفاهم الثبت الزاهد التقي شاذلي الوقت نابغة الزمان وسيبويه الأوان سيدي الشيخ موسى وقى دهره كل ضر وبؤس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الفلك وحركاته، أما بعد فاعلم أن كاتبه وديعة الله يوسف بن الإمام بن محمد الدرامي ويسمى القاضي درامي واشتهر عند العامة بسمبل درامي واحد من أهل كجاك ساكن [285] بقرية مسال تلميذ لفودي محمد بن الشيخ عمر جاق في قرية كنكن، أردت بكتابي هذا أن أتعرف إليكم وأبين لكم ما في قلبي من محبتكم فإن حبيبي عبد الله والذي كان يثني عليكم بالعلم والديانة والتقوى والاستقامة، ثم بعد ذلك لم تزل الألسن الصادقة تنقل إلي تلك الأوصاف الرائقة حتى امتلأ القلب بمحبتكم وتاقت النفس إلى رؤيتكم لو ساعف القدر، هذا وقد أرسلت لكم نظيمًا لي جرأني على تعاطيه بعين معقولكم وتخبروني بأقبح ما رأيتم من عيوبه مما هو واجب تغييره والسلام،(428) كتبت بقرية مارنه عام 1340 من الهجرة النبوية.(429) قلت وقد وصلت إلي هذه البراوة يوم الجمعة 5 من صفر عام 1340 وهو يوم 7 من أكتوبر الإفرنجي عام 1921 في خاي. انتهى ما عندي من تاريخ بسلنكوب ويليه تاريخ كدمغ.

218 – زوال ملك كدمغ على يد قني (كني) ورواية الفتى الذي زال ملكهم على يده

ومعنى كد في لغتهم الجبل ومغ اسم رجل هو أصل سمراب كدمغ، والذي أفسد ملكهم وفرق جماعتهم قني بن كنف كمراي بن فابل دمبي كمر، وكان قني هذا من أبناء الملوك وكان رجلا صيادًا يجول في البلاد إلى أن أتى أرض مندق فلقيه رجل حداد من وزراء سنجت في الصحراء فأتى به إلى سنجت وأخبره فأنزله سنجت في دار ذلك الحداد فأمر الحداد

428 – تعليق المؤلف: أحب العلم مع إلحاح بعض الإخوان والبحث عليه لتنظروا له.

429 – عام 1340 هـ يوافق 1921 م.

إماءه أن يجعلن الماء وراء البيت ليغتسل به ضيفه كني، فلما دخل [286] في مكان الماء نزع قلنسوته ليغتسل فرأين في ذوائبه ذهبًا مرصعًا فأخبرن بما في رأس كني من الذهب، فقال ولعله ابن ملك لأن ذلك عادة في أبناء ملوك السودان، فمكث عندهم مكرمًا إلى أن تجهز سنجت للخروج إلى القتال، فجعل كل واحد من أصحابه يقول سأفعل عند ملاقاة العدو ما لا يقدر أحد أن يفعله، فقام كني فقال لسنجت سأكفيك عند اللقاء محاربة الأعداء، فقال له إذًا أخيرك بين نسائي وبناتي فتختار أيتهن شئت، فلما باتوا في القرب من دار العدو ونيتهم أن يقاتلوهم في الغد قام قني في جوف الليل ودخل قرية العدو وحده وقتل كل فارس من فرسانهم وأخذ لجم الخيل وما على رؤوس النسوة من الحلي وأتى يقود الخيل بلجمها وبما معه من النساء إلى سنجت ففرح بذلك جدًا وتعجب منه وخيره بين زوجاته وبناته، فاختار أجمل زوجة من زوجاته وأحبهن إليه، فترك له سنجت تلك الزوجة متحسرًا ثم أمره بالخروج معها لئلا يراها في أرضه، فخرج ورافقه موسى كسم وجامابر سلي ومختار سيسي وفلاني من قبيلة بر وناد وكاجاريج من قبيلة دنجخو وغيرهم إلى أن أتوا كركر فسكنوا هنالك مدة ثم ارتحلوا وقد صار معه جيش عظيم إلى جبل عصاب أي هايركال فوجدوا هنالك بني مع مل دوي الذي نسبت أرض كدمغ إليه، فوجدوهم فلاحين فقط لا يعرفون الحرب فملكهم، وذلك أنهم لما أتوهم وجدوهم في سايقيل تحت الجبل هايركال، فمكث معهم ثلاثة أعوام مع شدة جوع وذلك أن قوم كني إذا طلبوا منهم البذر بعطونهم حبًا مصلوقًا أو حبًا غير جيد لا ينبت إلى أن تزوج قني ابنة من نسل مغ مل دوي أميرهم فاحتالت له البنت إلى أن وجدت لهم زرعًا جيدًا فزرعوا ووجدوا زرعًا كثيرًا فعلموا بذلك أن أهل مخم مل كانوا يخدعونهم فقتلوهم وغلبوهم وتفرق أهل مغ مل دوي [287] وقطعوا النيل وتوجه بعضهم نحو بند، فمنهم من سكن نمرد ومنهم من سكن في موضع يسمى ذلك الموضع على الآن باسمه وهو دار لمن [...] ومنهم من سكن جباك ومنهم سلب دب ومنهم سمراب هايرنكوب الذين هم في فوت آهل دمبنكان ولوبال وواود وكومل ومنهم من انتشر إلى داخل فوت ويسمون هنالك ديرناب أو سلب وكذا الذين في بند والله تعالى أعلم، ومنهم الذين بقوا في كدمغ مدينين طائعين لأهل قني إلى الآن.

219 - ذرية قني وفروعهم

ثم إن زوجة سنجت ولدت لقني ثلاثة أولاد أولهم جنخي ومن ذريته قبيلة دنكرنكوب، والثاني [...] ويسمى فل صخبتي جي ومنه قبيلة ساكتكوب، والثالث ست دمبي الذي له عشرة أولاد الذين منهم غالب قبائل كمراب كدمغ، وأكبر أولاده نوكي تنكي ثم سكبن ثم الخسين ثم فاي جور، ثم تزوج ببنت جابي فنجن الذي مر ذكره في تاريخ بسلنكوب واسمها بوج جابي فولدت له فاي بوج وسكيوج وجنخي بوج وتمبا بوج وسلبوج ومخم بوج، وأما أولاد نوكي تنكي فهم قبيلة تمبنكوب، وأما أولاد سكبن فهم قبيلة قني سنتنكوب وقبيلة أسسنتنكوب وهما قبيلتان بتخل، وأما الخسين فله ولد اسمه خسا ولخسا ثلاثة أولاد وهم ست خسا وكي خسا ومسى خسا ومن الأخيرين قبيلة بران، ثم أن ست خسا ولد صمب ستخ وجرخ ستخ ومن بعض ذريتهما قبيلة كنجنكوب الذين منهم عال جاج المعروف بعال كمر الذي كان سايف ثم عزل، ولجرخ ستخ ولدان أيضًا وهما قي جرخ ومسى جرخ ومن بعض ولدهما قبيلة كيمب، ولقي أيضًا أربعة أولاد تبكل قي ومخم قي ومنهما قبيلة هكول ومن أولاد كي أيضًا صمب قي وهمد قي ومنهما قبيلة هيان، وأما قاي بوج فمنه قبيلة قاي كار، وأما سكبوج فمنه سككار، وأما جنخي بوج فمنه قبيلة جنخي كار، وأما تمبا بوج فمنه [288] أمراك دُنْكُ سين في أول الذين هم الرئيس كمنقا وأما سكبوج فأولاده إلى بمبك ومساكنهم هنالك لا أدري أمرهم هناك أمامورين أم أمراء والله تعالى أعلم.(430)

220 - صفات بعض القبائل وأخبار عن أصولها وتحركاتها وحكم حمد كام

واعلم أن أوجه قبائل كمراب كدمغ وآخرهم وأثبتهم سيادة قبيلتان إحداهما وراء كار كور جهة خاي ويقال لهم جنجي كار والأخرى دون كار كور جهة حاس ول عل باب أي سييل باب ويقال لهم بران، وهاتان القبيلتان أوجه قبائلهم وهما متساويتان في الوجاهة والنباهة، ويليهما ساغو كار وكنج وكيمب وهكول وهيان وفيها كلا الشجاعة جدًّا وفي هيان وهكول أيضًا جمال فائق والله تعالى أعلم، وكار كور خليج متفرع بين كسا أو كاب جهة مرتن مقابل للآن بسلنكوب جهة سدا، ولكنهم مع هذه الوجاهة لا يتكبرون عن مناكحة القبائل الأخرى من بني قني كما يفعله الكثير من الفلاّن إذا صاروا تورب، وجد هذه القبائل كلهم قني المذكور أولاً فسبحان مكثر القليل ومعز الذليل، ثم إن موت قني كان في كيف في مرتن وفيها الآن

430 - تعليق المؤلف: في جلف مامورين هنالك لا أمراء، وأما مخم بوج فقد ذهب أولاده.

قصر لفرانس فيه حاكم فرانساوي، ثم اعلم أن قبيلة قنجي وسك كار هما الأولان للنزول إلى نيل فوت لكثرة ضرر البياضين، ثم وقعت الفتنة بينهم وبين هايرنكوب الذين في فوت فرجعوا لذلك إلى كدمغ، وفي هور فود قوم من قبيلة كمر أصلهم من أهل جاو في كدمغ في جوامنها فارين من ضرر البياضين إلى فوت، فجاءوا لكيهيد ثم جاوزوا إلى هور فود وهم الآن في ناحية جلجل، ومن بقاياهم رجل اسمه سري جاي اسم أمه فهو والد بوكر سري ودمب سري وجولد سري وهي امرأة، ودمب وبوكر لم يعقبا إلا الإناث وجولد سري في قيد الحياة، ومنهم دار في نباج، ومنهم مالكل الحوات الساحر الذي في واود وقد تزوج أبوه حواتة في واود فاحترف مالكل [289] بحرفة أخواله الحواتين فصار بذلك منهم، وقد تغير لسانهم السوننكي إلى الفلاّني وصاروا من سب فوت الآن والله تعالى أعلم، وقد قيل إن أهل كنداق وقسمننكوب كان لقبهم أولاً سغنه فغيروه إلى كنداق لمسكنهم الذي في مرتن في أرقيب ويقول له البياضين الأركنديق، وكذا تنجنكوب كان لقبهم أولاً تنكر فغيروه إلى سمار وهم المتكلمون إذا اجتمعت الجماعة لأن ذلك شرطهم مع كني أولاً وكانوا أهل سحر عظيم كما قيل، ثم كبنكوب وهم أهل جابره وقراهم جاكل وطكر وقسايل وأنبديد وسومنكيد وهم يلقبون بجابره، وأما قنسي فقبيلتان وهما سمار وجاور وأمير قريتهم سمار، وأما قنقيا فهم الذين يلقبون بسمار وهم رؤساء سل وبايجم، وأما قنكارنكوب فإنهم من بقايا ذرية مع مل دوي في كدمغ ولقبهم سمار أيضًا، ومعهم قونخ وهم الذين هربوا أو طردوا ولاذوا بذرية مع ملن دوي، ومعنى قونخ اتركوا لنا الذين هم في بطوننا وأصلهم بيضان أو عبيد البيضان والله تعالى أعلم. واعلم أن كمراب كدمغ من أخلاقهم كراهة تولية أحد منهم عليهم وذلك سفاهة منهم، وقد قالوا أيضًا أن قبيلة كمر أكثر السودان حتى قيل أنه ما من قرية من قرى السودان إلا وفيها كمري إما ملك أو مملوك، وقد زعم دمب جايك من بسلنكوب تياب أن كمراب أعز السودان وأكرمهم وأسخاهم وقد أعطاهم الله المال والأولاد ومع ذلك قل ما تضرهم العين ويعيش أحدهم مع كبير أولاده حتى يكبر وذلك شيء عسير، وقد قيل إن حمد كام قال لو سئلت من يكون الملك على الناس كلهم لاخترت كمريا لأن فيهم الصبر والإحسان إلى الخلق وهم كأندوج يعيش بها حيتان البحر. قلت وأندوج في كلام الفلاّن حيتان صغار في غاية السمن والكثرة تقوم من آخر مجرى الماء [290] إلى مبدأ مجراه بعدما غاض السيل يتبعها الحيتان الكبار لأكلها، ثم قلت أيضًا حمد كام كان حكيمًا أسوانك في الزمن الأول

وكان كلامه كالحكمة عندهم وهو الذي قال لو كان الأمر بيده لما فضل الذهب على الحديد بالقيمة لكثرة منافع الحديد دون الذهب، وهو الذي قال أيضًا لو كان الأمر بيده لما فضل الفرس على الجمل بالقيمة لكون الجمل يركب عليه ويؤكل لحمه ويحلب لبن أنثاه بخلاف الفرس، وهو الذي قال أيضًا لو كان الأمر بيده لما أصدق الزوج الزوجة بل هي التي تعطي صداقًا للزوج إلى آخر حكمه المضحكة واستحساناته المنتخبة، اهـ كلام دمب جايك البسلي والله تعالى أعلم.

221 - لقب الشيخ أحمد بابا السوداني والتشكيك في نسبة شرح مختصر خليل إليه

وقد زعم بعضهم أن أصل لقب كمرسه وهم من سلمان الفارسي وهو والد ميسين سليمان والد حمى ميسين والد جم سه والد كاجم سه ومنه أصل كمر وبكار جم سه ومنه أصل اللقب سه، قلت وما أشبهه عندي بالخرافات والزاعم موسى سالف قوال في وانود وكان يضع ما أراد من الكلام وهو وضاع فالله يسامحنا وإياه آمين، ثم اعلم أن أهل لقب كمر كثيرون جدًا لاسيما في مشارق بلاد السودان ومغاربها وجنوبها حتى قيل إن منهم الشيخ أحمد بابا السوداني التنبكتي شارح مختصر خليل ومؤلف غيره من الكتب النفيسة، ويضاف على وقيت لكونه شيخه إذا تعجب من سرعة فهمه وقوة حذقه وكثرة علمه يقول له كثيرًا أنت وق بالقاف العجمية ومعناه أنت كاهن، فاختار هذا اللقب واشتهر به فتقلب وقويا بعدما كان كمريا ومنه أهل لقب وق من أسوانك، أخبرني بهذا ألفا بنت البكجوي عم أحمد بمب الذي كان من أهل تبربنال ماتم ثم مات بعده ولم يطل مكثه فيه، وقد أخبرني هو أيضًا بذلك والله تعالى أعلم، وقد يصدق قولهم بأن أصل الشيخ من أسوانك كونه يحبون شرحه الخليلي هذا جدًا ولا تكاد ترى مدرسة من مدارسهم تخلو منه البتة والله تعالى أعلم، وقد أنكر هذا فودي عبد جكن في واوج وزعم أن الذي تغير لقبه من كمر إلى وق باب وق ويسمى أحمد باب وق تعلم [291] على الحاج سوار في زاغا العلم حتى مهر وبهر فيه وكان آية في الفهم وغاية في العلم وكان حاذقًا ذكيًا جدًا وكان شيخه يقول له هذا وق لحدة ذهنه في فهم المسائل، ومعنى وق في كلام سرخل وكلام الفلّان واحد وهو الكاهن، فاشتهر بباب وق وصار لقبه وق بعدما كان كمر وقد قدمنا هذا في تاريخ جاور فراجعه إن شئت، ثم أخبرني بعض المحققين بأن الشيخ أحمد بابا السوداني ليس هو الذي شرح خليلاً بل الذي شرح

مختصر خليل تلميذه العلامة الشيخ محمود بغيغ السوداني رضي الله عنه وهذا الشرح هو الذي في المدارس الأسوانكية والله تعالى أعلم.

222 - قبائل كمر الخمسة

وقبائل كمر خمسة: كمر دمب هاو وكمر جالال وكمر جغد وكمر كمر جكان وكمر مغنفي والكل من مغم كت كمر والد قني، وقيل بالتفصيل وأن كمر مغنفي من نوقي تنكي وسوين وكمر جغد من جرخ جاب قي وكمر جكان يقال لكنجنكوب وهم من صمب جاب قي وكمر دمب هاو من سق بوج وكمر جالال من بندق قلي حمد مسى وأما كمر يل فغير موجود فيهم ولا يقوله إلا جاهل بهم.

223 - أخبار عن سيرة الفقيه فودي صمب أنجاي دفين كدمغ وذريته

وفي هذه البلاد كدمغ قبر الفقيه الذي ليس له في زمنه وقطره مماثل ولا شبيه فودي صمب أنجاي كان مسكنه في قرية سومنكيد ومن أولاده فودي بوب الذي كان أوسع أبناء جنسه علمًا وأغزرهم حلمًا وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في هذه السنين القريبة وترك من الأولاد السيد فودي هدية الله وهو الآن في قيد الحياة وقد قيل أنه يعرف القلم الفرانساوي كما يعرف القلم العربي ولو لم يترك غير هذا السيد لكفى ولعله له من الأولاد غيره بارك الله فينا وفيهم آمين، وأصل هذا الشيخ فودي صمب أنجاي هذا من قبيلة أنجاي الذين هم أهل بكل أصل الكل من جلف هاجروا منها لفتنة وقعت بينهم وبين بني عمهم للمنازعة في الملك، فهاجروا لذلك إلى فوت وبعضهم في هورفود [292] في بكل وجاوز بعضهم وقطع النيل إلى كدمغ فصاروا هنالك أهل علم ودين من ذلك إلى الآن، والذين بقوا دون النيل في سنكال ما زالوا ملوكًا إلى الآن والله تعالى أعلم.

224 - أصل الشيخ سارن مكم أتمان وقصته مع أهل كجك وهجرته

وفي هذه البلاد أي كدمغ أيضًا قبر الشيخ الكامل والعالم العامل سارن مكم أتمان ذا اليمن والبركة في السكون والحركة، أصله من قريب من قبيلة سه من سووناب بوتل في تور، كان أبوه أميا راعيا للماشية، فبينما هو في ماشيته إذ طرقه طارق الهداية والسعادة

فتركها وتوجه لطلب العلم وتعلم عند سان فالل، قلت ولعله القرآن، ولعل سكل سان حينئذٍ رقاب لا جاونب والله تعالى أعلم، ثم رجع إلى قريتهم سووناب بوتل وطلب من أبويه الهجرة معه ومتابعته على التدين فأبيا وامتنعا، فارتحل هو إلى سان فالل مهاجرًا وتزوج بتك مات عال بيا من جايب كمد وهي أم سارن مكم، ثم مات أبوه في سان، هكذا أخبرني هذا المخبر ولكن الأصح المشهور والقول المنصور الذي عليه الجمهور أن أم سارن مكم عثمان هي فاتمة صمب أخت داوود صمب الذي منه سيولناب وهي أيضًا أخت مود صمب الذي منه أهل مود نل والله تعالى أعلم. ثم لما تعلم سارن مكم العلم، قلت ولعله القرآن أيضًا، ومهر وبهر سكن مع كجكناب في كري ثم تزوج منهم امرأة فولدت له بنتًا، فلما ترعرعت جعل في يدها سوار من فضة وكانت تلعب مع ابنة ستك، فلما رأت بنت ستك السوار بكت لأجله وأمر أبوها ستك بانتزاعه من يد بنت سارن مكم، واحتالوا له كل حيلة فلم يقدروا على نزعه فأمر ستك بقطع يدها فقطعت وأخذ السوار وجعله في يد بنته، فاغتاظ الشيخ لذلك وارتحل عنهم، وقيل إن سبب اغتياظه وارتحاله أن امرأة من أهل كجك كانت تغتسل في المورد ثم صدرت وقد نسيت فيه حليها ثم جاء سارن مكم لذلك المورد بعدما ابتلعت حوتة لذلك الحلي فتذكرت المرأة حليها [293] فرجعت له ولم تجده ووجدت في المورد سارن مكم فاتهمته بأنه الذي أخذ الحلي، وكان من عجائب قدرة الله تعالى أن اصطيدت تلك الحوتة ووجد في بطنها ذلك الحلي فبرأ سارن مكم بذلك من التهمة ثم اغتاظ وارتحل منها وسكن في بند مدة أيضًا، ثم ارتحل إلى منكل في كدمغ ومعنى منكل الوادي الكبير وهو كار كور المتقدم الذكر، وسكن في موضع منه يسمى ملق إلى أن مات فيها رحمه الله تعالى، وقد استأذن في سكناه في ملق سيدي محمد فال ول عمر بوسيف من أسكير قبيلة قوية من ولاد القوير، ويعرف سارن مكم أتمان عند البيضان بطالب مك، وقيل أنه هاجر إلى ملق وسكن فيها ومعه خمس مائة دار مهاجرين معه بين هندرب وهانراب وبمياب ويالّب، فوجد في منكل رقاب ساكنين قبله فسكن معهم فدانوا بدينه، وقيل أن هجرته إلى ملق كانت عام 1150 وهو ألف ومائة وخمسون، ومن ذلك إلى هذا العام وهو عام 1339 من الهجرة[431] 189 سنة والله تعالى أعلم، وهو قبل ولادة ألمام عبدل بعشر سنين والله أعلم.

431 - سنتا 1150 و1339 هـ توافقان على التوالي: 1737 و1912 م.

225 - إخوة سارن مكم أتمان «راس أتمان» و«أب أتمان»

وكان مع سارن مكم أتمان أخوان له وهما راس أتمان وأب أتمان وهم إخوة شقائق ومعهم أيضًا أعمامهم راس مالك وذريته هم الذين في هورجيو الآن، وعبدل مالك وير مالك، وأما عبدل مالك فهو والد مالك عبدل والد مكم مالك والد مالك مكم والد عمر مالك والد ممد عمر صغير يتعلم الآن سلخ الدخن، وأما ير مالك فهو والد حمى ير والد حمد حمى والد عمر حمد وكان يقال له ألفا عمر وهو الذي كان في كنكل مك بود يقضي لسايف بوكر ممد في دمبنكان وهو والد حبيب ألفا الذي الآن في بروب هاير وهو والد بوكر ألفا عمر أيضًا وكذا عبدل ألفا عمر أيضًا وكلاهما الآن في ملق والله تعالى أعلم، ووالدهم مالك هذا [294] هو والد أتمان والد سارن مكم وسنذكر نسبه إن شاء الله تعالى بعد، فلما سكنوا في ملق سبع سنين مات أخوهما أب أتمان وقد اشتهر بأب سيد ولم يعقب إلا بنتًا، ثم مات سارن مكم بعد موته بثلاث سنين، فبقي راس أتمان بعدهما سبع عشرة سنة ثم مات.

226 - قصة أحمد مكم «بيدل» وأخيه مع البياضين

وذرية راس أتمان مكم راس وأمه راب حمد الحاج لمن وهي أخت ألمام عبدل وهو والد أحمد مكم المعروف ببيدل عند السودان والبيضان وكان مجاب الدعوة ذا أسرار وحكم، ومن عجائب أفعاله أن البياضين أغاروا على ماشيتهم فذهبوا بها إلى محلة خيامهم فتبع بيدل هذا آثارهم إلى محلتهم فقال له رئيسهم يابيد إن كنت تعرف شيئًا فأمت هذه الشجرة فأشار إلى شجرة حولهم في هذه الليلة فقام بيدل وصنع شيئًا وجعله في الشجرة فماتت في تلك الليلة فأصبحت يابسة، فخاف الرئيس جدًا وأمر برد الماشية كلها وما مات منها فليأتوا بخلفها وأن الذين أغاروا عليها هم الذين يساقونها إلى محلها في ملق تامة وافرة غير ناقصة ففعلوا ذلك خوفًا من أن يموت الرئيس كما ماتت الشجرة، وكان لبيدل هذا أخ اسمه حمد كطاط ولم يعقب إلا بنتا وله أخ آخر اسمه جب مكم وكان أيضًا مجاب الدعوة، وقد أغار عليهم بعض قبائل بمبر مسل وساقوا أموالهم وأناسيهم إلى مساكنهم وتبع أثرهم بيدل ليردوا له ما أخذوا فأبطأوا عليه في ردهم ذلك إليه فأرسل إلى أخيه جب مكم هذا يستنصره بالدعاء ويقول له ولقد نمت عنا ولم تهتم بما أهمنا، فأرسل إليه مجيبًا له بل سترى

النصر إن شاء الله تعالى الآن فلم يلبث أن مات رئيسهم فردوا إلى بيدل جميع ما أخذوا لهم والله تعالى أعلم.

227 - ذكر فروع من ذرية جب مكم

وجب هذا هو والد ممد جب ولم يعقب وهو والد بيد جب أيضًا ولم يعقب إلا بنتًا وهو والد عمر جب أيضًا والد مختار عمر الذي في ملق الآن والله تعالى أعلم، وأما أحمد مكم الذي هو بيدل هذا فهو والد ممد أحمد ويعرف بممد سناسي وهو [295] والد بوكر سنًا ووالد بوكر جب الذي في ملق، وممد سناسي هذا هو والد راس ممد ويعرف براس سنًا وقد ملكه أهل ملق عليهم بعد موت رئيس قبله،[432] فأباه كمادي خاي وعزله وملك عال مكم الذي هو رئيس ملق الآن، ولراس سنًا ولد يسمى جب راس وهو ولده في قيد الحياة الآن، وأما سارن مكم أتمان فهو والد أحمد مكم وقد انقرض عقبه في الذكور وله شقيق اسمه بوكر مكم وهما من ابنة الحاج لمن[433] في كبل جد ألمام عبدل وكان قد تزوج بها في زمن سكناه عند كري فولدت له أحمد مكم وبوكر مكم وعائشة مكم وكجت مكم، وأما بوكر مكم فهو والد مكم بوكر والد حمد مكم وأب مكم ومتار مكم وصمب مكم، وأما حمد مكم فهو والد مكم حمد والد ممد مكم وعال مكم الذي قلنا آنفًا أنه رئيس ملق الآن وهو والد عثمان مكم وقد مات وترك أولادًا، وأما أب مكم فلم يعقب وكذلك متار مكم لم يعقب إلا بنتًا وأما صمب مكم فهو والد ممد صمب والد دمب ممد وير ممد ومنتقى ممد وداود ممد كلهم في ملق.

228 - تدبير مكيدة بين مكم راس وابن عمه نل سيد

فافتتنوا وتفرقوا في ملك مكم راس وكان شديد الملك وكان قد حمى فل تحت قريتهم ملق يسمى فل سارن مكم وكان مع نل بن سيد راس بن مالك فلاّن من رقاب، فاستأذنوه على رعي ذلك فل فأذنهم افتياتًا على رئيسهم الحامي لهذا الحمى فرعت المواشي ذلك الحرث ليلاً ثم علم بهم فأخذوا إلى الرئيس فسألهم من أمركم بهذا، فقالوا ابن عمك نل سيد ودعاه إلى الشرع فتخاصما فخصمه الرئيس مكم راس وحكم القاضي على نل سيد بالأدب ولم

432 - تعليق المؤلف: وهو من ذرية سارن مكم عثمان الذين سيأتي ذكرهم الآن بعد هذا.

433 - تعليق المؤلف: اسمها آمنة الحاج لمن.

يعف عنه ابن عمه مكم راس حتى فدى نفسه بمال، ثم سأل رقاب هل رأوا موضعًا يصلح للحراثة في هذه البراري فقالوا الموضع الذي قتل فيه إلمين الفيل يصلح للحراثة جدًا وإلمين اسم رجل وقد بقي رأس الفيل هنالك فلذلك سموه بهورجيو أي رأس الفيل وسكنوا فيه [296] ثم لما مات مكم فنعي إلى نيل سيد بخبره جاء وأراد الصلاة عليه فمنعه مكم بوكر، فتخاصما عند عالم بيضاني لمكم بوكر عليه ورجع في كم إلى قريته هورجيو وذريته فيها إلى الآن، ومن عادتهم أن كل من أم في صلاة على جنازة رئيس فهو خليفته فلذلك منعوه من الإمامة في الصلاة على جنازة مكم راي، واعلم أن راس مالك هو والد سيد راس والد نا سيد والد محمد أحمد رئيس قرية هورجيو الآن وله ولد يسمى عمر ممد والد مكم وهو الآن حاذق في العلم كما قيل تعلم على سارن يربال في كلجن فهو إذًا تلميذه وهو في قيد الحياة الآن في هورجيو، وقد بلغني أنه أفسد بعض الطلبة بتعليمهم علم الجداول وإدخالهم الخلوة، فاختلت بذلك عقول بعضهم والعياذ بالله تعالى، واعلم أن سارن مكم أتمان كان كثير العبيد وكان يعمل في حرثه فل سارن مكم هذا ستون عبدًا وكان واحد منهم لا عمل له في ذلك الحرث إلا قطع ما يعمل فيه كل واحد من العبيد في ذلك اليوم من القطعات الأرضية المقطعات لتحمل في ذلك اليوم ونسمي تلك القطعات الأرضية في كلامنا الفلاّني لو وأحدها لور، واسم ذلك العبد القاطع لما يعمل من الحرث صم فكاك وليس له من العقب الآن إلا الإناث.

229 - معلومات جغرافية عن بعض الأودية

ومنكل خليج كبير يسميه سرخل بكار كور والفلاّن بمنكل وفي حافتيه القرى منها قرية سيول ومنها إلى ملق مسافة نصف يوم للطالع نحو البياضين ملتقى الوادين واد كبير يقال له جلب وواد كار كور الذي خرج من النيل بين كانما وكسال في محاذاة لان وهو الحاجز بين كدمغ مرتن وكدمغ سدا، وأما واد جلب فهو خارج من جبل يسمى واو وهذا الوادي هو الحاجز بين جمبغ وكدكغ سدا وقد التقى هذان الواديان عند ملق [297] واتحدا وصارا واحدًا وطلعا نحو أرض البياضين، وفي هذا الوادي كار كور حرائث كلاط منها حرائث كلكل تسمى لوبي وحرائث كلكل أيضًا تسمى بوسر وحرائث كلكل أيضًا تسمى بوب زين وحرائث كلكل أيضًا تسمى كبل وكلها في ملك أهل ملق كما قيل والله تعالى أعلم.

230 - نسب سارن مكم أتمان

وقيل أن سارن مكم أتمان دعا على ساتك كجك بتشتيت الشمل فأجاب الله دعوته بأن فرق كجك في البلاد تفرقة لا يمكن اجتماعهم بعد أبدًا، نعوذ بالله تعالى من كل شر وبلاء ونسأله في الدارين كل خير وهنا، وقد زعموا في نسب سارن مكم أتمان بأن أتمان بن مالك بن مكم بن موسى بن سل بن جاج بن دقا بن جم بن صمب بن عل بن يلط بن جاج بن سادقا بن سقر بن بطول بن ماكم وإليه يتصل نسب غالب الفلاّن والله أعلم، ونسبه يجتمع مع نسب فريب هاور عند دقا المذكور، ولعلنا سنذكر ذلك إن شاء الله عند ذكرهم،[434] وقد قيل أيضًا من نسب سارن مكم أتمان غير ذلك، فقالوا أنه سارن مكم بن أتمان بن مالك بن عل من، ويقال سارن مكم أتمان مالك مكم عال من سلبر مكم، وقيل عال من سابايرا وسابايد والله تعالى أعلم. اعلم وفي الحديث كذب النسابون وفي التنزيل: وقرونًا بين ذلك كثيرًا لا تعلمونهم الله يعلمهم، الآية،[435] ويقال أنهم من سلب ويقولون سل من لواسار داود، ويمكن ذلك لأن من الذي يقال أنه كان سلطان فوت يقولونه من سود وسارن مكم من قبيلة سه أيضًا، وزعم هذا بأن سلب وهو أيضًا من سوسوب، وزعم أن سلب هم سب لوناب، قلت يمكن أنه [298] من سلب ولكن بالمجاورة القديمة فقط والله تعالى أعلم، وأن سوسوب الذين هم سلب من الذين ذلوا بعد العز وضعفوا بعد القوة شأن الدول كلها والله تعالى اعلم. انتهى تاريخ كدمغ ويليه تاريخ هايرنكوب.

231 - بعض قبائل هايرنكوب بأصولهم

زعموا أنهم من ولد سنجت من ابنه ناري سنجت والد بكر ناري والد مغم بكر والد دوي مغم، ولعله هو مع مل دوي، وعمر مغم وكافكي مغم وسلابر مغم والد كول سلابر والد

434 - تعليق المؤلف: الذي هو دقا جم والد كل دقا وهمد دقا وهمد دقا الآخر، وأما كل دقا فهو والد همد كل والد سيد همد والد موسى سيد والد أب موسى والد بيله أب الذي هو سار يبلى في هاور، وأما همد دقا فهو والد هور والد مالك أب والد عثمان مالك والد سارن مكم عثمان هذا، وأما همد دقا الآخر فهو والد برف همد والد فاتيبرب والد جم فات والد يسرا جم والد دمب سرا والد أحمد دمب سرا والد فات أحمد وسرا أحمد، وأما فات أحمد فذريته الإناث وسرا أحمد كذلك، وأما ذرية كالا فهو والد حاميد كلال وهو الآن في مرتن مع الفلاّن ولجدهم دقلجم هذا الذي يسمى سبل جم ذريته في فرسب وتل وكانوا مع همبو ولكن الذين فيها انقرضوا الآن، انتهى، هذا الذي أخبرني بعض القوالين في سلن وقد زعموا انه كبيرهم جدًا والله تعالى أعلم.

435 - اقتباس من القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية 38.

جن كول والد بكر جن والد سلمن بكر والد بنا سلمق وعمر سلمق، وبنا سلمق هو والد مسى بنا ووتما بنا فأولاد مسى بنا هم الذين في كومل ووادو[436] ووارم ودمبنكان، وأولاد وتما بنا هم الذين في لوبال، وأما أولاد كافكي مغم وعمر مغم ودوي مغم فهم الباقون في كدمغ إلى يومنا هذا، وكلياب ورنكوب الذين كلاج كج منهم ولقبهم سمار أصلهم من هؤلاء الثلاثة، ثم اعلم أن أهل كومل والدهم مسى مغم بنا، وأهل وارم ودمبنكان من بج مسى بنا ويقال لهم برلي نسبة إلى أبيهم برم مسى هذا، وأهل كومل من مغم مسى بنا ويقال لهم مغنا نسبة إلى أبيهم مغم هذا، وأهل لوبال من وتمي مسى بنا ويقال لهم وتمنكو نسبة إلى أبيهم وتمي هذا ويقال لهم أيضًا سنجار نسبة إلى أبيهم سنب جار أيضًا ولعله من نسه وتمي هذا، وأهل وارم ودمبنكان من بج مسى والد مسى مغم والد وسم مسى والد بج وسه.

232 - أصل بعض هايرنكوب وحركة تنقلهم وذكر لغاتهم وبعض فروعهم

وهو الذي انتقل من فانير في بند إلى كمبل التي [299] صارت يقال لها الآن مقام ووجد فيها جاوب دا فأسكنوه في جكد الذي صار يقال له الآن كه سكن، ثم أعطوه أرض تل فارتحلوا إليها وسكنوا فيها، ثم لما كثر ضرر البياضين فيهم وتقلب الدهر قطعوا النيل وسكنوا في كومل، وقد سبق أهل واود جميع هايرنكوب إلى سنكال قدر سبع وثلاثين سنة وكانوا بذلك أكثرهم في سنكال ملكًا للأراضي الحراثية، وأما أهل بجلنكوا الذين هم أهل وارم ودمبنكان الآن فلما قطعوا النيل فأول مسكنهم في موضع بين بوسياب وهركجر مكثوا فيه ثلاثين سنة في زمن سل جاي ثم ارتحلوا بعد ذلك إلى ومف في مرتن فسكنوا فيه ثم قام رئيس من رؤسائهم يسمى جاك جل فسكن في دمبنكان في سنكال فوجد فيها حواتين يتكلمون باللسان الفلاّني فسكن معهم ثم ارتحل من بقي في ومف إلى دمبنكان فسكنوا فيها جميعًا ثم ارتحلوا منها أيضًا إلى وارم إلا أهل جاك فقد بقوا فيها، وقد زعم هايرنكوب هؤلاء بأن الذي غير لسانهم عن لغة أهل مندق إلى لغة سرخل أنهم لما هاجروا من مندق نزلوا في أرض جاور وجافن وهايركال ولسان هؤلاء سرخلي فتغير لسانهم بذلك، وقد وجدوا في هايركال سيوب الذين صار لقبهم سيبه وقد كانوا في الأصل فلاّن، وقد وجدوا فيها أيضًا

436 - تعليق المؤلف: وقيل إن أهل واود من برم مسى.

النجارين الذين من ألقابهم جم والله تعالى أعلم، وقيل أيضًا إن من أولاد سلمق بكر جن كول الذين منه هايرنكوب واحدًا قد ملك فوت واسمه من سلمق، وقد مر أن سلمق هذا هو والد بنا سلمق وعمر سلمق وقد ذكر منهم جاج سلمق، وقد قيل [300] إن ذرية جاج سلمق وعمر سلمق في تفسرك الآن، وقد ذكر من ذرية سلمق هذا منا سلمق وقيل أنه هو الذي ملك فوت بإذن الله تعالى وهو الذي في حروف جمتلل كش نفد عي الآتية في تاريخ بند إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم، وقد قيل أيضًا أن لقب من ملك فوت هذا سه وهؤلاء لقبهم سمار فليس منهم، قلت وقد أخبرني بعض أهل ملق بأن أصل سارن مكم عثمان من سه سمار لا من سه فل فراج، وقلت أيضًا ويمكن أن يكون من تغيير الألقاب من سمار إلى سه وإن لم يكن كذلك فمن الملك الذي لقبه سه من سلب وسلب من هايرنكوب، ولعل أهل اللقب سه من فلاّنهم الأقدمين الذين ما فارقوهم قط، تأمل فإنه من الأخبار المظلمة جدًّا والله تعالى أعلم.

233 - أصل تسمية قبيلة هايرنكوب

واعلم أن أهل كومل وواود ولوبال ووارم ودمبنكان يقال لهم هايرنكوب لهجرتهم من هايركال ويقال لإخوانهم الذين في بند سلب وديرناب، وقد قيل أن سبب تسميتهم بديرناب كون هؤلاء نزلوا في هجرتهم في واد لجري مائه وسيلانه دوي فصار يقال لهم القوم الذين في سانكل ديرول أي في واد له دوي فلزمهم هذا الاسم، قلت ويمكن أن يسموا بديرناب لنزولهم في فانير في بند وطول مكثهم هنالك فسموا بذلط ديرناب والأصل فانيرناب، وقد طال سكنى هايرنكوب فيها والله تعالى أعلم، وقيل أنهم لما هاجروا من فانير إلى داخل فوت جاؤوا بقوة متينة وجيوش كثيرة وهم يريدون داخل فوت ولم يستأذنوا ستك فسمع به وقام لقتالهم فصادف وصول ستك لكنل يوم عرفة [301] وفانيرناب نازلون في فمهار، فأرسل إليهم ستك بأنه يريد يصلي بهم العيد فقالوا إن من صلى بنا العيد يشبع وهو معنى فمهار ومعنى فمد صلاة العيد ومعنى هار يشبع، وكانوا نازلين في مواضع فمهارين فامتلأت تلك الأماكن و ما حولها بهم، فلما أصبح التقى الجمعان فكانت الغلبة لستك عليهم وقتلهم قتلا ذريعًا فلم يبق منهم إلا القليل، فرجع بعضهم إلى بند وبعضهم هم هايرنكوب إلى مساكنهم التي ذكرناها أولاً ودخل بعضهم في فوت واشترق بعضهم وافترقوا عباديد في البلاد فسمي

الموضعان لذلك فمهار والله تعالى أعلم، ومن القابهم سمار وجق وجق وسل وكمر ودرام ومنهم همراب الذين في سانكلياب الذين لكثرة اتباع الهوى في قريتهم في تلك الأزمان يقول الشبان في غنائهم ليل كثيرًا يوم جد كلياب والله تعالى أعلم.

234 - ذكر أصل تسمية قبيلة ديرناب وبعض الأماكن التي ارتحلت إليها فروعها

وقد أخبرني بعض همراب في سانكلياب بأن ديرناب كانوا في وكد ومكثوا فيها 107 سنوات ثم سكنوا في هايركال 30 ثم هاجروا منها وقطعوا النيل[437] عند وادي ديرول فسموا ديرناب لذلك. فلما وصلوا فمهار نزلوا فيه يريدون السكنى فأرسل إليهم ستك يختبرهم هل يطيعونه أم يعصون أمره، فطلب منهم الضحايا فأبوا فقال ستك إن قضيت من صلاة العيد الآن عيدت بهم، فقال له رسله هؤلاء من عيد بهم يشبع لكثرتهم فلذلك سمي الموضع فمهار، فلما وقع عليهم هزموه فجمع جيشًا أكثر من الأول واستعان بأهل فوت فتعاونوا عليهم وغلبوهم وشتتوهم وكان وادي لاقان عند فمهار [302] مسمى باسم فرس سلطان ديرناب وكان يلعب به في ذلك الموضع ثم يتابعه قومه في اللعب بخيولهم فلذلك صار الموضع واديًا فسمي لاقان اسم فرس أمير ديرناب، فلما غلبهم ذهب أكثرهم إلى كدمغ وأقلهم إلى أول فصاروا هنالك سوسب، ثم انتشروا من فمهار إلى المشرق فسكن بعضهم في دار لمن لز أولاً ولمن لز هذا كان من ساداتهم من كمراب وبعضهم في نمرد وبعضهم في جباك وبعضهم في صبكنتي وغير ذلك من مساكنهم في بند، ومن مساكنهم في دمك أندير وهم الذين صاروا الآن في تياككل ومن ذلك همراب في سانكلياب ومن مساكنهم في بند أيضًا سرًّا، وملوكهم كمر وسمار لا غير فلذلك يقال مهماك سمك وناهيرنك ويقال أيضًا مسماك هماك ونادريناج ومعنى ذلك كله أن من لم يكن لقبه كمر ولا سمار فليس من ملوكهم وإلا فإن من جملة القابهم سيسي ثم كُنْتي ودرام وتور وياتاير ودكري وعد منهم كرار، وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم.

235 - توضيح حول منّ وكيف كانت نهايته

واعلم أنهم مختلفون في منّ فبعضهم يقول إنه من سوسوب سلب ولكن هايرنكوب، وسلب أصلهم واحد، ومن العجب أن من فلاّن عد في تور قبيلة يقال لها سلب في مرد

437 - يتعرض المؤلف لهجرات القبائل عبر نهر النيجر، وارتباط ذلك بالأسماء التي يحملونها، وهو بذلك يقدم معلومات مفيدة لدراسة ارتحال السكان واختلاطهم وتغير أسمائهم وتطور عاداتهم وتقاليدهم، مما يعتبر أرضية لإعادة دراسة إثنوغرافية السودان الغربي.

وأميرهم من قبيلة جل ويلقب بجوم سلب وهو وجوم دوك يتناوبان الملك، فإذا تخلف جوم سلب يكون أميرًا لسلب ودوك معًا، وإذا تخلف جوم دوك يكون أميرًا لدوك وسلب معًا، ومن ملكهما سبل سك، وأصل جوم سلب وجوم دوك من سووناب كما قيل والله تعالى أعلم، ولعل سارن مكم أتمان من هؤلاء سلب سووناب والله تعالى أعلم، وقيل إن جوم دوك هو مالك ساغو وجمال وورفرل وناحية من قرية مرد دونهما لا يتناوبان الملك لأن الذي [303] يولي جوم سلب الملك أرط عد ومولي جوم دوك الملك ألمام فوت، وكان لقب الكل جل ومرد وسل كلهم من سووناب، ولعل جوم سلب وجوم دوك كلاهما من سووناب والله أعلم، وقد اختلفوا أيضًا في مسكن من، فقيل كان كمبل الذي صار الآن يقال له مقام، وقيل في داخل فوت، وقيل في سابايد اسم موضع لأنهم يقولون سارن مكم أتمان ملك عال من سابايد، وكان سابايد أيضًا من مساكن هايرنكوب أولا وهم يعرفونه كما يعرفون فانير والله تعالى أعلم، وقد أخبرني دنب جايك من أهل بسل من أهل تيان بأن سابايد كان مسكنًا لسيبوب هايرنكوب أي لفلاّنهم وهو الآن خربة بين جوكنتره ومل سقه في كدمغ، وعلى كل كان سبب موته أهل فوت، وقد أراد مَن يومًا قطع النيل في سفينة فأعطوه سفينة مثقوبة تحتها بثقبة كبيرة وقد سدوا الثقبة جدًّا من غير علمه بالثقبة وأمروا الذين معه في السفينة منهم بأن يفتحوا الثقبة إذا أنصفت السفينة النيل وكانت مفروشة بالثياب الجدد المصبوغة السود فجلس عليها من، فلما توسطوا النيل فتحوا الثقبة فغرقت السفينة وغرق من فصار الذين فيها يقولون وي منى وي ويضربون أيديهم على الماء فإلى الآن يحكي هذه الواقعة الصبيان منا إذا دخلوا في الماء يغتسلون، وقيل إن ذلك وقع عند جل قرية من قرى بوسي والله تعالى أعلم. [304] انتهى تاريخ من لم يتغير لسانه إلى الفلاّني من السودان.(438)

236 – سكان المنطقة بين كومل وجرل مثل كوي وكمار وسمار وغيرهم

وحد هايرنكوب من كومل إلى جرل، وقيل كان حدهم من ولتد بفلل إلى جرل وهو ترعة متفرعة من النيل غير نافذة قرب دمبنكان يمينها الشرقي ومن جرل إلى فلم يقال لأهله كوي بمعنى تحت أي ما دون بحيرة فلم من جهة المغرب، وملوكها أهل بسل من أهل تياب، وفلم

438 - يتعرض المؤلف إلى الأقوام التي لم تندمج في شعب الفلاّن، وهم سكان المنطقة بين كومل وجرل. وهذا ما يسمح للباحث بالتعرف على لهجات السكان وأصولهم، ويمكنه من استخلاص معلومات في غاية الأهمية عن الواقع اللغوي والثقافي في السودان الغربي.

خليج متفرع من النيل شمال جوكنتره المغربي وقربها، وهذا الخليج هو ساقية أهل بند، ومن فلم هذا على كج يقال لأهلها كَمَارَ بمعنى فوق أي ما وراء بحيرة فلم من جهة المشرق وملوكها أهل بسل أيضًا ويقال للكل كجاك وكلم، وكج قرية بين خاي ومدين كاس منها ابتداء كجاك ومنتهاه إلى جرل جهة سنكال والله تعالى أعلم. وقد لقيت دمب سر من أهل باج في مُرتَن في حكامة بُكي فسألته عن أمر سلب ومن وديرناب فقال لي أن مساكنهم كانت في آتان اسم واد بين جبل دكل وبين أرض البيضان من جهة المشرق. ودكل بين آتان وبين النيل، وأتان واد طالع نحو أرض البيضان ويتصل به من تحته في المغرب وادي ديرل ومخرجه من النيل في حذاء داولل من جهة مرتن بين كاجاط ودونبل من قرى مرتن، ويسميهم أهل دكل ومن حولهم [305] من أهل فوت بديرديرب، وألقاب ملوكهم كمر وسمار، ومن من أهل سمار، وألقاب علمائهم سيسي وكسم وسلي وكسي ودرام، وقيل إن في قرب وادي آتان حرثُ «مَنْ» وهو حرث كبير واسع جدًّا في سان من الأرض وليس فيه شجرة صغيرة ولا كبيرة إلى الآن لأنهم كانوا يقلعون أشجار ذلك الحرث من عروقها فإلى الآن لا يرى فيه إلا الحشيش لا غير كما قال، ومن أسماء قرى سلب هناك نمرد وجباك وصبكنتي، فلما خربت آتان بموت من قطع بعضهم النيل إلى سنكال فسكنوا في فوت وبعضهم في بال عد في بر سنكال وبقي بعضهم في مرتن ومنهم من في نكل وغيرها، ثم بعد ظهور مالك سه في بند بالدين ارتحل إليه بقية ديرناب ومنهم من وصل إلى بند وهم الذين سموا مساكنهم هنالك بأسماء مساكنهم في آتان ومنهم من لم يصل إلى بند وبقي في فوت وممن كان أصله من آتان وصار من هايرنكوب واود صمب دكاج ولقبه سمار وممن أصله من آتان أيضًا كاج عل ولقبه جاي وكان مسكنه في بتل ثم صار من أهل لوبال إلى أن مات، وقد زعموا أيضًا أن من جاء لكمبل الذي اسمه الآن مقام وقال يومًا لأصحابه قد أضر بنا الآن العرق والحمان فقيل له فلنذهب على وادي فك لنغتسل فيه وكان زمن خريف فذهبوا فلما وصلوا للموضع الذي يسمى منه بلكر من نزلوا فيه يغتسلون وهو لا يحسن العوم وكانوا قد ضجروا منه فجروه إلى غور الماء وخنقوه إلى أن مات ثم صاروا يضربون أيديهم على الماء ويقولون مني وي والله تعالى أعلم. [306] قلت ويمكن تعدد من فيهم وكل من ملك منهم يسمى من والله تعالى أعلم، وقلت أيضًا يمكن أن يكون سلب الذين في مرد الذين يسمى ملكهم جوم سلب وغيرهم من سوسوب سلب أنهم كانوا من فلاّن سلب فقط إذ لكل أهل حاضرة أهل بادية والله تعالى أعلم. ويليه تاريخ بند.

237 - رواية عن أصل لقب سِه أو سي «مولك بند»

واعلم أن مولك بند سيسيب أي أهل لقب سِه أو سي من أهل بند أصلهم من تور من قرية يقال لها سيم والذي جاء لبند منهم مالك سح بن داود بن بكار بن جم سي حمى ميشين كانوا أولاً في سيم موضع في مرتن فحاربهم هنالك واحد من العرب يقال له لمر وأجلاهم منها فقطعوا النيل فسكنوا في سيم سنكال فسموها باسم قريتهم الأولى وقد زعموا بأن أصلهم من البيضان وأن أول من جاء منهم حمى ميشين المذكور وأنه قد سافر إلى جلف ذات مرة والتقى مع أميرها ولقبه جاي أو جك فقال له حمى مداريًا له جاي فأراد الملك أن يجازيه بمثل قوله ولم يعرف لقبه فقال نك سنت في لغة أهل جلف ومعناه ما لقبك، وقال حمى مستفهمًا شنه في لغة البيضان أي ما معنى هذا فظن الملك أن لقبه سه لما قال شنه، فقال مجاريًا له سه فجرى اللفظ لقبًا له ولذريته إلى الآن،(439) هكذا أخبرنا قوال يسمى موسى سالف من أهل وانود وكان وضاعًا يضع ما أراد من الكلام، قلت ولعل الواقعة كانت في جماعة سمعوا اللفظ ولعل حمى مكث عند ذلك الملك مدة فكل من لقيه يلقبه بما لقبه به الملك حتى شاع الخبر وانتشر، ثم رجع إلى سيم مشتهرًا به والله تعالى أعلم.

238 - فروع أهل فوت وتاريخ مفصل عن أصل تسميتهم وتغيير ألقابهم

واعلم [307] أن بند من فوت وأصول أهل فوت كلهم منقسمة على ثلاثة أقسام لا غير قسم منهم أصله فلاّن وقسم منهم أصله بيضان وقسم أصله سب جمع سط وهو في لغتنا عبارة عن إنسان سوداني غير فلاّني لا غير سواء كان ولفيًا أو سوننكيًا أو مندنكيًا أو غير ذلك من قبائل السودان بحسب أصل اللسان الفلاّني، وأما التوردية والحواتة فمن الحرف والفروع لا من الأصول كما سترى تفصيل ذلك الآن إن شاء الله تعالى، ثم إن سط الفوتي إن ترك لغته وصار يتكلم باللغة الفلاّنية مسلمًا ولم يتعلم العلوم الإسلامية فهو إلى الآن سط أيضًا، وإن تعلم العلوم الإسلامية ولم يترك لغته فهو إلى الآن سط أيضًا وإن ترك لغته وصار لسانه فلاّنيًا وتعلم العلوم الإسلامية وأقام الدين الإسلامي ودام على ذلك هو وذريته من بعده فقد صاروا بذلك تورب جمع تورود كونونب وسايرن سادل إذ أصلهما واحد وهو

439 - تعليق المؤلف: وقد قيل أيضًا إن أصلهم جاوب أو من مواليهم كما سيأتي ذكره لاحقًا.

ولف ولقبهما جك ولكن ونونب غيروا هذا اللقب وتلقبوا بون، وسارن سادل ما غير لقبه إلى الآن ولكنه صار من جملة تورب الأصليين في فوت للزومهم الحرفة العلمية ومن قبيلتهما غرب واللد الذي لقبه جك كهما ولكنه لما لم يتعلم العلوم الإسلامية قد بقي سط إلى الآن مع أنه نسي لسانه الولفي ولم يعرف لسانا غير الفلاّني ثم قاطعه أخواه الونوني والسادلي وفارقاه ولا يتناكحانه البتة ولا يحبان أن يذكر أصلهما الذي يجمعهما معه بل النسابون والقوالون يقفون دون ذلك الجد الذي يجمعهما معه خوفًا من تغيير لقبيهما ولكن أصل الكل من رجل واحد اسمه ويد جك فتابا وأصلحا وتعلما وعملا ولكنهما أساءا من حيث قاطعا قريبهما في النسب وقطعا رحمه ولا يخفى ما في ذلك غفر الله لنا ولهم وعفا عنا وعنهم، وكذلك سارن كفك في سنس بممب وسارن جيك [308] في همد هنا إذ أصلهما من أسوانك أو من مندنكوب ولقبهما أولاً ترخور وغيراه إلى تل، ولما اشتغلا بالعلوم الإسلامية وتابعهما ذريتهما من بعدهما على ذلك صاروا من أعلى تورب في فوت ومثل هذه القبائل من سب المتحولين إلى أن صاروا تورب كثير في فوت كبروب وأهل تابري وسلناب وغيرهم. وأما فل عندنا فهو البدوي المقيم على إصلاح الماشية المتكلم باللسان الفلاّني فإن ترك البادية ولم يتعلم فهو فل أيضًا ولو أسلم واحد فلب الذين هم أهل البادية والماشية المتكلمين باللسان الفلاّني بحسب العرف عندنا، وإن ترك فل البادية وتعلم فقد صار تورود وهو كثير في فوت أيضًا كسارن مكم أتمان الذي مر ذكره في تاريخ كدمغ وألمام عبدل وغيرهما وسيظهر لك ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى لتزداد فهمًا في ذلك، وإن لم يترك فل البادية وقد تعلم وقد لا يصير تورود بذلك، وقولنا آنفًا كونونب إلخ، قيل أن جدهم الذي كان أول من تعلم منهم كان إذا قرأ حزبه على المعلم يخرج إلى الفضاء فيأوي إلى واد فيقرأ حزبه عنده حتى يحفظ سريعًا وهكذا دأبه إلى أن حصل كثيرًا من العلم وكان يقال له فلان واد في زمنه عند شيخه فاختار هذا اللقب وصار يتلقب به ثم صار ون والأصل واد وهو ما ارتفع من الأرض وتحيز وتميز وتارة يكون قدر قامة إنسان وما دونها ولا باب له وأصله من الأرضة والله تعالى أعلم، ومن العجب أن من أسوانك من لقبه وان بواو مفتوحة ونون ساكنة بينها ألف مد وبعض منهم كان في بكل واسمه فودي سالم وان ويقال له أيضًا فودي سالم جايك وقد مات ولا أدري هل ترك عقبًا أم لا، قلت يمكن أن يكون أصل اللقب ون فغيره لسان سرخل إلى أن صار وان ولأن ونونب سود ير قد تفرقوا في البلاد وداخلوا [309] أسوانك وغيرهم لما جفاهم إخوانهم

ونونب الآخرين، وفي كن أيضًا من لقبه ون ممن أصله القريب سوننك ولعلهم حذفوا الألف من وان فصيروه ون ومنهم صاحبنا الناصح الزاهد الصالح بدر وأبناء عمه الذين في كن كأحمد داود وغيره وبعض بني عمهم أيضًا في كركت قرية في بند ولسانهم هناك سوننكي، وأما الذين في كن فقد صار لسانهم فلاَّنيًا ولكن لما لم يقوموا بشروط تورب من المواظبة على العلم لم يكونوا منهم، وقيل أن أصل لقبهم ول فصيروا اللام نونًا مسكنًا فصاروا ون والله تعالى أعلم، وهؤلاء قد أخبروني بأنهم من ونونب سود ير حقيقة ولكن لسان سرخل هو الذي غير اللقب إلى ول وسنلم بشيء من أمرهم في تاريخ لاو ولا أدري هل تورب ونونب أصل لقبهم من وان أو من ول هذا أو من واد المذكور آنفًا لغلبة الجهل بالأصول على السودان أو على الناس جميعًا كما قال صلى الله عليه وسلم كذب النسابون أو هو من قول ابن مسعود رضي الله عنه عند قوله تعالى: «وقرونًا بين ذلك كثيرًا لا تعلمونهم الله يعلمهم»،[440] ومما يدلك على جهل الناس بالأصول أن النسابين مختلفون حتى في نسب نبينا صلى الله عليه وسلم من عدنان إلى إبراهيم عليه السلام، فبعضهم يذكرون من عدنان إلى إبراهيم أربعين أبًا وبعضهم أربعة آباء لا غير، فلذلك يقف جمهور أهل النسب عند عدنان ولا يتجاوزونه إيثارًا لذكر المتفق على المختلف مع اتفاق جميع العرب على أن عدنان من بني إسماعيل عليه السلام وولده. قلت ويمكن أن يكون الونوني اختار بعد التعلم التلقب باسم جدهم ويدجك ولعل ون من ويد ولكن زعمهم أنه من واد المذكورة [310] آنفًا والله تعالى أعلم.

239 – أصل لفظ تورب وماذا يعني في العرف والاصطلاح

ثم اعلم أن معنى تورب في الأصل سكان فوت تور فقط كما أن فوت جلنكوب سكان فوت جلو وتورود واحد تورب ساكن فوت تور مطلقًا، كما أن فوت جلنك ساكن فوت جلو هذا هو الأصل في لفظ تورب، وأما في العرف والاصطلاح عندنا أن تورب هم أهل المدن بشرط تعلمهم العلوم الإسلامية سواء كان أصلهم أهل بادية وتمدنوا بعد أو أهل توحش كسكان الجحور والكهوف ثم تمدنوا بعد واشتغلوا بالعلوم الإسلامية بشرط التكلم باللسان الفلاَّني لا غيره من الألسنة كالسوننكي والولفي وبشرط أن لا يكونوا حواتين أي سلب ولا حدادين أي ويلب ولا نساجين أي مابب ولا قوالين أي أولب ولا دباغين الخرازين أي سكاب ولا جاونب

440 – اقتباس من القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية 38.

أيضًا، فمن سبق إلى التعلم والتمدن من أهل اللسان الفلاَّني ولم يكن من أهل الحرف المزرية المذكورة فهو التورود الأصلي عندنا ومن تبعهم وتشبه بهم فهو منهم ولاحق بهم ولا أصل ولا معنى لتورود غير هذا وأنه لا يكون ألمام في فوت إلا تورود لا غير.

240 – أصل لفظ سبل وبعض أخبارهم

وأما سبل واحد سبلب فهو الذي يصطاد الحوت مشتق من سف بل وسف حكاية لصوت وقوع رمح صائد الحوت في الماء، وبل معناه تناول من بعيد، ولعلهم كانوا أولاً لا يعرفون صيد الحوت إلا بالرماح فجرى الاسم قبل معرفتهم صيد الحوت بالشباك والشصوص أو أصل لفظ سبل من سب وهو لقب أصلي لبعض قبائل سبلب، ولعل أهل فوت أول من رأوه يصطاد الحوت أهل هذا اللقب منهم فنسبوا الكل إلى لفظ هذا اللقب أي سب والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، ثم اعلم أن سبلب كلهم أو جلهم من ولف في الأصل لا في اللسان لأن لسانهم فلاَّني لا غير إلا سبلب بوجاين [311] في قُدُورْ فلهم لسانان فلاَّني وولفي، ومصداق كون سبلب من ولف أن ألقابهم وألقاب ولف متحدة كسار وجوب وود وفال وكي وبوج وجو وجاك وسمب وغير ذلك من ألقاب ولف ومن تلقب منهم بلقب من غير ألقاب ولف فهو فيهم دخيل غير أصيل كسُه وبه وجلّ وسه ونحو ذلك من ألقاب الفلاَّن الذين سبب دخولهم فيهم فتن الجوع وفناء الماشية فيدخل الفلاَّني فيهم جائعًا يطلب القوت فيسكن معهم يأكل ويشبع إلى أن يتزوج فيهم فيولد له فينشأ الولد حواتًا محضًا ولكن لا يغيرون لقبه بل يبقى لقبه فلاَّنيًا وصاحبه سماكًا صرفًا، ومع ذلك فألقاب الفلاَّن قليلة فيهم جدًّا والأكثر ألقاب ولف لا غير والحكم للغالب، والسبب في عدم تغييرهم اللقب الفلاَّني لأنه إنما يغير لقلته في بلد القوم الذين هو معهم وغرابته فيه أو لدناءة أهله، وألقاب الفلاَّن في فوت غير قليلة ولا غريبة ولا دنيئة، وكون أصل الحواتين من ولف غير خفي حتى أن قريتهم باج كلها إنما هاجرت من بلور في وال برك إلى مسكنهم الذي هم فيه الآن في زمان داينيكوب، فلما وصلوا إلى ستك وهو يومئذٍ في فر قالوا له نحن من أهل بلور قتلنا نفسًا من أهل وال برك فهربنا إليك لننجو من تبعتهم وقد سكنا في أرضك باج، فقال لهم اسكنوا حيث شئتم وأخفوا عن أنفسكم جهدكم ومن سألكم عنكم لا تجيبوه إلا بالضرب وإن مات فلا بأس

عليكم، فمن ذلك اليوم إلى الآن لا يأتي إلى قريتهم أحد ويسألهم [312] عن اسمها فقط إلا وأسمعوه ما يكره ويفعلوا به ما لا يليق، ثم إن مما يدل على أن أصل سبلب وسب واحد وإن فرقتهم الحرفة أن جايكنكوب بكل أي لقبهم جاي فيها وقد صار لسانهم الآن سوننكيًا وهم رؤساء سوننك الآن في بكل وكذا في مداير وهادبر أصل الكل ولف من جلف ينتسبون إلى هنت حمى برم بي دال وجايب هورفود وهم رؤساؤها ويقال للأمير منهم بممي أصلهم ولف من جلف ينتسبون إلى ليت حمى برم بي دال وهم ما زالوا سب في فوت إلى الآن ولسانهم فلاّني لا يعرفون غيره، وجايب لاكل ساغو في جَمّال من قرى عد في تور ينتسبون إلى موسور حمى برم بي دال أصلهم ولف من جلف وهم في جَمّال، وفرب جم لقبه أولا جاي ثم غيره بعد فصار اللقب الآن سِه وأصلهم ولف من جلف ينتسبون إلى مود حمى برم بي دال وهم في تور ما زال يقال لهم سب ويتمنون أن يقال لهم تورب وهم لم يقوموا بشروط ذلك من المواظبة على العلوم الإسلامية وتواتر البنين والأحفاد على ذلك، فباختلال هذا الشرط ما زالوا سب إلى الآن ولكن لسانهم فلاّني لا غير، هـ، عن جوسار، وقد قيل في نسبهم غير ذلك والله تعالى أعلم.

241 - في اختلاف الألقاب وتبدل الألسنة ودلالات الحروف

قلت ولعل تغيير فرب جم لقبه من جاي إلى سِه سببه محبته الانتظام في سلك تورب ولكن اللقب ليس بشرط في التوردية بل شرطه المواظبة على العلوم الإسلامية. ثم اعلم أن سب كانوا هم الملوك في فوت قبل زمان ملك داينينكوب ومن ملوكهم [313] تان دوكل ومعناه ملك الجُزيرة تصغير الجزيرة، ودوكل ما بين الخليج الخارج من النيل عند قرية وندن قرب سلد على يمينها الشرقي النافذ للجهة الأخرى من النيل عند قرية قدور على شمالها الغربي جهة دي، ومن ملوكها لامتور وفرب جم وفرب واللد، ولعل تان دوكل كان أمير هؤلاء لأنهم في جزيرته، ولعل تان لما ضعف ملكه أو فسد استبد كل واحد منهم بأمره وقسموا الأرض بينهم والله تعالى أعلم. وقد رأيت في «تاريخ السودان» للشيخ عبد الرحمن التنبكتي أن أرض فوت كانت في ملك أمير جلف قبل كل السلطان الداينينكي، قلت وأهل فوت الآن جاهلون

بذلك وينكرونه ولا يعرفونه لغلبة جهلهم بالتواريخ ولتقادم الزمن والله تعالى أعلم، ولكنهم لو تفطنوا لعلموا أن ذلك من الممكنات الغير المستحيلات عقلاً وعادة لأنهم كلهم يعرفون ويعترفون بأن أول ملوك جاعوق في حروف جعلها أوائل علماء أهل فوت أمهات دول تداولت ملوكها لفوت فيما مضى وما سيتداولها بعد فيما يأتي في زعمهم إلى قيام الساعة، فهذه هي الحروف الأمهات جَمْتَلَكُش نَفْدَ عِيَ، فالجيم إشارة إلى جاعوق قبيلة من ولف، والميم إشارة إلى من اسم ملك أو قبيلة قيل من أسوانك هايرنكوب من قبيلة سمار، والتاء إشارة إلى تنجق قيل من فلاّن وطاب، واللام الأول إشارة إلى لامتق من البيضان وبقيتهم الآن في هردلد، واللام الثاني إشارة إلى لامبرمس قيل أنه آرط جاوب، والكاف إشارة إلى كل الداينينكي، والشين إشارة إلى شيخ أي دوله شيوخ العلم وهي دولة ألمامات سه [314] كشيخ سليمان بال وألمام عبدل إلى ألمام محمد لن في سلد أوفت، والنون إشارة إلى نصارى، والفاء إشارة إلى فاطمي وهو المهدي المنتظر، والدال إشارة إلى الدجال المعروف، والعين إشارة إلى عيسى عليه السلام، والياء إشارة إلى يأجوج ومأجوج، والله تعالى أعلم، ومثل ذلك قول بعض علماء السودان بأن أول بلاد بنيت بعد الطوفان أو بعد تبلبل الألسن أرض مكة شرفها الله تعالى وشام ومصر ومندق وبرن ولندلس وجلف وجعل لها حروفًا تشير إليها وهي مش مم بلج، فالميم لمكة والشين لشام، والميم لمصر، والميم الثالث لمندق، والباء لبرن، واللام للأندلس، والجيم لجلف، وقد عظموا أمير جلف جدًا حتى قيل أنه كان ملك كجور وسالم وغيرهما من بلاد المغرب السودانية إلى البحر المالح، ولعله كان ملك فوت أيضًا لأن كل الفلاّن الذين كانوا مالكين لفوت أولاً من جلف وكذلك الفرارية الفوتية وكان بيناب فلاّن جلف وتورب حينئذٍ غير موجودين ولا معروفين وإنما طرأ أمرهم عند دخول الدين لا غير، وكان إذا قيل لأمير من العمال لسلطان جلف أنه يسلم عليك سلطان جلف فلا يرد السلام حتى ينزل عن فراشه فحينئذٍ يقول وعليه السلام ولا يقوله فوق فراشه تعظيمًا له والله تعالى أعلم.

242 - معلومات عن ملوك جلف وجاي ومواطنهم

وكان ملك جلف أولاً لأهل جك وقيل لأهل دو ثم انتقل الملك إلى أهل جاي إلى الآن، وجاعوق هم ورقنكوب وكلهم من جلف وكان مسكنهم تَمَدير أو تمنير أو نمَدر بين جلف

وفوت أي فرل مكثوا فيه مالكين لفوت مدة مائة وثلاثين سنة ومعهم الفلاّن تحت أمرهم [315] وطاعتهم، ثم فسد ملكهم لا أعرف لذلك سببًا لبعد زمنهم وتقادمه، وتاريخهم أمر مظلم لا يعرفه الآن أحد من أهل فوت إلا سب ورلنكوب الذين هم في فوت الآن من بقاياهم كما أخبر بذلك الجمهور من أهل المعرفة، ومساكن بعضهم الآن هورفود وأجم كل وبعضهم في سول وسطي وبارك ونباج وورسوك وفمهار جوب وبوسياب إلى بند نحُود طابك ودندط سال وديا وجاكن وهم كثيرون متفرقون في فوت، ومنهم من في جاب وفت وسكت إلى هاير وهم أوكلناب، ومن ألقابهم جاي ودو وسابور وسوي ودوم وكبور ولكور وسجان ومنكان ودمان وكي وجنور وبج وباي وبجك ثم أورك ثم دبلان وسم وسنكان ونحو ذلك من الألقاب الغريبة، وقيل لي أنها كلها في أهل جلف الآن وهو أول من صير الحجر حديدًا من سوداننا وهم معروفون بذلك إلى الآن، فلما تعلم ذلك منهم الحدادون تركوا لهم استخراج الحديد من الأحجار وصار ذلك الآن في أرضنا للحدادين خاصة.

243 - تاريخ جاعوق

وأهل جاعوق الذين هم ورقنكوب أهل عهد وأمانة وصدق قول وحفظه وشجاعة جنان، ومن ذلك أن قومًا من كبارهم أرادوا استخراج الحديد من الأحجار في فلاة من الأرض فخرج ذهبًا صرفًا وهذا بعد فساد ملكهم وصيرورة الأمر إلى غيرهم فخافوا من ظهور ذلك للناس فيفضي الخبر إلى السلطان فاتفقوا على دفنه ودفنوه وتعاهدوا على كتمان هذا الأمر فكتموه إلى أن تفانت الجماعة الحاضرون لهذا الأمر إلا واحدًا منهم فاتصل الخبر إلى سلطان ذلك الزمن فأحضره وسأله عن الذهب فقال له أمهلني إلى غد، فلما كان الغد جاء إلى السلطان فقال له إني أعرف موضع هذا الذهب المدفون كأني أراه الآن في مجلسي هذا ولكن مضى فلان ولم يخبره لأحد وفلان كذلك وعدهم إلى آخرهم وكان معه سكين حاد قاطع يبرئ العظم فقال كيف أتكلم به الآن وحدي [316] ناقضًا للعهد فذبح نفسه بالفور ومات في الحال وازداد الأمر انكتامًا إلى الآن ولم يعرفه أحد كما أخبرني بذلك واحد منهم واسمه بوكر صمب من أهل بوسياب في دمك والله تعالى أعلم. وقيل إن هذه السفينة ذهب مصنوع على قدر طَلْدُكَل للنساج وعلى هيئته وصورته وذلك أن ورقنكوب من أهل هورفود طلبوا من

أهل بيت صمبنكوب وهم سحرة داينيكوب أن يحجبوا لهم عن أهل الفساد المغيرين عليهم من أهل جلف، فقال لهم أولئك السحرة إئتونا قدر طَلْدُكَل وهيئته من الذهب، فلما أتوهم به جعلوا فيه سحرهم وأمروهم في موضع جهة أهل الفساد المتلصصين وأن يدفنه أمناء سبعة فلا يذكر أحد منهم لغيرهم موضع الدفن، فاختاروا أمناء سبعة وأمروهم بدفنه في تلل فس تجا فدفنوه بعدما نامت الناس في تلك الربوة، ثم لما أصبح طلبوا من قومهم أن يقتلوهم خوفًا من أن يفشي أحدهم الخبر فقتلوهم عن آخرهم وقيل إن الذين اختاروهم هم الذين قتلوهم خوفًا أن يعلم الخبر غيرهم فقتلوهم كلا والله تعالى أعلم، وقيل إن أهل الفساد من اللصوص أو الجيوش ما أفسدوا لأهل هورفود شيئًا من ذلك الوقت إلى الآن لاسيما من تلك الجهة والله تعالى أعلم، انتهى ما عندي من تاريخ جاعوق.

244 - الخبر عن تولي الحكم كل من مالك سه وابنه بوب وحفيده ملك بوب

ولنشرع الآن في إتمام تاريخ بند، واعلم أن مالك سه من سيسيب سيم قرية من قرى تور قرب فدور خرج منها للتعلم وكان يتعلم عند بعض علماء البياضين [317] مع جملة المتعلمين من السودان، ثم ذهبوا إلى أرض السودان للاستراحة أو لطلب اللباس فوجدوا لباسًا وكثيرًا من الزرع ولم يجدوا أوعية يحملونه بها إلى شيخهم فتركوه وحمل بعضه مالك سه في قميصه إلى شيخه فأعطاه إياه فدعا له بأن رزقك الله قمصًا لا تبلى إلى يوم القيامة، ثم إن مالك سه خرج من أرض البيضان راجعًا إلى أرض السودان فأتى كرت وكانت يومئذ في ملك أهل جاور وزعموا أن عندهم سيفًا مباركًا ميمونًا مكتومًا عند ملوكهم في خزائنهم لا يراه إلا من أراد الله له الملك وكان من قضاء الله تعالى أن رآه مالك سه بواسطة زوجة ملكهم، ثم تجاوز ذاهبًا إلى أن أتى تنك من ملوك بسل في تياب فاصطحبه وكان له كالشيخ الذي يدعو له في حوائجه المهمات، فتقضى ثم طلب من تنك أن يعطيه موضعًا يسكن فيه فأعطاه موضعًا في بند وأمره أن يسكن فيه ويسمى ذلك الموضع وجن ثم سكن بعده في جمفق وراء فلم، وكان مع مالك سه قوال يلقب كياتي وحداد يسمى تمباكنتي وعبد له يسمى كيف كفو وكان سكان بند فدب وهم كفار ولف فقام في مجاهدتهم وغلب كثيرًا منهم ووجد القوة فسمع بذلك تنك وغضب عليه وهم بمنعه من ذلك، فأخذ مالك سه كثيرًا من أسارى فدب الذين في يده وجاء بهم إلى تنك وأعطاه إياهم فقال هؤلاء هدية مني إليك فهم لك حلال فدعني أجاهدهم

لكم في سبيل الله، فقبل له تنك ذلك ثم قاتل بقية البلاد حتى غلبهم وقوي أمره جدًا ثم مات في فادقا وهي قرى خلف فلم بعد أن أوصى حدادًا يسمى جك فات على أولاده وكانوا وقتئذٍ صغارًا وهم بوب مالك وسمب مالك وتمان مالك، وكانت أرض بند يتنازعها فروب وجكوب إلى أن كَبُرَ بوب مالك وأخواه [318] تمان مالك وسمب مالك وحارب المتنازعين وغلبهم وحارب تنك الذي كان في بدقل خلف فلم وسكانها الآن سماكون ثم أحضرهم كبيرهم تنك مخن وأمرهم بمصالحته ليترك لهم جانب النيل الكبير ويتركوا جانب فلم، وكان الحد بينهم جبل بين ساغو ودكوكول، ثم ما زال يحارب أهل كماير إلى أن قتلوه ودفنوه في موضع يسمى قمبي تحت ساحل نيل فلم. وقيل أن مالك سه لما أتى أرض بند وجد سكانها يومئذٍ فدب وهم قوم من ولف يعسلون العسل وهم في طاعة تنك تياب فاقبلوا عليه جدًّا ومالوا إليه كل الميل، فمكث فيهم مطيعين له، فولد له بوب مالك فلما كبر أرسله إلى فوت جلو للتعلم فوجد ألمام سر في الملك حينئذٍ فأحبه جدًّا حتى زوجه بينته، فبينما هو معهم كذلك إذ أتاهم قوم من أصحاب مالك سه حاملين بعض كتبه فأخبروه بقتل تنك لأبيه وحرقه داره وزعم المخبر بأن قبره في ور حمد وسبب القتل نميمة الناس بأن مالك سه إن مكث في أرضك يفسد ملكك ويبقى الملك له، فشكا بوب مالك ذلك إلى ألمام سر فأمره بالرجوع إلى بند مع زوجته وأعطاه جيشًا زهاء 15000 وأمرهم أن يسكنوا مع بوب مالك إن غلبوا عدوهم وإن خافوا الغلبة فليخبروه يمددهم بمقدار هذا الجيش ثانيًا، فلما وصلوا بند قاتلوا تنك وقتلوه وقتلوا كل ملك من ملوكهم فدانت له كجاك أي كمار وكدمغ إلى كاس، فما زال بوب مالك يجاهد إلى أن قتل في قمبي وجعل رأسه في بناء سور تلك المدينة وكانت زوجته حاملاً فتخلف مكان بوب مالك بعض عصبته فقام يجاهد في كل سنة مرة واحدة لإبعاد طمع العدو عن بلادهم إلى أن ولدت زوجة بوب مالك الحبلى ولدًا ذكرًا فسموه مك بوب مالك [319] وهو إلمان مك فربوه إلى أن بلغ خمس عشرة سنة وذهب به إلى قمبي حيث قتل أبوه فأخربها فما زال دأبه القتال كل حين مدة مكثه في الملك وهي كما زعم المخبر 25 سنة إلى أن مات وهو ابن أربعين سنة، ثم بعد هذا أخبرني بعض من يدعي التحقيق بأن الذي في بند من قلب فوت جلو ما جاء منهم أحد لجيش أرسله ألمام فوت جلو وقال إن ذلك كله باطل لا أصل له بل أن بعض أهل فوت جلو كانوا إذا اشتد عليهم الزمن واشتد عليهم ضرر الملك يرتحلون عن بلادهم إلى بند وكذلك

أهل بند كانوا إذا اشتد عليهم الزمن أو ضرر الملك يرتحلون إلى فوت جلو أو فوت تور، وقد كثر ذلك في الفتنة بين أهل كسن وأهل بلي بني كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وقال أيضًا أن من ولد بوب مالك غير إلمان مك فود بوب وتمان بوب والله تعالى أعلم، وقد قيل أيضًا إن مالك سه جاء إلى بند عام سبع بعد المائة والألف من سني الهجرة،(441) وإذا صح ذلك كان مجيئه لبند قبل ولادة الشيخ سيد المختار الكنتي بخمس وثلاثين سنة وقبل ولادة الشيخ أحمد التجاني(442) الفاسي شيخ الطريقة التجانية بثلاث وأربعين سنة وقبل ولادة ألمام عبدل الفوتي بثلاث وخمسين سنة والله تعالى أعلم، وزعموا أيضًا أن أول من ملك بند بسراب وهم أهل كجناج ثم أولنكوب ثم لوقنكوب ثم قروب ثم تندناب ثم فدب ثم مالك سه والله تعالى أعلم.

245 - الخبر عن أولاد إلمان مك

ثم اعلم أن من ولد إلمان مك حمد قي ومسى قي وسياقا قي وفات قي وهؤلاء أولاده من زوجته قي، وأما أولاده من عيشة بلل فهم حمد عيشة ومالك عيشة وعبدل مس، واعلم بأن عيشة بلل من سيبوب جالكل من سوسوب لا غير وهي أم ألمام حمد عيشة وغيره كما أفاد بذلك دمب جايك، ومن أولاد إلمان مك أيضًا من غيرهما سمب قيسر [320] وعلو دوس وعثمان كمبا تنكر، ثم لما مات إلمان مك تخلف مكانه ولد حمى قي وهو أول من لقب بألمام منهم، وكان الذين قبله يلقبون بإلمان لا غير،(443) وهو الذي قطع النيل فلم وارتحل إلى غربيه وعمر القرية كسن وبلي بني، وقيل أن الذي قطع فلم وعمر كسن حمد عيشة، وكان مسكنهم

441 - سنة 1107 هـ توافق 1695 م.

442 - سيدي أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية، ولد سنة 1150 هـ/1737 م بعين ماضي ناحية الأغواط بالقطر الجزائري، وليس كما ذكر المؤلف بفاس التي اتخذها دار هجرته حيث توفي 1230 هـ/1814 م انظر ترجمته، هامش رقم (173)، ص. 146.

443 - ألقاب ألمام وإلمان وساين البلد مرتبطة بممارسة السلطة وتولي الوظيفة في مجتمعات السودان الغربي. أما مايات فهي جمع ماي ومعناه السلطان أو الحاكم والمقصود به أساسًا سلاطين برنو ذوي النفوذ الروحي وعددهم ثلاثة وثلاثون، كان أولهم ألماي أو بيري إدريس بن حفصة (1353-1376 م) وآخرهم ألماي عثمان بن إدريس (1392-1425 م)، ثم أطلقت هذه التسمية على كل سلاطين البرنو (1507-1819 م). كما أخذ بهذا النظام وحمل هذه التسمية الزعماء الروحيون من أسرة ألفا تيمبو (Alfa de Timbo) التكرور بمنطقة وسط حوض السنكال ما بين باكل وداغانا التي تشمل سبع مقاطعات وهي: تورو، دامغا، غانار، بوسي، ديمار، يرلاب بي، لاو. ومركز هذه المقاطعات غيدي (Gede)، ثم تخلى حكام هذه الجهات عن لقب ألماي واتخذوا اللقب العربي الإمام (ألمام)، كما عرفوا أيضًا بسارن (ساين) أو ساركين أي حاكم البلد (للتعرف على نظام الإمامة (ألمام)، انظر هامش رقم (506)، ص. 453).

أولاً دار ملكهم وسبب ذلك أنهم كانوا ساكنين في جفمق وراء فلم في مشرقه فلما جاء حمد عيشة بجيش بمبر إلى بند بعد تولية ألمام عبدل لحمد فات قي الذي نفاه حمد عيشة عن بند إلى فرل فوت كما سيأتي، وقد أخذ جيش بمبر كثيرًا من الأسارى في بند حينئذٍ وفيهم سيسيب فنهاهم حمد عيشة عن المشي بسيسيب بند إلى بمبر للاسترقاق فأبوا عن ذلك فلما علم بإبايتهم جمع جيشًا وسبقهم إلى أمامهم وكمنوا لهم، فلما وصل جيش بمبر إليهم حاربوهم ووقعوا عليهم وهم آمنون وهزموهم فأخذوا جميع أسارى بند وردوهم إلى مساكنهم، فرجع من سلم من بمبر إلى بلادهم غائظين لأهل بند ثم شرعوا في التأهب لغزو بند، فسمع بهم حمد عيشة فأمر سيسيب أن يرتحلوا من وراء فلم ومشرقه إلى دونه ومغربه ليحول فلم بينهم وبين جيش بمبر وذلك سبب بنائه الحصن في كسن لباقي إخوته وأبناء إخوته وبنى لنفسه حصنًا في بلي بني وذلك بعد وفاة ألمام حمد قي والله تعالى أعلم.

246 - بعض أخبار ألمام سايقا وسبب الحكم عليه بالقتل من طرف ألمام عبدل

ومن ولد ألمام حمد قي حمد مغمبا وتمان مود وصالح حمد قي ومالك حمد قي وأحمد حمد قي، ثم لما مات ألمام حمد قي تخلف مكانه ألمام مسى قي ثم بعده ألمام سايقا قي ولما تخلف دخل في بيعة ألمام عبدل الفوتي وعاهده أنه يترك اللعب والرقص ولعله كان يرقص كعادة ملوك البنابر وقال لألمام عبدل متى لعبت لعبًا محرمًا كالرقص ونحوه فاقتلني لأني في طاعتك وتحت بيعتك كأهل فوت كلا [321] وكان ملوك بند وملوك بمبر أهل مسل بينهم محبة ومصادقة، فجاء بعض أبناء ملوك بمبر إلى كوتار قرية من قرى تنكات بسلنكوب في كجاك فأرسلوا إلى ألمام سايقا للحضور معهم في كوتاير فلما حضر واجتمع معهم هنالك لعبوا له ورقصوا ورقص هو معهم فلما انقضى لعبهم رجع ألمام سايقا إلى بلاده بند ثم أوقع بمبر الحرب بينهم وبين أهل تلك القرى وأغاروا على أموالهم وسبوا نساءهم وذراريهم، وكان في تفسرك يومئذٍ مدرسة فقه لأسوانك وكانت قريبة من كوتار فذهبوا إلى ألمام عبدل فشكوا إليه أمر البنابر وأن ألمام سايقا اجتمع معهم قبل إيقاع الحرب ولعب معهم ورقص فلما رجع وقفوا علينا وأغاروا على أموالنا وسبوا نساءنا فلعلهم شاوروه على هذه الحرب فمالأهم عليها، فركب ألمام عبدل على الفور مع جيشه يريد بند فلما اجتمع بألمام سايقا قال

له إنك قلت لنا أولاً متى لعبت لعبًا محرمًا فلنقتلك وقد بلغنا لعبك مع البنابر ورقصك وتمالؤك معهم في قتال أهل تفسرك وغيرهم من قرى كجاك، فأنكر التمالؤ وأقر بالرقص، فأمر ألمام عبدل فلاَنيًا من جاونب يسمى حمد سل موس وفلاَنيا آخر من سوتنكوب بقتله فقتلاه، وقيل إن بمبر وألمام سايكا وقعوا على جُوكُنْتُرُهْ فسبوا نساءهم وذراريهم، ومن المصابين في ذلك فودي عنسورا وكان ساكنًا في جُوكُنْتُرُهْ يومئذٍ وقد سبي أهل داره كلهم، فذهب إلى ألمام عبدل لأن كدمغ وكجاك وبند كلها كانت في حكمه، يشتكي إليه أمر ألمام سايقا وأنه يريد حكم الشرع، فقام ألمام مع جيشه إلى بند وأحضر ألمام سايقا فتخاصم مع فودي عنسورا فاقر ألمام سايقا [322] بالاجتماع مع البنابر وأنكر التمالؤ معهم على إيقاع الغارة والحرب عليهم فأحرى أن يباشر الحرب والسبي بالفعل، ثم بعد ذلك ظهر للإمام ثبوت قتله فأمر بقتله كما مر، وفودي عنسورا هذا هو والد موسى مك وكان يأخذ العشور في كدمغ للحاج عمر أو لولده الأمير أحمد، وهو والد شيخ موسى الذي هو اليوم في قيد الحياة وقد شاخ الآن جدًا، وكانوا يسكنون بعد جُوكُنْتُرُهْ في فج ثم ارتحلوا عنها إلى بوكور في كدمغ والله تعالى أعلم.

247 - العلاقة بين حمد عيشة وحمد فات وألمام عبدل

وكان حمد عيشة حين مبايعة ألمام سايقا لألمام عبدل من المبايعين له أيضًا حتى أنه أتى بالبنائين من بند إلى كبل فبنوا له مسجده الجامع الذي في كبل، وكان ألمام عبدل حين ذاك قد أنزل حمد عيشة على رجل من جاوب كبل اسمه مخم قد أحسن إليه بالضيافة جدًا فأثاب مخم على إثر إحسانه إليه بثلاث من الرقيق، فقال له مخم لا أحب هذا إنما أحب أن تشفع لي إلى ألمام عبدل في أن يترك لي أخذ الكراء من حرائثي برًا وبحرًا، فطلب حمد عيشة ذلك من ألمام فقبل له ذلك، وأولاد هذا الرجل مخم هذا ما زالوا في كبل إلى الآن معروفين، ثم أصلح حمد عيشة بين ألمام عبدل وبين أهل فوت في الخلاف الذي كان قد وقع بينه وبينهم ثم رجع لبند ومع هذا كله لم يخلفه ألمام بعدما قتل أخاه سايقا بل خلف ولد أخيه فات قي وقال أنت خليفتي وأميني في بند، وقيل أن السبب في ذلك أن ألمام عبدل حين رجع من التعلم في فر في كجور وصار فقيهًا جدًا مر بأرض بند وأراد السكنى [323] فيها لأنها أرض إسلام ولم يرد أرض فوت لأنها حينئذٍ في ملك دانينكوب، فأقبل عليه الطلبة في بند فخاف رؤساؤها على رياستهم منه فاتفقوا على قتله فجاء إليه فات قي وأخبره الخبر وأمره بالفرار

في تلك الليلة فبات ساريًا فارًا حتى أتى أف خارج ملك بند جهة دمك فسكن فيها فأتت إليه طلبة العلم أفواجًا، وكان هنالك إلى أن أتاه الله الملك، فلذلك اختار ولد فات قي حين لم يكن حيا، فلما ولي حمد فات قي الملك على بند ثار حمد عيشة واستشاط غضبًا وقيل له وليت على أعمامك وقبلت ذلك بئس ما فعلت، فركب متوجهًا نحو أرض البنابر مسل الذين في كرت ومعه ولده سعد ووزيره مدخايبي ساخو ومكث عندهم سنتين وأعطاه ملكهم يومئذٍ بنته عش كربر أي كلبل فقال إني الآن كبير لا أرب لي جدًا في النساء فأعطوها لابني سعد فزوجوه إياها وأعطوه جيشًا كبيرًا فأتى به إلى بند فأخربها وقتل رؤساءها وأعيانها وأخذ حمد فات قي باليد، فلما أحضر عنده قال له لا أحب أن أقتلك ولكن أخرج عن بند هاربًا إلى حيث شئت، فخرج هاربًا إلى قرية من قرى فرل فوت يقال لها دندط سال فسكن فيها إلى أن توفي وقبره هنالك، ويقال إن حمد فات هذا كان ظالمًا غشومًا ومن أهل المجون وقد كان معه القوالون أصحاب المزامير، وكان لا ينزل في سفره إلا على غني من أغنياء بلده بند وكان إذا نزل وجعلوا يسلمون عليه ويحيونه ويهنئونه ويدعون له بدوام السلامة يقول شعرًا في لغة الفلّان ويأمر أصحاب المزامير أن يحكوا هذا الشعر بأصوات مزاميرهم صوتًا واحدًا وأظن أن هذا الشعر من بحر المقتضب والله أعلم، وهو هذا: [324] **كبر سط سط بل بلط ×× يوسبدر بوب كمب ×× وا تند نقار جيو كداسك دب مج ×× سنكاط نجاب بسك ×× سكا جي سراسف سكواتي بل كور، إلخ.**(444)

248 - خروج ألمام عبدل لمحاربة حمد عيشة وانتصاره عليه

ثم إن حمد عيشة ترتب في الملك بعد نفي حمد فات قي بغير إذن ألمام عبدل، إلا أن ألمام لما سمع بنفي حمد فات استجاش جيشًا كثيف الحواشي يريد بند، وسمع بذلك حمد عيشة وبنى حصنًا عند دار لمن قرية من قرى بند وجعل فيه جيشًا كبيرًا وفيهم من إخوته وأبناء أقاربه من سيسيب ثلاثون رجلاً أو أكثر والكل أشجع من الآخر ليقاتلوا جيش ألمام عبدل، فلما التقى الجمعان هزمهم ألمام عبدل بإذن الله تعالى وأبى أبناء الملوك من سيسيب من الفرار فقتلوا جميعًا، فقال ألمام لما رآهم قتلى أن دم هؤلاء فداء لأرضهم من ملك غيرهم، فبند

444 - تعليق المؤلف: ومعنى هذا الكلام: الأفضل من التسالم والتصافح والكلام الحلو كثرة طحن الزرع وذبح الثور الذي يشبه الفيل في العظم وبذلك يتذبذب الذباب وتأتي بمرأة جميلة مزينة بالحلي والحلل الشبيهة في حليها بالسدرة المثمرة المنتهية الطيب وتسوق خمس بقرات وتذرع عشر أردية من الكتان وإذا فعلت ذلك فحين أصبح الصبح يتفق الكلام، والله تعالى أعلم، غفر الله لنا ولهم وعفى عنا وعنهم وسامحنا وإياهم، آمين.

تبقى لهم إلى يوم القيامة، فارجعوا عنهم وقد كفانا ما فعلنا بهم فرجعوا، ثم إن حمد عيشة لما بلغه الخبر بانهزام جيشه وقتل إخوته كعثمان كمبا تنكر وقتل أولاده وأولاد أقاربه وكان يتوضأ للظهر كسر إناء الوضوء غيظًا وامتنع من الصلاة والزكاة ومنع من أعطاه من أهل بند منهما حتى يظفر بألمام عبدل لأنهما من أوامره الجديدة ثم إنه [325] تراسل مع منافقي أهل فوت سرًّا على قتل ألمام، فوافقه على ذلك رؤساؤها يومئذٍ منهم عال دند وأهل عال سيد وألمام مختار كدايج وغيرهم كما سنذكر ذلك كله مبينًا عند تاريخ ألمام عبدل إن شاء الله تعالى، فما زالوا به إلى أن أخرجوه عن ملكه، فلما أخرجوه عن ملكه وطردوه إلى هايرنكوب قال ألمام حمد عيشة لأهل بند هل الصلاة والزكاة لله تعالى أم لألمام عبدل، فقالوا بل هما لله تعالى، فقال إذًا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن رأيته يتخلف عن الصلاة بعد قتلته، وقيل إنه قال ذلك بعد قتل الإمام والله تعالى أعلم، غفر الله لنا ولهم وستر علينا وعليهم، آمين آمين.

249 - انتصار حمد عيشة على البنابر

وألمام حمد عيشة هذا هو الذي حارب أهل فل فوري وهي قرية في كنسك، ثم بلغه أن مربا قد خالفه في أرضه على بند يقاتلهم وقد حاصر قريته بني، فقام مك جب في مدافعتهم إلى أن رجع ألمام حمد عيشة فلما وصل قريتهم جالب وهي القرية التي كانوا لا يؤمر فيها أمير إلا عندها، شاور جيشه في مناجزة البنابر هؤلاء الآن أم لا، فأشاروا إليه بالانتظار إلى الصبح فلما أصبح التقى الفريقان وانهزم جيش بمبر وغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، ثم أعطى ألمام حمد عيشة لمك جب فرسًا جيدًا وأربعين من الرقيق وقال له لولاك لفسدت بند بعدي، ومسكن مك جب هذا حينئذٍ سمكل ومعنى سم الفيل ومعنى كل البئر في كلام البنابر، وفي تلك القرية ولد محمد البشير بن الشيخ عمر، ومك جب هو ابن أحمد مغمبا بن ألمام حمد قي ويقال لمك جب أيضًا [326] مك جار وقد أصلح بين بند أيضًا وبين أهل كجاك في زمن تنك صمب جار في قرية لان، وابنه سلمن صمب جار والله تعالى أعلم.

250 - خلفاء حمد عيشة

ومن ولد ألمام حمد عيشة سعد الذي هو ألمام سعد وعمر سان وسري جل، ثم بعد موت ألمام حمد عيشة خلفوا ألمام مالك بن ألمام حمد قي الذي قيل إنه اكتال صاعًا من الذهب

يوم توليته الملك ثم قال للحاضرين لا تقولوا إن وجدت شيئًا بعد اليوم إني وجدته في الملك، وهو والد مسى ير بن ألمام مالك بن ألمام حمد قي، ثم بعده خلفه ألمام تمان مود بن ألمام حمد قي وهو أكثر ملوكهم مالاً وله من الأولاد سايقا تمان وصمب تمان والقاسم وعبد السلام وإبراهيم وعباس وبوكر صديك وعمر بلكن وسراقة ومحمد شريف وسليمان سل وحمى وعل جيت وسالف ومالك، وكل هؤلاء الأولاد قد ورث بعد موته مائة من الرقيق ما عداالبقر والذهب والفضة، وأما بناته فعدد كثير وكلهن نلن من ميراثه بقدر نصيبهن منه، وكان كثير العبيد والموالي، وقد قال لي أخي الشيخ محمد المقامي إن أبا أخينا الشيخ محمد الفوتي كان من موالي ألمام تمان هذا وكان له حرث واسع بين سمكل وقايننى لا يمر به أحد من المارين في حياته إلا وظل نهاره يعمل فيه كائنًا من كان، وعشاء أهل داره كان يطرح في بلكاج ولهم دوي كدوي الرعد في السحاب ساعة الأكل، ومعنى بلكاج آنية من خشب تنحت طولاً كالسفن تسقى بها الدواب وأحدها بلك، ثم بعد موته تنازع في الملك أولاد ألمام تمان مع عمهم وخالهم ألمام سعد لأن أمهم عيشة ألمام حمد عيشة وقيل اسمها فاطمة ألمام حمد عيشة إلى أن واجرهم ألمام سعد بثلاثين بكرًا من الرقيق ثم شارطوه [327] على أن يترك لهم سال جر يتصرفون في ملكها ويكون لهم الحكم فيها إلا النفس التي حرم الله، فقبل لهم ألمام سعد ذلك وكان ألمام سعد هذا أيضًا حريصًا على الحرث وكان يحضر عمله ولا يغيب متكلاً على العمال من العبيد، وهو والد حمد سعد وبوكر سعد وعثمان سعد وسري سعد الذي اشتهر بسري سوما وهي أمه وكذا عمر فقد اشتهر بأمه أيضًا، ومن ولد ألمام سعد أيضًا كل مود وكان محبًا لولد أخته صمب تمان جدًا وكان يقدمه في العطاء على ولده حمد سعد، فكان ذلك من أسباب المنافرة بينهما، فلما حضرته الوفاة أحضر ولده حمد سعد وابن أخته صو تمان وأوصاهما على تولية ابن عمه ألمام أحمد الملك بعد موته وإن كان مغفلاً لأن من عادتهم أن يولوا الكبير سنًّا الأمر وإن كان غيره أوجه أو أعقل منه، فلما مات تولى ألمام أحمد الملك وهو من ولد ألمام حمد قي وألمام سعد من ولد ألمام حمد عيشة، وهما أي حمد قي وحمد عيشة أخوان من الأب وأبوهما إلمان مك بوب مالك سه.

251 - نوادر أو حكايات عن سفاهة ألمام أحمد

وكان ألمام أحمد حين موت ألمام سعد غائبًا فوجده فرسان بند في قرية تسمى ورعلو فأخبروه بموت ألمام سعد فضحك قليلاً ثم بكى فقيل له ما هذا، فقال الضحك لبشارة الملك

والبكاء لفقد أخي الذي هو ابن عمي، وكان يطلب في تلك القرية آلة الحراثة عند حداد وقد أنزله في بيت الغنم، فلما أتى هذا الخبر قال للحداد إنك آويتني لبيت الغنم وقد أعطيتكم أيها الحاضرون غنمه كلها، ثم قال وكنت أطلب منك آلة واحدة للحراثة فالآن أطالبك بمائة آلة للحراثة تتبعني بها على كسن، ثم تولى الأمر ثلاثة أعوام وقيل أربعة ثم مات، ومن نوادر غفلاته أنه ربى ضبًّا وقال أنه آخوه من الأب وهو كدسه وأنا أحمد سه [328] ومعنى كد الضب، واتخذ للضب وزراء يخدمونه ولا يفارقونه أبدًا، وإذا سافر سافر مع أخيه الضب وإذا نزل ضيفًا على أحد مع وزرائه ينزل الضب على مضيف آخر مع وزرائه أيضًا ويذبح للضب مثل ما يذبح في ضيافته، فلما مات الضب أقام على موته مأتمًا عظيمًا يعزيه الناس لموته، وكذلك فعل مع باقي اسم طائر معروف عندنا وهو من العصافير، ومن نوادر غفلاته أيضًا أنه مر بشجرة بك وهي التيدم في كلام البيضان ومعه جماعته وجيشه فسلم عليها فلم ترد عليه السلام فقال هل في بند شيء إلا وعرف إمارتي وسلطنتي، فاضربوها بعمارات مدافعكم، فجعلوا يضربونها بالعمارات، فكلما ضربوها يسلم عليها أخرى فلا ترد جوابًا ثم يأمرهم بضربها أيضًا إلى أن اختفى أحدهم خلف الشجرة فلما سلم عليها مرة أخرى رد عليه المختفي السلام فأمرهم حينئذٍ بالكف عنها، ومن فواحش غفلاته أنه جمع القوالين واللعابين الرقاصين وطلب من أكابر أهل العلم في بلده بند يومئذٍ بالحضور وأمرهم بالتصفيق بأكفهم لا بغيرهم والرقاصون يرقصون وهو ناظر إليهم، فلما ضجر من ذلك اللعب أمرهم بالانطلاق والرجوع إلى مساكنهم فخرج جلهم من أرض بند هاربين إلى حيث يجدون السلامة لدينهم ومنهم تفسير يطول، ويطول كانت قرية من قرى فرل فوت فسكنها وأضيف إليها وقد خربت الآن، وكان مسكنه أولاً بند في قرية جالب وفيها مولده كما قيل، ولما مات ألمام أحمد رجع تفسير إلى بند كبقية من فر من العلماء رحمة الله تعالى علينا وعليهم أجمعين، ولعل من أسباب هذه الغفلة والسفاهة التملك والثروة والطاعة من الغير، وفي القرآن: «إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»،[445] ورأيت في بعض الكتب أن بعض [329] العباد الزاهدين المنقطعين إلى الله تعالى أعطاه أحد خمسمائة دينار ليستعين بها على أمره فردها عليه فقال إنما خلوت مع ربي وانقطعت إليه ليزداد نور عقلي وهذا الذي أعطيتني ينقص العقل ويبدد الفكر ويوجب علي ما لم يكن من قبله واجبًا كالحج والزكاة وغير

445 - اقتباس من القرآن الكريم، سورة العلق، الآية 7.

ذلك من آفات الغنى. ثم إن عادتهم التي هي أن لا يملك الأمر إلا الكبير سنًّا جيدة بشرط كمال العقل، إذ بذلك يختار الكبير سنًّا لأنه مظنة العقل الكامل وإلا فالمختار الشاب العاقل فقط لا غير لأن من كان أكثر عقلاً فهو أفضل ممن كان أكبر منه سنًّا فقط والله تعالى أعلم.

252 - الصراع حول خلافة ألمام أحمد

ومن ولد ألمام أحمد حمد أحمد وتمان أحمد وسايقا أحمد، ثم إنه لما مات اختلفت كلمة بند وحصلت الفتنة بين أهل كسن وأهل بلي بني وسببها أن ألمام أحمد لما مات تنازع صوتمان وهو من أهل كسن وحمد سعد وهو من أهل بلي بني، فقال صوتمان إن عمر سان هو أحق بالملك وقال حمد سعد بل إن حمد قي أحق بالملك لأنه أكبر سنًّا، قلت عمر سان هو ابن ألمام حمد عيشة وحمد قي هو ابن ألمام سايقا، ولكن الأليق الأقرب للذهن أن يكون حمد سعد مع عمر سان ويقوم صوتمان مع حمد قي وذلك لأن عمر سان عم لحمد سعد، وأما همد قي فهو ابن أخ شقيق لجد صوتمان إذ جده ألمام حمد قي والله تعالى أعلم، ثم قام صوتمان وذهب مع عمر سان إلى جالب فعممه بعمامة الملك فبلغ ذلك حمد سعد فأحضر حمد قي وملكه الأمر مكانه، فأغار صوتمان على حيوان حمد قي فقام حمد سعد وذهب من فوره إلى أخواله بمبر فرجع بجيش عظيم، فاستجاش صوتمان بقدر ما أمكنه من أهل بند وتقاتلا في فس وانهزم جيش صوتمان وقتل أيضًا وقطع رأسه وحمل إلى كاب مسكن حمد سعد، وكان بوكر سعد متزوجًا بزينب مك جب وقد ولدت له عثمان كس وهو رضيع حينئذٍ فأفطمته [330] وفارقت زوجها لذلك وأبت أن ترضعه، فجعله بوكر في يد قوالة أي جارياج دب تسمى كس فأرضعته وهي التي ربته إلى أن كبر ولذلك أضيف إليها وقيل عثمان كس، ثم إنهم ما زالوا يتقاتلون والحرب بينهم سجال، فتارة يدال لهؤلاء وتارة لهؤلاء فخربت بند لذلك وارتحل بعضهم إلى فوت تور وبعضهم إلى فوت جلو وبعضهم إلى جان وأول وغيرها من البلاد، ثم ما زالوا يتقاتلون ثلاثة أعوام.

253 - إصلاح الشيخ عمر ذات البين بين عمر وحمد ألمام

وفي العام الرابع جاءهم الشيخ عمر فأسلم له أهل كسن الأمر طالبين منه الإعانة على أهل بلي بني فقبل لهم ذلك ومادوا أنه لا يريد إلا من يعينه على أمره لا إعانة أحد، ثم إن

الشيخ عمر هو الذي ذهب بهذين الإمامين محا ألمام عمر سان وألمام حمد قي بعدما وعظهما وقبح لهما ما هما فيه وحسن لهما صحبته وزين أمر الجهاد الذي هو فيه فتابعاه على مراده وصاحباه فما زالوا معه إلى أن أتاه بوكر سعد زائرًا ومبايعًا، فقال له أين أخوك حمد فإنه أحق من يسبق إلى دين الله تعالى، فلما رجع بوكر أخبر أخاه حمد سعد بأمر الشيخ فركب جواده يريده فلما حضره قال له الشيخ مثلك يا حمد يسبق إلى هذا الدين، فأعطاه حمد خيلاً وذهبًا وجعل في يده بوكر سعد وكل مود وبعض أهل بند فذهبوا معه إلى أن وصلوا يلمان، فرجع بوكر من هنالك لما رأى أفعال الشيخ مع أخواله أهل بمبر وقتله لهم، ففر بوكر ووجد أخاه حمد سعد قد مات بداء الفتق وتخلف مكانه عثمان سعد، فلما سمع عثمان بمجيئه نهى أهل بند من القرب منه فقال لهم إنه فار من الشيخ عمر فلا بد من طلبه إياه [331] فتباعد عنه أهل بند لذلك.

254 - بسط نفوذ بوكر سعد على بند ثلاثين سنة

فلما أيس بوكر من إسلام عثمان سعد أمر بند إليه طلب منه مفاتيح خزائن بيوت ما لهم فدفعها عثمان إليه ففتح البيوت وأخذ ما فيها من الذهب وذهب بها إلى بكل وطلب من أهلها ومن تنك ثياب الجيش بعدما أعطاهم ما يرضيهم من الذهب فقاموا لنصره وقاتل بند وهزمهم فدانوا له مع أخيه عثمان سعد فصار الكل تحت أمره لقهره إياهم، وقيل إن بوكر سعد أيس من أخيه عثمان سعد قال له إنما أتيت لموت حمد ولآخذ ماله وأرجع به إلى الشيخ فاغتر عثمان بقوله ومكنه من مال حمد سعد، فلما أخذه ذهب به إلى بكل لطلب الجيش، إلخ، وكان الشيخ عمر قد جعل سري آدم في كم ليمنع الراجعين إلى فوت من الرجوع ويردهم كرهًا ومن امتنع منهم فليقتله أو يحكّم فيه ما أراد كما قيل، وكان سري آدم يقتل بعضهم ويسترق البعض الآخر ويبيعه للبياضين، وقد رأى صاحبي وحبيبي وصهري عثمان عال من باعه سري آدم للبياضين بخمس شياه فهرب منهم ورجع إلى فوت وأخبره كما قلنا، ونعلم غيره ممن باعه للبياضين فلا علينا من عدم ذكره من شيء، فلما كان الأمر كذلك دخل بوكر سعد في السفينة إلى أندر وطلب منهم جيشًا يقاتل به سري آدم فأعطوه إياه، فجاء مع الجيش إلى كم فقاتلوا سري آدم وهزموه وقتلوه فسكنت فتنته تلك، وكان تفسير يطول قد فر من الشيخ عمر إلى أولْ لما سمع ورأى بأنه يقهر الناس على الهجرة معه إلى حيث

أراد، فلما صارب بند في ملك بوكر سعد أرسل إليه تفسير يستأذنه في الرجوع إلى بند، فأرسل إليه بوكر يأمره بالرجوع مع فرس وعبد وأمة [332] هبة له فاطمأن بذلك قلب تفسير فرجع وكان مع بوكر كالشيخ المعلم وقد جعل حكم الشرع وهو الفصل بين أهل الخصومات في يده وأحسن إليه كل الإحسان، وكان بوكر يقف عند أمره ونهيه غالبًا وقد نهاه عن قتال المسلمين فانتهى بوكر عن ذلك حتى حلف له بأنه لا يقاتل مسلمًا بعد، فلم ينتهك هذا النهي إلا عندما اضطره عبدل بوكر وألجأه فقاتل معه بوب سري في بوفل فغلبا كما سيأتي في تاريخ بوسي إن شاء الله تعالى. وقد قيل إن بوكر سعد هذا مكث في ملك بند قدر ثلاثين سنة وكان يسكن فانير قرية في مغرب فلم ثم سكن بعده في حمد الله، ثم لما ارتحل الفرانساوي كمادان مريوس والد مدم يدا عن ساندب بأمر أمير أندر يومئذٍ مس فدرب سكنها بوكر سعد إلى أن مات فيها رحمه الله تعالى.

255 – أبناء وخلفاء بوكر سعد

وقد زعموا أن ساندب كان لا يسكن فيها نصراني إلا ومات أو يلازمه المرض والله تعالى أعلم. ومن أولاد أخيه حمد سعد سعد حمد وإسحاق حمد ومالك تور وهي أمه، ومن أولاد بوكر سعد هذا حمد بوكر وعثمان كس ووفي بوكر وسري تور أخو مالك تور من الأم وقد تزوجها بوكر بعد موت أخيه حمد يعد فولدت له سري تور، ومن أولاد بوكر سعد أيضًا سليمان بوكر ومسى ير وسايقا بل، ومن أولاد أخيه عثمان سعد الذي وجده بوكر سعد متخلفا في بند بعد موت أخيهما حمد سعد حمد عثمان وعمر سان وسعد عثمان، ثم إن بوكر سعد لما مات تخلف مكانه أخوه من الأب عمر فند فقتله الثائر الحاج محمد الأمين السرنخلي الكنجوري في فس ثم لما قتله طرده فرانس [333] عن بند وما زالوا به إلى أن قتلوه في كياي من قرى جان، ثم تخلف بعد عمر فند سعد حمد فنم عثمان كس بينه وبين فرانس، فخاف وهرب إلى عبدل بوكر ولم يزل معه حتى قتل، ثم تخلف بعد سعد حمد همد سري سوما بن ألمام سعد سنة واحدة، ثم عزل وتخلف مكانه عثمان كس سنة واحدة فمات، ثم تخلف مكانه مالك تور، ثم عزل وتخلف مكانه وفي بوكر وهو الذي في ملك بند الآن في أغشت الإفرنجي عام 1921 وهو الذي قسم فرانس ملك بند بينه وبين عبدل بن سايقا بن ألمام تمان. واعلم أن أكثر أهل كسن كانوا قد ذهبوا مع الشيخ عمر في هجرته، ومنهم مالك بن صوتمان المقتول في فتنة كسن وهو الذي ولاه فرانس على جور بعد انهزام الأمير أحمد بن الشيخ عمر، واعلم

أن الملك لم يرجع إلى كسن بعد صوتمان إلا حين قسمت بند بين عبدل سايقا ووفي بوكر، وزعموا أن مدة هذه الفترة خمسون سنة والله تعالى أعلم، ثم لما مات عبدل سايقا في هذه السنين تخلف على قسمته من بند ولده النجيب وشبله اللبيب سعد عبدل سايقا وهو الذي الآن فيها والله تعالى أعلم.

256 – وثيقة تبين ملوك بند ومدة حكمهم

ثم رأيت ورقة يذكر فيها ملوك بند من مالك سه إلى بوكر سعد وفيها أناس لم أذكرهم فيما مر، ولعل ذلك لجهل المخبر الذي أخبرني أو لزيادة الورقة خطأ والله تعالى أعلم، ونصها: أن مالك سه ملك بند 17 سنة ثم إلمان بوب مالك كذلك ثم إلمان مك بوب 4 سنين وقيل [334] أكثر ثم تمان بوب مالك 4 سنين ثم سمب تمان سنة واحدة وقيل ست سنين ثم ألمام حمد قي سنتين ثم ألمام حمد عيشة 17 سنة ثم ألمام مسى 8 سنين ثم ألمام تمان 8 سنين ثم ألمام مالك 4 سنين وقيل 3 سنين ثم ألمام سعد 14 سنة ثم ألمام حمد سه سنتين وقيل 5 سنين ثم حمد سعد 4 سنين ثم بوكر سعد 30 سنة، إلخ، والله تعالى أعلم.

257 – أهل كسن وفروعهم

واعلم أن أهل كسن من ولد مك بوب مالك سه حمد مغمبا وتمان مود وصالح حمد قي ومالك حمد قي وأحمد حمد قي، ومن ولد حمد مغمبا مك جب وهو مك جار وأخوه سعد جار، ومن ولد ألمام تمان مود من ذكرناهم أولاً في ترجمته، ومن ولد مالك حمد قي مسى ير، ومن ولد أحمد حمد قي الذي هو ألمام أحمد من ذكرناهم في ترجمته، وأما صالح حمد قي فلم يذكر لنا شيء من عقبه، وأما أولاد أولاد ألمام تمان مود، فمن والد سايقا تمان مود حمد سايقا وسعد سايقا وبوكر سايقا ومالك سايقا وعبدل سايقا وعيل سايقا، ومن ولد سمب تمان المقتول في فتنة كسن حمد سمب تمان ومالك سمب تمان، ومن ولد عبد السلام بن ألمام تمان بوب إبراهيم تمان وابنة تسمى قي إبراهيم، ومن ولد عباس بن ألمام تمان عباس تمان، ومن ولد بوكر صديك بن ألمام تمان سايقا بوكر، وأما عمر بلكن فلم يعقب، ومن ولد سراقة بن ألمام تمان جعفر سراقة، ومن ولد محمد شريف بن ألمام بوكر محمد، ومن ولد سليمان بن ألمام تمان إسماعيل سليمان، [335] وأما حمى فلم يعقب، ومن ولد عل جيت بن سل

ألمام تمان حمد عل، ومن ولد سالف بن ألمام تمان حمد سالف وسمب سالف، وأما القاسم فلم يذكر لنا شيء من عقبه، وأما مالك بن ألمام تمان فقد مات ولم يتزوج والله تعالى أعلم.

258 - أهل بلي بني وفروعهم

وأما أهل بلي بني من ولد مك بوب مالك سه فمنهم ألمام حمد عيشة وهو الذي بناها ومالك عيشة وعبدل مس وسمب قيسر وعلو دوس وعثمان كمبا تنكر، ومن ولد ألمام جمد عيشة ألمام سعد وعمر سان وسري جل، ومن ولد ألمام سعد حمد سعد وبوكر سعد وسري سوما وهي أمه وكل مود وعثمان سعد وعمر فند وهي أمه، ومن ولد مالك عيشة سم بند ومسى مالك والد دمب مسى والد حمد دمب وسايقا دمب وسعد دمب، ومن ولد علو دوس حمد علو وسعد مك وابنة تسمى سومامك، ومن ولد سمب قيسر إبراهيم سمب والد مالك إبراهيم، ومن ولد عثمان كمبا تنكر حمد قي، وأما عبدل مس فلم يعقب، ومن ولد عمر سان بل ست وسعد دند، والله تعالى أعلم. وقد مر أولاً أن من ولد بوب مالك سه تمان بوب والد حمد كم والد عل حمد والد حمد عل هؤلاء أهل أماج لا يملكون بند وما ملكها منهم أحد إلى الآن، ومن ولد بوب مالك أيضًا مود بوب والد تمان مود والد يرسه والد دمب يرسه وعل يرسه وكدايج يرسه وهؤلاء أهل دق يرسه لا يملكون بند أيضًا وما ملكها منهم أحد إلى الآن، ومن ولد بوب مالك هذا أيضًا أهل فس ويقال لهم سيسيب للل لا يملكون أيضًا والله تعالى أعلم. وقد مر أن من ولد مالك سه سمب مالك ومنه أهل كولم في كاس ويقال لهم هناك قف سه وقرية ملكهم خولم ولهم [336] من القرى غيرها منسلا ودو سخان وستخل وجاخلي ودكجا وبكس وخايندن، قلت ولا أدري من صار لهم هذا الملك ولا متى صاروا هنالك، والله تعالى أعلم وهو أحلم وأكرم وأحكم وأرحم سبحانه وما أعز شأنه وأعظم سلطانه. وقيل إن قف سه ليسوا من سيسيب بل هم من أهل كاس الأصليين، والله تعالى أعلم.

259 - ترجمة سيسيب بند

وقد مر في أول ترجمة سيسيب بند أنهم من جم سه والد بك أرجم سه ودقا جم سه وتقد جم سه وير جم سه، وأما بكار فمن ولده داود بكار وعال بكار، وأما داود بكار فهو والد مالك سه أصل ملوك بند، وأما عال بكار فمنه سيسيب الذين في جاتار وكبل اليوم،

وأما دقا جم سه فمنه الذين في جوار ودمت، وأما بران جم سه فمنه الذين في بُخُلْ وهم أمراؤها ولقب الأمير منهم برخل ومنهم الشيخ العلامة والحبر الفهامة الشيخ الحاج مالك التواووني التجاني كما قيل، والله تعالى أعلم، وأما تقد جم سه فهو والد همد تقد والد عال همد والد فر عال وصمب عال وكريم عال وذرية فر عال هم ملوك جم ولقب الأمير منهم فرب وذرية صمب عال قد صاروا من سب ورنكوب وكان يقال لهم عبيد ستك لأن صمب عال هو والد جاير صمب والد سري جاير والد كريم سري والد جاير كريم وسعد كريم ويوسف كريم، وأما سعد فقد توفي في فدلل في الأعوام الماضية والباقي منهم جاير ويوسف، وأما ذرية كريم عال فهم في جاب ولقب رئيسهم هنالك جوم جاب لحرائث نيلية لهم هنالك، وقيل أن سيسيب جم من سيسيب جرميو اسم قرية في سالم الذين هم اليوم في اندمب قرية من قرى سالم أيضًا ومنهم [337] بران سيسي الذي حارب سهت مت مع عبدل بوكر في سابا وغلبهم سهت في ذلك اليوم، وما أخبرنا المخبر بأصله لجهله وزعم بأنهم ليسوا من هؤلاء، قلت يمكن أن يكون سيسيب جرميو من بعض ذرية جم سه لأنهم كثيرون منتشرون في بلاد السودان، وأما سيسيب جم فقد قيل أيضًا أن أصل لقبهم جاي وأصلهم من جلف فغيروه إلى سه كما قدمنا ذلك، والله تعالى أعلم، وأما ير جم سه فلم يذكر لنا شيء من عقبه، والله تعالى أعلم. وهذه القبيلة أي أهل اللقب سه لم يلقب أحد منهم بألمام في فوت إلا ألمام أحمد حمات صوسيل الذي كان في فب وكان فيها ولده حمات ألمام وقد توفي في العام قبل هذا وهو عام 1920 من الميلاد،[446] وكان حمات ألمام هذا يزعم أن أصل لقبهم ون وتغير إلى سه، والله تعالى أعلم.

260 - ترجمة الشيخ الحاج مالك التواووني التجاني

وحيث جرى ذكر العلامة الشيخ الحاج مالك نقول إنه الإمام الأستاذ العلامة الشيخ الصوفي الفقيه الفهامة حامل لواء الطريقة التجانية في البلاد السنكالية مقدم البركة والخير الحاج مالك بن الشيخ الشهير والعالم التقي النحرير سيدي عثمان بن معاذ بن محمد بن علي بن يوسف الجلفي بضم الجيم وفتح اللام في آخره فاء وطنًا وهي بلدة من بلاد السودان سيومي بضم السين المهملة والياء في آخره راء مضمومة قريبة من البوسطة التي يقال لها

446 - عام 1920 م يوافق 1339 م.

بدور بضم الباء الموحدة ثم دال مضمومة وواو ساكنة في آخره راء ساكنة، ولد رضي الله عنه تقريبًا عام أربعة وسبعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية[447] [338] على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، في قرية يقال لها كايه بكاف وياء مفتوحتين بينهما ألف مد آخرها ياء ساكنة، وهي قرية من قرى السودان قريبة من البوسطة يقال لها دكن بدال ثم كاف مفتوحتين في آخرها نون وهي محل أمه وأخواله، ثم نشأ رضي الله عنه في طلب العلم في البلاد السينيگالية، وبعدما حصل له شيء مكث في بلد أندر مدة للتعليم، ثم من الله عليه حج بيته الحرام عام سبعة وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية،[448] ثم رجع إليها بنعمة الله سالمًا وإلى المولد ثم إلى محل آبائه جلف المذكورة، ثم بعد ذلك سكن في بلد كجور بكاف مفتوحة ثم جيم مضمومة وواو ساكنة في آخره راء ساكنة على عادته من التعليم نحو سبع سنين أو أكثر، ثم انتقل إلى تواوون ولما مكث فيها مدة يتردد بينها وبين أندر وأندكار بنى في كل منهما دارًا وزاوية إلا أن أكثر مقامه في تواوون، ولم يزل والحمد لله على ما كان عليه من التدريس إلى الآن، انتهى، كتبه تلميذه علي بن محمد الأمين لسبع ليال خلون من شوال عام اثنين وثلاثين وثلاث مائة وألف 1332 في هجرة[449] من له العز والشرف على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، اهـ. قلت هكذا رأيته في كتاب مجلد مطبوع للشيخ الحاج مالك المذكور جمع فيه أشعاره وقصائده رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين، آمين. انتهى تاريخ بند ويليه الآن إن شاء الله تعالى تاريخ تنيضنكوب.

261 - نسب تنيضنكوب أو تقلنكوب

[339] وفي تاريخ تنيضنكوب أي تقلنكوب أو داينينكوب في أثناء فصل في ذكر ياللب، ونسبهم زيادة عند قولنا فلما مات ناب منابه ابنه همد صورلي وهو الذي سكن في ماتم وترك الرحيل بالصعود والنزول، والله تعالى أعلم، ونص الزيادة: وقد افترق سكان ماتم الآن فرقتين، فرقة مع جوم حمد ألفا فيما يدعيه، وعامة ماتم من گلاج بكار فيما يدعيه، ثم تتمادى في هذه الزيادة إلى أن تنتهي، ثم يليها ولألجي عال ابنة تسمى ججي ألجي والد فند ججي والدة كمب فند إلخ، واعتمدوا على هذه الزيادة واتركوا غيرها مما تخللها أي ما في خلال أمر كلامنا الأول والسلام.

447 - عام 1274 هـ يوافق 1857 م.

448 - عام 1307 هـ يوافق 1889م.

449 - عام 1332 هـ يوافق 1913 م.

[340] وقد افترق سكان ماتم إلى فرقتين، فرقة قليلة مع جوم حمد ألفا فيما يدعيه، وعامة ماتم من كلاج بكار فيما يدعيه، وكانا (...) المتداعيين فسألت كليهما من غير حضور الآخر (...) تاريخ أصوله، فذكر لي جوم حمد ألفا أن أصله من داينينكوب الذين أصلهم من مندق من قبيلة ملنكوب، وأما جدهم الأول فاسمه بنجنف والد مسيس جنجن والد كنكندن والد (...) والد كي والد سايكا مكم والد فوتكي سيقي والد سنجت والد تكل والد حمد تقل و(...) تقل وقت تكل وموياط تكل ونحم تكل، وأما قت تكل فهو المشتهر بكت لاجل والد صمب قت وجاج كت وهو والد بوب والد (...) بوب (...) والد ير بي وعمر بي المشتهر بعمر رلي وهو والد حمد عمر وصمب عمر، وأما حمد عمر فهو والد بوكر حمد وصمب حمد وألفا حمد وبيلي حمد وير حمد ومحمود حمد، وأما ألفا حمد فهو والد حمد ألفا والد عبدل حمد وحامد حمد وعمر حمد وداوود حمد وعثمان حمد ومختار حمد وممد حمد وسري حمد، ومن أولاد ألفا حمد إسمل ألفا والد (...) إسمل وجرك إسمل، ومن أولاد ألفا حمد صمب ألفا والد إسمل صمب ومحمود صمب، وأما بيلي حمد فأولاده ألسن بيلي وعمر بيلي، وأما ألسن بيلي فهو والد بوكر ألسن وصمب ألسن وكلاج ألسن، وأما عمر بيلي فهو والد كلاج (...)، وأما بوكر حمد عمر فهو والد (...) وبوكر، وأما صمب حمد عمر فهو والد عبدل صمب وبيلي صمب وبيد صمب، وأما عبدل صمب فهو والد جب عبدل وممد عبدل، وأما الخلافة فقد ثبت أن عمر رلي ملك قرية ماتم ملكًا تامًا وكذلك ير حمد وكذلك عبدل صمب وإسمل ألفا وبعده حمد ألفا (نصف سطر ...) يوم السبت 3 من صفر عام 1342 وهو يوم 15 من ستنبر[450] (...)

262 - في ذكر من سكن ماتم أو انتسب إليها

[342] وكان ساكنا في لتك ثم في ساكد وصار ينزل إليهم وسكن معهم في ماتم زمن الشتاء والربيع ثم في زمن المطر يصعد إلى (...) وهكذا حاله معهم إلى أن طال الأمد فطالبوه المكث والسكنى معهم في امتم ليولوه أمرهم، فقبل ذلك ورضي به، وأعطاه (...) دارًا (...) واقتطع له (...) قطعة من داره وكذلك اقتطع له صو سيد قطعة من داره، وكانت

450 - 3 صفر من عام 1342 يوافق 15 سبتمبر 1923 م.
الصفحتان التاليتان (ص 340 - 341) بعد هذا التاريخ لا يمكن قراءتها نظرًا لعدم وضوح الخط.

دار سج كمبي بين داريهما، فسكن (...) تلك الدار وذريته فيها إلى الآن وهم ولاة أمر (...) وبينهم الموالاة والمواصلة جدًّا، والله تعالى أعلم، وقيل (...) ملنكي جاء من بلد بمبغ (...) ثم في ماتم (...) حواتا يصطاد الحوت في البحر، وأما كمراب فأبوهم هو سيد هو الذي جاء لماتم وما بقي من ذريته إلا في ماتم إلا رجل يسمى ممد هو تكسل والباقون متفرقون في البلاد ومنهم سنس ساج الذي كان في جنسق ومن أولاده عبد سنس (...) ومنهم صم فات الذي كان هو (...) ومات وترك ولده كاكل وأختيه ثم مات كاكل في العام الماضي 1923 من الميلاد[451] ولم يترك إلا بنتًا، وأما جنكناب الذين في ماتم فكان لقبهم دنك وكانوا ساكنين في (...) وانتقلوا منها إلى دمت ثم انتقل واحد منهم أي (...) إلى ملسكو، ولما وقع قت بهم على تلك القرية انتقلوا منها (...) وسكنوا فيها والمرتحل منهم إليها سوك عثمان مع أخيه (...) عثمان (...) ورزق كلاهما ولدًا سماه باسم أخيه (...) بين ماتم (...) أو ماتم وذريته فيها إلى الآن 1924[452] (...) يلقبون بجنك وهم أخوال كاجور (...) الذين معهم في ماتم، وأما (...) فأبوهم معم كر وهو المشهور بكرل سب وهو الذي ارتحل من قرية جا من بلد جلف أو جور إلى فوت تور وكان صيادًا وسكن في أرض فر وكان (...).[453]

[345] فلما أتى كل قتله مع فرب إرم وفربال، ثم جاء بعض ذريته إلى ماتم فسكنوا فيها مع من وجدوه هناك من ذرية سبناب الذين سكنوا في جنت، ومن ذريته مالك كركل وحاميد فات والحسن بك وإخوته ومالك كمب والحسن كمب وحمى كج ولول كج والد سبل لول من أهل ماتم، ومن ذريته أيضًا ملل ساند الذي في نول الآن، ومن ذريته أيضًا صم مرام الذي في كر الآن، ومنهم قوم في جمل جل وهم أخوال باباب الذين معهم في ماتم الذين أصلهم صور فود من قبيلة كولاط وهم أخوال بوجب وكبناب الذين في ماتم،[454] وأما جوب فأبوهم الذين سكن في ماتم اسمه أبي بن أست بن موسى بن مكسل جو وجده هذا كان ساكنًا في جبل دوب في مرتن بين ودر وسادل وكان معه مكسل تو وهما عالمان مشهوران في زمنهما، ثم ان أبي انتقل من هناك إلى ماتم وكان من أهل العلم وقدمه حمد صورلي وأهل ماتم إمام مسجدهم، وكانوا يفزعون إليه في مُهِمَّاتِهِمْ حتى قيل أنه هو الذي كتب لهم كتابًا في جسد تيس حي فأغرقوه مثقلاً بالأحجار في غور معظم ماء دالام المسمى إلى الآن

451 – عام 1923 يوافق 1342 هـ.

452 – عام 1924 يوافق 1343 هـ.

453 – هناك انقطاع في السياق لعدم وجود صفحتين من المخطوط هما 343 و344.

454 – تعليق المؤلف: الذين لقبهم بوج.

لقر دمد وذريته في ماتم إلى الآن ولم يخرج منهم بعده عالم ولا تلميذ والعياذ بالله تعالى.

وأما حمد صورلي فزعم كلاج بكار أن أصله ميس جندن والد ألمسا ياجك والد كيسقامك والدكركي وهو أمير كاس وهو أيضًا والد سنجت أمير مندق وهو أيضًا والد ناري سنجت والد بكر ناري والد بني بكر والد كطل ابني والد كطل تگل گطل ومالك كطل والد مر مالك وأل مالك وسم مالك ودب مالك وسره مالك وزينب مالك وفات مالك وفاتاير مالك، وأما سم مالك فهو والد صمب سم وبهم سم والد قت بهم وسنك بهم، وأما كت بهم فهو والد صمب كت وهو صورلي والد حمد صمب والد جوم صمب حمد وبوكر بوند وسري ديبي وبكار ديبي وكلاج ديبي، وهؤلاء [346] أولاد صورلي الذكور وأما بناته فستة، فأولهن هاو وكندي وألا إند وزعم أهل ماتم أن سياقد كنار الآن الذي هو جوم حمد ألفا أصلهم من بند من قرية تسمى صبكنتي وأبوهم المسمى بي كرل هو والد عمر بي الذي عمر رلي وزعموا أن رلي هذا من سارمولنكوب واسمها رلي تنك ورلي والدة صورلي هي التي سمتها باسمها وربتها وأنكحتها لبي كرل والله تعالى أعلم، ثم أنهم لما انتقلوا من صبكنتي سكنوا في سانكن هيري وقيل سانكن مودمك التي هي سانكن بمياب، ثم انتقلوا وسكنوا في سودر موضع بين سامب وورسوك وصاروا ينزلون إلى ماتم زمن الشتاء والربيع ويرجعون إلى سودر في زمن المطر، وكان حمد عمر أعمى قد قرأ القرآن على بمياب سانكن فإذا نزلوا إلى ماتم في زمن الشتاء والربيع يقدمه أبي على الصلاة بالناس في مسجد ماتم لأن أبي حينئذٍ مشتغل بحراسة حرثه في فل نالل التي بين ماتم وجمل مر جهة مرتن، فما زال الأمر هكذا في كل عام إلى أن مات أبي فأنابه أهل ماتم مناب أبي في إمامة المسجد، فلما اطمأن به الجلوس زوجه جنكناب بنتهم فامة لب سوك فولدت له بوكر فامة وصمب فامة وبيلي فامة وير فامة وألفا فامة وصاروا يتناكحون مع الحواتين الذين توددوا إليهم، وأعطاه قبيلة فالب وكيب حرثا في فل يكل الذي بين جمل وسيو وصار ذلك الحرث حدا بين حرائث فالب وحرائث كيب إلى يومنا هذا لأن حرائث كلتا القبيلتين كانتا متلاصقتين فقطعت كل قبيلة من أخر أرضها من ملتقى أرضيهما شيئًا فاجتمع ذلك الشيئان فأعطوهما لحمد عمر بي كرل والله تعالى أعلم، ثم صار بنو حمد عمر وذووهم يتناكحون مع الحواتين الذين توددوا [347] إليهم وكذا يتناكحون مع سب أيضًا، وأما بوكر فامة وكان يسمى سارن بوكر فهو والد عبد الله سارن وحاميد ومتار وبنت ولعلها هي المسماة كمب سود، وأما صمب فامة فهو والد عبدل صمب ويعرف بكرط وبيلي سندن وبيلي كمط وله أيضًا بنتان، وأما بيلي فامة فهو والد ألسن

بيلي وصمب بيلي، وأما ير فامة فلم يعقب إلا اثنين وكانت إحداهما زوجة لصم بك واسمها رك ير والأخرى كانت زوجة لألسن بك واسمها كديج ير، وأما ألفا فامة فأولاده إسما ألفا وصمب ألفا وحمد ألفا سايقد كنار الآن، ثم أن القبائل المذكورة وغيرهم من أهل ماتم ما زالوا ساكنين في ماتم مجتمعين فيها.

263 – قدوم الفرنسي مسيو فدرب إلى ماتم واستسلام أهلها بعد مقاومة عنيفة

حتى جاءهم مس فدرب(455) في عام (زنطش) 1857 من الميلاد،(456) وقد وجد أمير ماتم المسمى جوم صمب وأكابر أهل ماتم قد ذهبوا إلى ألمام فوت حينئذٍ وهو ألمام ممب في بمب وكان ذلك من عوائدهم الجارية في كل عام، وإنما طلع مس فدرب إلى ماتم من موردهم المعروف بتفد برك الذي فوقه عرصة، فلما وصل إلى العرصة وجد فيها برك جوم صغيرًا مع صبيان ماتم فوضع مس فدرب يده على رأس برك جوم فقال لعل هذا ولد جوم صمب فقالوا نعم، فأخرج قرطاسًا فيه أسماء أكابر القرية فسألهم عن آبائهم فقالوا له إنهم قد ذهبوا إلى ألمام فوت، ثم تخطى إلى وراء القرية ثم رجع وقال لأولئك الصبيان قولوا لآبائكم إذا قدموا إليكم إني جئت هنا أريد السكنى معهم فإن أبوا اشتري السكنى وإن أبوا أسكن أحبوا أم كرهوا، فلما قدموا أخبروهم بما قال مس فدرب فأمروهم أن يروهم مواضع وطء أقدامه فأروهم ذلك فلما رأوها [348] كنسوها وقالوا معاذ الله أن يسكن معنا أو نسكن معه، ثم جاء مرة أخرى فأراد الصعود من السفينة إلى القرية دفعوه بمدافعهم أي خبطوه

455 – الحاكم الفرنسي العام للسودان لويس فيديرب (Louis Faidherbe) (1818 – 1889)، لعب دورًا رئيسيًا في توطيد النفوذ الفرنسي في السودان الغربي أثناء حكمه. تخرج من مدرسة المهندسين المتعددة الاختصاصات (École Polytechnique)، وعمل كضابط في سلاح الهندسة في الجزائر والغوادلوب (Guadeloupe)، وتولى رئاسة مصلحة الهندسة بسان لوي بالسنغال، وأثناء ذلك أظهر مقدرة في التخطيط وإقامة التحصينات، فاشرف على بناء حصن بودور (Fort Podor 250 كلم عن سان لوي). وسمي حاكمًا عامًا للسودان بطلب من تجار بودور المهتمين بالمبادلات التجارية مع السودان الغربي، وفي طليعتهم الإخوة موريل (Maurel) الذين كانوا حريصين على رفع كل الرسوم عن التجارة مع الحكام السودانيين والذين كانوا يتطلعون إلى حاكم حازم قادر على حماية مزارعي الفول السوداني (Arachides) من غارات البدو. وقد تمكن فيديرب أثناء حكمه للسودان (1854-1861 ثم 1863-1865) من إقرار الأوضاع بحوض السنكال بتجريد حملات محدودة العدد (400 رجل) وجيدة السلاح، تعاقب كل مناوئ للحكم الفرنسي بحوض نهر السنغال، وقد اعتمد في ذلك على الجنود المحليين بعد أن كون فرقة الجنود السنغاليين (1857) (Tirailleurs sénégalais)، كما أسس أول مدرسة في السنكال (1856) التي أعيد تنظيمها (1894) ليتخرج منها العديد من الموظفين المحليين.

456 – عام 1857م يوافق 1274هـ.

ببندقياتهم فرجع عنهم، ثم جاء مرة ثالثة فقال لهم إني جئت أريد أن أسكن معكم كرهًا فأخذ آلات بنائه وجعل يبني ودفع أهل القرية ماتم بالمدافع أي خبطهم وضربهم بالبندقيات فهربوا إلى البر وتركوه يبني وجمعوا الجيش من هذا الديوان من سنس قرب إلى مك هاير فأوقعوا الحرب عليه ودفعهم أي ضربهم بالمدافع فاندفعوا ثم أوقعوا الحرب أيضًا فدفعهم بالمدافع فاندفعوا أيضًا، فما زال يدفعهم مرات وهم يندفعون ثم رجعوا إلى أن احتال عليهم حيلة بأن أظهر أنه انهزم بأن ركبوا سفينتهم هم وأمتعتهم وتركوا البناء بعد أن بلغ قدر قامة الإنسان وأظهروا أنهم رجعوا إلى أندر فأقام في ماتم جيشها ينتظر رجوع السفينة ثم بعد ذلك رجعت، فلما رآها الجيش قاصدة إليهم دخلوا داخل بنائهم ينشدون شعرهم المعروف بكنتمفاج فلما حاذتهم جاوزتهم كأنها تريد بكل فقالوا هربت السفينة وجبنت ولما ولتهم ظهرها رجعت إليهم وهم في داخل البناء فدفعهم بالمدفعة العظيمة التي هي كن فأوقعت البناء وأسقطته عليهم فمات البعض وهرب البعض، فانطفأت الفتنة يومئذٍ وما اشتعلت بعدها إلى الآن، ثم لما عجز أهل ماتم ومن حولهم من القرى عن دفعهم وكانوا قد أخبروا من قبل بأن ألمام فوت قد باع قريتهم لمس فدرب صالحوه حينئذٍ وأعطوه برك جوم لتأكيد عقد الصلح، فذهب به إلى أندر يتعلم اللغة الفرانساوية ثم سكن أهل ماتم في قريتهم وكذلك صالحهم أهل الديوان حول ماتم، وقيل إن بناء قصر ماتم كان في عام (هعرش) 1275 من الهجرة المحمدية(457) والله تعالى أعلم.

264 – هجرة أهل ماتم مع الشيخ عمر ثم رجوعهم إليها وتولية ير فامة عاملاً عليهم من طرف كمادي

[349] وفي ذلك العام جاءت هجرة الشيخ عمر(458) فأكره الناس على الهجرة معه، فهاجر أهل ماتم مع المهاجرين فتركوا القصر خاليًا ثم رجعوا كلهم إلا كلاج ديبي فإنه مضى في هجرته، وحين رجعوا قصدوا قريتهم ماتم خافوا من الدخول فيها ظانين أن كمادق

457 - عام 1275 هـ يوافق 1858 م، وهو بالترقيم حسب الحروف: هعرش.

458 - دعا الحاج عمر الفوتي التجاني أثناء حركته الجهادية أتباعه إلى الهجرة من منطقة السنكال الأعلى إلى الجهات الداخلية سنة 1275 هـ/1858 م، حتى يبتعد عن الاحتكاك بالفرنسيين ويتفرغ لمحاربة البمبارا الوثنيين، فنزح معه حوالي 50.000 فرد إلى نيورو، واستمرت الهجرة بعد أن حقق الفرنسيون انتصارًا على أنصار الحاج عمر في جمو، مما أرغمهم مجددًا على الاتجاه نحو الشرق (1276 هـ/1859 م).

ماتم غاضبًا عليهم لسبب هجرتهم التي هاجروا دون إشعاره واستئذانه، فأرسلوا ير فامة إلى كمادق ليستأذنوه في الدخول والسكنى معه في ماتم لأن ير فامة كان صديقًا للولفي الذي كان مع كمادق واسمه دس مسعود ولعله كان هو المترجم ولما وصل ير فامة إلى الولفي أخبره بما أرسل به إلى كماندك فقال له الولفي ألا تحب أن تكون رئيسًا للقرية إن سكنوا، فقال أحب ذلك جدًا، فقال له إني آذهب معك إلى كمادق فأظهر له بأنك تقدر على أن ترجع الناس للقرية حتى تكون كما كانت أولاً بشرط أن يوليك أمرها، وكان هذا الولفي عدوًا لسري ديبي لأنه انتزع منه زوجته التي اسمها سانكن دامار وهي فل دكاج من أهل جولل وهي والدة بنته ديبي سري في أول زمن سكنى كُمَادَى وأصحابه في ماتم، فلذلك احتال لِيَرفامة خليله هذه الحيلة لينتقم من سري ديبي، ثم لما ذهبا إلى كمادق أخبره دس مسعود بأن ير هذا يقدر على أن يرد أهل ماتم إلى مساكنهم كما كانوا أولاً بشرط أن توليه أمر القرية حينئذٍ، فقبل كُمَادَى ذلك ورجع يرفامة إلى أهل ماتم وأخبرهم بقبول كمادي مسئولهم، فقدموا إلى ماتم وسكنوا.

265 – النزاع على ولاية ماتم بين يرفامة وبكار ديبي وتولي الأخير أمرها

فلما اطمأن بهم الجلوس دعاهم كُمَادَى وقال لهم إنه جعل ير فامة عاملاً له وأميرًا على ماتم، فأجابه أهل ماتم بأن ير إنما كان رسولاً منا إليك لتأذننا في الرجوع إلى ماتم لا غير فخاننا وزعم بأنه هو الذي يردنا إلى ماتم كذبا منه، ولكن كُمَادَى ما قبل حجتهم هذه ولم يلتفت إليها، فقال بوكر فامة [350] وبيلي فامة اترك يا ير هذا الملك فإنه ليس لنا، أبى وقال من أعطي الملك قبله، فقاما وخرجا من القرية وهاجرا، وقصد بوكر فامة ورسوك، وقصد بيلي فامة كرل فسكنا في تلكما القريتين، وقام صمب فامة وضرب مدفعه[459] ورفع صوته ينسد الشعر جذلان فرحًا لهذا الملك الحاصل لهم هذا بعد ما مات جوم صمب، فقام سري ديبي ثائرا ثوران الأسد وخرج عن ماتم إلى قرية جولل وترك بكار ديبي وإخوته في ماتم فصار يغير على بقرات أهل ماتم، ثم قصد نحو ورسوك وقتل هنالك بوكر فامة، ثم ذهب إلى كرل ووجد هنالك بيلي فامة فقتله، ثم جاء إلى ماتم ليلاً فوجد بكار ديبي نائمًا فأيقظه وأمره بالانتقال إليه قهرًا، فلما أصبح تأهب وذهب إليه، ثم جاء سري ديبي إلى القرية تقر

459 – يلاحظ أن المؤلف يستعمل عبارة المدافع (البارودية) للدلالة على البندقية.

ومكث فيها أيامًا، فأرسل كمادق ماتم سرية من خدام القصر وير فامة ومعهم بعض أهل ماتم كعمر أحمد وبكر فامة وغيرهما لقتل سري ديبي في تكر، فوجدوهم في اللعب بضرب الدفوف والرقص، فكمنوا وراء القرية حتى تفرغوا من اللعب فصبحوهم سَحَرًا وقتلوا سري ديبي وقطعوا رأسه وأتوا به إلى كمادق ماتم، فقال لهم كمادي لا أبالي برأسه فارجعوا به إلى حيث شئتم، وقتلوا من أصحاب سري ديبي حمد سري كمب والد ساغو سب وحمد فات كلاج وغيرهما، ثم قدم برك جوم من أندر إلى ماتم فوافق قدومه قتل عمه سري ديبي، ولما رأى ذلك الفعل رجع قومه إلى فدور وركب هنالك في السفينة وذهب إلى كورنور سلجبابر وأخبره بهذا الصنيع الشنيع، فقام كورنور معه وركبوا في سفينة حتى وصلت إلى جمل جل فرست هنالك وصعدوا بعد أن توافق كورنور مع برك جوم على عزل ير فامة ثم جعل بين ير فامة وبكار ديبي ووتي في لغة فرانس، ثم أحضر بكار وير فامة وأهل ماتم كلهم، فقال كل من يحب ير فامة فليقم ومن يحب بكار فليجلس، فما قام من أهل ماتم أحد، فرجع الملك إلى بكار ديبي فعزل يومئذٍ كمادق [351] ماتم الأول وخلف عنه كمادي الآخر واسمه فول، ثم ركب كورنور سلجبابر على سفينته مع برك جوم فرجعوا إلى أندر ورجع أهل ماتم مع بكار ديبي إلى قريتهم، ورجع ير فامة وإخوته إلى ديارهم، وصار جل أهل ماتم يلعبون ويضربون الدفوف في دار بكار فرحًا لما نالوا من منيتهم ويضربون المدافع أي البندقيات بالعمارات البارودية، فلما رأى ير فامة وإخوته ذلك قاموا يفعلون مثل ذلك في داره، فقام بكار إلى كمادق فول وأخبره بما يفعل أهل ير فامة، فقام كمادي بالفور وأتى بالسفينة وأمر ير فامة وإخوته وأهاليهم أن يركبوا فيها كلهم ويقطعوا البحر مطرودين عن القرية ماتم،[460] ولما رأى بكار ديبي إخراجهم عن القرية وطردهم عنها وقصدهم إلى المشرق أي الجنوب أرسل سرية منه إلى أهل القرية ودبر أن يلاقوهم عند القرية دولل سيور فيقتلوهم هنالك، وكان ير فامة أيام نيابته في ماتم قد انتزع أموال أهل ود بر في هجرة الشيخ عمر، فلذلك لما بلغتهم رسالة بكار أوقعوا عليهم الحرب في القرية المذكورة فقتلوا ألفا فامة، وقيل أن كمادي ماتم هو الذي أرسل إلى كمادي بكل أن يمنعه من المكث هنالك، ثم رجع فلما وصل في رجوعه من وراء النيل إلى مرتن هردلد سكن هنالك مدة حتى تزوج ولده صمب ير هنالك بامرأة من بنات الحواتين من أهل هردلد من قبيلة جق، ثم انتقل من هنالك ورجع إلى ماتم طالبًا

460 – تعليق المؤلف: وصمب فامة ونجاير فامة مع بعض عياله، وجاوز إلى أن وصل إلى البوسطة بكل ومكث هنالك أيامًا ثم رجع. ويعني بالبوسطة المركز الإداري.

السلم والصلح، فقيل له ذلك كُمَادَى وبكار فجاء وسكن في فود دو وهو مكان قصر كمادي ماتم الجديد الآن المنتقل إليه من القصر الأول القديم، فسكن هنالك، ثم ضيق عليه أهل ماتم تضييقًا شديدًا، فارتحل إلى سيو فسكن هنالك مع ألفا سيد إلى زمن الطاعون الأول فمات مطعونًا رحمة الله تعالى علينا وعليه.

266 - عزل بكار ديبي ثم إعادته إلى ملك ماتم

وكان حين ولي ملك ماتم قد أرسل ولده المسمى بيلي ير فامة إلى أندر ليقرأ العلم الفرانساوي فمات هنالك، [352] ثم لما رجع الملك إلى أولاد حمد صورلي انطفأت الفتنة بين أولاد حمد صورلي وبين أولاد عمر بي كرل وانكسرت شوكتهم وصاروا وزراء لأولاد حمد صورلي إلا ما كان من أمر عبدل صمب حمد عمر بي كرل المشهور بكرط، فقد ولي أمر ماتم بعد عزل بكار مدة قصيرة ثم رد بكار إلى ملكه لماتم، وسبب ذلك أن عبدل جوم صمب حمد صورلي كانت والدته من سيبوب جاب وكان قد سافر إلى جاب لزيارة أخواله فصادف وصوله إلى هنالك وقعة بين فرانس وعبد بوكر، فانضم مع جيش عبدل بوكر، فحاربوا جيش فرانس، فانجرح فيها عبدل جوم هذا، فسعى أولاد عمر بي إلى كمادي ماتم بأمره فعزل كمادي بكار وطرده وأهله إلى ورسوك، وقال لهم كمادي إنكم تظاهرون علينا مع أعدائنا، فقال له بكار إنما الفاعل لذلك صغير السن منا دون مشاورتنا ودون شعورنا فلا تعزلنا بفعل هذا الصغير، فأبى وعزله وملك عبدل صمب المذكور أمر ماتم، فكتب بكار براوة إلى كورنور يعلمه بما فعل كمادي ماتم بهم لسبب عبدل جوم هذا مع أنه من غير علمهم به، وجعل البراوة في يد رجل منهم يسمى مود بوب فذهب بها إلى أندر، فكتب أمير أندر في الجواب يأمر كمادي ماتم برد بكار ديبي وأهله إلى ماتم وتسليم ملك القرية إليه كما كان ولا يأخذه بفعل هذا الصغير الذي هو من أهله، وقد قيل إن مدة عزله ورجوع الملك إليه شهر أو شهران، والله تعالى أعلم.

267 - وقوع الفتنة بين أولاد حمد صورلي وأولاد عمر بي

وفي زمن ولاية بكار على ماتم أيضًا وقعت الفتنة بين أولاد حمد صورلي وبين أولاد عمر بي، وسببها تعدية الحدود في الحرائث الكائنة في فود فوكل هار، فوقعت الفتنة بين

عبيد أولاد حمد صورلي الذين منهم وال هاو وسل هاو مع من معهم من العبيد وبين أولاد عمر بي الذين منهم صمب حمد عمر وبعض إخوته ومعهم من ذوي الرحل معهم صمب سلي ميرم أخو ميرم سلي الشقيق وميرم سلي هذه هي والدة صمب ألفا حمد عمر وصمب سلي هذا هو الذي انتقل إلى جود كوريك ومات وترك أولاده هنالك، [353] ومن الذين مع أولاد عمر بي أيضًا صم فات الذي هو من قبيلة همراب في ماتم وقد انتقل منها إلى جود كوريك ومات هنالك وقد بقيت من ذريته الآن إناث، فلما تقاتلوا غلبهم العبيد لكثرتهم ودخل صمب عمر هذا في شجرة كثيفة تسمى كوم في لغتنا فاتبعه وال هاو يريد الدخول عليه ليضربه وكان معه مدفع فدفعه بضرب عمارته فقتله بها ودخل سل هاو أيضًا عليه فقتله بضرب عمارة مدفعه أيضًا، ثم جاء إلى أهل القرية ماتم مخبرهم بالفتنة، فقام بكار ديبي وبعض أهل ماتم فقطعوا البحر إليهم فتلاقوا معهم في الطريق يرجعون إلى القرية فكادت الفتنة أن تثير أيضًا، فأراد بكار أخذ صم فات صمب، فقال له صم فات قف عني مكانك ولا تصل إلي، فقال له أإنّك تفعل بي هذا الفعل يا صم فات، فلما قرب إليه رماه صم فات برمحه فأصاب صدره ولم يتأثر به، فحض العبيد على أخذهم بالأيدي فأخذوهم كلهم وشدوهم كتافًا، وهرب صمب سلي إلى القرية جمل فقطع البحر من هنالك، ثم لما وصلوا إلى ماتم أراد العبيد أن ينتصروا منهم فأبى عليهم بكار من ذلك القصاص فأخذ من القاتلين دية العبدين دية كل عبد عبدان ومنهم أخذوا سربا مؤط حينئذٍ، وأخذوا منهم ما بقي بالقيمة ثم انطفأت الفتنة بينهم وصارت أولاد عمر بي وزراء لأولاد حمد صورلي أيضًا.

268 - حدوث الفتنة بين أولاد حمد صورلي

وما زالوا كذلك حتى صارت العداوة بين أولاد حمد صورلي خاصة وصار بعضهم عدوًا لبعض، وذلك لما اطمأن بكار ديبي في ملكه مدة قال كمادي ماتم لبكار ديبي إني أريد أن أجعل برك جوم مكانك لأنك هرمت، وبرك شاب عالم بلغتنا، فأبى بكار وأهل ماتم كلهم إلا الحسن دمب فإنه ذهب مع برك إلى كمادي فقال له الحسن دمب إن أهل ماتم هم الذين أرسلوني إليك بأنهم قبلوا نيابة برك جوم مكان عمه بكار، ففعل كمادي ذلك واستخلف برك، ولما رأى بكار ذلك اغتاظ [354] وارتحل عن ماتم إلى ورسوك في زمن الشتاء ثم في زمن المطر تخرف في القرية جود كوريك ومكث هنالك عامًا كاملاً ثم أرسل ابنه صمب جاك إلى

عبدل بوكر يستعين به على أمره، فكتب عبدل بوكر براوة إلى كمادي مس ألس في البوسطة سلد التي نسميها تبكت يعلمه فعل كمادي ماتم وأنه أخرج العم عن الملك واستخلف ابن أخيه وذلك ليس من عادة أهل بلدنا فوت وأنه يريد أن يثير الفتنة مثل ما وقع بين أولاد حمد صورلي وبين أولاد عمر بي كرل، وجعل البراوة في يد صمم بلل وبيد بوكر عال دندا أخوه وسري صمب جوم مع بعض من أهل فوت وأوصلوا البراوة إلى كمادي سلد، فأرسل إلى كمادي ماتم بأن يرد بكار إلى ماتم ويسلم إليه ملك القرية ماتم، فلما وصلت إليه رسالة مس ألس ركب على سفينة الدخان مع مترجمه ممد درس وذهبا إلى جودكور فوصلا إليها وقت الظهر فأمر بكار بالرجوع إلى ماتم فرجع إليه بكار ورجع إليه ملك القرية وأخرج برك إلى القرية كرل، وما زال بكار في ملكه حتى مات، ثم خلت القرية عن العامل وفيها ولده صمب جاك يأمر وينهي ولكنه ما ولي أمرها ولا نهيها ولكنه يخطبها خطبة المراكن، وعلى إثر ذلك سرق الفضة لفرانس فظهرت عليه وأخذ ثم هرب من أيدي الآخذين.

269 – اشتداد التنافس على ملك ماتم وذكر من تولى أمرها ومن عزل

وجيء ببرك جوم إلى ماتم وولي أمرها وما زال فيها مع زيادة حتى ولي ملك الديوان حول ماتم من سنس كرب إلى نباج سول برًّا وبحرًا، ومكث علىٰ ذلك اثنتي عشرة سنة ثم عزله كمادي ورجل، وسببه أن المترجم سركنار وإلمان دمب كيل في ورسوك ذهبا إلى كمادي فنَمَّا بينه وبين برك جوم بأن قالا له أن برك دعى ساحرًا عليمًا وكاهنًا عظيمًا الذي هو أرط كل فات إلى داره ليسحرهما مع كمادي، وأن برك أعطاه فرسًا، ولما سمع كمادي ما قالا أمر شرطته [355] أن يعاقبوا أرط ويعذبوه لذلك، ولم يدركوه في ماتم بل خرج عنها، ثم دعا كمادي برك جوم فأخبره بفعله ثم عزله وخيره في أي القرى يختار أن ينتقل إليها ويسكن فيها فاختار لوبال فذهب إليها، فاستخلف على ذلك الديوان دون ماتم إلمان دمب كيل في ورسوك ومكث في ذلك الديوان سنتين، ثم عزله مس لنزل، وأما ماتم فقد امتنع أهلها أن يلي أمرهم غير ذرية حمد صورلي، فلذلك لم يدخلوا في ملك إلمان دمب كيل إلى أن عزل، ثم إنهم لما امتنعوا أن يلي أمرهم غير من ذكر، قال لهم كمادي هل بقي أحد من ذريته، فقالوا له إن منهم كلاج بكار وهو الآن في أندر فأرسل إليه بمجيئه، فجاء وولي أمر ماتم في أيام ملك إلمان دمب الديوان المذكور، ثم لما عزل إلمان دمب صادف ذلك رجوع حمد ألفا من غيبته نحو أندر، فوجد بيد تمر وجول من أهل جنجول ودمب ير من أهل سنس كرب وصمب جاك يطلبون ملك ذلك الديوان، ولما كان الأمر كذلك بعث كمادي رسولاً إلى سائر أرباب القرى يأمرهم بالحضور عند ماتم، وكان الترجمان سعيد بوب سل من الذين يطلبون ملك ذلك الديوان، فمنعه كمادي من مطلوبه، ولما اجتمع أرباب القرى جعل كمادي ماتم بين المذكورين أولاً فألفي أن حمد ألفا قد زاد عليهم بمائة إنسان، فأرسل أمير أندر كتابًا إلى كمادي ماتم بأن حمد ألفا قد صار رئيس ديوان كنار في أول الشهر يناير الإفرنجي المسمى عندهم بسمويياي سنة ألف وتسعمائة واثنتين من الميلاد 1902،[461] وما زال سايف على هذا الديوان إلى يومنا هذا وهو آخر عام 1924 من الميلاد،[462] والله تعالى أعلم، ثم لما اطمأن حمد ألفا في ملكه جعل يطلب ملك القرية ماتم بالحيلة في أيام ملك كلاج بكار لها، فلما علم كلاج بذلك خاف وخلع نفسه وسلم أمر الملك إلى كمادي لعلمه بأن [356] كمادي حينئذٍ مع حمد ألفا يحتالان لعزله، فصارت القرية ماتم لحمد ألفا مع الديوان وما زال الأمر كذلك إلى أن صار يعذبهم عذابًا شديدًا وينتقم منهم بما كانوا يفعلون مع آبائه من قبل، ولما سئم أهل ماتم فعله اشتكوا إلى كمادي ماتم أمره وامتنعوا من ولايته أمرهم، فعزله كمادي عن ملك ماتم دون الديوان وجعل على ولاية ماتم إسما ألفا حمد عمر بي أخو حمد ألفا هذا الأكبر منه فما زال واليا على ماتم حتى مات فشكره أهل ماتم يوم موته جدًا وأثنوا عليه الثناء الحسن وكرروا عليه قول نعم ونفوا عنه قول بئس، ثم قدم كلاج بكار إلى ماتم في أيام موته وكان حين انسلخ عن ملك ماتم أولاً وسلمه إلى كمادي قد سافر إلى المشرق نحو بكل وخاي وغيرهما، ولما رجع إلى ماتم ووجدها خالية من رئيس طلب ملكها أيضًا ونازعه في طلب ذلك ألسن بيلي حمد عمر بي، وجعل كمادي بينهما ووتي فغلبه كلاج بكار وصار له ملك القرية ماتم وما زال فيه إلى يومنا هذا في آخر عام 1924 من الميلاد، والله تعالى أعلم.

270 – عال مالك قطل وذريته وبعض الأخبار المتعلقة بهم

وأما عال مالك قطل فهو والد ألجي عال والد قت ألجي والد سري كت والد صمب سري والد علو صمب والد صمب علو الذي هو صمب جوم علو ولصمب سري أخ اسمه

461 – عام 1902 م يوافق 1320 هـ.

462 – عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

دمب سري والد سل دمب والد كت سل الذي هو جوم كت الذي تخلف عن جوم علو بعد موته في الملك قبل تخلف صمب جوم ويقال له كت كجت أيضًا لأن أمه كجت ابنة لصمب سري المذكور ويقال لها كجت صمب وجوم كت هذا هو والد صمب كت السالم الآن الساكن في قرية عال صمب في بكل في ديوان ليتام في حكاية كيهيد، ولكت ألجي أخ اسمه أر ألجي والد داود أر والد ير داود المشهور بير هار وهي أمه وهو والد ميسين ير وعبد الله ير المقتول في كمبل، وقيل [357] في فمب وقع عليهم هنالك أولاد تكل ومسلنكوب فقتلوا عبد الله ير بعدما ولد أولاده ومنهم ميسين عبد الله وإسماعيل عبد الله، وأما ميسين عبد الله فهو والد ممد ميسين وير ميسين، وأما ممد ميسين فما ترك عقبا، وأما ير ميسين فهو والد أحمد ير والحسن ير وألفا ير وقد مات أحمد والحسن وتركا أولادهما في سيو مع عمهما ألفا ير الذي هو رئيسهم اليوم، وأما إسماعيل عبد الله فهو والد ميسين إسماعيل الذي قتل في ساغو في أيام مدان بن الأمير أحمد يوم دقون اسم قرية من قرى ساغو وهو يوم مشهور عندهم وذلك آخر أيام قتالهم مع البنابر، ومات معه يومئذٍ خله الموافق وحبيبه الملاصق إلمين بن المصطفى والد أحمد إلمين، وأما ميسين ير هار فهو والد أحمد ميسين وسل ميسين، وأما أحمد فهو والد سيد أحمد المعروف بألفا سيد ونل أحمد والد مار نل التي في سيو الآن وكذلك مالك أحمد وعبد الله أحمد وقد ماتا وما تركا عقبًا، وأما ألفا سيد فما بقي من عقبه الآن إلا ابنتين له وهما أم وأمن ووالدة ألفا سيد اسمها كوريك ابنة عبد الرحمن بن محمود بن نل مود وقيل أيضًا إن والدة أحمد ميسين اسمها راب سارن سيول، والله تعالى أعلم، وقيل أيضًا إن عبد الله ير هار لما قتل في كمبل ارتحل أخوه ميسين ير هار فسكن في سيو ثم مات وهو أول من سكنها منهم ومعه ولدا أخيه المقتول ميسين عبد الله وإسماعيل عبد الله، ومكث ميسين في سيو خمسة أعوام ثم تخلف عنه ميسين عبد الله ومكث في الخلافة اثنتي عشرة سنة ثم مات ثم تخلف عنه أخوه إسماعيل عبد الله ثمانية أعوام ثم تخلف عنه ممد ميسين بن عبد الله بن ير هار ومكث فيها ستة أعوام ثم ارتحل عن سيو راجعًا إلى فمب ومكث فيها ستة أعوام [358] أيضًا، وفي العام السابع أتاهم الشيخ عمر وساقهم إلى المشرق كما ساق جل الناس ومات ممد ميسين هذا بعد وصولهم في ساغو في ويتايل. قلت ولعل ألفا سيد ترتب في ملك سيو بعد هجرة الشيخ الحاج عمر، والله تعالى أعلم، انتهى. ولألجي عال ابنة تسمى جججي ألجي، إلخ.

[359] وفي آخر تاريخ بوناب وطرف من ذكر هليب زيادة وهي بعد قولنا: فقال الرجل أنا لا أنضم إلا إلى بروب لأنهم أقاربي وعشيرتي من قبل، فصار يعد من أعداء بروب في مقام، والله تعالى أعلم، ونص الزيادة ها هو: واعلم أن أصل يناك موضع قرب دربس قرية واحدة إلى آخرها وهو آخر تاريخ بوناب ويليه تاريخ بروب وقمدناب ومنهم جايب ودر، إلخ، واتركوا ما عدا هذه الزيادة وقد حذفت ما عداها وألحقته بتاريخ هليب في تور وستجدونه هنالك إن شاء الله تعالى.

271 - معلومات عن قرى يناك ودربس وساردوك وأخبار عن القبائل التي تسكنها

[360] واعلم أن أصل يناك موضع قرب دربس ثم صار يناك ودربس قرية واحدة وجهة منها تسمى يناك والأخرى تسمى دربس (...) وأما ساردوك فاسم قرية في مرتن في البر حذو دربس وكذلك (...) في شاطئ النيل في مرتن دربس وسكانها الآن أهل دربس، وأمير دربس يقال له جاكرف وهو ملك الحرائث كلاط كلها وهو الذي يولي جالتاب وهو مالك الحرائث البحرية (...) المرتنية والسنكَالية كلا وهو أمير المورد والمشرعة أيضًا، ويسمى إمام مسجد دربس إلمان وأصله من رجل اسمه عمر كل وكان قد ضيف فيهم في الزمن الأول وكان من أهل العلم وطالبوه أن يسكن معهم فقبل وأعطوه دارًا وحرثًا وإمامة المسجد والتولي لأمر الميت، وجاكرف دربس لقبه سام، ثم اعلم أن بعض أهل كل تزوج من أهل سه الذين هم من ساردوك، فصاروا بتلك الواسطة رؤساء بوناب، ورياسة دربس الآن في أهل كل، ثم اعلم أن أصل أهل دباق أي تلد دباق في بر مرتن هليب، وكان معهم هناك أهل هرتل، ثم نزلوا فسكوا في سانل قرب النيل مرتن أيضًا، وكان بوناب حينئذٍ في تلد بون، فلما نزلوا سكنوا في دربس في سنكال، وهؤلاء القبائل أهل هرتل وأهل دباق وبوناب يتناكحون، ومن بوناب أناس ساكنون مع أهل دباق وأخرون مع أهل هرتل، وملك أرض مرتن كلها أو جلها لأهل دباق وهرتل وليس لهم ملك في سنكال كما قيل، ولبوناب ملك في مرتن وسنكال معًا وسنذكر بعض أراضي هليب في تاريخهم إن شاء الله تعالى، وقد تقدم لنا بأن بوناب حين كانوا في كبل قد ارتحل بعضهم إلى (...)، وقيل أنهم أتوا مع الذين بقوا في سمفن إلى سمفن ثم فارقوهم وارتحلوا وسكنوا قليلاً في موضع قرب دكر يسمى إلى الآن وادي بوناب، ثم ارتحلوا عنه وسكنوا في لب جار اسم واد قرب سنس مك ثم ارتحلوا عنه إلى

جار مك وكانت في قريتهم تلك [361] لكثرتهم سبعة مساجد وكان إمَامُهُمْ لا تخلو له ليلة عن القص البهيمي لكثرتهم وكثرة مواشيهم ولقب إمامهم سه بكسر السين وسكون الهاء، ثم في هجرة الشيخ عمر ارتحلوا عن جار مك إلى سنس مك وهو مسكنهم إلى الآن عام 1924 من الميلاد.(463) ولهم من الحراثات نصف كلكل نسم تحت نباج بينها وبين ماتم، ولهم أيضًا (...) تسمى جاكل بوناب، ولقب إمام أهل ساردوك وأهل مك (...) سه كما تقدم ضبطه الآن.

272 - رواية عن الإمام الذي تزوج بإنسية وجنية وولديهما منه

وأصل إمامهم كما زعموا هذا في خرافاتهم من رجل نكح امرأتين إنسية وجنية وبنى لهما في داره بيتين وأسكن الإنسية في أحدهما والجنية في الآخر وأوصى الناس بالاحتراز والاحتراس من البيت الذي فيه الجنية وعلمهم بذلك وحذرهم منه جدًا، فما زال كذلك إلى أن حملتا منه في زعمه وولدتا ثم إنه صلى ذات يوم صلاة الصبح والضحى ثم شرع في أوراد يذكرها، فجاءت الجنية بولدها وأضجعته حوله وذهبت في شغلها، ثم جاءت الإنسية بولدها وأرادت أن تضجعه حوله فنهاها عن ذلك بإشارة السبحة فلم تفهم الإنسية إشارته ووضعت ولدها حوله وذهبت، ثم جاءت الجنية فأخذت ولد الإنسية تظنه ولدها، وكذلك فعلت الإنسية، ثم أنكرتا الولدين فلم تعرف الجنية الولد. ولما لم تر ولدها غضبت ونشزت إلى أهلها حاملة ولد الإنسية، ثم قالت الإنسية لزوجها إني منكرة لهذا الولد فأخذه الوالد وتبع به أثر الجنية فلما لحقها أعطاها ولدها وأخذ منها ولد الإنسية ولكن الجنية قالت له إذا ذهبت به فلعبوا له اللعب الذي وصفه، أن يدخل الكبار منهم رجالاً ونساء وسط الملعب ويرقص الشبان ويهمز اللعابون [362] بعيونهم ويغمزون بشفاههم ويرمزون بأيديهم كما فسر ذلك بعضهم بقوله همز بعين ثم غمز بفم والرمز أيضًا باليدين فاعلم وكذا ينظر اللعابون إلى السماء وأن غناءهم في ذلك اللعب كله ينتهي إلى قولهم (...) وحينئذٍ يصير الولد إنسانًا كاملاً وإلا فيخاف عليه، فلما رجع به فعلوا كما أمرت الجنية فما زالوا إلى الآن متخذين تلك العادة لكل مولود ومختتن منهم ولم يمتنع أحد منهم عن ذلك قط إلا امرأة واحدة امتنعت عن هذا اللعب لولدها فما زال الولد سفيهًا ناقص العقل فاقد الإدراك إلى الآن قد أفلجت وماتت يده ورجله، وزعموا أن كل من كان أصله من هذا الرجل فهو الأصيل في ساردوك والغير فرع، وقيل إن معنى ساردوك أنهم كانوا كثيرًا ما يرتحلون عن قريتهم ساردوك إلى المواضع غيرها ثم

463 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

أنهم كلهم يرجعون بعد ذلك إليها فلذلك [363] سموها بساردوك أي القرية التي كالتكة أي قرية التكة للسروال وهي الحبل الذي يجمع السروال ويعقد به والله تعالى أعلم، انتهى تاريخ بوناب ويليه تاريخ بروب وقدملب ومنهم جايب ودار.

[364] وفي تاريخ بنب زيادة وهي بعد قولنا:(464) (...) في الانتظار إذ طلع عليهم أولئك الذين يسوقون البقرات فأخذوا منهم بعد ضربهم أشد الضرب ورجعوا ببقراتهم إلى هولد، والله تعالى أعلم، ونص الزيادة: واعلم أن أهل تابري قد كانوا في زمن ملك داينينكوب كالشيوخ لهم وكان كبير بني تابري يلقب بإلفك، إلى آخر الزيادة ويليها بين هولد و(...) وفيها وقعت الفتنة بينه وبين محمود بن بيلي الصغير، إلخ.

273 - تاريخ أهل تابري

[365] واعلم أن أهل تابري قد كانوا في زمن ملك داينينكوب كالشيوخ لهم وكان كبير بني تابري يلقب بإلفك وهو الذي يلوي العمامة على رأس ستك الجديد، وهكذا حال داينينكوب إلى أن انقرضت دولتهم وانكسرت شوكتهم وظهرت دولة الشيوخ الإسلامية فأورثوا أهل تابري الخصلة التي كانت معهودة لهم وهي تلوية العمامة على رأس ستك، وكان كبيرهم أيضًا هو الذي يلوي العمامة على رأس الإمام الفوتي التورودي الإسلامي، وكانوا إذا عمموا الإمام يعطيهم فرسًا جيدًا، وأول إلفك في زمن التوردية الإسلامية إلفك دو أروي(465) وهو الذي فارق داينينكوب وسكن مع ألمام عبدل في سلن ومعه كلياب، وقد اكتسب دو أروي هذا حراثًا عند سلن، فلما ارتحل قومه إلى كاول تركوا تلك الحرائث في أيدي ذوي أرحامه من أهل سلن وهي الآن في يد راسن أحمد محمود سري، وما زالوا يبنون قسمته في مسجد سلن إلى الآن لأن أخته بوي أوري هي والدة أحمد محمود سري والد راسن أحمد المذكور، وأما دو أروي فقد مات في سلن وقد تخلف عنه في فرتبه إلفك كثيرون فلم يعيشوا بل ماتوا سريعًا وبعضهم يعيش في إلفكيته شهرين ثم يموت وبعضهم شهرًا ثم يموت وبعضهم جمعة ثم يموت، ومن إلفك أحمد مات والد سودة زوجة إلفك أحمد جاتر وكذا أخوها إلفك ممد أحمد مات وكذلك إلفك حمى عثمان وإلفك هد وكذا إلفك عثمان

464 - هناك انقطاع في سياق المخطوط.

465 - تعليق المؤلف: أهل تابري كبيرهم يلقب بإلفك وهو صاحب العمامة.

وكذا ولده إلفك جاتر عثمان بعد موته تخلف عنه ولده إلفك أحمد جاتر ومكث في الملك قدر ثلاثين سنة، وقيل أن المدة التي كانت بين إلفك دو أروي وإلفك أحمد جاتر ست أو سبع سنين وعدد المتخلفين في هذه المدة عشر كما قيل، والله تعالى أعلم، وكان إلفك أحمد جاتر في أول عصر الشباب زمن حياة ألمام عبدل وكان هو وأخوه إبرا جاتر قد ذهبا مع الإمام في غزوة بنكو وقد أخذا هنالك مأسورين وكان سبب نجاتهما أن لدمل سلطان كجور رجلاً صرعة يصرع كل من يصارعه في لعبة المصارعة فصرعه إبرا جاتر إلى أن انخلعت يده من كتفه، فحمله الناس متباشرين به مكبرين لشأنه لأن صرعة سلطان كجور المذكور هو الذي كان يصرع الناس كلاً ولا يصرعه أحد، فلما علم الناس بذلك السلطان أطلق إبرا جاتر من الأسر وأمره بالرجوع إلى فوت، فقال له لا أرجع دون أخي فأطلقهما السلطان معًا فرجعا إلى فوت، والله تعالى أعلم.

274 – واقعتا كلك (كلكل) وجمل دندو على إلفك أحمد جاتر (1239 هـ)

وقيل إن سبب سكنى إلفك أحمد جاتر [366] في دمك أن رؤساء أهل فوت قد اتفقوا على أن يأخذ كل كبير إقليم ما خرج من إقليمه من الأموال المأخوذة من الجنايات ويذهب بها إلى الإمام فيقسمها الإمام على الناس، وكان إلفك أحمد جاتر يذهب إلى دمك ويرجع بما حصل له هنالك إلى فوت، فلما رأى أن ثمر الله ماله وكثر موجوده وعظم جاهه ارتحل من داره من كاول إلى دمك وسكن في كلك، وقيل سبب ارتحاله عن فوت كثرة الفتن بين فنار وبوسى كفتنة سارن تلر أحمد دل ونحوها، فارتحل عن فوت ليتباعد عنهم وسكن في كلك وبنى فيها حصنًا من الطين حصينًا وصار يأكل جميع ما حصل له في دمك من غير مشاركة الإمام فأحرى غيره، فأرجف المرجفون من رؤساء فوت أن إلفك أحمد جاتر إنما أراد الاستبداد بملك دمك دون غيره فأرسلوا إليه الرسل ليحضر بين يدي الإمام فأبى، ومن جملة من أرسل إليه إلمان رنجو مع براوة من صلحاء فوت ليحضر فأبى، وقيل أن إلمان رنجو لما وصل إلى همد هنار أرسل إلى إلفك أحمد جاتر ليحضره عندها فأتى فأخرج له إلمان رنجو براوة رؤساء فوت وقرأها وإذا فيها من الكلام ما يوجب الغضب، فغضب إلفك غضبًا شديدًا وقال له ما حملك على حمل هذه البراوة إلي، أخرج عن القرية الآن وإلا أكسر أسنان أمك، قيل بل إنما قال له إلفك ابتلع البراوة وإلا أقتلك الآن فألقى إلمان البراوة في فمه فجعل

يعالج بلعها إلى أن ابتلعها خوفًا من الموت وخرج إلمان غضبان أسفًا راجعًا إلى رؤساء فوت وأخبرهم بما وراءه فغضبوا كلهم ثم اتفقوا على أن يرسلوا رسلهم إلى داينينكوب ليذهبوا مع تلك الرسل إلى ملوك البنابر مسل ليأتوهم بجيش عرمرم يقع على دمك ولهم جميع ما أخذوا من غير مقاسمة أحد، ومع ذلك قد سرق رجلان من داينينكوب فأخذهما أهل همد هنار وذهبوا بهما إلى كلك فأمر إلفك أحمد جاتر بحلق رأسيهما فحلقا فرجعا إلى قومهما فغضبوا لذلك جدًا لأنه مثلة عظيمة عندهم حينئذٍ وهذا هو سبب قدوم جيوش البنابر إلى دمك وإلقائهم الغارة من بروج إلى دندور وكسرهم قريته كلك، وفي ذلك العام اشتهر جمل دندور لكثرة القتلى عندها وسبي من الخلق ما لا يعد ولا يحد ومن جملة من سبي زوجة إلفك أحمد جاتر سودة وابنتهما رك التي ضربتها امرأة بمبرية وأفسدت عينها، وقيل أن سبب قتال كلك أن داينينكوب اجتمعوا ذات ليلة عند قريتهم وال ولعبوا لعبتهم المعروفة المسماة يله [367] وجعلوا يتواعدون، فقام صمب كنك دند وابن أخته فانقضى لعبهم على ذلك ثم قام من حينه وركب فرسه الحرة وقصد همد هنار وأتاها وقت الفجر وقال لمن رآه من أهل همد هنار هل بات هنا أحد من أبناء إلفك أحمد جاتر أو من أبناء أخيه أو من أبناء أخته، فقال له واحد من أهلها رأيت الآن ابن أخته حمات فالل ومعه عبده وحماره يريد حرائث كلكل بايل با، فلما لحقه علم أنه لا يقدر على أسره فصوب نحوه مدفعه البارودي(466) يريد قتله، فالتفت إلى جل وأخذ المدفع من يده وجذبه إليه واستلب منه ذلك المدفع فسقط صمب كنك دند من على فرسه فأخذاه هو وعبده وكتفاه ورجعا به إلى كلك مأسورًا وحلقوا رأسه المضفور المشوط وكان من عادة داينينكوب أن يضفر للشاب منهم أحد فودي رأسه ويمتشط الفود الآخر ولا يضفر، فلما سمع داينينكوب بذلك أتوا إلى إلفك أحمد جاتر فشفعوا له لعله يترك لهم صمب كنك دند فشفعهم فيه وذلك هو سبب إتيانه ببمبر، وقيل إن جملة المقتولين والمأسورين يوم كلك الذي هو يوم جمل دندور في دار إلفك أحمد جاتر خمسون إنسانًا وذلك لأن الوقيعة صادفت أول تزويج ممد إلفك أحمد جاتر وقد جاء لذلك إلى كلك من كل دار في كاول امرؤ ذكر وامرأة ولذلك عظمت الجائحة، وكان من جملة المأسورين من داره يومئذٍ ابنته رك إلفك أحمد جاتر وقد ضربتها البمبارية حتى اعورت عينها ثم خلصها الله من الأسر ورجعت إلى فوت وهي والدة ممد رك الذي صار الآن في فوت جلو وقد انقطعت أخباره عنا الآن لا ندري

466 – أي السلاح الناري أو البندقية سريعة الطلقات.

أحي هو الآن أم لا، وقد قيل أن له أولادًا من جارية له هنالك، والله تعالى أعلم، ومن جملة المأسورين يومئذٍ من داره زوجته سودة والدة أولاده ممد إلفك وعثمان إلفك وكر إلفك أحمد جاتر والدة خليلي إلفك أحمد بيلي والد إلفك صمب دفا رئيس فرل، وقد ذهب إلى بمبر ممد ألفك ولدها لفدائها منهم فأبوا إلى أن هربت تختفي نهارًا وتمشي ليلاً إلى أن وصلت إلى أهلها وقد قطعت النيل عند تياب فكساها أهل كلم وقد هربت معها حوفالل أخت حمات فالل الشقيقة وكانتا تغطيان رأسيهما في الليل بالحشيش فرآهما بعض أهل بمبر ليلاً كذلك فقال ما هذا الحشيش الماشي فقالت بلسان أهل بمبر ما كل ما يراه الإنسان ليلاً يذكره ويتكلم به فخاف وسكت وكانت قد مكثت في الأسر أعوامًا وقد مات إلفك أحمد جاتر قبل رجوعها إلى فوت، ومن جملة المأسورين يوم كلك من داره أيضًا بنت أخته كدهج والدة باب كد صاحب إلفك صمب دفا وقد خلصها من الأسر أهل جيش الشيخ عمر أخذوها من بمبر قهرًا وسنها يوم كَلَكْ [368] سبع سنين، من جملة المأسورين أيضًا يومئذٍ مود إبرا جاتر وهو ابن أخي إلفك أحمد جاتر ألمام إبرا جاتر. ورأيت في تقييدات ألمام محمد السلدي أن وقعت كلكل وجمل دندور في أيام إلفك أحمد جاتر كانت في عام 1239 من الهجرة[467] والله تعالى أعلم. ومما ينتظم مع ما مر أن دفا بيلي أخت إلفك أحمد بيلي خليلي قد أخذها البيضان في هجرة الشيخ عمر واسترقوها ومكثت عندهم زمنًا طويلاً فلما رجعت لم يستقم لسانها في كلام الفلاّن بل ما زال لسانها متخلطًا بلسان البيضان إلى أن ماتت ولم تترك ولدًا وكانت أمها ابنة لسارن دارل في كجان والله تعالى أعلم.

275 – عودة إلى الحديث عن إلفك أحمد جاتر: سيرته وبعض الأحداث التي وقعت أثناء ولايته

وأما كون حمات فالل الذي مر ذكره ابن أخته فلانة من سري عثمان أخو جاتر عثمان والد إبرا جاتر وإلفك أحمد جاتر، وأما سري عثمان فهو والد رحمة سري عثمان هي والدة تك عيشة التي هي تك تفسير بكل والدة ألمام ممد البمبي ولإلفك أخت تسمى دفا جاتر هي والدة دك دفا وممد دفا ودك والدة إبرا ألمام البمبي وممد دفا هو ممد حمات كر، ودك هذه هي رك حمات كر ولسري عثمان وجاتر عثمان أخت أخرى تسمى داد عثمان، والدة فالل

467 – عام 1239 هـ يوافق 1823 م.

حمات والد حمات فالل أيضًا، وداد عثمان هذه أيضًا هي والدة سودة إلفك أحمد مات زوجة إلفك أحمد جاتر هذا والله تعالى أعلم. ولإلفك أحمد جاتر وإلمام إبرا جاتر أخ يسمى عبدل إلفك جاتر عثمان وهو الذي قتل في بن بافل قبل تزويجه أو قبل أن يولد له، وبن بافل هي التي يقال لها الآن يرملي وقد قتله فيها رجل حداد قد وجده راكبًا على زوجته في بيته كما قيل، والله تعالى أعلم. وكان إلفك أحمد جاتر شديدًا وقد منع ألمام يوسف من دخول كنار وكان مع ألمام يوسف إلمان رنجو الذي يقال له إلمان فالل ولعله الذي كان مرسوله إلى إلفك كما مر، ثم بعد وقعة كلك وإخراب بمبر لها سكن في جنجول، فجاء جميع أهل فوت من ألمام يوسف لقتاله فهرب إلى مداير فسكن فيها وكان في مدة سكناه هنالك يغير على على فنار ودمك ويضر بهم جدًا. وفي تاريخ سري عباس عند ذكر ألمام يوسف: ومن غزواته غزوة قرية مداير بينه وبين أهل كجاك وسبب ذلك أن الغريق المذكور لما اشتدت المخاصمة بينه وبين ألمام يوسف امتاز إلى تلك الجهة، فلما مات المذكور قاتلهم الإمام يوسف وأفسدهم، إلخ، وفي تقييدات ألمام محمد السادلي أن قتال ألمام يوسف لداير وقع في عام 1240 من الهجرة[468] وفيه ولادة ألمام محمد السادلي هذا، والله أعلم. قلت وأنا أظن أن سبب غزوته لدار سكنى إلفك أحمد جاتر فيها، ولعله بعد رجوع الجيش جعل يغير [369] على قنار ودمك ويضربهم إلى أن الْجأوا ألمام يوسف إلى إرجاعه فأرجعه، وكان أهل مدار أيضًا قد أخذوا عبيده وأخفوهم عنه حين رجوعه إلى فوت، فلما رجع استجاش جيشًا قاتل به أهل مدار وسبى كثيرًا من عبيدهم أكثر مما أخذوا منه ولكنه لم يكسر حصنهم، وقول سري عباس: وسبب ذلك أن الغريق المذكور، إلخ، ومراده بالغريق سارن تلر أحمد دل الذي قاتله ألمام يوسف كما مر في تاريخ أنتاب، والله تعالى أعلم. وفي رواية أن إلفك أحمد جاتر لما طردوه إلى كلم فسكن في مداير صار يرسل أصحابه إلى دمك لتخويف رؤسائها ولأخذ الأموال حتى قيل أنهم قد دخلوا على سارن ممد وهاب ليلاً وهو في داره بسنس بممب فأيقظوه وأحاطوا به وأمروه أن يخرج لهم جميع ما كان في مخزنه من الثياب، فأخرج لهم ما كان عنده خوفًا على نفسه منهم، فرجعوا به إلى إلفك أحمد جاتر ثم بعد رجوعهم ذهب ممد وهاب إلى فوت واجتمع برؤسائها وقال لهم إما أن تردوا إلفك أحمد جاتر إلى قنار وإلا أرحل بقية عيالي إلى سلن، وحينئذٍ اتفق رؤساء فوت على مصالحته وردوه إلى قاول

468 – عام 1240 هـ يوافق 1824 م.

أو إلى دمك إلا أنه ما اقتصر عن الأكل في دمك إلى آن مات في دود رحمة الله علينا وعليه، وذلك لأنه لما رجع عن مدار سكن في جنجو إلى أن قام مع جيشه الذي استجاشه من قنار ودمك يريد قتال بند فلما وصل إلى دود أصابه مرضه الذي مات فيه ودفن في مقابر دود رحمه الله تعالى، ومن مساكن إلفك أحمد جاتر لقردنج في مرتن بين كري وكاول ويسمى مسكنه إلى الآن ويند إلفك، ومن مساكنه في دمك كلك ثم جنجول، وقد أسكن زوجته والدة بوب سري ابنه في هولد وجعل لها دارًا تخصها فلذلك سكنها بوب سري ولكن مسكنه هو في كلك وكذا جنجول لا غير والله تعالى أعلم، وإلفك أحمد جاتر هو الذي أسكن بوكر عال دند [370] في دابي وذلك لأن بوكر عال زوج لزينب أحمد سري بلل وإلفك أحمد جاتر كان زوجًا لميرم سري بلل والدة عبدل إلفك الذي مات في غزوات الشيخ عمر وعبدل إلفك هذا هو والد أحمد جاتر الذي كان يسكن في ورسيد إلى أن مات فيها، فكانت ميرم سري بلل زوجة إلفك أحمد جاتر عمة لزينب أحمد سري بلل زوجة بوكر عال دند والله تعالى أعلم. وقيل كان أهل آن في دك أوجه من أهل سارن تلر في كجلن وغيرهم من سائر قبائل آن في فوت، وكان منهم إلمان دك وكان أصل دك فود جسا بين سلن وكبل في جهة مشرق الطريق المارة جهة شامام وهو الحد بين قنار وبوسى، ودك جسا هو الذي تولى عليه إلمان دك من أهل كن كما قيل والله تعالى أعلم وأحكم، وكان إبرا جاتر ساكنًا مع أخيه إلفك أحمد جاتر في كلك إلى أن وقع عليهم بمبر وأخربوا كلك، فسكن إلفك أحمد جاتر في جنجول ورجع إبرا جاتر إلى كاول، وحينئذ ملكه أهل فوت عليهم وجعلوه ألمام، فلما مات أخوه إلفك أحمد جاتر في دود صيره قنار إلفك بعدما عزله أهل فوت عن ألماميته (أي إمامته) عليهم وصار إلفك مدة طويلة وقيل أن جملة مدة ألمامية إبرا جاتر وإلفكيته ثلاثون سنة والله تعالى أعلم، وكان ألمام إبرا جاتر هذا ورعًا سنيًا وكان لا يترك الدق وقت زوال يوم الجمعة يدق في القرية كاول حتى يزيله فأحرى غير الدق من الأعمال والملاهي الشغلة عن حضور صلاة الجمعة، وقيل إنه بلغ من عدله أن أمه تشاتمت مع امرأة قوالة فقالت والدته للقوالة أنت وسخ الناس فدعتها القوالة إلى شرع الله تعالى فلما أقرت والدته بدعوى القوالة قال لها إبرا جاتر وجب عليك الأدب بكذا من الأسواط إن كنت صحيحة البدن وإلا فالسجن، فقالت أنا صحيحة والحمد لله تعالى فضربت أدبها إلى أن تم [371] فقامت ودعت لابنها هذا إلى غير ذلك مما قيل في صلاحه، وكان إبرا جاتر يبيح مال من ترك تارزد وهو حائك من حشيش يحوط به خلف

البيت للاستتار به عند البول ونحوه، وكذا يبيح مال الذين لا يحضرون صلاة الجماعة في المسجد، وكذا يبيح مال أهل القرية الذين لا مسجد لهم، ثم قام بأمر إلفكية قنار بعده ابن أخيه إلفك ممد بن إلفك أحمد جاتر وصار يأكل دمك أكلاً لمًا، وقيل هو الذي أخرج بكار ول سويد أحمد عن دمك عام 1279 من الهجرة[469] حين أغار عليهم فطرده إلفك إلى مرتن في العام المذكور، وقيل ليس هو المخرج لبكار عن دمك في ذلك العام والله تعالى أعلم، وقيل إن مس فدرب قد أعطاه جميع العبيد الذين جاءوا من مملكة الشيخ عمر أو رجعوا من هجرته، فولى ذلك الأمر عمر سام فأقام في البوسبطة بكل لذلك يأخذ له كل عبد قطع البحر من مرتن يريد بند أو فوت، وعمر سام هذا من أهل جل من آل ألفا صمب سام، ومن مساكن إلفك ممد في دمك جنجول وساند وهردلد وهولد وبك تنج، ومنهم من زعم بأنه قد سكن أيضًا في بغلل والله تعالى أعلم، ولما سكن في هولد بنى فيها حصنين حصنًا محيطًا بداره وحصنًا محيطًا بالقرية وقد سكن قبله في بك لوس وهو موضع يعرف أيضًا بتنج بين.[470]

276 - لمحة عن القبائل التي تنتمي إلى ورك

[372][471] [373] انتهى تاريخ جايجب وبانتهائه ينتهي تاريخ قنار ويليه تاريخ ورك[472] أي أهل السنكال الأول من أهل فوت القدماء، وفي عبارة وهم أهل فوت من الفلاّن وسب الذين أصلهم من جلف ونمدر، ومنهم أرط جوب وأرط بال وأرط هميب وفرب جول من ورك أصلاً ثم صار من أهل كنار آخرًا، ومن ورك نباج سول وبك سبد لأنها من ورمول وكذا دلاج دمب لأنها من آجم كد وكذا دومك ورسارن وساد عباس وساد سب وكاول وساركر جلب وبادلناب في سلن لأنهم من سوواب وهورفود إلا ألفا عمر ونحوهم فمن بوسى، ومن ورك أيضًا بول بران وكلي فلاّنها وكذا توربها ولك وبك ونمي لأن أميرهم جوم بمب وكانوا ساكنين في بمب وإنما أخرجهم إلى نما تواد ألمام عال ومعنى تواد الحمى للمواشي والمزارع، ومن ورك أيضًا مر وكليار وغيرهم، ومن ورك أيضًا واد بوسياب في دمك وكذا فلاب مطلقًا وغيرهم وهؤلاء

469 - عام 1279 هـ يوافق 1862 م.

470 - تعليق المؤلف: إن ما أورده عن تاريخ ورك محله من حيث سياق الكتاب بين تاريخ جايجب فوت وتاريخ بوسي.

471 - لا تحتوي هذه الصفحة من المخطوط سوى على تعليق المؤلف الوارد في الهامش السابق.

472 - أي السنغال، للتعرف على سكان السنكال القدماء، راجع هامش رقم (4)، ص. 69.

كلهم كان يطلق عليهم اسم ورك، قلت ولعل ذلك لكونهم أول من قطع النيل من مرتن وسكن في السنگال وإلا فإن أصل كل الناس من المشرق، وأما فلاب فسيأتي ذكرهم في تاريخ وطاب إن شاء الله تعالى، وكذلك يطلق على قرى أجمات كلها اسم ورك إلا أجم ليدب فإنهم من بوسي من أهل جفان بالسند، ومعنى أجم في كلام الفلاّن الأولين اسم نوع من أنواع الضفر وكانت التي تضفر ذلك النوع امرأة في أجم كل وكل من تضفر بذلك النوع يقال له أنك تضفرت بضفر أجم كل فجرى الاسم أجم على كل لأنها كانت مسكن تلك المرأة التي كانت تضفر بذلك الضفر، فهي أول قرية جرى عليها [374] هذا الاسم من القرى أجمات إلى أن صار غيرها من القرى التي حولها يقال لها أجم إلى الآن بالغلبة وهي بارك وتل سل وكد وسولو ورسري وسطي وليدب وورمول، وهي تسع قرى وكلها يطلق عليها هذا الاسم أجم، والله تعالى أعلم. وهذا ذكرهم إجمالاً وأما تفصيلاً فكل من عرفنا من أمره شيئًا منهم فسنذكره إن شاء الله تعالى وإلا فلا.

277 - ذكر فروع بعض قبائل ورك وبعض حكامهم

وقد كانت بوسياب وقسمة وركنكوب واحدة كما قيل، والله تعالى أعلم، ومن رؤساء ورك بمي في هورفود وهو من قبيلة جان وأصلهم من جلف وقد هاجروا عنها ومعهم لوب جقجقب ومروا ببند، فانضم إليهم لوب جاجاب وتجاوزوا إلى بكل فسكن فيها فرقة منهم، ثم تجاوز الباقون فبقيت فرقة منهم في مداير ثم فرقة في هادبر ثم فرقة فرقة في ودر، ثم تجاوز هورفود فوجدوا فيها دودوب وسويب وسهاناب وسايبروناب ويعرفون بفطرناب لقلة عقولهم عند الحرب، فسكن جايب معهم، ثم إن هؤلاء القبائل كلها اتفقوا على تقديم جايب عليهم لوفور عقولهم كما زعموا، وقيل أن أمير هذه القبائل قبل جايب كان من دودوب لأنهم الذين كانوا ملوك نمدر، ومن ملوكها وال دوا وهو آخر ملوكها كما قيل، فلما فسدت نمدر سكن بعض بني وال دو في هورفود ومن قومه قبيلة سوي وسابور ومنكان وسجان ودبلان وغير ذلك من القبائل، وكانت قبيلة دو وقبيلة سوي متقاربتين قلوبًا وأحوالاً من منذ زمن قديم ولهم من النجارين نجارو السفن ولقبهم جم ويقال لهم لوب ورقنكوب، ويزعمون بأن أحدًا من هؤلاء النجارين إن يمت واحد من أهل دو أو من أهل سوي وإن مات واحد من هاتين القبيلتين يمت أيضًا واحد من لوب ورقنكوب هؤلاء، والله تعالى أعلم، واعلم أن غالب ألقاب

أهل نمدر كلها هي ألقاب أهل جلف وكجور ومنها بكر وكبور ولكور وسلور وجنور [375] وغيرها من الألقاب التي ذكرناها في تاريخ بند.

278 - رواية عن النزاع حول صيد الأسماك وتولية الرجل الذي كان سببًا في إنهاء النزاع

وكان أمير دودوب وقومه يصطادون السمك في وادي بايل مك تحت هورفود جهة المشرق أو الوادي جلجل عند هورفود أيضًا ويتقاتلون لأجل تلك السمك (السمكة) وذلك لأن كل من يصطاد حوتة إذا أخذها يرميها خارج الماء بلا علامة فتختلط الحيتان بعضها ببعض، وإذا صدروا عن الوادي أي خرجوا عنه يتفاتنون في قسمة تلك الأسماك لأن كل واحد يقول للآخر أخذت سمكتي حتى يقتل بعضهم بعضًا، ثم يرجعون إلى القرية لهم الذين لم يصطادوا معهم في ذلك اليوم من مات منكم اليوم فيقولون مات فلان أو فلانان أو فلانون، وهكذا إلى جاء هؤلاء جايب فحضر اصطيادهم للسمك واحد من جايب وكان عاقلاً وكان قد رآهم أولاً يتحوتون ويقتتلون بسبب التباس الأسماء عليهم فحضرهم ذات يوم وجعل يميز أسماك كل واحد منهم عن أسماك الآخر إذا رموها خارج الماء، فلما صدروا عن الماء أي خرجوا عنه أعطى كل واحد منهم أسماكه فرضوا بذلك ورجعوا إلى أهلهم سالمين وافرين غير ناقصين، فقيل لهم من مات منكم اليوم فقالوا لم يمت منا أحد اليوم فتعجبوا من ذلك وسألوهم عن السبب فذكروا لهم الرجل فعله فقيل أين هو فقالوا ها هو، ثم اتفقوا مع رئيسهم من أهل دو أن يقدموه رئيسًا حاكمًا عليهم فجعلوا في يده جميع آلات الرياسة عندهم إلا الدف فتركوه في دار الذي كان رئيسهم من أهل دو وأما غير الدف من وظائف الملك فقد أعطوه جميعها فقبل الرجل وسكن معهم من ذلك الآن، وكان كل من مات منهم بلا وارث يرث بمي حرائثه كلها وهذا سبب ملكه للحرائث، وكذلك ستك قد أعطاه جل حرائث وطاب حين أجلاهم عن فوت لقتلهم ولده كما سيأتي في تاريخ تور عند ذكر وطاب إن شاء الله تعالى.

279 - ذكر أنساب القبائل التي تنتمي إلى ورك

وزعم بعضهم بأن جايب وجدوا قبائل ورقنكوب في هورفود ساكنين [376] في الحفرات، والله تعالى أعلم، وزعموا أيضًا بأن بمي ما كان يحرث له حرث بل كلما وجد من الحرائث يعطيه لورقنكوب ولا يأخذ منهم إلا دقيق الزرع المطحون فيأخذ جابيه من كل دار

شيئًا من الدقيق حتى يجمع قدر ما يكفي بمي وعياله في اليوم والليلة، وفي غد أيضًا يأخذ كذلك وهكذا إلى أن زال ذلك وصاروا يحرثون. وأما أصلهم فمن قلاين تس بورجلين والد بج قلاين، وبج قلاين هذا هو المهاجر من قرية تسمى مي أو سارمي وأميرها يسمى إلى الآن بم مي، قلت فلذلك سموا أميرهم في هورفود بمي إلى الآن، والله تعالى أعلم، وبج قلاين المذكور هو والد عمر بج والد بوب عمر والد مود بوب وصمب بوب ومالك بوب، وأما مالك بوب فقد انقرض عقبه إلا من الإناث، وأما مود بوب فهو والد حمت مود والد بج بي وسيد بي، وأما بج فهو والد لب بج والد بوس لب وسري لب، وأما بوس فهو والد صمب بوس وسري بوس وسري بوس ودمب بوس، وأما صمب بوس فهو والد صمب دمب والد عثمان صمب وهو أيضًا والد بمي مم صمب في هورفود والد أحمد بمي وزيربيد عال شاب الآن صغير، وأما صمب سري فهو والد حمات صمب في هورفود الآن، انتهى فرع صمب بوس، وأما سري بوس فهو والد فالل سري ودمب سري وصمب سري، وأما فالل سري فهو والد حمد فالل والد جب حمد والد أحمد جب وممد جب في هورفود الآن، وأما دمب سري فقد انقرض عقبه، وأما صمب سري فهو والد عبدل صمب والد صمب عبدل في هورفود الآن، انتهى فرع سري بوس، وأما دمب بوس فهو والد محمود دمب والد سري محمود والد صمب سري في هورفود أيضًا الآن، انتهى فروع بوس لب، وأما سري لب فهو والد مالك سري والد سري مالك والد صمب سري والد سري صمب وعلو صمب، وأما سري فهو والد ممد سري في هورفود الآن، وأما علو صمب فهو سالم الآن في هورفود، انتهت فروع بج بي، وأما سيد بي [377] فهو والد عال سيد والد حمات عال الذي اكتسب أرضهم وحرائثهم التي كانت في بكجو برًّا وبحرًا إلى الحد الذي بينهم وبين فرب جول، ثم انتقل إلى هورفود وترك تلك الأرض في يد ابن أخته فايل عال الذي هو من جايب أيضًا، ثم لم تزل تلك الأرض في ملكهم إلى أن دخل ملك فرانس في فوت وكانت بكجو مسكنا لعبدل بوكر حينئذٍ بعد دابي وكان جايب الذين هم معه فيها وزراء له مقربين جدًّا فلما خرج عبدل بوكر عن فوت لدخول فرانس:

بــقــي هـــؤلاء فـــي خـــوف ووجـــل
حَـــيَـــارَى يَمِـــيـــدُ بِـــهَـــم شـجـوهُـم

و جاء إلى بكجو إبرا عبدل الذي هو أول سافد كنتن الذي جمع بين ملك قنار ودمك بعد قتل أخي وحبيبي الشيخ محمد المقامي، فقال لأهل بكجو من يشتري مني أرض جايب

التي هنا فاغتنم ألفا عيس من سرخل بكجو تلك الفرصة فقال أنا، فقال أعطني الآن أربعين بيصة[473] أو ثلاثين فهي لك، فأعطاه المبلغ في الحال مع أن هذه البيصات كلها لا تفي بثمن حرث واحد منها فخاف جايب من الاشتكاء إلى فرانس إلى الآن لظنهم أن هذا أمر من فرانس، وأنا أظن أن الأمر من إبرا عبدل فقط من غير علم فرانس بأصل الأمر، والله أعلم، وبهذه الواسطة صارت أرضهم لسرخلات بكجو إلى الآن، والله تعالى أعلم، واعلم أن حمات عال الذي اكتسب أرض جايب التي في بكجو ثم انتقل منها إلى هورفود هو والد برم حمات والد لب برم والد إفرا لب وإسما لب، وأما إفرا فهو والد مالك إفرا وحسن إفرا وعمر إفرا، وأما مالك فهو والد بمي ممد السالم الآن في هورفود، وأما عمر إفرا فهو والد حسن عمر في هورفود الآن، وأما حسن إفرا فهو والد برم حسن في هورفود الآن، وأما إسما لب فهو والد حمات إسما والد برم حمات وعال بر وكلاهما في هورفود الآن أيضًا، [378] انتهت فروع سيد بي، وأما صمب عمر بج قلاين تس بور جلاين فهو والد حمد صمب ولب صمب، وأما حمد صمب فهو والد لب حمد وبج حمد، وأما لب فهو والد حمد لب ودمب لب وبوب لب، وأما حمد فقد انقرض عقبه إلا من الإناث، وأما دمب لب فهو والد سيد دمب وجب دمب، وأما سيد فهو والد صمب سيد وبوب سيد، وأما صمب سيد فهو والد صمب فر في هورفود الآن، وأما بوب سيد فهو والد صمب بوب في هورفود الآن، وأما جب دمب فهو والد سيد جب والد بمي دمب سيد مضيفي الذي في هورفود الآن، وكذلك حمات سيد وصمب سيد وهما سالمان الآن في هورفود، انتهى وبانتهائه انتهاء فروع لب همد صمب بوب عمر بج قلاين تس بور جلاين، وأما بج همد فهو والد صمب بج والد صمب الذي عقبه الآن إناث وهو أيضًا والد حمزة صمب والد همد حمزة والد سيدات ممد في هورفود الآن، وسارن صمب الذي مر ذكره الآن هو والد رحمة سارن والدة بمي دمب مضيفي الذي هو بمي الآن في هورفود عام 1924،[474] وأما بوب لب صمب بوب عمر بج قلاين تس بور جلاين فهو والد عال بوب والد صمب عال ويعرف بسلمن والد بمي صمب سلمن والد ممد بمي وير بمي وبوكر بمي، وأما ممد فقد مات وبقي ير بمي في هورفود، وأما بوكر بمي فهو والد موسى بوكر وير بوكر

473 - البيصة: من الراجح أنها عملة نقدية محلية متداولة، ولعلها تحريف لكلمة البياصتر (القرش) (Piastre) الشائع استعماله بغرب إفريقيا والمغرب الإسلامي.

474 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

وكلاهما في هورفود الآن، والله تعالى أعلم، واعلم أن صمب بج الذي مر ذكره الآن هو بمي صمب بي وهي أمه وهو الذي وافق زمنه زمن ألمام عبدل وهو الذي طرده بمي برم حمات عال الذي اكتسب أرضهم في بكجو كما مر، وذلك أن جابيه المسمى جكل كان يجمع بين أخذ كراء الأرض والزكاة بإذنه، فامتنع صمب بي عن إعطاء الكراء أو منع أحبابه عن إعطائه فطرده بمي برم حمات عال عن السكنى في هورفود، فذهب إلى ألمام عبدل فاشتكى إليه ذلك، فقال له إن منعك [379] عن أن تسكن معه فاسكن في آجم كل، فسكن فيها إلى أن مات بمي برم، فخلف ألمام عبدل بمي صمب بي المطرود على هورفود، فعزل جكل وخلف عنه جابيًا يسمى دمب فات وأزال كراء الأرض عن أرضهم فلا يؤخذ في حرث منها كراء، واستمر ذلك من ذلك الزمن إلى الآن، وإنما تؤخذ من حرائثهم الزكاة فقط من ذلك إلى الآن، وقيل إن السبب في ذلك أن بمي برم حمات عال كان يمنع الناس من أن يبذروا حرائثهم بعدما غاض السيل إلا بإذنه. قلت ولعله ألا يعد إعطاء الكراء فخالفه صمب بي وبذر حرثه قبل إذنه فطرده بمي برم فذهب إلى ألمام عبدل واشتكى إليه ذلك فأمره بالرجوع إلى كل ويسكن فيها ففعل ثم ما زال ساكنًا فيها إلى أن مات خصمه فولاه الإمام عبدل عليهم بمي فأزال كراء الأرض واكتفى عنه بالزكاة فقط، والله تعالى أعلم، انتهى نسبهم ولم نترك منهم إلا بعض من صار عقبه إناثًا، والله تعالى أعلم.

280 - ذكر القبائل التي سكنت هورفود

واعلم أن بيوت هؤلاء جايب ترجع بيتين يقال لهما جايب بلايب أي السود وجايب وطاب أي الحمر وهم من بوس لب إلى آخر ما يتفرع عنه، وأما جايب بلايب فهم الذين تفرعوا عن غير بوس لب، وقيل إن من جملة من كان تحت حكم بمي في ذلك الحين جميع جنكات تور وأن دودوب هم الذين يختارون من يليق بالملك من جايب مع وفاق أهل القرية ديت وسنس، [380] وغالب سكان ديت جايب ودودوب وأهل سابور، واعلم أن من خاصية السكنى في ديت أو سنس صيرورة الساكن أو ذريته من سب لا غير، وكذلك السكنى في جول أو كيهيد أي تلد، والله تعالى أعلم، وقد رأيت في ديت وسنس أهل قبيلة آن وأهل قبيلة أج بجيم شبيهة بالسين وهو لقب إلمان رنجو، وكذلك رأيت فيهما أيضًا أهل قبيلة تال وغيرهم من قبائل تورب، وقد صار الكل من سب هورفود بالمناكحة وترك التعلم والقراءة ونحو ذلك، وأما أصل قبيلة

آن في هورفود، فأول من جاء منهم عمر آن أصله من بايلناب فجاء إلى هورفود فسكن فيها ومن بعض ذريته حمات عمر وسلي عمر وغيرهما، وقد اكتفيت بذكر هذين دون غيرهما للاختصار، وأما حمات عمر فهو والد دك حمات والد يردك والد صمب ير والد أحمد صمب أحمد والد حمات صمب والد إلمان ممد حمات المخبر، وأما سلي عمر فهو والد جاي سلي الذي هو جاي آن الذي جاء لأندر وولد فيها ولده المبارك تَفْسِيرْ حمَّاتْ جَايْ أَنْ الذي كان أول قاض إسلامي في أندر، وقيل هو أول من عقد النكاح فيها وهو والد ممد آن الذي كان قاضيًا في خاي فعزل وهو اليوم في أندر ولعل له إخوة من أبيه، والله تعالى أعلم، ولتفسير حمات أيضًا بنت مباركة وهي آمنة تفسير كانت زوجة لأخي الشيخ محمد المقامي ومن أولاده منها عبد السلام سايفد كنتن دمك في ديوان ماتم وله منها أيضًا بنت مباركة وهي هند زوجة المترجم لسان الدولة [381] الفرانساوية في السنگال ومرتن دود سك، ولجاي سلي الذي هو جاي آن أخ يسمى بوب سلي والد صمب بوب وعال بوب، وأما صمب بوب فهو والد ألجما صمب والدة إلمان ممد حمات المخبر أيضًا، وأما عال بوب فهو والد عبدل عال والد لمن عبدل ومحمد عبدل الحيان اللذان في هورفود الآن وأصلهم من عمر آن الذي هو عمر بن صمب بن دمب بن بران، وقيل إن عمر آن خرج من بايلناب لطلب العلم ثم ساقته المقادير إلى هورفود فأخذه بعض بمجات ديت فأعطاه امرأة وحرائث مع إمامة المسجد، ولذا إذا اجتمع قبائل هورفود للتعييد فبنو عمر آن هم المقدمون لصلاة العيد إلى الآن، والله تعالى أعلم، انتهى. وأما أصل أهل أج وأهل تال وغيرهما في هورفود فلم أتمكن من استخبار أمرهم وأصلهم، والله تعالى أعلم، وفي هورفود أيضًا قوم من جاننكوب ولقب رئيسهم لامجان ولقب القبيلة بج وسناتي بهم عند تاريخ يرلاب إن شاء الله تعالى. ونريد الآن أن نذكر هنا فروع دودوب الذين في هورفود وغيرها كبوسياب وفروع سابورناب كذلك وفروع سويب كذلك، وأما فروع دودوب فأصلهم وال دو والد سنكل وال وير وال وسب وال والد فرسب والد حمد فند والد لب حمد والد بوب لب الذي أتى به صمب سري كت من بند إلى كنكل وقد ذكرنا فروعه في تاريخ داينينكوب وقد اختلف في فند هذا، فقيل ذكر وقيل أنثى، والله تعالى أعلم، ولم يذكر المخبر عقب سنكل وال ولعل المانع من ذلك الجهل والنسيان، ولوال دو أخ يسمى عال دو والد فطل عال وحمت عال، وأما فطل عال فهو والد سودا فطل والد حمد سودا والد عمر حمد حيموت حمد وعل حمد، وأما عمر حمد فهو والد حمات عمر وسيد عمر وصمب عمر،

وأما حمات عمر فهو والد عثمان حمات وعلو [382] حمات، وأما عثمان حمات فهو والد دور عثمان وبوكر عثمان وبر عثمان وحاميد عثمان في بوسياب، وأما علو حمات فلم يعقب إلا بنتًا، وأما سيد عمر فهو والد ممد سيد ودمب سيد، وأما ممد سيد فهو والد علو ممد وداود ممد، وأما علو فقد مات وترك ولدًا يسمى ممد علو، وأما داود ممد فهو في بوسياب كريم سخي، وأما دمب سيد فهو والد بيد كمب أمير بوسياب الآن وكذا أخيه صمب كمب، وأما حمد سودا فهو الذي هاجر إلى بوسياب وقيل ولده عمر حمد ويعرف بعمر جلل وجلل أمه وهي من قبيلة سابور وكان كبير هجرتهم يومئذٍ أخاها حمات حسن من قبيلة سابور أيضًا وحمد سودا هذا هو أول من أسلم منهم، وأما حيموت حمد فهو والد سيد حيموت والد ممد سيد ومسكنه الآن في فوت جلو، وأما عل حمد فهو والد كلاج عل والد مود كلاج والد عال مود وسيد مود وهم في سنس قرب وأبوهم مود هذا يقال له مود كد وقد رزق من الأولاد مائة ولد حتى صار يقال لكثير الأولاد بسك مود كد أي ولادة مود كد، وأما حمت عال فهو والد ير حمت والد فات ير والد عال فات والد دمب عال وعلو عال وسلي عال، وأما دمب عال فهو والد دكي دمب وسيد دمب وير دمب، وأما دكي فهو والد مالك دكي وحرم دكي وصو دكي، وأما مالك دكي فقد مات وترك ولدًا، وأما صو دكي فلم يعقب إلا أنثى، وأما حرم دكي فهو في قيد الحياة في هورفود، وأما سيد دمب فهو والد لن سيد كبير دودوب في هورفود الآن، وأما ير دمب فقد نسي المخبر أمره ولم يذكر أيضًا حال علو عال وسلي عال من دودوب هورفود بشيء لا أدري هل ذلك لجهله أم لا، والله تعالى أعلم.

281 - ذكر نسب سكان نواحي هورفود

وأما نواحي هورفود فمنها سنس وديت، وأما ديت فسكانها [383] جايب ودودوب وسابورناب وهم أئمة مسجد ديت، وقيل أول من تاب من سودان ورك أي سب ورك كلا سيد ير من أهل سابور وهو الباني لمسجد ديت وإخوته سبود ير وحسن ير وبرس ير أولاد ير ملاط، وأما سيد ير فهو والد لن سيد والد علو لن والد سالف علو والد عبد سالف في هورفود، وأما سبود ير فذريته الآن إناث فقط، وأما برس ير فهو والد حمات برس والد لن حمات والد أحمد لن والد بيلي أحمد وهو في هورفود إمام مسجد سنس، وأما حسن ير فهو

والد حمات حسن الذي هاجر من هورفود إلى بوسياب وكان كبير هجرتهم ثم ترك بني أخته جلل من دودوب وغيرهم في بوسياب وتجاوز هو إلى دط بك في فرل فوت وسكن فيها وهو والد سالف حمات وفات حمات ودو حمات واسم أمهم جب من أهل فوت جلو، وأما سالف فهو والد ممد سالف وصمب سالف الذي هو سارن صمب الذي كان في بوسياب وهو والد جب سارن صمب وعثمان سارن وعبد الله سارن وجب الآخر وكلهم في بوسياب إلا جب الأول فإنه كان ساكنا في دكار ويعمل في دار ماير، وأما فات حمات فهو والد دم فات وكان أمير دط بك ولم يعقب إلا إناثًا، وأما دو حمات فهو والد جوك دمب وبيد دمب، وأما جوك فهو والد عثمان جوك وقد قتل في غزوة سابا ولم يعقب، وجوك أيضًا والد سري جوك وهو أمير دط بك الآن وهو أخو صمي جوك ودمب جوك، وأما صمب جوك فقد مات وله عقب، وأما بيد دمب فهو والد كار بيد والد ممد كار وعمر كار، وأما ممد كار فقد مات ولم يعقب، وأما عمر كار فهو في قيد الحياة [384] في دط بك، ومعنى كار في كلامنا الثور. وأما فروع سويب فأصلهم دبك قد هاو من قبيلة سوي وهو والد برك دبك وصو دبك وحمات دبك، وأما برك فعقبه الآن إناث، وأما صو دبك فهو والد حمد صمب وجلن صمب وسنك صمب وسري صمب، وأما حمد صمب فهو والد بوب حمد وجنكد حمد، وأما بوب فهو والد عمر بوب وداود بوب في بوسياب، وأما جنكد فهو والد سيد جنكد الذي هو سيد هب، وأما جلن صمب فهو والد حمد جلن وقد مات وعقبه إناث، وفي بوسياب واد صغير يسمى جلن وكان ذلك الوادي من حرثه ويحرث فيه الآن الأرز، وأما سنك صمب فهو والدحمد سنك والد سيد حمد وسلي حمد، وأما سيد فلم يعقب إلا بنتًا، وأما سلي فهو والد دمب سلي والد بوكر دمب وألسن دمب وموسى دمب وهم في بوسياب يضافون إلى أمهم واسمها جار، وأما سري صمب فهو والد عبدل سري وعمر سري، وأما عبدل سري فهو والد كاليد عبدل والد سيد كاليد في هورفود، وأما عمر سري فذريته أيضًا في هورفود، وأما حمات دبك فذريته إناث لا غير ولقب الكل سوي، وأما في أول الخريف إلى أن ينقضي عمل حرائث السيل فلقبهم دمان، قلت ولعل منهم أصل جما عيشة والد بوكر جما وكذا أصل أحمد بوكر كما قيل بذلك، والله تعالى أعلم، وقد مر مثل هذا في تاريخ داينينكوب عند الكلام في أمر ورنكوب.

282 - نص رسالة بعث بها الشيخ إلمان سعيد إلى شيخه سيدي باب

واعلم أن سويب قد صار بعضهم من تورب الغالين كالذين في سلناب منهم وهم أئمة مسجد سلناب ومنهم السيد الجيد والشيخ المؤيد مريد الشيخ سيدي وكان يسمى في سلناب إلمان سعيد لأنه صار إماما لمسجد سلناب بعد موت من قبله من أئمة سويب وتوفي في هذه الأعوام القريبة رحمة الله [385] علينا وعليه، آمين، وقد كنت رأيت له قصيدتين يمدح بإحداهما شيخه الشيخ سيدي باب ويمدح بالأخرى أهل بوسي، وكذا رأيت له براوة كتبها إلى شيخه الشيخ سيدي باب، وأما القصيدتان فلم تحضراني الآن، وأما البراوة فنصها: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، فمن سعيد بن عبد الله إلى شيخه سيدي أدام الله الخير علينا وعليه وأخذ بنواصينا جميعًا إليه بالسلام التام والطيب العام موجبه أوجب الله لنا ولكم العافية في الدنيا والآخرة، إني أحب إن يسر الله لك أن تقول لكبلان أي أمير النصارى أمر أرضنا المغصوبة في جهة رك ولدهيب ولنا قطعة أرض يسمى دن في أرض تسمى جوت أصلها من أرض فرب إرم ولكن أخذها أجدادي ببركاتهم وبركة حجابهم لفرب إرم لأن جدي رجل صالح ذو الكرامات والدعوات المستجابات فطلب له فرب إرم أن يدعو له ويعينه حتى يغلب أعداءه ويطردهم عن أرضهم جوت وشرط عليه جدي إن غلب أعداءه أن يعطيه أجرته قطعة أرض تسمى دن، ففعل جدي ذلك واستجاب الله دعاءه فأعطاه فرب إرم هذه القطعة، هذا هو السبب في أرضنا فمن زمن البدعة هي في أيدينا قبل إمارة ألمام عبد القادر أمير فوت وقد حزناها نحو مائتي سنة وإن شئنا نكريها لأسوانك أي سرخل الذين في كيهيد وإن شئنا نحرثها حتى استولى النصارى علينا وجعلوا أرض فرب إرم أرض بيت المال[475] فأدخلوا قطعة أرضنا معها وأعطوها لسرخلات كيهيد ظلمًا حتى أن جميع أهل فوت يشهدون على أرضنا أي حرائثنا ونحن من رؤساء الزوايا في فوت والحال أن النصارى بقولهم في براواتهم أن حرائث الزوايا لا تدخل في أرض بيت المال ولم نعلم بأي سبب أخذوا [386] أرضنا ولسنا من أرط ولا من جاكرف بل نحن من الزوايا في الأصل إلى الآن حتى جاء الإمام عبد القادر وكتب لأجدادنا أن لا يؤخذ عليهم شيء من الخراج وقد حيزها لهم في كل حرث من الحرائث، ولكن لما فسد الزمان وقل الأمان وكثر

475 - أرض بيت المال: الأرض الأميرية التي تعود ملكيتها للدولة أو التابعة للحاكم يتصرف فيها كما يشاء.

الفجار مع استيلاء النصارى صار يأتي إليهم الفجار بالكذب ويقولون لهم وهم لا يعلمون إن أرضنا أرض بيت المال، واعلم أن أرضنا هذه بينها وبين كيهيد نحو خمسة أميال من جهة المشرق مجاورة رق ولدهيب، وقد شكونا إلى النصارى غير ما مرة ولم ينفع شيء من ذلك ولو أمرونا بالمحاكمة عند القاضي ليعلموا أن حرائثنا ليست من حرائث بيت المال، وإن يسر الله لك هذا الأمر يا شيخنا فالحمد لله رب العالمين وإلا فلا حرج عليك، ويسلم عليك أحمد وإدريس والسلام، يوم تسع وعشرين من ذي الحجة عام أكسش 1321،[476] وقبيلتنا تسمى سلناب من زوايا فوت، اهـ. قلت ولعله قد مات قبل إرسال البراوة إلى الشيخ سيدي وقد رأيتها عند ابن أخيه إلمان عبدل واسمه أحمد إلمان عبدل وهو الذي نقلها لي وخطه عندي إلى الآن، وقد ذكر لي أحمد إلمان عبدل هذا ناقلاً عن آبائه سويب سلناب وسويب ودبر أصلهم واحد، والله تعالى أعلم.

283 - أخبار عن فروع فرب إرم

وأما فرب إرم فإن أصله كان من بوسي ثم صارت فروعه من أهل ورك فلذلك نذكر فروعه هنا، فقيل إنه هاجر من جلف إلى كيهيد وكان مسكنه كنك إرم المسمى بسلن إرم ومعه جوفناب وغيرهم ولقب إرمناب بجك وقيل أن أصل لقبهم بَهْ وكان مسكنهم في مرتن، وسبب تلقيبهم ببجك اسوداد قلوبهم وسوء أفعالهم وغلبة حسدهم وكثرة غلهم وفساد طويتهم لأن معنى بجك مشتق من العكس في كلامنا والدليل عليه أن ألقاب غالب سب ورقنكوب كلها من جلف [387] وكجور ونحوهما من بلاد ولف إلا بجك، فليس في بلاد ولف من لقبه بجك أصالة أصلاً، والله تعالى أعلم، وقيل إن أصل فرب إرم وفرب جول وفربال وفرب واللد وفرب جم كلهم كانوا من رؤساء عبيد سلطان وكد فلما فسدت دخل كل واحد منهم في الفلاّن الذين دخل فيهم، والله تعالى أعلم، وقيل أن فرب إرم الذي قتله كل في سلن إرم اسمه قني وكانت له بنت تسمى ساغو قني وقد كان تزوج به صمب فال رئيس أجم بارك وأصله من بول ومنه فالب بارك، واعلم أن فرب إرم قني هذا من قبيلة بجك فلما فسد ملكه بقتله برمان ذهب ولد ولده صمب دو قني إلى ستك سيبوب في جاب فلاذ به وهو أول من أسلم منهم كما قيل وله حرائث كلكل في جاب، وكانت أخته عيش دمب متزوجة في جاب

476 - عام 1321 هـ يوافق 1903 م.

وهي والدة سل عيش والد سري سل والد ير سري وصمب سري، وأما ير سري فهو والد عباس ير والد سري عباس، وقيل أول من أسلم منهم ير دو قني، والله تعالى أعلم، ومن ولد فرب إرم هذا صمب قني ودمب قني وإفرا قني، وأما ذرية صمب قني ففي سنس جم جور ومنهم أبناء مود دود والد ملل دود ولا أعرف منهم غير هؤلاء، وأما إفرا قني فذريته في سلن ولهم فيها جاكرف من قبيلة سل ومنهم جم سيد، وأما دمب قني فبعض ذريته في جاب وبعضهم في بوسياب وهركجر قريتان في دمك في حكامة ماتم لأن أهل بوسياب منهم من حمى دمب قني والد باب حمى والد برك باب الذي هاجر إلى بوسياب وهو والد صم برك ودم برك وأحمد برك، وأما [388] صم برك فهو والد ممد صمب وإد صمب، وأما ممد صمب فهو والد جب ممد وهو نزيلي في بوسياب ويعرف بجب كمب وممد صمب أيضًا والد بوكر ممد وآدم ممد وهما أخوان لجب كمب نزيلي وهم في قيد الحياة في بوسياب حينئذ، وأما إد صمب فهو والد جب إد ويعرف بجب عيشة وهو الذي أخبرني بنسبهم هذا وهو في قيد الحياة أيضًا في ذلك الحين، وأما دم برك فهو والد صو دمب ومالك دمب وإد دمب وسالف دمب، وأما صو دمب فهو والد بوكر صمب الذي في بوسياب ومن ولده أيضًا ملل صمب وكذا آدم صمب الذي الآن في عوين في أنجور في سدا، وأما سالف دمب فهو والد موسى سالف وعبدل سالف وجب سالف وبرك سالف وكلهم في بوسياب، وأما مالك دمب وإد دمب فذريتهما إناث لا غير، ومن ولد دمب قني أيضًا صو دمب أخو حمى دمب الذي مر ذكره، وأما صو دمب قني فهو والد أحمد صمب والد دمب أحمد والد صو دمب وكان من أهل العلم وكان يقال له تفسير صمب وله أخ يسمى علو دمب ويعرف بعلو جاي وهم في هركجر ولدمب أحمد أخوان وهما عمر أحمد وحمزة أحمد، وأما عمر أحمد فهو والد عبدل عمر والد صمب عبدل في هركجر الآن، وأما حمزة أحمد فهو والد همد حمزة والد أحمد همد في هركجر الآن، ومن ذرية قني أيضًا حمدا دمب قني أخو صو دمب وحمى دمب، ومن ولد حمدى دمب بوكر حمدى والد داود بوكر وهمد بوكر، وأما داود فلم يبق من ذريته الآن إلا الإناث، وأما همد بوكر فهو والد بوكر همد والد صم بوكر ويعرف بصمب جليا في بوسياب أيضًا وهو في قيد الحياة، [389] انتهى ما التقطت من أخبار وفروع فرب إرم.(477)

477 - تعليق المؤلف: واعلم ان أهل بجك معروفون برقية لسع الحيات جدًا والله أعلم، وقد قيل أن أهل لقب منكان قد ملكوا سنكال الذي هو عكس مرتن بعد جاءوك وكان مسكنهم في أجم كد فصاروا تحت طاعتهم مدة من الزمان.

284 - فروع القبائل ببوسياب «ورقنكوب»

وقيل أن الذين في بوسياب من ألقاب سب ورك نحو بكر وكبور ولكور وسلور فأصلهم من هاير، وأما جنور فأصله من بند من قرية منها تسمى طنك وأصلهم من وال جنور وكان غنيا كثير العبيد والخول وهم يتشاءمون بقتل قاداد ويزعمون أن وال جنور ولد معها وقاداد حية طويلة رقطاء لا تفارق المياه قليلة الإيذاء، وقيل تلتوي على الشيء فتكسره بذلك والله تعالى أعلم، وقيل أن أول من سكن بوسياب دند والد عال دند فلذلك سميت القرية باسم بوسياب، وقيل أن مسكن دند كان في تلل كاطال واحدها هاطلد ربيوة قرب بوسياب في مغربها ومعنى كاطال الشقف جمع شقفة وكان يسقى ضأنه وماشيته في واد بوسياب الجوفي الذي بين المغرب والجنوب ثم ارتحل عنها وسكن في كلك إلى أن مات وقبره هنالك، وأما موضع بوسياب اليوم فأول من سكنها دو صمب وزعموا أنه جاء من دمت وهو من قبيلة كن وكان معه أخوه متار صمب فتجاوز إلى بند فسكن في بايل فنايج ودو صمب هو المسمى إلمان لبراد ومعن لبراد استعر بطنًا وسبب ذلك أن قوالاً من أهل هركجر استضافه فأحسن إليه جدًا فلما رجع صار كلما رأى متوجهًا إليه يقول له استعر بطنًا إن كنت تريده لفرط كرمه وسخائه فجرى ذلك لقبًا له ولكل رئيس قومه يقال له إلمان لبراد إلى الآن، [390] ثم إن متار صمب أو بنوه رجعوا إلى بوسياب فسكنوا فيها إلى الآن، وأما دو صمب فهو والد حمات دمب والد محمود حمات وبوكر حمات وعلو جمات وحسن حمات، وأما علو حمات فهو والد جب علو والد هادي جب في خاي الآن وله أخ يسمى حبيب جب يجول في المغارب لا يعلم له قرار، وأما محمود حمات وبوكر حمات وحسن حمات فلم يبق من أعقابهم إلا الإناث، وأما متار صمب فهو والد عثمان متار والد حمات عثمان وحمد عثمان، وأما حمات فهو والد جب حمات والد ألفا أبو في بوسياب وله أخ يسمى داود جب، وأما حمد عثمان فهو والد جب حمد وسالف حمد، وأما جب حمد فهو والد متار جب وهو إلمان لبراد اليوم، وأما سالف حمد فهو والد ممد سالف والد جب ممد وعبد الله ممد، وأما جب فكان في التصندر وأما عبد الله ففي خاي، ولمتار جب أخ يسمى عبد الله جب والد مود عبد الله في بوسياب الآن، وقيل إن إلمان لبراد جاء لبوسياب ومعه ثلاث قبائل هن ديرناب وهم سيسايناب وكمراب ودكرياناب وقد انقرض منها الآن دكرياناب وأما كمراب فبقيت منهم دار واحدة الآن منها

جب ممد بريم تلميذ قرآن وأصله من سل وكان أول مسكنه في وادي سل وهو في مشرق بوسياب وأضيف الوادي إليه لنزوله لديه وهو والد بريم سل والد ممد بريم ودمب بريم ووالد ممد دمب الكن في التصندر منذ زمن متقدم، وأما ممد بريم فهو والد جب ممد المذكور الآن، وأما سيسايناب فالذي جاء منهم عمر كرل وكان صيادًا ومنه رجل في بوسياب يسمى سليمان بوكر وقيل أن عمر كرل قد سبق إلمان لبراد إلى سكنى بوسياب ثم جاء إلمان بعده فسكنا ثم جاءهما سل من هايركال فسكن معهم كما قيل، وكان ذلك في زمن ستط فجعل أرض بوسياب في يد إلمان برضى عمر كرل، [391] فلما جاء الدين امتنع إلمان من مفارقة داينينكوب فلما غلبوا أزال ألمام عبدل ملك الأرض عن يد إلمان فاصطاد عمر كرل فيلة في أرض هركجر قرب بوسياب فناداهم وأعطاهم من لحمها ما أرادوا فأعطوه موضع الفيلة وما حوله أن يكون حرثًا له في ملكه، ثم أنه يبس لحم الفيلة فحمله إلى ألمام عبدل فأعطاه إياه وطلب منه رد ملك أرض بوسياب إلى إلمان فقال جعلت أمرها في يدك فإن شئت فاجعلها في يد من أحببت سواء إلمان أو غيره، فجعلها في يد إلمان وهي في أيدي بنيه إلى الآن، واعلم أن هايرنكوب وديرناب كلهم من هايركال فتغير لسان ديرناب إلى الفلاَنية بعكس أهل هاير فإنهم ما زالوا على لسانهم السرنخلي إلى الآن. ثم إن هجرة ورقنكوب جاءت لأهل بوسياب وكبير هجرتهم يومئذٍ حمات حسن وهو من قبيلة سابور، فأعطاه إلمان لبراد من الحرائث البرية الخريفية ما شاء دون النيلية فلم يعطه منها شيئًا، فلما استقر قومه في بوسياب سافر هو إلى فوت جلو ثم رجع منها وسكن في دط بك وكان قد ترك الرياسة على أهل ورك في بوسياب في يد ابن أخته عمر جلل من دودوب، فما زالت رياستها في أيدي دودوب إلى الآن، وقد كان جاء إلى بوسياب رجل من أهل بند من قرية كدير من قبيلة جه اسمه حمات بارا فتزوج من قبيلة لبراد امرأة فولدت له ممد حمات وهو والد داود بنت وكان عبيد إلفك عثمان يقعون على أموال الناس من أهل دمك فيغصبون بعضها ويسرقون البعض، وإلفك حينئذٍ ساكن في فولل فسرقوا أمته وباعوها في كدمغ في قرية صوكنج واتبع أثرها إلى أن تحقق بأمرها وطالبهم بالفداء فأبوا ثم ارتحل من بوسياب إلى جول وذلك قبل اختتان ولده داود بنت، فمكث في جول قدر أربع عشرة سنة وفي مدة مكثه في جول جاء إلى إلفك عثمان [392] يطلب فداء أمته منه أيضًا فأبى فلما تحقق بإبايته قطع فرسه الأنثى الجيدة وهرب بها إلى جول، فلما علم إلفك بأن لا قدرة له على أهل جول وأنهم هم الذين أمروه بفعله هذا

أرسله ابنه حاميد إلفك مع أمة جيدة ليأخذوها مكان أمة ممد حمات ويردوا له فرسه، فلما أوصل لهم ذلك قبلوه وردوا له فرس أبيه وأعطوا لمد حمات الأمة مكان أمته الأولى فما زال في جول إلى أن دخل ملك فرانس لفوت وطلب منه سري ديبي الذي كان سايفد كنتن في ديوان فدلل أن يرتحل عن جول ويرجع إلى بوسياب ففعل ورجع إليها ومكث فيها إلى أن مات وكان سري ديبي خليله إلى أن ماتا رحمهما الله تعالى، وفي بوسياب الآن ولده المذكور دواد بنت وهو من أغنيائها اليوم ما شاء الله لا قوة إلا بالله. واعلم أن أقسام بوسياب الآن أربعة، قسمة دودوب وقسمة سويب وقسمة جابناب وهم أهل بجك ولكور وكبور وجوب وجلب دند، ويطلق على هؤلاء كلهم اسم جابناب، وقسمة لبراد ويعد منهم أهل سيسي كدود بمعنى الغبار ويعد منهم أيضًا جاجاب وأهل دم نحو سارن هارون ميرم وأهل تور أيضًا نحو أولاد عبد الله ساج ومنهم بوكر هب وهو بوكر عبد الله ونحوهو أهل كنتي نحو ممد موسى وأهل به نحو ممد صم بوب، هـ، وأما قسمة دودوب فيعد منها لوب جمجمب وأهل سابور، ويعد من قسمة سويب لقب بكر نحو ألتن تك وأهل اللقب جك نحو صمب ألسن وأهل اللقب كنك نحو عبد الله كنك وهو عبد الله عمر وأهل اللقب سه نحو ممد جار، انتهت أقسام بوسياب، ويطلق [393] على الجميع ورقنكوب، وقيل إن إلمان لبراد يعد من ورك والله تعالى أعلم، اهـ.

285 - أصل فرب جول

وأما فرب جول فكان يعد أولاً من ورقنكوب لكونه من أرط جلب أولا ثم صار أميرًا ثانيًا وصار من أهل كنار وذلك يدل على أن مسكنهم في بكجو أقدم من مسكنهم جول، وقد قيل إن أول من سكن جول منهم فرب حمى ولكني سأذكر تاريخهم كما أخبروني ولو كان فيه بعض كذب، وأعدهم من ورك ولو كانوا لا يرضون بذلك والذي أخبرني بأمرهم فرب عل وساج عيشتور وسأزيد فيه ما سمعت من غيرهما فأقول: تاريخ فرب جول، وأصله من جاخلي اسم قرية قرب خاي وراء النيل وكانوا أهل علم يتبرك بهم كما يتبرك بأهل كنجور وقد تقدم بأن أصل فرب جول كان كبيرًا من كبار عبيد سلطان وكد وكان مقدمًا على زهاء ألف عبد من عبيد السلطان المذكور لحفظ ركن من أركان خيمته كما قيل، وكبير العبيد عندهم يسمى فرب ومثله فربال وفرب إرم وفرب واللد وفرب جم وهم خمسة وكلهم مقدمًا على زهاء ألف عبد من عبيد سلطان وكد لحفظ ركن من أركان خيمته كما قيل والله تعالى أعلم، وكان

لقب فرب جول تنجكور وأما لقبهم جاك فمن التلقيب باسم جاخلي الذي قلنا أولاً إنه اسم قرية فرب خاي، ومن قبيلتهم فودي عمر جاخ الذي هو فودي جمو المشتهر بالولاية صاحب مدرسة الفقه في كنكن التي هي كرل هاير في مشرق بكل اليميني، ومن قبيلتهم أيضًا فودي جارمب الذي كان في جغندق [394] وقد وصل أولاده الآن نحو جمبغ فلما فسد ملك وكد انتشروا من هنالك مغربين فسكنوا في جمبغ ثم انتقلوا منها إلى جاخلي وطال مكثهم فيها ثم منها إلى كجاك، وقد انتقل من جاخلي أهل فرب جول آخذين طريق مرتن إلى أن أتوا جبل جول فسكنوا فوقه وكان في قرب جبلهم جبل آخر تحته قرية كبيرة فيها ملك كبير وقومه يصطادون حيوانات البر والبحر فلذلك سمي جبل أهل فرب جول الذي هم فوقه بهاير سن برا ومعنى هاير الجبل ومعنى سن القتار أي ريح اللحم المشوي أو المطبوخ وبرا بمعنى لم يقتل والمعنى أن أهل الجبل لا يقتلهم رائحة اللحم لكثرة ما يشوى اللحم أو الحوت تحتهم وكبير جاك يومئذ اسمه سلمن والد مي سلمن والد حمى مي هذا هو أول أمير فيهم وتلقب بفرب لقب أوائلهم في وكد، وأما سلمن ومي فلم يملكا شيئًا إلا من جاء معهم في هجرتهم وهم قليلون فلما صار ملكًا حسده فربال كيهيد ولعله سبقه إلى فوت وملك قبله، فأراد فربال أن يحاربه ليملكه كما ملك غيره فلاذ فرب حمى مي بالملك الذي تحت الجبل واستغاث مستعينًا به على فربال فأمنه الملك ووعده بالنصر، فجاءه جيش فربال فالتقوا معه عند هضبة تسمى كاجل دم مسى كاجل تصغير هاير ومعنى هاير الجبل وكاجل دم مسى اسم موضع قريب من جول جهة مرتن، فتقاتلوا ولم يغلب أحدهما الآخر، فرجع الكل إلى أهله ثم رجع فربال إليهم بالجيش فتقاتلوا عند تل تف موضع قريب من جول أيضًا فهزمهم فربال وأخذ فرب حمى مي أسيرا ورجع به إلى كيهيد وجعله راعي الدجاج فيظل يقول للدجاج ساغو سك حكاية لصوت الدجاج فسمي فرب ساغو ومكث على رعي الدجاج أسبوعا ثم من عليه فربال وأمره بالرجوع إلى أهله وأعطاه [395] حصانًا وعبدًا سائسًا، ثم بعد ذلك أتاهم فربال بجيشه لاستمرار فرب حمى مي في تمرده وعدم دخوله تحت طاعته، فالتقوا معه وتقاتلوا وكان النصر في ذلك اليوم لفرب فأخذ فربال أسيرًا إلى جول وجعله راعي الكلاب فسمي فرب كل أي كلهل من الكلاب أي فحولها، فمكث على رعيها أسبوعًا ثم من عليه فرب وأعطاه فرسًا حصانًا وغلامًا سائسًا وزوجه بأخته ورده إلى أهله مكرمًا فصارا مصطلحين وسكن القتال وتركاه، ثم إن القرية التي كانت تحت الجبل تفانى فتيانها في هذه الحروب ولم يبق

منها إلا القليل ثم مات ملكها، فعزم فرب على تصييرهم عبيدًا لسوء مكافأته لهم فلما أحسوا بذلك هربوا تحت الليل وقطعوا النيل من مخاضة جول إلى جهة سنكال وانتشروا في فوت، وزعم المخبر بأن كل من في فوت من قبيلة تور أصله من هذه القرية، فلما أصبح فرب أرسل إلى قريتهم من يأتيه ببعض منهم ليستخدمهم فوجدها خالية ولم يجد فيها إلا صبية تخلفت عن قومها بسبب النوم فأخذها وأتى بها إلى فرب وأخبره بالواقع واتخذها فرب أمة وكانوا يسمون مسكن هؤلاء بهاير مسب هضبة العبيد، فلما بلغت الأمة سن التزويج زوجها فرب لعبد له فخرجت منها ذرية كثيرة من بقاياهم دمب دود من قبيلة تورود بيل وأحمدل من قبيلة جو وهؤلاء في قيد الحياة عند جول وغير ذلك من بقية ذريتها.

286 - أقسام قبيلة فرب جول مع ذكر أصلهم ومواطنهم

وكانت قبيلة فرب جول جاكب قد انقسموا ثلاث قسمات، قسمة صارت من فل جاك وسنذكر فل جاك إن شاء الله هنا، وقسمة صارت تائبة تاركة للملك واشتغلت بالتعلم والتدين وذلك في زمن محاربة كنار وبوسى الذي هلك فيها سارن تلر أحمد دل، وقسمة بقيت على ما كانوا عليه من الملك، فأما الذين تابوا واشتغلوا بالتعلم والتدين فهم بنو يسم جاك ومنهم سارن سين الذي كان [396] في كجكار ودور عيش وبيد فند خال أمن ممد جب زوجة رسول صنب جوم في كوريك، وأما القسمة التي صارت من فل جاك فمن ساغو جاك، وأما الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الملك فمن بران جاك، ثم أن فرب جول ارتحل في بعض السنين مع قومه إلى بند لا أعرف الموجب فسكنوا في يف جول قرية في بند زمنًا ثم ارتحل من هنالك راجعًا فسكن في بكجور ولم يجد فيها إلا جمناب وكان في قرب باب دار فرب جول شجيرة التيدوم على لغة البيضان فكانت الأبكار والشواب من إمائه يعلقن أسورتهن على أغصانها، فلكثرة ذلك سميت القرية ببكجو لا أعرف اسمها قبله ومعنى بك شجرة التيدوم في كلام البيضان ومعنى جو الأسورة والخلاخل جمع سوار وخلخال سواء كانت من فضة أو من غيرها، ثم إن فرب جول لما سكنها صار رئيس ورك كلها بعدما كان رئيس كنار كلها ومدة سكناه فيها تنيف على أربعين سنة، وكان أرط كاول وأرط هميناب في ملكه، ثم سكن جول بنصف عياله والباقون في بكجو وكانت بينها وبين جول حرائث متصلة كأنها حرث واحد، وقد نسي طوبته أي آلة شربه الدخان في بكجو ذات مرة فلما

تذكرها وذكرها تناولها حراس الحرائث من حرث إلى حرث من بكجو إلى أن وصلت جول في الحين، وهذا من عجائب صنع الله، وكانت هذه الحرائث من أرط هميناب إلى أرط جلب في ملكه يجبى إليه خراجها، وزعموا أن من أسباب خروج هذا الملك من يده أن ألمام عبدل في زمنه رأى من بناتهم بنتًا اسمها رك فرب في غاية الجمال والكمال وخطبها لنفسه فأبت عليه وامتنعت منه أشد الامتناع والإباية وردته أقبح رد تكبرًا زاعمة أن دولته جديدة ودولة آبائها متقدمة [397] وأعانها على ذلك أخوها السفيه مثلها يسمى سري فرب، فدعا الإمام على أخيها وأزال ملكه من هميناب وعن حرائثهم وعن جلب كاول وعن حرائثهم أيضًا، فصار أهل فرب جول أقل الناس حرائث نيلية من يومئذٍ إلى الآن، ثم صار ذرية سري فرب هذا ناقصي الهمة مسلوبي الدرجة لا يرفع أحد رأسه إليهم وما تملك منهم أحد إلى يومنا هذا وقد انضموا الآن إلى قبيلة سوسوب جول للاحتماء بهم والموالاة لهم كأنهم منهم يؤدون معهم الصاع وغيره من العادة كالنوائب والوظائف السلطانية، ومن ذرية سري فرب الآن ير صمب سري فرب وعثمان بوكر دمب سري فرب، وقد زعم المخبر بأن ألمام عبدل تزوج بابنة سري در تسمى آمنة سري فلذلك أقام سري در مقام فرب جول في رياسته كنار وملكه كثيرًا من حرائث فرب جول نحو لل وغيرها من الحرائث، والله تعالى أعلم، وأما فل جاك فأصلهم فلاّن كثيرون كانوا تحت حماية فرب جول وقد صار منهم قوم من عشيرته جاكب كما قدمنا ذلك آنفًا، وقد زعم المخبر بأن كل شقفة من جول إلى كاول فمن آثار مساكن هؤلاء الفلاّن، وقد زعم بعضهم أن فل جاك أصلهم يف جول ومن هنالك هاجروا إلى بكل سال في مرتن فوق جول ومن هناك رجعوا إلى جول ثم إنهم ما زالوا ساكنين بين جول وكاول ترحل عزائبهم لرعي الماشية ثم ترجع إليهم إلى أن وقعت الفتنة بينهم وبين فرب لإفساد مواشيهم الزروع إفسادًا كبيرًا فخافوا من ذلك وارتحلوا خفية تحت الليل وطلعوا إلى براري فرل فسكنوا فيها وبعضهم الآن في لور أي بر دمك دون بند، ورجع بعضهم إلى بند ومنهم قوم في قرية وايدقار ودندط وأهل هاتين القريتين يلقبون بسه ومنهم ير إفرا ودمب إفرا وبوكر إفرا وكبيرهم [398] بيق، وقرية صودوكل أهلها يلقبون بسه أيضًا ومنها دو صم متر وير عمر، وأهل قرية جاكب أكثرهم من يلقب ببه، وأما دمب جول وير جول فإنهما يلقبان بسل وأكثر أهل قال دو من يلقب ببال ومنهم صم بيد موسى وممد بيد موسى، وأول من عمر قرية فتك سارن صمب وبعد موته تخلفوا مكانه درمار والد دمب در المشهور بقج در وهو رئيس

بابكل اليوم ولقبه جل وفي أف ساخوب ديار من فل جاك ومنهم تفسير محمد أحمد ويلقب بن ومنهم جاجاب كبوكر همد ومنهم سوسوب ومن سوسوبهم أهل قرية مج وهي قرية مرتن بين بكل وسيبلباب وفي قرية أف دمب كور ديار لجاكب ومنهم دمب كور الذي نسبت إليه القرية وابنه سارن أحمد جاكل السيد الجيد ولهم في بكجو ديار، والذين في بكجو مع أهل أف دمب كور ينتسبون إلى رجل واحد وكان لقبهم أولاً بن فلما كثرت مخالطتهم لديار جاكب لقبهم أهل بند بجاك لأجل ملازمتهم إياهم، انتهى ما بلغنا من أخبارهم، ومن خاصة جول أن سكانها ينسبون إليها ويتناسى نسبهم، فإذا قيل لأحدهم من أنت فيقول جولي وإذا قيل له من تكون من القبائل فيقول من أهل جول، فصار الناس لذلك متساوين في الكفاءة، فتورب فيها لا يتأنفون عن مناكحة سب، وقيل أيضًا أن الحد بين فرب جول أمير كنار في ذلك الزمن عند قرب قبور كاول الآن أي دونها جهة المشرق بقليل عند سلكل عال كار، والله يغفر لنا ولهم ويشملنا ببره ويشملهم.

287 - تنبيه إلى التناقض الحاصل في كلام راوي الخبر (المخبر)

تنبيه، ومما نقض من كلام المخبر فرب عل ووزيره ساج عيشتور قوله ثم ارتحل من هنالك راجعًا فسكن في بكجور ولم يجد فيها إلا جمناب وكان في قرب باب دار فرب جول شجيرة التيدوم على لغة البيضان فكانت [399] الأبكار والشواب من إمائه يعلقن أسورتهن على أغصانها، فلكثرة ذلك سميت القرية ببكجو، إلخ، قيل أن هذه الواقعة لأرط جلب وهو الذي به سميت القرية بنكجو لا فرب جول ثم ارتحل عنها إلى جلف وإلى غيرها، والله تعالى أعلم، ومما نقض أيضًا من كلامه كون أرط هميناب وأرط كاول في ملكه وذلك بعدما كان فرب جول في ملكهما ثم تقلب الدهر عليهما فصارا في ملكه ثم خرجا عن ملكه في زمن ألمام عبدل كما قيل، والله تعالى أعلم، وقيل كان جاكب من جملة رعية أرط جلب وكانوا من جملة الفلاّن ويقال لبقاياهم إلى الآن فل جاك، وقد قال عَبْدُلْ غُورْ من سوسوب فُلْ جَاكِ وقد تفاتن وتشاتم مع فِرْبَ عَلُ يومًا ولقد سَمِنْتُمْ يَا فِربَ الآن وقد سكنا هنا قدر سبعين سنة قبلكم ثم جاءنا جدكم من جاخلي وحده وكنا نرسله إلى ستك وإلى سلطان ذلك الزمان وكان رسوله إليه فقط إلى أن صار الأمر الآن إلى ما صار، هـ، وعبدل وور هذا قد مات ولكن أولاده الآن في جول وهذا الكلام يدل على أن جاكب جاءوا بعدهم، وقيل أن هجرة جلب هي التي جاء

معها جاكب، وأما قوله وأما القسمة التي صارت في فل جاك فمن ساغو جاك فلعلهم هم الذين بقوا مع الفلاّن وإلا فكل جاكب كانوا مع الفلاّن تحت أرط جلب، وهذا الأمر مجهول الآن منكر لخفائه عن جل الناس، ومثل ذلك يقال في قوله وأما فل جاك فأصلهم فلاّن كثيرون تحت حماية فرب جول، إلخ، ومما نقض من كلامه قوله وزعموا أن من أسباب خروج هذا الملك من يده إلى أن قال وقد زعم المخبر بأن ألمام عبدل تزوج بابنة سري در تسمى آمنة سري، إلخ، وقد نقرت وبحثت عن تزويج ألمام عبدل بابنة سري در فوجدت ذلك كذبًا محضًا، والله تعالى أعلم.

288 - أصل جلب كاول ومواطنهم

[400] وأما تاريخ جلب كاول، وهم سيبوب فقد قيل إنهم هاجروا من ماسينا ومعهم خاليد ينكوب فوت جلو ومعهم بالبالب وهميناب وجاكب، فما زالوا يرتحلون ويسكنون إلى أن سكنوا في كجكار ورئيسهم يومئذ أرط منكل جاج فمات فيها وهم ساكنون عند جبل تفا في مشرق كجكار، فلما مات ارتحل خاليد ينكوب إلى فوت جلو وارتحل باقيهم إلى مرتن جول فسكنوا فيه زمنًا ثم قطعوا النيل إلى سنكال وتجاوزوا إلى جلف فمكثوا فيها أعوامًا، فرأى أمير جلف أو ابنه بنتًا من بناتهم صغيرة فأحبها جدًّا وقال أنه سينكحها إن بلغت أوان النكاح فقدر له الله تعالى بأن غرقت تلك البنت ذات ليلة في اللبن الذي كان يصب كلما حلب منه في إناء كبير جدًّا حتى يتم الحلب، فماتت ولم يشعر بها أحد فلما علموا بموتها دفنوها، ثم جاء ذلك الأمير يتعهد البنت فخافوا أن يبينوا له موتها فقالوا إنها ذهبت مع أمها إلى بعض القرى، فرجع الأمير إلى مسكنه، فلما علموا برجوعه ارتحلوا عن جلف هاربين حتى نزلوا في آجم تووكل عند كد في تور، ثم انتقلوا منها أيضًا إلى آير سوي في مغرب بك واسم رئيسهم حينئذ أرط موياط فبقي في ذلك الموضع بعض منهم، ثم ارتحل باقيهم إلى كاول في زمن ستك فأحرقوا حرائثهم من يلدتاب بين سلن وكبل إلى دلماج، وكلما كان هنالك من الحرائث كان في ملكهم، قلت ولعل هميناب هم الذين حرقوا ما بين كبل وسلن، والله أعلم، ثم انتقل بعض منهم إلى جلب دمك في موضع يسمى تلد هيو جاج، ثم انتقل واحد منهم واسمه [401] صوسلي إلى فجر وسكن فيها، ثم انتقل إليه قوم منهم فسكنوا معه وهم الذين حفروا بئرها وقيل إن حافر بئرها جيش بمبر، والله تعالى أعلم، ثم إن جلب

الذين سكنوا في فجر هم الذين حرقوا الحرائث كلاط التي تحتها وهي برمود وبرقويد وبردنيل ودب لايله ومعناه امرأة لا تبطأ ولا تتأخر وكانت امرأة تطبخ لهم الطعام سريعة الطبخ فسميت تلك الحرائث بلقبها أي دب لايله وسمي غيرها من تلك الحرائث ببروج بالجمع وهذه الحرائث كلها كانت لهم ملكًا، وقد قام لك جاور الآن ينازعهم في ملكها لما ضعفوا وتقلب الدهر عليهم وما أدعاها أبوه ولا جده قط كما قيل، والله تعالى أعلم، وكانوا في مدة سكناهم في جلب وفجر يتقاتلون مع البياضين من قبيلة أسكير وأمير البياضين[478] يومئذ يسمى البخاري وكانوا يأتوهم ويغيرون عليهم في حرائثهم، فلما اشتد عليهم الأمر ارتحلوا إلى بند وسكنوا في كاجل بوب صفية، ثم انتقلوا منها وسكنوا في ملق عامين ثم ارتحلوا ورجعوا إلى كاجل بوب صفية، ثم إن أمير بند يومئذ كان إذا افركت الحبوب في الحرائث يطلق خيله على الحرائث فصار كل صاحب حرث يقطع من حرثه قطعة للخيل ترتعي فيها فيكون له الباقي من الحرث، فجاءت الخيل إلى حرائث جلب فأبوا عن ذلك فاكرههم أصحاب الخيل على ذلك فقتلوا واحدًا منهم وهربوا فرجعوا إلى جلب دمك وبقيت هنالك بقية منهم، فلما جاءهم جيش أمير بند أرادوا أن يقتلوا الباقين منهم هنالك فقالوا نحن لسنا من جلب إنما نحن من قبيلة به فلذلك بقينا هنا وأما جلب فقد ارتحلوا هاربين، فجرى عليهم اللقب به إلى يومنا هذا ولكن أصل لقبهم جل لا غير.

289 - ذكر بعض الحكام الذين تولوا رئاسة قبائل جلب كاول

وقد رجع بعض من ذريتهم إلى جلب دمك فسكنوا فيها ولكن لقبهم به [402] إلى الآن مع معرفة الكل بأصل لقبهم الطي هو جل، وكان ملك جلب حين خلافة ألمام عبدل اسمه أرط عال جم بج، وقد مكث في ملكه ثلاث سنة ثم رجع إلى كاول مع ألمام عبدل ويعلمه ملكهم للحرائث التي اكتسبوها من يلدتاب إلى دلماج ويطلبها من ألمام فأقرهم على ملطهم، وأرط عال هذا هو والد عبدل عال والد مود عبدل الذي هو أرط مود والد أحمد أرط وحسن أرط الذين في كاول اليوم، ومن جلب من سكن في فولل جاوب ومنهم صمبيب وقد كان طلب الخلافة على جلب كلهم فملكه عبدل بوكر عليهم ومكث في ملكه قدر شهرين فقط ثم عزل وهو أرط صمبيب، وفي جلب أيضًا قوم من ليدب وسبب مجيئهم هنالك أن جلب لما تابوا في زمن ألمام

478 - حول البياضين، انظر هامش رقم (418)، ص. 254.

عبدل طلبوا إمامًا يؤمهم في صلواتهم فوجدوا رجلاً أصله من أصل أهل جاب ليدب واسمه هد وهو إلمان هد وهو جد ممد بيد الذي كان سايفد ولاسن في جلب فعزله عبد السلام في هذه الأعوام، وكانوا يتولون إمارة جلب من قبل إلى الآن، والسبب في ذلك أن سيبوب الذين هم جلب لما أتوا إلى جلب وسكنوا فيها سكن معهم قوم من ليدب هؤلاء، فمكثوا في جلب زمنًا طويلاً ثم ارتحلوا ورجعوا إلى كاول ولم يبق في جلب إلا ليدب فاستخلفوا عليهم واحدًا منهم بعد سيبوب واسمه حمد بس ثم بعده فات صمب ثم دمب جم تايا ثم صمب قط ثم أتى الشيخ عمر فأمرهم بالهجرة فهاجروا إلا قليلاً منهم ثم تخلف بعدهم سوسوب جبياب وجب اسم قرية لهم كانت في جف وكانوا ساكنين فيها ثم قتلوا النفس خطأ منهم فخافوا من أمير جلف فهربوا منها إلى أن أتوا جلف وسكنوا مع سيبوب [403] إلى أن أتت هجرة الشيخ عمر فهاجر الناس معه وهاجر معه جبياب إلى أن حاذوا بكل فهربوا إليها واختفوا فيها إلى أن جاوزت الهجرة فرجعوا إلى جلب وعمروها ولما رجع جلب من الهجرة وجدوهم أصحاب أموال وافرة فملكوهم عليهم لذلك وكانت أموال أهل جلب المهاجرين مع الشيخ قد فرغت وتلفت بالكلية فلذلك قدموا هؤلاء، وقد ملك منهم فات حلي ثم ابنه بوب فات ثم رجعت الخلافة إلى ليدب دمب عثمان عم ممد بيد ثم بيد، والذي في إمارة جلب الآن رجل من جبياب اسمه بوب فات وكان أبوه قبله أميرًا على جلب أيضًا واسمه فات صمب، ولعله فات حلي المتقدم، والحاصل أن جبياب وليدب صارت قبيلتاهما تتناوبان القرية جلب في دمك، ولعل سيبوب كانت عادتهم أن لا يملكوا إلا رياسة أرط التي كانت على جلب كلهم وذلك كأنه قد زال لأنه كان مثل سايف على جلب كاول وغيرهم والآن قد صار ذلك لسايف الذي قدمه حكام فرانس على أهل ديوانه بالكل والشمول لا غير، والله تعالى أعلم.

290 – رواية أخرى عن أصل جلب كاول وذكر بعض أخبارهم

ثم بعدما أخبرت بما مر من تاريخهم رأيت رجلاً منهم يدعي المعرفة والخبرة بأمرهم فقال لي أن جلب ومن جملتهم نياكناب هاجروا من ماسينا إلى باغن ومكثوا فيها مدة طويلة ثم هاجروا من باغن إلى كاس ثم من كاس إلى بند وفيها فافترقوا في المساكن وسكن جلب كاول في قرية تسمى صب قوز، وسكن نايكناب في موضع يسمى سيان نايك، وسكن جلب ساركر في قرية تسمى سيان قيو، وسكن جاجاب في موضع يسمى بن فل، وكلهم يردون

في مورد واحد، وتزوج أرط كاول الأول ابنة ستك وبذلك قطع له قطعة كبيرة من الأرض ثم هاجر نايكناب من سيان نايك الذي ينتسبون إليه إلى الآن إلى جت نايك، [404] ثم هاجر جلب ساركر من سيان قيو إلى جت حمات عال وسكنوا هنالك، ثم هاجر سارن صمب سل من جت نايك إلى بك جو وهو أول من سكن في بك جو منهم وعمرها، ووهب له ألمام عبدل أرض كومكناب لأنه وزيره، وحين قاتل ألمام عبدل داينيكوب وهزمهم نزع أرض جلب التي وهبهم ستك إياها أولا من يد أرط عال جم بج. فهاجر أرط عال جم إلى صوقور وأخذ يحارب أهل ألمام عبدل وقومه ويحرق بيوتهم، وكلما قدر عليه من الشر يفعله مع أهل ألمام عبدل ومكث على ذلك زمانًا طويلاً، ثم بعد ذلك سئم من الحرابة وقال لأمه وأخته عزمت الآن على أحد أمرين، إما أن أجد أرضي أو أموت دونها. ثم قام ومعه أخته كمب جم وجاء إلى سارن صمب سل في بك جو ليلاً وأيقظه، فقال له صمب سل ما الذي جاء بك إلي الآن أتريد قتلي أم لا، فقال بل جئت عازمًا على الموت أو ترجع أرضي إلى ملكي، فقال له صمب سل قوما أنت وأختك لأسير معكما إلى ألمام عبدل، فذهبا معه إلى سلن في تلك الليلة ودخلوا على مود بي وأخبروه الخبر، ثم ذهب مود بي معهم إلى ألمام عبدل فخرج إليهم ألمام فأخبروه خبر أرط عال جم وما جاء به وهو إما بموته أو رد أرضه إلى يده، فقال مود بي يا ألمام إن قتلت أرط عال جم فإن حفرته لا تزيدك ولا تنفعك بشيء وإن الأسد إن نزعت براثنه وقلعت أسنانه صار كالبهيمة لا يقدر أن يضر بشيء، فقال له ألمام أتسلم وأرد إليك أرض آبائك، فقال أرط عال نعم، فقال ألمام اجعلوه في السجن حتى أشاور أهل فوت في أمره، فلما حضروا أخرج عال من السجن فقال لهم أن هذا المحارب مكننا الله منه فماذا تقولون فيه، فقالوا لا تقتله ولكن خذ من أرضه دية [405] القتلى الذين كان يقتلهم، فامتثل ألمام أمرهم ونزع ثيابه وكانت صفرًا من قميص وسروال وقلنسوة وحلق رأسه وكان مضفورًا، فأسلم أرط عال وحسن إسلامه وكان من العادة بين جلب كاول ونايكناب إن ذبحت جلب بهيمة الأنعام من بقرة وغيرها للصدقة أو غيرها فإن لنايكناب القص وإن ذبحت نايكناب البهيمة من بقرة وغيرها للصدقة أو غيرها فإن لأرط جلب قطاتها، وما زالت تلك العادة بينهم إلى الآن وهم ما افترقوا نسبًا ولا أمرًا من الأمور إلا أن نايكناب هداهم الله بالعلم والدين من قبل فخلاف هؤلاء فإن شغلهم إتباع الماشية في البادية إلى الآن، فلذلك تباعد عنهم نايكناب وتكبروا عليهم ولا يزوجونهم ببناتهم البتة، وأرط عال جم هو والد عبدل بارا وهو والد مود عبدل الذي

هو أرط مود وبارا والدة أرط عبدل بن أرط عال جم هي ابنة فرب جول، هـ، وقوله فيما مر وتزوج أرط كاول الأول ابنة ستك، إلخ، ولعل ذلك بعدما ارتحل من بند إلى فوت وسكن في كاول ببعض قومه وترك بقيتهم مع نايكناب في بند، والله تعالى أعلم، هـ.

291 - ذكر بعض الأحداث التي عرفتها جلب كاول ومسألة تملك الأراضي

وقيل وكان أرط جلب كاول يأخذ أموال بيت المال من جلب ساركر وهي في مشرق ساركر سوتنكوب ومن جلب فولل ومن قرية جلب التي في دمك، ومن فجر يأخذ زكاتها ومن جلب لب جلب ومن جلب كسب دوجل في بند، ويأخذ زكوات جالب كيرير وجاوب ياللب وجولل وبلدنكوب وهم قبيلة من جاوب، وهؤلاء كلهم يحرثون من حرائث أرط كاول فزكواتهم وكراء حرثهم لأرط كاول، وقيل أن أهل دومك رنجو ودومك ورسارن [406] ودومك ورألفا سكنوا في أرض أرط كاول فقطع لهم ألمام حرائثهم من أرضه برًّا وبحرًا فوقًا وتحتًا لحريم قراهم، وما زال لأرط كاول حرائث برية فوقهم وحرائث نيلية تحتهم، والله تعالى أعلم، ومن ملك أرط كاول حرائث كلكل تسمى لل بين بك جو وجول، وقيل إن أهل كاول كانوا يسكنون في دومك رنجو فجاءهم أهل رنجو يعظونهم ويمدحون النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبون منهم صدقة الحرائث فأعطاهم أرط عبدل باره حرائث كلكل تسمى هون ثم أسكنوهم في قريتهم دومك فارتحلوا إلى كاول فسكنوا فيها، فجاء جوب من جلف فسكنوا في كاتوت وكدط فصاروا جيرانًا لهم هنالك، وأن أهل دومك ورألفا جاءوا أيضًا إلى أرط كاول يعظونه ويمدحون النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبون منه أن يتصدق عليهم الحرائث كلكل فصدق عليهم حرائث كلكل بيل بين فل بكل وسهم، والله تعالى أعلم، قلت ويمكن أن يقطع ألمام لأهل دومكات حرائثهم البرية والبحرية أولاً من أرض أرط كاول ثم يجيئون إليه بعد ذلك يطلبون الزيادة برضى منه ولعله أعطاهم ذلك راضيًا أو مستجيبًا، والله تعالى أعلم، وقد استفدنا من التاريخين المقدمين أن جلب سيبوب وجلب نايك ومهم بنو حمى جولط كن كلهم أصلهم واحد وهجرتهم واحدة ولكن هؤلاء سبقوهم للإيمان والتدين والتمدن باكتساب العلم، والله تعالى أعلم، ولعل أهل نايك آخر من فارقهم من أهل حمى جولط كن، والله تعالى أعلم، وأن منهم أيضًا أهل كاس، وانظر هل يمكن الجمع بين الحكايتين، الأولى من مجاورتهم إلى جلف [407] ورجوعهم إلى فوت وبقاء بعضهم في بك وبعضهم في تلل سل وسكناهم في

كاول واكتسابهم حرائثهم من يلدتاب إلى دلماج ثم ارتحل بعضهم إلى جلب دمك ومجاورتهم إلى بند، إلخ، والحكاية الثانية من ارتحالهم من كاس إلى بند وافتراقهم في المساكن فيها ولكن موردهم واحد إلى آخر الحكاية، وقلت ويمكن الجمع بينهما للباحث العاقل ولكني كنت أرسلت رجلاً إلى جلب دمك فأتاني بالحكاية الأولى وأرسلت الآخر إلى جلب كاول فأتاني بالحكاية الثانية ولم يخبرني مشافهة ولو كان الخبر مشافهة لأوردت على المخبر بالاعتراضات الواقعة لعله يتأمل ويدقق النظر فيما يخبر ويجتهد فيه ويتنبه له ويجاوب بما يزيل الاعتراضات كلها أو يزيل بعضها، والله تعالى أعلم. ومما قيل في نسب جلب كاول ونسب هميناب كبل هاو جم بر بإمالة الهاء وبوب جم بر، وأما هاو جم بر فهو والد صو هاو والد بج صمب والد جم بج وصم بج، وأما جم بج فهو والد أرط عال جم والد عبدل عال ويسمى أرط عبدل بارا وهي أمه والد أرط مود وقد مات وترك أولاده في كاول الآن، وأما صم بج فهو والد دو صمب والد جار دمب وسيد دمب، وأما جار فلم يعقب وأما سيد دنب فهو والد صمب سيد ويعرف بصبيل وهو الآن في فرد وهو أيضًا والد مالوسيد في كاول الآن، ومن ولد أرط عبدل الذي هو أرط عبدل بارا عال عبدل [408] وحسن عبدل وممد عبدل الذي هو أرط مود وقد ذكرناه أولاً، وأما عال عبدل فهو والد محمود عال وحسن عال، وأما محمود فهو والد عال محمود في كاول الآن، وأما حسن عال فهو في فرد أيضًا وله أولاد هنالك ويعرف هناك بساجلا، وأما حسن عبدل فقد ذهب به الشيخ عمر في هجرته ولم يرجع منه أثر إلى فوت، وأما بوب جم بر فمنه أرطات همیناب لأنه هو والد يبي بوب والد ملل يبي والد همد ملل والد جب همد والد همد جب وأحمد جب وموسى جب، وأما همد جب فهو والد جب همد في كبل الآن، وأما أحمد جب فهو والد بوكر أحمد في كبل الآن، وأما موسى جب فهو والد أحمد موسى في كبل الآن، ورئيسهم الآن جوم جب همد ولهم من الحرائث كلاط جارط وكدا وجمب، وقيل إن بر والدة جم بر كما تقدم ابنة لصولام من داينينكوب، والله تعالى أعلم، واعلم أن ملل يبي في كبل هو مالك أرض هميب كلها ثم مع ذلك قد قام همد فات وور يدعي الشركة وذلك أن هميب كلهم كانوا قد هاجروا مع ألفا حمد الحاج الأمين إلى سالم كما مر في تاريخ ألمام عبدل، ثم رجع همد فات إلى فوت أولا قبلهم فأخذ الأرض من أيدي جاوب فرجعت إليه وتملكها بذلك ثم بعد ذلك رجع بنو ملل يبي فادعوا الاستبداد فادعى خصمهم همد فات وور الشركة وهو أكبر سنًا وأشد نفاقًا منهم وأكثر مالاً أيضًا، فتخاصموا من زمن

ألمام عبدل ولم ينقطع الخصام إلى زمن ألمام باب فحكم لهمد فات بالشركة بعدما قال لِجَب هَمَّدَ مَلَّ يُبِّي: الحق معك ولكن لم تقدر على إظهاره لأن خَصْمَكَ مع المنافقين كلهم [409] ثم جاء همد سالف من بكجور فتزوج ببنت جب همد المسماة عيشة جب فأدخله في مشاركة همد فات وقام معه معينًا له على الخصومات إلى أن دخل في مشاركة همد فات في حظه من الأرض، ومن همد سالف هذا فات أرط في كبل الآن، ومن همد فات وور الآن ولد يسمى جب أرط صبي صغير في كبل أيضًا الآن وولد آخر وهو شاب في سالم كأنه ساكن هنالك الآن، وقد أدخلوا في ملك أرضهم أيضًا صمب جبريل وإبرا عمر بلل والله تعالى أعلم.

292 - سبب تسمية أرط جل بجاوب دمب

وأما تاريخ جوب، فقد بلغني أن لقب أرط منهم لا يكون إلا كه وألقاب بقية الرعية جل وبه وفيهم جه أيضًا، وقيل إن أول من كني من أرطات جوب بكنية أرط أرطاير هط والد خاليد بر والد همد خاليد وهو حي سالم الآن، وكانوا يلقبون ملكهم قبل ذلك بسل فقط لا غير، والله تعالى أعلم، وأنهم هاجروا من جلف إلى فوت وقيل إنهم من جاوب دمب الذين في كبل، وسبب تسميتهم بجاوب دمب أن جوب حين كانوا في جلف وقع على شجرة وهم تحتها طائر من طيور الزرع وقت زمن الربيع في فوت، فسقطت منه قطعة من البشنة القريبة من الإفراك فلقطوها ينظرونها متعجبين من وجود الزرع الأخضر في ذلك الوقت، فقال أميرهم هل فيكم فتى قوي يقدر أن يماشي هذا الطائر ليرى موضع هذا الزرع الأخضر فقال واحد من فتيانهم يقال له دمب أنا أقدر على أن أماشي الطائر بإذن الله تعالى، فبات تحت الشجرة [410] والطائر فوقها إلى الفجر فطار الطائر فتبعه الفتى إلى أن أوصله إلى حرائث نيلية في نصف يوم كما زعموا، فمكث هو في الحرائث مستريحًا أيامًا، ثم استصحب معه حزمة من سنابل الزرع الأخضر فحملها إلى جلف ومكث في الطريق حين رجوعه ثلاثة أيام، فلما وصل لقومه تلقوه، فقال لهم أمير جوب حينئذٍ جاوطون دنب مجم: أي ضعها هناك صبرة يا دمب أخي الصغير، فمن يومئذٍ جرى عليهم لقبهم جاوب دمب، ثم أنهم ارتحلوا إلى فوت قيل ومعهم فربال الذي في كيهيد وبالبالب الذين فرل، وقيل إن فربال كان أمير هؤلاء الفلاّنيين المهاجرين كلهم ولقبه جوب فلذلك نسب هؤلاء المهاجرين إليه فقيل لهم جوب، كما نسب إلى فربال بالبالب وفربال لقب ملكهم، وقيل إن فربال كان عبدًا لأرط بال وفوض أمره

إليه كالجابي له مثلاً إلى أن صار سيدًا لأرط بال ذا سلطان عظيم وملك كبير ولكن لما كثر الظلم والجور في ملك فربال ارتحل بالبالب عنه فسكنوا في نباج بال ثم ارتحلوا عنه بعد مدة مديدة إلى فرل وبند.

293 - قصة العالم الفوتي تفسير دمب ملاط «آن» مع الأمير كل تفل

وأما جوب فقد ارتحلوا أيضًا عن فربال فسكنوا في سلن وكدط وهذا قبل مجيء كل تفل أمير داينينكوب لفوت تور، ثم إن عالمًا إسلاميًا من أهل فوت يقال له تفسير دمب ملاط ولقبه آن جاءهم من آجم كد وسكن معهم فأحبوه جدًا فأسلم جلهم لأجله وكانوا يعطونه القص من كل ذبيحة وأجرة الغسل للميت وأجرة الصلاة على جنازته ويعطيه كل دار منهم حملاً من الزرع [411] وقت الحصاد وحظًا وافرًا من الحليب في كل ليلة جمعة أو الإثنين، وعند كل عقيقة لمولود يعطى قص شاة العقيقة وصاعًا من الزرع، ويعطيه كل مسلم يوم عيد الفطر صاعًا، وأعطوه حرثًا نيليًا كافيًا وقد التزموا له ذلك كله وهو قد التزم لهم تعليم أولادهم الصغار بعد تسميتهم بأسماء حسان عند العقيقة وأن يؤمهم في الصلوات في المسجد وأن يغسل ميتهم ويصلي عليه، فما زالوا على هذا إلى أن جاء كل وملك فوت كلها وكان يمر عنهم في أسفاره إلى أن اتفق نزول كل عليهم يومًا مع جيشه، وقيل إنه نزل على العالم تفسير دمب ملاط وقيل جاء إلى داره فقط بعد نزوله في منزله، وفرش له تفسير دمب حصيرًا بسط عليه جلد ضأن مدبوغ فجلس عليه الأمير كل ثم إنه عزم على أن يصير العالم وأولاده وأزواجه أرقاء له وأمر بالقبض عليهم وسوقهم إلى داره فأخذوا وأراد الأمير كل أن يقوم للرحيل فالتصق به الفراش ولم يجد عنه مخلصًا، فنادى تفسير العالم وأحضره وقال له أنت الفاعل بي هذا، فقال لا بل الفاعل لهذا الله تعالى غيرة لانتهاك حرماته وإهانة عباده، فقال إن خليت سبيلك أتخلص، فقال نعم فخلى سبيل تفسير وأهل داره فتخلص هو من التصاق الفراش به فركب من حينه، ثم صار بعد ذلك لا يمر بقريتهم سلن أبدًا ولا ينزل بساحتهم البتة وينهى عنهم، فمن يومئذٍ قيل لهم كل سلناب أي الذين حاد ومر عنهم ثم خفف، فقيل كلسناب وهو الأصل الذين لقبهم أن لا الذين لقبهم كن، ولكنهم اشتهروا [412] بلقب كلسلناب بعد.

والسبب في ذلك أن تفسير دمب ملاط هذا له أخت يقال لها تك ملاط فتزوج بها بعض أهل كن من أهل كمك فولدت له ولدًا أسمته باسم أخيها دمب، فتعلم ذلك الولد العلم من الطلبة الفوتويين الذين أخذوا العلم من فر قرية في كجور ورجع عالمًا إلى سلن فاشتهر بتفسير دمب تك، ووافق ذلك إرادة غالب جوب الهجرة إلى جلف وأرادوا أن يهاجروا مع شيخهم الكبير تفسير دمب ملاط فاعتذر عن ذلك بأنه كبير السن لا يقدر على الهجرة الآن، ولكنه نادى ابن أخته تفسير دمب تك وأمره أن يهاجر معهم فقال لخاله ما الفائدة في صحبتهم، فقال فائدتها الوظائف التي وظفتها عليهم وهي لك وتقوم لهم مقامي، فقبل ذلك وارتحل معهم إلى جلف ومروا في طريق لاو وأرادوا الصعود إلى جلف من هاير، فلما وصلوا إلى جلف سكنوا فيها وركنوا إلى أهلها وصاروا يناكحونهم مع كفرهم وكادوا أن يتركوا الدين ويرتدوا إلى الكفر،[479] فقال لهم تفسير دمب تك فاعلموا أني عزمت الآن على الرجوع إلى فوت إما أن ترجعوا معي أو أرجع أنا وحدي عنكم لأنكم أردتم الارتداد عن الدين والعياذ بالله تعالى، فتشاوروا فيما بينهم ثم إنهم عزموا على الرحيل عن جلف، فمروا في طريقهم إلى بند مع ابن أخت شيخهم تفسير دمب تك فمات في بند وترك أولادًا كثيرة ذكورًا وإناثًا، فمن الذكور سري وعباس وسحنون وغيرهم، وسري هو الكبير فصار لهم في موضع أبيه كالخليفة عنه، وأما تفسير دمب ملاط [413] الذي تركوه مع بقية جوب في سلن فقد مات بعد رحيلهم إلى جلف وترك أولادًا لا يصلحون للتخلف مكانه وللنيابة منابه لفرط جهلهم، ومن ذريته أولاد دمب إسما تلميذ الفمهاري وهو من قبيلة آن، وأما تفسير دمب تك فقد رجعوا إلى فوت مع جوب، وقد بقي في بند بقية من جوب وفي جت كذلك، ثم إن سري بن تفسير دمب تك ابتدع قرية في ساد وسكنها مع البعض من جوب ثم ابتدع أيضًا قرية في فمهار وسكنها أيضًا مع بعض جوب وكانت له الرياسة على القريتين، وقد رجع من بقي منهم في بند وجت إليه وسكنوا في فمهار معه، قلت وأنا أظن أن ابتداع القريتين ساد وفمهار للفلاّن جوب فسكن فيهما معهم سري تفسير دمب تك ليقدموه شيخًا لهم ويفوز بالانتفاع بهم والله تعالى أعلم، ثم قال له بعض ألمامات فوت ولعله ألمام عبدل أن رياسة القريتين لا نرضاها لك ولا بد لك من الاقتصار على إحداهما والاكتفاء بها، فقال إني تركت ساد لأخي

479 - تعليق المؤلف: والذين ركنوا إليهم من فلاّن جلف جنغلب المسمون جولناب.

عباس فاشتهرت من يومئذٍ بساد عباس، ثم إنه إن سافر إلى فمهار يصر عباس إمامًا لساد وإن رجع رجعت الإمامة له وهكذا إلى أن توفيا، فتوارث القريتين بنو تفسير دمب تك إلى الآن، واعلم أن لقب أرط جوب كه فقط لا غير ويكون في كدط جوب غالبًا، وقد يكون من أهل كاتوت أيضًا، وتسري كلمته على جميع جوب حيث كانوا، والله تعالى أعلم.

295 – بعض أخبار قبيلة جاوب دمب

وأما جاوب دمب الذين تقدم ذكرهم في هذا التاريخ، فقيل أيضًا إن أصلهم من جاوب لا من جوب وهم الذين أخبروا [414] داينينكوب بأسرار جاوب عند القتال حتى غلبوهم كما مر في تاريخ جاوب وحينئذٍ قاطعهم جميع قبائل جاوب وهجروهم ففارقوا جاوب حينئذٍ وهاجروا عنهم وصاروا يعدون من ورقنكوب عامة ومن جوب خاصة، ويقال لهم عند كافة جاوب إلى الآن جاوب نناكند أي جاوب الذين لا يسمعون السر والنجوى، وأصلهم من صوط جاج ورانط جاج، وأما صوط جاج فهو والد كل صوط وبمب صوط التي كانت زوجة لأرط جاوب حين إفساد داينينكوب أمرهم وسيأتي ذلك في تاريخ جاوب، ويقال لكل صوط أيضًا عمر صوط والد دمب عمر ويقال له أيضًا دمب كل والد مهم دمب والد هانت مهم والد صو هانت والد مود صمب والد بوب مود والد عبدل بوب والد دمب عبدل والد هارون دمب المشتهر بأرط هارون في كبل الآن، وقيل إن دنب كل هذا هو الذي أرسله كل تقل إلى فوت وبه سموا بجاوب دمب لسرعته أي ياوب دمب، وإن الحكاية التي حكيت بأن طائرًا من طيور الزرع وقت زمن الربيع في فوت، فسقطت منه قطعة من البشنة القريبة من الإفراك، إلخ، كانت مع كل أمير داينينكوب لا مع أمير جوب، والله تعالى أعلم، وأما بمب صوط زوجة أرط جاوب فهي عمة لدنب كل هذا ولعله هو الذي دل داينينكوب على أسرار جاوب أو هو الذي هون على أقاربه الدخول في ملك داينينكوب، والله تعالى أعلم، ولجاوب دمب في أرض كبل من الحرائث كلاط دولل ثم لد ثم نصف من سائر كل ثم يولفط جاوب وال ثم يولفط هو جاب، ثم أن المخبر لم يخبرني بعقب رانط جاج [415] ولم أسأله أنا أيضًا عن ذلك نسيانًا منا جميعًا، والله تعالى أعلم، انتهى ما التقطت من تاريخهم ويليه تاريخ أرط بال.

296 - ذكر بعض الأخبار الخاصة بتاريخ أرط بال والتعليق عليها

وقيل كان فربال عبده، قلت ولعله كان كالجابي لأرط بال أولا والله أعلم، وكان مسكنهما كربال في بلد فر، وأن أرط بال كان يحارب كل تقل فهزمه كل ثم مات أرط بال فقام عبده فربال وصار يحارب كل حتى أنهم تقاتلوا سبع وقائع وتعاجزوا كأن كل واحد منهما عجز عن الآخر، ثم جاء ولد زوجة فربال من رجل غيره إلى كل وقال له إن كنت تريد قتله فأرسل إليه رجالاً منك للسلم والصلح بينكما ثم ينصبون له الملاهي فيخدعونه بذلك ويقتلونه فإن لم تفعل ما أمرتك به فإنك لا تغلبه أبدًا، ففعل كل ما أمره به فأرسل كت كمب من قبيلة سووناب وجيبلار من قبيلة سوتنكوب ونيما من قبيلة سيبوب إلى فربال فذهبوا إليه واصطلحوا معه وسالموه وجعلوا يلعبون بالرماح والقسي والسيوف، وكلما أخذ أحدهم في اللعب ولعب حتى قرب منه يريد غدرته رفع إليه رأسه فيستحيي ويخاف منه ويرجع عنه، فقال ولد زوجة فربال مطلكل برجحن فقال له نيما لا وكلا وقام وأخذ لعبته أي قوسه الذي يلعب به فأخذ يلعب حتى قرب منه وحين رفع فربال رأسه إليه رماه بالنصل فأصابه فقام فربال على الفور كالمجنون وركب فرسه الأشهب [416] وهرب بألم النصل حتى وصل إلى موضع تحت هورفود يسمى بال جلا فخر ميتًا هنالك فاستولى كل على ملكه، هـ، عن آمد كالوو، والله تعالى أعلم، وكلامه هذا إن كان حقًا يدل على أن سوتنكوب جاءوا مع داينينكوب إلى فوت أولاً بخلاف ما مر في تاريخهم، والله تعالى أعلم، وقيل أن أرط بال ارتحل عن كربال بعدما صار الملك في يد فربال وقد جار واشتد ملكه عليهم فسكن في نباج.

297 - روايات عن طغيان ستك سيبوب

وكان في أجم كد حينئذٍ ستك سيبوب جلب من ذرية آللنك وكان سلطانًا لمن في سنكال من أهل فوت حينئذٍ وكان سَيِّئَ الملكة، وقد رجع في بعض أسفاره ذات مرة ووجد الناس قد حرثوا حرائثهم النيلية قبل رجوعه فأمرهم أن يردوا السنابل إلى قصباتها كما كانت فجعلوا يغرزون الشوك في القصبات ويتوسلون بذلك إلى رد السنابل لقصباتها إلى أن كملت الحرائث وصارت كما كانت قبل الحصاد ثم أمرهم بعد ذلك بالحصاد، ومن سوء مملكته أنه كان في بعض الأعياد يضحي بأبناء ملوك الفلاّن ويتناوبون ذلك في السنين فهذه

السنة مثلاً يضحي بابن أرط فلان من أرطات الفلاّن والسنة الأخرى يضحي بالآخر وهكذا، وقد أرسل إلى جوم سلب في مرد ذات مرة في بعض السنين أن يرسل إليه ابنه ليضحي به فقام بعض «انثانبَ مَرْدَ» فأعطاه ابنه ليضحي به عن ابن جوم سلب فذهب به الرسول إلى ستك سيبوب جلب فذبحه وكان ذلك سببًا مقربًا لآنثانب مرد إلى جوم سلب كأن بينهم رحمًا من ذلك الوقت إلى الآن، فاتفق في بعض السنين بأن أرسل ستك سيبوب جلب إلى أرط بال [417] بأن يعطيه ابنه ليضحي به مع أنه ليس له حينئذٍ ولد غيره وهو أيضًا ابن بنت أرط جلب كاول، فهرب ولد أرط بال إلى خاله أرط كاول وامتنع من الحضور، فتوافق أرط كاول وأرط بال على الإباية والامتناع، فرجع الرسول محرومًا خائبًا إلى مرسله وأخبره بما جرى، فجمع جيشه وقصد أرط بال وكان قد اجتمع مع أرط كاول على قتال ستك سيبوب جلب فقاتلاه وهزماه بعدما تفانى الكثير من الفئتين، فرجع ستك منهزمًا وتبعوه إلى صمب بول موضع بين سلن وأجم بارك، ثم رجعوا عنه فجعل ستك يتهيأ لاستجياش الجيش الآخر إلى أرط بال أيضًا، فلما سمع بذلك أرط بال ارتحل هو وقومه بالبالب إلى بند فنجوا بذلك وكانوا هنالك إلى زمن ألمام عبدل، فجاءه أهل سول فطلبوا منه أن يعطيهم المسكن نباج فأعطاهم وكان يقال نباج بال فصار يقال نباج سول، فسمع بذلك أهل أرط بال فرجعوا وذهبوا إلى ألمام عبدل واشتكوا إليه أمر نباج فقال لهم كل ما كنتم تحرثونه فهو لكم وما لم تكونوا تحرثونه من قبل فهو لأهل سول، وقيل أنه حكم بينهم بأن يتركوا لسولناب ما قطعوا من أشجار الحرائث قبل رجوعهم وما لم يقطعوه بعد فهو لأرط بال، فرضي الكل بهذا الحكم فرجع أرط بال إلى نباج وسكن فيها، وقيل كان بين ارتحالهم وبين حكم الإمام بينهم وبين أهل سول ثمانون سنة، والله تعالى أعلم. قلت فإذا كان ذلك حقًا يكون [418] ستك جلب سيبوب أجم كد هذا مندرجًا داخلاً في ملك داينينكوب وأن سلطان داينينكوب هو الذي يملكه لا غير وأن ارتحال أرط بال من نباج إلى بند كان في زمن الفتن التي كانت بين داينينكوب، تأمل وهو مشكل جدًا، والله تعالى أعلم.

298 - بعض أخبار بالبالب وفروعهم

وأما بالبالب الذين بقوا في فرل فهم هنالك في حكم أرط بال وهو الحاكم الذي يأخذ جناياتهم في زمن ألمامات فوت إلى أن دخل ملك فرانس مثل دود صمب لفلاب، واعلم أن

ملك أرط بال للحرائث ملاصق لملك أرط جلب كاول وهما متحادان، فلما انجلى أرط بال عن نباج وانجلى وطاب عن ورسوك وغيرهم صار ما بين بنكجو إلى ءوك صحراء خاليًا لا ماء فيه ولا نار وكان يسمى يلد كاراق، ثم سكن يرلاب في ورسوك وبيناج وسكن سامب وأهل سول في نباج مع بالبالب قوم أرط بال وسكن أهل ورمول في بك سبد وسكن دمبب كد في دلماج دمب وأهل هاير قنياب في دلماج وقنياب وبرناب وأهل جك وليدب آجم في دومك ورألقا وسكن أهل كلي في دومك ور سارن دمب وسكن أهل رنجو في دومك بوسياب وسكن أهل بول في بوليل، فاستأنس هذا الصحراء بهؤلاء، واعلم أن ملك أرط بال كان مبدؤه من مكان قريب من أوك إلى ببرل سرط بين هنترب وساد، ومن دلماج دمب إلى بكجو كان في ملك أرط جلب كاول، وقد أخبرني بعض بالبالب في نباج بأن بالبالب هاجروا من مرتن إلى كيهيد ثم هاجروا منها إلى تلد كدال مغرب شمال نباج سول أي في الجوف [419] بين الشمال والمغرب وكان محادده في حد ملك الأرض أرط جلب كاول غربًا وحد ملكه شرقًا بك أوك الملاصقة للقرية، وكان ستك آجم كد من سيبوب جلب يضحي في كل عيد الأضحى بابن ملك من الفلاّن فنابت النوبة لابن أرط جلب كاول وكانت أمه ابنة أرط بال، فقال له أبوه اهرب إلى أخوالك فهرب إليهم، ثم جاء رسل ستك آجم إلى أرط جلب يطالبونه بابنه فقال لهم إنه عند أخواله فتجاوزوا إليهم فطلبوه من أرط بال فقال لهم قولوا لستك نعطيه من كل حيوان مائة ومن كل مال صامت مائة فرجعوا إليه فأخبروه فأبى عن ذلك، فرجعوا إلى أرط بال فطلبوا منه ذلك الولد ثانيًا فأعطاهم بارودًا ورصاصة فقال لهم قولوا لستك ليس له عندنا إلا هذا، فلما أخبروه بذلك أرسل إليهم جيشًا فغلبوا ذلك الجيش وهزموه فجعل ستك يهيئ جيشًا ثانيًا فيقوده هو بنفسه إليهم فلما سمعوا بذلك ارتحلوا هاربين متفرقين فمنهم من ذهب إلى فرل ومنهم بالبالب فرل، وصار بعضهم مع فلاب ومنهم من تجاوز إلى فريا، ثم في زمن ألمام عبدل جاء واحد من رؤسائهم إليه وطلب منه أن يرجع إلى مسكنهم الأول تلد كدال فأمر ألمام السكان قبله أن يفسحوا له في المسكن وهم سولناب وبوناب فأفسحوا له وسكن وسطهم في نباج بال وصار حدهم في الملك غربًا ببرل سرط مغرب فمب وحدهم شرقًا الوادي فات بوك، وأعطاهم ألمام عبدل كل شجرة وجدوها لم تقطع فصار جل الأرض لهم ولم يكن لسولناب في وراء النيل [420] السنكالي أي ماي ورك إلا كلاط طط أي إلا اثنتين من كلاط إحداهما تسمى هان والثانية تسمى جاو، وكان الذين في فرل من بالبالب تحت حكم أرط بال في زمن

ملك فوت إلى زمن ملك فرانس فانقطع ذلك وفي ملكهم فل تسمى بيسر مغرب البحيرة وبيسر مشرقها أيضًا، ولهم من حرائث كلاط دون البحيرة كلكل تسمى كاووج وفود تسمى كتول، ولهم حرائث كلكل وراء البحيرة تسمى هان لبل وغير ذلك من فوط فيما وراء تلك البحيرة، ولهم حرث كبير في هان الكبيرة وهي هان أهل سول، ولأهل سول من فل دون البحيرة سرقل وفل سبلب، ولهم دون البحيرة كلكل دب دقا، ولهم فيما وراء البحيرة من فل قرل فقط، انتهى خبر هذا وبانتهائه ينتهي ما التقطت من أخبار أرط بال، والله تعالى أعلم.

299 - كاكاب، أصلهم ونسبهم ومواطنهم

تاريخ كاكاب، مثل أهل سول ونحوهم قيل إن أصلهم ماسينا من موضع يسمى سويل ومن هناك ارتحلوا بمواشيهم إلى أن سكنوا من منكل قدمغ ثم ارتحلوا عنه إلى جان ثم ارتحلوا إلى سالم وتركوا بقيتهم في جان يسمون جلب وجالال هنالك، ثم ارتحلوا إلى جلف وسكنوا في موضع منها يسمى كاكاقسي ومن هذا اللفظ اشتق لقبهم كه، وذلك لأنهم كما قيل إن سبب ارتحالهم عن ماسينا قتلهم ابن الملك هنالك فارتحلوا [421] هاربين إلى أن بعدوا فصاروا يسكنون تارة ويرتحلون أخرى إلى أن وصلوا إلى جلف فأتوا الموضع الذي سكنوا فيه فقال بعضهم لبعض كاكاقسي فلنسكن ها هنا ومعنى كاكاقسي في كلام فلاّن أهل ماسينا هذا الكلام قد تم وانقضى أي هذا الكلام الذي كنا هاربين لأجله قد انقضى وتم، قلت ولو كانوا فوتويين لقالوا كاكي قسي بالياء المسكونة بعد الكاف الثانية، وبعضهم من يك دمب وبرم دمب ومن برم دمب كاكاب جوقل، وأما يك دمب فهو والد بلال يك وصو يك، وأما بلال يك فيعرف ببلال كه ومنه سكان قس لامن قرية في جلف ولا يتكلمون إلا باللغة الولفية، وأما صو يك فمنه بعض كاكاب الذين هم من جنقلب في جلف، وصو يك أيضًا هو والد يت صمب الذي أولاده هم الذين في فوت لان يت هو والد بكار يت وجب يت وير يت وحمات يت وصو يت، وأما حمات يت فهو والد داود حمات والد مختار داود وكيو داود والد دودي كيو والد سعيد دودي والد برس سعيد والد مصطفى برس والد حمات مصطفى والد ير حمات والد أحمد ير والد محمود أحمد المخبر، وقد نسينا ذكر عقب مختار داود، ومن حمات يت أيضًا بعض كاكاب في نباج بال الذين منهم ألفا عبدل، وقيل أيضًا إن من حمات يت كاكاب

جوقل، والله أعلم، وأما ير يت فمنه ناحية في سول يقال لأهلها جابناب، ومن ير يت أيضًا كاكاب ديرل [422] اسم واد في مرتن داولل، وقيل إن منه أيضًا كاكاب سلن وفت وجاب، والله تعالى أعلم، وأما صو يت فيقال لذريته جكايب أو جكسب ومنهم من صار من تورب ومنهم من في جاوب إلى الآن، ومن الذين صار منهم تورب أهل نباج سول لأن صو يت هو والد عبد الله صمب والد ورسك أو وارسك عبد الله والد أحمد ورسك والد سعيد أحمد والد أحمد سعيد والد محمود أحمد والد مختار محمود والد سارن سلي المخبر في نباج سول وزعم أنهم ما فارقوا أوررب دك من وقت ارتحلوا عن جلف إلى الآن، وأما الذين منهم في جاوب إلى الآن فهم من عال صمب يت أخي عبد الله صمب يت وعال صمب يت هذا هو والد دمب غال والد بوي دمب وصمب دمب وسل دمب، وأما بوي فهو والد بوب بوي والد عال بوب وكاسم بوب، وأما عال بوب فهو والد مالك عال وحمات عال والد تقد حمات والد عمر تقد وبوكر تقد والد سوير بوكر والد أحمد سوير والد صمب أحمد في جكياب كبل الآن ويعرف بصمب دمب لأن أباه معروف بدمب سلل، وأما عمر تقد فهو والد بوكر عمر والد عال بوكر في جكياب كبل الآن ولم يذكر لنا نسل مالك عال وكذا نسل صمب دمب وسل دمب نسيانا منا ولضيق الوقت أيضًا، وأما كاسم بوب فهو والد حمدن كاسم والد سارن الحسن جاو والد سري سارن والد الحسن سري في جكياب كبل الآن، ولسارن الحسن جاو أولاد غيره، وكذا لكاسم بوب أولاد غير حمدن المذكور، والله تعالى أعلم، وسيأتي ذكرهم أيضًا في تاريخ جاوب إن شاء الله تعالى، قلت وهذا يدل على أن هجرتهم كانت مع هجرة جاوب وأنهم [423] إنما فارقوا جاوب بعد فساد ملكهم ولعل هذا هو الحق وغيره من الحكايات كلها باطل بدليل بقاء بيت أي فخذ منهم مع جاوب إلى الآن، والله تعالى أعلم، وأما جب يت فهو والد مالك جب والد سليمان مالك والد عمر سليمان والد دمب عمر ومالك عمر، وأما دمب عمر فهو والد محمود دمب وسيسي دمب وحمى دمب، وأما محمود دمب فهو والد سيسي محمود الذي هو سيسي طريج المعاصر لألمام عبدل والد ممد سارن سيسي طريج وأحمد سارن سيسي ومحمود سارن سيسي طريج، وأما ممد سارن سيسي فهو والد سارن سيسي ممد خليلي السولي الذي ألفت له من قبل تأليفًا يسمى بالأستاذ الكافي في علمي العروض والقوافي وهو والد مجخت الذي هو من أهل تلبنار بوسي الآن، وكلاهما سالم الآن في سول.

300 - بعض الأحداث المهمة في سنوات 1200 و1210 و1342 و1343

وقد أخبرني خليلي هذا سارن سيسي بن سارن محمد بن سارن سيسي طريج في أجم سول أن بوكر عال دند ولد عام غزوة علي الكور وهو عام يرش 1200،[480] وأن بين غزوة علي الكور وغزوة بنكوو عشر سنين وبين بنكوو وبين قتل ألمام عبدل في كوريك عشر سنين، وغزوة بنكوو وقعت في عام يرش 1210،[481] وقد ولد في ذلك العام الشيخ الحاج عمر وألمام راسن في سنس بممب وألمام الحسن في هاير وألمام أحمد سارن دمب في جاب، كلهم ولدوا في عام بنكوو، قلت والأصح أن غزوة بنكوو وقعت في عام «جيرش» 1213 من الهجرة[482] كما في الدرع والمغفر في الرد عن الشيخ عمر، وأما أبوه سارن محمد بن سارن سيسي طريج فقد ولد في عام جبياب قال ومن ذلك العام إلى عام 1342 من الهجرة[483] قدره [424] 125 سنة، وقال أيضًا في عام جبياب هاجر جل أهل بند من الجوع على فوت وهم الذين علموا أهل فوت صنع قاب التي أساسها على العمود فوق الحجارة، قلت وقاب جمع قاور وهو مخزن الزرع بسنابيله عندنا وكانوا لا يعرفون لخزن الزرع إلا سكاج أو البيوت الصغار، اهـ كلام سارن سيسي ممد، وقيل أيضًا أن أهل بند هم الذين أدخلوا الذهب في فوت عام جبياب وكانوا لا يعرفون الذهب قبل ذلك، والله تعالى أعلم، وأما خليلي سارن سيسي ممد هذا فقد ولد عام ملك ألمام ممد البمبي الأول ومن ذلك إلى هذا العام الذي هو عام 1342 من الهجرة[484] 86 سنة.[485]

301 - عودة إلى ذكر نسب قبائل كاكاب

فلنرجع إلى ما كنا بصدده ونقول وأما أحمد سيسي طريج فهو والد سارن سيب والد بكاي الذي مع أهل كممرس الآن وله أخوان وهما أحمد سارن سيب وعبدل سارن سيب وكلهم في الحياة الآن، وأما محمود سارن سيسي فلم يبق من ذريته إلا الإناث، وأما سيسي

480 - عام 1200 هـ يوافق 1785 م، وترقيم هذا العام بالحروف هو: يرش.
481 - عام 1210 هـ يوافق 1795 م.
482 - عام 1213 هـ يوافق 1798 م، وترقيم هذا العام بالحروف: جيرش.
483 - عام 1342 هـ يوافق 1923 م.
484 - عام 1342 هـ يوافق 1923 م.
485 - تعليق المؤلف: وقال أيضًا إن عمر عبدل بوكر تسع وخمسون.

دمب فهو والد عبدل سيسي والد محمود عبدل وحسن عبدل وحسين عبدل وسيسي عبدل، وأما محمود عبدل فهو والد أحمد وبوكر وفالل، وأما أحمد فهو والد بوكر أحمد وقد مات وولداه أحمد بوكر وسيسي بوكر سالمان الآن، وأما بوكر فهو والد بيد كوكا سالم في سول الآن، وأما فالل فهو والد أحمد فالل في سول الآن، وأما حسن فهو والد حسين حسن وتلد حسن الذي هو سري حسن، وأما سيسي عبدل فلم يبق من ذريته الآن إلا الإناث، ولسيسي محمود الذي هو سيسي طريج أخوان وهما أحمد محمود وعبدل محمود، وأما أحمد محمود فهو والد سري أحمد والد سيسي سري والد بيد الله رئيس سول الآن، [425] وأما عبدل محمود فهو والد ممد عبدل والد سيسي ممد الذي هو دمب أم وراسن ممد الذي هو ير أم، وأما حمى دمب عمر فهو والد عمر حمى الذي منه شيخ ممد مود وإخوته ويقال لفخذهم في سول تلدناب اسم حرائث كلكل أضيفوا إليها أعطاهم إياها ألمام عبدل، كما قيل إن بني عمهم الذين يقال لهم في سول سويرنكوب أساؤوا الأدب على ألمام عبدل بل قد أظهر له كبيرهم حينئذٍ المسمى سارن بل سوير العداوة جدًا، فأما تلدناب فقد أهدوا له حين نزل ضيفًا في أجم سطي مائة مائدة من الطعام وإكرامًا له فأعطاهم تلك الحرائث كلكل كما قيل، والله تعالى أعلم، وأما بكار يت فهو والد ير بكار والد بوب ير ودرمان ير، وأما بوب فهو المسمى سوير هو والد راسن بوب ويقال له راسن سوير والد بوب راسن والد صمب بوب والد بل صمب والد عبدل بل والد عمر به وجال وقد ماتا وأولادهما في سول الآن، قلت ولعل بل صمب هو سارن بل سوير المعاصر لألمام عبدل ولعل أباه صمب يسمى سوير باسم جده سوير الأول، والله تعالى أعلم، وأما درمان ير فهو الذي هاجر إلى كلي وهو والد عال درمان والد حمت عال والد برس حمت والد صمب برس والد جاي صمب وحمدن صمب، وأما جاي فهو والد أحمد جاي المعروف بأحمد دل والد ممد أحمد وسيسي أحمد وإبرا أحمد وقد ماتوا وتركوا أولادهم في كلي الآن، وأما حمدن فهو والد صمب حمدن والد أحمد صمب الذي هو ألفا أحمد ساج والد ممد ألفا وجاي ألفا وكان يقال لممد ألفا سارن ممد ويقال لجاي ألفا شيخ أنجاي وأولادهما في كلي سالمون الآن، وسارن ممد ألفا هو والد سايفد كنتن [426] في مرتن الآن الذي اسمه يحيى كه.

302 - تولية يحيى كه ديوان سايف

ومن أسباب توليته لهذه الولاية أن عبد الله كن المسمى محمد الأمين هو أول من ولي سايف في الديوان الذي فيه يحيى كه وكان يحيى هذا وزيرًا له وقيل قاضيًا له، فلما مات محمد الأمين قام يحيى يطلب ملك ذلك الديوان لنفسه، وكان عبد الله كن حينئذٍ زوجًا لأمه وكان سليم الصدر أيضًا فأعانه على ذلك المطلب حتى ولاه فرانس على ذلك الديوان كما قيل، والله تعالى أعلم، وقد رأيت للشيخ أنجاي قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها:

صلى الإله صلاته وسلامه
تترى على قطب الوجود الأمْجَدِ
قطب أدار رحى البرية حوله
فتاح أقفال القلوب الجمَّد
زين الورى سعد البرية ليث السرى
جمُّ القِرَى حَلَّالُ أغلال الحَدِّ
سامي العلى صافي الحلى نافي البلى
ساقي العدى شربا بضرب مهند
فرد سرى في ليلة سعدية
جاز السما نحو العلاء المنجد
فالملك والملكوت طوع يمينه
ما زال يسمو للأجل الأبجد

إلى أن قال:

ما زاغ منه الطرف ما كذب الفؤا
د كيف لا فَهْوُ الحبيب الأوحَدِ

إلى أن قال:

رام الكليم مقامه فاندك من
ه الطور عند مقاله كالأثمد
جاء المسيح مبشرا بقدومه
متمسكا بحبال هذا الأوحد

و هكذا إلى آخرها وهي قدر إحدى وعشرين بيتًا، غفر الله لنا وله وستر علينا وعليه، آمين، ومن أسباب تخليد سكناهم في كلي أن رئيسها جم بمب كل دمب جم بلل دل قرب قيا جاج سادق سنر بطول ماكم قد زوج بنته فاتم دم بمب لعال درمان ير وصدقها عليه مع حرائث [427] نيلية.

303 - حكاية السفينة المفقودة وما يروى عن علاقة صمب حمدن بأسرة فرنسية

ومن ذلك أيضًا أن صمب حمدن برس كان طلب من أبيه حمدن اللباس فأعطاه القرطاس فقال له هذا هو لباس أمثالنا فذهب إلى المشرق إلى أن أتى كوريك، قلت ولعله في زمن تصيف جوم علو فيها ثم يرجع إلى كنكل للتخرف وكانوا يسمونها حينئذٍ كوريك تت، فالتقى صمب حمدن فيها مع تاجر من أهل أندر يسمى صمب جب فحصلت بينهما الخلة والمحبة، فلما أراد صو جب الرجوع إلى أندر رافقه صمب حمدن إليها وأنزله صو جب في داره فصار ضيفا له فمكث فيها أيامًا وكان من قضاء الله أن أحد الأغنياء من الفرانساويين الذي في أندر قد دخل ابنه في سفينة دخانية إلى فرانس ثم في رجوعها إلى أندر ضلت في البحر، وكان الذين في أندر قد علموا بقيامها من فرانس إلى أندر ولكنها لم تصل إليهم في الوقت الذي جرت العادة بوصولها فيه، فتراسلوا مع أهل فرانس استخبارًا بأمرها إلى أن علموا بأنها قد ضلت في البحر، فاغتموا لذلك جدًّا وكان صو جب تاجرًا يبيع لهم فأظهر لهم أمر ضيفه وأنه يعلم شيئًا فتجاعلوا معه في هذا الأمر، فرجع صمب حمدن إلى منزله مشتغلاً بأمر السفينة إلى أن رآها في المنام آتية إلى أندر سالم جميع ما فيها فأخبر ذلك لمضيفه صو جب وما زال يرى ذلك إلى ثلاث مرات وهو في كل مرة يخبر مضيفه بما رأى،

فذهب معه إلى أرباب تلك السفينة فأخبرهم بسلامتها ورجوع ابنهم فيها سالمًا، فقال له إن صدق مقالك أعطيك من المال ما يكفيك، [428] فبينما هم في ذلك إذ ظهرت لهم السفينة آتية فلما وصلت سالمة بما فيها أحضروا صمب حمدن يريدون أن يعطوه المال المشترط فأبى وقال لا أحب إلا مخاللتكم وأن تحسبوني منكم مدى الدهر فتراضوا بذلك وثبتوا عليه إلى الآن وقد صاروا لهم كالموالي يتزوجون من إمائهم ولا ينزلون إلا في دورهم بلا كراء إلى الآن، وكان من أهل تلك الدار الفرانساويين مس لودسمي المعروف ومنهم امرأة تسمى نسفير وكانت لها بنت تسمى مريان أو مريم وابن نسيت اسمه، قلت يمكن أن يكون ما أخبرهم به صمب حمدن رآه في منامه بالاستخارات النومية أو رآه باستعمال علم الرمل فإن أهل كه من أهل سول كثير منهم يشتغل بعلم الرمل إلى الآن فيهم من يستعمله، لا أدري هل أخذوه من جلف حين كانوا فلاّنًا أم لا، والله تعالى أعلم.

304 - عودة إلى ذكر بعض فروع قبائل كاكاب (جاجاب)

ثم اعلم أن أهل كه قد صاروا من أعلى تورب في فوت جدًّا فلم يفضلهم منهم أحد الآن، والله تعالى أعلم، واعلم أن كلي من جملة ورقنكوب وكذلك جمئع سيبوب وطاب الذين سنذكرهم في تاريخ تور عند الكلام على وطاب ولكن لم أتمكن من أخبارهم إلا ما سأذكره هنالك، وأما كلي فكذلك لم أتمكن من أخبارها إلا بما هنالك، ولكن مما يتعلق بأمرها أن بعضهم ارتحل إلى دمك في الزمن الأول وسكنوا في بر ماتم وسموا مسكنهم بساين كلياب نسبة إلى قريتهم كلي لاجتماع قبائل كلي عندها وكان فيها بعض سيبوب كلياب وقد ارتحلوا عنها كلاً أو ماتوا ولم يبق [429] منهم الآن إلا الإناث، وفيها إلى الآن جاجاب وليدب كنهنب وفيها سب جوكناب كلي وفيها سامب الذين لقبهم سام ويقال لهم سامب عال جم، وقد ارتحلوا إليها من بيناج، والله تعالى أعلم، واعلم أن كلياب حيث سكنوا يسمون مسكنهم بكلياب نسبة إلى قريتهم كلي ولهم قرية في بند تسمى كذلك، وفلاّنهم إلى حيث ارتحلوا يسمون فلب كلياب هنالك، ومما يتعلق بأمرها أيضًا ذكر نسب جاجاب الذين هم فيها وهم من فينا جانا، وقيل إن فينا هو لامتر مس وأنهم قد سكنوا في تايقنت ثم سكنوا في بايل با في مرتن فدور ويعرف أيضًا ببال بال، ومن أولاده فج فينا والد عل فج والد عال عل وحمى

عل، ومن حمى عل جاجاب قمب وجاجاب باباب لوت، وأما عال عل فهو والد سعيد عال والد سليمان سعيد وهو الذي ينسب إليه جاجاب كلي ويقال لهم جاجاب سليمان، ومن إخوته عال سعيد وبوب سعيد وعرف سعيد، وأما سليمان فهو والد مات جه سليمان والد موسى والد صمب موسى والد موسى صمب والد صمب موسى والد إلمان جاي موسى والد إلمان سري إلمان جاي والد ألفا موسى إلمان سري والد أحمد ألفا الذي ذهب به فرانس إلى قبو لادعائه المهدوية وهو المخبر، وإخوته سليمان ألفا ومحمود ألفا وإبراهيم ألفا وهو المعروف بهدي وهؤلاء كلهم في قيد الحياة اليوم، وأما عرف سعيد فمنه جاجاب دوجه وبيت محمود جار، وأما عرف فهو والد حمد عرف وعال [430] عرف، وأما حمد فهو والد دو حمد والد يوسف جمب والد خاليد يوسف الحي الآن، وأما عال عرف فهو والد صمب عال والد سل صمب والد عال سل والد حمات عال والد محمود حمات المعروف بمحمود جار والد سليمان محمود الحي الآن، وأما ذرية عرف سعيد فقد ضيعوا العلم من عهد عرف إلى الآن وما اشتغلوا إلا بالصيد في البر والتحوت في البحر، وأما سعيد عال فذريته في ورسري ويعرفون هنالك بدار عال سعيد، وأما ذرية بوب سعيد فهم الآن في آجم تلل سل وما زالوا على حالتهم القديمة وهي الفلاّنية إلى الآن، وفي كلي فخذ من جاجاب يقال لهم بيت ساج صمب ويقال إنهم من سيول عال والد صمب سيول والد بوب صمب والد حمد بوب والد دو حمد والدمات جه دو حمد ومحمود دمب المعروف بمحمد حمد وإبراهيم دمب المعروف بخال دمب، وأما ذرية جاجاب دوجه فهم الذين يملكون أرط كلياب أي يختارونه لأن يملك ملك أرط بأجرة وافرة، والله تعالى أعلم، وأما سارن جاي زليخ من أهل كلي فقد زعم بعضهم أن نسبه فينا والد جانا والد موسى جانا والد بران موسى والد ير بران والد كل ير والد سليمان كل والد مات سليمان والد بكر مات والد موسى بكر والد بوب موسى والد حمات بوب والد صمب حمات والد جاي صمب الذي هو سارن جاي زليخ، والله تعالى أعلم.

305 - ذكر بعض أخبار فروع ورك

ومن أهل ورك أيضًا سوواب سلن لومب أي الذين لقبهم لوم ويقولون لأنفسهم سلن تكسل أي سلن الصغيرة أو إلناب أيضًا نسبة إلى إل يلط، ومعنى سوواب أي لا يسمون ويزعم السفهاء أن من ذكر لقبهم في الصبح على الريق لا ينال في ذلك اليوم شيئًا ويحبس

الله عنه جميع الأرزاق حتى الطعام، وهو باطل لا أصل له ولا فصل، وقد جرتهم السفاهة [431] إلى أنهم لا ينكحون من نساء لومب ولا ينكح لومب من نسائهم البتة وذلك أقبح عندهم من كل قبيح، وقد بلغني أن في تلل سل ناحية من قبيلة جه وهم في ناحية الجنوب من تلل سل يتزاوجون من هؤلاء لومب، وقد بلغني أيضًا أن أهل فمهار جوب يتزاوجون معهم أيضًا وقد تزوج من نسائهم واحد من جوب كفل في هذا الزمن ولكن ذلكما الزوجين قد افترقا الآن كما قيل أيضًا، وقد بلغني أيضًا أن في سلن الكبيرة فلاّلاً يقال لهم بريط إلناب يتناكحون معهم أيضًا، والله تعالى أعلم، وإذا بعد أحدهم وانتقل عنهم يغير لقبه من لوم إلى به غالبًا خوفًا من الحمقاء، وقيل إن لومب هؤلاء هم أول من سكن في سلن وكان معهم من السودان الذين لقبهم جاج وهم الذين كانوا جباة لأرضهم في الأصل وكان يقال لقريتهم لومب أو سوواب فقط قبل سكنى أهل سلن فيها فما زالوا فيها إلى أن وجدوا رجلاً يسمى بادل ساكنًا في حفرة تحت الأرض وكان يفترس عجاجيلهم فرصدوه إلى أن رآه واحد منهم وقد دخل في الحفرة فقال له إن لم تخرج أحرقك في حفرتك فخرج وأخذه وأحسن هيئته وألبسه الثوب وزوجه بأمته فولدت له أولادًا ومنه بادلناب في سلن نسبة إليه ولقبهم جه، ثم إن أولاده تزوجوا من بنات جاج فتوالدوا وكان بعض أولاد بادلناب الذي خاله من أهل جاج عاقلاً جدًا وكان خاله هو الجابي لأرط إلناب فلما رأى خاله عقله صار يرسله إلى ألمام عبدل في أمر الجباية إلى أن مات خاله وقد عرفه ألمام وألف به جدًا، وكان خاله الجابي قد ترك ولدًا صغيرًا فجعل جابيًا مع صغره فقام ابن عمته العاقل يطلب الجباية لنفسه فخاصمه أولياء الصغير وأثبتوا بأنه ليس منهم بل بن بنتهم فقط فخصمه الصغير فصار يميل إلى سارن مل حتى أماله بماله وغيره من كلامه المميل إلى أن أعانوه بالباطل [432] وتولى أمر الجباية بالباطل، فما زالوا يتنازعون إلى أن انفرد أهل بادل الفرعيون بالأمر الآن واختصوا به دون أربابه الأصليين وهم أهل جاج، وكان أهل بادل قد انتقلوا من قريتهم إلى سلن يختارون ولاية سارن مل عليهم عن ولاية مواليهم وكانوا يشاركون ساداتهم في الجبايات وفي بيت المال ثم صيروا حظهم ونصيبهم إلى سارن مل وقد ضعف أمر ساداتهم من حينئذٍ إلى الآن فلذلك أعانهم سارن مل إلى أن صاروا جباة، وكذلك قد انتقل إلى سلن أهل جاج أيضًا كما سيأتي قريبًا فصاروا هم وأهل جه يتنازعون ملك جاكرف ومعناه عندنا الجابي، فيعطون سارن مل رشوة على التمليك فيملك من اختاره منهم لكثرة رشوته فيكون لهم كراء الأرض

ويعطي سارن مل منه ما يرضيه (...)، وأما الزكاة فتقسم كذلك قسمان فيكون لجاكرف ثلثان منها والثلث الباقي لسارن مل وهكذا إلى الآن كما قيل، والله تعالى أعلم. ولقب رئيس لومب أرط ولقب قبيلته به وكذا لقب جميع أهل القرية به، وكان أصل لقبهم لوم فغير فلأنهم هذا اللقب إلى به إلا سوادينهم فلقبهم حيث كانوا لوم إلى الآن، ومنهم من في سلن لقبهم لوم إلى الآن ويقال لهم إلناب نسبة إلى يلط وأولاده حمد إل وصمب إل ودمب إل وكدي إل وبوي إل وبنجل إل وكوروو إل وكل ذراريهم في سوواب إلى كوروو إل فقد انقرض عقبه وكذا بنجل إل فذريته في فرل، والله تعالى أعلم.

306 - عودة إلى ذكر عقب بعض رجال سوواب وغيرهم

وقد ذكر لي المخبر وهو من ذرية كدي إل نسبه فقال كدي إل والد موسى كدي والد كل موسى والد صمب كل والد دو صمب والد صو دمب والد عال صمب والد صمب عال المخبر وسنه حينئذٍ إحدى وثمانون سنة كما أخبرني بذلك عن نفسه في عام 1923 من الميلاد،[486] وزعم سري عباس بأن سبب تسميتهم بسوواب أن ستك تزوج ببنتهم في الزمن الأول وأحبها جدًا ثم أمر الناس أن يكنوا اسم قريتهم ولا يسمونها تصريحًا تكرمة لهم كما يثقل على أحدنا معشر أهل فوت أن يصرح باسم أم حليلته أو تصرح الزوجة باسم أم حليله، والله تعالى أعلم. ثم اعلم أن أهل جاج أيضًا انتقلوا إلى سلن الكبيرة كما انتقل إليها بادلناب ولكن أهل يادل مع فسادهم وإفسادهم وانتقالهم [433] إلى سلي بضم السين وتشديد اللام، فلذلك نسبوا إليه وقيل في لقبهم سلي بكسر السين، وزعم بعضهم أن اسم ذلك الوادي صلاح فلقبوا بذلك سلي، وقيل إن بنت ستك بوسي التي تزوجها كبير سلناب اسمها سبي حمات تمان مود جبد هط كل دل فإذا هي بنت ابن تمان مود، والله تعالى أعلم، ومجمع قبائلهم رجل اسمه يوسف حمد هار وهو أصلهم كلاً ويوسف هذا هو والد صمب يوسف وموسى يوسف، وأما صمب فهو والد إبرا صمب والد حمات إبرا والد سري حمات والد بوكر سري وإبرا سري وحمى سري، وأما بوكر سري فهو والد سعيد بوكر ومحمود بوكر وعثمان بوكر وإبرا بوكر، وأما سعيد بوكر فهو والد محمد سعيد والد حمى محمد المعروف معاد لأن أم أبيه محمد سعيد سمته بمعاد فهما اسمان له محمد ومعاد، وأما

486 - عام 1923 م يوافق 1342 هـ.

محمود بوكر فهو والد عمر محمود وعثمان محمود، وأما عمر فقد انقرض عقبه، وأما بوكر عثمان فهو والد فالل عثمان وسري عثمان، وأما فالل فهو والد سيد فالل ومحمود سالمان الآن في سلي، وأما إبرا بوكر فقد صار عقبه الآن إناثًا، وأما سري عثمان فهو والد حمى سري واشتهر بحمى بكل سالم الآن ولكنه في كناكر، وأما إبرا سري فهو والد صمب إبرى وحمى إبرى وبوكر إبرى وقد انقرض عقبهم كلاً إلا صمب إبرى فقد بقي في عقبه بنت بنته تسمى فاطمة عيشة زوجة للمن حمد في كبل، وأما حمى سري فهو والد سارن دو حمى والد ممد دمب وإبرا دمب وماتا [434] ولم يعقبا شيئًا، هنا انتهى ذكر عقب صمب يوسف حمد هار، وأما موسى يوسف فهو والد راسن موسى والد سيد راسن والد حمد سيد والد سارن حمى حمد والد محمود سارن حمى والد سارن سلناب عثمان خليلنا، ولراسن موسى إخوة وهم حمى موسى ومختار موسى وسلي موسى، وأما حمى موسى فهو والد مختار حمى وسالف حمى وسري حمى، وأما مختار حمى فهو والد بوب مختار والد بيلي بوب وأحمد بوب، وأما بيلي فهو والد ألفا بوكر بيلي وممد بيلي، وأما ألفا بوكر فهو والد ممد ألفا بوكر فلم يعقب إلا إناثًا، وكذلك أبوه ألفا بوكر فذريته كلها بنات منهن بكل داد غير ولده ممد ألفا هذا، وأما ممد بيلي فلم يعقب إلا أنثى وهي في جاب الآن، وأما أحمد بوب فهو والد مهاو سلي وإبراهيم سلي وعبد الله سلي في كت أندر، وأما مهاو فهو والد ممد سلي وسليمان وإناثا غيرهما، وأما إبراهيم سلي فهو والد لامن سلي وسينب سلي زوجة عمر له في كيهيد، وأما عبد الله سلي فلم يعقب، وأما سالف حمى فهو والد مختار سالف والد علو مختار والد ممد علو وإسما علو، وأما ممد علو فهو والد أحمد ممد وباب ممد، وأما أحمد فهو والد ممد أحمد سالم الآن في سلي، وأما بب ممد فهو والد بوكر باب سالم الآن ولكنه غائب الآن للتجارة، وأما إسما علو فهو والد سخن ميرم فقط العجوز العمياء التي في سلي الآن، وأما سري [435] حمى الكبيرة لم يزالوا مع سوواب في كل عادة وكل نائبة نابتهم كوظائف السلطان والمد والمدارات ونحو ذلك، ومن العادة بينهم آن كل من مات من سوواب فالذين يحملونه إلى المقابر أهل جاج وأهل جه من بادبلناب وهم الذين يحفرون له القبر وإذا ذبحت لهم البقرة أو الثور تتقاسمه سوواب وأهل جاج وأهل جه يادلناب، هـ، وقيل إن أهل كمك هم أول من سكن سلن بعد سوواب، انتهى، والله تعالى أعلم.

307 - أصل قبائل سيبوب جلب آجم كد

وأما سيبوب جلب آجم كد ونحوهم فأصلهم من عل لنك وأصله من ماسينا ويقال عل دط كلاج همد ومنه سبوب جلب كاس والذين قد بقوا في سرخل وبعض الفلاَّن، ولدط كلاج أخ يسمى ساغو كلاج همد ومنه جلب رقاب كلهم كما قيل، وأول من جاء لفوت أهل دط كلاج ومنهم عل لنك، واعلم أن بعض ذرية عل لنك قد سكن في آجم كل وهو ابن ابنه كل دط عل وبه سميت القرية بأجم كل، ثم انتقلوا إلى ورمول وكان موس بوس أمير بوسي في رنجو وقيل كيهيد، وكان في آجم كل حينئذٍ بايل بن كار بن سعيد بن عل لنك، ولما أغيرت على بقر مُوسِ بُوسِ نَمَّ الناس بين ستك بايل وبين موس بوس بأن فلاَّن جلف الذين أغاروا على بقرك إنما باتوا عند ستك بايل، فدعاه موس بوس وأخبره بذلك فأنكر فلما رجع خاف على نفسه منه فخرج مهاجرًا إلى بند فمات هنالك، فلما جاء ألمامات فوت أرادوا أن يفسدوا أرضهم فأبى عن ذلك أهل اللقب كي في سطي فادعوا أن لهم عقبًا وقيل لهم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، فأتوا بولد ستك بايل [436] وكان في بركيو وأمه من داينينكوب واسمه عمَر بايل فتركوا الأرض له وبقيتهم في آجم كل الآن وهو حمات سري دمب عمر بايل، وقيل إن عل لنك كان من أعظم ملوك الفلاَّن ومنه ملوك كد الملقبون بستك وأصله من يايني والد عل يلبابي الذي هو عل لنك ومنهم من كان يضحي بأبناء ملوك الفلاَّن في كل سنة بالمناوبة كما مر في تاريخ بالبالب، وفي زمن ابنه ستك داود عل وقعت الفتنة بين ستك سيبوب جلب وبين أرط وطاب حتى خرجوا لأجلها عن فوت إلى المغرب كما سيأتي في تاريخ وطاب إن شاء الله تعالى، وقيل إن في الملوك من بنيه من كان سافر لغزو أو غيره وترك حرائث كلاط تحفظ وتحرس من الطيور، فلما رجع ووجد الناس قد حصدوا الحرائث أمرهم بإرجاع السنابل إلى قصباتها ففعلوا ووصلوا بين السنابل والقصبات بواسطة الأشواك، والله تعالى أعلم.

308 - ذكر ذرية عل لنك وبعض أخبارهم

ومن ذرية عل لنك داود عل وسعيد عل وجم عل ودط عل ويايني عل، وأما داود عل فمن ذريته صمب داود والد صمب داود والد بوب صمب والد دمب بوب والد سعيد دمب وعال دمب وإسما دمب، وأما سعيد فهو والد سالف سعيد والد ممد سالف وموسى سالف وهما

في مرتن حذو مقام في موضع يسمى جنكار، وأما عال دمب فهو والد إسما عال وسري عال وأولاد إسما عال في آجم ورمول وكذا سري عال له ولد يسمى حمد سري وغيره، وأما إسما دمب فهو والد عبدل إسما وملل إسما، وأما عبدل فأولاده في كلل، وأما ملل إسما ففي جور، وأما سعيد عل فهو والد كار سعيد والد بايل كار والد عمر بايل وبتور بايل ومنها ألفا صمب في بك سبد وغيره، وعمر بايل والد صمب عمر ودمب عمر وير عمر، وأما صمب عمر فهو والد سري صمب والد بوكر سري وموسى وهؤلاء في آجم كل، وأما دمب عمر فهو والد سري دمب والد حمات سري وهو في آجم كل الآن أيضًا، ولم يذكر لنا نسل ير عمر، والله تعالى أعلم، وأما جم عل فهو والد برام جم والد ير برام والد لب ير والد صو لب ودبود لب، وأما صو لب فهو والد دو صمب والد كر دمب والد داك دكر ولب دكر وير دكر، وأما داك دكر فهو والد دد داك [437] والد جم دد والد مول جم والد أحمد مول والد سوير أحمد الذي هو سوير جولد وإخوته صمب جولد ودود جولد (...) وجب جولد وهم سيبوب سول ولهم خاصة بيول سول، وأما لب دكر فهو والد صو لب والد ول صمب والد حمد ول والد دمب حمد والد بيد دمب في كد الآن ولهم خاصة بيول كد، وأما ير دكر فهو والد يناير والد حمد ينا وصو ينا ودو ينا ومن هؤلاء فخذ يرياب لإضافتهم إلى ير دكر، وأما صو ينا فهو والد برك صمب والد جاك برك والد حمد جاك وير جاك ودو جاك، وأما حمد جاك فهو والد سري حمد والد عبدل سري حمد ودود سري وهما في يرياب الآن، وأما ير جاك فهو والد سارن ير والد دمب سارن والد إدا دمب في يرياب الآن، وأما حمد ينا ودو ينا فلم يذكر لنا المخبر من عقبهما شيئًا وكذا عقب سل جاك ودو جاك لضيق الوقت، والله تعالى أعلم، وقيل إن من أولاد لب دكر صو لب وعمر لب، وأما صو لب فهو والد أحمد صمب وعلو صمب وبنتين إحداهما تسمى دب والأخرى تسمى آمنة وهم في تلل سل، وأما عمر لب فهو والد عثمان عمر والد يحيى عثمان والد دل يحيى وباب يحيى وهما في تلل سل أيضًا، والله تعالى أعلم، وأما دبود لب فهو والد جم دبود والد صمب جم والد ببكر صمب والد محمود ببكر الذي هو كلمنك كلار الآن وسنأتي بذكرهم عند تاريخ لاو إن شاء الله تعالى، وأما دط عل فهو والد كل دط الذي سكن في آجم كل وهو والد حمد كل وصمب كل، وأما حمد كل فهو والد بج حمد والد دوار بج والد حمد دوار والد بج حمد والد حمد بج وكلاج بج وأولادهما في كلل، وأما صمب كل فهو والد ير صمب والد متار ير والد دمب متار وموسى متار وهم

في ورمول، وقيل إن كل دط عل لنك اغتاظ من بعض إخوته وأعمامه وذلك الأخ أو العم المغتاظ منه هو ستك كد حينئذٍ، فذهب كل دط إلى جلف يطلب جيشًا [438] يقاتل به ذلك ستك، وأتى بجيش عظيم من جلف، فسمع ستك بإتيانه الجيش فجمع جيشه هو أيضًا فالتقى مع جيش كل دط عند حرائث كلكل تسمى هلهوت تحت سطي، فلما رأى كل عظمة جيش ستك وكثرته خاف من مقاتلته وجبن فتاب لله تعالى واصطلح مع ستك وطلب منه العفو عنه فعفا عنه فسكن مع جيشه ذلك في آجم كل وهم أصل من فيها من سب وغيرهم كما قيل، انتهى ما التقطت من أخبارهم والله تعالى أعلم.

309 - ذكر صفات بعض القبائل من أهل ورك وبوسي

وقيل كان بعض أهل فوت يصف أخلاقهم ويقول إن معنى قنار مشتق من قاينار أي جانار بمعنى الرشوة وأن معنى قنار أيضًا مثل قنار في لغة ولف بمعنى الدجاج لأنهم يفشون السر والنجوى إن أعطيت أحد المتناجين منهم رشوة فإنه يفشي لك سر نجواهم كما يظهر الدجاج المكتوم المدفون في التراب، وأن قنار أيضًا أهل حسد وسواد بطن، وأن أهل ورك ولاو وتور أهل سفاهة وقلة عقل وأن تور ملحق بورك، وأن أهل ورك أيضًا كالحمير إذا كان الضبع يأكل أحدها فلا تعينه الحمير الأخر، وأن أهل بوسي أشد الناس شكيمة[487] وأنهم أيضًا كالكلاب يتقاتلون حتى إذا رأوا أجنبيًا يقاتل أحدهم فيجتمعون عليه ويقاتلونه جميعًا فإذا غلبوه وطردوه عنهم يرجعون إلى المقاتلة أيضًا وهكذا حالهم، وقيل إن إبرا عال سلي أحد ليدب كو ترءى من أهل بوسي جاء ذات يوم إلى ألمام أحمد سارن دمب أحد ليدب جاب من هبياب حين ولي الملك على فوت، فقال له إن كنت تريد طول المقامة في دولتك هذه فافعل ما أقول لك وامتثل ما آمرك به وهو إن جاءك أحد بوسياب يشفع لأحد أو يستعين بك في إعانة أحد فشفعه وأعنه على مراده وإن جاءك يطلب مالاً فأعطه مطلوبه، وإن جاءك أحد يرلاب [439] فسمه سيدًا أو أكرمه وعظمه فإنهم يحبون التكبير والتعظيم، وإن جاءك أحد من أهل ورك يريد عزل أبيه أو خاله فأعنه على ما يريد، وإن جاءك أحد من أهل قنار يريد قتل شقيقه فأعنه ولو بالحيلة، انتهى كلام إبرا عال سلي وبانتهائه ينتهي تاريخ ورك ويليه تاريخ بوسي.

487 - تعليق المؤلف: قلت ومعنى الشكيمة فيما مر الآن يقال كما في الصحاح وغيره لمن كان عزيز النفس أبيًا قويًا وأصله من شكيمة اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس، انتهى المراد من الزرقاني على المواهب اللدنية.

310 - ذكر تاريخ بوسي، ألقاب قبائل ناير وأماكن سكناهم

[440] وفي تاريخ بوسي ومن رؤساء هيرناك بوسي أهل ناير إلى قولنا وستك ناير كان من سيبوب وبقيتهم فيها إلى الآن، وقيل قد انقرضوا ونص الزيادة: وفي ناير قبائل كثيرة منها جوب أي أهل قبيلة جوب وكنهنب كبر وغيرهم وهم أهل لقب كن، ودنقوب أهل لقب دنك إلى آخر الزيادة، ويليها قولنا أولاً ومن هيرنكاب بوسي بيت دند سكل وكان أصلهم من هبياب، إلخ.

[441] وفي ناير قبائل كثيرة منها جوب أي أهل قبيلة جوب وكنهنب كبر وغيرهم وهم أهل لقب كن، ودنقوب أهل لقب دنك، وجاكوب أهل اللقب جاك، وداتب أهل اللقب دات، وسيسيب بوب بايل وسيسيب داود جايو سيسيب أحمد ألجما وكلهم أهل اللقب سه، وساساب وهم اللقب جه، وسلسب داران إحداهما من رجل يسمى وود والأخرى من رجل يسمى ملل عال وكلهم أهل اللقب سل، وسمبوب وهم أهل اللقب سمب، وباباب الذين لقبهم به، وكان فيها كنهب سكل وقد صاروا في دابي ومسكنهم يذكر مستقل مخصوص به إن شاء الله تعالى. واعلم أن أهل نار كانوا يسكنون في موضع يسمى الآن ويند ستك ويسمى جرمب أيضًا، وكان هنالك مسكن ستك ناير من داينينكوب أو سيبوب لما قيل بأن كل خلف في بوسي موس بوس، وخلف آود في هبياب ناير وهو ستك دكل وسكن في موضع جبل يسمى هايرنكوب آود في البر المرتني ثم صار بنوه يسكنون دكل، وخلف في يرلاب جبد ولكنه كان تحت طاعة ستك دكل، وخلف سل دن في لاو وتور، ثم إن ستك دكل جعل في ناير أميرًا من داينينكوب لقبه به وكان تحت طاعة ستك دكل وهو أول ستك في نار كما قيل، ثم لما زال ملكه تخلف عنه ستك المسمى جم ولقبه دم وقد انقرض عقبهما الآن في ناير أي عقب ستك الذي لقبه به والذي لقبه دم، وكان بين ستك دكل وستك ناير هاير وولم في البر إلى وادي جادل إلى وادي بربل إلى ما بين سكل ورف آود فسكل في ملك ناير ورف آود في ملك هبياب جهة مرتن حذاء ما بين داولل وسنس أحمد ميرم، وكان الحد بين ستك ناير وبين ستك بوسي دسدلان موضع قريب من بوسطة كمادان كيهيد في جهة المغرب، وقيل إنه كان في ناير من الدفوف مكان الطبول سبع دفوف وكل دف يقود أميره ألف مقاتل، وكان [442] الفلاّن جوب هؤلاء من جلف وقيل من جب كك ومنهم جب باج في يرلاب والله تعالى أعلم،

وقيل إن جوب لما نزلوا من جلف إلى فوت سكنوا في ويند ستك ويسمى أيضًا جرب في البر فوق مسكن ناير الآن، وليس فيها الآن إلا حرائث جوب.

311 - سبب الحرب بين جوب وبوسي

وارتحل بعض رعيان منهم يعزبون بمواشيهم فسكنوا عند دسدلان أو بينه وبين نَيَر، وكان وزير ستك دكل متزوجًا بابنة سلطان بوسي وقيل هو (و قيل غيره) موس بوس وقيل كان يسكن في أجم كد وقيل في غيرها، وكان وزير ستك دكل هذا قد زفها إلى داره عند ستك دكل فحملت منه فلما قربت ولادتها أرادت أن تلد عند دار أبويها كما أن ذلك عادة نساء أهل فوت، فلما وصلت إلى مساكن عزائب فلاّن جوب قال بعض فتيانهم لبعضهم تعالوا نقتل هذه الحبلى وننظر كيف يضطجع الجنين في بطن أمه فقتلوها وشقوا بطنها وذهب الذين كانوا معها إلى أبيها سلطان بوسي فأخبروه بما جرى على بنته فأرسل إلى الفلاّن جوب من يقاتلهم ويقتلهم كلاً فقاتلهم جيش سلطان بوسي وطردهم إلى فوكل كاطال عند ناير فأغاثهم أهل ناير وقاتلوا جيش بوسي وطردوه إلى موضع واد يسمى ديدى في سنكال، فبلغ الخبر إلى ستك دكل فقام إليهم من فوره يريد إخماد الفتنة فوجدهم يتقاتلون عند الوادي ديدى وفرق وأصلح بينهم بأن أعطاهم من الأراضي ما بين دسدلان وجفان سلسلب وجعل الحد بين ملك ناير وبوسى من الجبل جوكي أو من إنط بب في البر ومعناه ثدي الحمارة إلى جوكي وهاير بل إلى لير ملل على جفكل هندى ثم إلى دروج ثم إلى البحر مقابل لقرية بايل شند، وأما جفكل هندا فهو موضع [443] بين ناير وجفان سلسلب، وقيل إن جيش ستك بوسي قد أفنى جوب قتلاً حتى لم تبق منهم عين تطرف إلا الذين نجوا بأنفسهم وقطعوا النيل فسكن بعضهم في كدط جوب وبعضهم في كاتوت وبعضهم في فمهار جوب، فغيروا لقبهم جوب وانتقلوا إلى لقب أخوالهم كه، وأما الذين بقوا في ناير فقد أفنوهم قتلاً إلا الرضعاء أو الأجنة في بطون أمهاتهم وشيخًا كبيرًا ضعيفًا اسمه بج جكل هلل حمد جيك ور دنك بر وهو الشيخ هو الذي احتال للصبيان بعد بلوغهم وقال لهم فليتزوج كل منكم بأم الآخر ففعلوا وهم أصل جوب الباقين في ناير وهبياب ولم يغيروا لقبهم إلى الآن، والله تعالى أعلم.

312 - أصل قبائل جوب

وقيل إن أصل جوب هؤلاء من هلل حمد جيك ور دنك بر والد صمب هلل ودمب هلل وفات هلل وجكل هلل، وأما صمب هلل فمنه دمب ألرب سل وقد مات وأولاده في دابي الآن ومنه صمب جوب وهو صمب ساج سل وإخوتهم ومنه أيضًا عال حمد في نار الآن ومنهم أحمد صمب إبرا في دومك بوسياب، وأما دمب هلل فمنه صم بوكر المعروف بصم بكسل في ناير وبك بنت في دابي وأولادهم وإخوتهم هنالك ومنهم عباس حمد دمب الذي في دكار الآن، وأما فات هلل فمنه ير كيسر في ناير وعال ير أولل في دابي وكط مل في ناير وسارن موسى ماليم وقد مات وترك أولاده في ناير ومنه أيضًا صمب حمد صمب المعروف بصمب رك في ناير، وأما جكل هلل فمنه صمب جندا وأولاده لأن جكل هلل هو والد بج جكل والد مود بج والد سري مود والد صمب سري الذي هو صمب جندا ابنته بوكر عال دند ولسري مود إخوة وهم هب مود وبرس مود وعمر مود، وأما برس مود فهو والد مود برس والد دمب مود في دابي الآن، وأما عمر مود فهو والد أحمد عمر سالم الآن في بكل بال عد، وقيل إن من فات هلل أيضًا جوب عد في تور، والله تعالى أعلم.

313 - أصل كنهنب كبر

وأما كنهنب كبر فأصلهم من صمب برم وداود برم، وأما صمب برم فمنه إلمان عال إد لأنه [444] والد دو صمب والد سري دمب والد دمب سري والد حمات دمب والد عال حمات والد إد عال والد عال إد وأول من سمي إلمان في ناير منهم حمات دمب هذا وقد مكث في ملكها 36 سنة ثم ابنه عال حمات ملكها 30 سنة ثم ابنه دمب عال ساج المعروف بعال ساج 20 سنة ثم إلمان إد عال ملكها 16 سنة ثم ابنه إلمان عال إد ومدة ملكه إلى عام 1924 من الميلاد[488] 13 سنة وهو فيها الآن والله تعالى أعلم. وفروع صمب برم كثيرون في ناير وغيرها حذفناهم للاختصار، وأما داود برم فهو والد حمات داود والد كبر حمات وذريته الآن في جفان سلسلب، ولكبر حمات أخ يسمى عال حمات وذريته في ناير، وأما كن كبر على الحقيقة فهم الذين في جفان سلسلب وأما غيرهم فعلى المجاز، وزعم إلمان عال إد أن برم والد صمب برم وداود برم بن لألحاج لمن باني كبل وجلب من أهل كبل ينكرون ذلك، والله تعالى أعلم.

488 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

314 - أصل دنكوب

وأما دنكوب فمن رجل اسمه وردنك والد فج وردنك وسابور وردنك وكوطا وردنك ولايتى وردنك وصمب وردنك، وأما فج وردنك فمن بقية ذريته في ناير الآن سيد حمدن، وأما كوطا وردنك فمن بقية ذريته في ناير الآن صمب علو وأخوه دمب علو، وأما لايتا فمن بقية ذريته في ناير الآن حمد داود وأخوه دمب ومنهم أيضًا إد صمب في ناير، وأما صمب وردنك فمن بقية ذريته في نار الآن أحمد سيد وكذا كرل صمب وأخوه سيد صمب، وأما سابور وردنك فقد انقرض عقبه الآن، والله تعالى أعلم.

315 - أصل جاكوب

وأما جاكوب فمن رجل اسمه دويرد والد موسى دمب وعثمان دمب، وأما موسى دمب فمن بقية ذريته في نار الآن بيد صمب المعروف ببيد جاك وكذلك إبرا ير وكذا حمات دمب ير وحمات ير جواد وكذا دمب جب وكذا صمب إبرا بوب المعروف بصمب سوكل وكذا أحمد إد فكلهم من موسى دويرد، وأما عثمان دمب فقد انقرض عقبه إلا من الإناث، والذين ملكوا ناير من جوكوب هؤلاء إلمان إفرا بوب كمبل وكذا ولده إلمان صمب إفرا وكذا ولده إلمان حمات صمب، ومن ملوك ناير من جاكب أيضًا إلمان صمب كور ميرم كما زعم إلمان إد عال.

316 - أصل داتب

[445] وأما داتب فمن رجل اسمه مود موي ومن بقية ذريته في ناير الآن سارن بيد سل وشيخ بخار لأن مود موي هو والد أحمد مود والد بوب أحمد والد إفرا بوب والد بكار إفرى الذي هو شيخ بخار، ومن بقيتهم أيضًا سيد حو، ولإفرا بوب والد شيخ بخار أخ يسمى بوكر بوب هو والد علو بوكر والد صمب علو ساكن في سم في دمك، ولعلو بوكر أخت تسمى فالل بوكر هي والدة ملل بوب سري الذي كان سايف في ديوان ليتام في حكامة كيهيد ثم عزل ومات في الأعوام القريبة، والله تعالى أعلم.

317 - أصل سيسيب بوب بايل

وأما سيسيب بوب بايل فأصلهم رجل يسمى بوب عمر المشتهر ببوب بايل وهي أمه، جاء من سيم إلى ناير ولبوب بايل إخوة وهم فات بايل ودمب بايل وجب بايل، وأما بوب بايل

فهو والد سري بوب والد عمر سري والد بوب عمر والد بوكر بوب والد ممد بوكر والد سالف ممد الذي كنا نسميه في مدرسة قراءتنا سالف دابي، ولمد بوكر أخ يسمى عثمان بوكر والد عمر عثمان الذي هو سارن عمر في دابي، وأما أحمد ألفا سيسيح فوالده ألفا ممد بن بوكر بن سري بن بوب بايل وله أولاد في ناير الآن ومنهم عثمان أحمد سمي بعثمان سري بوب بايل المشتهر بألفا عثمان وكان أعمى ومن أهل العلم وكان يعظ الناس ويقص عليهم وله قبول تام في الوعظ والقصة ولعله كان حسن الصوت أيضًا وهو الذي كان يقول في افتتاح وعظه ألفا عثمان جفي طوهن كمط منسمان جفي طوهن، إلخ، ومعنى جفي طوهن أي طرق هنا الليلة ومعنى كمط منسمان أي أعمى الذي لم يندم، وقد مات ولم يترك عقبًا، وأما فات بايل فمن بقية ذريته دمب مالك في دابي هورفود وبيد صمب عال فات بايل في جفان سلسلب ودمب موسى صمب عال فات بايل في سلسلب أيضًا وعال ساج عمر في دابي، وأما دمب بايل فمن بقية ذريته ممد صمب [446] حيموت في دمت وأحمد سيد حمات في باباب لوت، وأما جب بايل فقد انقرض عقبه، ومن خاصية سيسيب بوب أن لهم حرائث كلكل المسماة فرم لا يأكل منها فرس إلا ومات مجرب من ذلك إلى الآن كما قيل، اهـ، عن إلمان عال إد، والله تعالى أعلم.

318 - أصل سيسيب داود جاي

وأما سيسيب داود جاي فهم من داود جاي هذا ومن صو جاي وهادي جاي، ومن بقية ذرية داود جاي كرل ممد كرل حمد حمات داود جاي ودمب حمد عبدل حمدن داود جاي وهو المشهور بدم ميرم وهو من خلان إلمان عال إد. وأما سيسيب أحمد ألجما فمن أحمد ألجما هذا وصمب ألجما وعبدل ألجما، ومن بقية ذرية أحمد ألجما رجل في جور يسمى أحمد ألجما وله أولاد هنالك، وأما بقية ذرية صمب ألجما رجل في وال جنتنك اسمه صو دمب، وأما بقية ذرية عبدل ألجما فأحمد علو في ناير وأخويه الحسين علو وإدريس علو في ناير.

319 - أصل جاجاب

وأما جاجاب فهم من صو جه ودو جه، ومن بقية ذرية صو جه الحواتون في جربول وداولل وقد أرسله أخو دو جه العاقل إلى سنس أحمد ميرم ليأتيهم بجذوة من النار ليقتبسوا منها وكانوا عازبين مع بقرهم، فلما وصل إلى سنس أحمد ميرم وجدهم يشوون أندود

وهي حيتان صغار سمان جدًا توجد في النيل الفوتي آخر أكتوبر أو أول نوفمبر الإفرنجيين وتارة إلى آخره وتارة تنقطع قبله وتارة لا توجد في العام أصلاً، فلما وجدهم يشوون أندود ويقلونها ويطبخونها جلس مع الحواتين ولم يرجع إلى قومه الفلاّن ونكح منهم فصارت بذلك ذريته من الحواتين وكان غير عاقل جدًا، ومن بقية ذرية دو جه حمزة صمب في ناير الآن وكذا صمب خمات جين ومجبر يل ممد سري سلل وصم بلل وممد بلل وإبرا كمب تك وعمر عال جه ودمب عال صمب قط وحمد عال فندي وبوت مود بكر عثمان وجاي قط وحمد مالك واشتهر بحمد قط وصمب موسى [447] بمب وصمب بيد المشتهر بدمب وكلهم في ناير الآن.

320 - أصل سلسلب

وأما سلسلب فداران إحداهما من رجل يسمى وود والأخرى من رجل يسمى عال ليلوط، وأما وود فهو والد صمب وود والد عبدل صمب والد ملل عبدل والد صمب ملل وجبريل ملل وهما سالمان الآن في ناير، وأما سلسلب عال ليلوط فهو والد ملل عال والد عال ملل والد حبي عال والد عال حبي والد حمات عال والد صمب حمات ودمب حمات وفات حمات وهم وإخوتهم في ناير الآن.

321 - أصل سمبوب

وأما سمبوب فمن سل سادان ويتم سادان، ومن بقية ذرية سل سادان في ناير عثمان بوب والد سيد عثمان وير عثمان، وأما سيد فهو والد بوب سيد ومالك سيد، وأما بوب فقد مات وترك ولديه عثمان بوب وسل بوب، وأما مالك فحي سالم الآن في ناير، وأما ير عثمان فهو والد جولد ير وفات ير ودمب ير سالمون الآن في ناير، وأما بقية يتم سادان فهم في دابي والباقي منهم باب فات وسيد أحمد سمب التاجر الغني وإخوتهما، والله تعالى أعلم.

322 - أصل باب ناير وذكر بعض علمائهم

وأما باب ناير فأصلهم من باباب لوت من صم به ودم به، وأما صم به فمن بقية ذريته في ناير ألفا آدم وممد حمى كصديق سعيد وغمر سعيد وقد ماتا وترك صديق بنتًا فقط، وترك عمر سعيد ولده ممد عمر، وأما دم به فمن بقية ذريته عبدل بك سري دم به الساكن في مو الآن ومنه عال دوج أيضًا في فند ومنه أيضًا عمر ير عمر في دابي هورفود وكذا سيد

لوت في ناير وكذا عال دمب في دابي هورفود أيضًا وإخوتهم، ويطلق على بني صم به ودم به كلا باباب مغرب ناير وهم أول إتيانا إلى ناير من غيرهم من باباب وقد قيل إنهم جاؤوا إلى ناير في زمن ملك ستك دمبب لها، قلت ولعل ذلك في زمن ملك جاوب، وقلت أيضًا ولعل ستك دمبب أقدم من ستك داينيكوب، ثم بعد فساد ملك جاوب ملكهم ستك من داينيكوب، والله تعالى أعلم، [448] وقيل إن لباباب مغرب ناير هؤلاء حرائث كلكل تسمى مك فلذلك يقال لهم أيضًا باباب مك ولا يأكل من زرعها فرس إلا ومات مجرب، وذلك إلى الآن كما قيل، والله تعالى أعلم، واعلم أن ممد حمى الذي مر ذكره كان جده إلمان حمى دمب داودير قد خلفه ألمام عبدل على أهل ناير وكان قبل ذلك إمام مسجدهم فقط، فلما خلفه ألمام عبدل غضب لذلك أهل ناير كلهم ومنهم عال دند وعزموا على الارتداد والخروج عن طاعة الإمام فعزله ألمام عنهم لكراهتهم لولايته، وزعموا أن إلمان حنى دمب هذا كان ابن خالة لألمام عبدل، والله تعالى أعلم. وأما باباب مشرق ناير ويقال لهم أيضًا باباب سلا فهم قبيلتان، الأولى من تفسير أحمد جول وقد تخلف تفسير أحمد جول هذا على ناير ولم يلها أحد من بنيه إلى الآن، ومن بقية ذريته ألفا عبدل تفسير حمات سعيد تفسير أحمد جول وقد مات ألفا عبدل تفسير هذا وبقيت ذريته في هذا إلى الآن، وكذا الحاج أحمد أحمد والد إدريس والد محمود إدريس السالم في ناير الآن، وكذا بوكر سري وصمب سلل، وكذا إدبيد سري وير أدم ودمب آل، وكذا منهم ألفا خاليد ومنهم مريدنا الحبيب وتلميذنا النجيب سارن سعيد ألفا محمد مؤسس كرل سارن سعيد ألفا في مرتن كنكل ومعه أصحابي الأحباب من يرلاب أدام الله تعالى نعمتهم ورفع همتهم، آمين آمين، وكذا أخوه من الأب الشيخ أحمد ألفا محمد الذي مات في طريق مكة يريد الحج قبل الوصول وكان من أهل العلم والفهم ومن التجانيين.[489]

323 - قصيدة للشيخ أحمد ألفا محمد في مدح عيسى كني

وكانت له قصائد منها التي مدح بها عيسى كني السيد التاج الكريم السخي العابد التجاني التقي الذي كان في خاي وكان عيسى كني هذا يحبني جدًا حتى كان الناس يظنون أنه مريدي، ومطلعها:

489 - أي المنتسبين إلى الطريقة التجانية.

على الحبيب صميم الأصل والشيم

عبد الإله عميم الجود والنعم

بشاشة الوجه للوراد شيمته

يدلي إليهم بما اختاروه من طعم

بشرى له نعم ما في الكون أكرم من

عيسى بن قرم سخي الكف بالكرم

إلى أن قال فيها:

أبشر فقد حزت سعدًا دائمًا ابتداء [449]

من القطب حبلاً غير منصرم

عبد الإله وسعدًا يكون سيدنا

موسى بن أحمد يا لله من شيم

عن شيخه القطب سعد الكون قاطبة

قطب الوجود شريف الأصل ذي الكرم

إلى آخرها، والله تعالى أعلم.

وكان قبل هذا ينكر علينا الإكثار من الذكر والمثابرة عليه ليلاً ونهارًا سرًا وجهارًا والإقلال من تعليم العلم، وكان ينهى أخاه سعيد ألفا عن صحبتنا ويأمره بالذهاب إلى مجالس العلم لا إلى مجالس الذكر، فيأبى عليه أشد الإباية وقاطعه أخوه سعيد ألفا هذا لأجل ذلك، فما زال كذلك إلى أن رأى رؤيا ردته إلي ومنعته وخوفته من الإنكار علي، وذلك أنه رأى كأنه أتى إلى مكان فيه النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وكأني حاجبهما ووقفا ببابهما فجاء أحمد ألفا هذا وجاوزني إليهما يريد زيارتهما فقالا له هل أمرك الشيخ موسى بالدخول علينا فقال لا، فقالا ارجع إليه واطلب منه

الإذن وإلا فلا نأذن أحدًا بالوصول إلينا إلا من أذن له بالدخول علينا، فرجع إلي واستأذنني فأذنته فرجع إليهما وزارهما ثم انتبه وكتب ما رآه وجاءني بها خائفًا ودفعه إلي يعتذر عما فرط منه إلي فعفوت عنه جدًا فقلت له هذه الرؤيا التي أتيتني بها كأنها أجرة أرضيتني بها ولقد رضيت عنك بسبب هذه الرؤيا المبشرة وكنت غافلاً عن الورقة إيثارًا للكتمان والتواضع فضاعت وهذا معنى ما فيها، والله تعالى أعلم.

324 - ذكر باب بوب موسى وذكر بعض رجالها

والقبيلة الثانية باباب فو كن سارمب ويقال لهم أيضًا باباب بوب موسى وأصلهم من بوب موسى [450] هذا وأصله من باباب لوت أيضًا وهم آخر باباب إتيانا إلى ناير وقد أنكر بنو أحمد جول اتحاد نسبهم وادعوا عدمه حسدًا لا غير، ومن بقية ذرية بوب موسى هذا في ناير إد داد وكذا عمر بوكر وكذا حمات محم وكذا إد بيد مار وكذا عبدل حمات بيد وإخوتهم، والله تعالى أعلم. وقيل ما من قبيلة من قبائل ناير المذكورة أولا إلا وقد ملكتها ولاسيما جوب فقد ملكوها زمنًا طويلاً، والله تعالى أعلم، ومن رؤساء هيرناك بوسي بيت دند سكل، إلخ. [451] وفي تاريخ بوسي السادات في فناك بوسي أهل جنت وسلناب وسنس جوم جور عند قولنا وأما سلناب فأصلهم من وكد إلى قولنا وقيل إنهم هاجروا من واد في المشرق يسمى سلي بضم السين فلذلك نسبوا إليه وقيل في لقبهم سلي بكسر السين، ونص الزيادة وزعم بعضهم أن اسم ذلك الوادي صلاح فلقبوا بذلك سلي وقيل إن بنت ستك بوسي التي تزوجها كبير سلناب اسمها سبي حمات تمان مود جبد هط دل كل فإذا هي بنت ابن تمان مود، والله تعالى أعلم، ومجمع قبائلهم أي أفخاذهم رجل اسمه يوسف حمد هار إلى آخر الزيادة، ويليه قولنا وهذا استطراد واستظراف في لعب رجالة جيوش فوت تور ونقول للعبهم [452] في كلامنا جيس، وأما الفرسان فبمجاراة خيلها في الحلبة للمسابقة ويقال لذلك أيضًا جيس لا غير، وكان جنت رجل رقاص بالمدافع يلعب بها، إلخ، [453] حمى فهو والد حمد سري والد بال حمد ومالك حمد، وأما بال فهو والد محمود بال والد بوكر محمود

والد ممد بوكر ومحمود بوكر سالمان الآن في سلي، وأما مالك حمد فهو والد سارن سلناب حمدن مالك والد أحمد تجان وقد مات ولم يعقب وهو أيضًا والد جعفر سارن وقد مات في بند وأبناؤه هنالك، وكان يقال لسارن سلناب حمدن هذا ألفا حمدن ثم صار يقال له سارن سلناب، والله تعالى أعلم، ولمحمود سارن حمى إخوة وهم راسن سارن حمى وأحمد سارن حمى وممد سارن حمى، وأما راسن حمد حمى وأحمد سارن حمى فلم يعقبا وكذلك ممد سارن حمى لم يعقب إلا بنتًا وهي الآن في أندر، وأما سلي موسى يوسف حمد فلر فلم يعقب إلا إناثًا، وأما مختار موسى فهو والد حمى مختار وصمب مختار وسيد مختار، وأما حمى فهو والد مختار حمى والد دمب مختار ومحمود مختار وسيد مختار، وأما دمب فهو والد بيلي دمب وعمر دمب وسيد دمب وبوكر دمب، وأما سيد دمب فهو والد ممد سيد والد محمود ممد في سلن الآن، وأما بوكر دمب فلم يعقب إلا بنتًا وأما عمر دمب فلم يعقب شيئًا، [454] وأما بيلي دمب فهو والد حمدن بيلي ومحمود بيلي الذي كان مع ألفا سيد في سيو وهو الآن في خاي، وأما حمدن بيلي فهو والد دمب حمدن في سلي الآن، وأما محمود مختار فلم يعقب، وأما سيد مختار فهو والد حمات سيد وبوب سيد وبابلي سيد وبوكر سيد، وأما حمات سيد فلم يعقب إلا بنتًا واحدة، وأما بوب سيد فهو والد بوكر بوب والد يحيى بوكر صبي الآن في سلي، وأما بابلي سيد فهو والد أحمد بابلي ساكن الآن في بناج، وأما بوكر سيد فهو والد ممد بوكر وما زال في الغيبة إلى الآن، وأما صمب مختار موسى يوسف فهو والد راسن صمب ودو صمب وساج صمب، وأما راسن فهو والد سلي راسن وأحمد راسن، وأما سلي فهو والد مالك سلي وممد سلي، وأما مالك فهو والد سيد مالك سالم الآن في سلي، وأما ممد فلم يعقب إلا بنتًا، وأما أحمد راسن فلم يعقب إلا بنتًا أيضًا، وأما دو صمب فهو والد دمب والد يوسف صمب وسيد صمب، وأما يوسف فهو والد أحمد يوسف والد راسن أحمد في سلي الآن، وأما سيد صمب فهو والد راسن سيد والد ممد راسن والد أحمد ممد في سلي الآن، وأما ساج صمب فلم يعقب إلا بنتًا، انتهى والحمد لله بغير منتهى.[490]

490 - تعليق المؤلف: من باب الاستطراد والاستظراف، نذكر أن لعب رجالة جيوش فوت تور ونقول للعبهم في كلامنا جيس، وأما الفرسان فبمجاراة خيلها في الحلبة للمسابقة ويقال لذلك عندنا أيضًا جيس لا غير، وفي جنت رجل رقاص بالمدافع، إلخ.

325 - إضافة إلى تاريخ هبياب وذكر قراها ومن يسكنها

[455][491] [456] تاريخ هبياب ومعنى لفظ هبياب هبنان مود حرم وكثر هذا اللفظ بينهم وبين البيضان فجرى للقبيلة كلها كما قيل، والله تعالى أعلم، وقراهم جاب وجمل وفرلل ويايل عد بكل لا بايل عد مالماب فإنهم من يرلاب جيار، وكان أمير داينينكوب قد قسم فوت بين عماله فلكنار ستك ولبوسى ستك ولهبياب ويرلاب ستك ولأهل لاو تور ستك كما قيل، والله تعالى أعلم. وكان ستك هبياب في دكل جبل في مرتن غير بعيد جدًّا عن النيل كان مسكنهم أولاً هنالك، فلما سكنوا في سنكال سموا مسكنهم بدكل أيضًا، فلما جاء بروب وسكنوا قرى دكل طلب منهم ستك دكل أن يدعو له في حاجة مهمة فلما استجيب دعاؤهم سماهم بجابناب فسمي مسكنهم جاب، وقد سكن تفسير بكل أحمد صمب أبو اليدب جاب قربهم في جهة الشمال الغربي فغلبت على مسكنه التسمية باسم جاب تسمية الشيء باسم مجاوره أو باسم محله، ويقال لمسكنه جاب مود أي جاب الكبيرة، وكان مسكنه أولاً في بكل مرتن، وقيل بأن هذا باطل والحق أن سبب تسمية القرية جاب كون أول من سكنها جاب ولل أخو سنكل وغيرهم من إخوته دودوب وبقيتهم فيها على الآن. وفي دكل ثلاث نواحي، ناحية هارلو في الجنوب وناحية مالم في الشمال وناحية دكل بينهما، وفي بر جاب ومغربها قرية تسمى فرلل أكثرهم أهل سكسن الذين كانوا في جاب سكسن بين دكل وهورفود في لصق دكل وقربها، فارتحلوا أو صار جلهم في فرلل وبعضهم في جمل، وجمل ناحية مالم وناحية هاتار وهم سوسوب وناحية سكسن أيضًا، وفي هبياب قرية تسمى بكل وفيها بعض من قبيلة بال وإمام مسجد بكل من قبيلة وون[492] وهم أهل بركة جدًّا وجرب بركتهم أهل جسكن حيث قالوا أن من كان يعطيهم رأس [457] يقل ما يصاب في ماله فأحرى إن كانت

491 - ورد في هذه الصفحة تعليق للمؤلف هذا نصه: هذه زيادات في تاريخ هبياب، و بعده زيادة تاريخ جاوب وهي ما كانت عندكم رأسًا. أيها السيد الوالي، بل اطلعت عليها بعد فإلحاقها فيما بين تاريخ هبياب وتاريخ يرلاب كالواجب المستحق إن أمكن، ثم في تاريخ يرلاب أيضًا زيادات ينبغي إلحاقها بمحالها، ثم بعد تاريخ يرلاب زيادات تاريخ لاو اطلعت عليها بعد ينبغي إلحاق كل زيادة منها بمحلها اللائق لها، ثم بعد زيادات تاريخ لاو تاريخ تور إلى آخر كتابنا هذا ونعيذه بالله تعالى من كل عدو وحاسد ومن كل جاهل فاسد ونسأله تعالى بفضله الدائم وجوده المستمر أن يبقيه بقاء الدهر.

آمين آمين، لا أرضى بواحدة

حتى أضيف إليها ألف آمينا. هـ.

492 - تعليق المؤلف: أهل وون.

ماشيتهم تسرح في ماشيته فإن البلاء يحيد عن تلك الماشية غالبًا، وفي بطل ناحية تسمى جوكل لهم إمام مسجد من قبيلة وار، والله تعالى أعلم، وفي مرتن الآن من قرى هبياب قرية وولر هاتار وقرية فند وسكانها بعض هاتار سسكن وأيضا وبعض سسكن، وقرية بكدن وقد اجتمع في بكدن الآن هارلر ودكل ورئيسها رلر من قبيلة قم ورئيس بكل من قبيلة به من سيد به الأصليين وقرية جائن وقرية به مختلطون فيهما مع يرلاب، وأكبر قراهم التي في جاجكل فند وبكدن، وأما قراهم التي في شاطئ النيل فأكبرهم دوبل والبقايا منهم في يبار وكاجاط وغيرهما من القرى الصغار ومن قراهم في مرتن أيضًا كاج لمب بكل وأصلهم من سلمل فكل، ومنها أيضًا كاج لمب بكل وأصلهم من بكل، وأما سلمن جاننكوب فمن يرلاب لا غير.

326 - ذكر رؤساء هبياب

وأما رؤساء هبياب فأولهم ستك دكل وكانت ستكية دكل لسيبوب جاب الذين منهم بوب سل وعلو ساد الذي في دكل الآن وأصلهم كما أفاده كامد آلوو من تكل فطل دار والد جام تكل والد موس جام وعاود جام والد بوب عاود الذي هو ستك بوب بول الذي كان يقاتله سل جاي حين صار داينيكوب في هركجر، وبوب بول هو والد سري بوب وصمب بوب، ومسكن سري بوب بول في جاب ومسكن صمب بول في دكل وكان من هاؤلل سيبوب أصل ستك دكل الذين منهم بوب سل وعلو ساد الذي في دكل الآن، وزعم بعضهم ودمب مبر في باج أن أصلهم من صمب دند والد بوب بوب وجام بوب، وأما صمب بوب فهو والد سل صمب والد بوب سل والد عبدل بوب سل وير بوب سل، وعبدل بوب قد مات وترك عقبًا، وأما ير بوب سل فيعد كبير قبيلتهم اليوم، وقلت ولعل بوب صمب هو ستك بوب بول وهي أمه، والله تعالى أعلم، وأما جام بوب فهو والد يرور جام والد مول يرور [458] وكان اسمه صمب وإنما سمي بمول لأنه كان مطيعًا لأخيه الكبير الذي كان ستك دكل حينئذٍ فلما مات خلفوا ابنه وتركوا مول يرور ولم يخلفوه، فغضب وهاجر عنهم إلى بول يرلاب وعلم أولاده القرآن والعلم فصاروا يقولون له مرلييم أي استجار وهو والد سوك مول وصمب مول وصديك مول فصاروا يعدون من يرلاب بول ويقال لهم هنالك دلقلناب، ودلقل اسم حرائث كلقل لهم وكل كبير منهم يلقب بإلمان دلقل، وفي سنس بممب الآن رجل منهم يسمى ممد صم فايل لقبه به، وصمب دند جدهم هذا هو ابن ببكر تبكل وهي أمه وكان لببكر صو لام ابنان أو ثلاث كلهم

يسمى بصمب، أحدهم صمب بوي مضافًا إلى أمه والآخر صمب دند والآخر صم فنجل، والله تعالى أعلم، وقد صارت ستكاكل هبياب يتناوبها بيتان أجنبيان منها، أحدهما أهل هب عال مالم وهو من قبيلة كن وكان لقبه لم وقد جاء من دمت قرية هليب والذي جاء منهم عال مالم فلما جاء لدكل صادف دفوف ستك تضرب وقد أمر الرؤساء أن يلعبوا له فدخل عال مالم يرقص في الملعب فسأل عن لقبه فقال لم فقال له ستك بل لقبك كن وله لت كنهليب فصار لقبه كن لذلك وهو والد هب عال مالم الذي اشترى ستكاكل هبياب وأعطاه لولده بلل هب.

327 - الالتجاء إلى بيع الستكية عام المجاعة

وذلك أنه أصابتهم سنة مجاعة شديدة فجاء إلى ستك حينئذٍ القوم الذين لهم الحل والعقد في هبياب وهم الذين يملكونه الأمر فلما جاؤوا إليه قالوا له نحن نطلب منك أن تقوم بمؤونتنا كلنا حتى تزول عنا هذه السنة المجدبة، فقال لا أقدر على ذلك فقالوا إذًا نعزلك ونبيع ستكاكل لغيرك من قبيلتك، فقال فافعلوا ذلك إن شئتم، فذهبوا إلى كل القبيلة يبيعون الستكية[493] لمن يقوم بمؤونتهم من جميع بيوت هبياب، وكان جار كل هبياب يومئذٍ ثلاثة رجال أحدهم محم هدل من أهل جسكن من قبيلة جه والثاني كومك قن من أهل بكل من ليدب والثالث هب عال مالي، فجاؤوا إلى محمد هدل ليمونهم إلى زمن الخصب فيملكوه أمر هبياب، فقال لهم إنه لا يقدر على ذلك، فجاؤوا إلى كومك كن فطلبوا مثل ذلك فاعتذر لهم وجاوبهم بجواب محم هدل فذهبوا أيضًا إلى هب عال فطلبوا منه ما كانوا يطلبونه وباعوا ستكاكل هبياب له إن قام بمؤونتهم إلى أن تزول عنهم السنة، فتلقاها [459] منهم فترحب بهم وقال لهم اسكنوا معنا وأمرهم أن يعيشوا في ماشيته وكان كثير الماشية، وقال كلوا منها ما شئتم ولكن اتركوا لي ثلاث بقرات الحاملة القريبة للولادة والنفساء الجديدة الحديثة النفاس وفحل البقر أي كل ثور فحل بلغ أوان الضراب، وأطلقهم في غيرها إلى أن أخصبت الأرض بأن أفرك الحب وطابت سنابل الزرع المتر، وحينئذٍ اجتمعوا وقالوا فيما بينهم فاتركوا لهذا الرجل الكريم البذر وقد أفرك الحب وطاب الزرع، فتوافقوا على ذلك وجاؤوا إليه فقالوا له جزاك الله عنا خيرًا وقد طابت زروعنا فها نحن نرجع عنك إلى مساكننا، فقال نعم ولكن خذوا من البقر ما تأكلون به الحبوب القرنية أي أرد في كلامنا لئلا يؤذيكم، ففعلوا

493 - الستكية: لا يعرف معناها بالضبط لكن يفهم من السياق أن الستكية على الأرجح نوع من أعمال السخرة يصبح الملتزم بها مدينًا لصاحب الأرض أو الذي تكفل بإعالته، مثل نمط الخماسة في بلاد المغرب العربي.

ذلك وأخذوا منها لأنفسهم ما يكفيهم للإدام، واعلم أن لكومك قن أخا يسمى صو قن من أهل العلم وهما من ليدب بكل، وكومك والد بوب كومك وصمب كومك ودمب كومك، وبوب والد حمات بوب والد دمب حمات وسيد حمات وأب حمات وهم في بقل سنكال الآن، ومن صو قن هدي مام وير مام وقد ماتا وتركا ذريتهما في بقل الآن، وكانت لكومك قن وصو قن أختان وهما ويا قن وجولول قن وذريتهما هنالك، ولم يذكر لنا نسل صمب كومك ودمب كومك، الله تعالى أعلم. فلنرجع إلى ما كنا بصدده من تاريخ هبياب ونقول إنهم جعلوه أمير هبياب مكان ستك دكل ثم جعل تلك الولاية لولده بلل هب، وما زالوا في ستكاكل هبياب لا ينازعهم فيها منازع إلى زمن هبياب يوسف، فدخل في رؤساء هبياب إلى أن وافقهم فأتى بحمد لمن من كنهنب سكل وأسكنه في جاب كل ليعينه على الملك فجعله ستك دكل فصارا يتناوبان ملك هبياب إلى زمن فرانس، ومن حمد لمن هذا ستك ير أور الذي كان في دكل في زمن فرانس، وكل من هلك منهم تكون كلمته سارية على جميع هبياب، ثم اعلم أن هب عال مالم هذا هو جد والدة بوكر عال دند لأنه والد فطل هب والدة جندر فطل والدة بوكر عال دند كما قيل، والله تعالى أعلم.

328 - في أصل قبيلة لم هليب وبعض صفاتهم

وقيل أن قبيلة لم في هليب [460] أصلهم من داينينكوب وهم من قبيلة به سافر واحد منهم خامل جدًّا واسمه بج وقيل يكو إلى دمت وكانت له قربة كبيرة يملؤها ماء ويغدو بها إلى الصحراء ليجمع بُه وهي ثمر شجرة التيدوم في لغة البيضان ويقوت منها أيامًا وهو في الصحراء ثم إن فرغ ماءه وعطش رجع إلى دمت وفي قربها روضة يشرب منها حتى يرتوي ويميل على ظل أشجار هنالك ليستريح وينفض ما في لحيته من دقيق الثمرة فإذا هو كالصبرة من كثرته، فيتسارع إليه الصبيان ويجمع كل منهم ما أمكنه من ذلك الدقيق، ثم يرجع الرجل إلى الصحراء ليجمع الثمرة، وهكذا حاله وصارت عادة الصبيان إذا رأوه أحدهم يقول لغيره منهم تعالوا نذهب إلى صاحب الحموضة أو الملوحة أي جوم كلم فصار لقبه لم وجرى ذلك على بنيه، والله تعالى أعلم، قلت ويمكن ذلك فإن داينينكوب أهل حسد جدًّا لاسيما ياللب منهم فربما غفلوا عن أخيهم في فقره لينسى ذكره ويمحى اسمه منهم، وقد قاتل بعضهم بعضًا وغلبه ولم يعف عنه حتى تبرأ من الانتساب إليهم فتركوه حينئذٍ كما

قيل، والله تعالى أعلم. ومن رؤساء هبياب سارن فند وأصله من فلاَن وطاب وأولهم مود رانم والد برام وكان لقبه بر وقيل سط لأنهم يقولون سارن برام مور رانم فاتم دمب عل سه،[494] قلت ولعل كون لقبه بر أصح لأن في هذا النسب الذي ذكرناه امرأة أي فاتم دمب عل سط، والله تعالى أعلم، وبرام هذا أول من تعلم منهم وتدين في زمن ستك بوب بول وكان يقاتل ستك نيما، وكان برام هذا يعبد الله في فند في مرتن وكان ستك بوب بول في هاير دكل في مرتن أيضًا، فطلب من سارن برام هذا حجاب النصر عند القتال فوعد له أنه إن انتصر على قرنه أن يعطيه خيرًا كثيرًا، فأعطاه الحجاب المطلوب فذهب ستك بوب بول والتقى مع ستك نيما عند جم دل في موضع قصر جربول فانهزم ستك نيما بإذن الله تعالى ورجع ستك بوب بول منصورًا مجبورًا، فزوجه ستك ببنته على شرط إن ولدت له ولدًا أن لا يلقبه إلا ببه فقبل الشرط وهذا أصل لقبهم به إلى الآن، وقطع له ستك قطعة كبيرة من الحرائث النيلية في مرتن اسمها الآن بار فند وبول فند وير فند وكان يقول للقاطع [461] ترسول ستك عند قطع الحدود إذا مالت فند فند أي أقم الحد ليستقيم مستويًا، فسمي بذلك سارن فند وهم الآن ينتسبون إلى سارن بر أم مود رانم هذا وهو والد لمن برام وكادر برام وعثمان برام وير برام وصمب برام وجب برام، وأما لمن برام فهو والد باب لمن وقد انقرض نسله من الذكور، وأما عثمان برام فهو والد صو عثمان والد حمد صمب والد أحمد حمد والد عبد الله أحمد ودمب أحمد وبوكر أحمد، وأما عبد الله أحمد فهو والد حمات عبد الله والد محمد حمات الذي هو خليلنا المعروف بدلاير الذي كانت زوجته أم جب أخت سارن مالك جب مريدنا من أهل كرو وله منها أولاد نسيت الآن أسماءهم ولكنهم في قيد الحياة، وكان سارن فند يصيف في سنس أحمد مريم ويخرف في هورفود ويعد من هبياب، ولم يذكر لنا عقب دمب أحمد وبوكر أحمد، والله تعالى أعلم، وأما صمب برام فهو والد مالك صمب والد عبد الله مالك ويسمى عبد الله كيسر وهو والد مصطفى عبد الله الذي هو ألمام مصتف والد محمد ألمام والد عثمان محمد الذي هو سارن فند الآن في يوليه الإفرنجي عام 1921،[495] وأما ير برام فهو والد صمب ير والد يوسف صمب والد مالك يوسف والد عبد الله مالك وعمر مالك، وأما عبد الله

494 - تعليق المؤلف: ولكن كلا اللقبين عريقان في وطاب لأن سه رئيس وطاب وبر تابع له أو قرين له، كما أن به رئيس أوررب وجل قرينه أو تابعه.

495 - عام 1340هـ يوافق 1921م.

فهو والد أحمد عبد الله والد ير أحمد ودمب أحمد وكد أحمد، وير والد عبد الله ير ودمب والد محمد دمب وكلاهما في آجم ليدب الآن، وأما كد أحمد فهو والد خليلنا بيد كد النسابة، وأما عمر مالك فهو والد عبد الله عمر والد ممد عبد الله المعروف بسايرن محمد عائشة الذي كان في دابي هورفود، وأما كادر برام وجب برام فلم نر من يعرف نسلهما وقيل إن سبب انتقالهم من هبياب إلى هورفود اجتماع أهل فوت على تولية عبد الله كيسر ألمامية فوت فأبى قومه هبياب وخالفوا أهل فوت في ذلك فارتحلوا عنهم معتاظين وسكنوا في هورفود وصار مسكنهم أولاً في سنكال جاب سسكن كما قيل، والله تعالى أعلم.

329 - تولية ألمام مصطفى وقصته مع الشيخ عمر

وأما تولية ألمام مصطفى لألمامية فوت فذلك حين أتى الشيخ الحاج عمر في أيام ألمام محمد فذهب به الشيخ إلى تور فقال أهل فوت ألمام محمد عزل نفسه لخروجه عن أمرنا والآن فلنخلف علينا أحدًا، فخلفوا ألمام مصطفى في هورفود، فلما رجع الشيخ ونزل في هورفود وجعل يوبخ ألمام مصطفى ويهدده [462] ويستهزئ به، فخاف وهرب إلى الشيخ سيدي لأنه كان شيخه وتَخَرَّفَ (أيِ أمضى الخريف) هنالك، والله أعلم بآخر أمره بعد ذلك، وقيل إن أهل فوت بايعوا ألمام مصطفى بعد مجاوزة الشيخ إلى تور وقيل حين سمعوا أنه في الرجوع إليهم بايعوا ألمام مصطفى ليحاربه عنهم بالامتناع عن الهجرة، فلما جاء الشيخ طلب من ألمام مصطفى أن يبايعه ويأخذ ورده فأبى فأعطاه كتبه في طريقته ليرغبه بذلك في ورده فجعلها في بيته ولم ينظر إليها، ثم سأله الشيخ بعد ذلك البيعة فأبى واسترد منه كتبه فردها إليه فقال لا بد لك من الهجرة معنا، فهرب ألمام إلى سنس ونحوها من القرى، فاختفى هنالك إلى أن آيس من الشيخ فذهب عنه ولم يظفر به، والحمد لله رب العالمين، وقيل إن الشيخ مكث في هورفود نصف عام أو أكثر طمعًا في هجرة أهل فوت معه، قلت وعامه في هورفود هو عام (زعرش) 1277[496] كما رأيته في إفادات إلمان محمد الأمين السلدي رضي الله عنه، وكان جاكرف هاتار وجاكرف فكل وجاكرف فد جور وجاكرف سنكجل في جود جاب، وجاكرف آجم سرل وهم من قبيلة سه ومنهم أب جرل وجاكرف جنت رجا وجاكرف بادل وجاكرف سمفق وجاكرف بطرك يجْبُون الزكاة لِكُلِّ مَنْ كَانَ الْمامَ فوتْ قام مصطفى ليقاتل

496 - عام 1277 هـ يوافق 1812 م، وترقيم هذا العام بالحروف هو: زعرش.

معهم فأعطيت هذه الجبايات كلها للشيخ عمر مدة مكثه في هورفود وقد خَرَّفَ (أي قضى الخريف) فيها عامئذٍ، ثم لما تجاوز إلى تور بايع أهل فوت ألمام مصطفى ليقاتل معهم الشيخ الحاج عمر، فلما سمعوا برجوعه أرسلوا رئيس هارلو يومئذٍ وهو أحمد حمد لمن جاسوسًا ليتجسس لهم خبر الشيخ، فرأى معه قوة قوية، فلما رجع وأخبر ألمام مصطفى بذلك هرب إلى لبد فكل واختفى هنالك إلى أن جاوز الشيخ لأنه لم يمكث في هروفود في رجوعه إلا ثلاثة أيام، وارتحل ونزل في جفان، ثم إن أهل فوت عزلوا ألمام مصطفى وبايعوا ألمام ممد البمبي في تلك السنة، والله أعلم.

330 - بعض رؤساء هبياب

ومن رؤساء هبياب بروب وأصلهم ثلاثة رجال جاؤوا من برن وهم حمى ودوت وعل وقيل أنهم إخوة شقائق إلى وكد وهاجروا عنها أيضًا إلى أرض البياضين ويسمون الموضع الذي مكثوا فيه بحاير مصر وعنها إلى تلل بروب وهي ربيوة في مرتن دربس كما قيل، وارتحلوا عنها إلى هاير وقيل إلى بروب جكل ومنها تفرقوا في فوت ومنهم من صار في هاير ومنهم من صار في جاب ومنهم من صار في دوملاج إلى غير ذلك من الأماكن، والله تعالى أعلم، وهم مثل سلناب لا يفرقون إلا بالعلم والدين والمقدم على أمر دنياهم من لقبه بر وفيهم قوم لقبه سام وأصلهم من هلوار من رجل [463] يسمى جك سام وقد يكون هؤلاء أئمة في مساجدهم. واعلم أن ألمام جاي الذي كان في جاب من ذرية عل الذي قلنا إنه ثالث أخويه حمى ودوت لأن عل والد موسى عل وعال عل وصو عل، وأما عل فهو والد لمن موسى والد حمات لمن والد سالم حمات والد وسالم المعروف سارن دو جل وهو والد علو دمب والد ألمام جاي الذي كان في جاب كما قيل، ومن ذرية موسى عل قوم في هاير وبروب جكل لأنه والد دوت موسى الذي هاجر إلى هاير وموسى عل وهو والد ير موسى أيضًا والد موسى ير والد محمود موسى والد عال محمود والد أحمد عال والد الحسن أحمد والد أحمد الحسن والد جكن الذي في بروب جكن الآن، وعلو دمب الذي مر ذكره في نسب ألمام جاي له أخ اسمه بكر دمب والد سعيد بكر والد سارن داود الذي كان في مذام. ثم اعلم أن أهل لقب دكن الذي أصله دكري وأهل لقب كبي هم الذين يتناوبون إمامة المسجد في بروب، وأهل كبي أيضًا هم الذين يملكون سايرن الرقاب، وإذا مات سايرن بروب أو عزل يكون الأمر في يد أهل بروب كبي حتى يولى سارن بروب الأمر، وسبب ارتحال بروب الذين صاروا الآن في دومك إليها

أن عادتهم أن يكون الرئيس هو الكبير سنًا لا غير، وكان في ذلك الزمن أن أحدًا من ذرية صو عل هو أكبرهم سنًا وواحدًا من ذرية موسى عل أكبرهم جاهًا حينئذٍ لوجاهته، وتركوا الكبير لحمق له، فارتحل بنو صو عل مع أهل لقب كسم منهم إلى دومك وتجاوز بعضهم إلى وانود في دومك، والله تعالى أعلم. وقد صار من رؤساء هبياب أهل ألمام مالك الذي هو دمب جار وكان عالمًا يعرف اللسان العربي جدًا كما قيل ولقبه سام وأصله من سامب هلوار ارتحل البعض منهم إلى سبلل في لاو ثم تزوج واحد منهم ابنة لألمام يوسف السماة جارجا فقطع إلى جاب لأجل ذلك ومن أولاده منها ألمام مالك هذا وكانت أمه تسميه دمب جار وهو والد محمود ألمام الذي في جاب الآن.(497) انتهى ما عندنا من تاريخ هبياب، والله تعالى أعلم، ويليه إن شاء الله تعالى تاريخ جاوب.

331 - أصل قبيلة جاوب ومواطنهم

[464] تاريخ جاوب الذين واحدهم جاو، وقيل أصلهم من اليمن وقيل من مصر وبقاياهم هنالك إلى الآن كما زعموا، وعنها ارتحلوا إلى أدناول ثم منها إلى ماسينا ثم منها إلى جبل جار وقيل كنداق ثم منها إلى القرفول طيج ويخرفون في كوجول في مرتن وسيدهم يومئذٍ إط جم ويلقب بلام ترمس أي سلطان ترمس اسم موضع في جهة ماسن، ومن ملوكهم إط جب الذي حاربه سلطان داينيكوب. وفي رواية أن جاوب من وداة إلى دلل ثم إلى ماسينا ومنها إلى باقن ثم ارتحل بعضهم إلى كاس فمكثوا فيها وهم يرلاب جاوب، ثم إن دلل اسم موضع كان من مساكنهم القديمة، وكان من ملوكهم (...) ولما مات تخلف عنه أرط جومن وكان يسكن كوجول وكان ابن عمه قيات مار يسكن في كمبل، وكانوا حيث يسكنون في دلل بيوتهم الخيام كما قيل، وقد رأيت بعض الحجاج في كنكل وأخبرني (....) فقال فوت ثم كدمغ ثم جمبغ ثم جور ثم باغن بلاد ولرب ثم كلار بلاد ووورب وبمبر ثم سين كارا ثم ماسينا ثم كمبل ثم ليد هاير ثم كلكوج أكثرها فلاّن ثم دورا أكثرها فلاّن أيضًا ثم جرم فيها جرماب والفلاّن أيضًا ثم بتنكوب فيه الفلاّن وغيرهم ثم دلل ويضاف إلى باير ويقال دلل باير فيها الفلاّن وغيرهم ثم فرلم ثم بيكر وسلطانهما واحد ثم وداي ثم مسليس ثم دارفور وشربهم ماء ألمط من الشجر تيدوم ثم كردفان ثم

497 - تعليق المؤلف: وأما ألمامات ليدب جاب فسنذكرهم في تاريخ جاوب ويرلاب الآن إن شاء الله تعالى، قلت ولعل أصل اسم والدة ألمام هذا زهراء فغيرته ألسنة العجم من أهل فوت فصيروه جار، والله تعالى أعلم.

سنار ثم ولدن ثم أمدرمان ثم خرطوم ثم داكل ثم سواكن ثم جدة [465] ثم مكة شرفها الله تعالى أبدًا، ثم قال لي وإن شئت أسماء القرى تقل كنكل ثم خاي ثم جور ثم دل قرية في باغن ثم وربوك في كلار ثم زاغ في ابتداء ماسينا ثم ورقا في داخل ماسينا ثم يور في آخر ماسينا ثم كرعيس قرية في كمبل ثم بور قرية في ابتداء ليد هاير ثم دويس في وسط هاير ثم بون في آخر هاير ثم جبو قرية في ملك كلكوج ثم لبتاك بوسطة في دور ثم قت بوسطة في بتنكوب ثم لامرد بتنكوب أي قرية في ملكهم ثم يور آخر بتنكوب ثم تقطع البحر إلى كلا قرية في ابتداء دلل ثم سار باير طم وهي دلل باير ثم دوس آخر بوسطات(498) فرانس بين دلل ومورير ثم نصراو في مورير وهناك انتهى ملك فرانس ثم سكة ثم كن ثم مطاجع آخر هوس ثم كيدم في برن ثم يرو في برن ثم دوكوا في برن، انتهى قصور إنكليز، ثم فرلم بوسطة لفرانس ثم بيكر بوسطة لهم أيضًا ثم أتي لفرانس ثم أمحجر ثم عبسي قرية ملك وداي ثم أندم في وداي، انتهى فرانس أيضًا، ثم قرية جانين في بلاد مسليس لإنكليز، ثم كبكبي في مسليس أيضًا ثم فاسر ثم أمكداد بوسطة في دار حمار لإنكليز في مقابلة دارفور، ثم جبل موي في دار حمار أيضًا، ثم نحوت في كردفان ثم لبى في كردفان ثم رحل في كردفان ثم أمرواب ثم تندلت ثم كست ثم سنار كلها في كردفان لإنكليز، ثم ولدن ثم أمدرمان ثم خرطوم ثم سند ثم داخل ثم سواكن آخر ملك إنكليز، ثم جدة ثم مكة شرفها الله تعالى، والله تعالى أعلم.

332 - ذكر بعض أمراء الفلاّن والبلاد التابعة لهم

وكانت قبائل الفلاّن الذين في فوت كلهم تحت طاعة أرط جاوب وكان أمير هردرب رائدا لأرط جاوب فلذلك صار لقبه كراير وأصله كروو أي الرائد في لغة الفلاّن ثم صار اللفظ كراير كما قيل، وكان أرط وطاب تحت أمر أرط جاوب ولا يكون أرط وطاب إلا من فريب الذين هم سادات وطاب وقبائل وطاب كثيرة جدًا وسنذكرهم بعد في تاريخ تور إن شاء الله تعالى، ومن من كان تحت ملكهم رقاب وسوتنكوب وأوررب ودمبب [466] وجلب وبمياب فإن لقب رئيس بمياب جه ولقب مملكيه بر وأئمة مساجدهم جلب. ولا يعرف المؤرخون هجرة الفلاّن إلى فوت إلا هجرتين، هجرة جاوب وهم يرلاب من ماسينا وهي الأولى وفيها جاء جميع

498 - البوسطات: مأخوذ من الفرنسية (les postes) أي المحطات أو المراكز التي أقامها الفرنسيون.

الفلاّن، ثم هجرة دانينكوب من بجر وهي بعد هجرتهم والمظنون أن دانينكوب خرجوا من ملك سلطان فوت أولاً ولعله سلطان جاوب أو جلف إلى زان ثم لما قتل تنيض هنالك هرب ابنه كل بقبائل الفلاّن الذين معه إلى فوت كما يشير إلى مثله «تاريخ السودان»[499] و«الفتاش»،[500] والله تعالى أعلم، وكان في هجرة جاوب من ماسينا مابب ومباب وجاونب وغيرهم، وكان جاونب مع جاوب حتى فسد ملكهم وافترقوا، فبقي جل جاونب بين جاروم وكمبل وذهب بعضهم مع جاوب إلى المغرب، وفي دومك الغربية جاوب وجاونب إلى الآن بل كانت دومك تضاف إليهم ويقال دومك جاونب، ومما يدل على أن يرلاب هم جاوب اتفاق مؤرخي جاوب ويرلاب على ذلك، وأن قسمة يرلاب وقسمة جاوب وقسمة فريب وقسمة هليب قسمة واحدة في زمن ألمامات فوت، وأن ليدب ينتسبون إلى يرلاب حيث كانوا هكذا في زمن ألمامات فوت إلى انقراض زمن ملكهم، وقد أخبرني بعض يرلاب جاير ومنهم تمال في ورسوك وغيره أن أرط جاوب حين كان ساكنًا في كوجول كان يرلاب ساكنين مع لقرفول بطيع إلى بحيرة كركر، وقيل إن فول بطيع كان مسكن جاوب خاصة وبحيرة كركر وما حولها كان مسكن يرلاب، ويزعم يرلاب أيضًا أن حرائث جاو كانت من حرائثهم الأول وأن يرلاب ورسوك كان يسكن معهم فيها طائفة عظيمة من جاوب هوجاب في ناحية من نواحي ورسوك ولهؤلاء هوجاب حرائث في هورمهم من حرائث فريب همبو، والله تعالى أعلم. وزعم سري عباس[501] أن أصل جاعوك [467] من أجبت أي مصر وقرية عكا في مسرق بوصير وفي عكا مولد جاعوك وفيها تملك فجاء جيش العرب فقاتلوه فهزموه فهرب إلى تور فسكن في الجحور أعوامًا عديدة ثم جاءه العرب أيضًا فحاصروه هنالك بسبب كونه يصير الحجارة ذهبًا وفضة لسحر علمه أو ورث علمه من آبائه الفراعنة المصريين، ثم هرب إلى النيل الفوتي وكان ملكه عكا في مصر هو السبب في تسميته ذا عك وكان اسمه هروني، وأما ذاعوك فلقب للملك فقط، ثم إن العرب الذين طردوه هم الذين سموه هو وقومه بفوت تور، وزعم سري عباس أن جاعوك سكن في أجم كد وبقايا قومه فيها إلى الآن، ثم سكن في مشرق بكجو فوق ربوة متحجرة هناك،

499 – تاريخ السودان، ص. 77.

500 – تاريخ الفتاش، ص. 40 و 76-77.

501 – سري عباس سه، استدراك ما فات وما كاد أن يفوت في أخبار سكان فوت، مخطوط، صدرت ترجمة فرنسية له بها أخطاء من طرف دولافوس (Delafosse 1913).

ثم سكن في كاول وقد ملك فوت تور 130 سنة، ثم زعم أيضًا أنه ملكها 90 سنة وكان لقبه جه، ثم تخلف بعده ميز [468] جاء من منى وقتل جاعوك وسكن في موضع يسمى دلل ثم سكن في كمبل الذي هو مقام ثم سكن في هبياب جهة الجنوب ثم سكن في مواضع أخرى ثم سكن في شمال البحر مع كجك وملك فوت هو وأبناؤه، وقد ملك بعده مات ميزا والد ملل مات من قبيلة سيبوب وكانوا ملوك بوسي في ملك تقل بن كطل بن ليز بن هدلد بن بطول بن ماكم بن عقبة، ثم كوب أخو ملل مات الصغير ثم كين بن أخته وهؤلاء ملكوا فوت 300 سنة، ثم إن ماسل مام هو المعين لتنجن ليغرقوا كين بين هردلد وبفلل، وبقايا ذريته في بفلل وبعض قرى دمك وبعضهم في كيهيد لقبه به، اهـ زعم سري عباس وهو ملتبس جدًا.

333 – أصل جاوب وقصة انتقالهم إلى شامام

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر أخبار جاوب ونقول وقيل إن أصل جاوب من البيضان ويسميهم البياضين بإيديكج، وقد أخبرني دمب كلاي عن أبيه رئيس ليتام بذلك، وسبب صيرورتهم سودانًا فحل إبل لهم متميز بالسمن والغلظ والقوة بين الإبل فتنبهوا له وراقبوه فكان الفحل يقوم نحو شامام كل ليلة فيرعى من زروعها وقطانيها ونباتها الخضر ثم يرجع إلى الإبل مراحها، وكانت الإبل وسائر الماشية في الهزال إلا هو فتعجب الناس من ذلك ثم اتفقوا على أن يرتقبه رجل منهم قوي يركب على جمل قوي يتبعه، فلما كان وقت خروج الجمل في الليل خرج والرجل ينظره فركب جملاً آخر تابعًا أثره إلى أن أتى لشامام فبات الجملان يرتعيان فيه ثم حان رجوع الجمل آخر الليل ورجع فتبعه الرجل الراكب على جمله وقد قطع من زرع شامام الأخضر في زمن القيظ واستصحبه إلى المحلة، فلما علم جاوب بأمر شامام ارتحلوا إليه وسكنوا حوله وقد وجدوا في شامام فدب وسوسب كما قيل وطردوهم عنها وتملكوها، والله تعالى أعلم. وقال دمب كلاي إن أباه قال له ومما يدلك على أن أصل إيديكج الذين هم جاوب من البيضان أن نساءهم هن اللاتي يصنعن البيوت ويصلحنها دون الرجال [469] كالبياضين وأن نساءهم أيضًا هن اللاتي يصنعن الفرش من الحشيش كالحصر[502] التي يصنعها نساء البياضين وهن ما زلن على تلك العادة إلى الآن، وأطال دمب كلاي في الاستدلال على بيضانيهم تقليدًا لأبيه، والله تعالى أعلم.

502 – أي المصنوع من سوق البردي ونبات الحلفاء وما شابهها من حشائش السفانا.

334 - حكاية أخرى حول انتقال جاوب إلى شامام

ومما يشبه هذا قول بعض أهل ماسينا أن سبب نزول أهل ماسينا إلى برك ماسينا فحلان من البقر تناطحا فغلب أحدهما الآخر فطرده وهرب المطرود منفردًا متوجهًا نحو برك مع هزال وضعف قوة ولعله في زمن صيف، فوجد نبات برك أخضر فمكث الثور هنالك إلى أول زمن المطر ثم رجع على حافرته بعد أن صار سمينًا جدًّا قويًا ثم تناطح مع الثور الذي طرده أولاً فغلبه ثم مكث الثور غالبًا للثيران كلها إلى أن قرب زمن الشتاء أيضًا، فخرج الفحل إلى برك فمكث هنالك أيضًا في أرغد عيش إلى أن قرب زمن المطر أيضًا، فرجع إلى أهله على أسمن حال فرفع الكلام إلى الملك فأمر الراعي أن يراقب الثور فمتى خرج عن البقر فليتبعه فتى عاقل قوي يتجسس لهم أمر الثور، فلما خرج تبعه الفتى المذكور إلى أن دخل الثور برك فدخل معه الفتى فوجده أنعم موضع ساعتئذٍ فنباته أخضر، فرجع الجاسوس إليهم يقص الخبر، والله تعالى أعلم. قلت ويمكن أن يكون أهل ماسينا المرتحلين إلى برك جاوب هؤلاء فإن أصل هجرتهم إلى فوت من ماسينا كما يزعمون، والله تعالى أعلم.

335 - ذكر بعض أخبار جاوب ومواطنهم وبعض حكاياتهم

ثم ما زال أمر جاوب مستقيمًا إلى أن حل بهم داينينكوب سنين ولم يغلبوهم ثم أخذوا لجاوب صبيين فجاءهم أبو أحد الصبيين وكان غنيًا وفدى ابنه من أسرهم ورجع به ثم جاءهم أبو الصبي الآخر وكان فقيرًا فقال لهم أعرف حيلة تغلبون بها جاوب فردوا عليَّ ابني أعلمكم تلك الحيلة،فقبلوا فقال لهم إن أردتم أن تغلبوهم فقاتلوهم يوم الجمعة خاصة فإنهم في ذلك اليوم يشتغلون بإصلاح أسلحتهم من تدهين وتصقيل وتحديد الرماح والقسي وقطع ما طال [470] من شعور خيولهم ونحو ذلك وغسل ثيابهم وتجميرها ونحوها كتضفير رؤوسهم، والحاصل أن ذلك اليوم يوم غفلتهم عن القتال جدًّا فردوا على الرجل ابنه فوقعوا على جاوب يوم الجمعة فهزموهم بإذن الله تعالى، وكان لأرط جاوب امرأة في غاية الجمال اسمها بمب سوط جاج وكان بينها وبين سم الجالالي الذي هو سم مالك قطل محبة، فلما عزم أرط وقومه على الانهزام والهروب امتنعت المرأة من الذهاب معهم رغبة في سم وأرط يرد خيول دانينكوب عنها ثلاث مرات ويأمرها بالركوب وهي تمتنع، وفي المرة الرابعة رجع

إليها أرط عازمًا على قتلها ثم يذهب فلما أشرف عليها رفع الرمح يريد طعنها به وكشفت النقاب عن وجهها، فأمسك أرط يده عنها وتركها، فأخذها سم الجالالي وتزوج بها وهي والدة برديد بن أرط جب جومن درام، قلت إن صح هذا يكن ديد وبمب اسمان لها، والله تعالى أعلم، ثم إن أهل الجلاء المنهزمين وصلوا إلى لبد بكلاس في مرتن جرل فقطعوا النيل من هنالك ومعهم أرط جب يريدون بند طالعين عند جرل وأرط على حصانه المعروف بَهْبْلْدِ وقيل مَسْلْدِ، فانحفر جرل لكثرتهم فصاروا واديًا كبيرًا كما قيل، والله تعالى أعلم، وخَرَّفَ (أي قضوا الخريف) بعضهم ألنا ثلاث سنين وسكن البعض في بل بب وجاوز بعضهم إلى سايب وأرهار ووربركيو ودور جاوب وجاوز بعضهم إلى كاس وواسلو وصار بعضهم من فلاب وسكن أرط في سرك إلى أن مات فيها، ولعل بعضهم تجاوز إلى فريا في أرض فل دك وهم فيها الآن، ثم اجتمع برديد بن أرط جب مع جاوب فسكنوا في جمول وهنالك اكتسب جاوب علمهم السحري وسحروا الحرائث كلاط جاو ولم يصلح زرعها كما كان أو لم تنبت حبة كما زعموا في سنين متتابعة، فرد دانينكوب [471] جاوب الذين في بل بب فرجعوا وهم الذين في بدنك وفولل جاوب الآن وجاوب فرول الذين في سنس بمب الذين منهم صمب عمر ودمبار الذي كوريك كلياب، والله تعالى أعلم، ثم لما جاء جاوب الذين في فولل جاوب الآن سكنوا أولاً في هركجر زمنًا، ثم أفسدت مواشيهم حرائث كلياب فقام واحد منهم وضرب بعض المواشي بمدفعه فقتل منها بعضًا فارتحلوا إلى فولل جاوب تصغير فود أي الحمامة وذلك لأنهم وجدوا حمامة في عشها على شجرة في وادي فولل فسموا القرية بالحمامة مصغرة لذلك وسكن معهم كبل رئيس كلياب يومئذٍ أعوامًا لتسكينهم في فولل ولئلا يتجاوزوها ويبعدوا عنهم خوفًا أن يوالوا غيرهم من الرؤساء فيفوزا بأكلهم دون كلياب، ثم رجع كبل بعد تيقنه بسكناهم في فولل إلى هركجر، ثم إن دانينكوب طلبوا من بُرْدِيدِ أن يرجع إليهم من بند فرجع طالبًا منهم أن يردوا إليه ملك أبيه فقال له سل جاي اذهب إلى رؤساء ياللب فاطلب منهم ذلك فإن الأرض في أيديهم فذهب إلى سم زوج أمه وأخبره بأمره، فقال له سم إنما أخذنا ذلك بالعنوة ولا يؤخذ منا إلا بها فرجع برديد إلى قومه وأخبرهم بما جرى بينه وبين سم فعيروه بالجبن وقالوا له هلا قتلته حين قال لك ذلك فإنك وهو سواء عند ستك الآن وكلاكما في طاعته، فلما أصبح رجع إليه ثانيًا ومكث عنده يومين، فلما أراد الرجوع شيعه سم فقتله برديد خاليين ومضى إلى قومه، ثم إن ستك سل جاي ناداهم ونادى ياللب يريد الإصلاح

بينهم فلما حضروه قال أحد من الحاضرين أيمكن صلح مع هذا الميت وأمرهم بالرجوع وتركهم حتى سكتت الفتنة، ثم ناداهم ثانيًا فلما حضر والديه قال ستك بأعلى صوته كل من ذكر قتل سم أعاقبه عقوبة شديدة فضرب مثلاً لهذا المعنى وقيل سمجر جاو إجالل نهالي وتورك سم هال أي إن كان الصلح بين جاوب وياللب يتكلم به فلا يذكر قتل سم، وقيل إن يرديد هذا هو أول من سكن [472] بدنك وهو أرط جاوب ومن ذريته بكار مود رئيس لوبال الآن لأن يرديد والد عل ير والد علي إل والد صمب علي والد مود صمب والد بكار مود، وأما الذين في بدنك الآن فمن عامة جاوب لا غير وفيهم سب جاوب كبوب ساج الذي توفي في متل في كنك بلس في عام 1919 من الميلاد(503) ومثلهم في جاوب كمثل سارآلنكوب في ياللب ويقال لهم عند جاوب برياب وهم بلايب جاوب من عبيدهم التالدين الأولين ومنهم يكون جاكرف لأرط جاوب والذي هو أول من سكن ورمود في مرتن منهم واسمه مود ملاط كما قيل، وقيل إن جاوب دمل الذين صاروا في كبل هم جاوب ننا كند وهم الذين علموا دانينكوب أسرار جاوب حتى غلبوهم وهزموهم وأفسدوا ملكهم، فلما كان كذلك قاطعهم جميع قبائل جاوب بعد ذلك وهجروهم فهاجروا عن جاوب وفارقوهم إلى ورقنكوب فصاروا يعدون من جوب كما مر في تاريخ ورك، وبمب سوط جاج التي كانت زوجة لأرط جب (...) سلطان جاوب وهي من جاوب دمب هؤلاء وأخوها كل سوط والد دمب كل والد مهم دمب والد هانت مهم والد صو هانت والد مود صمب والد بوب مود والد عبدل بوب والد دمب عبدل والد هارون دمب المشتهر بأرط هارون في كبل الآن، والله تعالى أعلم. وأما الرجل الذي علم دانينكوب الحيلة في قتال جاوب وأن من قاتلهم يوم الجمعة يغلبهم فيقال لذريته فيهم إلى الآن ننا كند أي لا يسمعون المناجاة في هذا المحل، وقيل إن أرط جب تجاوز إلى حيث لا يعلم له خبر في انهزامهم ثم تجاوز بقية جاوب إلى بند وإلى جان وإلى جلف وسالم وبول وبقاياهم جاوب ديك، ثم رجع الذين في ألنا من جاوب وسكنوا في الهضبة الحمراء أي هاير وطار قرب القرية دود ولم يجدوا فيها ماء وارتحلوا وسكنوا في كوجول في سنكال فوق لوبال سموه باسم مسكنهم الأول في مرتن واصطلحوا مع ستك فأعطاهم بركوجول وبحرها، وقيل إن ستك هو الذي ردهم من بند إلى فوت محبة فيهم، والله تعالى أعلم.

503 - عام 1919 م يوافق 1338 هـ.

واعلم أن جاوب من حيث الجملة قسمان، جاوب دل وجاوب برام وأصل الكل واحد ولقب أرط في الكل جه وسبب تقسيمهم إلى هاتين الفرقتين أنهم كانوا ساكنين في موضع يقال له دلل ورئيسهم واحد ولقبه أرط من قبيلة جه واسم ذلك الرئيس حينئذٍ حمد وله أخ شقيق أصغر منه اسمه برام استعجل الرياسة لنفسه فهاجر من دلل إلى موضع آخر فسكن فيه مع من أحبه وتبعه فصار يقال لمن رءي منهم هل أنت من جاوب دل أو من جاوب برام، فيقول أنا من جاوب دل أو من جاوب برام فصار ذلك كالتمييز بينهم، ومن جاوب دل أهل فولل جاوب [473] وغيرهم ومن جاوب برام أهل لوبال وغيرهم، وقيل هما دمبك سل، ولعله الذي كان أرط جاوب دل، ومن ذريته أهل أولل جاوب في لاو، والآخر برام سل، وهما شقيقان ولعل منه جاوب برام، ومن ذريته أهل لوبال وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. ومما يدل على أن ملوك جاوب هم جلب يرلاب تشابه أسماء ملوك جاوب المار ذكرهم الآن الباقين فيهم إلى الآن بأسماء السادات من جلب يرلاب الذين ظفرت بهم عند بعضهم في هذه السنة وهي سنة 1923 من الميلاد،(504) وهم دمبك جاج والد برام دمبك والد سل برام والد برام سل والد فات برام والد صوني فات والد فات صح صوني والد مولا فات والد كل مولا والد لن كل والد ير لن والد صمب ير والد سري صمب الذي هو ألفا سري والد عبد الله كن وإخوته في يرلاب أليط، قلت ولعل لدمبك هذا إخوة وهم درام جاج وجومن جاج ويلط جاج، والله تعالى أعلم إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين، ولكن قد نسي هذا النسب لنفرة أربابه عنه كما ذكر لي ذلك، قلت ولعل من موجبات النفرة عنه كونه ليس فيه ألمام ولا إلمان ولا سارن البلد الفلاّني ولكن فيه ملوك يرلاب الذين هم ملوك جاوب الأولين المتأصلين في ملك الرقاب.

أورثـــــه المـــجـــد أبـــــــوه أنـــه
مـــن قـــدم الـنـــاس وأســـد الـــعـــرى(505)

504 - عام 1342هـ يوافق 1923م.

505 - البيت ينسب إلى أبي الطيب المتنبي، وقد أورده المؤلف محرفًا، والصحيح هو:
أورثـــــه المـــجـــد أبـــــوه إنـــه
مـــن قِـــدام الـنـــاس وأســـد الـشّـرى

و أما الأسماء ألمام وإلمان وسايرن البلد الفلاّني فألقاب طارئة حادثة[506] والأصل في ملك فوت أرط وجوم ونحوهما لا غير.

337 - تفرق أمر جاوب بعد انهزامهم أمام دانينكوب

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر أخبار جاوب ونقول ثم اعلم أن الواقعة التي وقعت بين جاوب ودانينكوب في كوجول قد تخلف عنها الكثير من جاوب الذين كانوا قد ذهبوا مع الماشية عازبين مغربين أي جهة المغرب، فلما انهزمت جاوب تفرقوا فذهب بعضهم إلى جهة المغرب [474] طالبين للعزائب حتى لحقوا بهم فاجتمعوا هنالك وسكنوا في قيم فأفسدهم دانينكوب أيضًا وهزموهم فتفرق أمر جاوب أيضًا ونزل بعضهم إلى النيل وداخل بعضهم السودان فصاروا منهم، فكل من نزل منهم إلى موضع يصير كأهل ذلك الموضع من فلاّن أو حواتين أو نساجين أو السودان الحراثين أو القراء من أهل العلم الإسلامي، وتجاوز بقية جاوب إلى هور وايد في مرتن، قيل هو من مرتن فدور إلى دكان وقيل من إياليك إلى فدور، والله تعالى أعلم. ومما يدل على أن جاوب حين انهزموا وافترقوا أن كل من سكن منهم في بلد صار كأهل ذلك البلد من حواتين أو سب أو غيرهم ومنهم قوم في كن من قبيلة جه كانوا في بند تورب ثم صاروا في كن سب وأصلهم من صمب بران عال عامل بل بج أخو ورد بج وصمب بران هذا هو والد همد صمب وعبد الله صمب وبوكر صمب، وأما هَمَدْ صَمْبُ فهو والد عال همد وأمه امرأة من سب لبياب هي والدة عال همد والد سفات مل وير مل، وأما عبد الله صمب فهو والد دمب عبد الله والد نحم دمب في أندر ساكنًا وهو أيضًا والد عيشة دمب والدة حاميد سفات رئيس كن الآن، وأما بوكر صمب فهو والد خاليد بوكر والد برا خاليد الذي هو سارن برا، وأما أحمد صمب فهو والد فات أحمد والدة ممد فات وإد فات

506 - نظام الأئمة أو الإمامة المعروف محليًا بحكم ألمام (Almami): ظهر لدى شعب الفلاّن (الفولاني) بمنطقة فوتا جالون (السنغال-غامبيا) (حوض السنغال). عرف بنظام الأئمة التوربيين نسبة إلى شعب التوربي (Torobé). بدأ هذا النظام عام 1776 واستمر حتى سنة 1881، وتعاقب فيه حوالي مائة إمام معروفين، ولم يستمر حكم بعضهم أكثر من ثلاثة أشهر، ولم تكن لهذا النظام عاصمة مستقرة ولا جيش نظامي ولا إدارة منظمة، فهو يستند إلى الزعامة الروحية اعتمادًا على مبدأ الشورى ويقوم على نظام المبايعة في الإسلام الذي تلتزم فيه الرعية بطاعة الحاكم، وهذا ما جعل سلطة الأئمة أدبية ولم تتحول إلى سلطة فعلية أو نظام وراثي، وإنما تستند إلى اتصاف الإمام بالعدل والصلاح والتقشف والزهد وتعتمد على القيام برعاية مصالح الرعية وجهاد الوثنيين، فالإمام يجمع بذلك بين الزعامة الدينية والسلطة المدنية.

ومحمود فات، إلخ، وكانوا في بند في قرية تسمى يف، والذين هاجروا منها إلى فوت هَمَدْ صَمْبُ وعبدالله صمب وبوكر صمب وأحمد صمب، فسكن همد صمب وعبد الله صمب في كنل، وعال همد بن همد صمب المذكور هو الذي سكن في كن مع ممد حمات كر، وأما بوكر صمب وأحمد صمب فتجاوزا إلى جول فسكنا فيها ومن أحمد صمب والدة إد فات الصياد وإخوته كما مر الآن، ومن بوكر صمب سارن برا، وأما عبد الله صمب فقد سكن في نول لوس ويخرف في جنجول إلى أن مات فيها [475] والله تعالى أعلم.

338 - ذكر بعض القبائل التي ترجع أصولها إلى جاوب

وجاجاب الذين في فوت هكذا كثيرون جدًّا ومنهم صرحاء الاصل في جاوب ومنهم موالي والكل لقبهم جه. فلنرجع إلى ذكر أخبار جاوب ونقول وقد حورب جاوب حال اجتماعهم وقبل تفرقهم حروبا منها حرب في فنكن ثم في جاب زار ثم في كوجول ثم في هور وايد ثم جمبو كما يقولون ذلك عن أوائلهم وكان يقال لسطانهم لام ترمس ثم صار يقال لسلطانهم أرط، وقيل إن أول أرط فيهم أرط جب والله تعالى أعلم، وهو أول من اتخذ من سلاطينهم الطبل وكان من قبله من الملوك إن الذين عندهم الدفوف لا غير، ويقال جاويك هويل ومعنى بك في لغتنا الدف لا غير، والله تعالى أعلم، بمعنى هويل، وكان من عوائد جاوب القديمة أنهم إذا غزوا عدوهم وغلبوهم وغنموا أموالهم قسموا الغنيمة قسمتين، قسمة لكافة جاوب وقسمة لأرط جاوب خاصة ومنهم وررطنكوب وهم عند جاوب كورنكوب عند دانينكوب وهم العبيد الأقدمون التالدون، ومن متأخريهم وتوب وهم العبيد الحادثة المتأخرة، وجاوب إلى الآن لا يناكحون وررطنكوب فأحرى وتوب، وقيل أيضًا أن يرديد التحق بجاوب في قيم وكان رئيسهم هنالك إلى أن قاتلهم فيها دانينكوب أيضًا وهزموهم وحينئذٍ ارتحلوا إلى هور وايد، قلت ولعله لاس وايد في مرتن فدور، فاجتمع هنالك بقيتهم وما زالوا هنالك إلى أن تضرروا بحروب البياضين لهم، فأسرع بعضهم النزول إلى وال ورئيسهم دمبك عل ويقال له ولمن نزل معه جاوب وال وممن يضاف لوال من جاوب أهل كبل وناحية من كيرير لخروجهم عن كبل ويقال لهم وركر أي قرية الجمال ومنهم برناب همبو ثم ور أرط جم في لاو ثم سولب فد كسم ثم وبناب وجاجاب وجكسب وإدكاب ودمبب كلها في كبل وجمبو، ومن جاوب وال أهل لق وفي لق نوعان بوروب وقلب جاير ومن جملة بوروب المنتسبين إلى جاوب أحمد كمب

وبوكم، والله تعالى أعلم، وسمي وبناب بوبناب لسكناهم في وادي يسمى وبول في مرتن جهة فدور ولهم كلكل هناك تسمى جاول، وكانوا يأتون منها بالزكاة بعد سكناهم في كبل إلى أن زال ذلك بسبب الفتن الواقعة بين أهل فوت، وكذلك إدكاب من جاوب وال ولهم حرائث كلكل تسمى يكبل في مرتن فدور، وكذلك كانوا يأتون زكاتها ثم زال ذلك بسبب الفتنة الواقعة بين بوسي ولاو وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهم والله تعالى أعلم. [476] وقيل إن أول من نزل من جاوب إلى البحر جاوب جل وجاوب دند وجاوب ودم وجاوب جبل وجاوب جاورن في جم، ورج اسم واد بين جم وسالاو ولهم من الحرائث كلاط بدور وسوو وكبيرهم يلقب بإلمان جاورج ولقبه جه ومسكنهم في جم في آخر ناحية قان جهة ناحية قنار، ثم أن الذين بقوا في هور وايد بعد نزول جاوب وال رئيسهم بوب عل ويقال لهم جاوب جاير لتأخرهم في بر مرتن وممن يضاف لجاير من جاوب أهل جولل وبلدنكوب لخروجهم عن جولل وسكنوا في فط بيكل والأصل في اسمهم مطيهتبلد إلى أن صاروا يضافون إلى بلد وينسبون إليه فيقال بلدنكوب وكذا يقال أيضًا فط أيلوب أي الرعاة لاشتغالهم بالرعاية للغير بالأجرة لأنهم كانوا بقر بكجو ودومك وسايد، ومن أهل فط أيلوب جاجاب الذين أصلهم من جاوب دومك وهم من تادبول الذي ارتحل عن جاوب دومك وسكن في جاب مدة وهو والد صمب تاد والد هَمَدْ صَمْبُ المعروف بسارن همد الذي ارتحل إلى ألمام عبدل في سلن فأمر الإمام أن يسكن في فط أيلوب وأعطاه قطعة من أرض فط يأخذ خراجها، ومن أهل فط برناب وجلب سيدان ومنهم ممد عبدل اللي المعروف بكثرة المواشي، ومن هؤلاء برناب قوم ساكنون في سلن وصاروا من أهلها فأصل الكل واحد كما قيل، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن لتادبول إخوة هم ألفال بول وتير بول وكمبال بول وسنذكر طرفًا من أخبارهم في تاريخ يرلاب إن شاء الله تعالى. وأما سوتنكوب ساركر فإنهم من جولل يتوارثون إلى الآن ومن جاوب جاير ناحية من كيرير ومن جملتهم بمب جاوب ومن جملتهم أيضًا أولل وكودكوت وور ألفال في بمب، وقيل من جملتهم إداناب وهم من إدا عال ير ودومكل ددو وور ألفال [477] في دومك وقيل من جملتهم أيضًا سولب وكذا من جملتهم هو جاب ورسوك وأصلهم من جولل ومن جملة جاوب جاير ياللب جولل، وذرية دمبك عل في جمنو وكبل الآن، وكان فيهما أرطان يتناوبان ملك جاوب، وذرية بوب عل في أولل جاوب ومنها أكبر أرطات جاوب مثل جمبو وكبل، وفي قرب أولل فوقها قرية أرط تسمى ور أرط جم وهو واحد من أهل أولل فلما سكنها صار يقال لمسكنه الجديد

ور أرط وكانوا كلهم ساكنين في هور وايد فأول ما ارتحل عنهم إلى وال أي شامام جاوب وال ومعهم رئيسهم دمبك عل فصار المتوجه إليهم يقال له أين تريد فيقول إلى جاوب وال ثم قطعوا النيل إلى جاجم وسيم وجمبو وكانوا يحرثون في مرتن سيم حرائث كلاط من جملتها ببل لبني جوك جاتل، ويقال سود ببل أي بيت ببل نسبة إلى تلك الحرائث، ومنها حرائث جكس لجكياب وغيرها من الحرائث، قيل إنهم كانوا يحرثونها حين كانوا في مرتن في هور وايد، ثم أوقع عليهم محمد الحبيب الغارة فقطعوا البحر إلى سيم وجمبو وجاجم، فما زالوا فيها إلى أن قاتلهم لامتور في زمن سارن سليمان بال ولم يغلبهم، فاستجاش الترارزة فوقع عليهم مع أمير الترارزة فغلبوهم وطردوهم وأخرجوهم عن تور إلى فوت كما ذكرنا ذلك في تاريخ سارن سليمان بال وألمام عبدل رضي الله عنهما،[507] والله تعالى أعلم. وقيل إن الفرق بين جاوب وال وجاوب جاير وقع وهم في كوجول كما قال صمب كرل في لقرفول بطيج في مرتن في ديوان ليتام في حكامة كيهيد، فزعم أن جاوب وال هم الذين ارتحل بهم دمب عل في كوجول إلى كمبل، فلما غلب الذين في كوجول عند قتال دانينكوب هرب الذين مع أرط جب [478] إلى المشرق والذين مع دمب عل إلى هور وايد ومعناه رأس الوادي، وجاوب جاير هم الذين بقي معهم بوب عل في كوجول ولعله هو أرط جب، والأول أشهر وأكثر قائلاً والله تعالى [أعلم]، وبوب عل يسمى بوب سل وهي أمه وهو والد جم بوب والد حمد جم والد جم حمد والد سليمان جم والد صمب سليمان والد أولل صمب الذي في لقرفول بطيج الآن. وقيل إن الذي تخلف عن يرديد بعد فساد أمره ولعله في قيم أرط كلاج عالي وفي أيامه قطعوا البحر إلى سنقال وسكنوا في جاجم وعنها إلى بمب، فلما ضعف أمر قلاج عالي قام بالأمر بعده أبناء عل عالي وهما بوب عل ودمبك عل، وأما بوب فهو ملك جاوب جاير وذريته

507 - سليمان بال: أحد دعاة الطريقة القادرية، دعا إلى نظام الأئمة، وكان عالمًا مجاهدًا، استشهد في تصديه لغارات القبائل الموريتانية على منطقة تور. وضع شروطًا لتولي منصب الإمام منها أن يتصف بالأمانة وعدم الثراء على حساب الرعية وأن يمتنع عن توريث أبنائه وظيفته.
كان من الأئمة (أو ألمامات باللغة الفلانية) الإمام عبدل (عبد الله)، والإمام لمن بال، والإمام حماد بن لمن بال، والإمام محمود در، والإمام عبد القادر خان، وكان أول الأئمة وهو اشهرهم يعرف بعبد القادر حمد كن (1776-1807م) من المنتسبين إلى الطريقة القادرية، التزم بأحكام الشريعة وشجع العلماء وحارب الوثنيين الذين أسروه في معركة بناكوني (1796 م)، وبعد إطلاق سراحه عاد إلى تولي منصب الإمام الذي عزل منه بفعل التنافس والصراعات بين العشائر سنة 1807. تعاقب بعده العديد من الأئمة اشتهر منهم ألمام عبدل (الإمام عبد الله الفوتي).

في أولل مع جاوب دومك، وأما دمبك عل فهو ملك جاوب وال وذريته في جمبو وكبل، هكذا قيل والله تعالى [أعلم]، والمناسب أن يقطعوا البحر في زمن أبناء عل عالي فقطع دمبك عل البحر إلى سنقال ثم تبعد بوب عل، والله تعالى أعلم.

339 - ذكر أعيان من جاوب وبعض الفتن التي وقعت بينهم

ومن أعيان جاوب حمد سل موس وهو من جاوب بمب وهو القاتل لألمام ساكاكي في بند بأمر ألمام عبدل وهو أيضًا قاتل باي من سب جاوب كان مسكنه أولل وكان باي هذا وجيها عند ألمام بران في بمب، والله تعالى [أعلم]، ومن أعيانهم دج الذي هو أول من ارتحل بهم إلى دمك وقد جرح في كونكل وصار أعرج، وأما قبيلة إدا ففي جوارهم مابب جاوب قديما وحديثا، ومن سولب مريد شيخنا المسمى بشيخ عثمان صح وسنأتي أيضًا ببعض أعيانهم في موضع غير هذا إن شاء الله، وأما حمد سل موس المتقدم فموس بن صمب بن عال بن ير بن بوب بن أولل وهم المشهورون ببيت أولل، ولحمد سل موس هذا أخ يسمى سيد موس [479] وهو الذي كان ساكنًا في كروان قرية قرب بمب ويقال لها أيضًا ورسيد لأنه أول من سكنها، ثم إن حمد سل موس قد عمر رومد القرية المنسوبة إليه المسماة رومد حمد سل، وعمهما قيا ير هو أول من ارتحل إلى كودكوت مع غنمه ولذلك نسبت القرية إلى الغنم وصار يقال لها وربال أي قرية الضأن، اعلم أن وربال وبيت موسر وأولاد جب ير هم إداناب. ومن الفتن بين جاوب وإبرا ألمام فتنة مهن أو مهج قرية خربة الآن وهي في قرب جايك وراء البحيرة الصغيرة في زمن بايس دمب فدايل وأحمد يايل وهما رجلان من إداناب، وذلك أن إبرا ألمام أراد كسر شوكتهم ليأكل أموالهم فامتنعوا أي امتناع فقال أحمد يايل دعوني أصالح إبرا ألمام بسبع بقرات ليترك الفتنة، فقال له بايس دمب إن كنت غنيًا فأعط مالك لأولادك ونحن لا نؤاجر تورود بمالنا إنما نذبه عنا بالبارود والدم وإن غلبنا وقتلنا يكون أولادنا مملوكين له، ولما أيس إبرا ألمام عن طلبهم رضاه بالمال وعزم على محاربتهم واستعان بقبائل من البياضين نحو كنت وتوا بير وأهل لاو رواء لاو ومرتن وهو من عبدل إلى كسك، فأوقع عليهم الغارة في مهج وسيدهم يومئذٍ بايس دمب، وقيل أنه وأحمد يايل تكالما عند مقاربة صفوف القتال، فقال أحمد يايل لبايس دمب أبطأ مشيك لو كنت كبشًا لقيل إنك خالفت العهد لراعيك، فقال

له بايس دمب إن اتبعتني فإن قدميك لا تلحقانك حرثك ساعة الرجوع، فقال جاوب لبايس ألا تخبطهم بمدفعك فقال لا حتى أتيقن بما في عنق إبرا ألمام، فلما رآهم إبرا ألمام مسرعين إليه قال لأصحابه ادفعوهم عنا فقال أحد أصحابه ولعلهم [480] إنما يريدون الصلح، فلما قرب بايس من إبرا ألمام تعرض له عنه أحد أصحاب إبرا فقتله بايس فقتل بايس ثم قتل أحمد يايل وهما من أولاد إدا، فطرد إبرا ألمام بقية جاوب وقتل منهم قدر ثلاثين رجلاً وانجرح قدر ذلك وكانوا ثمانين نفسًا فهربوا إلى هدك هاير وأخذ إبرا ألمام من حيوانهم ما ينيف على عشرين هجمة أي ثلة أي قطعة من الضأن وأخذوا أيضًا ما أرادوا من حلي النساء، وبعد ذلك تصالحوا برجع جاوب إلى أماكنهم. ومن الفتن بين جاوب وإبرا ألمام أيضًا فتنة سلتك همد جولد ومعنى سلتك كبير الطريق ورئيس الرفقاء، وقد أغار حمد جولد هذا على حيوان البياضين في مرتن هردلد وجمع المال الكسير ورجع به إلى لاو وطلب إبرا ألمام أن يخمسه فأبى هو وقومه، وفي تلك الأيام جمع إبرا ألمام جيشًا لمقاتلتهم فظنوا أنه إنما يريد بايلن سون، ثم لما سمع حمد جولد قدومه تأهب وجمع قومه لانتظاره ثم تجاوزهم إبرا ألمام إلى دومك وأوقع الغارة على إدا وأفسدهم لفتنة قديمة كانت بينهم وبينه، وبعد رجوعه وجد أهل بمب جاوب قد ارتحلوا عنه فندم وتأسف على ارتحالهم حتى قال إنه لو علم أنه إذا تجاوز إلى دومك يرتحل عنه أهل بمب لما تجاوز بل يقدمهم.

340 - الأماكن التي ارتحلت إليها بعض قبائل جاوب

وقيل إن جاوب لما قطعوا البحر سكنوا في سيم حتى عمروا ما لهم هنالك من الأراضي ثم ارتحل بعضهم إلى جاجم وبعضهم إلى جمبو وقلات ثم ارتحلوا عن تور إلى فوت، قلت ولعل ذلك حين هاجروا مع سارن سليمان بال، ثم بعد ذلك صاروا يرتحلون إلى المشرق للتعزيب[508] وإلى المغرب كذلك كما هو عادة الفلان، فارتحلوا إلى بمب جاوب وترحب بهم جوم بمب فسكنوا هنالك معه، ثم سكنوا [481] في كروان وهكذا إلى أن خرج فريب ذات مرة إلى المشرق فسكنوا في كرل ثم سكنوا بعد ذلك في جنجول عامين ثم تجاوزوا إلى ءوك في أيام أرط جم ثم سكنوا في همبو، وقيل إن رجلاً منهم يقال له بوب عال قام يطلب لهم مسكنًا يسكنون فيه فإذا برجل يعمل في حرثه ويقلب أرضه وفيه زريعة مك ويسمى بهمبو

508 - التعزيب: هو الانتقال الموسمي للاشتغال في فلاحة الأرض بعيدًا عن الديار، وهو لغويًا صفة مبالغة من عزب أي بَعُد.

نفل ومعنى همبو الذي استرخت أذنه ومال إلى جهة صماخ الأذن ووتده، ومعنى نفل الأذن في كلام الفلاَّن ويقال له نفر ونفل للتكبير كما أن نغل للتصغير، فقال همبو لبوب عال هذا الموضع يليق بكم لأن من سكنه لا يفتقر أبدًا لأنه موضع تصلح فيه الماشية جدًّا لأنه كان مسكن النعام والغزلان وبقر الوحش ونحوها، فرجع بوب عال إلى قومه فريب وأخبرهم بما رأى فارتحلوا إلى همبو وسكنوا فيه، وبوب عال هذا أول من دفن في مقبرتهم وهو والد صمب بوب والد ير صمب والد دمب ير المعروف بدمب قرمل، وفي أيامهم في قرل عمروا حرائثهم سنكي وكان بوب عال أكثرهم حظًا من تلك الحرائث، وأرط جم هو والد أرط حيموت والد عبدل أرط والد حيموت عبدل ودمب عبدل والد هيبل دمب، وقد قيل إن أرط حيموت جم هو الذي عاصر ألمام عبدل وقد مر ذلك في تاريخ كلياب في ترجمة ير كلسل، وبيت أرط فريب من حمد جقري وصمب جقري وذرية صمب هم الذين يملكون الرقاب دون ذرية حمد لتركهم الملك تشاؤمًا لما قيل إن من وليه لا يكون غنيًا وإذا كان غنيًا لا يكون ذا أولاد ولذلك ترك ملك فريب أولاد حمد جقري، والله تعالى أعلم، وحمد هذا هو والد عال حمد والد سل عال والد بلل سل ومحم سل، وأما بلل فهو والد صم بلل والد سل صمب وأحمد صمب، وسل والد صبو وهو في قيد الحياة، وأما أحمد صمب فهو والد سل أحمد والد حمد سل أبا وهو في قيد الحياة، وأما صمب جقري فهو والد عال صمب والد مود حمد وجم حمد [482] المعروف بأرط جم والد أرط حيموت جم، إلخ.

341 - ذكر قبائل فريب

وأما قبائل فريب فهم ور أرط ولادنكوب وبرنكوب ومطنكوب وسولب الذين منهم تلميذنا بق وأخوه سارن أحمد وجنقلب، وكل هذه القبائل في جاوب إلا جنقلب فقط وذلك أن واحدًا من جنقلب أتاهم أي فريب فزوجوه بنتًا من بناتهم فولدت له أولادًا ومنهم بيل وأبناء فر الذين منهم أحمد صم فر، وقيل إن بيل كان ساكنًا مع جنقلب فقط فعد منهم ولكنه من برنكوب، والله تعالى أعلم، وكان من أشهر جنقلب صمب عال وقد قتل بين تكر وجمل وذلك لخروجه عن طاعة أرط حيموت فعمر قرية تكر وجعل لنفسه طبلاً، فطلب منه أرط أن يرجع إلى همبو فأبى فأرسل أرط إلى أولاد عايد من البيضان ليقتلوه فقتلوه بين تكر وجمل، وتخلف بعده صمب سليد في تكر وهو الذي رجع بهم إلى طاعة أرط ولكنهم في ناحية من همبو وحدهم، وتخلف بعده ابنه أحمد صمب والد ير أحمد الذي مات في تلول اسم واد بين ساند وبول من

(...)، وأما أرط حيموت فقد قتل في فولد واد تحت قرية أوك آتيًا من همبو لصلاة الجمعة في عوك فبلغه أن البياضين أغاروا على حيوانهم فتبعهم وقتلوه في فلود. وأصل برناب سل سيد الذي كان غنيًا وذبح جكياب شياهه لدخولها في المسجد الجامع في كبل فرحل سل سيد إلى كيرير ثم ارتحل عنها إلى همبو وتزوج هنالك بامرأة فولدت له لمن سل والد ير لمن وصمب لمن وحمد لمن وهو المعروف بكال ومعناه تكبير الثور وهو والد جايلم ودوبل ولمن الذي في خاي، وأما ير لمن فهو والد بك ير، وأما صمب لمن فهو والد صم بدل في قيد الحياة الآن، وأما بيوت سودانهم فهم وتوب وصنبياب وكانوا من مماليك سيبت الذي هو من أولاد سيد من البيضان، فحاربهم همد سل موس فغنم هؤلاء العبيد وأعتقهم، وحمد سل موس هذا هو الذي قتل ألمام ساكي كي في بند كما مر، [483] والله تعالى أعلم، ومما يدل على أن فريب من جاوب قديمًا قولهم فر إنت موس مود همد سبل دقا هور وايد وكلهم كانوا في هور وايد، وأما دمبب فمهار فإنهم من جاوب أيضًا وسبب خروجهم عن جاوب امرأة كانت عندها كبش مربى فذبحه الغلمان المختونون فنشأت من ذلك فتنة كبيرة وخرجت المرأة لأجل ذلك فتبعها إخوتها من دمبب إلى كنل وعنها إلى فمهار وكذلك خرجت سولب إلى دومك وتبعهم من تبعهم، وهكذا حالهم إلى أن أصابهم القحط في أيام دج الذي كان من مشاهريهم فهاجروا إلى دمك في ناحية فمهار لكونهم من جاوب أصلاً وبعد مدة رجعوا إلى لاو ثم بعد ذلك هجرة مود بل إلى دمك ثم بعد مدتهم ردهم إبرا إلمام إلى لاو أيضًا ثم هجرة يرل دود فهم في دمك الآن وقد صاروا الآن في مرتن في ديوان ليتام، والله تعالى أعلم، وقيل إن دمبب من أصولهم عال دم وبوب دم وجب دم ودل دم، وأما جب دم فذريته في همد هنار، وأما بوب دم فذريته في دلاج، وأما عال دم فذريته في بمب وكلاير، وأما دل دم فذريته في جما ألوال، وقيل إن أصل دمبب همد هنار من جاني بل، وأصل دمبب فمهار من بج بل، وبنو بوب عال بوب هم الذين بنوا مسجد فمهار وقيل بانيه بوب عال بوب بنفسه، واعلم أن أصل دمبب كلهم من جاوب كما قيل، والله تعالى أعلم. ومن قبائل جاوب يرلاب وحيث أطلقوا عند جاوب فلقبهم جل لا غير ولا يكون أرط إلا منهم ومنهم أرطات أولل الذين هم من بوب عل، ومن أرطات أولل أرط فلاج وهو آخر أرطات جاوب حقيقة وليس لمن بعده من الملك إلا الاسم فقط، ومن يرلاب جاوب أيضًا أرطات جمبو وكبل الذين هم من دمب عل أخو بوب عل وكان أرط قلاج معاصرًا لإبرا ألمام فأراد إبرا ذات مرة أن يغير عليه بجيشه فلما علم أرط بذلك

أرسل إلى كافة قبائل جاوب من جولل إلى دومك جاوب، فلما رأى أرط جموعهم واقفين حول قريته قال [484] لمن حوله من هؤلاء فقيل هؤلاء جيوش جاوب أتوا لندائك إياهم، فقال أرط حينئذٍ الآن ما خفت أحدًا إلا الله تعالى فأحرى إبرا آلمام، فلما سمع إبرا قدوم هذه الجيوش اصطلح معهم وترك محاربتهم، وإلى أرط قلاج انتهت حقيقة أمر أرط جاوب والذين بعده يطلق عليهم اسم أرط فقط لا حقيقته ولا ينادون كندائه من جولل إلى دومك جاوب، والله تعالى أعلم، ولأرط قلاج أخ يسمى بأحمد أرط شهير بالشجاعة والبسالة وشدة البأس وله أيام في الحروب وله فرس اسمه جمباير حورب به يوم تنبا كندا وكذا يوم بكر كندا وحورب أيضًا بفرس أصفر لرجل اسمه صمب هاو ملاط يوم بك ثم حورب أيضًا بفرس مستعار لرجل اسمه أرط بكار يوم ليداين موضع خرب الآن في برهم ثم ترحل وحورب مترجلاً عشية كيلن موضع في برهم أيضًا ثم ترحل أيضًا في توفان أولل ثم حورب أيضًا بفرس مستعار لمحمود ير يوم بك أيضًا وأيامه كثيرة كما قيل وفلنكتف بهذا. وكان من يرلاب جاوب أيضًا جاوب سنسن وسموا بذلك لقدرتهم على غيرهم من جاوب ومعنى سن أو سج في كلامنا القدرة، ومن عوائد جاوب أن كل من قتل نفسًا ودخل دارًا من ديار جاوب سنسن فقد نجا من القصاص وسلم بإذن الله تعالى، ومنهم حمد جولد الذي قلنا أولا أنه سلتك همد جولد، إلخ، واعلم أن هؤلاء يرلاب جاوب الذين منهم جاوب سنسن وجميع أرطات جاوب أصلهم جاتل والد جوك جاتل وألجمان جاتل وغيرهما.

342 - ذكر ذرية بعض رجالات قبائل جاوب

وأما جوك جاتل فهو والد جوك والد مكم دط والد عل مكم وجومن مكم، وأما جومن مكم [485] فهو والد جب جومن الذي منه جميع أرطات جاوب من لوبال إلى ماسن، وأما عل مكم فهو والد دمب علا وبوب عل ومنهما أرطات بقية جاوب من كبل وأولل وجمبو، ومن أولاد دمب عل ألج دمب أو عال جه دمب والد بوب ألج والد دل بوب والد صمب دل والد محم صمب والد سيد محم والد عمر سيد وجب سيد، وأما عمر فهو والد حمد عمر والد محم حمد الذي في كبل الآن، وأما جب سيد فهو والد حمد جب والد جب حمد والد مالك جب تلميذ في خاي الآن واكتفينا بهذا اقتصارًا، وأما ألجمان جاتل فهو والد عل ألجمان والد مارن عل والد قايت مارن وقيو مارن وهو أصل جاوب سنسن، وأما قايت مارن فقد صارت ذريته تورب وسنلم بذكرهم بعد إن شاء الله تعالى، وكان مسكن قايت مارن كمبل وكان تحت طاعة

أرط جب الذي كان في كوجول مشرق لقرفول بطيج وقبلته، وقيل إن قايت مارن هو الذي قتل قد بوي وسسور بوي وفتكن بوي ثم جاط داد ثم همد جاط داد وهؤلاء كلهم من أولاد ملوك جاوب ولعله قتلهم لاستعجال الملك، ثم قاتله دمبك عل وطرده إلى أخواله في جاب جسكن الذين هم جاجاب فيها، وأما قيو مارن فهو والد عل قيو وير قيو وبيضان قيو، ومن ير قيو صمب كرل لأن ير قيو والد محمود ير وداود ير، وأما محمود فهو والد عال محمود والد سيد عال والد إفرا سيد والد سيد إفرا والد مالك سيد والد سليمان مالك والد ممد سليمان الذي هو كرل والد صمب كرل في لقرفول بطيج الآن، وير قيو مع سنسن وال في كبل، وأما عل قيو فهو والد لار عل والد سيد لار والد حمات سيد والد سايل حمات والد دمب سايل والد بوكر دمب والد مود بوكر والد معاذ مود الذي هو الحاج معاذ [486] الذي في أولل الآن، ومن ولد عل هذا أيضًا سبوق عل أخو لار عل والد عمر سبوق والد فال عمر والد باب فال والد حمد باب الذي في كبل الآن وهو والد زوجة صمب كرل، وأما بيضان قيو ويسمى أيضًا بيض قيو فهو والد بكار بيض وكد بيض وعنى كد آخر الأولاد، وأما بكار بيض فهو والد صمب بكار والد بوب صمب والد عال بوب والد عبدل عال وملايد عال والد برك ملايد والد أحمد برك والد عمر أحمد وعبد الله أحمد وهما توأمان وهما اللذين انتقلا من مرتن إلى سنكال، وأما عبد الله أحمد فهو والد سل عبد الله والد صمب سل ودمب سل، وأما صمب فهو والد حمد صمب والد إد حمد والد جبريل إد المخبر، وأما دمب سل فهو والد جولد دمب والد حمد جولد الذي كان من سلتكايب جاوب ويسمى قيو هذا عندهم أيضًا بقيو فقط.

343 - عودة إلى ذكر بعض قبائل جاوب

ومن قبائل جاوب أيضًا إداناب وهم الذين يملكون أرط جاوب قديمًا وحديثًا ولا يكون أحد من يرلاب أرط جاوب إلا برضى أهل إدا وأكثرهم في دومك وبمب جاوب ولهم ديار في كيل، ويقال لهم أيضًا إدكاب ومنهم حمد سل موس من إدا في بمب ومنهم أيضًا دج فإنه من إدا بمب أيضًا، ومن قبائل جاوب جلب رقاب وكان من رؤسائهم عال كمب ملل ومن قبائلهم أيضًا سولب وكان من رؤسائهم أست هاو، ومن قبائلهم هوجاب فأكثرهم في جولل ودومكل دد ومن قبائلهم فريب كما مر ومن قبائلهم أيضًا سوتنكوب ومن قبائلهم أيضًا دمبب وقد مر ذكرهم، ومن قبائلهم أيضًا جلب أولاد مجم وكان من رؤسائهم دد بوبك الذي عمر دومكل

دد ولا أعرف هل منهم ماجوم الذي أصله من البيضان حسان وغلبه البيضان وطردوه إلى شامام فنزل إلى دود وسكن مع سارن سيول وكان كثير الماشية وكان معه قومه، وله في مرتن قرية دود حرث في جاجكل وحرث في بوب كل، وأما في سنگال فله حرث في كينطم وله أيضًا حرثان فود أحدهما في موضع يسمى وال بوت في مرتن والآخر في جوبي في سنكال، ومن محجوم هذا محمود ألتن خال عال دايا مريدنا، وقيل إن الفلاّن هناك يتأنفون من مناكحتهم ولقبهم سه [487] ولهم رحم في قوم من ناير ولم يكونوا منهم وهو الأظهر لأن أولئك لقبهم جل وهؤلاء لقبهم سه، والله تعالى أعلم، ومن قبائل جاوب أيضًا جلب أولاد بس ومنهم ألفا حاميد جولل كان قاضيًا في جور لكافة قبائل الفلاّن وهو والد ممد ألفا الذي في المغرب الآن، ومن قبائلهم ياللب ومن قبائلهم أيضًا جكياب الذين كان من رؤسائهم سارن بوب كاسم وهو الذي سخره الله لسارن سليمان بال فتابعه جاوب على ذلك وكان معهم في مرتن في هور وايد فطردهم عنها محمد الحبيب فسكنوا جمبو وبنت وسيم، وحرائث جكياب كانت في مرتن فدور تسمى إلى الآن جكس تملكها الآن أهل ذلك القطر.

344 - ذكر بعض من ينتسب إلى جاوب

ومن ولد سارن بوب كاسم سارن الحسن جاو وهو الذي صحح لوح جور قل سلاق الذي كتب تحته هلنا كما قدمنا في تاريخ ألمام عبدل وسارن سليمان بال، وسارن الحسن جاو هو والد سري الحسن والد الحسن سري الذي في كبل الآن ومن ولده أيضًا مالك الحسن والد الحسن مالك في كبل تلميذ قليلاً وهم من قبيلة جل، وقيل الذي سخر لسارن سليمان بال اسمه كاسم بوب وهو والد سارن الحسن كاسم الذي هو سارن الحسن جاو ومن ولده أيضًا حمدن كاسم، وأما سارن الحسن كاسم فهو والد سري الحسن ومالك الحسن، وأما سري فهو والد الحسن سري الذي في كبل الآن، وأما مالك فهو والد الحسن مالك الذي في كبل الآن أيضًا، وأما حمدن كاسم فقد انقرض عقبه، والله تعالى أعلم، إلى غير ذلك من قبائلهم الكثيرة وقد علمت مما مر أن جوك جاتل منه أرطات جاوب كلهم قديمًا وحديثًا وأن ألجمان جاتل منه جاوب سنسن كلهم، والله تعالى أعلم، وأما قايت مارن فإليه ينتهي نسب جانا فينا قيل وجابال فينا الذي منه ليدب كلهم كما قيل ولا يبطل ذلك [488] كون لقبهم له إذ قد يكون ذلك من تغيير فقط لا غير وهو كثير جدًّا، والله تعالى أعلم، وقايت

مارن هذا هو والد بران بل والد جانا فينا والد موسى جانا والد بران موسى والد فات بران والد حمى فات والد عثمان حمى والد فالل عثمان والد عبدل فالل والد ير عبدل الذي هو تفسير ير والد موسى تفسير والد فالل موسى والد موسى فالل الذي في لوبال وهو الذي ذكر لي نسبه هذا. وصورة ما نقلت من حفظه ولفظه هكذا: موسى فالل، موسى تفسير ير، عبدل، فالل، عثمان، حمى، فات بران، موسى، جانا، فينا، بران، بل، عال عل، يلط، جاج، قايت، مارن. وزعم أنه له ورقة من آبائه وخط أيديهم فيها هذا النسب قد ضلت عنه الآن، والله تعالى أعلم، وفي رواية عنه أيضًا: بل، عال، عل، جاج، صادق، بطول، ماكم، وزعم أن عمر داود هو الذي أخبره بهذا، والله تعالى أعلم. وقد ذكر لي بعضهم واسمه سارن بوكر سارن دمب من جاجاب في هركجر أن عثمان جمي المذكور آنفًا هو والد داود عثمان ولن عثمان وفالل عثمان وبوب عثمان، وأما داود عثمان فلم يعقب إلا بنتًا، وأما فالل عثمان فهو والد عبدل فالل والد ير عبدل والد موسى ير والد عثمان موسى وفالل موسى والد موسى فالل الذي في لوبال، وأما عثمان موسى فهو والد ممد عثمان وإخوته الذين في لوبال أيضًا، وأما لن عثمان فهو والد سمسون لن والد بيد سمسون والد عبدل بيد وصم بيد، وأما عبدل بيد فهو والد ممد عبدل والد سري ممد المعروف بسري مدين وقيل أنه مريد لسرن بمب، وأما صم بيد فهو في كلجن الآن وهو عقيم إلى الآن لم يجد ولدًا، وأما بوب عثمان فهو والد سارن عال بوب والد حمد سارن وعلو سارن، وأما حمد سارن فهو والد دمب حمد والد ملل دمب والد ممد ملل وهارون ملل وصم ملل وإبراهيم ملل في تاككل، وأما علو سارن [489] فهو والد دمب علو والد علو دمب المعروف بعلو سارن في سورياك وهو أيضًا والد سليمان سارن وعبد الله سارن وسالف سارن وقد مات ولم يعقب إلا إناثًا وهو أيضًا والد بوكر سارن المخبر، ولسمسون لن الذي مر ذكره آنفًا أخ يسمى عبد الله لن فهو والد ير عبد الله والد عمر ير والد داود عمر المعروف بسارن داود الذي تنسب إليه قريته مدين سارن داود قرب كنل في حكامة ماتم، ولفات بران الذي مر ذكره أولاً أخ اسمه ير بران والد صمب ير وعال ير وفات ير، وأما صمب ير فهو والد عبدل صمب والد مالك عبدل والد سري مالك ومات مالك، وأما سري مالك فهو والد محمود سري وعال جه سري وصمب سري، وأما محمود سري فكان يسمى بألمام محمود في ورسري وهو والد محمد محمود وكان يسمى أيضًا بألمام

محمد في ورسري أيضًا وهو والد سري ألمام وببكر ألمام وعمر ألمام وعلو ألمام، وأما سري ألمام فهو والد بيلي حفص وهي أمه والد ممد بيلي وأحمد بيلي، وأما بوكر ألمام فهو والد بيد بوكر ويحيى بوكر، وأما عمر ألمام فهو والد ممد عمر وإسماعيل عمر، وأما علو ألمام فهو والد ممد علو والد أحمد ممد، وأما عال جه سري فهو والد سري عال جه والد ممد سري ومالك سري وعمر سري وعثمان سري، وأما عمر سري فهو والد داود عمر، وأما عثمان سري فهو والد أحمد عثمان ومات جه عثمان ولم يذكر لنا دم بنت غير هذا من هؤلاء، وأما صمب سري فهو والد إسماعيل صمب سري في كري والد ممد إسماعيل وقد انقرض عقبه إلا من الإناث، والله تعالى أعلم، وأما مات مالك المذكور آنفًا فهو والد سري مات وهو الذي تنسب إليه قريته ورسري مات مالك وهي في شمال أجم سول في جهة حرائث شامام، وفي تلك القرية نسله إلى آخر ما عند «دم بنت» من فروعهم واقتصر منه بهذا والمراد الإلمام لا الإتمام.

345 - بعض أخبار ملوك جاوب

[490] ومن قصتهم أن بران موسى كان في جلف ينتسب للعلم فاتخذه أميرها يومئذٍ قاضيًا له وزوجه ببنته فولدت له فات بران وير بران ثم مات الأمير ومات أبوهما بران أيضًا، وكان فات ينتحل العلم وكان ير صيادًا فبغضهما عم الأمير فهاجرا إلى أجمات فنزل عند بعض الأمراء دانينكوب قبل تملكه فوجدا رب المنزل غائبًا لحضور مشهدهم في ذلك اليوم للاستخلاف لموت خليفتهم في تلك الأيام وكان رب منزلهم طامعًا أن يستخلف فلم يجد طمعه بل خلفوا غيره فرجع إلى داره حزينًا كئيبًا فوجدهما فيها وسلم عليهما ورحب بهما، فلما حضر الغداء ناداهما وقال لهما كلا ولم يأكل فقالا له ما منعك أن تأكل فقال لا أقدر على الأكل اليوم لكثرة حزني وغمي وقص عليهما قصته فقال له فات كل وطب نفسًا فإنك ستجد الملك الآن إن شاء الله تعالى، فقال له لقد سرني كلامك ولكني غير قادر على أن أكل اليوم فأكلا حتى فرغا منه ثم أعطاه فات حجاب الملك وكان من عادة دانينكوب أن يبايع الخليفة منهم أي ستك عند كنط قبل عنه أجم كد ثم يزف إلى جاب كما يزف العروس في عادتهم، فلما أمسى النهار رجعت خيولهم بنعيه فأخذوا رب منزل فات بران وير وجعلوه خليفة لهم

وذهبوا به إلى جاب كعادتهم، فلما رجع رحب بهما وأعطى فات ورسري ثم إن فات قال لأخيه ير أنت أكبر مني سنًّا (...) في دارك وأكون أنا إمامًا لمسجدنا ففعلا ذلك وكانا كذلك، وفات هذا هو فات جه وهو أصل سنسناب في ورسري وير هذا أيضًا هو (...) في ورسري، وإنما لكثرة قتل ير بران هذا للزرافات (...) إذ اسم الزرافة في لغتنا جبل لا غير (نصف سطر ...) بسار جبال، كما أن المقدم من سنسناب يلقب بسار سنسن وعادتهما أن أكبر سنًّا من القبيلتين يكون قول الجميع قوله (...) خاصة، كما أن إمامة المسجد في سنسن خاصة. وأما ألمام محمود الذي مر ذكره آنفًا فأمه تسمى كوني قك يتم من سيبوب، وقد تصدق بها [491] أبوها ستك قك يتم على سري مالك والد ألمام محمود مع حرائث شامام نيلية أسماؤها برسك وسانل وبعض من كفت وبعض من بلل متصل بعضها البعض فصارت حرائثًا متحدة هكذا قالوا، والله تعالى أعلم. قلت والمناسب أن يكون سري مالك هذا هو الذي أعطي ورسري مع تلك الحرائث الشامامية ومع المرأة بنت ستك لما استجاب الله دعاءه وأن يكون هو مع أخيه مات مالك صح وأن يكون رب منزلهما ستك قك يتم هذا وأن يكون ستك ورق الذي كان يسكن أجم خاصة دون ستك بوسي، ولعله أي ستك بوسي هو ستك قجك ودون ستك هبياب ويرلاب ودون ستك الجميع الذي كان يسكن في تمبر جيك وهو سلطان دانينكوب كلهم، ولكنهم هكذا قالوا وهو ملتبس جدًّا.

346 - حول أنساب جاوب

ومن ذرية جانا فينا المذكور أولاً موسى جانا فينا ومنه جاجاب كلي، ومن ذرية فينا أيضًا قج فينا والد عال قج والد بوب عال والد حماد بوب والد درمان حمات والد سيد درمان وكان يعرف بتفسير سيد والد سري سيد والد دمب سري والد سري دمب والد بوكر سري المعروف بألفا بوكر والد محمود ألفا الذي هو سعد سقينة وهي أمه، وسنذكر سبب انتقالهم إلى كلاير في تاريخ لاو إن شاء الله تعالى.[509] وأما سبب انتقال صمب سري

509 - تعليق المؤلف: ومنهم سارن جاي زليخا وهي أمه بن صمب بن حمات بن بوب بن موسى بن بان بن مات بن سليمان بن كل بن ير بن بران بن موسى بن جانا بن فينا ومنهم ممد ألفا موسى الذي ادعى المهدوية، وهؤلاء أئمة مسجد كلي وفيها أيضًا جاجاب مات جه وهم المملكون (...)، والله تعالى أعلم.

مالك إلى كري فإن ألمام عبدل كان يصيف عند كري في فوكل بكيج فوق فل كول جهة كاول حراسة لمخاضتها من البيضان إلى أن ضجر من ذلك التصيف فطلب من يَسُدُّ ذلك الثغر فأجابه صمب سري مالك إلى ذلك فارتحل إليها وسكنها وتزوج امرأة من أهل كاول فهي آخت مود مات فولدت له إسماعيل [492] صمب سري الذي هاجر هو وابنه ممد إسماعيل صمب سري مع الشيخ الحاج عمر وهلكا هنالك معه ولم نعلم من ذريته الآن إلا الإناث، وفوكل تصغير فود وبكيج جمع بك أي الخنط مطلقا لكثرة الخنط عند ذلك الموضع زمن ألمام عبدل هنالك. واعلم أن تورب جاجاب ينكرون كونهم من جاوب هؤلاء ويتأنفون عن ذلك جدًّا وينكرونه أشد الإنكار تكبرًا أو جهلاً أو كليهما، ويشهد لذلك اعتراف موسى فالل وهو من ساداتهم وذلك لما قلت له إن فلان من عقلاء جاوب، قال إن كل من لقبه جه إما أن يكون من صرحاء جاوب أو من مواليهم الأسفلين، فقال نحن من قايت مارن من سادات جاوب الأولين، فقلت له انسب نفسك إليه فذكر نسبه إليه كما ذكرت لك، ويشهد لذلك أيضًا قول دم بنت في ساید وهو من صرحاء تورب جاجاب أيضًا بأن جميع قبائل جاجاب أصلهم من يرديد أمير جاوب الأول ولكن لا يعرفون كيفية اتصال نسبهم وسرده إليه. قلت والحق أن نسبهم يتصل بقايت مارن لا غير كما ذكر موسى فالل من أهل لوبال وهو من صرحائهم وأن العالم يقدم على الجاهل وقد استفيد منهما بالجملة كون تورب جاجاب كلهم من جاوب لا غير، ومما يشهد لذلك أيضًا أن لقبهم واحد وهو جه والعادة في حلق صبيانهم واحدة وهي أن تترك أطراف الرأس من الجبهة إلى القفا من جانبي الرأس ويترك شعرات من الجبهة إلى القفا في وسط الرأس مثاله هكذا،[510] وهذا الحلق عادة حلق صبيان جميعهم جاوب وتورب جاجاب [493] بخلاف عادة حلق صبيان آل ألمام عبدل فإنه يترك أطراف الشعر حول الرأس من جوانبه ويترك أيضًا شعرات من الأذن إلى الأذن لا من الجبهة إلى القفا مثاله هكذا،[511] والله تعالى أعلم.

510 – رسم المؤلف في صفحة المخطوط مستطيلاً مقسومًا بخط في وسطه، فجاء على شكل مربعين متلاصقين في الاتجاه العمودي.

511 – رسم المؤلف في صفحة المخطوط كذلك مستطيلين متلاصقين في الاتجاه الأفقي.

347 - رأي المؤلف في حقيقة أهل جاوب ولقبهم مع ذكر روايات أخرى

وقلت أيضًا والأقرب في أصل جاوب الذين واحدهم جاو أن يكونوا من البجاة وهم سكان البجاوة وهي أرض النوبة والواحد بجاوي وقد تقدم ذكر البجاة أول الكتاب، أو يكونوا قبيلة من البربر التي يقال لها زواوة والنسبة إليها زواوي لأن قبيلتهم تسمى جاوب ولقبهم جا، أو هم من قبيلة من البربر أيضًا تسمى فازاز[512] وفزازة الذين منهم المداح الفازازي الذي أنشأ القصائد العشرينيات في مدحه صلى الله عليه وسلم لأنهم يدعون كثيرًا أن الفازازي من أصولهم وأجدادهم وأنهم منه، والله تعالى أعلم، أو أنهم من جزيرة الجاوة التي ينسب إليها اللبان الجاوي وقد مر بعض ذكرها في أول الكتاب أيضًا،[513] والله تعالى أعلم. وقد بدا لي إعادة ذكر جزيرة جاوة الذي تقدم في أول الكتاب ونقول قال ابن بطوطة في رحلته:[514] وبعد خمسة وعشرين يومًا وصلنا إلى جزيرة الجاوة بالجيم وهي التي ينسب إليها اللبان الجاوي، إلى أن قال ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة، إلى أن قال وكانت إقامتي عنده بسمطرة خمسة عشر يومًا ثم طلبت منه السفر إذ كان أوانه ولا يتهيأ السفن إلى الصين في كل وقت، فجهز لنا جنكا[515] وزودنا وأحسن وأجمل جزاه الله خيرًا وبعث معنا من أصحابه من يأتي لنا بالضيافة إلى الجنك وسافرنا بطول بلاده إحدى وعشرين ليلة ثم وصلنا إلى مل جاوة بضم الميم وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاوية العطرة والعود الطيب القاقلي والقماري، وقاقلة وقمارة من بعض بلادها، إلخ. قلت وبلاد الجاوة في جهة بلاد الهند والصين كما استفدنا ذلك من ذلك الكتاب. قلت ولعل لقبهم جه من لفظ زواوة المتقدم أو من لفظ جاوة هذه أو كونهم من جانا فينا وهو بعيد لكونهم كلهم ليسوا من جانا فينا المذكور كما علمت مما مر. وقيل إن أصل لقبهم جه كونهم من رجل رضع ذنب حية سوداء يسميها العرب باسود سالخ ونقول لها في لغتنا جاو ونعوذ بالله تعالى منها، وذلك أن أعداءهم أغاروا عليهم فخرجوا هاربين وكانت أمه تحمله على ظهرها فلما اشتد عليها الخوف تخيرت وألقته في حفرة فإذا فيها تلك الحية، فأخذ الصبي

512 - رجح المؤلف إرجاع نسب جاوب إلى قبائل خارج بلاد السودان مثل البجاة والنوبة أو قبيلة زواوة القبط تعرف بكوارة أو فزازة.

513 - وهي من جزر الهند الشرقية المعروفة اليوم بإندونيسيا وبها العاصمة جاكرتا.

514 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص. 113.

515 - تعليق المؤلف: ومعنى الجنك السفينة ، ومثله في مستدرك «معجم البلدان في منجم العمران».

ذنبها [494] وجعله في فمه يرضع بحكمة الله الحكيم ولطفه العظيم، فلما أمنوا ورجعوا من مهربهم وجدته أمه على تلك الحال سالما آمنًا فأخذته ورجعت به، فهذا الصبي هو أصل جه كما زعموا وعوامهم إلى الآن يزعمون أن هذه الحية لا تضر من كان أصله من جاوب، والله تعالى أعلم. وقيل إن سبب لقبهم جه كون جاتل هو أصلهم ومنه تسميتهم بجاوب أيضًا وهو أصل رؤسائهم كلاً وأصل لقبهم أولاً جل كما قيل، والله تعالى أعلم. قلت ولعل يرلاب لما خرجوا وانفصلوا عنهم رجعوا إلى لقبهم جل وبقي غيرهم على لقبهم جه لأن أصل لقب الجميع جل، والله أعلم.

348 - من ذرية جانا فينا

قيل ومن ذرية فينا المذكور أولاً كرل فينا يقال أن منه النساجين من مابب، وقيل إن كرل فينا والد عل كرل والد هيب عل والد حمى هيب والد سيد أحمد ول هيب، قلت فإن صح هذا تكون كرل أنثى وهي والدة عل كرل، إلخ، وهذا أقرب إلى الأذهان وأولى من غيره بإعلان، والله تعالى أعلم، قيل ومن ولد فينا أيضًا جابال فينا والد عل جابال والد كدم عل والد حمى كدم وهو حمى فدل، وعل كدم هو الذي هو عل فدل أيضًا، قلت ولعل فدل اسم آخر لكدل، والله أعلم، وأما حمى فدل فهو والد جم لي حمى، إلخ، وأما عل فدل فهو والد داود عل الذي هو دوت عل، إلخ، ومنهما ليدب فوت تور كلهم وسنفرد لهم هنا ذكر أخبارهم وحدهم الآن إن شاء الله تعالى [495] ونقول قيل أيضًا إن جابال فينا هو والد عثمان جابال والد كدم عثمان والد عل كدم والد حمى عل وهو حمى فدل والد عل حمى هو أيضًا والد جم لي حمى، ومن عل حمى شعب فنايب ومن جم لي جميع قبائل ليدب غير فنايب، والله أعلم، وقيل إن عثمان هو والد كدم والد عل والد فدل وهو الذي أتى فوت وهو والد عل فدل الذي منه فنايب وهو أيضًا والد حمى فدل الذي منه بقية القبائل من ليدب فوت، والله تعالى أعلم. قلت ولعل فدل الذي أتى فوت كما قبل هو الذي أتى لعال سايل في جوار في مرتن تور وتلمذ له وسكن معه حتى تزوج بابنته فولدت له أولادًا ولعل منهم حمى فدل وعل فدل فتفرقوا في البلاد ولعل ذلك لطلب العلم، فذهب بعضهم إلى كجور يتعلم وبقي البعض الآخر في حوار، ثم مات عل سايل ولعله بعد موت تلميذه وصهره فدل تخلف عنه في الرياسة بعض أولاد بنته، ولعل من موجب ذلك صغر الذكور من أولاده وكان ولد بنته المتخلف عنه هذا أصغر من الكثير

من إخوته ولكنهم كانوا غيابًا في طلب العلم أو غيره، ثم رجع الذي كان يتعلم في كجور فوجد أخاه الصغير في الرياسة فطلب منه أن ينزل له عن الملك فأبى، وكان معه الكثير من التلاميذ من ولف فارتحل عن جوار لذلك مع تلاميذه مغتاظًا وسكن في بوي مرتن وما زالت ذريته فيها إلى أن ارتحل أهل مرتن عنها إلى سنگال في زمن سارن سليمان بال، فارتحلوا وسكنوا في بوي سنكال إلى الآن، وبقي عقب أخيه في جوار يتنازعون مع عقب عال سايل ويتناوبون في ملكها إلى الآن، وبوي كلمة ولفية ومعناها في لغتنا سويد وهو الموضع الذي لم يسكن ولم يحرث بعد فنبتت فيه الحشائش والأشجار، فكذلك وجدوا [496] الموضع فكانوا يقطعون أشجارها، وكان التلاميذ يطلبون الصدقة في القرى حولهم وكانوا إذا سئلوا أين مسكنكم يقولون سبي بلي أي تسويد تواي في ذلك الموضع الخالي، وقيل غير ذلك كما يأتي في تاريخ تور إن شاء الله تعالى. قلت ولعل حمى فدل هو الذي أتى سلا ووجد فيها جاوب دند ولعله تزوج منهم امرأة فولدت له جم حمى ثم مات أو غاب غيبة انقطاع ولم يعلم له خبر فتربى ولده جم حمى مع أولاد جاوب دند ثم جاءهم أخوه الكبير عل فدل فسألهم عن أخيه حمى فقيل له أنه مات أو غاب عنا غيبة لا نعلم له خبرًا ولكن له ولد هنا، فجاء الولد ومعه لداته أي أقرانه في السن فعرفه عمه بالتوسم وميزه بين الصبيان، فقال مشيرًا عليه هذا لي بالعربية من هؤلاء الصبيان، فجرت لفظة لي عليه لقبا فقيل له جم لي وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. ثم إن عل فدل وجد جاننكوب من يرلاب ساكنين في مرتن أيضًا فتزوج بابنة لام جان وهو لقب أميرهم وتسمى كرلام جان، ثم قدموه إمامًا لهم في مسجدهم، فولدت له دوت عل الذي منه فنايب الحسن دوت والحسين دوت ومن أولاد دوت أيضًا إبراهيم دوت وير دوت وعال دوت ويسمى أيضًا داود دوت، وكان جاننكوب يعطونه زكواتهم صدقة، ثم بدا لهم الارتحال من مرتن إلى سنكال لشدة أذى البياضين لهم، فقطعوا النيل وسكن بعضهم في سلمل وبعضهم في هورفود كما سيأتي بعض أخبارهم في تاريخ يرلاب إن شاء الله تعالى، ثم إنهم لما قطعوا النيل إلى سنقال تركوا حرائثهم التي في مرتن في يد عل فدل وهو باق بعدهم في مرتن ثم ارتحل ولدا ولده الحسن دوت والحسين دوت إلى هاير فنايب في مرتن أيضًا غير بعيد من مسكنهم الأول. أما جم لي فله أولاد كثيرة منهم فات جم لي وعمر جم لي وعل بشي جم لي وبران جم لي ودمب جم لي والحسن جم لي وموسى جم لي [497] وإبراهيم جم لي ويعقوب جم لي وغيرهم من أولاده وأولاد أولاده، وكانوا كلهم في فب مرتن

وهي سلا وسنكال لكبيرهم إلمان فت لكون إمامة المسجد كانت في أيديهم، ويقال لرئيس أهل هاير فنايب منهم سارن فنايب.

349 - ذكر بعض الوقائع التي حدثت بين بعض قبائل جاوب

ثم إن بعض أولاد جم لي في فت تزوج ابنة عمه من بنات جم لي وهي ابنة إلمان فت، ثم تزوج أيضًا بأخرى من بنات عل فدل في هاير فنايب ابنة سارن فنايب فضايرهما ثم إنهما ولدتا له فكلتاهما ولدت ولدًا ذكرًا، ثم التقى أبقار أهل فنايب وأبقار أهل فت في مورد ماء، فتناطح ثور إلمان فت وثور سارن فنايب صهري المتزوج المذكور، فقام ولد بنت هذا وولد بنت هذا وتقاتلا وتناطحا لأجل تناطح ثوري جديهما فلما فرقهما الناس ومنعوهما من المضاربة رجعا إلى أميهما فسمعت أماهما الضرتان الواقعة فشرعتا في التشاتم والتفاتن، فقالت بنت إلمان فت إنما هذا تناطح البهائم فقط إذ لو كان القتال بين صاحبي الثورين لغلب أبي أباك، فسمع فنايب هذا القول واغتاظوا لذلك وقاموا إلى فت للمحاربة فتقاتل الحيان فغلب أولاد جم لي فانهزم فنايب وولوا الأدبار هاربين وكان من رؤسائهم حينئذٍ رجل اسمه أحمد بن سري بن عال بن عبد الله بن الحسن بن دوت بن عل فدل، فارتحل ممتلئًا غيظًا إلى ستك لعله يغيثه على أعدائه أهل فت، فقال له ستك إن لي ولدًا اقرع لم تنبت في رأسه شعرة فإن قدرت على السبب حتى ينبت الشعر في رأسه فافعل وسأغيثك على أعدائك حينئذٍ، فتسبب له حتى نبت الشعر في رأسه، قيل إنه داواه بمح البيض وطلاه على رأسه وغطاه بمحلوج القطن إلى أن نبت شعره بإذن الله تعالى، ثم إن ستك قال له تحكم بما شئت، فقال أريد أن تغزو أهل فت ثم تعطيني أرضًا أحرثها أنا وقومي لأنا راحلون إلى قربك وتاركون ما كان لنا هناك، فأعطاه أرض أوك وورسوك كلا كما قيل ثم أرسله إلى ستك بوب بول حلي في جاب وهو ستك هبياب ويرلاب في ذلك الزمن وأمره أن يستجيش من هبياب [498] جيشًا ويغزو به أهل فت ففعل ستك بوب بول ذلك المأمور فغزا أهل فت وهزمهم وفرق جمعهم وشتت شملهم، وتسمى تلك الوقيعة عندهم بل هند وبل بالتخفيف بمعنى بل بتشديد اللام وهو جمع بند وهو البئر ومعنى هند القبيلة بمعنى آبار القبيلة لأنهم كانوا يجمعون الكثير من القتلى يومئذٍ في حفرة واحدة إذا كانوا من قبيلة واحدة، ومن قبائلهم قبائل تفانت في ذلك اليوم ولم يبق منها ديار فتفرق لذلك ليدب جم لي فوت في كليدب جاب وليدب كوتراي

ومنهم الذين في دومك ورألفا الآن، ومثل ليدب سلن وليدب فت ومنهم الذين في سلد الآن، ومثل ليدب كابناب وليدب بايلل موي الذين في سنس بوب مك، بل قيل إن منهم ليدب الذين في تور كليدب آس وليدب جاتار إلى فني، قيل إنهم كانوا كلهم مجتمعين في فت فتفرقوا يوم بل هند، وقيل إنهم قبل تفرقهم ارتحلوا كلهم يريدون جلف للجلاء إلى أن بعدوا في مسيرتهم قال بعضهم لبعض الأفضل لنا الرجوع إلى فوت لأننا لا نصلح في غيرها، فتوافقوا على الرجوع فرجعوا ونزل ليدب سلن في مل كيهيد ثم منها إلى سلن البرية السنقالية وهم من عمر جم لي كما مر ذلك في تاريخ بوسي عند تاريخ فربال، ورجع بعض ليدب إلى فت ومنهم ليدب سلد ونزل ليدب بايلل موي في رنجو وافترق ليدب كابناب في لاو ومنهم من في باباب ومر ومنهم أدم ليدل الذي صار كالقوال الآن وبعضهم في كنل اليوم وهم أخمل ليدب جاهًا، ومنهم من ذهب إلى أقصى، طور فسكن هنالك، ومنهم من صار حدادًا ومنهم من صار من سب فوت، ونزل ليدب جاب إلى بكل الذي وراء النيل في مرتن فسكنوا هنالك، وعندما سافر تفسير بكل الذي هو أحمد صو دمب دمب جم لي إلى فر لطلب العلم فرجع من هنالك إلى بكل فقيهًا فاشتهر بتفسير بكل، ثم أمير بكل [499] من جهة ستك أمر بأن تضرب دفوفه ذات يوم فضربت، فنهى تفسير عن ضرب الدفوف ولم ينتبه الضاربون فقام وشق الدفوف زاعمًا بأن ذلك من تغيير المنكر وغاب عنه بأن من شرطه الأمن على النفس والمال وغير ذلك، فلما شقها أمر الأمير بقتله فتشفع له قومه وأحبابه فشفعهم فيه بشرط خروج تفسير عن بكل وأن لا يسكن فيها بعد أبدًا، فرحل تفسير إلى جاب مود وهو أول من سكنها منهم فلذلك أن ذريته هم الذين يتناوبون رياسة القرية إلى الآن، وكل من تخلف منهم يلقب بتفسير بكل.

350 - ذرية دمب جم لي وفروعهم

واعلم أن دمب جم لي هو والد صو دمب عثمان دمب ولن دمب وسري دمب، وأما صو دمب فهو والد أحمد صمب الذي هو تفسير بكل وحمات صمب، وأما تفسير بكل فهو والد حمات تفسير وسري تفسير وبوكر تفسير وبابلي تفسير، وأما حمات تفسير فهو والد ببكر حمات وأحمد حمات، وأما ببكر حمات فهو والد ببكر بيلي والد ممد بيلي النسابة وله أخت تسمى رك بيلي التي هي سل تمر والدة ممد با وبوكر با ابنا الشيخ أحمد بن سارن بوكر صم ملد، وأما أحمد حمات فهو والد بابلي أحمد والد ببكر بابلي في جاب الآن، وأما

حمات صمب أخو أحمد صمب فهو والد جاي حمات وسري حمات، وأما جاي حمات فهو والد صمب جاي والد دمب صمب الذي هو دمب رك وواد رك، وأما دمب رك فهو والد عبد الله دمب وسري دمب وأحمد دمب وبوكر دمب وصمب دمب وهم كلا سالمون الآن، وأما واد رك فهي والدة خليلي سري واد في جاب الآن، وأما سري حمات فهو والد عمر سري والد بوكر عمر والد سري بوكر الذي هو سري واد المذكور، وأما بوكر تفسير فعقبه الإناث، وأما سري تفسير فعقبه في تمب في فوت جلو، وأما بابلي تفسير فهو ألمام باب والد ألمام بوب وهو أيضًا والد جعفر ألمام، وأما ألمام بوب فلم يعقب شيئًا، وأما جعفر ألمام فهو والد سري جعفر الذي يقال له سري عال وقد مات وهو أيضًا والد صمب جعفر الذي في المغرب الآن، ومن أولاد ألمام باب أيضًا بيلي ألمام وهو آخر أولاده وهو والد ممد بيلي [500] الذي في جاب الآن وهو إلى الآن لم يرزق ولدًا، وأما عثمان دمب فهو والد حبي عثمان والد صمب حبي والد ممد صمب والد عبدل أروي المداح خليلي الذي كان في جاب وقد مات الآن رحمة الله علينا وعليه آمين، وأما لمن دمب فهو والد أحمد لمن والد حمات أحمد ونل أحمد، وأما حمات أحمد فهو والد مهدي حمات والد حمات مهدي الذي هو رئيس جاب الآن، وأما نل أحمد فهو نل بي والد حمات نل بي والد أحمد حمات، وأما سري دمب جم لي فهو والد يوسف سري الذي هو ألمام يوسف وهو أيضًا والد دمب سري المشتهر بسارن دمب، وأما ألمام يوسف فهو والد إبرا ألمام والد يوسف إبرا وعلو إبرا وقد مات في كرنبسن، وألمام يوسف أيضًا هو والد عبدل ألمام الكبير وعبدل ألمام الصغير وممد ألمام وسري ألمام، وأما عبدل الكبير فهو والد بابلي عبدل المحترق صفحة العنق وقد مات ولم يعقب إلا بنتين، وأما عبدل الصغير فهو والد باب كرل والد ميرم باب زوجة سارن عبد الله الهناري، وأما ممد ألمام فهو والد ممد ألحج والد عبدل ميرم الذي في بمب وكذا أب ميرم، وأما سري ألمام فهو والد سيسي سري الذي كان في ماسينا ومات هنالك، وأما سارن دمب سري دمب جم لي فهو والد ألمام أحمد سارن دمب والد يوسف ألمام والد تفسير عبدل في جاب الآن وهو أكبر من أخيه إبرا مل خليلنا الميت رحمة الله علينا وعليه، آمين.

وقد وجد لهم في جاب من ألمامات فوت أربعة رجال وهم ألمام باب وابنه ألمام بوب وألمام يوسف وابن أخيه ألمام أحمد، وترتيبهم في الولاية ألمام يوسف ثم ألمام باب ثم ألمام أحمد سارن دمب ثم ألمام بوب، انتهى. وفي جاب أيضًا من ألمامات فوت اثنان وهما ألمام مالك وهو من سامب وهو ابن بنت ألمام يوسف والثاني ألمام جاي من بروب وسنذكرهما عند تاريخ هبياب إن شاء الله تعالى، وأما ألمام يوسف فقد تملك بعد خمس سنين من موت ألمام عبدل وكان يتناوب الملك مع ألمام ببكر بال بعد ألمام عبدل وألمام مختار [501] وكانا يتنازعان حتى تقاتلا وسنذكر ذلك في تاريخ بالب بود في تور إن شاء الله تعالى، وقد عزل ألمام يوسف ثلاث مرات ثم يرد إليه ملكه وقد عزل مرة وطرد فخرج إلى ألمان دمت في جلمس فسكن هناك مدة ثم أمره أهل فوت بالرجوع فلما رجع ملكوه أمرهم أيضًا ثم عزلوه وطردوه ثانيًا ونهبوا داره فخرج هاربًا إلى قرية لبل فوق جاب وكانت حينئذٍ خالية قد ارتحل عنها أهلها، فكان هناك إلى أن أضر به الجوع والعطش فرجع في الليل فلقيه ولاد عايد وكان يرصدونه بأمر أهل فوت فأخذوه وذهبوا به وقلعوا عنه حروزه وألقوها في البحر وقيل حرقوها بالنار ثم قطعوا به البحر إلى [مركز] مرتن وخرفوه (أي أمضوا الخريف) معهم في أرض البياضين إلى أن سكنت الحال فأمرهم أهل فوت أن يردوه أيضًا إليهم، فلما رجع ملكوه أيضًا أمرهم ثم بعد مدة عزلوه ثالثًا وطردوه إلى بند وأرسلوا إلى رؤساء بند أن لا يطعموه ما فيه الحلاوة بل حثالة فقط من غير إدام، فنشأت له من ذلك أمراض أضعفته جدًا، فلما أيقن بالموت قام راجعًا مع ضعفه إلى جاب ولم يلبث في داره بعد الوصول إلا عشرة أيام ثم مات رحمة الله علينا وعليه، آمين، في عام 1244 من هجرته عليه السلام،[516] وقيل إنه أكالا للسحت جدًا، غفر الله لنا وله وستر علينا وعليه، آمين اللهم آمين، وهو الذي قاتل سارن تلر أحمد دل كما مر في تاريخ تلرناب، وهو الذي أعطى ونونب كنل أرضهم التي في بو وكانت لجاونب كنل وقد مر ذلك في تاريخ جاونب فراجعه إن شئت، وهو أول من أدخل كتاب القاموس المحيط في فوت وقد اشتراه من فوت جلوي بعشرين بقرة كما قيل، والله تعالى أعلم، وكان كما قيل يقدم جاكرط على أهل العلم والدين وجاكرط هم أهل المال والجاه بلا علم وواحدهم جاكركل عكس

516 - عام 1244 هـ يوافق 1828 م.

ألمام عبدل فقد كان يقدم أهل العلم عليهم، وقيل إن الذين ملكوا فوت من ألماماتها حقيقة لا مجازًا ثلاثة وهم ألمام عبدل ثم ألمام يوسف ثم ألمام محمد البمبي، [502] والله تعالى أعلم وذلك لطول زمن ألمام يوسف في الملك، وقد قيل إنه منذ ولي إلى أن مات يساوي عشرين سنة أو أكثر ولكنه ينعزل في خلال هذه المدة كما قيل.

352 - ألمام يوسف يثبت في وثيقة النسب الشريف لسيدنا بن عبد الملك من أهل سلن

واعلم أن ألمام يوسف هو الذي أثبت شرف سيدنا محمد بن مولاي عبد الملك الذي هو أصل شرفاء سلن وقطع له قدر ما يهدى له من الكس وسماه هدية لجهله وجوره، والله يغفر لنا ولهم ولعله كان شارطه على مقاسمته ما يأخذه من المكس وقد كتب له في ذلك كتابًا ونصه: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وسلم، وبعد، فتبليغ السلام من أمير المؤمنين يوسف إلى أهل فوت كلاً ليعلم من سيقف على هذه الوثيقة من أمير قرية وقاض ونائبهما فإن أمير المؤمنين قد أقطع للشريف أن يعطيه كل بالغ ذو مكان موسر مدًّا من الزرع بمكيالنا الشرعي وقد قطع له أيضًا على كل رفقة عربية كانت أو عجمية أو يعطيه كل ذي مركوب ثور أو بعير أو حمار إن كان محموله ملحًا مدَّين وإن كان زرعًا فثلاثة أمداد وإن كان أثوابًا فأربعة بنائق أي نصف ثوب تتميمًا ومن لقيه وهو في هذا الشأن فليعنه وإلا فقد خالف أمر أمير المؤمنين ومن خالف أمر أمير المؤمنين فقد خالف أمر الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فهو الأمير، وقطع الإمام هذه الهدية لشريف سيد محمد بن مولاي عبد المالك والكاتب الشيخ صمب لأمر أمير المؤمنين يوسف والسلام على من اتبع الهدى، هـ.[517]

353 - حول ادعاء هذا الشرف وما دار حول ذلك من جدل

وكان هذا المدعي للشرف وبنوه يأخذون [503][518] أهل فوت ورفاق البياضين أخذًا شديدًا ويقهرونهم قهرًا لديدًا ويأخذون من أموالهم جمًّا ويأكلونه أكلا لمًّا ولا يغيثهم ولا

517 - تعليق المؤلف: قلت قوله مدًا من الزرع معناه عندهم صاع وقوله مدين معناه صاعان أيضًا وقوله فثلاثة أمداد معناه ثلاثة أصع وقوله في الآية وأولي الأمر منكم فهو الأمير أي فهم الأمراء، انتهى، والله تعالى أعلم.

518 - هنا يبدأ ترقيم جديد (ابتداء من رقم 1)، ولعله بداية الجزء الثاني من المخطوط هذا ونظرًا لاتصال السرد فإننا نواصل الترقيم، أي من [503] إلى نهاية المخطوط. مع العلم بأن الورقات من [1] إلى [22] من الترقيم الجديد ما هي إلا إعادة للورقات من [481] إلى [502] من الترقيم الأصلي ولن نعيدها لأنها نفسها تم تصويرها مرتين.

يخلصهم منهم أحد، وهكذا إلى زمن ألمام بوب المعاصر لعبدل بوكر تخالف (اختلف) شرفاء سلن هؤلاء مع مدع آخر للشرف وكان في كيهيد يقال له شريف عبدل الشهير بشريف صمب تلاقى مع شرفاء سلن عند بعض القرى فكل يدعي أنه أحق بأخذ أموالهم من الآخر، فتنازعوا في أمرهم وتحاكموا عند عبدل بوكر وألمام بوب وكانا قد اجتمعا في كيهيد، فأتى شرفاء سلن بورقتهم اليوسفية فكتب لهم ألمام بوب أيضًا ما هذا نصه: حمدًا لمن أمر بالعدل والإحسان ونهانا عن البغي والبهتان، حمدًا لمن خزائنه بين الكاف والنون، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فتبليغ السلام فمن أمير المؤمنين سري المشتهر ببوب آب إلى أهل فوت كلاً لا بعضًا، وموجب الصك إليكم إعلامكم بأني قد حكمت بين الشريف أحمد بن الشريف الحسن بن الشريف سيد محمد وصمب شريف وهم في منازعة هدية جدهم، فتداعيا كلاهما، فبين لي الشريف أحمد فأراني وثيقة أمير المؤمنين ألمام يوسف التي كتبها لجده الشريف سيد محمد فأمر أهل فوت أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول فآمن به وأعطاه هدية جده لأنه شريف بن شريف بلا كذب، فآمنوا به فإني آمن به، فأعطوه هدية جده بقدر وجدكم من مت أي عشرين صاعًا إلى عشرة أصْوُع (صيعَان) إلى خمسة أصْوُع (صيعان) إلى ثلاثة مد أي آصع وإلى مدَّين أي صاعين ومد واحد صاع، وبعد ذلك أردت أن يبين لي صمب شريف فلم يأت بمثل ما أتاني به أخوه، وبعد ذلك قلت يا صمب شريف إني معتمد بما فعلوه ولم أنسخ فعلهم إني حكمت بينهم عند حضرة كثير من الناس، ومنهم من أهل جاب عباس ألمام وبيلي ألمام باب وعباس ستك بول وسعد يوسف ويوسف كورك وبابلي وسعد إلمان بول، ومنهم من أهل جنت فالل أتمان وصمب إلمان سعيد، ومنهم غير هؤلاء، [504] وهذه الوثيقة الأخيرة فيها كثير من اللحن الفاحش لم أكتبه لأن اللحن الفاحش لا يفهم ولكن كتبت ما فهمت منها، والوثيقتان كلتاهما عندي والحمد لله رب العالمين، ومن العجب أني أرسلت رسولي إلى شرفاء سلن هؤلاء لينقل لي ما عندهم من سلسلة نسبهم فأبوا ثم جئتهم أنا بنفسي ونزلت عليهم ضيفًا وطلبت منهم ذلك فأبوا أن يمكنوني من نسبهم هذا معتذرين بأنهم يخافون أن يرى هذا النسب غيرهم فينقله وينتسب للشرف مع أن نسخ أنساب الشرفاء كثيرة جدًّا في الكتب ولو أن كل من رأى ذلك ينتسب للشرف لكثر المنتسبون، مع أنه قد بلغني بأن الذي حملهم على كتمان نسبهم هذا لأنهم وجدوه في النوم وذلك أنه قد جاء جدهم سيد محمد من أرض البياضين إلى فوت ومعه ولداه الحسن وأحمد وهما صغيران لم

بيلغا، وادعى الشرف فصدقوه على دعواه وسكن معهم يأخذ أموالهم قهرًا، وهو الذي كتب له ألمام يوسف ما مر من أمر الهدية وهكذا إلى أن مات، ثم جاء بيضاني إلى بعض القرى النيلية من بوسي يدعي الشرف ويأخذ الهدية إلى أن سمع به الشريف الحسن بن سيد محمد فتوجه نحو ذلك البيضاني فجادله في دعواه الشرف وأنكر دعواه، فقال له البيضاني ها أنا أخرج ورقة نسبتي إلى الشرف فأخرجها، وقال للحسن أخرج أنت ورقة نسبتك للشرف إن كنت صادقًا وكان لا يعرف نسبه بل سمع أباه يدعيه فقط فادعاه هو كما ادعاه أبوه لا غير، فلما قيل له أخرج ورقة نسبتك للشرف استمهلهم إلى غد فافترقا على ذلك، فلما كان الغد جاءهم وأخبرهم بأن أباه أتاه في النوم بنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نسبه كذا وكذا وأن أباه أيضًا أخبره بأن هذا الذي يجادلك الآن ليس بشريف بل هو من الحدادين الفلاّنيين [505] وأن ورقة نسبه هذه مقولة مكذوبة فقبلوا كلامه وطردوا البيضاني، هكذا أخبرني سارن سعيد بوب إمام مسجد سلن وهو أخو عثمان سارن إبراهيم من الأم، وقال أيضًا إن أباه هو الذي أخبره بهذا وأن أباه كان قرينًا للشريف الحسن هذا في السن وحبيبًا له جدًا أو هو الذي كان مرافقًا له في الذهاب إلى البيضاني المذكور الآن، قلت هذا يوافق ما أخبرني به سارن محمد بيلي ألمام باب وكذا سارن محمد بيلي النسابة وكذا ألفا بوكر باباه الأعور وكلهم من أهل جاب، وكذا ما أخبرني به سارن سري لون بن سارن محمود سنس بمم، ولكنهم كلهم كانوا يكتمون شهادتهم هذه خوفًا من الفتنة، والله تعالى أعلم. قلت أيضًا وهذا دأب أبنائه مع الشرفاء البياضين إلى الآن ما أتى إلى فوت أحد من البيضان المدعين للشرف إلا وجادلوه وأنكروا عليه وكذبوه في دعواه إلى أن يخرج عن فوت مهانًا، وإن أتت رفقة من البياضين أخذوا أموالها كرهًا وقهرًا على دعوى الهدية، والله تعالى أعلم، انتهى، وقد مر شيء من أخبار ألمام يوسف في هذا الكتاب وسيأتي شيء منها بعد إن شاء الله تعالى.

354 - بعض الأحكام التي قضى بها ألمام باب بين الناس

وأما ألمام باب فكان كيّسا جدًا عاقلاً فقيهًا ذا فطنة ثاقبة ودهاء، واجتهاد في القضايا والأحكام، وقيل إنه تنازع عنده رجلان في بيصة بالصاد المهملة من الخنط، فادعى أحدهما أنه كان ذهب على أندر فاكتسب هنالك البيصة وادعى الآخر بأن البيصة بينهما نصفين وهما يتجاذبانها وليس لكليهما شهود على دعواه، فحكم بأن يقسماها بينهما فابتدر مدعي

النصف يقسم البيصة وخطفها من يد صاحبها وابتدر مدعي الكل يمنعه من التقسيم وهو يقول لخصمه لا تفسد بيصتي ويقول خصمه اتركنا نقسمها وقد أمرنا الإمام بذلك، فعلم بذلك ألمام باب كذبه فقال له دع البيصة فإنها ليست لك فقال لمدعي الكل خذ بيصتك واذهب بها إلى حال سبيلك. قلت ولعله قاس ذلك على حكم سليمان عليه السلام في المرأتين اللتين ادعتا مولودًا فادعت كل واحدة منهما بأن الولد لها خاصة دون صاحبتها فأمرهما سليمان بقسم الولد بينهما نصفين إلى آخر القصة، فانظرها فهي شائعة ذائعة [506] في الكتب، هـ.
وقيل إن تاجرًا أتى لفلاّن في ماشيته يرعاها في البادية وقال له وهما خاليان أسلمني عدد كذا وكذا من الثيران فإني أقضيك كذا وكذا من العروض أو النقد، فقال له الفلاّني اصبر حتى نرجع للعزيب نسلمك ما تريد مع الشهود، فقال له ثق بالله تعالى وكفى به شهيدًا وأسلمني هنا ما تسلمني به وأنا متعجل جدًا فأسلمه مراده، فذهب التاجر ولم يره إلا بعض مضي الأجل بكثير فرآه فطلب منه القضاء فأنكر التاجر الدين فذهب به إلى ألمام باب فتداعيا عنده وتناكرا، فقال ألمام باب هل لم يكن هنالك عند موضع الدين علامة كالشجرة الكبيرة أو واد وهي ما ارتفع من الأرض وتحيز على قدر قامة الإنسان أو دونها وغلظها فوق غلظ الإنسان أو قدره وأصلها من الأرضة، فقال الفلاّني بل كان في قربنا عند الداينة واد الكبيرة، فقال له ألمام اذهب إليها مع هذين الرجلين فليقولا لها أن تؤدي هذه الشهادة لله تعالى وإذا قالا لها ذلك فقط فليرجعا إلي، فذهبوا وأبطأوا هنالك وضجر الناس من الجلوس فقال ألمام باب للتاجر هؤلاء قد تأخروا جدًا، فقال التاجر ولعلهم الآن قد وصلوا إليها لأنها كانت بعيدة المحل، فقال الإمام إذًا قد لزمك قضاء الدين لأنك اعترفت بمعرفة محله ولا تقوم من مجلسك هذا حتى تقضي هذا الدين، فاعترف التاجر بثبوت الدين وقضاه والحمد لله رب العالمين، ولألمام باب حكايات من أمثال هذه الأحكام وفي تتبعها إطالة وقد حذفناها خوفًا من الملالة، وسيأتي شيء من أخبار ألمام باب أيضًا في تاريخ لاو عند ذكر ألمام ممد البمبي وقد مات وهو ابن خمس وتسعين سنة وقبره في داره عند جاب.

355 - بعض الأحكام التي أصدرها ألمام أحمد سارن دمب

وأما ألمام أحمد سارن دمب فسيأتي شيء من أخباره في تاريخ تور عند ذكر سلسلب كد إن شاء الله تعالى، ومن أخباره أيضًا أن رجلاً تزوج بابنة لقوم وبعد مدة من التزويج

طلبت أم البنت من الزوج حاجة فلم يقضها لها فقالت [507] ها أنا فسخت النكاح بينك وبين بنتي كما هي عادة أهل فوت، فطاوعتها بنتها على ذلك، فجاء الزوج إلى ألمام أحمد سارن دمب فاشتكى إليه الأمر فأحضر المرأة وبنتها وسألهما عن ذلك، فأقرتا بما قاله الزوج، فقال الإمام إن حكايتكم تضاهي الحكاية الواقعة لسايرن بايل سو اسم موضع، وذلك أن رجلاً زوج بنته لابن أخته فأرسل ابن أخته يومًا في حاجة له فأبى، فقال فسخت النكاح بينك وبين بنتي، فأبى الزوج عن ذلك وذهب إلى سارن بايل سو فاشتكى إليه الأمر، فأحضر خاله وسأله عما قال ابن أخته أحق هو فقال نعم فقال سارن بايل سو هل لك من زوجة قال نعم فقال قد فسد نكاحك أيضًا، فقال لسايرن بايل سو بعض أقرانه في العلم عهدنا بك وأنت مثلنا في الفقه ومن أين لك هذا العلم، فقال من علمنا الذي تعلمناه معًا على شيخنا ولكني أتيت من الفهم ما لم تؤتوه، وذلك أن خليل قال في مختصره في باب الردة أو سحر بين الزوجين فعد الساحر بين الزوجين من المرتدين لأن فعله يؤول إلى التفريق بينهما، وإذا كان هذا حال من سحر ليفرق بينهما فما يكون حال من فرق بينهما بالفعل، فقبلوا قياسه وسلموا له، فتاب الرجل ورد بنته إلى زوجها ابن أخته، وأما أنت أيتها المرأة الفاسخة نكاح بنتها إن لم ترجعي عن ذلك فاغرمي الصداق لزوج بنتك وقد كلفناك أنت وبنتك التي طاوعتك على هواك ثمانمائة سوط أدبًا عليكما ولكن بالمال وقيمة كل مائة سوط حينئذٍ بقرة جيدة أو قيمتها وهي ثمانية أردبة من البنائق أو ثمان مت من الزرع ومعنى مت في كلامنا الفوتي عشرون صاعًا وقيمة مائة سوط من الغنم ثماني شياه، فلا بد أن تدفعي لنا هذا المال قبل رجوعك أو الرهن وإلا فأنت وبنتك محبوستان عندنا، فدفعت فرسًا وعبدًا في الرهن فرجعت إلى بيتها [508] وفدت نفسها هي وبنتها بدفع جميع المال إلى ألمام أحمد سارن دمب، والله تعالى أعلم. وأما ألمام بوب فهو آخر ألمامات فوت وقد مات في عام [519] 1308 وهو عام قتل أخي الشيخ محمد المقامي وهو عام ظهور ملك فرانس لفوت تور، وقد دخلوها بجيوشهم عامئذٍ، وآخر ألمامات فوت موتا ألمام محمد الأمين السلدي وقد مات في هذه السنين القريبة، والله تعالى أعلم، وقد كانت ولادة السلدي هذا في فت في عام قتال ألمام يوسف لأهل مداير في كجاك وهو عام 1240 من الهجرة،[520] والله تعالى أعلم.

519 - عام 1308 هـ يوافق 1890 م.

520 - عام 1240 هـ يوافق 1824 م.

وأما عال فات جم لي الذي منه ليدب كوت رأى فقد قطع النيل إلى مرتن فسكن في بمياب في موضع يسمى بم مدة ثم ارتحل من بم وقطع النيل إلى سنكال يلتمس مراعي الماشية فرأى راعيه روضة مخصبة فرجع وأخبر عال فات بخبر الروضة وقال إنها لا ينفذها ولا يفنيها، فارتحل عال فات إليها فسكن عندها وكانوا يسمون المسكن كوت رأه فاشتهروا بليدب كوت رأه وهو موضع بين القرى البرية والبحرية وهو المسمى عندنا بر أرد مقابل بين جفان وجسك جهة الجنوب، وكانوا يسكنون فيه عامة السنة ثم صاروا يخرفون زمن المطر في مسكنهم البري الذي يقال له الآن آجم ليدب خوفًا من السيل، وينزلون في كوت رأه زمن الربيع والصيف ويسكنون فيه وهكذا إلى الآن كما مر في تاريخ بوسى، ومنهم ليدب الذين في دومك ورألفا الآن الذين منهم قاضي خاي في سدال اليوم عبد العزيز وقبر أبيه في دومك ورألفا لأنها كانت مسكنه، والله تعالى أعلم، وأما ليدب سلن [509] فقد نزلوا إلى مل وقد اكتسبوا هنالك جاهًا عظيمًا وصاروا من سادات بوسياب، ولما أتوا إلى كيهيد وجدوا فربال وفرب عرم قد ارتحلوا عن مرتن إلى سنكال لتوالي فتن البياضين عليهم وجوفناب في مسكنهم المسمى مل وكانوا في مرتن ساكنين في سلن عرم فكان عالم ليدب يومئذٍ اسمه عال ولعله عال عمر جم لي فوجد جوفناب قد ابتدأوا الدخول في الإسلام وبنى لهم مسجدًا في قرية مل وكان يصلي بهم في مسجدهم، فسمي بذلك سارن مل فغلب عليه هذا اللقب إلى أن دخل ملك تورب بعد ارتحالهم مع جوفناب وعرمناب إلى قرية سلن البرية في سنكال المسماة باسم سلن عرم مسكنهم الأول في مرتن، وكان بعض من ليدب قد بقي في مل مع بعض من جوفناب وعرمناب فسمي سارن مل وال بسايرن فل النيلي أو الريفي ويقال في سلن القرية سارن مل جاير أي البري، واعلم أن سارن مل عال راسن عال عمر جم لي هو الذي أتى لسلن وله ولد من زوجته ندنس امرأة من بسوب كلاير اسمه عمر عال راسن وهي التي جمعت لابنها عمر عال هذين اللقبين لقبها ولقب بعلها، إذ كانت ترقصه وتقول له ليدبس، وهي أول من ابتكر هذا القول، وذرية عمر هذا هم الذين يلون إمامة مسجدهم في سلن ولا

يلون أمر الملك من ذلك الزمن إلى الآن، وقد كان ولي أحد منهم ولاية سارن مل وقد أنسيت اسمه الآن ولم يلها بعده أحد منهم إلى الآن، وعمر عال هو والد راسن عمر ومالك عمر وهما شقيقان، وأحمد عمر وهو أخوهما من الأب، وأما راسن فهو والد مالك راسن والد سارن محمود مالك والد بوكر صديك وسعيد بوب فهما سالمان الآن في سلن وسعيد بوب إمام مسجدها الآن، وأما سارن وهاب فقد مات وترك ولدًا ذكرًا اسمه محمود وهو شاب الآن، وأما مالك عمر فهو والد حمد مالك والد عثمان حمد والد سارن ممد عثمان والد عثمان ممد ومالك ممد وراسن ممد وهو أكبر الثلاثة وهو الآن شاب والأولان غلامان، وله أخت اسمها صفية ممد هي زوجة سارن مل راسن أحمد المخبر، والله تعالى أعلم.

357 - في ذكر أنساب راسن وسايرن وبعض رجالهم

وأما أحمد عمر [510] فهو الذي ذهب مع ألمام عبدل في غزوة بنكوو فلما انهزم أهل فوت وهرب من هرب وأخذ بعضهم مأسورين كان من جملة المأخوذين أحمد عمر هذا فذهب به آخذه إلى بول وسين يبيعه، فقالا في دار رجل من معلمي القرآن فوجدوا الرجل قد ذهب مع تلاميذه إلى الحرائث وتركوا ألواحهم في الدار، فأخذ أحمد عمر كل لوح فيه بياض قد غسل ولم يكتب بعد فكتب في كل لوح ما كان يكتب فيه المعلم قبل ارتحالهم، فلما رجع من الحرائث طلب من تلاميذه أن يحضروا ألواحهم ليكتبها لهم فأحضروها ووجدوا أن الألواح قد كتبن فسأل امرأته عمن كتب الألواح فقالت كاتبها العبد الذي مع هذا الضيف، فسأل سيده عن خبر العبد فقال هو من جملة أهل فوت المأسورين مع ألمام عبدل وهو حظي منهم وأنا في بيعته الآن، فاشتراه المعلم وأعتقه وزوجه بابنته فولدت له مالك أحمد والد إبرا مالك والد عبدل خال الذي كان ملكًا في باطال أي سايف في أرض بول، ولعبد خال أخ يسمى سرن سب، وكل من خرج من عمر عال راسن هذا هم من مل جاير أي البر لأن مل جاير هم كل من خرج من عال راسن والد راسن عال ومحمود عال وعمر عال المار ذكره، وأما مل عال فهم الذين خرجوا من مختار راسن وسيأتي ذكرهم بعد إن شاء الله تعالى، وأصل الكل من عمر جم لي والد عال عمر والد راسن عال والد عال راسن ومختار راسن اللذان تفرع منهما

مل وال ومل جاير كما الآن، وأما راسن عال عمر جم لي فهو والد سليمان راسن والد أحمد سليمان ومحمود سليمان، وأما أحمد سليمان فهو [511] والد راسن أحمد وولدا أحمد وسليمان أحمد، وأما راسن أحمد فلم يعقب إلا إناثًا، وأما ولدا أحمد فهو والد بوكر ولد المعروف بسايرن مل بوكر ولد الذي لم يل من فخذهم هذا ولاية سارن مل غيره، وهو والد راسن بوكر ومحمود بوكر وسليمان بوكر وهم اليوم في قيد الحياة في سلن، وأما سليمان أحمد فهو والد بوكر سليمان الحي الآن في سلن، ومن أولاد راسن عال إبراهيم راسن وسعيد راسن ومالك راسن والحاج راسن، وأما إبراهيم راسن فهو والد محمود إبراهيم والد راسن محمود والد بل راسن وعمر راسن وأحمد راسن، وأما بل فلم يعقب إلا بنتًا، وأما عمر فهو والد مالك عمر والد راسن مالك الحي في كيهيد، وأما الحاج راسن فهو والد مود الحاج والد عمر محمود والد ممد عمر والد راسن ممد وبوكر ممد وهما الآن في كيهيد، وأما مالك راسن فهو والد دمب مالك والد جب دمب والد أحمد جب والد زينب أحمد والدة سارن حمى باب المعروف في سلن بالعلم والصلاح، وأما سعيد راسن فهو والد إسماعيل سعيد وحمدن سعيد، وأما إسماعيل فلم يعقب إلا إناثًا، وأما حمدن سعيد فهو والد محمود حمدن والد عال محمود وباب محمود وهما اليوم في كيهيد إلا أن عال محمود قد سافر في عام 1923 من الميلاد إلى الحج أو عام 1922،[521] والله تعالى أعلم، وأما محمود عال راسن عال عمر جم لي فأبوهم عال راسن هذا هو الذي أتى سلن سنكال لتزويجه بعيشة مالك التي أبوها من حلب كمك، فلما تزوج بها ارتحل إلى سلن ومن ولده منها سارن محمود عال هذا ويسمى صمب عيشة وهو الذي ذهب إلى فر في طلب العلم ويسمى أيضًا بالأحمر أي بطار في لغتنا أي الثور الأحمر أو الزرع الأحمر ونحوهما، ومن ولده منها أيضًا راسن عال وقد مر ذكره الآن، والله تعالى أعلم، وكان يقال لمحمود عال هذا سارن مل محمود عال وكان شيخًا متدينًا يحبه الناس لدينه وكان إمام مسجدهم وغاسل ميتهم ومعلم جاهلهم وهو والد عال محمود [512] وكان شجاعًا متسلحًا يدافع عن أهل سلن بل وعن أهل بوسي العدو،

521 - عام 1923 م يوافق 1342 هـ، وعام 1922 م يوافق 1341 هـ.

فلذلك أعطاه أهل سلن الحرث في حرائث يقال لها فتاس وأعطوه أيضًا الدار وسط القرية وأعطاه جوب حرثًا من حرائثهم سابر كل وقدمه مشرق بوسي أي القبائل المشرقية من بوسي على أن يكون كبيرًا لهم لشجاعته ونجدته ولتشيخ أبيه، فدام لهم هذا التقدم على مشرق بوسي من ذلك إلى الآن، وقد قتله فلأن البراري في دلماج وحمل إلى سلن، ومن إخوته بوكر صديك المقتول يوم فلكول قرب كري، ثم سارن مل سري سارن محمود الذي قيل إنه مكث يقال له سارن مل قدر ثلاثين سنة وهو الذي أخرج ألمام عبدل عن سلن إلى كبل، وقد مات سري سارن محمود هذا يوم تلل بين أهل فوت وأبناء تكل، ثم مل أحمد سارن محمود ثم سارن مل عبدل سارن محمود، وقد تقدم أن محمود عال هو والد عال محمود والد أحمد عال وإبرا عال، وأحمد عال سارن محمود فهو والد سارن مل عال أحمد والد بوكر صديك ومحمود سارن مل عال، وأما بوكر صديك فهو كهل الآن وله أولاد في سلن، وأما محمود سارن مل عال فهو والد راسن محمود غلام في سلن الآن، اعلم وأما إبرا عال فهو والد سارن مل بوكر إبرا والد راسن بوكر وسري بوكر وإبرا بوكر، وأما راسن بوكر فهو والد سارن مل بل راسن وبوكر راسن الحي الآن، وأما سري بوكر فهو والد محمود سري الحي الآن وسارن مل بوكر سري الذي لم يعقب إلا إناثًا، انتهت ذرية عال محمود، وأما سري سارن محمود عال فهو الذي قلنا بأنه مكث يقال له سارن مل قدر ثلاثين سنة وقيل أيضًا بأنه الذي أخرج ألمام عبدل عن سلن إلى كبل وهو والد محمود سري الذي تزوج ببوي أروى أخت إلفك دو أروى فولدت له أحمد محمود وقد تقدم ذلك [513] في تاريخ بنب وهو والد سارن مل راسن أحمد المخبر أخو محمود أحمد وعال أحمد وكلهم في سلن اليوم، وسارن مل راسن أحمد هذا هو والد أحمد راسن الحي مع أبيه في سلن الآن، وأما محمود أحمد فهو والد راسن محمود الحي مع أبيه أيضًا في سلن الآن، وقيل أنهم أكثر ليدب سلن أرضًا للحراثة، قلت ولعل من موجبات ذلك صيرورة حرائث إلفك دو أروى في أيديهم كما تقدم في تاريخ بنب، والله تعالى أعلم، انتهى ذكر ذرية سري سارن محمود عال، [514] وقيل إن سارن محمود عال هو الذي كان زوجًا لبوي أروى أخت دو أروى الشقيقة فولدت له سري

سارن محمود المعروف بسري عال والد محمود سري والد أحمد محمود والد سارن مل راسن أحمد، هو الصحيح لا غيره والله تعالى أعلم، انتهى ذكر ذرية سري سارن محمود عال، وقيل أن سارن مل سري عال بن سارن محمود هذا هو السبب في خروج ألمام عبدل من سلن إلى كبل كما اتفق عليه كبراء سلن الآن، وأظن بأن هذا القول هو الأصح مما مر في تاريخ في ألمام عبدل من أن التسبب لذلك سارن مل أحمد مختار لأن المخبر بذلك واحد من أهل كبل من ذرية ألمام عبدل والمخبر بهذا جميع كبراء سلن الآن، وبسط ذلك أن سبب خروجه فيما قالوا إخراج ألمام عبدل إلفك دو أروى من سلن ونفيه إلى كاول بعد طول سكناه معه في سلن، وكان إلفك هذا من خواص أصدقاء الإمام فوشى بينهما بعض نواب الإمام في القضاء وقال للإمام أن إلفك هذا يطعن في قضاتك ويسعى في خلفك لرغبته في ألمامية فوت، ولما سمع الإمام بذلك أمره بالانتقال من سلن والارتحال إلى كاول، فامتثل وساء ذلك سري عال بن سارن محمود لأنه ابن أخت شقيقة لإلفك دمب أروى تسمى بوي أروى كما مر، وبعد مضي مدة قليلة من إخراج إلفك هم سري عال بإخراج الإمام من قرية سلن، ولما عزم على ذلك استأخر عن الذهاب للمسجد وقت صلاة المغرب حتى أقيمت للإمام عبدل ثم جاء وخرق الصفوف حتى وجد الإمام قائمًا وأخذ بمصلاه وطرحه وقال لا يؤم هنا أحد بغير إذني لأن هذه القرية قرية أبي وهذا المسجد في حكمي فإن كنت راغبًا في نفسك فلا تبت هنا الليلة آمرك الخروج منها كما خرج خالي وإن لم تفعل يفارق رأسك جسدك، فلم يشك الإمام في خبره فارتحل إلى كبل [515] في تلك الليلة فآواه من وجدهم هناك من قبيلة جاوب، ثم إنهم جاؤوا إلى سري عال بن سارن محمود يستأذنونه في ترك الإمام عندهم ليسكن معهم خشية من سطوته يومئذٍ فأذن لهم في ذلك قائلاً أما إذا خرج من سلن فليسكن حيث يشاء وأنا لا أتعرض له في ذلك، وسري عال هذا أسماه والده سارن محمود باسم شيخه سري عال فند كبير قبيلة فنايب عوك ولهذا كان اسمه مركبًا ولكنه سري بن سارن محمود عال، اهـ. هكذا قال المخبر والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. [516] وأما سارن مل أحمد سارن محمود فهو سارن مل أحمد مختار وقد عدوه من الذين تعاونوا على أمر ألمام

عبدل إلى أن قتلوه في كوريك، وقد تزوج بأم ولده بعده إلى أن ولدت له كما تقدم في تاريخ ألمام عبدل، والله تعالى أعلم، وهو والد سارن مل بوكر أحمد الذي قيل إنه الذي غصب حرائث كلكل بمج التي كانت ملكًا لدمبب الذين في كبل أي دمدمب وقسمها وأعطى جلها لدقناب الذين في سلن ولم يتكلم فيها أحد بعد إلى الآن، وقيل إن سارن مل بوكر أحمد هذا لما اشتد ملكه على ليدب سلن طلبوا عزله ولم يتيسر لهم ذلك حتى ذهبوا إلى ألمام يوسف ليوافقهم على عزله فوافقهم على ذلك، فلما بلغ ذلك سارن مل بوكر أحمد قام ذاهبًا بنفسه إلى ألمام يوسف فوجده غضبان عليه أسفًا، فرجع إلى سلن فلم يدخل داره بل نزل في عرصة من عرصات سلن وأحضر كل من كان عبدًا في سلن فلما مثلوا بين يديه قال لهم إن المرء بأبويه وقد ظهر لكم ما أراد أهل مل في وما الذي [517] فعلوا بي والمراد منكم أن تطيعوني في مَا آمركم به لأنكم كلكم أخوالي وعصبة أمي لأنها منكم، فوافقه العبيد فأطاعوه فيما أمرهم به ثم أجابه إلى مراده هذا ووافقه عليه عبيد القرى التي حول سلن على ما أراد فصاروا جمعًا كثيفًا، فقال لهم سارن مل بوكر أحمد إنما أريد أن أقاتل بكم ألمام يوسف فقالوا له السمع والطاعة لك والأمر إليك ولن تجد فينا من يخالفك، فقال لهم إن خرجتم سلن فلكم كل ما لقيتم من بقرة إلى دجاجة فأحرى الألبان والأسمان، وكان الإمام يوسف خارجًا حينئذٍ يريد سلن أو ما وراءها من (...) إلى أن نزل في قرى أجمات فبلغه أن سارن مل بوكر أحمد متوجه إليك بجيش يريد قتالك فها هو آت، فلما سمع ذلك رجع إلى أسد بل فنزل بسارن مل في قرى أجمات وامتثل أصحابه بما أمرهم به من ذبح البقرات والثيران والغنم والدجاج كما أرادوا، فبلغ ذلك الإمام فرجع إلى هورفود، ثم تجاوز سارن إلى أسد بل فنزل فيها هو وجيشه يفعلون ما شاؤوا ويأكلون ما يشتهون، فلما سمع بذلك الإمام هرب إلى جاب، ثم نزل سارن مل في هورفود فخرج الإمام يوسف عن جاب مغربًا فتبعه سارن مل إلى لاو أو وراءه كما زعم المخبر سارن مل راسن أحمد، قلت ولعله ما رجع عن ألمام يوسف حتى أرضاه بكونه هو سارن مل في سلن ونحوها وأنه لم ينعزل، والله تعالى أعلم، ولسارن

مل بوكر أحمد هذا أخوان أحدهما يسمى سارن مل إبرا والد أحمد راسن الحي الآن في سلن وغيره من أولاده. وأما حمدن أحمد فهو [518] والد بوكر محمود الحي الآن، وأما سارن مل عبدل سارن محمود فهو والد سارن مل بوكر عبدل وهو الذي يقال له سارن مل بوكر تكسل أي الصغير وهو الذي وافق زمنه دخول ملك فرانس لفوت وهو والد سارن مل محمود عال الوجيه المتأخر الذي مات في طريق الحج وهو والد بوكر محمود الحي الآن في سلن،(522) وقد تقدم أن أهل مل وال قد تفرعوا عن مختار راسن أخو عال راسن عال عمر جم لي ومختار راسن هذا هو والد سارن ير مختار والد سليمان ير وعبدل ير وبيلي ير، وأما سليمان ير فأولاده قد هاجروا مع الشيخ عمر وبقاياهم في ماسينا الآن، وأما عبدل ير فهو والد سارن مل باب عبدل وسايرن مل القاسم عبدل، وأما سارن مل باب عبدل فهو والد عبد الرحمن باب ويحيى باب، وأما عبد الرحمن ففي كيهيد، وأما يحيى ففي جاول من قرى الفلاّن في سين واقان، وأما سارن بل القاسم فأولاده في سلن الآن، وأما بيلي ير فهو والد ممد بيلي ومحمود بيلي، وأما ممد بيلي فهو والد مولود ممد والد راسن مولود وبيلي مولود وهما اليوم في كيهيد، وأما محمود بيلي فما ترك إلا إناثًا، ومن بنات عال سل عال والدة أم سل والدة سري أم ومنهن رحمة عال والدة فاتمة رحمة والدة سارن مود محمد في برسف قرية من قرى بند، ومنهن رقية عال والدة حمدن رقية في سلناب، ومنهم كد عال والدة وهاب كل والد ممد قهاب في ققق، ومنهن ميرم عال والد بيلي ميرم في هاو، والله تعالى أعلم، انتهى ما بلغني من أخبار هؤلاء ليدب جم لي ولنكتف بما ذكرنا عن غيره، وقد قيل لا يعلم أحد ما وراء فدل من الآباء إلا تقولاً كما أخبرني بذلك واحد من ليدب جاب وهو سري واد، ثم اعلم [519] أن أحمد سري عال ويعرف بأحمد تك جليًا بعد جلاء بني حمى فدل وتفرقهم في البلاد يوم بل هند، ارتحل إلى أوك مع أهل داره ومع أخ له من الأم ومع أهل دار واحدة من ولناب ثم تتابع الارتحال إليه بنو الحسن دون عل فدل من أهل هاير فنايب ثم بعد ذلك ارتحل بنو الحسين دوت عل فدل فسكنوا في دلماج فنايب وبقي بنو إبراهيم دوت عل فدل

522 - **تعليق المؤلف:** وكذلك لم يولد له إلى الآن، ومن ذرية سارن مل أحمد مختار سارن مل كم لأنه ابن بنت ابنه لأن ابنه سارن مل ممد سارن مل أحمد مختار هو والد ليود سارن مل والدة كم، والله تعالى أعلم.

هنالك ثم ارتحلوا وقطعوا النيل إلى جمل هبياب ومنهم الآن دار واحدة في جاب وهي دار مود حاميد وهو من إبراهيم دوت، فلما سكن أحمد سري عال في أوك وكان ستك قد أعطاه أرض أوك وورسوك كلها برًا وبحرًا كما مر، قام هو وابن أمه ومن معهما في حرق أشجار الحرائث وتنقية أرضها لتصلح للحراثة، ثم مات أحمد سري عال وترك ابنًا صغيرًا مع أخيه من الأم فكفله الأخ وكانت رياسة الأرض في يده إلى أن كبر الولد فأراد نزع رياسة الأرض من يد عمه فامتنع العم لوجاهته وقرابته واستعان الابن بأهل ورسوك على عمه بشرط إن غلب عمه سيعطيهم من تلك الحرائث ما يكفيهم فأعانوه فغلب ووفى لهم الشرط وأعطاهم حرائثهم التي في ملكهم الآن، هكذا قيل والله تعالى أعلم. ومن ذرية أحمد سري عال ألمام سري وهو ولده مباشرة وألمام سري هذا هو والد ألمام سيبويه المعروف بألمام سيب والد سيسي ألمام الذي هاجر مع الحاج عمر ومات في فتنتهم لدين كاس وهو والد سري سيسي الذي انهزم مع الأمير أحمد بن الشيخ الحاج عمر حين دخول ملك فرانس لكجور[523] ثم جاوز مع المنهزمين بعد الأمير أحمد المذكور إلى مكة ومات هنالك.

358 - ذرية إبراهيم دوت وتعقيب عن تعلم التكرور علوم العربية

[520] ولنذكر هنا طرفًا من ذرية إبراهيم دوت الذين أكثرهم في جمل هبياب ونقول وبحول الله تعالى وقوته نقول إن لإبراهيم دوت ولدًا اسمه أحمد والد حمد والد دمب وموسى، ولدمب ولدان أحدهما عمر دمب والآخر سري دمب، ولعمر ولد يسمى سلي والد حاميد والد مود حاميد الذي في جاب بكل الآن، ولسري دمب ولد يسمى باب لي سري والد أحمد وممد وجاي، وأما أحمد فلم يذكر لنا عقبه، وأما ممد فهو والد عمر ممد وكان في جمل ثم انتقل إلى مرتن في موضع يسمى بيار، وأما جاي فهو والد عيشة والدة يحيى الذي كان سايف في سنكل ثم انتقل منها الآن إلى باج وكان من أهل كلي في سنكال، وأما موسى بن دمب بن حمد بن أحمد بن إبراهيم دوت فله أولاد منهم لن وبلل وكريم، وأما كريم فلم يذكر لنا عقبه، وأما لن فهو والد أحمد [521] وقيل إن له ولدين هنالك والله تعالى أعلم. ومن أولاد أحمد سري عال أيضًا باب لي أحمد سري عال والد ألمام أحمد باب لي والد ألمام محمد المعروف بألمام ممد بد والد بيد ألمام المعروف ببيد تمر والد ممد بيد الذي هو كم الآن

523 - دخل الجيش الفرنسي لمنطقة كجور واستولى عليها سنة....

في ماتم عام 1923 في الميلاد،[524] ومن أولاد ممد بد أيضًا باب لي ألمام ممد والد أحمد □اب لي وسري باب لي وهما كانا في أندر كما قيل، ومن أولاد ألمام أحمد أيضًا باب لي ألمام أحمد والد سري باب لي والد أحمد سري التلغرافي، ومن أولاد سري باب لي هذا أيضًا صبي اسمه بوكر سري عند همد هنار يتعلم عند عبدل الحسن، ومن أولاد ألمام أحمد أيضًا بوكر ألمام والد باب لي بوكر والد كد باب لي التي كانت زوجة لعبد السلام ومنها بنته نيس ثم افترقا فتزوج بها قاضي خاي عبد العزيز ثم افترقا وهي الآن في ماتم خالية، ومن ولد باب لي هذا أيضًا أحمد باب لي والد بل الذي عند بناج الآن يتعلم، ومن أولاد ألمام أحمد أيضًا إبرا ألمام كان في دكرا وهو والد مك إبرا في دكرا والآن سالم كما نسمع، والله تعالى أعلم، وقد وجد لهم من ألمامات فوت أربعة رجال كما علمت مما مر، وهم ألمام سري وولده ألمام سيب ثم ألمام أحمد باب لي وولده ألمام ممد بد. وقيل إن أول من أوقد الموقد في الليل لتعليم التلاميذ في فوت تور سري عال في هاير فنايب وهو والد أحمد تك جليا المهاجر إلى أوكو تعليمه التلاميذ في هاير فنايب كان في زمن ستك وقد استأذنه فأذن له في ذلك التعليم وذلك قبل فر بكثير، هـ. عن سارن سيسي بن سارن محمد بن سارن سيسي طريح، والله تعالى أعلم. وزعم سارن عمر أخو سارن إبراهيم محمد [522] مجتبى في هاير أن سبب تعلم سودان التكرور العلم العربي أن أمير سكي محمد أسكيا كان إذا غزا بلدًا واستولى عليه أخذ صبيانًا منه ويرسلهم للبيضان يتعلمون منهم، وكان ملكه ممتد إلى البحر المالح، هـ، والله تعالى أعلم. قلت وأنا أظن أيضًا أن أول من تعلم الحروف العربية من الفلاّن رجل فلاّني من أهل البادية تعلمها من وُلْفِيّ بدليل هذه الحروف «شنيتوعا» فإن الحرف الأول نسميه شين تويط وهي كلمة ولفية، والثاني نسميه جُبُرْنَا، والثالث جبريا، والرابع جبرتا، وجبر كلمة ولفية في ظني لأنا لا نعرف معنى جبر في كلامنا، والحرف الخامس نسميه واو تج بجيم عجمي، والسابع ألف تج بجيم عجمي أيضًا ويسميه ولف ليف كدك ومعناه ألف تج ولعل الواو كذلك، وأما كون أول من تعلم من الولفي فلاّنيًا من أهل البادية فالدليل عليه الحرف السادس وهو هذا (ع) ونسميه إلى الآن عين باليط وهو من كلام أهل البادية أو أهل فوت جلو، والله تعالى أعلم.

524 - عام 1923 م يوافق 1342 هـ.

[523] ودمب وسلي وبلل، وأما أحمد وسلي فلم يذكر لنا عقبهما أيضًا، وأما دمب فهو والد صمب دمب والد حمد صمب والد عال حمد الذي يسمى سارن عال الذي مسكنه الآن في كنل من أعمال ماتم في سنكال وهو المخبر، وأما بلل فهو والد عبد الله بلل والد إبرا عبد الله والد عال إبرا وقد مات وترك ولدين دمب وبوكر ومسكنهما جمل هبياب، وأما بلل بن موسى بن دمب بن حمد بن أحمد بن إبراهيم دون فهو والد ير بلل والد دمب ير والد جاي دمب والد ممد وعمر وعلو وهم في قيد الحياة الآن، وكلهم في مرتن وممد في باج وأخواه عمر وعلو في فند، وأما عال دوت الذي يقال له داود دوت فلم أعرف من ذريته إلا أهل دار واحدة في هاير وكان من مشاهيرهم سارن حمى دمب الذي قتل في غزوة عبدل بوكر للبياضين المشهورة بغزوة باياليك، ولنكتف بهذا وهو يكفي إن شاء الله تعالى.

359 - آراء حول أصل ليدب كلوب

وقد قيل إن من ولد دوت عل فدل ير دوت، قيل إن من ير دوت هذا ليدب كلوب، والله تعالى أعلم، وقيل إن الذي أتى عال بايل هم جم لي بنفسه لا فدل، ثم ارتحل بعض بنيه إلى سلا وهي قبّ مرتن فوجدوا فيها جاوب دند فسكنوا معهم إلى أن كثروا جدًا وتراتبوا، وزعم القائل أن مول جم لي وقيل اسمه موسى جم لي منه ألمان جوار وألمان بوي وبران جم لي منه ألمان قني ويعقوب جم لي منه سارن آس والحسن جم لي وعال جم لي وجوس جم لي منهم ليدب فت وسلد وعمر جم لي منه ليدب مل ودمب جم لي منه ليدب جاب وعبد الله جم لي منه ليدب كلي وفاب جم لي منه ليدب كوت رأى وعمر جم لي منه ليدب بايلل موي على غير ذلك من أولاده، والله تعالى أعلم. قلت وإذا كان جم لي هو الذي أتى عال سايل فمن الذي قال له مشيرًا إليه هذا لي لأن من المعلوم ضرورة أن طالب العلم لا يجيء من أهله إلا كبيرًا بالغًا معروفا عندهم بحيث لا يشتبه على أحد منهم، وهذا قول لا يوافق إلا ما يزعمه بعض الناس بأن جم لي حين كان صغيرًا [524] كان عبدًا مملوكًا لبعض سرغل فكان يقول له في ندائه إي جم ليدي بمعنى يا جم جئني لأن معنى لي في كلامهم تعال فغلب عليهم هذا اللفظ حتى صار لقبًا له، وبعد ذلك جاء لعال سايلن قلت يمكن أيضًا إن يكون اللصوص هم الذين نهبوه أو سرقوه من أهله وباعوه للسرغلي هذا لغلبة الفساد على ذلك الزمان، ثم بعد تخلصه من الرق جاء لعال سايل يتعلم إلى أخر ما مر، والله تعالى أعلم، وهذا القول في غاية الضعة

والخسة لهم ويقابله دعواهم بأنهم من الشرفاء الجعفريين لكونهم من أولاد عبدل. قلت أيضًا وكون أولاد عبدل من بني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه غير صحيح كما في الاستقصاء، وقد ذكرت ذلك في تاريخ تاك، والله تعالى أعلم. وقد لقيت دمب كلاج رئيس ليتام الذي يقول له البياضين دمب ول كلاي فسألته بقولي هل سمعت من آبائك بأن ليدب من أولاد عبدل فقال إنه ما سمع قط بأن لهم من أهل فوت نسيبًا ولا قريبًا ينتسب إليهم مع أنه يعرف قبائل ولاد عبدل كلها وهو الذي أخبرني بجلها وقد ذكرت بعضًا منها في تاريخ تاك، والله تعالى أعلم، ثم سمعت بعض ليدب أيضًا يقول إن أقاربهم من ولاد عبدل الآن هم ولاد عل تاكاط فارسلت إلى ابن أختي جاج صمب جوم مترجم بود حينئذ أن يسألهم عن ذلك فقال لي في رسالته إلي بأنه أحضر رجلين شيبانيين منهم فسألهم عن ذلك فأنكروا أن يكون لهم نسيب في فوت وأنهم ما سمعوا بذلك قط، ثم رجعت إلى قلبي أستفتيه في هذه المسألة فأفتاني بأن كون ليدب من ولاد عبدل ينكره العقل والعادة لأن البياضين لاسيما ولاد عبدل في ذلك الزمن من الأقوياء جدًا ولهم الدولة القوية وهم الذين طردوا السودان من مساكنهم المرتنية إلى سنكال فلا يصح عقلاً أن يلوذ القوي بالضعيف المطرود ويختار مجاورته على مجاورة قومه الأقوياء ويكتسب منه الأراضي [525] الحراثية ويصير محترفًا بالحراثة وقومه بين ملوك وعلماء وأغنياء يجاهدون الناس في كل جهة، لأن ليدب قد اكتسبوا الحرائث أولاً من جاوب ند ومن جاننكوب، ثم إنا ما رأينا ليدب يتوالون البياضين أو ولاد عبدل خاصة موالاة دون الأنساب ولا يتعارفون معهم ولا يتقاربون ويتوددون إليهم ولا يتواصلون فيما بينهم مع أن البياضين يحبون من الاكتساب من السوادين جدًا والقرب منهم لاكتساب الزرع وغيره، اللهم إلا أن تكون نسبتهم إليهم نسبة ولاء فأخفوا أنفسهم عنهم لذلك، والله تعالى أعلم. ومما يدل على عدم صحة دعواهم الانتساب إلى ولاد عبدل عدم معرفة أحد منهم نسبهم إلى بيت من بيوت ولاد عبدل أي فخذ من أفخاذهم، كما قال سري وايد من ليدب جاب لا يعرف أحد منهم ما وراء فدل من الآباء إلا متقول، وقد تخبط بعضهم ونسبهم إلى بني مروان القرشيين فقال قدم عل هني قال قال ابن مروان انظر إلى هذا الكلام الظاهر كذبه بديهة ولا يحتاج إلى إقامة دليل لتبطيله، وقد ادعى بعضهم بأن جم لي من الأنصار جاء من المدينة المنورة فسكن مع عال سايل فقلت قد ينكره بعد الشقة وغاية حصول المشقة بحيث لا نار ولا ماء في أكثر تلك الفلوات وكذا الخوف على النفس غاية بالنهب والغارات في هذا الزمن

فأحرى في ذلك الزمن إلا أن يكون مطرودًا شريدًا لا يعرف أين يتوجه ولا يملك أمر نفسه يقذفه فضاء لفضاء إلى أن أفضاه القدر إلى ذلك المقصود ومع ذلك فالاسم جم لي لا يأتي من المدينة المنورة لعجميته، والله أعلم، والأقرب إلى الأذهان والأولى بالإعلان أن يكونوا من جاوب لأمور منها كونهم من جابال فينا كما أخبرت بذلك، وقُبِلَ خبر الواحد إنْ بَيّنَ وجهًا ومنها ركونهم إلى جاوب دند وركونهم أيضًا إلى جاننكوب وهم من يرلاب وأصل يرلاب من جاوب بلا خلاف وأن ليدب حيث كانوا ينتسبون إلى يرلاب والذين منهم في فت ينتسبون إلى يرلاب والذين في جاب ينتسبون [526] إلى هيباب وهم ويرلاب كالشيء الواحد بدليل كون ستكهم في ملك داينينكوب واحدًا والذين في أوك منهم ينتسبون أيضًا إلى يرلاب ومنها كون حرفتهم أولاً رعاية الماشية بدليل كون عال فات جم لي الذي منه ليدب كوت رأى حرفته اتباع أذناب البقر في المراعي كما مر ما يدل على ذلك، والله أعلم، ومنها تزويج سارن مل عال عمر جم لي بنته مريم عال لأب سيد فلاّني من أهل البادية وليس من أهل العلم أيضًا إذ لو كان من أهله لذكروه لتوفر الدعاوي على ذكره لحبتهم الافتخار بذلك إذ لو كانوا في زمن سكناهم في سلن السنكالية البرية حين صاروا من رؤساء تورب لما زوج سارن مل بنته لفلاّني بدوي من فرسب، والله تعالى أعلم. وأما قول ألمام ممد لمن الذي من أهل سلد الذي مر في تاريخ بوسي بأن إلمان فت قد ملك أرضه بعمارة وإحياء وأنه هو الذي ابتدأ سكناها بزمن طويل قبل ورود كل إلى أرض قوت، إلخ، فذلك لا ينقض قولنا بل يثبته لأن ملك جاوب سبق ملك كل بزمن طويل كما قيل ويمكن أن يكون جدهم كدم قد أتى مع عزائب جاوب قبل فساد ملكهم إلى مرتن تور فتاب وترك الماشية وأخذ في التعلم على عال سايل ثم انتقل بنوه إلى سلا فسكنوا مع جاوب دند، وقوله وهم الذين ابتدءوا سكناها بزمن طويل، إلخ، أي بعدم اعتبار جاوب دند فهم أول من سكن سلا وهم الذين أعطوا ليدب أرضهم كما قيل، والله تعالى أعلم، ومن خاصية ليدب الذكاء والعقل والدهاء وجمال الصور ومحبة الظهور والفخر ومحبة التعالي على سائر البشر، والله تعالى أعلم ونسأله تعالى غفران ما زلت به القدم وطغى به القلم فإنه أكرم من كل من يكرم وأرحم من كل من يرحم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

[527] وأما سوسوب هاور فهم من جاوب لأنهم من فريب الذين هم من رؤساء وطاب وكان أرط وطاب في ملك لام ترمس الذي هو أرط جاوب، وهم من دكا جم والد دمب دكا والد فاو برف دقا الذي منه أحمد فات سرا في بنك، ومن دمب دقا الذين في ساكوو في بند، وذرية بند دقا وبرف دقا كانوا في همبو وهما شقيقان ويقال أيضًا برف سبل الل منه بنو أحمد سرا وهو أخو دكا سبل وهمد سبل اللذان منهما أهل همبو، والله تعالى أعلم، ثم انتقلت ذرية لل دقا من همبو إلى هولد ثم منها إلى هاور لأن لل دقا هو والد همد لل والد سيد همد والد أب سيد والد بيلي أب الذي هو سارن بيلي الكبير الذي قتله سل بوب في كومل وهو والد بوكر بيلي والد بيلي بوكر الذي هو سارن بيلي الصغير القاتل للنفس للقود وله أخوه منهم سيد بوكر وإفرا بوكر وقد هرب سارن بوكر بيلي هذا إلى بند حين قتل النفس مع أخيه سيد بوكر فسكنا في قرية هناك تسمى سر جهة جر الآن إلى أن ولد لسيد بوكر هنالك ولده عبد الكريم والد بيلي عبدل والد حيموت بيلي الذي هو رئيس هاور الآن، وأما سارن بيلي بوكر هذا فمن ولده محمود بيلي الشهير الذي هاجر مع الشيخ الحاج عمر وقد مات قبله ولده بيلي محمود ثم مات بعده ولم يبق من عقبه الآن إلا الإناث وسنأتي بشيء من أخبار بيلي محمود بعد إن شاء الله تعالى، ومن ولده أيضًا حيموت بيلي وقد قتله أهل سنس هاور الآتي ذكره إن شاء الله، وأما إفرا بوكر فهو والد أحمد إفرا وبوكر إفرا وهما في هاور الآن، واعلم أن لسارن بيلي الكبير بن أب سيد أخًا اسمه صمب أب سيد والد همد صمب أب فذريته هم الذين كانوا يسكنون شرقي الوادي الملاصق لهاور المسمى قومل وكان يقال لسكنهم سنس أي المسكن الحادث ويقال لسكن سارن بيلي حينئذٍ سار أي القرية القديمة والاسم هاور شامل للقريتين، [528] وسنأتي بشيء يتعلق بأمرهما إن شاء الله تعالى بعد، وقيل إن أصل هؤلاء فريب هاجروا من ماسينا ولعله مع هجرة جاوب عند موضع يسمى كندك كلاج فسكنوا في باقن ثم سكنوا بعد ذلك في كرت ثم في كدوم ثم في جمبغ عند جبل تفي ثم نفاهم أهل جمبغ لكثرة إفساد المواشي فارتحلوا إلى ساكايل من قرى كدمغ، وقيل إن بعضًا منهم قطعوا البحر عند فلم وتوجهوا نحو بند وسكنوا في جيمب ثم في جالكال ثم كاب ومنها ارتحلوا إلى فوت كما قيل، والله تعالى أعلم، ثم إن الأكثر منهم الذين فيهم

أصل سارن بيلي قد سلكوا طريق مرتن قاصدين إلى فوت إلى أن أتوا إلى كيهيد فسكنوا قربها، وقد ذكر أمرهم مع فربال كيهيد في تاريخ بوسي فيما مر، قلت ولعلهم كانوا عزيبًا من عزائب جاوب، ولعل ملك فربال حينئذٍ كان مندرجًا في ملك لام ترمس وهو أرط جاوب وكذلك الفربات غيره من أهل فوت، والله تعالى أعلم، ثم إنهم ما زالوا ساكنين قرب كيهيد قيل في سلن عرم إلى أن التقى أب سيد مع سارن مل عال عمر جم لي وهو أول سارن مل فزوجه سارن مل ببنته مريم عال فولدت له بيلي أب الذي هو سارن بيلي فلما بلغ أحب العلم جدًّا وخرج مسافرًا إلى فر مع ألمام عبدل وغيره من أهل فوت لطلب العلم فبلغ مبلغًا عظيمًا في العلم والبركة، ثم إن بعض قومه ارتحلوا بعده إلى دمك فسكنوا في هولد لمدة غيبته، فلما رجع ووجدهم هكذا ارتحل إليهم ولحق بهم وستك سل جاي حينئذٍ في هركجر فأتاه سارن بيلي مسلمًا عليه فلما رآه ستك أعطاه بنته صدقة مع كثير من العبيد كما هو عادة ملوك أهل فوت مع العلماء قديمًا وحديثًا، وكان لستك يوم معلوم للعب عنده، قلت ولعله في كل سنة أو في كل شهر أو في كل أسبوع والله تعالى أعلم، فلما حان ذلك اليوم أرسل إلى [529] سارن بيلي صهره للحضور مع بنته، فأبى سارن بيلي عن الحضور فأرسل لبنته أن تحضر فحضرت عنده وأتبعها سارن بيلي بالطلاق فأرسل ستك إليه أن يترك عبيدها معها فأبى عن ذلك أيضًا، قلت ولعل أولئك العبيد كانوا قد ألفوه جدًّا وأحبوه حتى اختاروه على سل جاي، والله أعلم، ثم إن سارن بيلي خاف عدوى ذلك وجعل يطلب موضعًا يختفي فيه عنه وكان في هولد رجل من أجاجب اسمه حمي ملا وكان صيادًا فقال لسارن بيلي أعرف موضعًا تقدر أن تختفي فيه فإنه يكنك عنه لقرب مائه والتفاف أشجاره وهي أشجار التيدوم وهو معنى هاور والأصل هوربود ومعنى هور التناطح ومعنى بود أشجار التيدوم واحدها بك، فلما تقارب فيه الأشجار وتناطح معنى سمي الموضع هاور، والله تعالى أعلم، ثم سأله سارن عن ذلك الموضع فقال له الموضع الذي مات فيه البقرة المسماة موروو وعلق قرناها على شجرة من أشجاره، فذلك الموضع هو مرادي وموروو من البقر في لغتنا هي التي مالت قرناها وتدليا على خديها كالمضفور من الشعر لأن معنى موركل هو الضفر عندنا ثم إن سارن بيلي ارتحل مع العبيد إلى ذلك الموضع فبنوا له سورًا من الطين أو الأخشاب أو من كليهما ثم أرسل ستك جيشه إلى هولد فلم يجدوا فيها سارن بيلي وقد بقي فيها حمد صمب أب سيد وقومه فشددوا عليهم فدلوهم على هاور فوجدوا سارن بيلي فيها في سوره فتقاتلوا فانهزم جيش

ستك وكان قدره عشرين فارسًا فرجعوا إلى هولد وباتوا فيها ثم رجعوا إلى سارن بيلي أيضًا بعزم قوي فقاتلوه فانهزموا أيضًا فرجعوا إلى سل جاي خائبين وكان سارن سليمان بال قد أتى سارن بيلي في تلك المدة وثبته وأمره بالصبر على مقاتلة سل جاي ومما قال له لا تخف وقد أظهر الله لكم الدين ونحو ذلك فلذلك ثبت سارن بيلي على مقاتلة دانينكوب حتى قتلوه في كومل كما مر ذلك في تاريخ دانينكوب، والله تعالى أعلم، ثم لما قتل سارن بيلي تخلف عنه ابنه بيلي بوكر ولم تطل مدة خلافته ثم إنه لما مات تخلف عنه ابنه بيلي بوكر [530] وهو سارن بيلي الصغير وهو الذي اقتتل تلميذاه فقتل أحدهما الآخر فجاء إليه والد المقتول يطلب منه القود من قاتل ابنه فأجابه إلى ذلك فقتل القاتل قودًا من غير حكم الإمام، وقيل وقع ذلك في زمن ألمام عبدل وكان من هاير سلام إلى أندير هو الحاكم فيه مثل سايف كنتن فلذلك اجترأ على ما فعل فلما انتشر هذا الأمر صار الناس يقولون الآن قد صار في فوت إمامان أي سلطانان، فأرسل إليه ألمام بأن يأتي إليه عاجلاً فأبى ثم أرسل إليه ثانيًا ثم ثالثًا وسارن بيلي يأبى عن الحضور عند الإمام، ثم أرسل الإمام ثلاثين فارسًا أمرهم أن يأتوه به أو يقتلوه إن أبى، فأرسل ليدب سلن إلى سارن بيلي أن يهرب إلى بند لأنهم أخواله فسبق إليه رسول ليدب فهرب إلى بند، ثم إن الإمام صير أرضهم لبيت المال وأراد أن يقسمها بين الناس، فقال له أهل سلن منهم حيموت سارن مل أيها الإمام دعنا نتولى أرضهم هذه فإنهم بنو بنتنا فقبل لهم الإمام ذلك فقطع الإمام قطعة من درد وأعطاها لأوناب وأعطى لإلفك فل هادبر وفل جال الأولى وهي قد كانت وراء ماي فويك أي البحر السفيه أو الفاسد يصب عليه الوادي المسمى قم الخارج من البحر المار في داخل جال وتسمى جال ورك أي جال التي في جهة سنكال وقد صارت الآن فود لقلة السيول لا تصلح إلا لزرع الخريف، قلت ولعل فل هادبر وفل جال كانتا في ملك سارن بيلي، والله تعالى أعلم، وقلت ولعل إلفك المذكور هو دو أروى أو أحمد جاتر، والله تعالى أعلم، وكان يعد من ملك فريب أولاً وآخرًا من الحرائث هارلوا منكل وهارلوا لمبل وجسك بالب وبارل جهة كرل در وكلقل عال تمبد نحو قول قرب بروج وجسكن وصوديم وسوفيج، وقيل إن ملك فرسب من الحرائث هارلوا منكل وهارلوا لمبل فقط وجسك بالب لبالب كما قيل وما بقي من الحرائث فهو لجاوب لوبال وبين حرائث جاوب وجسك [531] بالب تف داد دبلق وبين جسك وبالب وهارلوا واد يسمى مابك وعنده حرائث مابك فصارت كلها لفرسب بحيلهم وكياستهم ووجاهتهم، وقيل إن حرائث جسك

بالب أصلها لسبعة رجال شقائق من بالب فوقعت عليهم سرية سري عيشة وأرط برام وقيل البياضين فقتلوهم كلاً إلا اثنين منهم فبقيت الحرائث في أيديهما ثم أيدي ذريتهما إلى الآن. وقيل إن قريب لما رجعوا من بند جعلهم ليدب سلن جباة لهم على تلك الأراضي الحراثية وتركوها في أيديهم هملا إلا ليدب سلن الذين ارتحلوا وسكنوا في هاور لأجل تلك الأرض، فإن هارلوا منكل ومابك كانتا في أيديهم إلى أن انقرضوا وكان قد بقي منهم رجل يسمى هد قام يخاصم عبد الكريم أو ولده بيلي في زمن ملك النصارى فلم يجد شيئًا ولم يحصل على طائل فذهب متغربًا نحو المغرب وهلم جرا.

361 – بعض الأحداث التي وقعت في فريب هاور

ومعنى لفظ هد في لغتنا المزمار. ومن ولد سارن بيلي بوكر الذي هرب إلى بند محمود بيلي الذي وقعت الفتنة بينه وبين إلفك ممد بن إلفك أحمد جاتر، وكان قد طلب من أهل مرسى جل أن يعطوه حصته من العشر الذي هو كبل في كلامنا فأبوا ولعل ذلك لإعطائهم العشر قبله للإمام أو من أمرهم الإمام بإعطائهم إياه، والله تعال أعلم. فلما أبوا نهى إلفك أهل دمك أن يحمل أحد منهم زرعه أي حبه إلى جل ووافق أن رجلاً من أهل فرل مر في ذهابه إلى جل بدار محمود بيلي وبات فيها ومعه أحماله من الزرع يريد مرسى جل فلما أصبح بكر الرجل ومر بتنج وفيها مسكن إلفك ممد، وتنج واد بين هولد وقسمير ويمر به طريق سم إلى جل، فلما رآه إلفك أخذ حميره وأحماله كلها وجعلها في يد حمدن سالم والد ميمون حمدن والدة عمر إلفك، ثم رجع الرجل إلى محمود بيلي وأخبره بما فعل به إلفك وقال له محمود ولعلك ما أخبرته بأنك ضيفي فقال بل قد أخبرته بذلك ولم ينفعني ذكرك. فأرسل محمود رسلاً [532] إلى إلفك لأن يرد الحمير وأحماله إلى ضيفه فأبى إلفك عن ذلك فرجعوا وأخبروه بالأمر، فقام محمود بنفسه يريد إلفك فلما قرب من تنج خرج إليه إلفك وتلاقيا وتصاولا فقال محمود لإلفك أتقدر أن تاكل مال ضيفي فأجابه إلفك نعم كما كان والدي يفعل بوالدك وقيل إن إلفك مد يده ليأخذ بمجمع قميصه في عنقه فغضب محمود بيلي وجرد سيفه وضرب به يده فانقطعت أصابعها فحال بينهما الناس وفرقوا بينهما وردت الحمير وأحمالها إلى صاحبها ورجع فرسب إلى هاور، وفي ذلك العام أتى إلفك بجيش من البياضين وجعل قائدهم أخاه الصغير إلفك عثمان وصهرهما ماليم عبدة من أهل بول عال سيد لأنه الذي

تزوج بمريم ابنة إلفك ممد وذهبا بالجيش وأغاروا على فاطفاط اسم قرية كانت فوق ولل إلى جلب وأخذوا بقرات تلك القرى فقام أربابها على إثرهم وأدركوهم وأخذوا بقراتهم من أيدي هؤلاء اللصوص قهرًا وردوها إلى أربابها وقتل في ذلك اليوم آلفا راسن والد جل ألفا. وقد قيل إن محمود بيلي هذا كان من أقوى أبناء فرسب وأشجعهم قلبًا وكان إذا سافر مع أبناء هاور يبيع منهم من شاء ثم إذا رجع يقول لهم كل من أراد أن يفدي ابنه من الرق فليذهب إلى موضع كذا ويعين لهم الموضع كما قيل. وقد هاجر محمود بيلي هذا مع الشيخ الحاج عمر في أيامه وقد مات قبله ولده بيلي محمود في سق ثم مات هو بعده من غير عقب إلا الإناث. وأما الفتنة الواقعة بين سنس هاور وسار هاور فسببها أن بيلي أب سيد الذي هو سارن بيلي لما ارتحل إلى هاور ومكث فيها أعوامًا ارتحل بعده حمد صمب أب سيد وقومه إلى هاور فسكنوا في مشرق الوادي المسمى قومل الذي سكن في مغربه سارن بيلي وقومه وكانت النسوة حينئذٍ يحرثن الوادي فاختلفت النسوة في ملك الحرائث، فادعت نسوة سار هاور [533] الملك وأنكرت دعواهن نسوة سنس هاور وجعلن يتضاربن، فقام رجال القريتين وتلاقوا عند الوادي وجعلوا الكبار يمنعون الفتنة ويفرقون بين المتقاتلين، وكان مع رجل من أهل سار هاور مدفع فخبط به رجلاً من بني صمب أب سيد فمات في الحين فرفع رجل من الحدادين صوته قائلاً مع صوت المدفع أنا فلان بن فلان ليفهم أهل سنس بأنه هو القاتل لا غيره، فسكت أهل المقتول ودفنوا ميتهم ثم بعد أيام قلائل قام جماعة من أهل سار هاور ذاهبين إلى الصحراء للصيد فتبعهم أهل سنس فأخذوا الحداد ورجعوا به إلى قريتهم فسجنوه وعذبوه إلى أن مات وأهله يسمعون بكاءه إلا أنهم لا يقدرون على فكه وتخليصه من العذاب، ثم قيل لأهل سنس ما فعلتم شيئًا لأن هؤلاء قد قتلوا سيدًا من ساداتكم ولم تنتقموا إلا من الحداد فسكتوا أيضًا إلى أن خرج حيموت بيلي قاصدًا نحو فوت فخرج إليه فتيان من سنس هاور متسلحين فأدركوه بين ورسيد وفم هار فقتلوه هناك وانتشر الخبر إلى فوت فاجتمع لذلك جل رؤسائها واتفقوا على الذهاب إلى هاور لإصلاح ذات بينهم فجمعوا تلكم القريتين وأصلحوا بينهما ومن ثم تركوا القتال إلى أن فرق بينهم الدهر المشت. انتهى ما عندنا من أخبار فريب هاور، والله تعالى أعلم، وبانتهائه ينتهي تاريخ جاوب

ويليه إن شاء الله تعالى تاريخ يرلاب.

و زعموا أنهم (أي يرلاب) هاجروا من أرض السبأ ثم سكنوا في أرض يقال لها برت لا أدري أهي برن أو برت كما زعموا، ثم هاجروا وسكنوا في ماسينا ثم تفرقوا وبقي بعضهم فيها وبعضهم في باغن وهم ولرب وجل ألقابهم بل وصار بعضهم في كاس وجلب منهم أمراؤها إلى الآن وتجاوز بعضهم إلى فوت جلو وجلب أيضًا من رؤسائها من بين أمير أو وزير أو عالم، ومن اصطلاحات [534] أهل فوت جلو أن كل من كان لقبه جل فهو من يرلاب ويقولون كلاج بإدغام الراء في اللام والأصل كرلاج، وأن كل من لقبه به فهو من أوررب وهكذا، والله تعالى أعلم، وذهب بقية يرلاب إلى فوت تور فما زالوا يرتحلون ويقومون مارين من جهة البياضين من وراء النيل إلى أن جاؤوا كبب فارقهم رجل اسمه صو زيد بلي من فافاب أهل اللقب به وقطع النيل وسكن مع أهل بماشية في كبب ثم ارتحل عنهم إلى بالاج وسكن معهم أيضًا وسيأتي شيء من أخباره بعد. قلت وقد مر في تاريخ جاوب حين كان ساكنًا في كوجول كان يرلاب ساكنين من لقرفول بطيج إلى البحيرة كركر وقيل إن فول بطيج كان مسكن جاوب خاصة وبحيرة كركر وما حولها كان مسكن يرلاب، ويزعم يرلاب أن حرائث جاو كانت حرائثهم الأولى، هـ، ولعل صو زيد بلي كان قد ارتحل مع عزائب جاوب ويرلاب ثم شذ عن العزائب وسكن مع الفلاّن من أهل كبب وأهل بالاج واكتسب الحرائث التي سنذكرها بعد إن شاء الله تعالى، وقد مر أيضًا أن جاوب هاجروا من اليمن ودا كان مهجرهم ومهجر يرلاب واحدا لأن السبأ من اليمن، والله تعالى أعلم، ثم أن يرلاب ما زالوا يقيمون ويرتحلون جميعًا إلى أن حاذوا مساكنهم التي هم فيها الآن فلما حاذوا المساكن وهم في مرتن وراء النيل نزل يرلاب جاير في دب ونزل يرلاب فت سلا ونزل يرلاب أليط موركل، وسبب تسمية يرلاب جاير بهذا الاسم أنهم سكنوا أولاً في تلد جاير واد في ربوة البر المرتني، وسبب تسمية يرلاب فت فهذا الاسم لأنهم سكنوا تحت فتر هاير سلا ومعنى فتر جبل عريض واسع وجمعه فت، والله تعالى أعلم، وأما سبب تسمية يرلاب أليط بهذا الاسم فسيأتي بعد هذا إن شاء الله تعالى عن قريب، قلت ولعل يرلاب ما فارقوا جاوب يومًا من الأيام إلى أن أفسد دانينكوب ملكهم وفرقوا جمعهم في لقرفول بطيج فذهب بعضهم إلى المشرق واجتمع جلهم وقصدوا نحو المغرب إلى أن وصلوا لقيم [535] فسكنوا

فيه مجتمعين مع عزائبهم أيضًا فما زالوا كذلك إلى أن أوقع دانينكوب عليهم الحرب أيضًا بسبب قتلهم سل دب أو ابنه أو سيدًا منهم، فحاربهم دانينكوب فهزموهم أيضًا وأفسدوا ملكهم وشتتوا شملهم فتجاوز جل جاوب إلى مرتن تور ونزل يرلاب إلى مساكنهم المذكورة الآن دب وسلا وموركل مطيعين لأمر أمير دانينكوب ومدينين بدينهم، والله تعالى أعلم. [536] ثم إن يرلاب أقاموا في هذه الأماكن أزمنة متطاولة ثم أرادوا قطع النيل إلى سنكال اتقاء من ضرر البياضين واتفقوا لو عزموا على ذلك ليوم عينوه فلما جاء ذلك اليوم قال لهم يرلاب فت نحب أن تنظرونا اليوم لضوالٍ، ضلت لنا البارحة إلى يوم آخر نقطع النيل جميعًا فقال لهم يرلاب أليط نحن لا نقدر على الانتظار بعد تهيؤنا للرحيل فقطعوا النيل فانتظرهم يرلاب جاير وكان من قضاء الله تعالى أن أوقع عليهم البياضين المتلصصون في تلك الليلة الحرب والنهب فنهبوا مواشيهم كلها إلا ما شذ منها من صغار وضعاف ثم قطعوا بحر النيل بعد ذلك فقراء، وسكن يرلاب جاير في بول وسكن أصحابهم في فت وسكن يرلاب أليط في تلل داد فوق كاجوب وقربها، فقال الذين نهبت مواشيهم ليرلاب أليط أنتم يرلاب الذين يحبهم الله تعالى وهو معنى يرلاب أليط فجرى عليهم هذا اللقب من ذلك الوقت إلى الآن، ثم إنهم لما سكنوا في سنكال وجدوا الأراضي مملوكة لبقايا من وطاب في بول وأرط كلياب وجوم لك وجوم جلب وجوم كارار في بك وكلمنك يك في سكت أميرًا عليها ومنه كلمنك إفرا بن صمب [537] وهم من وطاب وجوم بوب وجوم مر والكل من بقايا وطاب، ووجدوا في ستك هو تهوتب أي أهل اللقب هوت (....) وسمسب الذين هم سكتناب يصطادون الحيتان، ثم إن يرلاب وجعلوه نظير الكملنك يك على ملك الأرض وأخذ كرائها وزكاتها على الرغم من كلمنك يك، أيضًا أخذوا رجلاً منهم يقال له هب عال ومنه كملنك موسى في جنك وجعلوه نظير الكملنك يك على ملك الأرض وأخذ كرائها وزكاتها على الرغم من كلمنك يك وجعلوهما يتناوبان الملك للحرائث وقد جعلوا معهما أيضًا كن عال أخو هب عال هذا ومن كن هذا سري كج ثم صارت الحرائث كحرائث يول ونحوها ملكًا لهم قهرًا أو غلبة، ثم إن يرلاب أليط ارتحلوا جميعًا أو أكثرهم إلى جلف وسكنوا في موضع يسمى واد بي ثم إنهم جنوا على أهل جلف جناية فارتحلوا وهربوا منها إلى سكت أيضًا ثم قطعوا النيل إلى موركل، فلما أمنوا من التبعة والمؤاخذة رجعوا إلى سكت ومكثوا فيها مدة ثم جنوا جناية أيضًا خافوا منها على أنفسهم فارتحلوا نحو جلف أيضًا ومكثوا فيها مدة وفي هذه الرحلة الثانية إلى

جلف فارقهم جاونب ومابب الذين صاروا الآن في فت وقد كانوا أولا مع يرلاب أليط فقالوا لهم إنكم لا تسكنون في بلد ولا تنحكمون لأحد ومن لم يفارقكم فإنه يخاف عليه ففارقوهم، ثم إنهم ارتحلوا عن جلف أيضًا إلى سكت ساكنين فيها، ثم أن يرلاب مطلقًا من حيث كانوا في المشرق مجتمعين هنالك فملكوهم جلب وهكذا في سكت ثم انتقل الملك منهم إلى فافاب أهل اللقب به ومنهم صمب إفرا مك وعثمان عال مريدنا.

363 – تولية تكي صمب ملك يرلاب

ثم انتقل الملك منهم (أي يرلاب أليط) إلى أهل كل بوب عال وهم ثلاثة بيوت، بيت مود كل وهو والد كن مود وبيت يطي صمب كل وبيت تكي صمب كل وهو والد هارم تكي الوجيه عند البياضين الذين نسبوا يرلاب أليط إليه حيث يقولون لهم هل هارم، والسبب في انتقال الملك إليهم أن واحدًا من جاونب واسمه كرل ومعناه الرجيل بالتصغير جاء إلى أرط يرلاب من فافاب [538] وطلب منه بقرة فأبى عليه ثم جاء إلى تكي صمب كل فقال له أعطيني بقرة أعنك على ملك يرلاب أليط فأعطاه بقرة على الفور ثم ذهب الجاوندي إلى جاب وألمام فوت حينئذٍ هو ألمام يوسف فجاء إليه واستماله بكلامه مع استعانته تك بأهل عال سيد في بول وكان وجيه يرلاب والوسيلة لهم إلى ألمامات فوت، فقال كرل جاوند لألمام يوسف اجعل تُكّيْ صمب كل عاملاً مالكًا في يرلاب فإن استعملته يصلح مرادك كلاً فيهم والذي في الملك الآن لا فائدة فيه من كل جهة لأنه ضعيف وبخيل أيضًا لا ينفع ولا يدفع، فقبل ألمام يوسف كلامه وعزل الفافابي وولي تكي صمب كل أمر يرلاب أليط، وتكي هذا أول من تولى الملك من أهل كل بوب عال ثم صارت بيوته يتناوبون الملك بينهم دون غيرهم إلى زمن فرانس هذا قولوا أمر يرلاب وهبياب كلهم السيد عبد الله كن فرجع الأمر على ما كان عليه أولاً من كون جلب هم ملوك يرلاب كلهم حين كانوا مجتمعين في المشرق وهم أيضًا ملوك يرلاب حين تفرقوا في مساكنهم في فوت وأن ملك يرلاب وهبياب كان واحدًا في زمن ستك بكل في ملك داينينكوب، والله تعالى أعلم، ونسب عبد الله كن هذا هو عبد الله بن ألفا سري صمب بن ير بن كل بن مولا بن فات بن صمب وهو ابن عم مريدنا الشيخ الصالح عبد الرحمن الأخ الناصح والصهر الصادق الفالح وهو عبد الرحمن بن صمب بن محمد بن مالك بن حمات بن إكد بن صمب ياب بن فات بن صمب وكلاهما من فات صمب وكان لفات صمب هذا أخ اسمه

يحيى صمب وكان يحيى هذا أرط يرلاب وهو آخر أرط من جلب فيهم ومنه الذين في مقام الآن كحمد موسى وأخويه، والله تعالى أعلم، ونسبهم في عادة أهل فوت من الابتداء بالوالد إلى الولد فات والد سياب فات والد صو ياب والد إكد صمب والد حمات مالك محمد حمات والد صمب محمد [539] والد عمر صمب وعبد الرحمن وسليمان وحامد، ولياب فات أخ يسمى مولى فات هو والد كل مولى والد ير كل والد صمب ير والد سري صمب والد عبد الله كن وراسن كن وشيخ حامد، ولسري صمب أخ يسمى عمر صمب والد سيد عمر ولهما أخ ثالث يسمى عثمان صمب والد أب عثمان والد عثمان أب ويسمونه أيضًا ولي أب في سنس جنك الآن، فلنكتف بهذا من نسب هؤلاء السادات ونرجع إلى ذكر أهل كن تكي، ونقول ثم اعلم أن لتكي صمب كل ولدًا يسمى هارم تكي الوجيه، ولهارم تكي ولدًا يسمى بوب هارم ولبوب هارم يسمى مود بوب.

364 – النزاع على ملكية الأراضي وما جرته من حروب على يرلاب

وهو الذي قطع حرائث ألمام محمد البمبي وذلك أن حرائث يرلاب في يلم وحرائث أهل بمب فيها أيضًا وبعض حرائث يرلاب وراء الحد بينهم وبين وبين جوم بمب يعطونه زكواتها، وأراد ألمام محمد أن يمنعهم من حرائثهم التي وراء الحد بل منعهم واتخذها لنفسه حرثًا فزرعها لنفسه إلى أن حان حفظ الحرائث من الطيور قام مود بوب وذهب إلى ولد عال (...) يسمى ألفا عال أو أخيه أحمد عال سيد وكلاهما كان وجيهًا جدًا عند رؤساء فوت كأبيهما واشتكى إليه أمر الحرائث وما فعله ألمام ممد فيها، فقال له ألفا عال اذهب أنت وقومك إلى تلك الحرائث التي اتخذها لنفسه واقطعوها كلها واجعلوها علفًا لمواشيكم وإني قد عزلته أيضًا عن الملك فذهبوا إليها وقطعوها وأفسدوها كلها فرجع حراس الطيور إلى بمب وأخبروا بالواقعة فقام أهل ألمام محمد إلى الحرائث بأسلحتهم يريدون إيقاع الفتنة فقال لهم ألمام لا تذهبوا إليهم فإن حرثي لم يفسده مود بوب بل إنما أفسده فوت كلها فإن ذهبتم إليهم تعلموا مصداق قولي الآن فرجعوا وكان ألمام ممد هذا قد هيأ قبل ذلك جيشًا إلى جلف وكان له أخوان وهو أكبر منهما وهما أحمد بران وعبدل بران، وكان أحمد بران [540] أكبر من عبدل بران سنًا وأحمد بران أخوهما من جهة الأب وهما شقيقان، فأمر ألمام ممد أخويه كليهما بالذهاب مع الجيش ولكنه قدم عبدل بران الصغير على الجيش وأنه أميره، فاغتاظ

أحمد وقال أنا لا أذهب مع جيش وأخي الصغير هو إمامه فامتنع من الذهاب وجلس ثم إن أحمد هذا ذهب إلى رؤساء فوت كالفا عال سيد ونحوه وطلب منهم أن يجعلوه مكان ألمام ممد فقبلوا له ذلك وولوه مكانه وذهبوا به إلى حيث جرت عادتهم أن يبايعوا فيه الإمام وهو كنط قبل في أجم كد ثم ذهبوا به إلى بمب وقد بلغ ألمام ممد الخبر من بعض أحبته فهرب من بمب يريد جاب لرحم له هنالك لعل أهل رحمه يؤمنونه من فوت فالتقى مع أهل فوت عند فت مختفيًا عنهم وكان إبراهيم بن ألمام حينئذٍ غائبًا نحو هاير فلما وصلوا بمب نهبوا ما في دار ألمام محمد من المال حتى نزع سفهاؤهم لباس زوجاته ومنهم أمّ إبرا ألمام فعروهن من ثيابهن حتى لم يتركوا لهم شيئًا فرجعوا من بمب وتركوا ألمام أحمد فيها وقد بلغ إبرا ألمام هذا الخبر كله فلما سمع برجوعهم عن بمب جاء إليها ومعه وزراءه ووجدوا ألمام أحمد وراء القرية في حرثه في زمان المطر وهو زمان تعمير الحرائث فقتلوه ثم أمر الوزراء بالهروب والرجوع إلى هاير وجاوزها إلى جاب وأخبر أباه بفعلته التي فعل فاستقبح فعله واسترجع، فقال له اركب يا أبت واذهب معي لنهرب إلى طور فركب الأب بعد امتناع وذهب معه ومروا في طريق فوق القرى البرية مساكن الفلاّن ومخارفهم (أين يقضون الخريف) كبك إلى أن وصلوا هاير بين وجاوزوا إلى حاكم قصر هدك هاير يومئذٍ وعاهدوه على أنهم من فرانس وعاهدهم على ذلك، وأما ما كان من أمر الجيش الذاهب إلى جلف فإنهم لقوا خيط نعام في رجوعهم فتبعها عبدل بران بفرسه جادًّا في طلبها وبعد جدًّا عن الجيش إلى أرض فتبعوا أثره إلى أن وجدوه في غده ميتًا والفرس واقف عنده [541] فدفنوه هنالك ورجعوا ووجدوا الأمر قد انعكس.

365 - العلاقة المتميزة بين بوسياب ويرلاب

وعبدل بران هذا هو والد بران عبدل والد أخينا في الله تعالى وشيخنا الشيخ محمد بران عبدل رحمه الله، قلت وهكذا تفعل الدنيا بأهلها ومن أخذ منها شيئًا ابتلي بقدر ما أخذ ومن أراد النجاة منها فليتركها بالكلية وليزهد فيها وليخفف منها جهده، كما قيل إن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه حين وقع الحريق في القرية التي كان هو أميرها أخذ مصحفه وخرج وقال هكذا ينجو المخفون غدًا لأنه لم يرض أن يستصحب من الدنيا غير مصحفه لا مال ولا أهل ولا ولد، كما قيل والساكن القلب من لم ترض همته سكنى مكان ولم يركن إلى ولد، وقد قال الشافعي رضي الله عنه تعالى من أوصى بشيء إلى العقلاء فقط تصرف

وصيته إلى الزهاد لا غير، وهذا من علمنا ولكنا لم نعمل منه شيئًا ونستغفر الله الغفور الرحيم ونسأله بفضله السلامة من بلايا الدنيا ومن دار الجحيم وأن يتفضل علينا بلا سبق عذاب بدخول دار القرار والنعيم إنه جواد متفضل كريم آمين آمين، وهود بوب هذا من أعمام مريدنا وصهرنا السيد محمود بن محمد التكوي لأنه محمود بن محمد بن أحمد بن تكي صمب كل وهو أخو زوجتي حواء الشقيق، أصلح الله أحوالنا وأحوالهم في الدارين آمين.

وقد قدمنا في الكلام في أن صو زيد بلي فارق يرلاب في هجرتهم وسكن مع فلاّن من أهل كبب زمنًا، ثم اعلم أنه قد اكتسب عندهم حرثًا ثم رحل عنهم إلى بالاج واكتسب عندهم حرثًا أيضًا وكان لهم عم يقال له عال بلي لم يفارق يرلاب قط في مقام ولا رحيل إلى أن سكنوا في مساكنهم التي هم فيها الآن وقد اتخذ حرائث أيضًا وله ولد يسمى سري عال هو الذي ورثه ثم مات سري عال هذا ولم يترك إلا بنتًا واحدة تسمى فاطمة سري فمنعها يرلاب من أن ترث حرائث أبيها بل أرادوا جعلها من حرائث بيت المال فلما سمع صو زيد ذلك رجع إلى يرلاب وفدى الحرائث من أيديهم كما هي عادة أهل فوت إذا مات أحد لا يرث ورثته حرائثه إلا بعد فدائها [542] من الدنيا غير مصحفة ولا مال ولا أهل ولا ولد ولا عمل من مالك الأرض ببقرة أو قيمتها ثم تصير له وهكذا، فصار له حرث في هلهر وحرث في هار يعطي كراءهما كل عام، ثم إن أهل صو زيد بلي ما زالوا يرسلون أحدًا منهم يسكن في بلاج مع بوسياب ليعمر حرائثهم عن غيرهم لتبقى لهم والساكن في بوسي الآن منهم سيد قط أخو عال قط الذي هو جكي وهما شقيقان وقط أمهم ولهما شيخ شقيق مات ولم يعقب واسمه ير قط ولهم أخت اسمها كمب قط وأخرى اسمها تك قط وهي أم دمب تك الذي هو دمب ير مود وهي أم جب ير مود أيضًا وأخرى اسمها بوبل قط وهي أم سيد بوبل ولهم أخ من الأب اسمه هارون قط وهو والد جب هارون وأبوهم حمد صو زيد بلي وكان لصو زيد أخ اسمه أَسَتْ زيد لم يفارق يرلاب قط أيضًا وهو لأبو صمب أَسَتْ والد دو صمب وقد مات ولم يعقب إلا إناثا وهن ورر وفند ورك وقد متن جميعًا الآن فرجعت حرائث أَسَتْ زيد لبني صو زيد وذلك أن من عادة أهل فوت أن يمنعوا الإناث من ميراث الحرائث النيلية لعزتها عندهم لا غير، وقد زعم سارن عال جليا المخبر النسابة أن بيناج الشرقية يرلاب فت والغربية يرلاب أليط إذ هي قريتان وهما هكذا وأوك فيها يرلاب فت وهم فبياب وفيها يرلاب أليط أيضًا وهليب وفي ورسوك يرلاب أليط ويرلاب فت ويرلاب جاير وأول من ابتدعها وسكنها سوك اسم رجل من وطاب وهو سوك حمت كبار جالك ماكم فسكنها يرلاب بعد ارتحال وطاب عنها، والله تعالى

أعلم، ثم اعلم أن الممازحة التي بين يرلاب وبوسياب سببها وجيه يرلاب عال وهو من قبيلة يه ووجيه بوسياب حينئذٍ وهو عال دند وهو من قبيلة جل، والعادة في بلادنا أن هاتين القبيلتين تتمازحان فيما بينهما جدًّا وكاد أن يكون المزاح بينهما واجبًا، وكان عال سيد وعال دند كانا التقيا بجموعهما يتمازحان ويتضاحكان في زمن ألمام عبدل فصار كل جمع أحدهما يمازح جمع الآخر فصار ذلك عادة جارية بين بوسياب ويرلاب إلى الآن، فسبحان الله ما كان [543] أعظم جاههما في هذا البعد وما كان أوسع قبولهما في فوت تور عند العباد حيث تابعهما القبيلتان بوسياب ويرلاب على عادتهما فقط مع تفرق القبائل الشتى في تينك القبيلتين ولكن قد سنًّا للقبيلتين سنة المواصلة والمؤالفة، غفر الله لنا ولهما وستر علينا وعليهما، انتهى عن سارن عال جليا السكتي والعهدة عليه، وقيل إن ألمام عبدل هو الذي أمر يرلاب وبوسياب أن يتآخيا ويتخذ أحدهم الآخر أخاه ويتعلمون بالتفضل والمباسطة والممازحة فتآخوا من يومئذٍ فهذا أصل المزاح بينهم، فقال لأنهم قبيلتان قويتان فإن اجتمعا ولم تتنافرا تمت القوة لنا قال ذلك حين بايعه أهل فوت كلاً عند الحد بين بوسي وهبياب وهو جبدل موضع قصر كمادي جربول، والله تعالى أعلم، ومما ذكره سارن عال جليا أيضًا أن أبا يرلاب جاير أكبر سنًّا من أب يرلاب فت وهو أكبر سنًّا من أبي يرلاب أليط والأول اسمه حمد والثاني صمب والثالث دمب وهم إخوة من الأب، والله تعالى أعلم، وقد زعم أن يرلاب فت بعدما قطعوا النيل إلى سنكال بعد نهب مواشيهم كلها إلى القليل أرادوا أن يجمعوا ما عندهم من المواشي كلها على راع واحد بشرط الإجارة فقالوا لهم لا تفعلوا ذلك بل إن بعضهم قال كل من بقي له شيء من المواشي فليتبعها ويرعاها وذلك أسرع لرجوعها إلى ما كانت عليه من الكثرة فأبوا عليه وقالوا والله لا نتعب نفوسنا من اتباع هذا القليل من الماشية ورعيها وجمعوها على راع واحد فلذلك قلت مواشيهم إلى الآن فصاروا كتورب الذين جل شغلهم بالحرث ولا يجدون اللبن إلا بالشراء.[525]

366 - أصل كل بوب عال وفروعه:

وقد قيل إن كل بوب عال الذي صارت بيوته يتناوبون ملك يرلاب الآن بعد جلب وفافاب كان لقبه جوسو غير جل بنيه هذا اللقب لغرابته في الفلاّن وصيروه به إلا قليلاً منهم فقد بقوا على لقبهم الأول ومنهم إفرا حفص والحسن كلل في سكت وسري جوب في ببرل.

525 - تعليق المؤلف: سبب صيرورة يرلاب جاير ويرلاب فت من تورب.

367 - ذرية صمب كل

ولصمب كل والد تكي الذي هو أول موجد ملك يرلاب منهم جملة أولاد ومنهم تكي صمب هذا ويطي صمب ودو صمب وملل صمب وير صمب وهارم صمب الذي منه إفرا حفص لأن هارم صمب هو والد سلي هارم والد صمب سلي [544] والد عال صمب الذي هو إفرا حفص ولهارم صمب أيضًا ولد يسمى هارم لأنه مات وتركه في البطن فلما ولد سمي باسم أبيه فقيل له هارم بن هارم وهو والد دمبى هارم والد هارم دمبى والد ير هارم والد سري ير الذي هو سري جوب في ببرل، ولهارم دمبى هذا أخ يسمى دد دمبى والد صمو دد والد عال صمب والد الحسن عال الذي هو الحسن بلل والكل من صمب كل بوب عال جوم جنك هو آك، والله تعالى أعلم، ومثلهم ير فلاّن في عدوند، أخبرني من أثق به أن فلاّنيًا من جوب عد من قرى تور أخبره بفيه أن أصل فلاّن جوب عد ولف ثم صاروا من فلاّن البادية أهل الماشية ونسوا لسانهم الولفي بل ليس لهم لسان اليوم إلا الفلاّني وهم من الفلاّن المعروفين في عد ولكن لم يغيروا لقبهم جوب إلى الآن، والله تعالى أعلم، وقيل إن أصل كل بوب رجل اسمه عال دي وهو رئيس يرلاب أليط من حين هجرتهم من المشرق إلى فوت وهو من دايب ماسن، ومن ولد عال دي بوب عال والد كل بوب والد صمب كل والد تكي صمب ودو صمب وهما شقيقان وهو والد يطي صمب وملل صمب وهما شقيقان أيضًا، إلخ، وتكي صمب والد هارم تكي ودو تكي ومن دو صمب المتقدم هذا كرهل تكي الذين في جنك ومن هارم تكي الذين في سكت ومن دو تكي هل تكي الذين في ببرل ومن يطي صمب هل يطي، ومن ولد كل بوب أيضًا مود كل والد كن مود الذي منه هل كن وهذا خبر حمد بلل الذي هو من هل كن ولكنه لما سألته عن ثبوت لقب جوب قال لي إن جل يرلاب كان لقبهم جوب لا أدري هل مراده بالجل أهل كل بوب عال دي كما زعم فقط أو غيرهم من يرلاب، ولكنه قال ذلك متغيرًا غضبان، والله تعالى أعلم.

368 - استدراك حول نسب قبيلة يرلاب

وقد قال لي أيضًا أن الفرقة بين قرى يرلاب حادثة في زمن هارم تكي لمرارته، وقد أخبرني حبيبي وصهري عثمان عال مثل ذلك وقال لي إن من أسباب الفرقة بين هارم تكي

ودو تكي ما قيل أن هارم تكي وشى رجلاً وقالناب يرلاب إلى ألمام يوسف والرجل كان خليلا لأخيه دو تكي وذلك أن الرجل التقط عجلة صغيرة فرباها حتى كبرت فلما علم بها هارم أراد أخذها وتملكها لنفسه أو يملكها لألمام يوسف فاشتكى الرجل ذلك إلى خليله دو تكي لعله يعينه على أخيه هارم تكي [545] فذهب دو تكي إلى أخيه وشفع للرجل خليله وقال له اتركها لأجلي ولو بقيمتها ندفعها لك فأبى ولم يقبل شفاعته وعزم على تبليغ الكلام لألمام يوسف فلما علم بذلك دو تكي أمر خليله أن يجمع سمنًا كثيرًا وأكباشًا سمانًا ليذهب معه إلى ألمام فجمع خليله ذلك فذهبا بالفور وسبقاه إلى ألمام وقبل لهما هديتهما وأجاز لهما الضالة الملتقطة فرجعا، فأتى هارم بعدهما إلى ألمام ولم يصغ إلى كلامه فرجع حزينًا إلا أنه لم يزل يظهر العداوة والبغض للرجل حتى ضاق عليه حاله فخرج مرتحلاً إلى ببرل وتبعه خليله دو تكي وهكذا انتشر من يرلاب كصو يرلاب الذي ارتحل إلى بيب وتبعه أهل كن وغير ذلك، والله تعالى أعلم، وهو الذي يضيف البياضين يرلاب إليه كما مر، ثم بعدما أخبرني حمد بلل بأن أصلهم من عال دي لقيت سارن عال جليا نسابة يرلاب فسألته عن ذرية عال دي في يرلاب فقال ذريته فافاب فقط لا غير فذكر لي نسله مسلسلاً إلى صمب إبرا مك وكنت أعرفه ذاتا فقال إن عال دي هو والد أليط عال والد جبد أليط والد برام جبد والد مك برام والد إبرا مك والد صمب إبرا، وأما بنو كل بوب عال والذي جاء ليرلاب منهم عال جوم جنك هو أك أي صاحب اليد المصنوعة وهو والد بوب عال والد كل بوب والد صمب كل وقد غير بنوه وبنو إخوته كلاً ألقابهم من جوب على به إلى ابنه هارم صمب كل وقد أبى عن تغيير لقبه واختار البقاء عليه فلقب بنيه كلاً إلى الآن جوب كما مر، والله تعالى أعلم.

369 - ذكر بعض القبائل التي لها علاقة بيرلاب

واعلم أن لكل بوب أولادًا كثيرًا منهم صمب كل المذكور وبوب كل ومود كل وبلل كل ولر كل وغيرهم، ومن أبناء صمب كل يطي صمب وتكي صمب ودو صمب وهارم وكان يقال لصمب كل صو جوب، قلت ومن كون والد عال دي اسمه أليط عال يمكن أن يكون يرلاب هؤلاء منسوبين إليه فقيل لهم يرلاب أليط لأجله أيضًا، والله تعالى أعلم، وفي يرلاب أليط قوم معروفون بباكناب ولقب كلهم وت وقيل أصلهم من باقن [546] وقد دخلوا في يرلاب حين مرت بهم هجرتهم من ماسينا ولم يفارقوهم إلى الآن فقد صاروا منهم، ومواليهم الذين

يلون أمرهم من يرلاب أيضًا دمب ولقبهم دم في سكت قبيلة وافرة ورؤساؤهم دميب سود مود ومعنى سود البيت ولقب الرئيس منهم إلمان دميب وينازعهم سود جنكر وهم يزعمون أن هؤلاء من جملة رعيتهم كغيرهم من دميب وأهل سود جنكر يدعون اتحاد نسبهم وهم ينكرون ذلك، قلت ولعل الحق مع أهل سود جنكر بكون نسبهم متحدًا فإن أهل الرياسة يحبون الانفراد والاختصاص بها وينفون من أراد شركتهم فيها غالبًا، والله تعالى أعلم. وفي يرلاب أليط قوم يسمون بجاوب ودم وأصلهم من قبيلة جه وكانوا يسكنون ودم وهو واد كبير في مرتن سري من قرى لاو وكان معهم باسب الذين لقبهم باسن بباء عجمي بين البدء والميم ويقال لباسب عمر ناب ولرئيسهم إلمان عمر لحرائث نيلية هنالك ولكن معنى عمر في كلامنا الفلاني السلحفاة البحرية ولعل حرائثهم النيلية كان يوجد فيها هذا الحيوان بعدما غاض السيل فنسبوا هم وحرائثهم تلك إلى هذا الحيوان، والله تعالى أعلم، وأرض جاوب في تخوم أرض باسب وهم المتحادون للأراضي وكان معهم سوسوب الحمر وهم سوسوب وطاب وأصلهم من حمد عال قط أل والد بوب حمد وكان بينه وبين جاوب ودم الأصليين الذين لقبهم جه رحم متشابك، وجاوب جبل وجاوب دند أصلهم واحد ولقب الكل جي وأصل الكل من رجل اسمه بن من أيرل ولكن جاوب ودم كلهم [547] ارتحلوا إلى المغرب وسكنوا هنالك وبقي في أراضيهم ذوو أرحامهم سوسوب طياب ثم خافوا من نزع يرلاي أرض جاوب ودم من أيديهم ويصيرونها من بيت المال فأتوا بصمب لربود لركل فزوجوه ببنتهم حو تكي فولدت له وال حو الذي هو وال صمب لر بوب وأعطوه الكثير من أرضهم أيضًا، وكان صمب لر هذا من عصبة قوية كانوا في أنفسهم أقوياء وهم كثيرون أيضًا وقد من الله تعالى عليهم بالقبول والفصاحة والنجابة وهم أهل كل بوب عال فحمى أرضهم من ظلم يرلاب، وقد وقع جوع أيضًا في فوت في بعض السنين فانجلى الناس عن مساكنهم إلى الأماكن التي فيها الزرع خارج فوت ولم يبق في فوت إلى الأغنياء جدًا وهم قليلون ومنهم وال صمب لر فهو من جملة الباقين لكثرة ماشيته، فلما أخصب الزمان رجع جل الناس إلى مساكنهم عاجلاً إلى سوسوب جاوب ودم فتأخروا جدًا عن الرجوع فأراد يرلاب أيضًا أن يقسموا أرضهم ففداها منهم وال صمب لر فأعطاهم ما أرضاهم به من المال فلما رجع سوسوب جاوب ودم أعطوه قطعة كبيرة من أرضهم النيلية أيضًا ولكن الزكاة لسوسوب جاوب ودم من ذلك إلى الآن، واعلم أن نسب صمب لر بوب يتصل بلركل بوب عال وبنو لركل هؤلاء من جملة الذين غيروا

لقبهم من جوب إلى به كما مر، ومن العجب أن ذريته الآن في جاوب ودم أهل سكينة ووقار وخشية ومسكنة وتواضع وقد يوصفون بالبلاهة عكس غيرهم من بني أعمامهم الآخرين، والله تعالى أعلم بخلقه وهو المختص بعلم غيبه في كنه حقه، ثم اعلم إن من أخوة لر بوب حمات بوب وصبود بوب وعلايج بوب ومنهم باباب من أهل كل بوب عال في أوك وفي سكت موضع ينسب إلى علايج.

370 - ذكر ذرية علايج

[548] ويقال بارل علايج وهو هذا، والله تعالى أعلم، وأما علايج فهو والد بلل إلايج والد عال بلل وصمب بلل، وأما عال بلل فهو والد محمود عال وصمب عال، وأما محمود عال فهو والد حمد محمود وصمب محمود، وأما أحمد محمود فهو والد أخمد حمد، وأما صمب محمود فهو والد كاسم صمب وسري صمب، وأما كاسم فهو والد محمد كاسم وصمب كاسم، وأما سري صمب فهو والد كاسم سري وممد سري وآدم سري وأحمد سري، وأما صمب عال فذريته الإناث، وأما صمب بلل إلايج فهو والد دو صمب والد صو دمب والد يحيى صمب ومود صمب الذي أخبرنا بنسبهم هذا وهم من أهل أوك في دمك، وأما صبود بوب فهو والد أحمد صبود والد مود أحمد والد بيلي مود والد دمب بيلي ومود بيلي وهم من أهل أوك أيضًا، وأما حمات بوب فهو والد ببكر حمات والد صبود ببكر والد الحسن صبود في أوك، والله تعالى أعلم، واعلم أن النسابين من يرلاب بعضهم يقول لر بود وبعضهم يقول لر كل، فقلت ولعل له اسمان ويكون بود هذا ابنا للر كل ثم سمى بوب ابنه باسم أبيه لر فقيل لر بوب لر كل، والله تعالى أعلم.

371 - نسب سوسوب جاوب ودم

وقد تقدم من نسب سوسوب جاوب ودم بأنهم من حمد عال قط أل والد بوب حمد والد حمات بوب وتكي بوب ودمب بوب وير بوب وحيمل بوب، وأما حمات بوب فهو والد ينجم حمات والد صمب ينجم والد ير صمب والد مك ير الذي هو مك أست تلميذنا السكتي، وأما دمب بوب فقد انقرض عقبه، وأما ير بوب فهو والد إفرا ير وجاي ير، وأما إفرا ير فقد مات ولم يعقب، وأما جاي ير فهو والد عال جاي والد سار عال الذي هو رئيسهم الآن، وأما

حيمل بوب فلم يعقب، وأما تكي بوب فهو والد عال تكي وصو تكي، وأما عال فهو والد مك عال والد صمب مك والد عثمان صمب المعروف بعثمان نف أي عثمان الآذان لكبر أذنيه، وأما حو تكي فهي والدة وال حو الذي هو وال صمب كما تقدم [549] وهو والد حمد وال وأحمد وال ودمب وال، وأما حمد وال فهو والد إفرا حمد ودمب حمد وغيرهما، وأما أحمد وال فهو والد الحسن أحمد وسلي أحمد وساج أحمد وحو أحمد وميرم احمد، وأما ساج أحمد فهو والد حلي ساج وزينب ساج، وأما حو أحمد فهي والدة حمات حو وصمب حو اللذان هما حمات در وصمب در وغيرهما من إخوتهما، وأما ميرم أحمد فهي والدة حب ميرم وكجت ميرم زوجة سارن عبد في سلب، وأما دمب وال فهو والد آمنة دمب وكات دمب، وأما آمنه دمب فهي والدة حلي ساج وزينب ساج المذكورتين آنفًا، وأما قات دمب فلم يعقب إلا الإناث، وأما محمود وال فعقبه الإناث أيضًا، ثم اعلم أن لوال صمب لر أخوين أحدهما ير صمب والآخر أحمد صمب، وأما ير صمب فهو والد رحمة ير والدة أم رحمة والدة عثمان أم المعروف بعثمان نف المتقدم ذكره آنفًا، وأما أحمد صمب فهو والد محمد أحمد والد إفرا محمد ورحمة ممد والدة محمد سيد مريدنا، وأما إفرا ممد فليس له عقب يذكر، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن سوسوب جاوب ودم فخذان أحدهما سوسوب وطايب أي الحمر وهم من بوب حمد عال قط أل وهم ملوك أرضهم الآن وقد مر ذكرهم مشوفي، والآخر من يقال لهم سوسوب بلايب أي السود وهم من هاو حمد عال قط أل وهي أمهم، وخليلنا سارن عال جليا منهم ولا أعرف لهم خبرًا غير هو هذا، والله تعالى أعلم. وقد جاء سارن عمر باس ووجد جاوب ودم فيها وسكن معهم يكتسب الأراضي للحراثة ثم ارتحل الجميع من ودم لأذى البياضين على سنكال فكانوا يسكنون جار كل ويشرفون في تلل جتك إلى أن وقعت الفتنة والخلاف بينهم وبين جاوب ودم بسبب الأراضي الحراثية فنصر يرلاب لجاوب ودم على باسب فارتحلوا مغتاظين إلى جب إلمان في جب جمم جم وهي شجرة التمر الهندي وجب إلمان موضع بين ولي وعبدل فسكنوا هنالك على زمن ألمام بران فرحلهم ألمام عبدل وأمرهم أن يسكنوا فيها معه طمعًا في الانتفاع [550] بأراضيهم لكثرتها وكان عبدهم هو الجابي لأراضيهم ويلقبونه بفتمك وواحد من عبيدهم الأصليين الآن في جار كل وهو فالمف درمان والآخر منهم في عبدل أيضًا ولقبه فالمف وقد نسي المخبر اسمه، والذين يملكون إلمان عمر دمبب وجاجاب الذين في جار كل وكذا جاجاب الذين في عبدل (...) ولا يملكون إلا الكبير

سنًا من باسب، ومن أراضي جاوب ودم سل جل وبابي ووين ولهم أرض فود تسمى تسان وكلها في مرتن وأنتي لهم في سنگال (...) جكر أو فود ورئيس سوسوب وطاب تيوم سارن عال جاي، والله تعالى أعلم، واعلم أن فالمفهم هذا أصله من أَمَة مُعْتَقَة لسايرن عمر باس هي أم (...) فالمفهم كما قيل، والله تعالى أعلم.

372 – أصل جبلناب من سوتم جاو

وفي يرلاب آليط أيضًا قوم يسكنون بجاوب كبل ويقال لهم جبلناب وأصلهم من سوتم جاي والد ماق سوتم ودمب سوتم ويقال له أيضًا يكا ين ويسمى أيضًا هند سوتم، وأما ماق سوتم فهو والد دند ماق ومنه جاوب دند في واستاك، وكان سوتم جاو يسكن في سلا فأتت إليهم نسوة من الفلاّن بابلطوت مستضيفات فذبح لهن دمب سوتم الذي هو يكا ين بقرة سمينة عقيمة من بقر والده سوتم فوبخه أبوه ولامه على ذلك جدًا، فلما رجعت النسوة تبعهن يكا إلى قريتهن باباب وصار يرعى بقر تلك القرية بالأجرة وكان باباب قد قتلوا ولد ستك واستهانهم ستك بغصب أملاكهم بعدما قتل منهم كثيرًا، وبينما يكا يرعى لهم البقر في آخر الصيف إذ قال لهم دعوني أرحل بالبقر إلى الكراء البعيدة فقد مطرت ونبت عشبها فأنكروا عليه ذلك وأبوا عنه وكان يملأ وعاءه ماء ويصب في موضع يفعل ذلك كل يوم إلى أن نبت فقلعه وجعل عشبه في وعائه وأتى به إلى ملأ من أهل باباب فذكر لهم نبات العشب في الصحراء القفرة البعيدة وأنه يستأذنهم في الرحيل بالماشية إليها فأنكروا عليه قوله فأخرج لهم العشب الذي في وعائه فصدقوه [551] فأمروه بالارتحال بالبقر إلى تلك الصحراء فارتحل وذهب إلى ستك وأعطاه البقر كلها وطلب منه أن يملكه ما كان يملكه أرط باباب فملكه ستك ذلك وقال إنه يخاف على نفسه منهم فأرسل معه وزراءها ليقوي ملكه فلما وصلوا قلعوا له من حرائثهم ملاط حرائثًا منها كلكل تسمى بيم ومنها كادات ومنها يل ومنها هورفود ومنها جارند ومنها مت وكان أصلها كلها في ملك باباب كما قيل، والله تعالى أعلم، وهذا هو السبب في سكنى بني يكا في لاو وبقي في سلا أولاد دند ماق سوتم جاو وهم معروفون هنالك بجاوب دند.

373 – بنو يكا أو جاوب جنل: أصل تسميتهم ونسبهم وما يحكى عنهم

وأما بنو يكا فهم معروفون بجاوب جنل وقيل إن جنلناب الذين في عد أصلهم من الذين في لاو ومنها أخرجوا إلى عد فتلقبوا به وقيل الذين في لاو هم الذين غيروا لقبهم من به إلى جه وقيل لأنهم وجدوا جاوب ساكنين في لبد جنل فقاتلوهم وطردوهم وتملكوا أملاكهم وتلقبوا بلقبهم جه ولكن أصل لقبهم أولاً به وتسمى حرائثهم هنالك إلى الآن ببار جاوب كما قيل، ولكن الظن أن أصل لقبهم جه وأن الذين غيروا اللقب إلى به هم الذين في عد بدليل اتحاد لقب جاوب دند وجاوب جنل الذين في لاو وهو جه فقط لا غير، والله تعالى أعلم. واعلم أن دمب سوتم الذي هو يكا هو والد بوب دمب وجار دمب والد دمب جار والد سبل دو جار وملل دو جار وهبر دو جار ومن هؤلاء أهل جنل في لاو، ودو جار هذا هو والد دب دمب والد كمبال دمب والد دمب كمبال وسو كمبال وير كمبال وكطي كمبال، وأما دمب كمبال فهو والد جم دمب والد دمب جم وعبدل جم ومالك جم، وأما دمب جم فهو والد جب دمب وحمد دمب، وأما جب دمب فهو والد عال جب المخبر وسعد جب وفاتم جب زوجة هارون در في سكت، وأما حمد دمب فقد مات وترك بنتًا واحدة، وأما عبدل جم فهو والد جب عبدل وأحمد عبدل، وأما جب عبدل فهو والد صمب جب وير جب والحسن جب وهم في سقل يرلاب، وأما أحمد عبدل فهو والد محمد أحمد وصمب أحمد وصمب أحمد الآخر وكلهم في قيد الحياة في يرلاب، وأما مالك جم فلم يعقب، وأما كطي كمبال فهو والد صمب كطي والد إلمان صمب وحمد صمب، وأما إلمان [552] فهو والد أحمد إلمان وحمات إلمان في سكت، وأما حمد صمب فهو والد صمب حمد المشهور بورك الساكن الآن في مرتن في كرلل ومعنى أورك البقرة السارحة، وأما ير كمبال فهو والد صمب ير والد هارون صمب والد عمر هارون شاب الآن في قيد الحياة في يرلاب، وكان ير كمبال هذا في غاية الشجاعة والبسالة ومن ذلك أن جيشًا من أهل فوت غزا وال برك وغنموا منهم أناسًا واسترقوهم وقيل إن منهم الكثير من عبيد يرلاب كأهل ير ماكل وغيرهم وكان يرلاب حينئذٍ ساكنين في مرتن وكان من عبيد وال برك هؤلاء عبد من زوجته وأولاده وقد استأمن منه الناس لكونه مع عياله وأهله فتركوه مع السلاح آمنين منه، فبينما هم معه كذلك إذ هرب العبد الولفي ودخلوا في سفينة من مرتن إلى سنكال ومع العبد مدفع وسيف ورمح والناس ينظرون إليهم وهابوا منهم فوقع ير كمبال

في الماء يعوم نحو السفينة فنهاه العبد عن القرب منه وأنذره معلنًا فلم يلتفت إلى تخويفه ولم يبال به وما زال يعوم نحو السفينة ونيته أخذها وردها فضربه العبد بعمارة المدفع فأخطأه ثم رماه بالرمح فأخطأه أيضًا ثم لما قرب من السفينة ضربه العبد بالسيف فأخطأه أيضًا وسقط السيف من يده فأخذه ير كمبال وأخذ السفينة يقودها إلى أن ردها إلى مرساها وهذا في زمن ملك هارم تقي ليرلاب فقال إن هذا السلاح قد صار لبيت المال وصاحبه الآن أنا فأبى عليه أهل يطي لأنهم أخوال ير كمبال فقالوا هذا السلاح لابن أختهم ير كمبال لا غير، فتخاصموا عند ألمام فوت حينئذٍ وكان في جاب، قلت ولعله ألمام يوسف لا غير، فحكم ذلك الإمام بأن السلاح لير كمبال فقط لا غير، وقيل إن كمبال والدهم هذا هو الذي أتى يرلاب وتزوج بمل يطي فولدت له دمب [553] مل وير مل وسو مل وكلي مل الذين هم دمب كمبال وير كمبال وسو كمبال وكطي كمبال المار ذكرهم آنفًا، وسكن كمبال مع يرلاب حينئذٍ في مرتن إلى أن مات في مرتن قبل قطع يرلاب النيل إلى سنكال، فلما ارتحل يرلاب من مرتن وقطعوا النيل إلى سنكال ارتحل معهم سو كمبال فسكنوا معهم إلى الآن، وفتنة ير كمبال وهارم تكي هذه هي أول فتنة وقعت بين بني كمبال وبين بني تكي، وقد وقعت المخالفة أيضًا بين أرط كجار من بني تكي وبين أرط عمر من بني كمبال فما زالا متخالفين إلى أن ماتا، وقد نشأت الآن مخالفة شديدة ومنافرة بين أحمد عثمان من بني تقي وبين صمب عبد الله من بني كمبال فلا يجمعهما الآن مجلس إلا اختلفا وتشاتما وكادا أن يتواثبا، والله تعالى أعلم.

374 – ذكر فروع قوم دبناب وذكر ذرية سو كمبال

واعلم أن ناحية مسكنهم من سكت يقال لها لايكل جاجاب وقد سكن معهم في تلك الناحية قوم من جاجاب أيضًا يقال لهم دبناب ومنهم مود سيد وير مود والد جب ير ودمب ير ومنهم أيضًا ير بيد سه وأخوه فات بيد وكذا منهم والدة مريدنا عثمان عال أست أحمد، ويقال جاوب دبناب وأصلهم من سفت يط والدة وور سفت والدة الحسن وور وببكر وور ومود وور ووهاب وور، وأما الحسن وور فمنه بعض جاجاب في جار كل، وأما ببكر وور فهو والد أحمد ببكر وسعيد ببكر، وأما أحمد ببكر فهو والد أست أحمد وقه أحمد، وأما أست فهي والدة مود أست وصمب أست ومريدنا المحب عثمان عال وكان يقال له بنب أست أيضًا، وأما قه أحمد فهي والدة دبال قط والدة صمب دوبال ومنهن أيضًا وور أحمد والدة

فاتم وور، وأما سعيد ببكر فهو والد مود سعيد وإخوته في سكت، وأما مود وور فهو والد ير مود وبيد مود، وأما ير مود فقد ذكرنا الآن بعض ذريته، وأما بيد مود فهو والد ير بيد والد مريدنا دمب ير (...)، وأما وهاب وور فهو والد ممد وهاب وعال وهاب، وأما ممد وهاب فهو والد طيب ممد و(...) ممد، وأما عال وهاب فهو والد صمب عال وهاب وإخوته في سكت، والله تعالى أعلم. وقيل إن سوتم جاو وهو والد هند سوتم والد بوب هند والد دمب بوب والد كمبال دمب الذي منه جنلناب الذين في يرلاب، قلت ولعل هند سوتم هو دمب سوتم الذي هو يكا ين، وقد اتفق جنلناب بأن أصلهم من يكا هذا، والله تعالى أعلم، وقد كان بقي علينا ذكر من تفرع من سو كمبال ونقول إن سو هذا هو والد أحمد سو وعبدل سو، وأما أحمد سو فهو والد در أحمد والد صمب در وحمات در وعثمان در وهارون در وكلهم الآن صاروا في كنقل مرتن إلا حمات فهو في قرية فوق قرية مقام وقربها تسمى كرل هاير، ودر أحمد أعرف له أخوين أحدهما [554] عمر أحمد وكان يسمى أرط عمر ولعله لم يبق من عقبه إلا الإناث، والآخر عبد الله أحمد ومن أولاده صمب عبد الله وهو في سكت الآن وموسى عبد الله وهو في قرية مقام الآن، وأما عبدل سو فهو والد جال عبدل وموسى عبدل وير عبدل، وأما موسى فلم يعقب، وأما جال فأولاده الآن في المغرب، وأما ير فهو في بت إلى الآن وبت بباء عجمي بين الباء والميم قرية بين سلل وفود إلمان في لاو، ثم أن كمبال دمب اسم أمه بول وهو شهير بأمه ويقال له كمبال بول وله أخوان أحدهما ألفال بول والآخر ناير بول وهما في جاوب ويقال بر يرل الآن ور ألفال وكذا في لاو أيضًا ور ألفال وكلهم منه، والله تعالى أعلم. ومن ولد سوتم الذي هو أصلهم ماق سوتم الذي منه جاوب دند الذين في واستاك لأن ماق والد دند ماق الذي يضافون إليه ويلقب رئيسهم بستك ولهم هنالك حرائث نيلية وهم أول من سكن سلا وهم الذين وجدهم فيها ليدب ومع جاوب دند حينئذٍ مابب وكبيرهم يسمى قي ماب وهم الذين صاروا الآن في فت وجاوب دند هم الذين أعطوا ليدب ما وراء الوادي من الأراضي ويقال لذلك الوادي سانكل منكل مخرجه من النيل بين دب وباج إلى حذو فود إلمان في جهة مرتن فإن الوادي يخرج من النيل جهة مرتن حذو فود إلمان يلتقي مع ذلك الوادي الكبير عند كلكل جالوا في مرتن أيضًا، قلت ولعل ذلك مع ما وجدوا من حرائث جانكوب بعد ارتحال عن مرتن إلى سنكال...[526]

526 – انقطاع في سياق المخطوط مما أدى إلى غموض في رواية الأحداث.

[555] فسقطت على الأرض وصاحت فأتت الناس فأخبرهم المجروح بالخبر قبل موته ولذا لما مات وذهب بها الناس إلى سايفد كنتن يرلاب وهبياب السيد حامد كن سأل جيرانها عن ثلاثة أشياء هل للزوج امرأة أخرى غيرها فقالوا لا ثم قال هل له مخطوبة أم لا فقالوا لا ثم قال هل كانت بينهما فتنة فقالوا لا وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فقال لهم حامد كن إن هذا من قضاء الله القدر ولكن لا بد أن نرسلها إلى كماندن فدور فذهبت المرأة مع الشهود إلى كماندن فسألهم كما سألهم حامد كن فأجابوا بما أجابوه به وقال لهم كما قال لهم حامد كن وأمرهم بالرجوع إلى مسكنهم، وقعت هاتان القضيتان في هذا العام 1923 من الميلاد.[527] وفي حكومة يرلاب أليط أيضًا سبل ولي وكذا من حكومتهم أيضًا جار كل ولقب رئيسهم دنك، قلت ولعل مسكنهم الأول عند جبل في مرتن قرب سلا يسمى فد جور وما زالوا ينسبون إلى فد جور ويعرفون به إلى الآن. وكان الملوك لا يأخذون من مال دنكوب فد جور شيئًا خوفًا من حِكَمِهِمْ وأَسْرَارِهِم حتى أنهم لا يأخذون منهم العلاليف (أي الأعلاف) للخيل وكانوا متى أخذ ملك صاعًا من زرعهم وأطعمه لفرسه يمت الفرس وينعزل الملك كما قيل، والله تعالى أعلم، وأصل هؤلاء دنقوب من بند من قرية هجاير وعنها ارتحل جدهم سسك إلى فوت وانتشر بعض ذريته فيها ومنهم من في سايلل دنقوب وسنسن قرب ومنهم من في ناير ومنهم من في جارقل وغلب [556] عليهم لفظ فد جور لسكناهم فيه أولاً وجدهم سسك هو والد دمب بسق والد مود دمب والد سي مود وهمد مود، وأما سي فهو والد در سي والد بوب در والد ألجما بوب والد أحمد ألجما والد عبدل أحمد وباب أحمد، وأما عبدل فهو والد خاليد عبدل في جارقل الآن، وأما باب فهو والد حمات باب في جارقل، وأما همد مود فهو والد بوب همد والد همد بوب والد صمب همد والد يسوف صمب ودر صمب، وأما يوسف فهو والد عبد الله يوسف والد عثمان عبد الله والد إلمان سري والد ممد إلمان سري الحي الآن في جارقل، وأما در صمب فهو والد سيد در والد حمات سيد والد سري حمات والد جبريل سري المعروف بمود هلي الحي الآن في جارقل وقد بقي بعض من دنقوب في جارقل ولم يعرف المخبر سردهم، والله تعالى أعلم، قلت وأنا أظن أن أصل دنقوب

527 - يوافق 1342 هـ. عام 1923م.

ولف لا غير لأن لفظ دنك لا يعرف معناه في اللغة الفلاّنية ولكن يعرف معناه في اللغة الولفية ومعناه فيها التلميذ المتعلم ولعلهم سبقوا إلى طلب العلم ورضوا بتلقبهم بطالب العلم، والله تعالى أعلم.

376 - أقسام يرلاب أليط

واعلم أن بيوت يرلاب أليط أي أقسامهم ثمانية وهي هل تكي وهل يطي وهل كن وصيبوب الذين لقبهم سه ولقب رئيسهم كملنك وجلب وفافاب الذين منهم عثمان عال وسنكتياب الذين منهم صمب عال ومود كرج وحمد سعد جب ودمبب وهؤلاء القبائل الآن أي جلب وفافاب وساكتياب (...) هم الملكون لأرط كرل الآن، وأما فد جور فأمهاتهم من يرلاب أليط وهم من ذوي أرحامهم لا غير وقد جعلهم إسفكتار السيد صمب (...) يعد من بيوت يرلاب فات الذي وفق للصواب، وفي الحديث أن ابن أخت القوم منهم، واعلم أن سنكتياب بيتين أي قسمين بيت بلايج وبين أوايد والأول أكثر تعلمًا للعلم الإسلامي والثاني فيهم الجزاء وهو معرفة الحيوان بالتوسم وينسب إلى سنكتياب أهل اللقب أن وجاوب ودم لأنهما من أبناء أخواتهم وينسب إلى فافاب أهل اللقب سه في جاركل وأهل اللقب جه بضم الجيم في جاركل أيضًا وأهل اللقب سام والأخير ينسبون إليهم بالولاء وهم جاكرفايب ويقال لهم هل سوك وكذا ينسب إليهم أيضًا ساوساوب أي أهل اللقب ساو أي يعدون منهم، وأما أهل تكي فينسب إليهم فللناب الذين يقال لهم من باكلناب ومنهم دمب جاك سلدات، وأما أهل كن فينسب إليهم باقناب ويضم معهم جاوب بمب الذين في بيب، وأما صو يرلاب فإنه من فافاب (...) أول من عمر بيب صو ير لفتنة بينه وبين هارم تكي، وأما صيبوب الذين لقبهم سه ولقب رئيسهم كملنك فينسب إليهم سكتناب بالوادي، وأما هل يطي فيقال هل يطي كرل وهل يطي دول ومعنى كرل العصبة ومعنى دول ذوو الأرحام ومنهم جاوب جبل وجاوب دبناب وجاوب دند الذين منهم بلي عبدل وممد دمب أمنة وينسب ألوند أيضًا إلى سنكتياب أيضًا جايب جد الكل وقد صاروا الآن في (...)، والله تعالى أعلم. وأما يرلاب فت فإنهم لما قطعوا النيل سكنوا في ملك جوم جلب ولعل ليدب اجتمعوا بهم قبل ارتحالهم عن مرتن وهم كانوا أئمة في مساجدهم ويقال لكبيرهم إلمان فت ثم صار ملكها في أيديهم لما جاء ملك تورب في زمن ألمام عبدل، والله تعالى أعلم.

377 - قوم آنآنب فت وأصلهم

وكذلك آنآنب فت وجدوهم هنالك فإن أصلهم صو آن وهو الذي جاء من كماج إلى سلا وبقيتهم في كماج إلى الآن، وكانت له سفينة يستأجر بها إلى أن أتى سلا وهي فت مرتن فترحب به إلمان فت وأمره أن يمكث في واديهم الكبير الذي خرج بين دب وباج ويقطع الناس على سفينته بالأجرة فأعطاه إلمان حرثين حرثًا دون الوادي وحرثًا وراءه ليقطع له [557] أهله وعياله الوادي بسفينته بلا كراء إن أرادوا العبور ويستأجر مع غيرهم فقبل ومكث على ذلك زمنًا وإن أتاه أحد من غير أهل إلمان فت يأخذ منه الكراء وإن لم يكن عنده شيئًا يعمل له في حرثه حتى يرضى فيقطع به الوادي، وصار كل من أتاه من غير عيال إلمان يطلب العبور يقول له قَهَرَ آلَّ ما قمر سَسُلْ أي لله تعلى، وَتَجَسُلْ وهي المقلب من محروث الأرض طولاً مرتفعًا كَرُبَيْوَةَ (تصغير ربوة) وهكذا شأنه إلى أن زوجه إلمان فت امرأة غير عاقلة أو بائرة من قبيلته فرزق منها برم صمب وبرس صمب وفدمل صمب، ومن فدمل هذا أسلي عمر بلي لأنه والد قات فدمل والد صمب فات والد راسن صمب والد بلي راسن وير راسن، وأما بلي فهو والد عمر بلي والد سلي عمر والد ممد سلي وإسماعيل سلي. وأما ير راسن فهو والد صو ير والد الحسين صمب والد عمر الحسين والد ساد عمر وسيد عمر وكان ساد هذا تلميذ الابن (...). وكل أهل فت يسمون والدهم صو آن هذا إذا فاتنوهم وشاتموهم بصو لان أي صمب السفينة، وقيل إن عمر بلي ارتفع قدره جدًّا في زمن آلمام عبدل بواسطة عال دند وكان ينوه بشأنه عند آلمام حتى صار يقدمه على جيش فت لظهور شجاعته وقوة نجدته ثم ما زال أمره ينمو إلى أن صار إلى ما صار لكونه يعد من أكابر جاكرط وكذا أمر أبنائه حتى صاروا رؤساء فت وراثة له ولذلك بنو عمر بلي لا يغزون بوسياب في غزواتهم لإبرا آلمام إلى يوم جورود، ثم حضر ممد سلي في لايكل فقتل فيها يومئذٍ، والله تعالى أعلم.

378 - قوم آوآوب فت وأصل لقبهم

وفي فت أيضًا آوآوب أي الذين لقبهم آو وقيل أصلهم من عل آو والد دمب عل والد عال دمب وصو دمب ويسمى صو آو والد عبد الرحمن صمب والد محمد عبد الرحمن الذي في فت الآن، ومن عال دمب آلفا محمد في واللد، وأهل مدين جاجب من صو آو أيضًا أهل

آجم سول وتلل سل، ومن ولد عل آو أيضًا جاك عل وقيل إنه مولى جاج مترجم بود حين كان ماتم، وأما غير هؤلاء من آنآنب فت فقد حذفنا ذكرهم اختصارًا [558] لهم لا من أنفسهم، ومن ذريته أهل جاب وهارلو وسالاو وأهل قد ومنهم صمب جما الذي في كد، وقيل إن صو آو أول من قطع البحر من يرلاب إلى فت فوجدوه يحفر خندقًا حول حصنه فقالوا: هُنْ كَاوْ ثَرْ طَطُرَأُهُ ومعناه أراد إخراج تراب الحفرة من داخلها، فلقب لأجل ذلك آک وقيل له: صو آک ولكنهم لا يملكون في فَتُ أحدًا ومنهم دار في مدين جاجب وهي التي في واللد، وأهل آو هم رؤساء سالاو جاو تر وإلمانْ يَتَنا وبان ملك سالاو، وزعم المخبر بأن لقب كليهما آک، وفي قرية كدنا جِبَّةٌ هم رؤساء سكانها ويلقب رئيسهم فيها إلفك، وقيل إن اللقب آو أصله بر وكان أهله من أهل الماشية وفلاَّن البادية فأسلمت طائفة منهم وصاروا يتعلمون العلوم الإسلامية ولكنهم ما زالوا مع إخوانهم الآخرين في البادية على رعي الماشية ثم وقعت فتنة بينهم وبين إخوانهم برناب الذين ما دخلوا في الإسلام كدخولهم واقتتلوا وكانت الغلبة للكافرين على برناب المسلمين وصاروا يطردونهم ويقتلونهم ذريعًا وكان المطرود إذا لحقه طارده الكافر يقول له آوم أي أبقني لأكون بذرًا وأكثر المطرودون من هذه الكلمة فقال الطاردون كاوياب أي أبقوهم ليكونوا بذرًا فتركوهم فجرى ذلك لقبًا لهم خاصة دون إخوانهم برناب فصاروا يضحكون منهم إذا تلاقوا فيقولون لهم آو أي أبذر، فارتحلوا عن أهل البادية فسكنوا في المدن وصار لهم آو لقبًا لازمًا غالبًا على بر، ثم إنهم دعوا على إخوانهم برناب بالقلة فقلوا إلى يومنا هذا فلا ترى لهم في فوت تور قرية هم مجتمعون كثيرون فيها بل هم شرذمة قليلة متفرقة في البوادي والمدن وذلك هو سبب صيرورة آوآوب من تور ثم صارت الممازحة بينهم (...) [559] وأن أهل آو لا يطلبون عند أهل بر شيئًا إلى وأعطوهم ذلك ويرون أن ردهم بلا مطلوبهم شر لهم وأنهم أي برناب في هذه الممازحة رؤساء آو وجاوب وسادات لهم وأن أهل آو مستسلمون لهم بذلك لا ينكرون رياستهم عليهم وقيل بين كليهما أي أهل آو وأهل بر سوسوب أي أهل سه ممازحة ومواصلة قديمة والأصل في ذلك أن رؤساء اثنان أوررب ووطاب ولقب أوررب كلهم به وجل تابع لهم كالأخ الصغير لهم ولقب وطاب كلهم سه وبر تابع لهم كالأخ الصغير لهم، وقد علمت أن أصل آو بر، والله تعالى أعلم.

وقد مر في تاريخ بند أن في فت واحدًا من ألمامات فوت اسمه ألمام أحمد من قبيلة سه وله ولد يسمى حمات ألمام يدعي أن أصل لقبهم ون وهو ألمام أحمد حمات صو سيل وقد استخلف ألمام أحمد هذا بعدما رجع ألمام ممد البمبي من عند الشيخ عمر فلما رجع مكث في الإمامة سنة ثم عزل وجعل مكانه ألمام أحمد هذا ثانيًا في فت ومكث فيها ثلاثة أشهر أو أربعة ثم عزل واستخلف ألمام راسن في مدين جاجب وكان ألمام أحمد قد ولي أمر فوت قبل هذه المرة في وسط الخريف وقد مكث فيها إلى أوان الشتاء ثم خلع وتعطلت فوت تور عن الإمام ذلك الصيف كله وفي أول الخريف استخلف ألمام راسن في مدين أول خلافته أيضًا، والله تعالى أعلم، وقد لقيت واحدًا من عشيرته يقال له الحاج إسماعيل فقال لي إن أصلهم من حمت فات سوي جاسا والد برسن حمت والد مود برسن وهو القاتل للنفس وأول من لقب بسه منهم وهو والد سوي مود [560] والد سليمان سوي ومالك سوي، وأما سليمان فهو والد صمب سليمان وهو صو سيل وهو والد حمات صمب والد ألمام أحمد حمات والد حمات أحمد وقد مات وترك أولادًا ذكورًا في فت، وأما مالك سوي فهو والد دمب مالك والد إلمان حمات دمب والد بوكر إلمان والد محمود بوكر والد الحاج إسماعيل محمود وأب محمود وأحمد مختار محمود وكلهم في فت اليوم، وسبب صيرورتهم في فت وهي سلا وسكناهم فيها أن مود برس رأى ابن ستك آجم كد مستلقيًا على رجلي أجنبية غير مستحيين فتأفف منهما فلما أحس بذلك ابن ستك قام إليه يريده بسوء فقتله مود برس وهرب إلى قرية أهله ونون في مرتن فقالوا له نحن لا نقدر أن نجيرك من ستك، فتجاوز إلى خاله سارن سف في هاير وكان خليلاً لستك فأخفاه خاله حتى جاء ستك يطلب ثار ابنه فسأله عن قاتل ابني فقال ما رأيته (فاستحلفه) ستك فحلف بأنه لم يكن عنده إلا أولاده أو أولاد أولاده وكان مود برس بن بنته فرجع عنه ستك ثم بعد ذلك رجع مود برس إلى ونون ثم مات سارن ونونب فصار مود برس أكبر من بقي بعده سنًا فطلب أن يكون سارن ونونب، فأبى عليه ذلك بعض أبناء عمه وكان يليه في السن فذهبا إلى ستك يتنازعان أيهما يلي الأمر فخلف ستك مود برس فقال له خصيمه إن ملكته فهو الذي قتل ولدك أولاً فعزله ستك وملك خصيمه وقال الآن سكت غضبي في قتل ابني لَطُول ولكن لا أوليك أمرًا فرجعا إلى ونون، فارتحل منها مود برس

مهاجرًا متوجهًا نحو المشرق حتى وصل إلى سلا فأخذه إلمان فت وكان من ليد آجم وطلب منه أن يسكن معه وأن لا يتجاوز عنهم فقبل على أن يعطيه وطاب السيادة [561] فسأله إلمان فت ما الذي يكون لسايرن ونونب ويختص به فقال له ملك حرائث كلكل هناك وإمامة المسجد والقص وصيعان الفطور، فقال له ذلك كله عندنا إلا التلقيب بإلمان فت خاصة فلك حرائث كلكل تسمى كرلان في مرتن ولك إمامة مسجدنا ولك القص والفطور، فسكن معهم على ذلك وهذه الوظائف [562] إلى الآن في ذريته فلما وجد ذلك وعزم على السكنى في سلا زاد في هجران قومه فغير لقبه ون وأمر لا يلقب إلا بسه لقب أمه وهي بنت سارن سف الذي في هاير من سيسيب. ثم إن برلاب فت ما زالوا في ظهور إلى ملكوا بك ولك وغيرها ممن حولهم من القرى والأمم وجوم لك سنذكر نسبه في تاريخ وطاب إن شاء الله.

380 - القبائل التي تقطن بك وبعض أخبارهم

وابتداء ملكه للأراضي من وطسن وهو روض بين فت ولك إلى مصيف لك ويقال له سايد لك ولا يملك من الجهة الفوقانية البرية شيئًا، وأما جوم جلب بك فإنه ينتسب إلى سوط جاج والد رانم سوط والد صمب رانم والد بمب صمب والد عال بمب والد هارم عال والد همات هارم والد صو همات والد أحمد صمب والد محمد أحمد، ولسوط هذا أولاد غيره وهم جم سوط وبوب سوط وفات سوط، ومن أولاد جم سوط جوم باب والد جوم سري باب، ومن أولاد فات سوط جوم دود بمعنى الرماح في كلامنا. وفي بك ثلاث قبائل قبيلة سيبوب وهم الذين يملكون الرقاب وهم من قبيلة جل وقبيلة كرناب وقبيلة فريب وهم ينتسبون إلى فريب لانار في البر الذين ينزلون في قرية تسمى كطيل في وال بين مدين ودومك من تحتهما، وأما لانار فموضع بين دومك وسرناب ويادبك فوق أولل جاوب، وأصلهم من ير كج والد دل ير ودل هو الذي هاجر إلى بك وبقي بنو حمت ير في كطيل، وأما كرناب فمنهم دوسلود الذي نسب إلى وايد بي ويقال أيضًا وايد دوسلود لأنه قتل في يوم قسم آبار لسن قتله كنقلناب وسنراب إلا أن ابنه قد انتقم من القبيلتين انتقامًا بينًا حتى طلبوا منه الصلح ولذا قل أن تجد أحدًا من سنراب وكنقلناب يوافق أحدًا من أهل بك إلى الآن، واعلم أن لدوسلود المذكور أخًا يسمى ير كمب والد قط ير والد جم قط والد برام والد لب برام والد صمب لب والد همد صمب، والله تعالى أعلم. ثم إن أهل بك ما كانوا يستقرون في موضع فإنهم قد سكنوا في

قني أولاً وأقاموا هنالك حصنهم وآثاره كانت هنالك ثم ارتحلوا عنها إلى سل فت قرب فت ثم ارتحلوا عنها كاجوب وعنها إلى بك والحد الذي بينهم وبين جوم لك بايلل أحاب بين بك وفت، وكان أهل بك يرتحلون تارة إلى جلف ويمكثون هنالك ما شاؤوا ثم يرجعون إلى فوت إلى أن ظهر الإسلام في أيام جوم هارم فطلب منهم المكث والقرار فامتنعوا ورحلوا إلى جلف فاستعان جوم بأحبابه من رؤساء فوت كهمد عل بايلي وغيره فجندوا جندًا ومعهم أولاد عايد وذهبوا إلى جلف فوقعوا على أهل بك الذين هم فيها وكانوا في موضع يسمى كاج وهو موضع جلف [563] وأفسدوهم إفسادًا بينًا في أيام لب برام من رؤساء كرناب وقد جرح فيها وقتل ابنان له ورجعوا بهم إلى بك قهرًا ومن ذلك إلى الآن ما رجعوا إلى جلف مهاجرين ولذا لن ترى بكيا يؤخذ عليه العشر في جلف وأهل جلف منها كذلك لا يؤخذ عليهم العشر في بك إذا خرجوا سالكين طريق بك ويقال إنهم من أهل بك. ثم اعلم أن لأهل بك من الآبار آبار جسك وآبار روان وآبار جايين، ولأهل لك آبار لور وجاوب ديك بايلل ساين ولياللب فت جسكو هي الآبار التي ذكرنا قسمها أولاً. وأما فاب بك فإنهم من فاف ورنيو وعنها ارتحلوا إلى كاجوب فقد كانوا من فاف ورنيو ومنها شيوخهم الأولين ولقبهم كاج.

381 - أصل كاجوب

واعلم أن كاجوب أي الذين لقبهم كاج أصلهم رجل يسمى هاطا ومن أول مساكنهم هاير ولهم هنالك بار هاطا ومن هناك ارتحل بعضهم إلى كجور وسكنوا في موضع يسمى ول ثم قام دوسلود من رؤساء كرناب فذهب إليهم ورحلهم إلى وايد بي ومات بمب عال بن بوب بن هاطا بعد وصوله إلى وايد بي وترك سعيد بمب ومالك بمب وأمهما دوار ابنة سعيد بن ير بن سيد بن بران بن عال بن حمى بن جولط كن، وأما سعيد بمب فهو والد إبرا سعيد والد أحمد إبرا المعروف بمنمت رسه قاضي تربنال تبكت الآن، وأما مالك بمب فهو والد عثمان مالك والد سعيد عثمان والد أحمد سعيد المعروف بإلمان خاليد الذي كان في كاجوب يعبر الرؤيا تعبيرًا جيدًا، قلت ولعل الذين في فوت من كاجوب انتشروا هاير أيضًا حين انتشر هؤلاء إلى كجور، والله تعالى أعلم، ومنهم مود هاطا والد نقل مود هاطا وغيره من أهل جفان وقد صارت حرفة هؤلاء الحواتة، ومنهم عبد هاطا ومنه كاجوب هورفود وقد صاروا سب هناك، ومن كاجوب هورفود هؤلاء لإلمان بوكرسك الذي ذهب به الشيخ الحاج عمر ومنهم

أيضًا قاجوب أجم قل وقد صاروا سب أيضًا إلا أنهم متعارفون مع أبناء هاطا الذين صاروا حواتين في جفان سوركم للقرابة التي بينهم، ومن عبد هاطا أيضًا كاجوب سنسن بمصب الذين منهم صم كاج التاجر المعروف، قلت ولعل كاجوب الذين في ديتب أصلهم من أهل جفان سوركم ويمكن أن يكونوا من غيرهم من بني هاطا، والله تعالى أعلم.

382 - أخبار عن يرلاب

وقيل إن يرلاب لما ارتحلوا عن مرتن [564] سكنوا في ويند يوطي في غربي سرمل بينها وبين قرية كلي ثم ارتحلوا عنها وسكنوا في بلل داد بين كاجوب وسكت جهة في ثلاث سنين ثم كثر فيهم الجنون هنالك فتفرقوا وسكن أهل فت في فب وسكن أويد كبير سنكتياب يومئذٍ في ويند أويد بين فت وكاجوب ثم تجاوز فد جور إلى بايل دنقوب فوق فت، وأما موضع قرية كاجوب فكان موضعًا لوطاب أولاً واسم كبيرهم يومئذٍ بي عال وكانوا يسمون الموضع رومد بي عال ولذا نسبت إليه الحرائث كلكل جنكل فيقال جني بي عال، فلما ارتحل بي عال إلى المغرب ورثه سيبوب بك وهم سل عال والد جوم هارم والد مالك جوم والد عال مالك والد مالك عال والد إدل تصغير إد وكان قرينا لود أست ثم مات وترك أولاده في بك الآن، قلت ولعل كاجوب كانوا قد تحالفوا مع أهل بك قبل ارتحالهم عن هاير إلى كجور، والله تعالى أعلم.

383 - أصل فافاب

وأما فافاب بك فإنهم من فاف ورنيو وعنها ارتحلوا إلى دنيا قرية في كجور ثم ارتحلوا عنها إلى بك ولاذوا بجوم بك وجدهم ألفا دم صم بهم بكار، والله تعالى أعلم. وأما ابتداء ملك جوم جلب بك من الأراضي فمن جنكل وهي حرائث نيلية تحت سكت إلى وطسن وهو روض بين فت ولك، والله تعالى أعلم. وأما ليدب الذين صاروا الآن في تبكت أي سلد فأصلهم من فت وأول من سكن تبكت منهم دو إلمان وهو ابن لإلمان فت، وكان موضع سند موضعًا مخوفًا لكثرة ما تعرضه اللصوص وتسكن فيه السباع فطلب ألمام فوت حينئذٍ، قلت ولعله ألمام عبدل، من يسكن هنالك لسد ثغر ذلك الموضع فأجابه دو إلمان إلى ذلك وأمره بالارتحال إليه والسكنى فيه وأخته عيش إلمان هي التي أحبت دمب باي جدًا وهو معاصر دو إلمان حبيبه

فعجز الناس عن التفريق بينهما لفرط محبتها لدمب باي فشرط عليه ليدب أن لا يتلقب إلا بلقبهم له، فقبل ذلك وزوجوه إياها فهي والدة سلي من زوجها دمب باي وسلي والد محمد سلي وصمب سلي وير سلي وتميم سلي، وقيل كان لقب جدهم دمب باي هذا لوم، والله تعالى [565] أعلم.

384 - خبر عن ألمام محمد لمن

ومن ليدب سلد هؤلاء ألمام محمد لمن العالم الشامل والسيد العاقل وهو العلامة ألمام محمد بن لمن بن أحمد مختار بن دو إلمان فت مختار الذي ابتدع سلد وأبوه إلمان فت مختار ابن ير بن عثمان بن يسم بن صمب بن حمى بن بلي بن الحسن بن جم لي بن حمى فدل، قلت وألمام محمد بن لمن هذا هو الذي علمني بالنقطة القرآنية نية في أسرار الفاتحة جزاه الله عنا خيرًا، وإلمان كمب الذي في سلد الآن هو ابن هارون بن أحمد بن جولط بن سيد بن إفرى بن لمن بن صمب بن دل بن درمان بن جوس بن جم لي، وجوس جم لي هذا هو الذي سافر نحو كجور بعدما ولد ولده درمان هذا وتزوج في كجور بامرأة تسمى كمب كج فرزق منها ولدا يسمى تمبا جوس فلما تخلف درمان في فت ومات وسمع بذلك تمبا جوس قام من كجور يريد فت ليخلف أخاه فيما كان عليه فلما طلب منهم ذلك امتنعوا وأبوا فرجع تمبا جوس إلى كجور ثم قام ثانيًا يريد فت ومعه قبائل كثيرة من سب وأتاهم بسحر عظيم فقبلوا وملكوه الأمر وهم قبائل سب الذين في فت الآن وألقابهم غريبة ومنهم من لقبه كور ومنكال ودمان وغير ذلك من الألقاب الغريبة، وتمبا هو الذي جاء بهم ثانيًا لا أدري أهم جيشه الذي يريد أن يقاتل بهم أهل فت أم لا. واعلم أن واستاك أيضًا في حكامة يرلاب فب، والله تعالى أعلم.

385 - الملوك الذين تولوا أمر فت

وقيل أول من ملك في فت إلمان ليدب ثم مل يايني من آنآنب وطاب ثم جلب فت الذين منهم في الأصل أرط كرل ثم سلي عمر من آنآنب يلياب ولم يزل ملكها في أيديهم إلى الآن، وقد مات من فت في زمن فتنة أحمد حمى 150 نفسًا، وقد هلك في الجوع المسمى بعام فت خلق كثير من أهلها وكانت تساوي سلن في العظم وكان فيها بورناب وانقرضوا في عام

فت[528] وكذا انقرض منها جاجاب دبناب وبقيتهم الآن في فد جور وسكت، واعلم أن فت لا يملكها إلا من أظهره الله عليهم بالوجاهة على وجه الغلبة وقيل أول من ملكها جلب الذين كان منهم في الأصل أرط كرل وبقيتهم فيها إلى الآن، والله تعالى أعلم. وأما يرلاب جاير فأول من اكتسب منهم الجاه في فوت جلب منهم وقيل كل لما قتل أرط جاوط الذي لقبه جه افترق أهل مملكته فجعل كل بعض جلب أرط يرلاب فمكث جلب على ملك يرلاب 37 سنة ثم قام صو يوطي الذي هو صمب سلي من قبيلة به وذهب [566] إلى ستك دكل وهو ستك يرلاب وهبياب جميعًا وصار وزيره وكان أهل دحل يستسقون الماء من آبار من دكن من أول الشتاء إلى أو الخريف فقال صو يوطي أنا لا أترك زوجة الأمير ستك تشرب من الآبار بل إنما تشرب من الرياض في الخريف ومن النيل في غير الخريف، وكان يستسقي لها الماء من النيل كل يوم على الدواب آخر زمن المطر إلى أول زمنه في الخريف فتشاور وزراء ستك في أمره وسألوه على مرامه قال لا أريد إلا أن يملكني ستك على يرلاب فتوقفوا عن أمره زمنًا وأبوا عنه، ثم إنه ما زال يوسوس إليهم حتى قبلوا له ذلك فلما قبلوا له اختار الملك لأخيه الكبير عال سلي، ويقال له أيضًا عال يوطي وهي أمهم، فصيره ستك أرط يرلاب فلما مات تخلفه أخوه سيد سلي في ملك يرلاب وهو أصغر من صويولن وهو والد عال سيد الذي عاصر ألمام عبدل في الزمن، ثم صار أبناء عال سلي وسيد سلي يتناوبون الملك في يرلاب وأما بنو صو يوطي فلم يملك منهم أحد إلى الآن، قلت ولعل ذلك لموته قبل موت أخيه الكبير عال سلي فلما مات تخلف على ملكه أخوهما الصغير سيد سلي فلما ثبت لهما الملك دون صمب سلي بالفعل والمباشرة حرم بنوه الملك لأجل ذلك، والله تعالى أعلم، وهم من قبيلة به.

386 - أخبار تنقلات يرلاب ومنها هجرة عبد الله يرو ولده علو عال جم

ثم إن جلب لما عزلوا عن ملك يرلاب ارتحل جلهم مغتاظين إلى المشرق فسكنوا في ورسوك وكان مسكنا لوطاب قبلهم، وقيل إن جلب يرلاب الذين كانوا أرطوب جاوب قديما إلى أن فسد أمر جاوب في (...) فنزل يرلاب الذين هم لوكوب جاوب إلى فوت فلذلك ملك كل بعض جلب أمر يرلاب إلى أن قام صو يوطي إلى ستك فما زال به إلى أن جعل ستك ملك يرلاب في أيدي باباب قوم صو يوطي فلذلك ارتحل جل جلب وكبير هجرتهم يومئذٍ

528 - أي عام الجوع او المجاعة الكبرى.

عبدالله يروبني أخواه عال ير ودرمان ير في يرلاب، وأما عال ير فذريته في فت الآن ولقب رئيسهم الآن إلمان بعدما كانوا يلقبون بأرط ومنهم إلمان عال بيد الذي في فت الآن، وأما درمان ير فهو والد جم درمان وهو الذي قطع البحر وسكن في لك ير ومعه ولده علو عال في جمرد بلان وهو والد عال جم الذي أتى ورسوك بعد [567] هجرة عبد الله ير ومعه ولده علو عال جم فقدمه يرلاب ورسوك عليهم لكونه أكبر من فيها حينئذٍ سنًّا، وعلو عال هذا هو والد بوب علو وصمب علو، وأما بوب فهو والد موسى بوب وحمد بوب، وأما حمد بوب فقد مات وترك ولده بوب حمد في ورسوك، وأما موسى بوب حي الآن في ورسوك، وأما صمب علو فلم يعقب إلا إناثًا، وأما عبد الله ير فقد قصدت هجرتهم نحو جلف ثم نزلوا إلى بند فسكنوا في سراوكتا جربول ثم ارتحلوا عن بند فسكنوا في بناج ثم في كنل ثم في لاوك ثم صيفوا في وادي نسم الذي صار يقال له الآن تليد ماليم من جاجاب ورسوك لحرثه هنالك ثم طلعوا فسكنوا في بيناج فأرادت قبيلة جبرناب من باباب أن يلوا أمرهم فأبوا وارتحلوا عنهم وسكنوا في ورسوك فبقي جبرناب في بيناج وكانوا أئمة في مساجد يرلاب ومقدمون لأمور الموتى ثم صاروا يطلبون الترؤس عليهم فلذلك أبوا. واعلم أن سارن صمب ليل كبير جبرناب في بنياج لما رجع من التعلم رجع إلى أخواله فنياب أوك فلم فلم يوافقوه فذهب إلى ألمام عبدل فقال له أحب أن أسكن في بيناج وقد ارتحل سكانها عنها إلى بكجو فقال له الإمام سلهم إن كانوا لا يعودون لها فهي لك فسألهم عن ذلك فقالوا لا نرجع إليها فلذلك سكن فيها وترأس على من سكن فيها معه، وأهل بيناج في بكجو هم الذين يقال لهم إلى الآن بيناجناب، قلت هذا الارتباط بينه وبينها من جبرناب من ألمام عبدل السكنى مر لأن هجرة عبد الله ير كانت في زمن ستك وطلب سارن صمب ليل كبير ولا متقارب جبرناب من ألمام عبدل السكنى في بيناج وزمنهما غير واحد ولا متقارب، إلا أن يقال إن هجرتهم تأخرت عن الوصول إلى ورسوك وبيناج جدًّا حتى جاء زمن ألمام عبدل وذلك حينئذٍ ممكن عقلاً، واعلم أن أهل هجرتهم كثير منهم سكن في المواضع المقتدمة وبند نحو سراو جربول وبناج وكبل وأوك وممن بقي في بناج من بقاياهم أهل أرط سفتر من جلب يرلاب وبقيتهم فيها إلى الآن وغير ذلك من بقاياهم في البلاد والقرى في هذه الهجرة، وكان فيهم من قبائل يرلاب جلب وباباب وسامب وسوسوب وجاجاب وجوب وجنجقب وسيسيب وليدب، ومنهم القرية التي كان يقال لها سامب في بر ماتم وأصلهم من يرلاب جاير الذين هم في ورسوك الذين أصلهم من بول وأصل سامب يرلاب هؤلاء من [568] من جلف كما قيل، والله تعالى أعلم.

وقد نسيت استخبار المخبر هل لعبد الله ير كبير هجرة يرلاب ذرية باقية الآن في ورسوك أم لا، وهذا شيء من نسب بعض يرلاب أقول ير عمر جك أل بوب سوط سادق جاج، وير هذا والد عال ير والد حمد عال وصمب عال، وأما حمد فهو والد جاي حمد والد عال جاي والد بيد عال والد عال بيد أي إلمان عال بيد الذي في فت الآن، وأما صمب جك أل عال فهو والد جاي صمب والد عال جاي والد دوي عال والد عال دوي في فت الآن، ولير عمر أيضًا أخ يسمى لهل عمر والد كل لهل والد صو كل والد ير صمب والد أحمد ير وصمب ير ودمب ير وجب ير وسلي ير، وأما أحمد ير فهو والد سعيد أحمد وكان يلقب بإلمان سعيد في ورسوك وهو والد صمب سعيد في ورسوك الآن، وأما دمب ير فهو والد إلمان فاورر والد ملل فاورر وسلي فاورر وهما في ورسوك الآن، وأما سلي ير فهو والد حمات سلي والد عال حمات وقد قتله البيضان في مقام ولم يترك ولدًا، وأما صمب ير فهو والد موسى صمب والد سيد موسى في ورسوك الآن، وأما جب ير فلم يعقب، وحمد وسوط والد سفتر حمد الذي كان يقال له أرط سفتر وهو أخو وال حمد والد مقر وال ولر وال ودل وال وميسن وال، وأما مقر ولر فعقبهما في بناج، وأما ميسن ودل فقد صار عقبهما إناثًا، وزعم ير سبت نسابة يرلاب وهو ماب في ورسوك أن سفتر لم يعقب، والله تعالى أعلم. فلنرجع إلى ما كنا بصدده ونقول ثم إنه قيل قد كان لعال سيد جاه عظيم في زمن ألمام عبدل وكان من بول إلى دكان في طاعته، وكان هو الواسطة لهم إلى ألمام عبدل ولا قول لهم في نادي فوت إلا قوله وهو المتكلم لهم والدافع المجيب عنهم، وأبوه سيد سلي أخو عال سلي والد سري عال والد صمب سري والد حمد صمب سري الذي قال الشيخ الحاج عمر لما طالب أهل فوت بالرحيل على كرت في هورفود وأما أنا فلا أجيب إلا عن نفسي وأني لا أموت ولا أبعث إلا بين بول وباج وكان قد أعطاه الشيخ ثلاثة من العبيد وثورًا مؤديًا ليستعين بها على الرحيل، وقيل الذي أعطاه الشيخ 15 من الرقيق على الرحيل معه، وهو والد عبدل صمب المقتول في ليلي ويقال لهم هل صمب سري المقتول أخ يسمى محمد صمب حمد همب سري ويقال له محمد دي سالم الآن، وأما سيد سلي فهو والد عال سيد الوجيه المعاصر لألمام عبدل وهو والد أحمد عال وأحمد عال الآخر وقد قتل أحدهما في كونكل في الفتنة بين ألمام بوكر وألمام يوسف [569]

وقتل الآخر في القتال بينهما أيضًا عند سلن، وأولاد عال سيد أيضًا سري عال سيد وألفا عال سيد، وأما سري عال سيد فهو والد محمد سري والذي هو إلمان محمد والد عال سيد الصغير الذي عاصر عبدل بوكر وهاجر إلى مقام ثم رجع إلى بول وهو والد سارن باب عال سيد الذي الآن في كياسن جنخين وكان تلميذًا لسايرن صمب جادنا الجدولي، ولعال سيد الصغير أخوان جوك محمد وبيد ممد ولعل لهما أولاد والله تعالى أعلم، وأما أحمد عال سيد فهو والد سارن سلي أحمد وقد مات في هجرة الشيخ عمر ولم يترك عقبًا، وأما أحمد عال سيد الآخر فهو والد سري أحمد وعبدل أحمد، وأما سري فهو والد ممد سري والد بدل في باج الآن وجيه فيها جدًا، وأما عبدل أحمد فهو والد حمد عبدل والد دمب حمد وهو إمام مسجد دب الآن، والله تعالى أعلم، وأما ألفا عال سيد فهو والد محمد ألفا ومحمود ألفا، وأما محمد فهو والد جوك محمد وبيد محمد ومحمود محمد في بول الآن، وأما محمود ألفا فهو والد سلي محمود في بول الآن، وفي بول قوم يقال لهم هل يسم به وهم أهل الراية يحملونها في جيش يرلاب ومنهم رجل يسمى بايسن صمب عمر وكذا بايسن دمب وبايسن أكد صمب.

388 - قبائل يرلاب جاير

وأصل هل يسم به من عال سلي الذي هو أخ سيد سلي وهما يتناوبان ملك يرلاب جاير، وقبائل يرلاب جاير أربع: قبيلة دب وهم أهل سيد سلي وأهل عال سلي وهم في ناحية من بول وكان أهل فوت يقولون الله يقينا من شر دمب ودابي، وقبيلة سامب ويقال لهم بولناب ولهم الطبل المختص بهم وهم أول من سكن بول ابتداء، وقبيلة مالمالب بايل عد لا يايل عد بكل فإنهم من هبياب وقبيلة مالمالب لقبهم به وكانوا في مرتن يسكنون مال فنسبوا إليه وقيل لهم مالمالب وكان في مال قصر النصارى ثم ارتحلوا عنه وبنوا في قيام ثم ارتحلوا عنه الآن وبنوا في الكدي عند إيلاق في ارض جيجب، والله تعالى أعلم.

389 - قبيلة جاننكوب وتنقلاتها وفروعها

وقبيلة جاننكوب ويسكنون سلمل وكبيرهم يسمى لام جان من قبيلة دي وأما سماكوهم فهم أهل وندن وباج، وجاننكوب كانوا في سلمل ثم ارتحلوا إلى دب وبقيت منهم الآن دار واحدة في سلمل ولقب رئيسهم لام جان وكانوا أولاً في مرتن فجاء إليهم سارن فنياب وهو عل فدل وتزوج بنت أميرهم كر لام جان ثم انجلوا عن مرتن إلى سنكال بعد ارتحال ستك

عن تمبر جيك إلى هركجر [570] ولم يبق إلا ستك دكل فكثرت إذاية البيضان في أهل مرتن إلى أن انجلوا عن مرتن ومازالت البياضين يؤذونهم إلى أن كالوا لهم مود حرم وذلك مت ولما ارتحل لام جان عن وال جان سكن في ببرل في بر سنكال فوق سلمل وذهب بعضهم إلى كنكل فسكنوا فيه ولم يرجعوا إلى وال جان وكذا الأمر جان الذي في هورفود فزالت عنهم الجانية، وأما أهل سلمل فما زالوا يحرثون فيها فلذلك بقي لام جان فيهم إلى الآن ومنهم دلر في لوبال الآن لقبهم بج، وأصل جاننكوب كلهم يرلاب جاير لا غير وأصل لقب لام جان الأصلي ده وألقاب أهل جان بج وكي وهم أصول جان ومعنى جان الحية في لغة ولف وهؤلاء يعرفون رقيتها إلى الآن جدًا وهم كلهم قد صاروا من تورب إلا الذين سكنوا في كنكل منهم فقد صاروا كلهم سبلب ولكنهم يلقبون رئيسهم بلام جان أيضًا محبة لأصلهم، ولقب لام جان الذي في هورفود بج وقد أخبرني بعض لامجانات هورفود أن أصلهم من هاير فنياب ورؤساؤهم الفلاّن دمبب وهم مالكو وال جان فأراد ستك الإيقاع بهم الغارة وقيل البيضان وقيل كلاهما فهربوا وانتشروا، فذهب أهل لامجان ميجا إلى هورفود وذهب بعضهم إلى تفد كنط وقنفل وهما إلى الآن يملكان عليهم لامجان، وذهب الفلاّن إلى سرمل وهم جاننكوب وفيهم إلى الآن لامجان ولقبه دم وقيل إن جد ليدب وجد أهل لامجان في هاير فنياب فأسكنوهم معهم وصدقوا عليهم بنتهم كر لامجان ومن تلك البنت سائر قبائل فنياب، وأما لامجان ميجا فهو والد وال نيجا وجاج ميجا، وأما وال ميجا فهو والد ير وال والد صمب ير والد سري صمب والد سعيد سري والد دمب سعيد المخبر، وأما جاج ميجا فهو والد جمب جاج والد قر دمب وبرم دمب، وأما قر دمب فهو والد صمب قر والد دمب صمب والد حمد دمب ودو دمب والد ير دمب، وأما حمد دمب فهو والد ملل وبوكر وهما في هورفود اليوم، وأما برم دمب [571] فهو والد سهت برم والد فات سهت والد أحمد فات وعبدل فات والد صمب عبدل والد محمد صمب المعروف الآن بلامجان ممد في هورفود، وقيل إن لامجان وقومه لما أتوا إلى هورفود أعطاهم ستك قطعة من الأرض فسموها باسم أرضهم المتروكة في مرتن أي جان ولذا أضافوا لقب ملكهم إلى تلك الأرض فقالوا لامجان، واعلم أن لامجان وجوم جلجل ليس ليمج عليهم شيء من الملك إلا في أيام بمج حمات الذي ولاه النصارى سايفد كنتن ورك وبعد انعزاله تخلف بمج ممد حمزة كذلك لقيامهما مقام ألمام فوت على أهل ورك كلهم وبعد انتقال الملك عنهما زال ذلك ولا يسأل بمج أحد أمر هاتين القبيلتين شيئًا، والله تعالى أعلم.

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من أمر يرلاب ونقول كان عال سيد مطيعًا لألمام عبدل جدًّا ولا يعصي له أمرًا أبدًا وما زال كذلك إلى أن قَتَلَ واحِدٌ من سِلْ بُبَكَرْ نفسًا وهرب إلى عال سيد ولاذ به ثم جاء أهل المقتول إلى ألمام عبدل وذكروا له الأمر فأرسل ألمام عبدل إلى عال سيد أن يحضر هو واللائذ به لحكم الشرع فجاء مع القاتل وكان سارن سكيل هو القاضي حينئذٍ فلما ثبت القتل حكم القاضي بالقصاص فقال من قتل قتل ومن جرح جرح، فقال عال سيد حق ما قلت وقد سمعنا وأطعنا ولكنا نسألكم الدية فقالوا ما كيفية الدية فقال نعطيكم مائتي بقرة بين هاك وويك ومعنى هاك البقرة الوالدة من ثلاثة بطون إلى بطن واحد ومعنى ويك العجلة بنت أربع سنين أو ثلاث التي حان طروق العجل لها، فقال عال دند ينبغي أن نقبل له هذا فقبلوا له ذلك ثم لما جاء الليل وتعشى الناس ودخلوا بيوتهم وتهيئوا لمضاجعهم جاء أهل المقتول إلى عال دند فقالوا نحن لا نريد الدية ولا نحبها فأعنا نقص من القاتل فنعطيك هذا وكذا من المال فذكروا له مالاً كثيرًا فقبل لهم ذلك فقام وذهب إلى دار ألمام ووجدها مسدودة فأمر الحجاب بالفتح ففتحوها له ودلل على ألمام وذكر له الأمر وزين له القصاص، فقال له ألمام أنا ما كنت قبلت الدية إلا لأجلك وأن إعطاء الدية يؤدي إلى أن كل قاتل يشفع له فتعطى عن المقتول [572] الدية فيضيع حكم القصاص فاتفقا على القصاص فخرج عال دند إلى منزله وأمر أهل المقتول بقتل القاتل إذا تراجعا للخصومة غدًا، فلما أصبح جاء عال سيد إلى ألمام عبدل يُوَدِّعه قال له فليأت من تختار لأخذ الدية فقال له ألمام إن كلمات فوت إذا باتت فسدت فارجعوا للخصام فجلسوا للمخاصمة وتكلموا أيضًا فحكم القاضي بالقصاص أيضًا والقاتل خلف عال سيد فغمز عال دند لولي المقتول فقام بمدفعه وقدره على أحد جانبي بطن القاتل أي خاصرتيه فضربه به فمات في الحين بين الملأ، فقام عال سيد يقول بأعلى صوته هل رأيتهم هذا هل رأيتم هذا وقد أفسدتم المؤاخاة بين يرلاب وبوسياب وقد أخفرتم جوار من استجار بي وقال تطنون ومعنى تط حكاية لصوت المدفع إذا ضرب به ثم قال لقومه قوموا ادفنوا ميتًا فقاموا ودفنوه فلما أراد المسير جاء إلى باب دار ألمام فقال يا عبد القادر يا عبد القادر يا عبد القادر ثلاثًا فقد خلعت حبل طاعتك من عنقي اليوم، فلما رجع إلى بول صار يرسل وزراءه إلى سايو موضع تحت بول فيه الطريق المارة التي تمر بين

بول عال سيد وبول بران من مر بها من أهل تور ولاو ومعه شيء يريد به الإمام يغصبه هو بيده فيقسمه بين يرلاب وإن أعطى منه شيئًا لهبياب يأبوا ويقولوا بولي بنمم أي اتركوا بول مع شرها خوفًا من سطوة الإمام ثم كثر قول الناس للإمام إن عال سيد أفسد الملك والدين، فأرسل إليه لإجابة حكم الشرع فجمع قومه وقال لهم أنا قد ظلمنا لما (...) فقال الإمام والآن قد تعدينا على دين الله بالرأي أن نجيبه لعل الله يصلح بيننا وبينه، فقام إلى ألمام وتبعه الأكابر والشيوخ من قومه ومنهم الشبان من أتباعهم لئلا يثيروا الفتنة، فلما وصلوا شارعه ألمام وأقر بجميع أفعاله فحكم عليه القاضي بالأدب وكان من قضاء الله أن ولده أحمد عال سيد قال للشبان قوموا نتبعهم بأسلحتنا لئلا يقتلوا أو يهانوا فقاموا وتبعوهم فلما وصلوا لباب المسجد وقعوا بخيولهم ومدافعهم فوجدوا عال سيد مكبًا على الأرض مطيعًا لحكم الشرع كاشفًا قميصه وما بقي عليه إلا السروال فكل من أمر بضربه [573] يقول لا أقدر فقام أحدهم فقال أنا أقدر على ضربه غير هياب ولا وكل فضربه سوطًا واحدًا فضربه أحمد عال سيد بمدفعه فمات في الحين فقاتلهم الناس وهزموهم وطردوهم إلى بل فوكل موضع تحت أجم سلي فرجعوا عنهم وهذا كله وعال سيد ما زال مكبًا على الأرض فلما رجعوا قال عال سيد أمضوا على حكم الشرع فإن هؤلاء الصبيان يلعبون ولا يعرفون شيئًا ثم اتفقوا على سجنه شهرين فسجنوه شهرين فلما تم ذلك حكموا أيضًا بأن كل مقتول في هذا القتال فدمه هدر إلى المقتول الأول الذي كان قد أمر بالتأديب وقتله أحمد عال سيد فلتؤدى ديته فأعطيت ديته، فلما رجع عال سيد انتقل إلى وراء النيل أي مرتن فبنى حصنًا بالطين في دب حول النيل وقربه ورجع إلى ما كان عليه أولاً من غصب أموال المارين المريدين للإمام وقسمها بين يرلاب فلما كثر ذلك أيضًا اشتكى الناس إلى الإمام من سوء فعل عال سيد وأنه أفسد الملك والدين أيضًا، فلما كثرت الشكاية أرسل ألمام إليه جيشًا فكسروا عليه حصنه وخبروه فقام مرتحلاً مهاجرًا إلى المشرق مع يرلاب وقال إنه راجع إلى ماسينا لأنه أصله منها وأنه خارج عن فوت ما دام فيها ألمام حيًا، مارين جهة مرتن إلى أن حاذوا سارن يبلي أو ولده الذي تخلفه في هاور، والله تعالى أعلم وكانوا حاسدين للإمام، فالتقى معه فقال له رئيس هاور المذكور ارجع إلى فوت ولا تعط عدوك مراده منك فارجع واسكن في موضعك فإن لم تقدر على الانتقام منه لعل القدرة عليه تأتيك بعد أو تأتي ولدك أو ولد ولدك فينتقم لك منه وهذا الرأي أفضل وأصوب من رأيك، فرجع عال سيد فسكن واستكن إلى أن مات

قبل الإمام فلما نعي إلى الإمام بخبر موته حضره بعد بطء فوجدوه مغسولاً لم يدفن بعد لانتظارهم له فلما نظر إليه مسجى قال تبين لي الآن بأنك لست هو وكان الكهان ونحوهم يقولون له الذي يفسد ملكك ويقتلك من اسمه عال فظن أنه عال سيد فإذا أنه ليس [574] هو وكان من جاكرط الذين كادوه ولد ابن عمه صمب سري عال سلي وقد جعل فيه عال دند عشر بقرات وكذا صمب سري هذا وكذا ساج دند وعمر بلي وأما دو نيل فجعل فيه خمس بقرات واشتروا بها ذهبًا أو حليًا غيره فأعطوه لساج دند ليذهب به إلى حمد عيشة فيذهبان معا إلى مسكن بو وهو يومئذٍ أمير مسل وهو الذي قتل ألمام عبدل في كوريك كما مر ذلك في تاريخه، وقيل أيضًا إن الفتنة بين عال سيد وألمام عبدل منها أن أناسًا من قومه يرلاب الأعزاء عليه وفيهم ابن أخته وهم سبعة قطعوا الطريق بأن تبعوا آثار النساء المسافرات من بول إلى يلد تاب شقيقة بين سلن وكبل فأخذوا أمتعتهن وأموالهن كرهًا وزنوا بهن أيضًا غصبًا واشتكين إلى الإمام أمرهن ففتش الإمام أمْرَ القُطَّاع حتى عرفهم فحكم عليهم بالقتل لقطعهم الطريق فشفع لهم عال سيد ولم يقبل شفاعته فيهم لأنه حد من حدود الله تعالى التي بلغت الإمام فلا يشفع فيها فقتلهم الإمام عن آخرهم فدخل قلب عال سيد نفاق وكره إمارته.

قلت ويمكن أيضًا أن يقع هذا بعد موت آل سيد في خلافة ابن عمه صمب سري عال سلي وأنه هو الذي اتفق مع عال دند على أن يخلعا بيعة ألمام من رقبتهما وأنهما اللذان جعلا يوسوسان في صدور الناس فيغريانهم على مخالفة الإمام حتى أحرق دو أروى جميع ما كان للإمام حينئذٍ من الزروع التي قدر عليها جهارًا، والله تعالى أعلم. وقيل إن سبب (...) أن الناس أصابهم جوع شديد فارتحل أهل بول بران لذلك إلى كجور أو جلف لطلب المعاش [575] فلما حان إبان الازدراع للحرائث النيلية جاء عال سيد إلى رئيس بول بران يومئذٍ وهو إلمان بران بوب كد وقيل إلمان صو كد وطلب منه أن يحرثوا الحرائث المسماة جوج لأهل بول بران المرتحلين إلى كجور أو جلف، فقال له إلمان إن المرتحلين سيرجعون العامَ (أي هذا العام) فقال نعم إن رجعوا ولو زمن حفظ الحرائث من الطيور فالزرع لهم مع حرائثهم فقبل لهم رئيس بول بران ذلك على الشرط المذكور، فبذروا الحرائث ونبتت الزروع، فرجع أرباب الحرائث البوليون قبل تقليب الأرض فردوا إليهم حرائثهم إلا رجل واحد سامب يرلاب وهو الحمد ير بي فأبى عن الرد فتضارب معهم وضربوه إلى أن طردوه إلى قرية أهله بول عال سيد فلما وصلها انطرح خارج القرية وادعى أنهم ضربوه حتى كسروا ظهره، فقام يرلاب

إلى بول بران بالعصي والدبابيس وضربوهم ضربًا شديدًا ولم يغثهم أحد فإذا قيل إن يرلاب إنما يريدون قتل أهل بول بران فيقال بولي بنمم، فطلب رئيس بول بران حكم الشرع عند ألمام عبدل فتشارعوا وقضى لأهل بول بران على عال سيد فأمر الإمام بضربه فلما ضربه المؤدب قتله بعض يرلاب بمدفعه فدفعهم أهل سلن وبوسى بمدافعهم وطردوهم إلى خارج سلن فوجدوا جيش يرلاب خارج سلن معه أحمد عال سيد فقاتلوا الجميع وهزموهم وطردوهم، وأما عال سيد فقد قام وقت الاختلاط وانغمس في الناس ودخل في جمع من قومه، فلما رجعوا بنوا حصنًا لهم ليحتموا به عن جيش الإمام فقام إليهم الإمام يريد قتالهم فتوسط أهل فوت وأصلحوا بينهم وشفعوا لهم عند الإمام فشفعهم فيهم على شرط جلاء عال سيد وخروجه عن فوت فرجع عنهم الإمام فارتحل عال سيد مع بعض قومه إلى وال جنتنك فاحتمى بسل بوب فحماه وأجاره فلما سمع الإمام بذلك أرسل إلى سل بوب ينهاه عن إيواء عال سيد وحمايته فلم ينته فلذلك قاتله الإمام إلى أن قتله، فجاوز عال سيد إلى كدمغ فما زال هنالك يرسل السراق منه إلى فوت إلى أن أرسل سارقًا حاذقًا فأتى إلى بيت ألمام عبدل فوجده نائمًا فأخذ سروال الإمام وترك سرواله عند السرير وكذا فعل بسكينه فلما رأى ذلك الإمام ارتاع وارتاب جدًا وأعلم جماعته بالواقع فقالوا له إن هذا فعل عال سيد فإن لم ترده فلا بد أن يقتلك فلذلك رده الإمام إلى بول فلم يلبث أن مات في ربوة تسمى بوتم وفيها قبره، هـ. قلت ويمكن جمع الروايتين بأن قتل النفس والتجاء القاتل إليه وقع وقبل رفع أمر القتل إلى الإمام وقعت المضاربة بين أهل بولين [576] فذهب إلمان بول بران إلى الإمام يطلب حكم الشرع بينه وبين عال سيد وقومه، وأن عال سيد أيضًا مع قاتل النفس وأنه يريد إخفاء أمره عن الإمام فلذلك دعاه الإمام إلى الشرع إلى آخر ما مر، والله تعالى أعلم. وقيل إن جوب من الحواتين الذين في دانينكوب كاهل ير عمر في فدلل وغيرهم أصلهم من باج جاؤوا مع هجرة عال سيد المذكورة وبقوا في دانينكوب إلى الآن. انتهى ما عندي من تاريخ يرلاب ويليه إن شاء الله تعالى تاريخ لاو.

391 - أخبار عن بعض أهل لاو وتولية ألمام بوكر وقصة مكيدته لدو إلمان

[577] ثم بعد كتبي ما مر من تاريخ لاو لقيت من يخبرني بأمر بعض أهل لاو وهو كأنه خبير بهم جدًا ونصه: قيل إن سبب دخول ملك فوت في بمب ألمام بوكر بال وكان عالمًا

فقيها حافظًا للقرآن وكان قد انتقل إلى بمب لتزوجه بيبا ابنة سارن إبرا بعد أن طلقها زوجها الأول الذي كان من إلفكات قمد وقد نسيت اسمه الآن، والحاصل أن ألمام بوكر بال لما مكث في بمب صار طلاب العلم من أهل فوت يأتون لبمب من كل جانب ومكان، ومن طلبته ابنا سارن إبرا وهما عال سارن وبران سارن اللذان صارا في آخر أمرهما يقال لكليهما ألمام وقد لازماه مدة طويلة للتعلم وهكذا حالهما مع هذا العالم إلى أن ولاه أهل فوت الإمامة العامة عليهم وإذا أتاه صلحاء فوت يقسمهم على ديار تلامذته لاسيما عال وبران فازدادت بذلك معارفتهما مع صلحاء فوت وتخاطبهما منهم الود ولذا حين عزل الإمام بوكر وطرد إلى فول قام كل واحد منهما يطلب الأمر لنفسه إلا أن أهل فوت قدموا عال سارن لأنه أسن من بران سارن وهو أول إمام كني في بمب وهذا هو السبب في دخول الإمارة لبمب، وقد قيل أيضًا أن أهل فوت لما أرادوا تولية ألمام بوكر بال الملك خالفهم دو إلمان في ليدب فت ثم سئل عن موجب مخالفته فقال لهم لعدم إكماله أربعين سنة وما أرسل مرسل إلا بعد أربعين سنة من عمره فملكوا غيره لذلك ورجع بوكر بال إلى بمب خائبًا في تلك المرة ساكتًا وقد بقي قول دو إلمان في قلبه إلى أن ولي الإمام بوكر الأمر في مرة أخرى فأصاب أهل فوت الجوع الشديد فاجتمعوا عند ألمام بوكر بال للمشورة في التدبير فقال بعضهم الرأي الرشيد أن نرسل رسلاً إلى أمير جلف نطلب عنده الأمان وإن وجدناه نرسل قومنا إلى جلف للميرة ثم جالوا في اختيار من يليق بالإرسال إلى جلف من قبائل فوت فقال لهم الإمام أن يرلاب هم أحق بالذهاب إلى جلف من غيرهم لأنهم أقرب [578] مودة لأهل جلف ثم اتفقوا على إرسال دو إلمان وصو سونون وهما من ليدب فت ومالو صمب دل بخار لأهل فت أيضًا، فذهبوا إلى جلف بعد أن كتب الإمام مع بعض صلحاء فوت براوة إلى أمير جلف وفيها إن أتاك دو إلمان فاقتله بأمرنا ولا تتركه لأنه من المفسدين في الأرض أيها الأمير، فذهب دو إلمان مع صاحبيه إلى أمير جلف إلى أن وصلوا إليه فأكرمهم وأنزلهم في دار من ديار وزرائه وقد أمر الأمير عبيده أن يحفروا له حفرة غائرة وراء البيت في السترة التي يجعلها أهل ولف وراء بيوتهم وجعلوا على فم الحفرة أقصابًا دارسة ثم فرشوا فوقها سجادة الأمير فلما جن الليل أرسل الأمير إلى دو إلمان ليحضر فلما حضر ودخلوا عليه وقد أحضر الأمير عبيده أمر دو إلمان بالجلوس على السجادة فجلس عليها فإذا حفرة فغاصت به الأرض فتبادر إليه العبيد لرد التراب عليه فجرد صو سوسون سيفه ليقاتل العبيد أو الأمير فأخذه العبيد وأرادوا رميه في

الحفرة كما فعلوا بدو إلمان فمنعهم الأمير وقال لهم اتركوا هذين الباقيين ثم أخرج لهم براوة وأراها لهم فعرفا بأن هذا لمن حيل كبار فوت وهذا هو السبب في موت دو إلمان في جلف هكذا زعم ألفا بوكر والد ساد سقينة، وأما تلميذ عال سارن إبرا وبران سارن إبرا على ألمام بوكر بال عند سكناه في بمب فالمخبر بذلك ألفا جعفر وفات جاري وهما من كبار أهل بمب اليوم عام 1924 من الميلاد.[529] [579] وقد استخلف ألمام محمود بعدما قتل ألمام أحمد بن ألمام بران البمبي قتله ابن أخيه إبرا ألمام ممد بن ألمام بران، وقيل في نسبه إنه ألمام محمود بن إلمان مالك بم مسط، إلخ، في قرية باباب وأمه من دوت سيد حمت حبيب بران حمت دمب بران عيسى دمب من قبيلة جاجب وقد ملك في خلافة فوت شهرًا ثم خلع واستخلف بعده ألمام أحمد سارن دمب في جاب، هـ.

392 - تنقلات بطون لاو وذكر نسبهم وفروعهم

وقيل إن ستك لما أفسدهم في قيم وأجلاهم عنها تفرقوا فمنهم من نزل في باباب لوت كهؤلاء ومنهم من قصد بوسي ومنهم من في رنجو كأهل ألفا عمر ومن قصد ناير كباباب ناير ومنهم من في يرلاب كأهل عال سيد في بول ومنهم الذين في جاننكوب ومنهم من قصد مغرب تور مع جاوب جهة هور وايد كأهل حسو وغيرهم من فرقهم المنفرقة ومنهم بقي في الفلاّنية إلى الآن وسنذكرهم مع أوررب وأما الذين صاروا تورب منهم فسنذكرهم هنا الآن، والله تعالى أعلم، ويقال لهم باباب جكر الذين أصلهم أوررب وجكر هذا هو والد براهيم جكر والد ممد براهيم وبكار براهيم وعثمان براهيم وصمب براهيم ودمب براهيم، وأما صمب براهيم فهو والد حمى صمب ودمب صمب وعمر صمب، وأما حمى صمب فهو والد مسط حمى والد محمود مسط الذي كان يقال له ألمام محمود مسط أخو مالك مسط، وأما محمود فهو والد حمات محمود والد إبرا حمات والد محمد إبرا والد عمر محمد والد جاي عمر الذي في باباب لوت اليوم، وأما مالك مسط فهو والد حمات مالك والد مالك حمات والد عبدل مالك والد محمد عبدل والد ألفا صمب محمد في باباب، وأما دمب صمب فهو والد سلي دمب والد سيد سلي والد عال سيد والد سري عال والد ممد سري والد عال ممد والد باب عال [580] والد عال باب الحيان السالمان الآن في كياس جنخين أو جاريام، وأما عمر صمب فهو والد

529 - عام 1924م يوافق 1343هـ.

عثمان عمر والد بوب عثمان والد حمات بوب والد جولط حمات والد حمات جولط ودو جولط، وأما حمات فهو والد دو حمات والد سعد دمب والد محمود سعد المخبر المعروف بمحمود كك في جاننكوب، وأما دو جولط فهو والد محمود دمب والد عبدل محمود الذي كان قاضيا ليحيى محمد ألفا سايفد كنتن في ديوان مرتن. قلت وقد كتب إلي بعض أهل باباب لوت ما نصه: وأما القبائل التي خرجت من قرية باباب لوت كما سمعنا فمن ردل يسمى أرط صمب الذي هو والد برم به ونحم به ويك به وغيرهم، وأما برم به فقد خرج منه ير برم ثم عمر ير ثم سحنون عمر ومحمود عمر وخرج من سحنون صمب سحنون ثم حمى صمب ثم مسط حمى وير حمى ودمب حمى وصمب حمى وفات حمى وبل حمى الذي هو جد لعال سيد وإخوانه الذين صاروا اليوم عند قرية بول عال سيد، وأما من عداه من أبناء حمى صمب فكلهم لم يزل فروعهم عند باباب لوت فمنهم من انقرض نسله ومنهم من بقي نسله إلى الآن، والله تعالى أعلم. هـ. قلت وأرط صمب هذا هو المسمى عند فلاّن البوادي بأرط سبلل وسنأتي بما يزيد عن هذا من ذريته عند الكلام على أوررب إن شاء الله تعالى. وأما دمب براهيم جكر فهو والد بس دمب والد ير بس والد سيد ير والد ألفا عمر الذي هاجر من رنجو إلى هورفود، وأما محمد براهيم فهو والد حمات ممد والد ير حمات والد داود ير والد حمى داود والد حمد حمى والد سعيد حمد والد عمر سعيد المعروف بداود جوم في ناير، وأما بكار براهيم فمنه بالب حسو وسنأتي بذكرهم عند الكلام على بود، وأما عثمان براهيم فمنه بالب كلاير وسنأتي بذكرهم بعد إن شاء الله تعالى، [581] وأما بالب كلاير فهو من عبد الله والد مالك عبد الله والد براهيم مالك والد عثمان براهيم وبكار براهيم ومختار براهيم، وأما عثمان براهيم فهو والد عال عثمان والد ساغو عال والد صو ساغو ومالك سك، وأما صو ساغو فهو والد تك صمب، ومعناه عرض السهام وقيل تك بالتخفيف، وبرك صمب، وأما تك صمب فهو والد عال تك ودمب تك وير تك وألفا تك، وأما عال تك فهو والد محمود عال والد ألمام محمد محمود بال في كلاير وله من الأولاد يوسف ألمام ومحمود ألمام والد محمد محمود الحي الآن في كلاير، وأما دمب تك فهو والد محمد دمب والد سلي محمد والد أحمد سلي الحي الآن، وأما ير تك فهو والد لمن ير وحمات ير، وأما لمن فهو والد سري لمن والد بوكر سري الحي الآن، وأما حمات ير فهو والد موسى حمات، وأما ألفا تك فهو والد محمد ألفا والد عمر محمد والد سليمان عمر ومحمد عمر الحيان الآن، وأما برك صمب فهو والد سيد برك والد

ألفا سيد وأحمد سيد، وأما ألفا سيد فهو والد باب ألفا والد سيد باب وطاهر باب وسليمان باب وإسما باب الذين هم اليوم في قيد الحياة، وأما مالك ساغو فهو والد همد مالك والد لر همد والد همد لر والد لمن همد وأحمد همد وزكريا همد، وأما لمن همد فهو والد ممد لمن المداح الشاعر المشهور الآن بمدح النبي صلى الله عليه وسلم باللغة الفلاّنية في كلاير، وأما أحمد همد فهو والد لمن أحمد وعثمان أحمد ومحمود أحمد وعبدل أحمد الذي في هاير الآن، وأما لمن وعثمان ومحمود فهم في كسك، وأما مختار براهيم فهو والد ير متار والد لمن ير والد عمر لمن والد محمد عمر والد أحمد محمد والد [582] محمد أحمد وله ابن في المغرب، هـ. وفي كلاير ديار من بالب يعرفون بديار الحواتين لا يذكرونهم في نسبهم ويزعمون أنهم لا يعرفون مواصلة النسب بينهم وبين بقية بالب، والله تعالى أعلم. ومن ذرية مختار براهيم الذين في فكل في هبياب وقد انقرضت ذكورهم ولم يبق منهم إلا واحد قيل إنه في البياضين يتعلم وما سواه إناث، وأما بكار براهيم فمنه أهل بود، والله تعالى أعلم.

393 - بعض أخبار ألمام محمد بال

وقيل إن ألمام محمد بال حين عزل من ألمامية فوت ذهب إلى أندر ودكار وتزوج هنالك بوالدة ميرم ألمام وهي من أهل لب دكار ووهبته نفسها أيضًا امرأة من فرانس فأتى بهما إلى كلاير وقبرهما فيها كما زعم بيد عال سايفد ديوان بوسي وورك، وميرم ألمام المذكورة هي أمه، والله تعالى أعلم، ووالدة ألمام محمد بال عائشة ابنة الإمام سري بن حسن بن لمن، إلخ، وقد أفاد الذي كتب إلي (أن) بعض أهل باباب أصلهم وأصل أهل بول عال سيد واحد، وأما ما فيه من زيادة بعض الأشخاص فذلك لا يقدح لاتفاقهم على انتساب الكل إلى أرط صمب براهيم جكر وذلك كاختلاف الناس على ما بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السلام من آبائه صلى الله عليه وسلم فمنهم من يوصلهم إلى أربعين شخصًا ومنهم من يوصلهم إلى سبعة فقط ومنهم إلى أربعة مع اتفاق الكل على أن نسب عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام، وأما زعم أهل كلاير بأنهم من عبد الله والد مالك عبد الله والد براهيم مالك والد عثمان براهيم وبكار براهيم، إلخ. فمن تحسين الأسماء وتغييرها من العجمية إلى العربية لا غير، فمالك والد براهيم [583] إلخ هو جكر ومثل ذلك تحسين الشيخ الحاج عمر اسم جده أنسمان أو أنتمان بعثمان وهو والد سعيد والده رضي الله عنهم وغفر لنا ولهم آمين،

وكان يقول في تأليفه عمر بن سعيد بن عثمان، ومثل ذلك كثير حتى أني كان أبي يسمى حمد فعربته بأحمد وكنت أنتمي إليه بهذا الاسم فأقول موسى بن أحمد، والله تعالى أعلم.

وأما جاجب مدين وجود جاب فأصلهم من باقن وارتحلوا هناك للتعزيب كما هو عادة الفلاّن وأصلهم من وطاب ولقبهم سه بضم السين وسكون الهاء، وسبب انتقالهم عن هذا اللقب كما قيل إن واحدًا منهم قتل نفسًا في الطريق فتعجلوا لأجل ذلك يهربون فمروا في بعض الأيام بعزيبة الفلاّن فقيل لهم من هؤلاء، فأجاب واحد منهم بياسيب في الفلاّنية بمعنى مسرعين فجرت اللفظة لقبًا لهم، ولكونهم من قبيلة سه لا ترى واحدًا منهم يقتل الحية الرقطاء الصفراء التي تسمى سور في لغتنا ولا يحضر لقتلها وإن حضر واحد منهم قتلها ولم يقدها ولو بقميصه تصبه مصيبة في ذاته أو عياله كما زعموا، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك.

394 - ذكر ذرية سارن دوت

وأهل مدين جاجب من حمى بران وأهل جود جاب من حبيب بران لأنه والد صمب حبيب والد حمى صمب والد سيد حمى المشتهر بسيد أسل جيد دكل وسيد والد دوت سيد المشتهر بسارن دوت الوجيه الذي كان قائدًا وأميرًا لجميع أهل لاو حتى ارتحل بهم جميعًا يريد بهم سلن فرجع البعض منهم وجاوز هو بالبعض الباقي إلى سلن وسكنوا هنالك إلى الآن وهم معروفون هنالك بلايكل كلاير وسنأتي بذلك بعد تمام أنسابهم إن شاء الله تعالى، وسارن دوت هو والد إبراهيم دوت وأحمد دوت [584] وحسين دوت وسعيد دوت، وأما إبراهيم دوت فهو والد ممد إبرا ومحمود إبرا، وأما ممد إبرا فهو والد أب ممد الذي هو سارن أبو الكبير وسارن دمب وموسى ممد، وأما سارن أبو فهو والد مصطفى وهو في المغرب الآن وهو والد أحمد أيضًا وهو في الساحل الآن مع البيضان كان يتعلم ولم يعرف له خبر الآن، وأما سارن دمب فله ولد ولم يعرف المخبر اسمه، وأما موسى ممد فأولاده في جود جاب، وأما أحمد دوت فهو والد سيد أحمد وخاليد أحمد، وأما سيد أحمد فهو والد عمر سيد والد سلي عمر في جود الآن، وأما خاليد أحمد فهو والد ممد خاليد وخاليد دوت في مدين جاجب، وأما حسين دوت فهو والد أحمد حسين وكور حسين، وأما أحمد فهو والد ممد أحمد المعروف بممد رك والد أحمد ممد في جود الآن، وأما كور حسين فعقبه الآن صارت إناثًا، ومن بنات سارن دوت أم الخير دوت وعائشة دوت، وأما أم الخير فهي والدة

زينب أم الخير والدة ميرم زينب والدة عبدل ميرم المخبر في مدين جاجب، وأما عائشة دوت فهي زوجة سارن محمود حمدن الذي كان صهرًا لسارن دوت وتلميذًا له الذي طلب منه أهل لاو أن لا يذهب مع سارن دوت ليبقون معه ويكون أميرهم وقائدهم فقبل وفعلوا كما وعدوا وسنأتي بذلك بعد إن شاء الله تعالى، وأما سعيد دوت فقد مات يوم قتال فر مع سارن سليمان بال ولم يعقب، هـ.

395 - إخوة سارن دوت سيد ونسبهم وذريتهم

واعلم أن لسارن دوت سيد من الإخوة إبرا سيد وأحمد سيد وصمب سيد وهم أشقاء، وله من الإخوة أيضًا معاذ سيد وأحمد سيد الآخر وهم شقيقان أيضًا، ومنهم أيضًا سعيد سيد وباب سيد وهما شقيقان أيضًا، وأما إبرا سيد فهو والد هارون إبرا وجب إبرا وإلمان إبرا وعسا إبرا وسيد إبرا وسري إبرا، وأما هارون إبرا فهو والد عبد الله هارون والد سارن أبو الصغير [585] المعروف في جود الآن بسارن أب خدجة وهو والد إخوته أيضًا وهم تفسير محمد وألفا إبراهيم وهما في جود الآن عام 1924 من الميلاد،[530] وأما جب إبرا فهو والد بيد جب والد سارن أبو بيد في جود مرتن وهو والد محمود كد السخي الكريم، وأما إلمان إبرا فهو والد راسن إلمان وجاي إلمان، وأما راسن فهو والد بابي وعبد الله وذكر من أولاده ممد ألفا راسن في جود مرتن لا أدري هل هو أحد المتقدمين أو هو غيرهما وقد بعد مني المخبر، وأما جاي إلمان فهو والد هارون جاي وإبراهيم، وأما عسى إبرا فهو والد لمن عسا وكور عسا، وأما لمن عسا فهو والد سارن صمب جادنا واسم أمه دعد مريم ولقب بلقب سميه في مدين جاجب يسمى صمب جادنا، وأما كور عسا فهو والد ألفا معاذ خليلي الأعور، وأما أحمد عسا فهو والد شيبة في جود مرتن البرية، وأما سيد إبرا فهو والد ممد سيد والد سيد ممد والد ألسن سيد في جود الآن، وأما سري إبرا فهو والد إلمان سري والد موسى إلمان وقد مات وترك ولدا في جود مرتن البرية، وأما أحمد سيد فهو والد صمب أحمد والد راسن صمب والد عبد الله راسن في باباب مرتن، وأما صمب سيد فهو والد بوكر صمب والد حسين بوكر والد دوت حسين والد هارون دوت في جود الآن، وأما معاذ سيد فهو والد أحمد معاذ والد حولي أحمد وخدجة أحمد، وأما حولي فهي والدة سارن طاهر

530 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

براج في جود جاب، وأما خدجة أحمد فهي والدة سارن أبو خدجة ولا عقب لأحمد معاذ من الذكور الآن، وأما سعيد سيد فهو والد بوكر سعيد والد كور بوكر والد صمب كور وقد توفي وترك ولدًا في مدين جاجب، وأما باب سيد فقد انقرضت ذريته الآن من الذكور، انتهى ذكر ذرية حبيب بران عسا دمب إك.

396 - ذرية حمى بران

وأما ذرية حمى بران فهو والد سيد حمى والد إبرا سيد [586] والد حمدن إبرا وأمه تسمى دي دوت أخت عال دوت من هوتهوتب وسنلم بذكرهم بعد هذا إن شاء الله، ومن إخوة حمدن إبرا حمات إبرا وأحمد إبرا، وأما حمدن فهو والد محمود حمدن وعسا حمدن وإلمان حمدن وأحمد حمدن، وأما محمود فهو والد علي محمود وخاليد وعبد الرحيم وسعيد ألمام راسن وألفا عبد الله حسابي وإبراهيم وعسا، وأما علو محمود فهو والد عسا علو والد ببكر عسا وإبراهيم عسا المعروف بصم فولل الحسابي أيضًا وهو والد علو إبراهيم وملل وهما في قيد الحياة اليوم، وأما خاليد فهو والد علو وبل ودمب، وأما علو فهو والد إبراهيم والد بابله إبراهيم وهو في قيد الحياة اليوم، وأما بل فله يونس بل الذي في قيد الحياة الآن وله صمب بل والد خاليد صمب السالم الآن، وأما دمب خاليد فهو والد ير دمب الذي هو في قيد الحياة اليوم، وأما عبد الرحيم فهو والد عثمان عبدل وإبراهيم عبدل السالمان الآن، وأما ألفا عبد الله الحسابي فهو والد أحمد عبد الله والد صم مت الذي في قيد الحياة اليوم، وأما ألمام راسن فهو والد سيد راسن والد باب سيد ولألمام أيضًا بوكر ألمام والد عبد الله وعبد الرحيم، وأما سعيد محمود فهو والد صمب وير، وأما صمب فهو والد ألفا بيد وسيد صمب وهما في كلاير، وأما ير سعيد فهو والد صمب ير في مدين جاجب، اهـ، وقد ترجم لهؤلاء ولم يبوب لهم إلا حمدن إبرا فقد ذكره وأما غيره من إخوته فقد أهمل ذكرهم وذلك لأن سائل المخبر مشافهة صاحبي وحبيبي عثمان عال ولعلهما نسيا عن ذكر غير حمدن إبرا هذا، وأما أحمد إبرا فهو والد عمر أحمد والد حمات عمر وأحمد عمر، وأما حمات فهو والد محمود حمات والد ألفا حمات الصغير المعروف بسارن دمب وأخيه ألفا إبراهيم ابنا محمود حمات، وأما أحمد عمر فهو والد عمر أحمد والد [587] عبدل عمر المخبر، وأما حمات إبرا فهو والد حمدن حمات والد محمود حمدن والد سعيد محمود والد صمب أم والد أب صمب الذي هو

رئيسهم اليوم، انتهى ما بلغني من أنسابهم وكلهم من بران عسا بن دمب إك ودمب هذا هو القادم وسكن في سنكجل اسم جبل في مرتن فوق القرية التي عمرها سارن صمب جادنا كودل كول ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى.

397 - تحركات بعض سكان لاو وأخبار عن سارن عال دوت

إلى أن كثرت الفتن من البياضين فقطعوا البحر كجملة أهل فوت وسكنوا في جود جاب، فما زالت الفتن تزداد عليهم ثم رحلوا عن جود جاب وكان فيهم يومئذ عالم وهو رئيس قرى لاو البحرية كلها واسمه سارن دوت وهو الذي رحلهم إلى سبل تكيل تحت كلاير وأقاموا بحصنهم هناك وبعد مدة أمرهم سارن دوت بالارتحال أيضًا فارتحلوا مشرقين ونزلوا في قي اسم قرية في حاشية البحيرة محاذية لفت وأقاموا فيها حصنًا حصينًا ومكثوا فيها ما شاء الله إلى أن شاورهم سارن دوت في التجاوز إلى سكنى سلن فأجابه صلحاء لاو بالسمع والطاعة مع أنهم لا يحبون التجاوز وكان لسارن دوت هذا تلميذ من جاجب اسمه سارن محمود حمدن وهو ابن عمه وصهره وزوج بنته عيشة دوت فدخل عليه صلحاء لاو وقالوا له نحن لا نحب الذهاب ونحب أن تبقى معنا ولك علينا جميع ما كان له فقبل لهم محمود ذلك ثم تجاوز سارن دوت مع من رضي بالتجاوز معه إلى سلن وسكن فيها إلى أن مات وقبره في قبورهم المسماة سد، وأما جل أهل لاو فقد رجعوا مع سارن محمود إلى حصنهم القديم في تكيل ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى، ومنهم من قال إنما رجعوا إلى كلاير وهناك [588] لحق بهم رسل ألمام يوسف وأمروهم بالرجوع إلى جود جاب قهرًا وإلزامًا لسد تلك الثغرة وحفظ مخاضتها من لصوص البياضين وجيوشهم، ثم خرج أهل دوقل من جود جاب إلى دوكل فسكنوا فيها إلى الآن، وقيل كان في جود جاب قبائل شتى ومنهم جاجب وجلب الذين منهم سارن عال دوت أخو دن دوت والدة حمدن دن والد محمود حمدن والد ألمام راسن محمود وإخوته ويقال لهؤلاء جلب الآن في لقبهم هوتهوتب، وكان سارن عال دوت هذا مجاب الدعوة حتى اشتهر بذلك وعرف به حتى قيل إنه قام ذات يوم متوجهًا نحو وال برك لبعض حوائجه فأدركه الليل في تمبرد وترحب به أهلها الساكنون فيها وأحسنوا إليه بالضيافة واعتذروا إليه بعدم البيوت وهم يومئذ سكان الحفرات ولا يبيت أحد منهم دون حفرته إلا وافترسه الأسد، وكان مع سارن عال دوت الصبيان المتعلمون ومعهم الفرس أيضًا، فأجابهم

بنعم أبيت هنا إن شاء الله ولا يصيبني إلا ما قدره الله علي في (...) وبات آمنًا على نفسه وماله وعياله، فلما انتبه الناس وقت الصبح تبادروا إليه لاختبار خبره فوجدوه جالسا مقبلاً على أوراده فتعجبوا من شأنه وطلبوا منه الدعاء والحجاب فكتب لهم ما كتب ثم سألوه عن أجرته فقال لهم إن سلمتم فقطعة من الأرض الصالحة للحراثة فقطعوا له من قاباك إلى أولل وقاباك اسم أرض أو حرائث بين مدين وكلاير، وقيل إن سارن عال دوت لما رجع من سفره أخبر أقاربه بما جرى بينه وبين أهل أولل فاستحسنوه جدًّا ولذا حين رجعوا عن قي تجاوزوا إلى مدين وعمروها وطلبوا [589] من أولاد سارن دوت أن يكونوا رؤساء القرية فأبوا اكتفاء بما حصل لهم من أراضي الحراثة وتركوا لجاجب رياسة القرية ولهوتهوتب كراء أرضهم مع زكاتها ولهم في ذبائحهم بيول في لغتنا إلى الآن وهم الذين يملكون من شاءوا من جاجب وإذا اختلف جاجب في من يلي أمرهم ربما أخذ هوتهوتب طلبهم ويجعلونه وديارهم حتى يتفق جاجب ثم يردونه إلى من ولي الأمر منهم، وقد قيل إن الأسود الآن قلما تتعدى عليهم أو على أموالهم، وقال الشيخ عثمان عال حفظنا الله وإياه من جميع الأهوال وقد أخبرني واحد من أهل مدين جاجب أنه رأى في الأعوام الماضية أسدًا قد دخل آرية لبقر واحد منهم وفيها بقرة مع ولدها فخرج الأسد ولم يتعد عليهما، هـ.

398 - ذرية دوت عال

ومن أولاد دوت عال والد سارن عال دوت هذا عمر دوت وحمات دوت وسارن عال دوت هذا، وأما عمر دوت فذريته في سكت، وأما حمات دوت فذريته في مدين جاجب ويقال لهم جلب وراء الوادي، وأما سارن عال دوت فهو والد عبد الله عال وعثمان عال، وأما عبدالله عال فهو والد سلي عبد الله والد إلمان سلي وعبد الله سلي، وأما إلمان سلي فهو والد سليمان إلمان والد علي سليمان الذي في قيد الحياة اليوم، وأما عبد الله سلي فهو والد علي عبد الله والد ببكر علي والد ممد ببكر ومحمود ببكر وهما في قيد الحياة اليوم في مدين، وأما عثمان عال فهو والد دوت عثمان ودمب عثمان، وأما دمب عثمان فهو والد سعيد دمب ودوت دمب، وأما سعيد فهو والد جب سعيد والد سعيد جب المخبر المعروف بتفسير هك في كلاير، وأما دوت دمب [590] فهو والد عبدل دوت والد إبراهيم عبدل وأحمد عبدل وهما في كلاير اليوم أيضًا. ولهوتهوتب من الحرائث ما بين مدين وتمبرد ولهم حرائث في مرتن يقال لها

كلكل جوج بين كسك ودوقل هبة من صمب مارن تس أحد من جايب جار وأصله من هورفود تصدق بابنته على واحد منهم مع تلك الحرائث، هـ.

399 - ذكر قبيلة جود جاب وفروعها

وأما جود جاب فهم قبائل شتى منهم جاقرف قمب وجاقرف سنكجل وجاقرف ولقر وجاقرف سلمايو وكلمنك تفال، وأما أهل قمب فهم الأصليون في ملك جود وألقاب أهلها جو وجاي وجوب ولقب حواتيهم جول ولقب الملوك من قمب جو ولكن رئيس جود الآن من قمب لقبه جاي، ولهم من الحرائث لومسب وهم أكثر من إلمان قمب حرائثا، وكان من أهل قمب ولي فال وصو جو وغيرهم وهم الذين أخرجهم سارن عال دوت من الحفرات، وأما أهل سنكجل فهم من جايب كل والد عال قل وجايب قل هم الأصليون في التلقب بجاقرف، وفي أيام ألمام يوسف دخلت الفتنة بين أولاد قل وبين جاجب فأدخلوا فيهم سامب فصاروا يتناوبون إلى الآن، فأصل سامب هؤلاء من ألا إند دم والد صمب ألا إند والد جوم دمب صمب، ومنه انتقلوا عن كنية جاقرف إلى التكني بجوم إلى الآن.

400 - أصل جاقرف سلمايو

وأما جاقرف سلمايو فأصله من جوت جاي والد عبد الله جوت والد حمات عبد الله والد عال حمات والد قني عال الذي مات في حرب عل ألكو وهو من أهل جود ومعه كابل الذي هو من أهل كسك ولقبه مار، وفي تلك الحرب وجد أهل كسك طبلهم بيل فأعطاه كابل لخاله ير دمب وهو واحد من سامب كسك وهم رؤساؤها ولقب الرئيس منهم إلمان فصار الطبل يتناوبه إلمانات [591] كسك إلى الآن، وأولاد كابل هم الذين يخرجونه من دار المعزول إلى دار المتولي الآن، وإذا أدخلوا هذا الطبل دار متولي الأمر الجديد يعطيهم بيضة، وأما جايب جود فهم من قني عال ودمب عال وذريتهما هم المتناوبون للجاقرفية في جود، وأما جاكرف ولقر فهو من جوب ويملكون فالمف وهو كالغلام لجاكرف يرسله في مهماته وهو معنى فالمف ولقبه سار، وفي ولقر أيضًا الذين لقبهم سل، وأما قمب فجاكرفهم من جايب أو من جوب ولهم فالمف من جوب، وأما سنكجل فجاكرفهم من جاي وفالمفهم من لوم ولهؤلاء لومب عصبة في كلاير أصلهم واحد، وأما جاكرف ولقر وهو من جوب الذين أصلهم بوب بج وألوون بج،

وأما بوب بج فهو والد فات بوب والد درمان فات والد مود درمان والد عال مود والد سلي عال والد دمب سلي والد بوب دمب الحي السالم الآن، وأما آلوون بج فهو والد بران آلوون والد صمب بران والد فت صمب وير صمب، وأما فت فهو والد دو فت والد سان دمب والد ير سان والد صمب ير والد جاقرف جب صمب الذي مات في هذه الأعوام، وأما ير صمب فهو والد صمب ير والد لمن صمب والد بوب لمن والد صمب بوب ساج، قلت ويمكن أن يكون ساج اسما لأمه، والله أعلم، وصمب بوب هذا هو والد جوم متار صمب والد زين وهم في كلاير درد، ولجاكرف ولقر من كلاط مرتكل في مرتن وغيرها من الحرائث، ولجاكرف قمب لومسب ودنكج وسربل، وأما سنكجل فلهم كولط وكاجل، وأما سلمايو فلهم آبار وتلل وجسك ولكملنك تفال بايلل سايل، وأما إلمان كلاير فأصله من جايب الذين هم [592] من مود أمد والد دمب مود والد حمات دمب وصو دمب وهو المعروف بصو جاي في ولل وهو والد إبرا صمب والد راسن إبرا والد عبد الله راسن وموسى راسن وعثمان راسن وهو اليوم في هاير كلاير في مرتن كسك، وأما حمات دمب فهو المعروف بإلمان حمات في كلاير ثم ارتحل عنها أولاده إلى كسك، ولإلمان حمات إد إلمان وعال إلمان ويونس إلمان وير إلمان وأحمد إلمان، وأما عال فهو والد عبد الله عال والد أحمد عبد الله والد صمب أحمد والد راسن صمب الحي الآن في هاير كلاير، وأما ير إلمان فهو والد مود ير والد صديك مود الحي الآن في هاير كلاير وهؤلاء هم الذين يكونون أئمة في مسجد كلاير لا غيرهم وبعد ارتحالهم إلى كسك ناب منابهم في إمامة المسجد سارن برك كبير دمبب ثم بسوب ثم سارن عرف أحد صلحاء ليدب ثم ابنه ألفا عمر وهو الذي فيه اليوم.

401 - فروع قبيلة كسك

وأما (...) كسك فمن ملوكهم جوم بار الذي أصله من دقا برم بج والد دو دقا والد عال دمب والد مسط عال ومن هؤلاء يكون جوم بار ولقبه جك ويملكهم سلسب، وينقسم كسك إلى قسمين وهما قنكل وكلاير، وفي قنقل جوم بار وكملنك ولقبه به وإلمان سامب وكنهنب بيت آود وكنهنب بيت ملاق ودنقوب وليدب وتالب وقيدنب وسيسيب وآنانب وكي الحدادون، وأما كلاير فمنهم إلمان صو تي وكنهنب وورنب وجاجاب ودنقوب الذين يكون منهم جاكرف إلمان صو تي ومعهم أيضًا سامب الذين عندهم طبلهم بيل ومارب أي الذين لقبهم مار وجايب عال

قل ثم جايب كجلن وباباب وجنجب وكبياب وأهل جو وقي وقن الحدادون وجوب، وأما سبل مدين فجالتابها من فالب أو فامب وفيهم دار لأهل دوقل ولقبهم كي [593] يكون منهم تارة تان دوقل، وأما سبل تكيل تحت كلاير فلا يكون فرب منهم إلا من لقبه جو وكملنك ناني هو الذي يوليهم فرب، وأما بقية دقدوب فلقب ساداتها جول، وأما سبل قند ويسمى فود كنط بين كلاير وبمب وراء البحيرة قرب مشرعة مر وموردها فأصلها من دوقل وقيل إنهم منذ ارتحل غربي لاو عن كودل كول وعمروا حصنهم في سبل فود كنط إلى الآن ما رجعوا إلى دوقل إلا أنهما كالقرية الواحدة في العادة وربما خرج تاين من سافود كنط فيكون واليًا على كلتا القريتين إلى الآن، وفي دوقل بيوت شتى يقال لجمعهم أجداد موسى أي بنوه بالوسائط وهم قيب أي لقبهم قي ولا يكون تاين إلا منهم، وفيهم جايب فلا يكون جرن إلا منهم وجرن كالغلام لتاين يرسله في مهماته، وفيهم أجداد سمسام أي بنوه بالوسائط كبني بنيه مثلاً ولا يكون جالتاب إلا منهم وجالتاب هو أمير المشرعة والمورد، ثم سيسيب نيكن وكنية رئيسهم إلمان ويوليهم سامب كسك.

402 - ذكر بيوت أو عائلات كيب

وأما كيب فبيوت شتى وجملتهم أربع بيوت وهم بيت قن وبين سلمن صمب وبيت بي ير وبيت بوب، وأما بيت بوب فهم الكبراء لأن جدهم أكبر سنًا من الباقين إلا أنهم تركوا الولاية وصاروا يملكون من شاؤوا من تاينات دوقل لأن جدهم تاين همد ولي الأمر ثم مات بعد يوم ثم ولي تاين موسى الأمر وقت الظهر فمات فجأة قبل صلاة العصر فتحاموا الولاية وتشاءموا بها وتركوها إلى الآن فصاروا هم الذين يختارون من شاؤوا من البيوت الباقية للولاية على الجميع ومعهم في ذلك الاختيار جايب الذين لقب رئيسهم جرن وهم الذين يولون تاين أمرهم، ومن بيت قن تاين همد بن تاين ومنهم تاين سلي وتاين صمب سعيد الذي نازع دمب عيشة في (...) العام 1924،[531] وأما بيت بي ير فمنهم لب تك وهارون بن تاين فات وباب فولل، [594] وأما بيت سلمن صمب فمنهم باب فولل وسيد كمب وهما من أبناء تاين ألفا جاي. وقيل إن دوكا كانت من قبل مسكنًا لأهل وتدن ثم أتاهم قيب فطردوهم عنها بعد حروب كثيرة فأجلاهم عنها كيب مع استعانتهم بسم سام، وقيل إن سم سام كان صيادًا

531 - عام 1924م يوافق 1343 هـ.

في البر وحواتًا في البحر ولما استعان به أهل دوقل فوعدهم بالقدوم إليهم غدًا ثم لما تقارب الفريقان اطلع عليهم سم سام من البحر يجر سفينته فلما رآه أهل وندن هربوا ظانين أنه عفريت من الجن لجسامته فما زالوا هاربين إلى أن نزلوا للاستراحة بين بت وسبلل فبينما هم مستريحون في ذلك الموضع إذ طلع عليهم سم سام تابعًا أثرهم فقاموا هاربين أيضًا إلى وندن، وفي دوقل أيضًا قنط باج يعرفها الخاص والعام من أهل لاو، قلت ولعل ذلك الموضع كان مسكنا للجميع أهل وندن وأهل باج فطردهم جميعًا عنه أهل تاين دوقل فسكنوا في مسكنهم بعدهم، والله تعالى أعلم، وقيل إن سلدن لم يسكن في جود سنكال بل كان يسكن في جود مرتن ولعلها كودل كول وأن كون في جود ناحية مسكونة تسمى ولقر ولقب رئيسها جوب، وفي ولقر أيضًا من لقبهم سل، وفي جود أيضًا فالمف المتعدد دليل أن أصل كلياب كجك من هؤلاء، لأن ملك أولئك داينيكوب وهؤلاء كذلك فسبحان الدائم الباقي بعد فناء خلقه الذي لا يوفى في الثناء عليه أقل حقه.

403 - ذكر أخبار قمبناب

رجوع إلى ذكر قمبناب في جود جاب وجلهم سب كجوب وجايب وهم الذين يولون هوتهوتب وجاجاب إمامة مسجد قمب، ومن جوب ولقر صمب بوب ساج الذي أقام الحد بين ناني ودرد، وعن قمب في جود ارتحل قمبناب إلى كاجل قمب بين جاب وهورفود لكثرة الفتن ومكثوا هنالك إلى أن ردهم إلمام عبدل إلى كلاير وأمر كملنك ناني وجوم درد أن يعطوا إلمان سري حرائثًا يحرثها فقطعوا له كل واحد [595] منهما حرثًا يحرثه إلمان سري إلى أن مات بعد موت ألمام عبدل، فأراد كملنك وجوم أخذ حرثيهما فأرسلت زوجة إلمان سري ولدها دو إلمان إلى ألمام يوسف تشتكي إليه أمر الحراثين فكتب له ألمام يوسف براوة إلى كملنك وجوم أن يتركا الحرثين في أيدي أبناء إلمان سري حتى يبلغا، والحاصل أن الإمام يوسف هو الذي أثبت لهم ما وجدوا في كلاير ومن جملة ما أعطاه ألمام يوسف شقة كبيرة تسع عياله وثلاث شياه وعجل ابن ثلاث سنين مع زكاة فلاّن يقال لهم جقناب وهم في ناحية من نواحي قرية مو وزاد لهم على ذلك أمره لأهل كلاير أن يحرثوا لهم حرائثهم حتى يبلغوا كما زعم المخبر. وقيل إن أهل ساد سقينة ليس لهم في كلاير حرائث إلا القليل الذي لا يكفيهم في الحراثة، والله أعلم، انظر بين هذا الكلام وكلام ساد سقينة السابق تجده كله أو جله باطلاً.

والله تعالى أعلم. وأما نانيناب وهم من ياينى والد عل ياينى وسب ياينى، وأما عل فهو والد جم عل والد برام جم والد صمب برام وير برام، وأما صمب برام فذريته في آجم كد، وأما ير برام فهو والد لب ير وصمب ير، وأما لب فهو والد صمب لب ودبود لب، وأما صمب لب فذريته في سول، وأما دبود لب فهو والد جم دبود والد صمب جم والد بوكر صمب والد كملنك محمود الذي في كلاير اليوم، وأما صمب ير فهو والد بوب صمب والد لب بوب والد سري لب الوجيه الذي قيل إنه كان موافقًا لألمام عبدل جدًّا ولذا قيل ما وجد أحد من أهل كُلاَّيَر شيئًا في أيام الإمام إلا بواسطته وهو والد بلل سري والد دمب بلل والد بلل دمب والد الحسين بلل الذي هو رئيسهم اليوم، وأما سب ياينى فهو والد مب سب والد بلل مب ولب مب وصمب مب، وأما بلل فهو والد ساج بلل والد دمب ساج والد قل دمب والد مهم قل الذي [596] في قيد الحياة اليوم في ناني فلب، وأما صمب مب فهو والد كل صمب وير صمب، وأما كل صمب فهو والد أحمد كل والد دمب أحمد والد أحمد دمب الذي في ناني فلب، وأما ير صمب فهو والد كل ير والد هارون كل وفات كل وهما في ناني فلب الآن، وأما لب مب فهو والد كل لب والد ألجما كل ودمب كل، وأما ألجما فهو والد لسن ألجما والد كل لسن والد برام كل الذي في ناني فلب الآن، وأما جم كل فهو والد صمب جم والد عثمان والد عمر عثمان في ناني، وأما دمب قل فهو والد سلو دمب والد عال سلو والد مود عال الذي في ناني فلب. وأما بونناب فإنهم من صو ياينى وفيهم باباب وجوب يزعمون أنهم من آجم وآخرون يزعمون أنهم من جوب هورفود وصمب سراقة أحد جوب ولقر جود جاب ارتحل إليهم لزوجة فقط، ومن فلاّن لاو أوررب وال المشتهرين بسرناب نسبة إلى سرموو وهي اسم قرية الفلاّن قرب جود ومنهم وال برك أوررب ديت الذين مساكنهم من كربن إلى لساتول في وال برك أيضًا، وهم من سمد يك والد سبل سمد والد كل سبل والد همد كل والد كل همد وصمب همد ودمب همد وآدم همد، وأما كل همد فهو والد أحمد كل والد عبد الله أحمد وصمب أحمد، وأما عبد الله أحمد فهو والد مود عبد الله المعروف بمود جل والد ساد مود الحي الآن، وأما دمب أحمد فهو والد حسن دمب المعروف بحسن بمب ولدمب أحمد أيضًا ولد يسمى جسفل دمب الحي الآن، وأما صمب أحمد فهو المعروف بتفسير صمب بر والد بيلي تفسير وسعيد تفسير المعروف بسعيد رك وكان وجيهًا في آنجور، وأما صمب همد فهو والد فوقا صمب والد جب فوقا ودمب فوقا، وأما جب فوقا فهو والد بوب جب ودمب جب،

وأما بوب جب فهو والد ممد بوب الذي في تلد سلا الآن وهو موضع في مغرب كسك، وأما دمب جب فهو والد موسى دمب وهو وأولاده في تلد سلا أيضًا، وأما دمب فوقا فهو والد عمر دمب والد أحمد عمر وهو وأولاده في تلد سلا أيضًا، وأما دمب همد [597] فهو والد موسى دمب والد قو موسى والد دمب المعروف بسارن دو قو الشهير وقد كان مجاب الدعوة كما قيل وهو أول من سكن في مدين جاجب يعرف ذلك أهل مدين حتى أنهم يقولون إن محل مسجدهم الآن كان محلاً لعجوله وكان يصيف في كسك ويخرف في مدين ولم يخف شيئًا إلا الله تعالى لا الأسود ولا اللصوص إلى أن أتى أهل مدين يريدون السكنى فيها فخلى لهم الموضع وارتحل عنهم تبعدًا عن الحرائث فهو والد إبرا دمب وأحمد دمب وآمنة دمب التي هي الوالدة بر آمنة والد بدل بر الذي ارتحل عن لاو إلى دنول في مرتن في ديوان ليتام وهو رئيسهم هنالك، وأما أحمد دمب فهو والد موسى أحمد وأولاده في هاير، وأما آدم همد فلم يذكر لنا نسله وكذلك إبرا دمب، والله تعالى أعلم.

404 - أصل أوررب سرناب وبعض أخبارهم

واعلم أن أوررب سرناب بيوت شتى منهم بوردناب ومنهم سرناب وايد بك وسرناب يفيف وأصل الكل من سرموو ولذا نسبوا إليه، وجل أهل سرموو من جاوب الذين منهم أهل صمب كم في جودن وليسوا من أوررب قسم ولا من بسور ولكن أصلهم واحد ولكنه بعيد، وقيل إن سبب انتقالهم من هنالك إلى فوت كون أرط أوررب قد شرط على كافة رعيته يومًا معلومًا وذلك اليوم إذا حصدت الحرائث وبقي العصف يذهب كل من كان في رعيته يحمل له ما يثقل دابته من العصف يستعين أرط بذلك على علف ماشيته ثم يذهبون يحملون العلف لمواشيهم فاتفق أن تخلف رجل من جاوب الذين كانوا من جملة رعيته الذي اسمه جم جاو عن حمل العلف لأرط فتفقده وسأل عنه فقيل له لم يذهب في حمل علف ماشيتك فحكم عليه أرط بأخذ ماله كله، فقال لأرط بعض وزرائه خذ من ماله بقرة أو بقرتين فامتنع أرط ولم يقبل بل عزم على أخذ مال الرجل كله، فارتحل الرجل تحت الليل هاربًا راجعًا إلى فوت فتبعه جل أحبابه وكان فيهم جاوب [598] وأوررب إلى فوت، والله تعالى أعلم، وقيل إن أوررب حين اجتمعوا في فر وسكنوا فيه ما زالوا يحاربون البيضان واسم رئيسهم حينئذٍ كد وكانت له عنزة داك أي حمراء العنق أو سوداءه ويكون جسدها كله أبيض وهو معنى داك عند الفلاّن

واتخذوها كالصنم لأنهم كانوا يحلبون لبنها ويتمسحون به فيغلبون كل من حاربهم بزعمهم فعلم بذلك البيضان فسرقوها فلما علم كد بذلك قال فر هاطي داك ومعنى فر السرقة فلذلك صار الموضع يقال له فر إلى الآن فارتحلوا وكان منهم قوم عازبون مع المواشي فبقوا في تلك الأرض وصاروا بيضانًا لذلك وهم توابير كما قيل ومن عوائدهم إلى الآن أن المختتنين من أوررب يمكثون ثلاث سنين وضفرهم من القفا إلى الوجه ضفار رقاق متخالفة ويسمى هذا الضفر عندهم لق وبعد الثلاثة الأعوام يصير هذا الضفر موفل وهو ضفر فلاّن البراري ويسمى ضفر لق عند البياضين بتبيس وهو ضفرهم، ثم إن أوررب افترقوا ولعله للرعي ومنهم كنكلناب في كاول وكلم والذين في كاول منهم يكون أرط كنكل لا الذين في كلم فلا يكون منهم أرط غالبًا ومنهم من في سقل أوررب ومنهم أوررب جكناب ومنهم أوررب ناني ويسمى أيضًا بايل عايد وأوررب داكا وأوررب بايبل وهم أوررب فتل فوق هاير ثم أوررب جم وهم بسورناب وأصلهم من لاو لأنهم ارتحلوا من سقل وداكا وجكناب وهم بسورناب هنالك، وأما أوررب كسم فأصلهم تور ثم أوررب كد ومن قبائل أوررب ياللب ومهمناب ولقبهم به ودمبب وجلب وهذه القبائل الأربع هم الملكون لأرط أوررب والملك من أوررب لا يكون لقبه إلا به غالبا ثم إنهم إذا ملكوا أرط وبايعوه فلا يرجع إلى داره حتى ينزل في بيوت جلب [599] ويبيت عندهم ليلة إلى ثلاث ليال كالمتعرس وسنذكر كيفية ذلك هنا بعد إن شاء الله تعالى، وقيل إن أوررب لما تفرقوا عن فر وبقيت منهم فرقة هنالك تسمى الآن توابير وذهب بعض إلى جلف وتفرقوا هنالك أيضًا في المساكن، فأما الذين سكنوا في بسرل اسم موضع في جلف فقد صاروا يقال لهم بسورناب، وأما الذين سكنوا في قسمل اسم موضع في جلف أيضًا فقد صار يقال لهم قسمناب.

405 - فروع أوررب وأخبارهم

وأما أوررب جم فقبيلتان قسم وبسور وفي جلف أيضًا بسور ويخرف أوررب بسور في موضع يسمى كس فوق جم، وأما كسم فيخرفون في وايد جم فوق جم أيضًا، والكل أهل ترحل، وفي أوررب قسم وبسور قال السيد عثمان عال وقانا الله وإياه من جميع الأهوال وأما أوررب قسم وبسور فكان ملكهم واحدًا وأما الذين في جلف منهم فملكهم من قسم والذين في فوت منهم فجل أرطاتهم من بسور إلى أن ولي أرط مود مهم أمرهم وهو من بسور

أيضًا ولاه عليهم ألمام ممد البمبي فرجع من عند بمب فمر بأوررب سقل وداكا وجكناب لأخذ جقرط منهم وإنما يؤخذ جقرط من أقارب الملك بمنزلة دود لام ومعناهما في كلامنا ما يؤاجر به السلطان على تولية أحد من العمال على بعض رعيته، ثم تجاوز أرط مود مهم إلى جم وأحضر قومه وطالبهم بإخراج جقرط وأكد عليهم الأمر وشدد حتى أنه كلف كل مكلف خمس بقرات فثقل عليهم الأمر فارجف بذلك المرجفون وانتشر الخبر فقامت امرأة من بنات قسم واسمها تك سوق وهي أخت لأست قر فدنت من الجماعة فنادت بأعلى صوتها أفيكم أست قر فأجيبت بنعم فقالت قولوا له فليقم وليخلع سرواله ويدفعه إلي لأتسرول به لأضرب [600] الكاذب وأطرده عنكم فجعلت توبخ أخاها أست قر وتقول له اخسأ يا جبان أتكون في مجمع يقال فيه لأبناء قسم مثل هذه الأقاويل، وقيل إن أست قر ومن معه قاموا وضربوا أرط مود إلى أن طردوه عنهم، فتجاوز أست قر إلى ألمام ممد في بمب بمجرد فعله هذا، فلما مثل بين يدي الإمام وقد بلغه ما فعل بأميره فقال له الإمام ما حملك على ما فعلت فقال أنت الحامل لي على ذلك لتوليتك علينا الفقير السفيه، والحاصل أن الإمام ولاه على قبيلتين فامتنع أست إلا التولية على قبيلته قسم فقط، فلما رجع مر على جكناب وداكا فدفعوا إليه جقرط كما هو عادتهم فامتنع وقال لا نشارككم بعد ما مضى أبدًا، قلت ولعل هؤلاء من بسور، وهذا هو السبب في افتراقهما مع أنهما من رجل واحد وهو كد مود والد لسن كد وفات كد، وأما لسن كد فكان أكبر سنًا من فات وهو والد مهم لسن والد مه مهم والد درن مه والد أرط صمب جرن والد كل صمب والد مهم قر المعروف بأرط فايا والد جب مهم المعروف بجاول أرط وكان من موارد الشيخ سيدي وكان صالحًا فيما ظهر كما قيل، والله تعالى أعلم، ومن قبائلهم ياللب ومهمناب وقرناب وجلب، وكان ياللب هم المقدمون على تولية أرط أوررب من قبل من حين كانوا في ماسينا إلى فوت، فلما أرادوا أي أوررب التجاوز إلى جلف تخلف عنهم ياللب فجعل أوررب في مكانهم مهمناب عند التولية ومن عوائدهم إذا ولي أرط الأمر يتعرس في ديار جلب ليلة إلى ثلاث ليال فيذبح له كبير جلب عجلاً ابن ثلاث سنين ثم إذا أوتي إلى أرط جقرط يأمر لكبير جلب أن يأخذ عوض عجله ومن عوائدهم في الذبيحة أن لأرط أسال وهو الكليتان وما حولهما مع سكتل لرل ولياللب الرجل القدامة ودفتل لرل ولمهمناب الرجل الثانية ولرل تتبل إلا أن ياللب لما تخلفوا في فات وتجاوز مهمناب مع أرط أوررب صار مهمناب متقدمين على تولية أرط وصارت لهم حصة ياللب، [601] وهكذا صارت حالهم فلما

رجع أوررب إلى فوت قام ياللب يطلبون وظائفهم السابقة فامتنع مهمناب عن ذلك وتخاصموا وتحاكموا أعوامًا فحكم بينهم بالقرعة فسكنا على ذلك إلى الآن، فانظر إذا اجتمع أوررب ووطاب في الجيش قيل أن أوررب هم المقدمون وقيل أن الأمير أحمد بن الشيخ عمر أرسل سرية وفيهم ستة من أرطوب وطاب ومثلهم من أرطوب أوررب فسكت عن تعيين الأمير لتلك السرية فلما خرجوا وراء القرية قال قائل إن الأمير أحمد لم يعين لنا أمير السرية فقيل له إن أوررب هم المقدمون على وطاب، وقيل إن قبائل الفلاّن ترجع بالجملة إلى قبيلتين وهما أور وبط، فلقب أور كلهم به وجل تابع لهم لا يفارقهم كالأخ الصغير، ولقب بط كلهم سه بضم السين وسكون الهاء وإن تابع لهم لا يفارقهم كالأخ الصغير أيضًا، اهـ، ومعنى أور أوررب ومعنى بط وطاب، انتهى، وسنأتي بذكر أوررب أيضًا في تاريخ تور إن شاء الله تعالى، وأما معنى سكتل لرل ودفتل لرل ولرل تتبل ومعنى لرل الجلد البقري أو الجلد الذي يصلح لغلظه أن يصنع منه النعال وسكتل هو جلد فخذ البقرة أو الثور وهو أغلظ جلد البقرة كما قيل، والجلد الذي يليه هو دفتل لرل، والجلد الذي بعد دفتل ولاء هو لرل تتبل، والله تعالى أعلم.

وأما فمبناب فهم فلاّن جاؤوا من المشرق من جهة مرتن فقطعوا النيل عند كيهيد كما زعموا فسكنوا في لاو عند كود كوت ثم ارتحلوا إلى جلف فسكنوا في موضع منها يسمى فمب وبه سموا فمبناب ثم رحل بعضهم فسكنوا في كود كوت أيضًا وسكن بعضهم فوق نباج وسموا قريتهم فمب وبعضهم الآن ساكنون في كجور عند موضع يسمى لولان ولهم قرية أيضًا في كجور [602] تسمى كليل والحاصل أن قراهم الآن قريتان في فوت إحداهما قرية فوق نباج تسمى فمب والثانية قريتهم أيضًا عند كود كوت في لاو ولهم أيضًا الآن قريتان في كجور إحداهما تسمى لولان والأخرى تسمى كليل وهم مخصوصون بسحر الربط والقيد والوداع والحجاب وكان ملوكهم أولاً فتوب وهم قبيلة بر فطلب أوررب أن يكون ملكهم فيهم فأبوا فتهاجر أوررب ومروا بدار من ياللب في جلف فتهاجر معهم إلى فوت واسم ذلك الجالالي دم بر فلما سكنوا في فوت فوق نباج صار أورور هذا أميرًا عليهم وسمى مسكنهم فمب لأن هذا أورور أصله منهم لا من غيرهم، وأوررب هم الملوك في فمب نباج لا غير، وقد جاء أباب ولقبهم سه وسكنوا في فمب نباج، ثم جاء فافاب بك ولقبهم به فسكنوا في فمب نباج أيضًا، ثم جاء جلب بمياب ولقبهم كه فسكنوا في فمب نباج أيضًا، ثم جاء جاوب وسكنوا معهم أيضًا، واعلم أن أباب وفافاب وأوررب نصيبهم في القسمة واحد وهم شركاء فيه عند فمب

نباج، ثم أن الذي وجدته في فمب نباج الآن رئيسًا عليه من لقبه كه وهو وجل واحد كما قيل. وأما جاوب جنل فقد تقدم ذكرهم في تاريخ يرلاب. وأما أرط بنت سبلل فسيأتي ذكرهم في تاريخ تور عن قريب إن شاء الله تعالى. وأما جاوب فقد تقدم ذكرهم في تاريخهم. انتهى ما التقطت من تاريخ رؤساء [603] لاو ويليه إن شاء الله تعالى تاريخ تور.

406 - مواطن تور واستقرار القبائل فيها

تاريخ تور وحدها في القرى النيلية من واللد إلى دكان، واعلم أن فرب واللد هو الذي يولى جان ثم ميس ثم جوم في واللد ثم جكدن ثم جاكرف ثم جالتاب يناوبه جاماي وهما المتوليان لجباية فل في لغتنا، وجان هو الجابي لحرائث كلاط جايجكل في مرتن وسنكال معا، وميس هو الجابي لحرائث كر وحرائث أسكابل في محاذاة جايك وكنهن وواد، وجوم هو الجابي لوايلس سيد بوب بين واللد وهاير وحرائث أبد، وجكدن هو الجابي لأسمنكل بين واللد وكنهن ووايلس فرب ووايلس كيلل ووايلس دود فجل، هـ. وجاكرف يوليه جوم على أخذ جباية وايلس سيد بوب وحرائث أبد، ولقب جالتاب يتنازعه ثلاث قبائل كم وسام وجك، وجاماي لقبه سار فقط وكنهن قرية الحواتين على النيل البري ومنها أصول لقب فال، ثم واد قرية الحواتين على النيل البري أيضًا، ثم جايك قرية الحواتين على النيل البري الغربي لقبهم كي وأصل لقبهم به وأصلهم من فلاَن هاير خطب واحد منهم امرأة من أهل دوكل فمنعوه منها للقبه فغير لقبه إلى لقبهم فزوجوه إياها فسكن في ورد وهو أصلهم، ثم كيلل قرية الحواتين من أهل اللقب سه بكسر السين، ثم هدك هاير قرية الحواتين على النيل المذكور لقبهم سار ورئيسهم فرب ولقبه مار، ثم جركل سبل وطاب لقبهم صمب بضم الباء، ثم كك قرية الحواتين كذلك، ثم جمال قرية الحواتين كذلك، ثم كر كجل كذلك، ثم دَمْبَى كذلك، ثم جار وفيها سرخل، ثم جم، ومن هنا تبتدئ القرى الكبار وهم [604] بالنسبة إلى من مر كأهل الحاضرة لأهل البادية وهكذا إلى أن يجتمع النيل الغربي بالنيل الشرقي عند دي وأصل مخرجه من النيل الشرقي عند سلد التي هي وندن إلى دي، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن اصل القرية دمبى ونحوها من تلك القرى أن بعض هجرة وطاب حين جاء لعد أرسل واحد منهم أخويه الصغيرين ينظران له المسكن الجيد وانتظرهما في دمبى مغرب كركجل، فذهب أحدهما إلى سالاو والآخر إلى لايراب ثم رجعا إليه واختار كل واحد من الرسولين سكنى

الموضع الذي رآه وفضله على غيره فأبى عليهما أخوهما الكبير المرسل فاختار الموضع الذي تركاه ينتظرهما فيه وهو دمبى واختار صاحب لابراب لايراب فارتحل إليها وسكن وهم رؤساؤها إلى الآن ويقال للرئيس منهم جوم لايراب وهم من قبيلة سه بضم السين وسكون الهاء وما زالوا فلاَنًا إلى الآن، وكذا اختار صاحب سالاو سالاو وارتحل إليها وسكن فيها وقد صاروا فيها تورب من قبيلة سه أيضًا، وأما كبيرهم الذي أرسلهم وانتظرهم في دمبى ثم اختارها وطنًا فقد صار عقبه حواتين وذلك أن دمبى كان مقطعًا (...) أهل منكي وأهل جبل وأهل ودبي وفيها سفينتهم التي كانوا يقطعون بها النيل وقت الرحيل إلى الأماكن البحرية في الشتاء ووقت الرحيل إلى البر في زمن المطر والخريف، وقالوا لمن اختار سكنى دمبى أحفظوا لنا سفينتنا هذه إن كنتم ساكنين هنا فقالوا نعم ولكن من أتانا يطلب العبور نقطعه بها ونأخذ الأجرة لأنفسنا فقبلوا لهم ذلك فما زالوا كذلك إلى أن نفدت ماشيتهم وصارت حرفة الحواتة حرفتهم [605] وصاروا يشترون لأنفسهم السفن وكذا بنوهم إلى أن تناسلوا وكثروا فارتحل بعضهم إلى كركجل فسكنوا فيها إلى الآن ولقب الجميع سه وأصل الكل من فلاَن وطاب، انتهى. وبهذا تعلم أن الأصل في فوت تور الحرفة لا غير والكفاءة فيها اتخاذ الحرفة والصنعة لا غير، والله تعالى أعلم. فلنرجع إلى ما كنا بصدده من تاريخ واللد وهاير ونقول وكان فرب واللد هو ملك تور ولاو قبل داينيكوب ثم صار ملكه مخصوصًا لبعض قرى تور ثم صار ملكه مخصوصًا بواللد وهاير وما حولهما ثم صار ذلك أيضًا سارن وس يتنازعه معه وتارة له وتارة لسارن وس، وفي ملك وسناب بايل بل ووسناب وأوريل وولر بايل باو في همد هنار، وزعم سري عباس[532] في تاريخه ونصه: وكانت قبائل النساجين عند مكان يقال له هاير كال فلما فسدت كيم تفرقت تلك القبائل يومئذٍ وقصد بعضها إلى هاير في يمين البحر كما هي مسماة بالأولى وكانت في هاير كل أيضًا قبائل السودان يقال لهم هايرنكوب وكانت تحت مملكة أرط يرديد فتفرقت يومئذٍ وقصدوا ناحية المشرق وسكن بعضهم في كجاق وما والاها، هـ. قلت وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. قلت أيضًا وممن في هاير من القبائل وسناب ولقبهم تور ويزعمون أنهم من طور سيناء، قلت أيضًا وهو جبل بالشام وكان بنو حام يسكنون الشام حتى أجلاهم منها داوود عليه السلام وقتل ملكهم جالوت، والله تعالى أعلم، وسبب تسميتهم بوسناب نزولهم عند تلد وس أول مجيئهم لفوت

532 - انظر هامش سري عباس رقم (501)، ص. 448.

تور [606] ومعنى تلد الربوة وتلد وس في مرتن مقابل واللد فسكنوا عندها مدة من الزمان ثم قطعوا البحر على سنكال فسكنوا عند تلد كر زمنًا طويلاً والربوتان متحاذيتان كما قيل تلد وس في مرتن وتلد كر في سنكال بين واللد وكسك، ثم ارتحلوا من كر إلى هاير ورئيسهم يومئذٍ سيد عال أخو لمن عال والد حسن لمن والد سري حسن المشهور بألمام سري لِه وسنذكره بعد إن شاء الله تعالى، وهم شيوخ أوكلناب في الدين ثم صاروا شيوخهم في الدنيا فما زالوا في هاير إلى زمن ألمام عبدل فذهب إليه سري حسن وهو سيدهم يومئذٍ فاجتمع به واصطحبه كالتلميذ له وقد أعطاه ألمام عبدل كثيرًا من الأماكن في فوت منها بكل ومنها سلاك وجومند وير تفسير قرية قرب دطل يسكن فيها الفلاّن ومنها أوكلناب وساويناب وأوررب بابل وهذه القبائل الثلاث من أعمال هاير ومنها أيضًا سرناب وبكناب أي أهل بك وواللد وجايك وشيئًا من أرض سلن قدر خمس حرائث في لل ومنها تيككل وشيئًا من أرض همد هنار كما زعم بذلك كله باب تور، قلت ولعل الإمام كان يرسله كثيرًا إلى بعض هذه الأماكن كالجابي له ثم صارت ملكًا له بعد موت الإمام كما فعل ذلك كثير من رؤساء فوت بعد موت الإمام، والله تعالى أعلم.

407 - وصية سري عال للإمام عبدل بشأن النابغة الغلاوي وما وقع في شأنها

وقد رأيت لسري عال هذا براوة كتبها لألمام عبدل في شأن النابغة الأغلالي واسمه سيد محمد[533] وقد كان أتى لألمام عبدل قلت ولعله أتى طالبًا منه المال وأراد الرجوع فأمر ألمام لسري حسن أن يكتب له براوة ونصها: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد، الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ذاته والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، من أمير المسلمين الشيخ عبد القادر إلى من سيقف [607] على هذا الصك من قاض أو مفت أو وزير أو رئيس قرية من سلن أي هورفود ويرلاب وأهل كلاير وهاير من بريهم وبحريهم من دوقلي ومسكي وواللد وهليبي إلى إد وجم وهلوار وجما ومقطع وماو وكسب (...) وجلمس ونظرائهم، وموجبه إليكم إعلامكم بأن حامل هذا الكتاب إليكم وهو سيد محمد الغلاوي شيخنا وكل من مر به فليحسن عليه وعلى عياله من فراش وضيافة وترحيب حتى يجاوزوا البحر، ومن نزلوا عليه من أهل البحر وأراد التجاوز من عنده فلا يأخذ منه ولا من رفقته فتيلاً ولا نفيرًا ولا قطميرًا، ومن امتثل المأمور فجزانا الله وجزاه أحسن جزائه ومن خالف

533 - عن النابغة الغلاوي، انظر هامش رقم (298)، ص. 209.

فلا يلومن إلا نفسه فللّه عباد حسان والسلام، والكاتب السري بن الحسن بن الأمين بإملاء أمير المسلمين، إلحاق أيضًا من أمير المؤمنين إلى رئيس كل موضع أن ينوب عن النابغة وعن قومه في كل ما نابأهم من الخصام من سود وبيض والسلام، وعليه كرر السري بن الحسن كتبه، هـ، رضي الله عنهم أجمعين وعنا بهم آمين. قلت ومقطع هي بوي عند البياضين وماو هي دنان عند البياضين أيضًا، والله تعالى أعلم. وفي تاريخ سري عباس عند الكلام على ألمام عبدل: ثم أذعنت لأمره ونهيه السودان والبيضان إلا الترارزة وحدها، فأرسل إلى عل الكور كتابًا مضمونه: مني أمير المؤمنين عبد القادر الفوتي إلى سيد الترارزة وملكها على الكور، موجبه إليك لتعلم أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه وأنه يهدم ما قبله من الكبر إلا التبعات، ثم إن وصل إليك كتابي هذا فانفذ إلينا خمسة من عتاق الخيل وسروجها لتكون معونة لنا على ما كنا عليه من الجهاد والسلام على من اتبع الهدى [608] والعذاب الأليم على من كذب وتولى [609] والسلام علينا وعليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، بقلم الشيخ سيدي بن حسن بن لمن في قرية هاير، ومكنه من يد إبراهيم بن المغفور الأغلالي، فلما وصل الكتاب إلى نجل الكور مزقه وندب عليه الإمام عبد القادر عام ألف ومائتين[534] وأمر على ذلك الجيش المفسر أحمد بن حماد بن إبرا بن محمود بن بران بن عبد الله بن فات بن سوي بن جاسا المشتهر بالمفسر أحمد حمات كر فاتم أتمان حمت فات بران موسى، فلما قربوا إلى علي الكور سأل علماء أرضه عن كمية التاريخ الهجري وقالوا له عام شر وقال لهم قلبوه فقالوا له عام رش فتشاءم بما قالوا، وفي ذلك القتال قتل علي الكور وأخذ الإمام جميع ما كان في مساكن الترارزة والأموال ورجع الفوتيون إلى أرضهم منصورين مظفرين، اهـ من تاريخ سري عباس مع قليل تصرف فللإصلاح لا للإفساد، والله تعالى أعلم. وقيل إن زهاء جيش ألمام عبدل في مقاتلة علي الكور 37400 وهو عدد سبع وثلاثين ألفًا وأربع مائة، هكذا أخبرني الشيخ أحمد بيل من أهل بوي، اهـ والله تعالى أعلم. وفي تاريخ سري عباس ما معناه أن ألمام سري حسن ولي الأمر بعد عزل ألمام يوسف وأنه كان يلي القضاء في خلافة ألمام عبدل وكذلك في خلافة ألمام حماد لمن يال وكذا في بعض خلافة ألمام يوسف، قلت ولعله كان يلي القضاء أيضًا في ولاية ألمام بوكر بال، والله تعالى أعلم، ونص ما قال سري عباس في تاريخه المذكور: ومكث فيها، يعني ألمام يوسف في الخلافة، سنتين ثم استخلف الشيخ العالم الفقيه الفاهم الذي لا يجارى ويبارى في ميدان العدالة في ولاية القضاء في خلافة الإمام عبد القادر وخلافة الإمام حماد وبعض خلافة الإمام يوسف وله قدم في معرفة الفقه

534 - عام 1200 هـ يوافق 1785 م.

راسخ وفي تقوى الله تعالى لا يطاوله الرجال الشوامخ، وهو الإمام سري بن السيد حسن بن السيد لن بن السيد عال ووالدته السيدة تك بنت هد بنت بيدل في قبيلة بالب كلاير، وسار [610] فيها سيرة حسنة ومكث فيها سنة وخلع ثم استخلف الإمام يوسف أيضًا، إلخ.

408 - نسب أهل تور

وأصلهم من لن عال والد حسن لن وفالل لن وعثمان لن، وأما عثمان فعقبه الإناث، وأما حسن لن فهو والد موسى حسن وسري حسن الذي هو ألمام سري والد سارن وس همد لن وسارن وس أحمد وممد سالف الذي عربيته محمد الصالح وبكر وعبد الله، وأما سارن وس همد لن فهو والد بيد دمب جكان وباب تور، وأما بيد دمب فهو والد موسى بيد وسري حسن المسمى بسري لِه بكسر اللام وسكون الهاء وهو الآن من أهل العلم جدًّا كما قيل وهو الآن في قيد الحياة في هاير، والله تعالى أعلم، وأما بوب تور فهو والد ممد لن فتى عاقل وهما سالمان الآن في همد هنار، وأما همد سالف فهو والد بكر يل أنه تلميذ عابد سني، وأما بكر بن ألمام سري حسن فهو والد باب تور الصغير، وأما عبد الله فلم يعقب، وأما سارن وس أحمد فهو والد سعيد جليًا والحسن جليا وعبد الله جليا والعلامة عمر جليا ويسمى بمصطفى بن أحمد ومحمود عال شقيق سخن تور، وأما سعيد جليا فهو والد تجان وعمر ومحمود عال وببكر، فالأولان قد ماتوا وأما محمود عال فهو في التغرب الآن، وأما ببكر فهو تلميذ سارن أحمد مختار ساخ، وأما حسن جليا فلم يعقب، وأما عبد الله جليا فهو والد ممد لن في كرت وغيره إناث، وأما العلامة عمر جليا فهو والد أحمد عمر في كرت أيضًا ومحمود عال التاجر الذي كان يبيع من سديس لأهل الدني في ماتم وهو أيضًا والد سميه عمر بن عمر جليا في فوت جلو لأنه ولد بعد موت أبيه، وأما محمود عال شقيق سخن تور وهو والد أحمد محمود الذي كان تلميذًا لسارن عبد الله الفقيه الهناري، وأما موسى حسن أخو ألمام سري حسن فهو والد أحمد موسى والد موسى أحمد والد أحمد موسى وسري موسى وحمات موسى ويعرف حمات بمصطفى موسى وقد مات في بدب وله هنالك ولدان وهما أحمد وعمر وقيل أن أحمد [611] صار عالمًا جدًا هنالك في بدب، وأما أحمد موسى فله ولد ذكر في هاير الآن، وأما سري موسى فلم يعقب، وأما جليا فهي بنت سارن لن ساخ وأمها فاطمة آدم أخت الشيخ عمر الشقيقة وقد تزوج بها السيد سارن وس أحمد بن ألمام سري له بكسر اللام وسكون الهاء وقد مر شيء من ذكرهم في تاريخ وكد، والله تعالى أعلم، ولألمام سري حسن أخت تسمى فاطمة حسن هي والدة سل عال في ليدب سلن والدة راسن

سل الذي هو ألمام راسن في سنس بممب، وأما فالل لن فهو والد حمات فالل ومحمود فالل ومالك فالل، وأما حمات فالل فهو والد عمر حمات وحامد حمات، وأما عمر فقد مات في كاول وله ولد يسمى صنب عمر في لك الآن، وأما حامد فهو في تنتل مع أولاده، وأما محمود فالل فهو والد باب كد هج صاحب إلفك صنب دفا ولباب كد هذا بنات في كاول الآن، وحمات فالل لن هو أول من سكن منهم مع أهل قمد، وأما محمود فالل فهو والد ممد محمود والد فالل ممد ومحمود ممد ومحمود ممد هذا هو والد ممد محمود ووهاب محمود، وأما ممد محمود فهو والد محمود ممد وأحمد مختار وكلاهما في المغرب ومحمود في من ومختار يجول بين لك وكولخ، وأما وهاب فله ولد الآن اسمه محمود وهاب ومعه بنات، وأما فالل ممد فهو والد ممد فالل وسارن محمود فالل وغيرهما في سلن، وأما مالك فالل فذريته الإناث، وجدهم لن عال يقال له لن هار أخو بران هار الذي هو بران عال قار وزعم بعضهم أن جدهم اسمه حبيب الله والد بران حبيب والد مات بران والد سيد مات والد عال سيد [612] والد لن عال وسيد عال، وأما لن عال فهو والد حسن لن، إلخ، فمنه كل من توفي في فوت تور من أهل تور وغيرهم، واعلم أن حمات فالل الذي قيل إنه أول من سكن مع أهل قمد هو وأخوه محمود فالل أمهما رحمة سري عثمان ابنة عم إلفك أحمد جاتر عثمان ومن أنساب سكلنط في كاول كون (...) عثمان، هي والدة والده فالل حمات وداد زوجة إلفك أحمد جاتر، انتهى عن باب كد هج المار ذكره آنفًا، والله تعالى أعلم. وقيل إن للمن عال أخًا اسمه سيد عال وهو والد ير سيد والد إبرا ير والد ممد إبرا والد بيد تور وسارن بل في همد هنار كما قيل.

409 - النزاع حول أراضي وأملاك فرب واللد

وقيل إن ألمام عبدل أعطى ألمام سري ما لفرب واللد من الأراضي والأملاك، وأظن أن ألمام عبدل إنما جعله جابيًا له ما كان للسلطان من تلك الأملاك فقط ثم ما زالت ذريته تنازع ذرية فرب واللد في تلك الأملاك إلى أن ظهر سارن أحمد بن مهدي تور وتآلف مع سارن وس ممد لن فصار سارن أحمد حمى ينزل في داره وصار لامتور صمنب ينزل في دار فرب واللد فلما زال أمر سارن أحمد حمى بقتل فرانس له في يوم صو ساج مال لامتور إلى فرب سلي وملكه وجعله فرب واللد فما زالا يتنازعان الأمر تارة يدال لهذا وتارة لهذا إلى أن مات فرب سلي فقام ابنه فرب كلاج مقامه وهو الذي كان منازع محمود عال ثم ما زالا يتنازعان إلى أن مات فرب كلاج فقام فرب صنب ينازع محمود عال أيضًا وكذلك فرب عثمان إلا أنه كان مائلاً إلى محمود عال ينصره فغلباه وبعد موت فرب عثمان قام فرب صنب أيضًا ينازع

محمود عال في أيام لامتور حمى ووافق ذلك رجوع باب تور من عند كجور ومعه السيف الذي أرسله فرانس للأمير أحمد بن الشيخ عمر فأعطى أحمد ذلك السيف لسعيد جليا فأعطى ذلك السيف لباب تور وبلغ لامتور حمى قدوم باب تور من جورب بالسيف المذكور فقال لامتور لمحمود عال بلغني أن أخاك الصغير قد رجع من جورب السيف ومعه سيف الأمير أحمد بن الشيخ عمر فلا أملكك حتى تأتيني بذلك [613] السيف فطلب السيف من أخيه باب تور فأعطاه إياه فأعطاه للامتور فملكه وجعله مكان فرب واللد وقيل ما زال ذلك السيف في أيديهم إلى الآن، والله تعالى أعلم.

410 - قصيدتان للعلامة عمر جليا

وقد رأيت للعلامة عمر جليا قصيدتين بائية ورائية، فالبائية هذه:

سل ما تخيله الواشون من ريب
سلي على خبره تنبيك عن سبب
للهِ درك يا مستفهمًا رجلاً
عن رمز درة من لمياء كالحبيب
در الزمان بدار في مساكنها
فأوهمتها خلو الأرض من حدب
لا تعذلنها لغرتها فحق لها
إذ لم تر الدهر في الدنيا أخا وصب
إلا غريقًا ببحر العشق مقتسما
بين النوائب لا ينفك من نصب
تظن أن غاية البلوى على رجل
عشق لقد صدقت لكن على حسب
هيهات ذاك لو اطلعت على عبر
من أهل عصرك لما تال عن خبب
يجنون ضعف الذي تجنيه ساعتهم
ويغفلون عن المجني عن كثب
وإن بدا عشر ذلك الفعل منك بلا
قصد تنبه رقاد بلا أرب
كأن تكليف رب العرش فخصك
من بين البرية هذا غاية العجب (اهـ)

وأما الرائية فهي قوله: وللفقير إلى الله تعالى مصطفى بن أحمد حمد الله مسعاه في وصف الزمان وأهله:

أعطاك معطي العطايا خبرة النشر
والطي في زمن أهلوه كالدهر
فيهم ترى الشخص منظره وصورته
كالناس والطبع كالخناس ذي الخسر
لا عهد فيهم ولا إل يراقبه
جمهور أهليه مطبوع على الغدر
لو شاهد الحكماء الأقدمون خَسًّا من أهله
غسلوا ما خط في السّفر
ولو رآهم سليمان النبي لما
غل الشياطين في الأصفاد في البحر
هم الشياطين إلا أن كيدهمو أربى
على كيدها في الظلم والختر
لو كان يحسن ذا الملعون كيدهمو
ما شذ عن كيده شفر من البشر
نعوذ بالله لا مَنْجَى ولا وزر
إلا إلى الله منه فهو ذو الستر
الفضل عندهموا نقض وأمثلهم
خَبٌّ شَنْجِيحٌ وأنفعهم أولو الضر
والعلم عندهمو جهل وأعلمهم
من لا يميز بين العير والغير
والذنب عندهمو دين وأورعهم
من لا يرى الذنب إلا مطلق الكفر
فالذنب عندهم اتخذوه دينه
ولا ترى باكيًا إلا من الفقر
استغفر الله إلا أن ثم أولو
علم وتقوى وإن قلوا من النزر [416]
هم الكرام هم السادات ذلهم
عز وفقرهمو وقر على وقر

بهم حمى الله هذا الدين وارتفعت
بهم منارته تعلو على الزهر
تدعو لهم وحش هذا البر قاطبة
وساكن الماء في نهر وفي بحر
فقد بليت بصحبتهم على ضرر
فلو قدرت على الطيران والفر
فنسأل الله جل الله خالقنا
تفريج ما حل بالمضطر من عسر
لينفد العمر في أمن وعافية
ينهى إلى الختم بالحسنى على اليسر

اهـ. وقد رأيت لهذا العلامة شرحًا جيدًا على «جامع الأسرار والأنوار في الصلاة على النبي المختار» للشيخ يوركي تلف يدل على اطلاعه وتبحره في علوم القوم رضي الله عنهم وعنا بهم آمين.

411 - أصل أهل تور وقبائلهم

ويقال أن أصل أهل وس من وس قرية في أرض دوجك بين أرض فرمك وجمبل وهذه الأراضي كائنة بين ماسينا وتنبكت وأول من بناها باب الكيدال ومعناه باب القائد على من قبيلة أرم ولقبه تور وأصله من أهل تنبكت، ولكن أرمنكوب الذين في أرضنا فوت تور هم من موالي البياضين، والله تعالى أعلم، وقد زعم ساج أيستور جول أن كل من فوت تور من قبيلة تور أصله وقرية كبيرة كانت في جول مرتن يسميها أهل جول إلى الآن بهاير مسب، وفي رحلة ابن بطوطة:[535] وبعد مسيرة عشرة أيام من إيولاتن وصلنا إلى قرية زاغر[536] وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون وانجراتة[537] ويسكن معهم جماعة من البيضان يتمذهبون بمذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صغنغو، والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم تور، انتهى المراد منه، لا أدري هل أهل تور من هؤلاء أم لا وقيل إن أول ظهور أهل تور كان في مندي وهم متأصلون هنالك في العلم يقول أهل مندي فيهم تور مندي مور

535 - رحلة ابن بطوطة، ج. 4، ص ص. 249-250.

536 - زاغر أي زاغاري وهي ماسينا الغربية، تعرف لدى الماندنغ بدياغارا (Diagara)، وعند الفلانيين بديكاري (Diagari) أو بلاد دياكا، وديا إسم إقليم قاعدته الآن ديافارابي (Diafarabi).

537 - انجراته أو نقارة: انظر هامش رقم (69)، ص. 96.

والله أعلم، وقيل إن هاير بعد الإسلام قسمين، قسمة إلمان هاير الذي يتناوب مع جوم هاير ولقب كليهما تال وهذه القسمة هي التي كان إلمان رنجو يتولاها بعد ألمام عبدل، والقسمة الأخرى لفرب واللد وهي التي كان يلي [615] جبايتها ألمام سري له وصارت ذريتهما يتنازعان في أمرها إلى أن دخل ملك فرانس والله تعالى أعلم، وأما إلمان هاير فهو مالك لايد هايرنكوب أي ناحية من نواحي هاير يقال لها ناحية أهل هاير وفي ملكه أيضًا ورجايرناب ومنهم جاكرف هاير ويالناب وبنجناب، وأما ملكه في نار في هاير فمنه وايد سل ودنكن وغيرهما مما يضاف إلى هاير من الفلاّن وكذا جوم هاير أيضًا إذا ولي يملك جميع ما يملكه إلمان هاير ولقب كليهما تال، وقيل إن ملك هاير كان لجوم هاير في زمن ملك فرب واللد إذ كان هو المالك لهاير وما يليها من القرى جميعًا ثم لما جاء الإسلام صار ملك هاير لإلمان هاير ثم صار الأمر إلى المناوبة بين إلمان وجوم هاير في زمن لامتور صنب، وقيل إن الذين لقبهم بان صار يقال لبعضهم إلمان هاير وابتداء ذلك عند إلمان بوكر الذي ملكه إلمان رنجو بعد نزع الملك من تالب، والله تعالى أعلم، انتهى. وأما سفناب فلقبهم سِه بكسر السين وسكون الهاء ولقب رئيسهم سارن سف وهم داران دار منهما ساكنة مع وسناب والأخرى ساكنة مع واللناب ولهم من الحرائث كالكل ويلل بال وولم هل ثلاث كلاط في أرض هاير وهلف زوجة بيد صنب في كبل أبوها سارن سف حمى وأخوها إبراهيم جور وهو سارن سف الآن في هاير والظن أن فرب واللد هو الذي صدق هذه الحرائث المار ذكرها على جدهم أو جعلها جرة لحجابه، والله تعالى أعلم، وكبير يلناب يلقب بسارن يال ولقبهم جه، وأما بوكر سري بي وهو من الفلاّن واسنكوب من قبائل فلاّن هاير وتأنف من أهل بالبادية وتركهم وسكن في حاضرة هاير وهو مالك حرائث كلكل تسمى سنكج وراء قرية ورد في شمال بحيرة ورك وهو والد إبرا بوكر سري بي الذي كان وزيرًا للشيخ محمد المقامي ثم صار وزيرًا لإبرا ألمام فما زال وزيرًا له حتى ملكه هاير وبك الذي كان في دار (...) الفرنساوي ثم صار الآن من كُميات فرانس باسم أبيه واشتهر الآن بذلك وقيل إن بك هذا ابن أختهم فقط، ومن قبائل فلاّن هاير جايقلناب ثم بنجناب ثم واسنكاب [616] وأصله وإياه واساك ثم تالب ثم أذناب ثم ميللناب ثم ديدلناب، ولم أعرف تفصيل أمورهم وأما ترتيبهم في المساكن فجايقلناب هم مشرقيون وأماكنهم في البر فيايج وجمكان ولل وفلماد، ويليهم بنجناب ومن مساكنهم لقر جاب وأسر، وأما أذناب وميللناب وديدلناب من ومن مساكنهم لقرجاب وأسر، وأما أذناب وميللناب وديدلناب فمختلطون في المساكن منها دكمام وكاول وكرود فوج نحو دف تلل ودف ير ثم دف سككل وبدل ودنكج، وأما تالب فمحلهم القديم أنَّنا إلا أنهم الآن تفرقوا وانتشروا

في القبائل، ومن تالب جومو من هاير، وأما بوروب فإنهم من أوررب، وأما واللناب سلاك فأنهم من رقاب جانياب وفيهم أطباء البرص.

412 - أخبار عن إجماع أعيان أهل فوت على قتال ألمام بمب وعن اتفاقهم مع ممثل فرنسا على الحدود

وأما بروب فينتسبون إلى يرلاب هم وهليب، والله تعالى أعلم، ومن بروب هؤلاء ألمام الحسن الذي تولى الملك بعد خلع ألمام أحمد سارن دمب لأنه لم يوافق أعيان في فوت في قتال ألمام ممد في بمب والأعيان المتفقون على ذلك يومئذٍ هم عبدل بوكر وممد إلمان عند بول عال سيد وأحمد صو دند وير كل لبل وإلمان رنجو عباس وسارن مل ممد وسعيد ير محمود دند وير يل دويتل وأحمد إفرى سيد بمب في بك وأرط أحمد جاج سبل في كلي ومحمد سارن دو إلمان (...) في فت وعمر بوكر في جفان ومحمد لن إد كولاط فلما قاتلوا إلمان محمد في بمب هزموه فهرب إلى تور فلما رجعوا خلعوا ألمام أحمد سارن دمب لما مر من عدم موافقته لهم في قتال بمب فولوا عليهم ألمام الحسن هذا واسمه جاي بن حماد بن حمدن بن مصطفى بن حمى بن دمب بن دوت بر فأبوه وأمه يلتقيان عند مصطفى المذكور فأبوه من حمدن مصطفى وأمه من دمب مصطفى وغلب عليه اسم أمه واشتهر بألمام الحسن فلما عمم بالعمامة الألمامية الفوتية عند هورفود ورجع إلى داره عند هاير صادف بناء قصر هدك هاير فقال الحمد لله الذي خلعني قبل خلع الناس إياي ومع ذلك أنني [617] لم أكن أحبها إلا لإحياء السنة المحمدية صلى الله عليه وسلم ومدة خلافته تسعة أشهر، وفي تلك السنة تجالس أعيان أهل فوت الذين مر ذكرهم الآن مع لسان فرانس مس رجه وتوافقوا معه على أن يكون الحد بين أهل فوت وفرانس عند كيل، فرجع أهل فوت أي الأعيان على ذلك، اهـ، والله تعالى أعلم.

413 - معلومات عن قبيلة بنتاب

وأما بنتناب في هاير فليس لهم في أراضيها حرث إلا بالشراء أو الكراء أو العطاء، وحرائثهم في بنت دكد وهنالك حرائثهم التي يزرعونها إلى الآن، واعلم أن بنتناب قبيلة من قبائل أوررب وهي كثيرة جدًا وكانوا تحت طاعة بال من أوررب وينسب إلى وطاب بكرناب ودليل كونه من إد أوررب كون لقبه بال وهو وبه واحد بدليل مساواتها في ممازحة جل ولا ممازح لهما غير جل، وفي كد ور إخوانه في النسب كأرط إسما بال وأرط حمت بال

وغيرهما من أوررب، والله تعالى أعلم، وبدليل اتحاد نسبه مع هؤلاء أوررب وذلك لأنه من براهيم جكر والد بكار براهيم والد صمب بكار والد راسن صنب والد سليمان راسن الذي هو سارن سليمان بال ولبكار براهيم أخ يسمى صنب براهيم الذي هو أرط صنب وكان يسميه فلاّن البراري بأرط سبلل وكان مسكنه فوق باباب لوت في مرتن وكان يسكن قبله في كيم، وأرط صنب هذا هو والد بك أرط صنب والد ساید يك ومعنى ساید في كلامنا حوتة معروفة عندنا ومنه هؤلاء لأن ساید يك هو والد هك ساید والد دل هك والد أب دل وممود دل ودمب دل وصنب دل، ومن إل دل أرط بنت في كد لأنه هو والد صولل والد عال صنب والد بوب عال والد أرط أوررب كد، وأما دمب دل فهو والد جار دمب والد معاد جار والد در معاد والد أرط دمب، وكان إذا سكن مع جكسناب في جلف صار ملكهم في موضع يسمى سيبال، وأما صنب دل فمنه أرط بنت في سبلل كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وأما أب دل فهو والد صب أب وفات أب، وأما صب أب فهو والد إبرا صنب والد تفسير حمد إبرا وسنرجع لذكرهم تبركًا بهم إن شاء الله تعالى، وأما فات أب فهو والد ممد فات ويسمى بفات والد جوك ممد والد تفسير مبه جوك وتفسير محمود در وسنكر لذكرهم بعد الفراغ من ذكر ذرية صب [618] أب إن شاء الله تعالى، وقيل إن أب دل هو أول من هاجر منهم لطلب العلم والدين وكان يسكن في هجلير في بند وكذا ولده صنب أب وسارن إفرا صنب وكلهم ماتوا في هجلير.

414 - ترجمة حمد إبرا، هجرته لطلب العلم ودعوته للإسلام واستشهاده

وأما تفسير حمد إبرا فكان يجول في البلاد في طلب العلم وقد قيل إنه قرأ الجزء الثاني من مختصر الشيخ خليل على ألمام عبدل في أف ثم ذهب إلى ولاد ديمان ثم مر بكاجار ثم تجاوز إلى جخل بنت في كجور ومات فيها رحمه الله تعالى، وبسط ذلك أن تفسير حمد إبرا هذا هو الذي ذهب إلى ولاد ديمان وتعلم منهم العلم حتى مهر وبهر بعد أن قرأ علم الفقه في فوت، وقيل إن ألمام عبدل هو الذي علمه علم الفقه ثم سمع بامرأة في ولاد ديمان تسمى خديجة بنت محمد العاقل وأنها أعلم أهل عصرها فذهب إليها وتعلم منها جميع العلوم ونقل عندها كتابها القاموس المحيط[538] إلى آخره، ونقلت له خديجة أيضًا نسخة ثانية

538 - خديجة بنت العاقل بن محنض بن المختار من بني ديمان: عرفت بورعها وعلمها، وعملت بمحضرة (مدرسة) والدها، واخذ عنها علماء اجلاء منهم اخوها أحمد بن العاقل وألمام عبد القادر وكذلك المختار بن بونة (انظر: الإمام عبد القادر، هامش رقم (507)، ص. 456). لها شرح على سلم الأخضري في المنطق وآخر على أم البراهين في العقيدة. انظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص. 512.

منه وبعد تمامهما النسختين أتاهما رجلان عالمان من بلاد العرب فأرتهما خديجة النسختين فاستحسنا نقل المفسر وفضلاه على نقل خديجة، ثم قام تفسير راجعًا إلى أرضه فوت ومر بكاجار وهي قرية قريبة من دكان فأخذه أهلها وزوجوه ببنت من بناتهم فلما سمع ألمام بخبره أحضر أهل فوت وطلب منهم تلميذًا عاقلاً ذكيًا ليرسله إليه لعله يفتيهم في مسائل في العلم عجزوا عن تحقيقها فاتفقوا على إرسال سيسياي طريج فذهب إليه ومكث معه مدة يتعلم عليه وبعد ذلك جاوز المفسر إلى كجور ومكث هنالك إلى أن قتله رؤساء كجور لجهاد أقامه هنالك على ما قيل، وقيل إن سارن لمن ساخو كان تلميذًا له يتعلم عليه أعوامًا إلى أن قتل المفسر ورجع سارن لمن ساخو ببعض أولاده أو بكلهم إلى فوت والله أعلم، وقيل إن تفسير أحمد إبرا لما سكن في جكل في كجور جعل يأمر دمل حمد كون بالإسلام وكذا يأمر قومه أهل كجور بالإسلام أيضًا فأبى دمل عن ذلك وجعلا يتقاتلان على ذلك مدة إلى أن دخل المفسر حمد إبرا في صلاة العيد هجم عليهم جيش دمل وقتلوا المفسر حمد إبرا وكان معه أهله كلهم كزوجته الهايرية التي هي ابنة لفرب واللد واسمها كنب قراجنب فهي السبب في سكناهم في هاير وهي أم سارن محمد مجتبى وقد رده سارن لمن ساخو إلى هاير لذلك، ووالدة ولده ألفا محمد تفسير حمد إبرا اسمها هلف ابنة سارن كلسل في قمهار جوب واشتهرت بهلف كجت سارن فر، ووالدة ولده عبدل تفسير حمد إبرا اسمها سخن ياسين ابنة سرن كاجار وقد رده سارن لمن ساخ إلى بنت كد لأنهم عصبته ورد ألفا محمد هلف (...) فمهار وقيل إن دمل لما قتله أرسل [619] إلى أهل فوت أن يأتوا عليه ليجعل الزوجات والأولاد في أيديهم ويرجعون بهم إلى فوت، قلت ولعل سارن لمن ساخ لما سمع بذلك من دمل اغتنم تلك الفرصة فأخذ عيال شيخه ورجع بهم إلى فوت ورد كلاً من تلك الزوجات وأولادهن إلى أهلهن كما قيل، والله تعالى أعلم، وقيل إنهم لما وصلوا إلى فوت قام ألفا عمر سيد ير بس دمب براهيم جكر في هورفود للعصبية وقام معه الشيخ عبد الله تفسير مالك بن برام وأتيا إلى ألمام عبدل وطلبا منه أن يأخذ بثأر تفسير حمد إبرا من دمل حمد كون فندب إليه ألمام عبدل بعدما أعياه أمرهما في تحريضه على قتال كجور وذلك هو سبب قتال بنكوو وقلت لاسيما وقد انضم إلى ذلك الرحم الذي بينه وبين ألمام عبدل والدة تفسير حمد إبرا هذا تسمى فند مالك راسن بوب حمى جولط كن في كمك ولمالك راسن جده من الأم هذا بنات كثيرة منهن عيشة مالك والدة محمود عال راسن في مول ومنهن كمب مالك والدة كد كمب والدة تفسير صو كد في بول ومنهن تك مالك والدة حيموت تك والد أحمد بطايج وأحمد بلايج في هركجر ومنهن سابي مالك والدة أحمد ساج مالك في كوريك ومنهن أيضًا دك مالك والدة سري والد ألمام سيبويه

وإخوته في أوك، ومن أبناء مالك راسن بوب حمى جولط كن في كمك بوب مالك والد فطل بوب يقال لها كد بوب والدة ألمام عبدل ولفطل بوب مالك أخ يسمى راسن بوب مالك الذي منه شيوخ كمك ومن أبناء مالك راسن بوب حمى جولط كن أيضًا عبد الله مالك والد رضوان المشتهر بتفسير دمب الذي هو أصل شيوخ كلسل، قلت وقيل إن سبب قتال بنكوو هروب برك أمير وال برك إلى دمل حمد كون وقد مر ذلك في تاريخ ألمام عبدل، قلت أيضًا ويمكن اجتماع هذه الأمور المسببات كلاً فيتأكد أمر قتالهم لكجور حينئذٍ، والله تعالى أعلم، قلت أيضًا وفي تاريخ محمد بن أحمد يور الديماني[539] عند ذكره إيكيد قال وبه قبر شيخنا وجدنا أحمد بن محمد العاقل إلى أن قال أخذ العلم الظاهر عن أخته خديجة بنت محمد العاقل وكانت دولته حينئذ للعلامة المختار بن بون صاحب طرة ألفية ابن مالك وغيرها من التصانيف والأمير الصالح ألمام عبد القادر الفوتي قرأوا ثلاثتهم عليها قال الشيخ محمد بن أحمد بن محمد العاقل وما أقرأت قومًا خديجة قبلنا على أعهد نجل الفوت ممن يشاهد، إلخ، انتهى المراد منه، قلت وقد وهم محمد بن أحمد يور والتبس عليه الأمر حيث ظن أن الفوتي هذا هو ألمام عبد القادر الفوتي بل [620] المراد بالفوتي هذا تفسير حمد إبرا صاحب الترجمة هذا لا غير لأنه ليس في أهل فوت أحد يعلم سماعًا بأن ألمام عبد القادر قرأ في ولاد ديمان أو في غيرهم من زوايا البياضين وإنما تواتر عندهم أنه قرأ في فر من قرى كجور لا غير والمعلوم أن الذي قرأ في ولاد ديمان من أوائل أهل فوت هو تفسير حمد إبرا هذا لا غيره، ولكن ألمام عبدل كان أشهر منه ذكرًا لطول عمره في جاه العلم والملك وقد سمع به الخاص والعام وقد جعل الله تعالى له لسان صدق في الآخرين من أهل فوت رزقنا الله تعالى ذلك بمنه وكرمه آمين، وأما تفسير حمد هذا فلا يعلم به الآن إلا القليل من الناس أو بعض ذريته لا غير والله تعالى أعلم.

415 - ذرية تفسير حمد إبرا

وأما ذرية تفسير حمد إبرا فهم محمد سعيد ومحمد هلف وعبدل تفسير وراسن ومفال وخالفال ومحمد المجتبى سبعة، وأما محمد سعيد فلم يعقب، وأما محمد هلف فهو والد سارن عبدل كد وبيلي كد وعباس وإبرهيم وأولاد سارن عبدل كد كان واحدًا منهم في

539 - أحمد بن العاقل بن محنض بن المختار الديماني (ت. 1244 هـ/1828 م): أخذ العلم عن أخته خديجة بنت العاقل وعن إبراهيم الفوتي وغيرهما، وأخذ عنه النابغة محمد الغلاوي (أنظر هامش النابغة الغلاوي، هامش رقم (298)، ص. 209) ومحمد فال بن العاقل، له شرح عن الكبرى للسنوسي في العقيدة، ومجموع فتاوى فقهية. أنظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص. 505.

خاي يسمى عاقب وولده سعد في بتم وغيرهما من أولاده في المشرق، وأما بيلي كد فهو والد أحمد بيلي في ماسينا وهو أيضًا والد عيشة بيلي زوجة محمد بيلي في كنل ومن أولاد ممد هلف أيضًا عبد السلام في بوج قرية في سغ، وأما عباس فلم يعقب، وأما إبراهيم فهو والد ممد إبرا وحاميد إبرا، وأما ممد إبرا فقد مات وترك ولدًا يسمى أحمد ممد في كولخ، وأما حاميد إبرا فهو في كاونني وأم أولاد محمد هلف الذين منهم سارن عبدل كد اسمها كد سري تفسير أحمد حمات، وأما عبدل تفسير فهو والد محمد سعيد وإبراهيم وذريتهما في بنت كد الآن ولعبدل تفسير ولد يسمى حمد إبرى والد عبدل حمد وعمر حمد وعبدل في هاير الآن وعمر في ساساهليب الآن، وأما راسن فأولاده في كجور ولم يعرفهم المخبر، وأما مفال وخالفال فذريتهما في كجور أيضًا ولم يعرفهم المخبر وكان مسكن والدهم تفسير حمد إبرا في كجل بنت قرية في كجور، وأما محمد المجتبى فهو والد سارن إبراهيم بن محمد مجتبى وباب سه وعبدل وكان يسميه محمد سعيد وعبدل محمد وعبد الرحمن وعمر محمد مجتبى وهو المخبر وسري وكان أبوه يسميه جبريل، وأما سارن إبراهيم فهو والد الحسن به التاجر المجدود بكر في كولخ اليوم ومعه هنالك أخوه الصغير يسمى ألفا، ولسارن إبراهيم أيضًا ولد يسمى أحمد في سغ، وأما باب سه فهو والد عبدل باب ويسمى أيضًا بيد به وهو الأشهر وهو في كولخ الآن وهو تاجر مجدود بكر جدًّا أيضًا وله ولد آخر يسمى بيد كر في سكل الآن، وأما محمد سعيد [621] فله ولد يسمى هادي في كولخ مع ابن عمه آلسن به وآخر في جور يسمى أبو بكر واشتهر بأبو وآخر أيضًا في جور يسمى بشير وآخر أيضًا يسمى حبيب وكلهم في صوين، وأما عبدل محمد فهو والد أبو بكر واشتهر بأبو مسكنه الآن في هاير، وأما عبد الرحمن فله ولد يسمى محمد في فر مفي قرية في سغ، وأما عمر محمد مجتبى وهو المخبر فهو والد محمد زين قيل أنه الآن من أهل العلم جدًّا وهو من أصحاب سارن أحمد مختار ساخ وله الآن مدرسة في العلوم الشتى في هاير وأبوه يسميه إبراهيم محمد مجتبى وله ولد آخر يسمى عبدل عمر في كولخ الآن وآخر صبي يسمى سعد بن أبي وقاص وآخر يسمى عاقب، وأما سري الذي كان أبوه يسميه جبريل فقد مات ولم يعقب، والله تعالى أعلم، وقيل إن محمد مجتبى كان انتقل من هاير إلى عصبته في بنت ولم يزل ساكنا معهم إلى أن مات وقبره في بنت، ثم سكن سارن إبراهيم محمد مجتبى في هاير ولم يدع سكناها إلى أن مات وكانت هجرته مع الشيخ عمر إلى المشرق من هاير فلما رجع رجع إليها أيضًا، والله تعالى أعلم.

416 - الغزوات التي خاضها حم به وأصحابه على قرى الكفار واستشهاده بعد الانتصارات التي حققها

واعلم أن هجرة أوررب كهجرة جاوب كلها أصلها من ماسن، وقيل إن كبير أوررب وقت الهجرة أرط يك فلما سكن جاوب في كوجول سكنوا في كلات القرية المعروفة في كلم التي صارت الآن في ملك تنك تياب ومكثوا هنالك أعوامًا عديدة ثم ارتحلوا عنها إلى كيم مع جاوب ثم ارتحلوا عنها إلى كد وسكن أرط بنت حولها في موضع سموه باسم مسكنهم الأول كلات وسكن بقية أوررب في كد وكلهم من ذرية أرط يك كما مر، قلت ولعلهم ارتحلوا عن مساكنهم تلك لفساد أرط جاوب وقد عد من مساكن أوررب أيضًا فر ولعلهم بين سكن أرط جاوب في كيم سكنوا من فر إلى كيم ثم انتشروا في البلاد بفساد أمر أرط جاوب، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن أوررب بنتناب أيضًا آل تفسير كمبه ويسميه ولف بتمسير مبه وأظن أن الخارج منهم عن (...) دل هق سيد يك وسبب خروجه عن فوت طور منازعته مع أخيه الصغير الملك فحازه الصغير دونه فاغتم لذلك وحزن وحلف بأنه لا يلتمس الملك بعد اليوم ثم قام من وقته إلى أرض البياضين وبايع بعض أشياخهم وجعل الشيخ راعيًا بإبله فمكث على ذلك أربعة أعوام فأحضره الشيخ ذات يوم فدعا له [622] في قرية فسخور في دار فلان في بيت فلانة فأعطاهم علامة حتى لا يجهلوا البيت ثم أمر جم به في الحال أن يقوم أصحابه فقاموا على الفور مجدين في السير حتى وصلوا القرية ودخلوها وأسرعوا إلى الدار والبيت الذي وصف لهم فإذا الكافر نائم يغط غطيطه فخبطوه بالمدافع فمات في الحال وقطعوا يده ورجعوا به إلى حم به قبل انبلاج الفجر فشاع أمر حم به وذاع خبره وصارت القبائل يتناذرونه وبعد ثلاثة أيام غاروا على بقرات مندور وصار الكفار يقولون فيه متعجبين أيأكل التلميذ لحمًا من غير صدقة ولا شراء وبعد أيام قلائل وقعوا على سنكن وخربوها وسبوا أهلها وبعد أربعة أيام وقعوا على زاعي وكسروها وفي ذلك اليوم أتاهم جيت جه مستسلمًا وتركوه هناك وبعد رجوعهم ناداه أهل كنت كندا يريدون أن يخدعوه فقام جيت إليهم مع جماعته إلى أن قرب من القرية فلقي رجلاً أخبره أنما أهلها يريدون بك الخداع فلما سمع جيت ذلك حاربهم في الوقت فظل يقاتلهم إلى أن سمع حم به أصوات مدافعهم فركب وأمر أصحابه بالركوب فأسرعوا إلى جيت فوجدوه قد قارب إفساد القرية فأفسدوها بمجرد وصولهم وخربوها وبعد ذلك ذهبوا إلى سار جات وخربوها وفي غده أغاروا على قرية يندبا فوجدوا أميرها قد هرب فتبعه الخيل ولحقوه فردوه على رغمه إلى حم به فأمر بقتله قبل وصوله إليه فقتلوه ثم أحرقوا قرية تسمى إلياس وخربوا جم سار وكسروا قرية

كب دار فأتى إليهم أهل قرية جلق جار تائبين وبعد ذلك قطعوا البحر قاصدين قرية بال فلما قربوا من القرية خرج أميرها هاربًا فاتبع الخيل أثره فلحقه الفرسان فردوه على كرهه فلما مثل بين يدي حم به قام مختار كل مستشفعًا له فشفعه فيه حم به وأمر بحلق رأسه بعدما تاب واسمه سكلند ثم أخربوا تبن وأسروا أهلها وهذه الوقائع كلها في الصيف ثم أمر حم به برجوع الجيش على قريته فرجعوا وبعد وصولهم بلغهم أن أمير سالم صمب لوب وقع على كمين وكسرها وقتل تمسير أنجاي وصنب أمهان وساكم وأناخم ونجى شيخ عثمان فركب حم به وأمر أصحابه بالركوب لأخذ ثأر هؤلاء المقتولين فوجد أمير سالم صنب لوب [623] قد ولى راجعًا فتبعه ولحقه في قرية سكت وحمل جيش حم به عليهم فطردوهم وأخذوا كثيرًا من الأسارى والمغانم ثم رجعوا وخرفوا (أي قضوا فصل الخريف) في قراهم يحرثون إلى أن طاب الزرع فركبوا قاصدين قي سالم فوجدوا هنالك رجلاً اسمه فخ أخ لأمير سالم فطردوه فولى هاربًا إلى جلف وأسروا كثيرًا من أهل تلك القرية وجعل حم به المغانم في يد بعض الناس فرجعوا به على سالم سار حم به ثم تجاوز حم به مع الباقين إلى كولخ فوقعوا هنالك على صنب لوب فدار القتال بينهم من أول النهار إلى آخره ولم يغلب أحدهما الآخر وقيل إن صنب لوب لاذ بالنصارى في ذلك اليوم ولولا ذلك لطردوه وقد فرغ بارود حم به أيضًا فرجعوا إلى قراهم ولم يتبعهم أحد واستراحوا أيامًا ثم إلى كلار وكتاق وخربوها وأسروا كثيرًا من القريتين وأقاموا هنالك لإقامة حصن عثمان به أخو حم به من الأب وبعد فراغهم من العمل أتاهم مخبر بأن الكفار الذين وراءهم قد ارتدوا وأقاموا حصنهم في سنكن أو تنكن، والله تعالى أعلم، فرجعوا مسرعين إلى أن وصلوا الحصن فدارت الحرب بينهم ومكثوا هنالك أيامًا يتقاتلون في الليل والنهار واشتدت الحرب بينهم حتى قارب المسلمون إفساد القرية إذ أتاهم مخبر بأن بل بر قد حاصر قرية فهوس فقسم حم به الجيش قسمين فذهب مع إحدى القسمتين وترك القسمة الأخرى هنالك وجعل قائدهم جيت جه وأمرهم بالقتال، وأما القسمة التي ذهب معها فوقعوا على بل بر وطردوه، وعن قريب بلغهم أن جيت جه كسر الحصن وطردهم فكان ذلك اليوم يوم فرح وسرور لحصول الحسنيين ثم عمروا فهوس وبدلوا اسمها وسموها جور وصيفوا فيها إلى الخريف ثم ركبوا قاطعين البحر إلى بلاد قيم وخربوا هنالك وكسروا قراهم كلاً إلا قريتين وهما كينل وبمبك فعجزوا عن إفسادهما ومكثوا هنالك حتى طاب الزرع ثم رجعوا إلى أماكنهم وجلسوا حتى [624] حصدوا زروعهم ثم جند حم به جنوده وركب إلى مك كهون فعمروها وفي ذلك الموضع أتاهم دمل لتجور هاربًا من النصارى فصار مبايعًا له ومنضمًا إلى حزبه فمكثوا هنالك مدة من الزمان ثم استجاش حم

به جيوشه وقام قاصدًا أرض جلف ثم حاربوا أميرها وطردوه وخربوا بلاده فهرب أمير جلف إلى أجان فمكثت الجيوش في جلف زمن الخريف كله إلى أن حصد زرع الخريف فركبوا راجعين إلى أماكنهم ومعهم لتجور فحاربوه في موضع يقال له فات باجار واشتدت الحرب بينهم من أول النهار إلى العصر ثم رجع حم به إلى داخل القرية فتبعهم النصارى فتحاربوا أيضًا في داخل القرية حتى كثر الموتى بين الفريقين حتى قيل إن أمير جيش النصارى قد جرح يومئذٍ إلا أنه قد طردهم وأخرجهم عن القرية،[540] فذهب حم به مع جيشه إلى جق فارا لأخذ البارود فوجدوا بارودهم قد حمل على المطايا ثم تجاوزوا إلى قج ولحقوا مطايا البارود هنالك فأخذوا بارودهم ورجعوا إلى النصارى ووجدوهم في كبفاخ فوقعوا عليهم وطردوهم وأخذوا كثيرًا من الأسارى ثم رجعوا بهم إلى جور فجلسوا حتى حصدوا زروعهم، وفي ذلك العام بنوا حصنهم في جور فلما فرغوا من بنائه ركبوا إلى سالم ووقعوا على قرية ليجان وكسروها وأسروا أهلها وغنموا حيوانها ثم رجعت الجيوش إلى جور ومكثوا زمن الصيف كله مستريحين إلى الخريف ثم ركبوا أيضًا إلى كجور ونزلوا في مكان يقال له كرك وخرفوا فيه لانتظار تلاحق الجيوش ومنها إلى قي ثم ارتحلوا ونزلوا في قرية تسمى سرقين ثم أغاروا على قت رت وخربوها ثم وقعوا على قيت وأفسدوها وأغاروا في داخل كجور مدة من الزمان فهرب أهلها إلى سواحل البحر وارتحل كثير منهم وهاجروا إلى أندر وما والاها [625] ثم رجع حم به مع جيوشه بعد أن نهب أموال كجور وسبى أحرارهم إلى وال بدب فجلسوا في أماكنهم حتى حصدت زروع الخريف وفي ذلك العام بنوا حصن جق جار وبعد فراغهم من البناء قاموا متوجهين إلى أرض صي فالتقوا مع النصارى في الطريق فحاربوه وطردوه وأخذوا مدفعًا من مدافعهم الكبار أي كن وبعد ذلك أصاب حم به مرض أوجب عليه الرجوع وخلف دمل على جيشه وجعله قائده وأمرهم بالتجاوز إلى صي فذهبوا إلى أن وصلوا إلى صي فهرب أميرها فأغاروا وسبوا كثيرًا من الناس وغنموا المغانم وحرقوا بلاده فرجعوا إلى وال بدب وجلسوا إلى الخريف فقام حم به وجند جنوده قاصدين نحو صي فلما أشرفوا على البلد سمع أمير صي كمب دوفيان بقدومهم فجمع جيوشه والتقى معهم في واد يقال له سوسون فتقاتلوا من أول النهار إلى آخره فجبن المسلمون وهرب بعضهم وثبت الباقون مع حم به وحلف بأنه لا يوليهم دبره لما فيه من الذنب الكبير ثم خرج في وقت الظهر وما زال يحرض أصحابه على القتال من الظهر إلى المغرب ثم تهيأ للصلاة واستشهد وقت المغرب ثم استشهد أخوه عثمان به وقتل من رؤساء أصحابه في ذلك اليوم جم غفير وجرح عبد به وباتِ ملطخًا بدمه وكان ذلك اليوم يوم الخميس وقد كثر فيه المطر، هذا ما كان من أمر حم به وقد جاهد الكفار خمسة أعوام واستشهد في العام السادس.

540 - تعليق المؤلف: ومكثوا في أماكنهم مستريحين زمن الصيف كله إلى الخريف فأتاهم النصارى (أي الفرنسيين).

417 - النـزاع حـول خلافة حم بـه ورجـوع الأمر إلـى أخيه إلمان محمد وذكـر بعض معاركه ضد الكفار

وبعد رجوع الجيش اتفق جمهور القوم على تقديم الإمام الهمام إلمان محمود در ذي المزايا الفخام والمناقب الضخام وأبى عن تقديمه بعض الرؤساء ومنهم مام مصنب جبير ومتار كل وغيرهما معتمدين على أن الأرض كانت لأجدادهم وآبائهم وهؤلاء ما قدموا إلا أمس وما نالوا ما نالوا إلا بنا، ومن أقوالهم القبيحة أنهم سيقسمون تركة حم به حتى جواريه، وقالوا له مع ذلك اعلم يا محمود در ما أعطيناك من الأرض إلا ما بين دارك ومسجدك، فأجابهم إلمان محمود بجزاكم الله خيرًا ولقد وسعتم علي حيث أعطيتموني ما يسع قبري [626] فأحرى ما يفضل من ذلك في قلبه ما فيه من الغيظ المحرف، وقيل إن إلمان محمود كان مطيعًا لأخيه وأمينه وخليفته على عياله في قيد حياته ولا أمين له غيره حتى أنه ما كان يحضر الحروب لاشتغاله بأمر العيال والخلوات وللتضرع لله تعالى بالنصر على الأعداء، قال عثمان عال فقلت هذا هو المجاهد الحقيقي، وقيل إن حم به ما كان يفعل شيئا إلا بمشورته ولا يقصد قرية إلا إذا أشاره إليها، وأما أمر الذين نقضوا البيعة وأبوا عن تقديمه وتعاونوا على الإثم والعدوان، فقد أمر مام مصب جبير أصحابه أن يبنوا له حصنًا في جاو فبلغ إلمان ما هم عليهم فجمع جموعه فصبحهم وهدم بناءهم على رؤوسهم فخرج مام مصب جبير هاربًا واستسلم الباقون ثم رجع إلمان مع جيشه ولم يفسدوا للقوم شيئًا بعد أن خرج عنهم مام مصب، وبعد ذلك جند إلمان جنوده قاصدًا نحو صي لأخذ ثأر أخيه وذهبوا إلى أن أشرفوا على البلاد فتلقاهم أمير صي كمب دوفاين فقاتلوهم فهرب أصحاب إلمان عنه وثبت هو تحت شجرة فصارت فرسان صي يمرون عليه وكان معه رجل من رؤساء سوسب وعليه لباس السلاطين فقتله فرسان صي ظانين بأنه هو الملك إلمان محمود ثم تجاوزوا ومعهم إلمان ولم يشعروا به فحال الله بينه وبينهم وكان لباسه لباس الفقراء الذين لا بال لهم حتى اتفق جميع الناس على أنه قد قتل في المعركة كما قتل أخوه ولم يشعروا حتى قيل لهم إن إلمان ها هو في ماين قرية في سالم فبهتوا، وبعد ذلك أتاه عالم من علماء فوت جلو فطلب منه إلمان أن يعينه على تعمير أرض سالم بعد أن كانت خالية من عهد حم به إلى ذلك الوقت وسكانها قد هربوا إلى سواحل البحار مثل آندر ونحوها، فكتب له آيات من القرآن وغسلها وأعطاه

أيضًا دقيق شجرة وأمره أن يجعلها في أيدي أمنائه العارفين [627] مساكن سالم وأن لا يتركوا موضع قرية إلا صبوا فيها الماء ودفنوا فيها الدقيق ففعل إلمان كما أمره وأعطاه على ذلك عشرة عبيد وغير ذلك من المال ثم رجع الناس إلى مساكنهم كما ترى، ثم إن إلمان قام إلى دمكجان ومكث هنالك لانتظار الجيوش وبعد اجتماعهم وقعوا على لوك فكسروها وقتل جكل الذي هو أخ لقطل بوج أمير سالم وسبى أهلها وبعد ذلك جمع جيوشه قاصدًا قرية سب سور ونزل في كمبوف ثم ذهب بعض أصحابه يتجسسون هل في الحصن أحد أم لا وإذا بجيش قد أقبل إليهم فالتقوا متقاتلين ثم هرب المسلمون فحلف علو بوب بن إلمان محمود در أن لا يوليهم دبره ثم استشهد في ذلك اليوم وكان من أشهر أبنائه صيتًا وأشجعهم قلبًا وأكرمهم خلقًا، ثم أراد والده أخذ ثأره فحال النصارى بينه وبين فطل بلاج، وهنا انتهى ما حضر إلمان محمود من الحروب.

418 - ما يروى من مأثورات وكرامات إلمان محمد

وأما بعوثه وسراياه فكثيرة وقد أتت إليه مرة براوة من عند قرية مور صين وفيها: اعلم يا سيدي أن الكفار قد أحاطوا بي وها أنا أستنصركم لله تعالى ورسوله عليه السلام، إلخ، فجند إلمان جنوده وجعل قائدهم دمل لتجور فذهبوا ففتحوا مور صين وطردوا عنه الكفار وأغاروا على أماكن أولئك الكفار ثم تجاوزوا إلى سندك في جان وكسروا هنالك كثيرًا من القرى، وبعد ذلك أرسل بران سيساي تلميذهم إلى أول وكسروا قرية أميرهم فودي كنط واستسلم له خب قاير وبعد رجوعه قال لامن مرم قاصدًا نحو بمبك ومر بخب قاير وخدعه وقتله بعد أن كان تائبًا وبعد رجوعه أرسل دمل أيضًا إلى جان فوقعوا على قرية بباين وكسروها وسبوا أهلها وبعد رجوعه أرسل أيضًا صنب لوب أنجاي فكسر ساب سري وسبى أهلها وأرسل أيضًا جورين بل عمر جان إلى بكر كندا وبعد ذلك أرسل مادب ومجوف إلى تند واستسلم لهما أمير تند وأمر فتيانه أن يذهبوا مغهم ثم تجاوزوا إلى دمنتا ومكثوا فيها أيامًا ثم تجاوزوا إلى بجر ووقعوا على قرية أميرهم تمبق قرية في بجر وكسروا حصنه فخرج أميرها هاربًا وبعد ذلك جمع جموعه ودخل حصن كفربنا ولحقوه هنالك وهدموا الحصن [628] وقتلوه وأخذوا دفوفه وأخذوا في ذلك اليوم طبل سارن جردقل وجرح الفخ جروحًا شديدة، وقال عثمان عال انتهى ما ذكر لي مجوف من الملاحم، وقيل إن إلمان محمود

در سافر ذات مرة إلى بنجل وكان عليه رداء إذا أراد أن يدخل دارًا يأمر الرداء بانتظاره على الهواء مدة مكثه في البيت ثم إن خرج يتبعه الرداء ويرتفع على رأسه كاللواء من غير آخذ ولا ممسك، وقيل أيضًا أنه إذا أراد أن يدخل البيت خلع نعليه ويأمرهما بالمصارعة فيتصارعان كالحمائم والناس ينظرون ويتعجبون، وقيل أيضًا إنه يسمع كلام الحيوانات حتى قيل إنه أرسل شياهًا مرارًا لبعض حوائجه فيرجعن إليه بفص الخبر، وقيل أيضًا إنه أخذ رداء ذات مرة بحضرة الناس وأحرقه حتى صار رمادًا ثم جعل الرماد في الماء فسقاه الشاة ثم أمر في الحال بذبح الشاة وسلخها وشق بطنها فإذا الرداء فيها كما كان أولاً فصار يتعمم به حتى مات وورثه ابنه إلمان مجاي وبعد انعزاله صار في يد أخيه إلمان عيسى به الذي تخلف عنه الآن تفسير عثمان بن إلمان محمود در إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التي ذكروها عنه ومن ذلك ما قيل إن بران سيساي وسهت مت خالفاه وحارباه مدة من الزمان حتى أن سهت مت وقع عليه في قرية جور وأحرق نواحيها وقال إلمان محمود إن سهت لا يطرد أحدًا بعد اليوم فصار الأمر كما قال، وقيل أيضًا أن سهت وبران اجتمعا مع أمير بنجل فسألهما عن كيفية الأرض فقالا له إن الأرض اليوم في أيدينا فقال لهما أمير بنجل أين إلمان محمود فقالا إنه ليس له من الأمر شيء حتى قال سهت إنه سيخرجه عن بناء والده فقال له أمير بنجل لا تفعل ذلك فقال سهت لا بد من إخراجه إلا أن أمير بنجل تشفع لإلمان محمود در أن يتركه سهت مت فيه إلى أن يموت وحينئذٍ إن شاء يترك البناء لأولاده أو يخرجهم عنه فقبله سهت وشفع أمير بنجل فيه ومع ذلك أن الفضة التي كان يعطيها أمير بنجل لإلمان محمود در كالجزية قد قسمها سهت وبران بينهما كما قسما الأرض بينهما، فمر بران في رجوعهما بإلمان محمود فأخبره بما جرى بينها وبين أمير [629] بنجل وقال له إن سهت كان في عزمه أن يخرجكم عن البناء الذي في جور إلا أن أمير بنجل قد استشفع لكم في أن يترككم في البناء مدة عمركم فشفعه فيكم وقبل شفاعته، فغضب إلمان غضبًا شديدًا فرجع إلى داخل داره وطلب ثوبين أبيضين ودخل الخلوة ومعه ابنه عيسى ومكث فيها ثمانية أيام وخرج وأحضر أهل القرية وأمرهم بإخراج الصدقة ثم دخل أيضًا خلوة أخرى ومكث فيها ثمانية أيام أيضًا وخرج وبعد خروجه بأربعة أيام بلغهم إقبال جيوش أمير أندر إلى سالم فوقعوا على سهت وطردوه فهرب إلى بنجل ولم يزل هنالك إلى أن مات رحمة الله تعالى علينا وعليهم أجمعين، انتهى ما نقلته عن عثمان عال وقد نقل أكثره عن تفسير عثمان بن إلمان محمود در وقانا الله وإياهم في الدارين من كل شر وضرر آمين آمين.

419 - ذكر بعض القبائل المتفرعة عن أوررب وتنقلاتهم

قلت ومن أوررب بنت أيضًا قوم في نباج وهاير قريتان في دمك من حكامة ماتم ويقال لهم سولناب لزعمهم بأنهم هاجروا من ماسينا عند موضع يسمى سويل فلذلك سموا بسولناب إلى الآن وزعموا بأنهم لما هاجروا من ماسينا ما زالوا سائرين في البلاد إلى أن وصلوا إلى فوت جلو ثم منها إلى بجر ثم إلى فود ثم إلى جان التي فيها بحيرة كمبى ثم إلى سالم ثم إلى بول ثم إلى كجور ثم إلى جلف ومكثوا فيها زمانًا طويلاً ثم ارتحلوا عنها منحدرين على فوت تور فسكنوا أول دخولهم فيها عند قرية من قرى تور يقال لها دك بالكاف العجمية فلذلك سموا بأوررب دك، قلت ولعلها الآن خراب منذ زمن لأني لم أعرفها من قرى تور القديمة ولا الحديثة الخربة والمسكونة والمظنون أنهم من دك سلتي القبيلة التي في كتاب تاريخ السودان[541] حيث قال فيه: تنيض سلتي ياللب ونيم سلتي وررب ودك سلتي فرهبى وكر سلتي ولرب خرجوا من قبيلة جلف في أرض ملي ونزلوا في أرض قياك، فلما قتل الأمير أسكيا الحاج محمد اللعين رحل الكل إلى فوت وسكنوا هنالك وهم فيها إلى الآن، انتهى المراد منه، قلت والمراد باللعين تنيض أي تقل المقتول في القرن العاشر [630] من الهجرة لأنه قتل في عام 918[542] وإن ثبت أيضًا أن دك كانت قرية من قرى تور مسكن مسماة باسم قبيلتهم التي في تاريخ السودان، والله تعالى أعلم، ثم سكنوا في بنت إلى أن خرج منها تفسير فالل بوب جد هؤلاء الذين أذكرهم الآن، فأتى إلى آجم سول يطلب العلم والدين فتعلم وتدين فيها ثم رجع إلى قريتهم بنت وعلمهم بأنه يريد الهجرة إلى حيث فيه العلم والدين وأمرهم بذلك أيضًا فأبوا وهاجر هو ومعه جكسناب الذين صاروا الآن يقال لهم في سول جابناب إلى أن أناخوا مطاياهم في آجم سول فسكنوا فيها وتزوج بامرأة منهم تسمى سل عيشة سوير فولدت له ستة أولاد أربع ذكور وبنتين وأسماء الذكور حمد فالل وجاي فالل وجال فالل وأحمد فالل وأسماء البنتين بال فالل وكمب فالل، وقيل إن جال فالل وأحمد فالل شقيقان وحمد فالل وجاي فالل شقيقان، والله تعالى أعلم، ثم إنه وقعت المنافسة بينه وبين أهل آجم سول فحسدوه وجعلوا كلهم يسحرونه خوفًا من ظهوره عليهم فخاف الفتنة وارتحل عنهم هو وأهل داره وبقي جكسناب، فلما ارتحل تفسير بوب فالل بوب عن آجم سول سكن

541 - تاريخ السودان، ص. 77.

542 - عام 918 هـ يوافق 1412 م.

في سياي فالل سنتين ثم ارتحل عنها إلى بند فسكن في كاجل بوب صفية فعنده مات تفسير فالل ومنها ذهب ألفا حمد فالل إلى فر لطلب العلم ثم هاجروا من بند أيضًا فسكنوا في كود بوف،[543] قلت ولعل ذلك بعد رجوع أخيهم ألفا حمد فالل وسارن سليمان بال حينئذٍ يقاتل عنها داينينكوب فمكثوا مدة من الزمان ثم نفاهم داينينكوب فأتوا إلى هاور فلاذوا بسارن بيلي فأقاموا عنده خمس سنين ثم أرادوا الجواز إلى فوت فقال لهم لا تذهبوا بل امكثوا معي هنا فقالوا له لا نمكث معك لأنك تملك كل من سكن معك فقال لهم بل أنتم لا يملككم أحد منا بل تملكون أنفسكم فأعطاهم يول هاور فقال لهم هذا الموضع لكم ولأعقابكم بعدكم ملكًا فسكنوا عنده وهو موضع قريب من هاور لاصق بها وملكوه [631] إلى الآن، قلت ولعلهم سموا هذا الموضع بسول تسمية له بسول آجم التي ارتحلوا عنها وهم فرع آخر في سول، وأما كاكاب سول أجم فلعلهم هم الأصل في الهجرة من سويل في ماسينا إلى فوت، وأما هؤلاء فليسوا سولناب إلا آخرًا بل هم بنتناب أولاً وأصلاً، والله تعالى أعلم، ثم في زمن ملك ألمام عبدل لفوت ذهب إليه كبيرهم ألفا خمد فالل هو وأخوه تفسير جاي فالل وطلبا منه أن يعطيهما موضعًا يكون في ملكهما خاصة فقال لهما قد جئتما بعد فراغ الأرض فهل من موضع فارغ تعرفانه الآن فقالا له نعم نعرف موضعًا يقال له نباج بال لأنه كان مسكنًا لبالبالب فارتحلوا عنه إلى فرل وبند فأعطاهما إياه وسكنا فيه فصار يقال له نباج سول تسمية له باسم سول آجم لا غير فلما سمع بالبالب ذلك رجعوا إليهما فخاصموهما عند ألمام عبدل فقال كلُّ ما لم تحرق أشجاره ولم تقطع في زمن بالبالب فهو لكما وكلُّ ما قطعت أشجاره وحرقت في زمنهم فهو لهم، ثم أقاما هنالك ثلاث سنين فرجعا إلى سول هاور فأمر ألفا حمد تفسير أخاه جاي فالل بالارتحال إلى نباج سول فارتحل مع العبيد والموالي أد سب ومن انضم معهم فأحرقوا أشجار ضياعهم التي في نباج فأقام هنالك مدة من الزمان ثم ارتحل إليه ألفا حمد فالل وسكن معه هنالك لأنهما شقيقان وبقي في سول هاور جال فالل وألفا أحمد فالل لأنهما شقيقان أيضًا وأبو الكل تفسير فالل بوب المهاجر من بنت، ومن ذرية ألفا حمد فالل الذي في نباج محمد محمود الذي هو رئيسها الآن ابن محمود بن عباس بن عمر بن ألفا حمد فالل بوب ومن ذريته ألفا أحمد فالل في هاور خليلنا سارن عمر بن أحمد بن عمر بن ألفا أحمد فالل بوب، والله تعالى أعلم، وأما ذرية جال فالل في هاور وذرية جاي فالل في نباج فلم تذكر لنا، والله تعالى أعلم.

543 - تعليق المؤلف: أو كود بود.

420 - أصل قبائل أوررب

واعلم أن أوررب [632] قبائلهم كلها من الفلاّن والذين صاروا منهم تورب في فوت لا يعدون كثرة، واعلم أن لقب أوررب كلهم بَهْ إلا آل أرط بنت في سبلل فقد زعموا بأنهم غيروا لقبهم من به إلى وت وذلك أن واحدًا من أوررب بنت في كد قتل نفسًا فهرب والتجأ بأهل قبيلة وت في سبلل أو الذين في غيره ولاذ بهم فأخفوه وجاء الذين يريدونه للقصاص فرأوه في سبلل فقالوا هذا فلان به الذي نطلبه فقال أهل وت ليس هو بمطلوبكم وإنما شبه لكم بل هذا فلان وت من أبنائنا لا من أوررب فاغتروا بذلك القول وتركوه ورجعوا عنه فالتزم ذلك الرجل هذا اللقب وبنوه كذلك إلى الآن وقبيلة وت في سبلل من غير أوررب منهم رجل اسمه سيد باب يقال لهم وتوتب هرتو لاسم ناحية من نواحي تلك القرية وجدهم دو هرتو، وبعض من قبيلة وت في داي ولقب رئيسهم جوم برجل وفي قيا وسالاو وفي سكت أيضًا قوم منهم لا أعرف هل أصلهم واحد أم لا، ويقال لأهل سكت منهم باكناب ومنهم رجل في سبلل اسمه حمات كمب علو قيل إن أصل باكناب من باغن من قرية باكوين، وأصل غيرهم من أهل وت المذكورين كد وقيل إنهم هم الذين غيروا لقب أرط بنت في سبلل، والله تعالى أعلم، وأصل أهل وت الذين غيروا لقبهم من به إلى وت كد كما زعموا وقالوا إنهم من صنب دل في سبلل وت لا به وكانوا جيران أرط بنت في كد لا غير ثم لما هاجروا إلى سبلل صاروا يلقبون رئيسهم بأرط بنت، وسبب هجرتهم أن أحدهم وجد تمساحًا في اصطياده فلم يعط منه أرط بنت شيئًا فوقعت الفتنة بينهم وبين أرط بنت وقومه فهاجروا إلى سبلل وهكذا يقوله أهل بنت في كد كما أخبرني بذلك عثمان عال، والله تعالى أعلم بالحقيقة وإليه مرجع الخليقة.

421 - ذرية صمب أو صنب دل هق سايد

وزعم أهل سبلل أن صم دل هق سايد يق به والد جكل صنب والد دو جكل والد لمن دمب وآمار دمب، وأما لمن فهو والد صو لمن والد أحمد صنب والد أرط عبدل أحمد والد موسى أرط المخبر وهو في سبلل الآن، وأما آمار [633] دمب فهو والد لمن آمار والد دمب لمن والد أحمد دمب والد أرط صنب أحمد الذي هو رئيس سبلل الآن ولآمار أيضًا ولد يسمى دمب آمار والد حمد دمب وعبدل دمب، وأما حمد دمب فهو والد صنب حمد والد محمود

صنب والد أحمد محمود الذي في سبلل الآن، وأما عبدل دمب فهو والد متار عبدل والد أحمد متار وهو في سبلل الآن، وممن غير لقبه من به إلى وت تبعا لهم آل ير وويق به الذين في سبلل أيضًا وكذا الذين صاروا في كنل وسل منهم فبرو ويق والد جم بروو والد حمد جم والد صنب حمد والد برام صنب والد حمد برام ومود برام وصنب وجالدو برام ومول برام، وأما حمد برام فهو والد جالدو حمد والد حمد جالدو وهو الذي هاجر إلى كبل والد سلي حمد والد ممد سلي الذي في سل الآن، وأما جالدو برام فهو والد برام جالدو والد حمد برام الذي كان يقال له أرط حمد في سبلل والد ير حمد وكان يقال له أرط ير أيضًا في سبلل وهو والد سلي ير الذي في سبلل الآن، وأما مول برام فهو والد صو مول والد ببكر صنب والد أرط أحمد ببكر الذي في سبلل الآن، وأما مود برام وصنب برام فلم يذكر لنا موسى أرط فروعهما للنسيان منه، ولعل سارن يونس الذي في سل من أحدهما، والله تعالى أعلم، ويقال إن يق به المذكور هذا اسم أبيه صنب وهو يق صنب.

422 - عودة إلى ذكر بعض قبائل أوررب

واعلم أن أوررب كثيرون جدًّا ومنهم بوروب في دطل وهم ثلاث قبائل وهم جرمباب وهم ملوك بوروب ولقبهم به ثم بوروب جاير وبوروب أباب ومخرفهم فت فوق دطل ومصيفهم في بلجوك بين دطل والنيل الفوتي في رارد، وقيل إن أصل بوروب حيث كانوا من قرية تسمى واط في حذاء آسن في تور بينهما بحيرة ورك وأميرهم بوتل من سووناب، وأهل دطل أصلهم من واط أيضًا، والقائل يعدهم من سووناب الذين هم من وطاب، ولا يكون أمير من بوروب إلا جرمباب في واط أو في دطل وفي لك، والله تعالى أعلم، وهم منسوبون إلى قرية فوق كنجل قريبة منها تسمى بور [634] ولكن طال الأمر وجهل، كما أن سرناب منسوبون إلى سره قرية للفلاّن قرب جودط، والله تعالى أعلم، وقد مر من ذكر أوررب شيء في تاريخ لاو فراجعه إن شئت ثم فلنكتف بهذا من ذكر أهل هاير ووالد لأن المذكور منتهى ما بلغنا من أخبارهما.

423 - استدراك بعض الأخبار من تاريخ بالب بود

وأما تاريخ بالب فقد مر كثير منه في تاريخ ألمام عبدل وغيره في هذا الكتاب وسنزيد هنا شيئًا مما لم يتقدم لنا ذكره ونقول أن بالب بود أصلهم من باباب جكر الذين هم من

أوررب وجكر هذا هو والد إبراهيم جكر والد محمد براهيم وبكار براهيم وعثمان براهيم وصنب براهيم ودمب براهيم، وأما بكار براهيم فهو والد صنب بكار والد راسن صنب والد سليمان راسن وجاي راسن وإسماعيل راسن ورحمة الله راسن والدة سل رحمة والدة مريم سل والدة ممد مريم الذي هو سارن ممد ألفا أحمد ساج والد يحيى ممد سايف كنتن في ديوان مرتن، وأما جاي راسن فذريته هم الذين في بود ومنهم بوكر جاي والد عبدل بوكر وفات بوكر وهما في بود، وأما إسماعيل راسن فهو المدفون في دكان ولم يبق من ذريته إلا الإناث، وقد قيل إن له ولدًا في المغرب لا يعرف له الآن خبر وأصلهم من هسو وهو اسم واد حوله ربوة من الأرض مرتفعة قلما يستوي عليه السيول وفي نواحيها تيشيليت سارن سليمان بال أي بارل سارن سليمان بال أي حرائث كلكل التي كانوا يحرثونها قبل الارتحال وتسمى هسو عند البياضين بحسى والظن أنهم سكنوا في هسو حين كان جاوب ساكنين في هور وايد ومرتن فدور، والحاصل أن هسو كان مسكنًا لأهل كدور وفيها وقعت الفتنة بين سارن سليمان بال والبياضين وفيها كسر صاعهم لا غيرها وقيل إنه لما كسر الصاع وعزم على الارتحال إلى سنگال سل سيفه وكتب فيها ما كتب ورماه في البحر، وكان فيه من التماسيح ما لا يعد فلما رمى ذلك السيف تباعدت عن القطع حتى قطع ماله وعياله وقومه كلهم سالمين، وقد قيل إن التماسيح كانت تميز بين الفلاّن والبياضين بعد قطعهم البحر وإذا أخذ التمساح أحدًا ثم بكى بالكلمة الفلاّنية نحو فيارم بني يتركه وإذا أخذ البيضاني فبكى بكلمة يا ويل يذهب به ويأكله،[544] وقال [635] عثمان عال وقد أخبرني (...) مهدي في جايك بانه قد أخبرته جدته وهي من بنات أرطوب كد أنها أخذها التمساح في مقطع سارن سليمان بال وغاص بها تحت الماء ثم تركها بعد أن بعد بها التمساح، والحاصل أن أهل سارن سليمان بال لما قطعوا البحر سكنوا في كدور قرب بوي بين بوي وجما ألوال أقرب لبوي فلما لم يأمنوا من البياضين على أنفسهم في ذلك المسكن أيضًا ارتحلوا إلى بود ومكثوا فيها أيضًا أعوامًا ولم تزل الفتن تزداد ثم ارتحلوا إلى كبل مع جل أهل تور ومكثوا فيها إلى أن قتل سارن سليمان بال في تمبر جيق وهذا هو سبب إضافة قبورهم التي في كبل إلى هسو وإضافة رئيسهم الذي هو إمام مسجدهم في بود بسارن هسو، والله تعالى أعلم، وقد قدمنا شيئًا من تاريخ سليمان سارن بال وجمعناه مع تاريخ ألمام عبدل رضي الله

544 - فيما يتعلق بمسالة الطوطم: انظر هامش رقم (178)، ص. 154، ورقم (400)، ص. 267.

تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين. وأما ألمام حماد لمن بال وألمام بوكر بال فهما أخوان من الأب وهما مع سارن سليمان بال أبناء عم وذلك أن صنب بكار إبراهيم جكر هو والد راسن صنب والد سليمان راسن الذي هو سارن سليمان بال، ولصنب بكار هذا أخ يسمى حبي بكار هو والد لمن حبي والد حماد لمن وبوكر لمن اللذان هما ألمام حماد لمن بال وألمام بوكر لمن بال.

424 - التعريف بسيرة ألمام حماد لمن بال

فلنبتدئ بتاريخ ألمام حماد لمن بال[545] قيل إنه كان قد أسر مع المأسورين في بنكوو وكان سليم الصدر متواضعًا جدًّا وكان يحتطب لسيده ويدق له زرعه بيده ويستسقي له الماء وكان ينشد قصائد المقامات الحريرية عند الدق وغيره من الخدمة لمولاه فلما اطلع علماء كجور على وفور علمه أحبوه جدًّا وطلبوا منه أن يهرب ويدلوه على الطريق إلى فوت فأبى وقال لهم وقد نص العلامة خليل في مختصره قوله وحرم خيانة أسير، فلما أعياهم أمره ذهبوا إلى سيده وطلبوا منه أن يعتقه لله تعالى فأعتقه مولاه من رق الأسر وأطلقه فانطلق راجعًا إلى فوت وهو أول من [636] من رجع من المأسورين في بنكوو إلى فوت، قلت ولعله بعد عال دند، والله تعالى أعلم، فلما وصل إلى فوت بايعوه على الإمامة فلما رجع ألمام عبدل بايعوه أيضًا هافرتط كفره نطن كو أي حتى تحلوا أول نسجكم أو عقدكم يريد مبايعتهم لألمام حماد فأرسلوا إليه ليحضر وينظروا في الشرع من أولى بالإمامة منهما، فجاء ومعه خاله رئيس دطل صو أم بوب فلما جلسوا حكموا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الأخير منهما فلما سمع بذلك قال أنا راض بحكم الشرع وقال له خاله فلنهرب إلى بند فقال لا أهرب عن حكم الشرع وقال له خاله إذا لم نهرب فمتى قتلك الإمام فلا بد من قتله فقال إذًا فالفرار أيسر من ذلك فهربا يريدان بند ومعهما ستك ير بن ستك سري سل بن ستك بوب حتى وصلوا إلى محل الحصى بين ألفا ودلماج عثرت رجل الإمام حماد فانجرحت أصبعه فقال ستك صي ير تعسا لألمام عبدل الذي هو السبب في هذا، فاشتغل الإمام بإصلاح إصبعه إلى أن رقأ عنها الدم ثم قال له الإمام حماد وجب عليك الأدب فامدد ظهرك منكبًا على الأرض حتى تؤدب لأنك سببت إمامًا عادلاً، فانكب على الأرض ومد ظهره فضربه الإمام حماد خمسة عشر سوطًا، وزعم سري عباس في تاريخه[546] أن ألمام حماد

545 - عن ألمام حماد لمن بال، انظر هامش رقم (507)، ص. 456.

546 - انظر هامش سري عباس، رقم (501)، ص. 448.

إنما أدبه بالمال حتى فدى ستك نفسه بجواده فأرسل الإمام حماد ذلك الجواد إلى الإمام الأعظم ألمام عبدل فصرفه الإمام في بيت المال وأرسل له الإمام عبد القادر جوادًا آخر بدله ورده إليه ثانيًا، اهـ، والله تعالى أعلم، ولكن كون الجواد معهما وعثرة رجل الإمام وانجراح إصبعه متنافيين عقلاً، والله تعالى أعلم، ثم إن خاله صو أم رجع لما علم بسلامته من القتل فتجاوز الإمام مع ستك ير حتى وصلا إلى بندف فسكنا هنالك وكان الإمام عبدل قد جعل مدارس يقرأ فيها القرآن ومدارس يقرأ فيها الفقه ومدارس يقرأ فيها اللغة والنحو ورزق الجميع عليه حتى حصلت للنحويين واللغويين وقفة في مسألة نحوية فقالوا لو كان ألمام حماد حاضرًا لفتح علينا في هذه المسألة بما يكفي ويشفي ثم شفعوا له عند ألمام عبدل [637] فأرسل رسلاً إليه ليرجع إلى فوت آمنًا فرجع فلما علم الإمام بحضوره أمره أن يقف في الشمس قدر ساعة رومانية[547] وقيل أكثر فلما فعل ذلك عفا عنه الإمام، ثم قيل إنه حضر مع ألمام عبدل يوم كوريك فلما علم الإمام بانهزام جيشه عنه نادى يا حماد لمن بال وكان من تلاميذه استودعتك أهل داري وعيالي قال ذلك مرارًا فلما رجع ألمام حماد مكث يعمل لأهل داره ويشتغل لهم في الحرائث وغيرها قدر خمس سنين إلى أن عفوا عنه وأمروه بالاشتغال عنهم كما قيل، والله تعالى أعلم، وقيل إن مدة ولاية ألمام حماد على فوت قبل رجوع ألمام عبدل من كجور سبعة أشهر وقيل أكثر، والله تعالى أعلم، وكان رضي الله عنه متواضعًا زاهدًا في الدنيا جدًّا وقيل إنه كان راكبًا على فرس ضعيف يومًا في سفر مع جماعة من الفرسان فسبقوه جدًّا وجعلوا يقولون أين الإمام وانتظروه إلى أن جاء خلف الناس فقالوا له مثلك يا إمام لا يركب إلا على جواد فاره سابق ليكون الناس خلفك وأنت أمامهم فقال شعرًا: كفاني من الركوب ما كنت فوقه ×× ليكفيني حر التراب وشوكه، إلخ، والله تعالى أعلم، وقد ذكرت شيئًا من أمره بعد موت ألمام عبدل بقيامه على الشهادة بثبوت ملك ألمام للحرائث التي ذكرناها في تاريخه والقائم بالدعوى إلمان دمب أمهان كما مر ذلك هنالك، والله تعالى أعلم، وفي تاريخ سري عباس أن ألمام حماد لمن بال استخلف الإمامة بعد عزل ألمام مختار كدايج وسار في خلافته سيرة حسنة إلى أن قال وربما ركب دابة في مسافة قريبة ثم ينزل عنها ويخاطبها بقوله فاعفي عني أيتها الدابة، وما وقف آمل ولا سائل على بابه إلا وهبه فوق ما يتمناه ومدة خلافته ثلاث سنين وتوفي رحمة الله تعالى عليه عام ألف ومائتين وخمسة وعشرين عامًا من الهجرة المحمدية صلى الله عليه وسلم.

547 - أي ساعة حسب التوقيت الأوربي والمقدرة بستين دقيقة.

425 - خلافة ألمام بوكر أخ حماد لألمام عبدل

وألمام حماد هو والد بوكر ألمام والد محمد بوكر ومحمود بوكر، وأما محمد بوكر فلم يعرف له خبر الآن، وأما محمود بوكر فكان قد رجع إلى كلاير بعد ملك فرانس لجور وسك ثم بعد ذلك رجع إلى المشرق ثم تجاوز إلى مكة وهو هنالك إلى الآن فيما يقال، اهـ، وأما ألمام بوكر فكان أخًا لألمام حماد من الأب فلما قتل ألمام [638] عبدل في كوريك أظهر الإمام مختار كدايج المحبة والرغبة وطلب الاستخلاف وتجديده لنفسه لأنه كان إمامهم في الأعوام التي خرجوا فيها عن الإمام وخرجوا عليه إلى أن قتلوه في كوريك، فخلفوه على فوت حينئذٍ وهو ابن خمس وعشرين سنة أو أكثر بقليل فظهرت عليه آثار الصبا ومن ذلك أنه كان يشكر مسكر بو المسلي القاتل لألمام عبدل في كوريك ويقول جزى الله أبانا بو خيرًا وقد أراحنا من شر هذا الإمام الملد وهو في الملأ، وكان عال دند وأمثاله لا يحبون إعلان مثل هذا القول في الملأ وكان هذا القول ونحوه سببًا لخروج الناس عنه فعزلوه لذلك ولغيره ولم تطل إقامته في الملك قيل خمسة عشر يومًا بعد قتل الإمام وقيل أكثر، والله تعالى أعلم، فلما عزلوه وخلفوا بعده ألمام يوسف وكان الناس مختلفين في هؤلاء الثلاثة أيهم يلي الإمامة وهم ألمام سري حسن في هاير وألمام بوكر بال في بود وألمام يوسف في جاب، ثم وقع اتفاقهم على ألمام يوسف ثم بعد عزله خلفوا الإمام بوكر بال ثم بعد مدة وزمن اختلف أهل فوت في عزله وإقامة البيعة لألمام يوسف أيضًا فانقسموا قسمتين، فيرلاب ولاو وتور كلهم مع ألمام بوكر وهبياب وبوسى وورك وقنار كلهم مع ألمام يوسف، فنشأت من ذلك فتنة كبيرة ومن الفتن بينهم يوم كنكل الأول وهو واد بين جنك وبمب ومات في ذلك اليوم سري عال سيد من يرلاب جاير، ثم فتنتهم في سلن ومات في ذلك اليوم أيضًا ابنان لعال سيد وهما أحمد عال سيد ومالك عال سيد، والله تعالى أعلم، ثم فتنتهم في جاب عند واد يسمى قَادُ قريبًا من جاب فصارا يتناوبان الملك إلى أن استقر الأمر لألمام يوسف وطرد ألمام بوكر بال إلى بند ثم رجع إلى فرل ومات في فت بو قرية من قرى فرل فوت وقبره هنالك يزار وقد زرته عام 1311 من الهجرة في فت بو والحمد لله على ذلك، وقيل إنه لما طرده أهل فوت إلى بند رجع هو إلى فت بو والتي فيها قبره وقد قال يومًا وهو فيها قبل موته فت بو والتي سار آل يند كرت جنكل قال هذا بعد ما نعس قليلاً قلت ولعله سمعه في هاتف ومعنى سار آل يند دار الله المسكونة

والمعنى أنها قبره ومعنى كرت جنكل جولب إشارة إلى أنها ستصير غنيمة للمسلمين وقد وقع ذلك في يد الشيخ عمر وكان الشيخ حينئذٍ صبيًا، والله تعالى أعلم، وقيل إن والدة ألمام حماد وألمام [639] بوكربال اسمها ميمون جاي عبدل من سلسلب دطل وهي التي ابتكرت بكلمة سل بال تقولها إذا كانت ترقص بعض بنيها وتجمع له بين اللقبين لقبها سل ولقب أبي ولده المرقوص بال، هـ، واعلم أن لقب رؤساء دطل سل ويقال للرئيس منهم سارن سنس وقد تقدم شيء من أخبار ألمام بوكر بال في تاريخ لاو عند ذكر أهل ون في بمب، والله تعالى أعلم.

426 - أصل قبيلة هليب وفروعها وبعض صفات أهلها

[640] وأما لفظ هليب حيث أطلق فهم للمب وجكوب وبيت من بيوت جاجاب وليدب ووجوجب وفناب، وأما وجوجب فهم الذين يملكون جالاد ولا يكون إلا من للمب ويعرسونه أي يجعلونه كالمتعرس في بيوت فناب أيامًا ثم يرجع إلى داره، ثم اعلم أن قبيلة لم أقسام: لم ورد ولم سلكل ولم جالاد وهم المقدمون على أمرهم، وأما دمت فإن فيها قبائل شتى إلا أنهم يصيرونهم قبيلتين وهما باباب وهليب ومع باباب قبائل من جاجاب وقيدنب وذرية ير جم كانت تسكن مع باباب، والله تعالى أعلم، وفي رواية أن هليب قبيلتان قبيلة لم وقبيلة به وقيل أن أصل قبيلة به منهم من باباب لوت، والله تعالى أعلم، وأما هليب الذين يقال لهم دباقناب وهم وجوجب وجولب وسوكب، وأصل أهل قبيلة لم من رجل يقال له يكو جاء من مرتن إلى أن وَصَل إلى روضٍ من رياضهم فوجد فيها صيادين من أهل دباق فألفوه وألفهم ورجعوا به إلى أهلهم فتزوج بامرأة منهم وكان قويًا كبير الجسم عظيم اللحية وكان يقتات قبل وصوله إليهم بثمار بود وهي أشجار التيدوم واحدها بك في كلام الفلاّن ويتعلق أثرها بشعر لحيته وكان الناس ينفضونها ويأخذون منها أثر تلك الثمار ويخلطونه بألبانهم للائتدام، ثم إنه ذهب عنهم راجعًا إلى مرتن ولا يدرون أين توجه وكان حين ذهابه عنهم قد ترك امرأته حبلى فولدت بعده [641] بولد فسمي بن يكو فقالوا أي لقب تلقبه به فقيل فليلقب بلمْ لأنه من وجل كنا نحمض ألباننا بما نأخذ من لحيته من أثر الثمار التي كان يقتات بها فلقبوه بلم، وقيل إن يكو هذا أصله من سرخل وقيل أصله من داينيكوب الخاملين، والله تعالى أعلم، ومن قرى هليب دمت بإمالة الدال والميم وسكون التاء في آخره ملحون دمت إذ قيل إن أول من سكنها جكوب الذين أصلهم من هجرة أهل دمت بكسر الدال وفتح الميم وسكون التاء في آخره،

ثم ارتحل بعض جقوب من دمت معهم قسموها باسم مسكنهم الأول دمت فما زال العوام يصحفون اللفظ ويغيرونه إلى أن صار دمت كما قيل، والله تعالى أعلم، وجقوب دمت أيضًا هم الذين عمروا بكي وجم كبى في مرتن وكلا اللفظين من كلام أهل دمت لأنهم يسمون بك أي شجرة التيدوم ببَكِّي ويسمون من اسمها كمب من النساء كمبى أو كبي، ومن قرى هليب أيضًا سايتل وسنس دقط وبايل سو ودربس ودار، ثم اعلم أن للمب كلهم أصلهم ين يكو المذكور آنفًا ومنه مالم لا أعرف هل هو ولده من صلبه أم لا، وأم مالم هي فند قابد عال بنا ومالم هذا هو والد عال مالم وصمب مالم ودمب مالم ثم لما ملك هليب صمب مالم على أمرهم ولعله لوجاهته صيَّرُوه جَالَادِ عَلَيْهِمْ نَشَزَ عَالْ مَالُمْ الذي هو أكبر منه سنًّا وهاجر إلى هَبْيَابْ وتزوج هنالك بامرأة فولدت له أولادًا منهم هب عال مَالَمْ وقد مرّ ذكرهم في تاريخ هبياب إن شاء الله تعالى، [642] وأما صمب مالم فلم يطل عمره في الملك بل مات عن قريب ثم خلفه ابنه فمات أيضًا عن قريب فتركوا الملك لأجل ذلك فأخذه أبناء دمب مالم وهم الأمراء فيهم إلى الآن وهم من قني عال والد علو مالم الذي في دمت الآن هكذا رأيته مكتوبًا ولعله مصحف والأولى أن يقول وهم من قني دمب مالم والد حمى قني والد صمب حمى، إلخ، أو يكون مراده ذكر نسب أبناء عال مالم لا دمب مالم، والله تعالى أعلم، وأما جاجاب هليب فهم من أرط جاوب المسمى يق وهم بيتان جاجاب سوير وجاجاب أولد، فأما جاجاب سوير فمنهم بوكر بيد المعروف المشهور فهو بوكر بن أحمد بن صمب بن سواد بن عل بن إكد بن دمب بن سوير بن مهم بن يق، وأما جاجاب أولد فهم الذين منهم دمب جود بن فات دمب بن لل بن يق، ويزعم هؤلاء أن نسبهم يتصل بنسب جاوب لوبال، والله تعالى أعلم، وقيل إن في جاجاب هليب أيضًا جاجاب دمب، قلت ولعل جاجاب دمب هم جاجاب أولد لكونهم من دمب بن لل بن يق، والله تعالى أعلم، وسايرن لن الذي في خايندي من جاجاب أولد ونسبه سارن لن بن أحمد بن دمب بن آلرب بن جود بن عال بن همد بن دند بن لل بن يق كما ذكر هو ذلك عن نفسه، والله أعلم، واعلم أن هليب معروفون بالشجاعة جدًّا مشتهرون وحرفتهم معرفة الحرب وطلب العلم والحراثة لا غير، وكل ملك من السودان والبيضان [643] يصالحهم ولا يفعل بهم ما يسوؤهم وما حاربهم إلا سيد عل من عرب حسان فأغار عليهم خدعة منه على حين غفلة منهم ثم بعد ذلك انتصروا منه وأفسدوا حلته أي إفساد فمن ذلك اليوم وضع الله قدره إلى أن مات موتورًا، وكذا لامتور صديك قد حاربهم عند هاير فهزموه وطردوه هكذا زعم بعضهم،

والله تعالى أعلم. ثم اعلم أن هليب عند القتال صفين فقط أحدهما يسمى صف هليب ويقال له صف مغرب القرية دمت وفيه جاجاب أولد وجاجاب دمب وباسب وجكوب وونب وسوسوب ودمبب ووجب وسكسناب وكل هؤلاء تورب، ومع جكوب أيضًا فرناب لس وهم الحواتون لهم ويطلق على جكوب أيضًا فرناب دو لأنهم شيوخ فرناب لس ويقال لرئيسهم إلمان فر، وفي صفهم أيضًا ليدب وياليب أي الذين لقبهم يال وجلب الذين لقبهم جل، وكذا سيسيب من صف هليب أيضًا، وكذا بوناب، هـ، والصف لآخر يسمى صف باباب ويسمى أيضًا صف مشرق القرية دمت وفيه قيدنب وجاجاب سوير ودباف وسامب وهرتل ودنقوب بوب حمات وجوجوب الذين جه بضم الجيم وسكون الهاء وكذا جوب ومن صفهم أيضًا برانناب وكاونناب وجاونناب وسلمناب ومودلناب وكل هؤلاء القبائل الخمس لقبهم بفتح الباء وسكون الهاء ولكل صف بايش هو كالأمير له وكان هليب إذا أرادوا تمليك أحد عليهم يسمونه إلمان وإذا أرادوا عزله عزلوه وجعلوا مكانه الآخر، وأما بايش فهو رئيس [644] جيشهم فقط لا غير، وقيل إن أمير هليب يكون من جاجاب أولد ولا يكون إلا أكبر سنًّا، ويولي جالاد وهو من لب على حرائث كلاط في مرتن ويولي جالتاب جابيًا له، واعلم أن هليب سكسناب أصل مسكنهم أولاً موضع يسمى روورود في ربوة برية في مشرق شمال قرية جرل وكانوا يسكنون في حفائر وهم بين جوب وجه وسه وجايب آجالا جايب جار وهم الذين جاءوهم من جلف وأول من جاءهم من لقبه بر فوجدهم يصطادون السمك في وادي هط ويتقاتلون في قسمتها وكان يميز بين أسماكهم فيجعل أسماك كل واحد منهم على حدة فزالت بذلك المقاتلة فقدموه لذلك رئيسًا عليهم وجعلوه مقدمًا على ما لهم من الأراضي في مرتن، ثم جاءهم أيضًا جايب جار فقدموهم على ما لهم من الأراضي في سنكال ورئيسهم حين كانوا في روورود لقبه بر فلما طردهم البيضان الترارزة عن مرتن وسكنوا في سنكال جعلوا الرياسة في أيدي جايب جار وهم رؤساؤهم إلى الآن، واعلم أن سكسناب يعدون من جملة هليب دية وقتالاً وقسمة ومناكحة من القديم إلى الآن، وأصل هليب في سنكال دربس فقط، واعلم أن سكسناب رؤساؤهم في مساكنهم في مرتن وحرائثها أهل بر ولقب الرئيس منهم ستك سكسا فلما سكنوا في سنكال صار أهل بر ستك سكسا أيضًا ولكن في الأراضي المرتنية فقط إلى أن صيرها النصارى من أراضي بيت المال فزالت ستكيتهم، ثم إنهم لما سكنوا في سنكال صار جايب جار رؤساءهم في أراضي سنكال فقط ولقب الرئيس منهم [645] إلفك سكسا

لأن لهم ملك أراضي سكسناب السنكالية، هـ. وينسب إلى سكسناب ساكوب وتالب ومسكن ساخوب سائل سكوب في سنكال ومسكن ساساتالب في سنكال أيضًا، وستك سكسناب لقبه بر ومسكنه بو ول في سنكال قرب ساسل ومخرف الكل جاير جك، هـ. وكان سكسناب في روروود يسكنون في بيوت حفائر وكيفيتها أن تحفر حفرة دورها كدور البيت وعمقها على قدر قامة البيت ثم تحوط الحفرة بأخشاب فوق الحفرة وحواليها ثم تسقف تلك الأخشاب بسقف يمنع الحر والمطر وكان إذا طرد أحدهم بيضاني يدخل حفرته ولا يكون باب الحفرة في جهة المشرق بل في جهة المغرب خاصة خوفًا من دخول المطر الحفرة، والله أعلم. وأما هليب الذين في أوك وسلن وغيرهما من القرى فإنهم هاجروا من روروود في مرتن دار هليب وسبب هجرتهم عن روروود كثرة الفتن من البياضين فلذلك ارتحلوا هاربين إلى بند ومكثوا هنالك ما مكثوا ثم وقعت المخافة والفتنة بينهم وبين أهل بند فارتحلوا راجعين إلى فوت ومنهم من بقي في دندور وتجاوز الباقون فبقيت فرقة منهم في أوك وكذا بقيت فرقة منهم أيضًا في سلن وتجاوز الباقون إلى هليب. ومن الباقين في أوك من سلسلب هليب ألجما دمب وفات دمب والد صمب فات والد دو صمب والد ممد دنب المخبر المشتهر بدود بمعنى الرماد، وأما فات دمب الذي هو جدهم فدمب بن صمب بن فات بن دمب بن حمت بن عال بن عل بن بنا، اهـ، ومن الذين في أوك منهم جايب [646] وسامب، والله تعالى أعلم.

427 - أصل تالب ساسل

وأما تلل ساكوب فرؤساؤها هليب سيسيب، وأما ساكوب بسمور فإنهم يسكنون في سنس دنط مع هليب ويخرفون في هاير هكذا حالهم أبدًا وقد مر شيء من تاريخهم عند تاريخ وكد، وأما تالب فكانوا يسكنون في ربوة دده في مرتن قرب أرو وهو فوق وادي أرو في قرب روروود فلما طردهم البيضان إلى سنكال سكنوا في ساسل تالب قرب حرائث بنج، وأما تالب ساسل فهم من سل صمب ومتار صمب، وأما سل فهو والد بوب سل وعل سل، وأما بوب فهو والد حمات بوب والد سارن دقل والد همد سارن وبوكر سارن، وأما همد فهو والد عمر همد وباب همد وعبدل همد وصمب همد، وأما عمر همد فهو والد حمات عمر وعبد الرحمن عمر، وأما حمات عمر فهو والد ببكر حمات وعمر حمات الحيان الآن، وأما عبد الرحمن فهو والد عمر عبد الرحمن حي الآن، وأما صمب همد فهو والد موسى صمب

وحمات صمب، وأما موسى فهو والد عمر موسى وسري موسى الحيان الآن، وأما حمات صمب فهو والد ممد حمات والد سعيد ممد وسري ممد وجاي ممد وهم اليوم في ساسل هليب، وأما عل سل فهو والد سكم عل وبرس عل وناق عل، وأما سكم فهو والد أحمد سكم والد همد أحمد وعمر أحمد وبوكر أحمد، وأما عمر أحمد فهو والد أحمد عمر والد عمر أحمد الذي هو رئيسهم اليوم في ساسل، وأحمد عمر أيضًا هو والد عبد الرحمن أحمد وراسن أحمد وهما اليوم في ساسل أيضًا، وأما بوكر أحمد فهو والد أحمد بوكر والد همد أحمد وعثمان أحمد [647] وهما اليوم في دار هليب، وأما برس عل سل فهو والد صمب برس ودمب برس المعروفين بصمب الجن ودمب الجن وأولادهما في هاير، وأما ناق عل سل فهو والد سكم ناق وعال ناق وهمد ناق، وأما سكم فهو والد همد سكم والد متار همد والد همد متار والد علو همد الحي الآن، وأما همد ناق فهو والد عبد الرحمن همد والد علو عبد الرحمن والد متار علو الحي الآن في بو ول اسم موضع هنالك، وأما عال ناق فهو والد عمر عال والد همد عمر المعروف بهمد برس وسلي عمر، وأما همد فهو والد علو همد الحي في ساسل الآن، وأما سلي عمر فهو والد محمد سلي والد سلي محمد اللذان في قيد الحياة الآن في ساسل. وأما ليدب ساسل الذين يقال لهم وربرناب لأنهم قتلوا نفسًا من برناب ولذا أعطوهم أرضًا من أراضيهم فصار يقال لهم وربرناب وأصلهم من بوي جم له والد كن بوي ودكون بوي، وأما كن فهو والد صو كن والد سعيد صمب وحمات صمب، وأما سعيد فهو والد عثمان سعيد والد بوكر عثمان والد جاي بوكر والد بوكر جاي، وأما حمات صمب فهو والد جاي حمات والد سري جاي وسعيد جاي، وأما سري فهو والد سعيد سري وأحمد سري، وأما سعيد فهو والد ممد سعيد وسلي سعيد وموسى سعيد وعثمان سعيد وعبد الرحمن سعيد، وأما ممد سعيد فهو والد ممد موسى المعروف بألفا ممد وقد ذهب في العام الماضي وهو عام 1923 من الميلاد وهو عام 1341 من الهجرة إلى مكة شرفها الله تعالى، وموسى سعيد أيضًا هو والد سعيد موسى الذي في ماسينا [648] الآن، وأما عثمان سعيد فهو والد سعيد عثمان وسري عثمان ورحمة عثمان في قيد الحياة اليوم، وأما عبد الرحمن سعيد فهو والد أحمد عبد الرحمن فقط السالم الآن، وأما أحمد سري فهو والد بوكر أحمد الحي السالم الآن، وأما دكون بوي جم له فهو والد عال دقون والد متار والد سعيد أحمد ودمب أحمد، وأما سعيد فهو والد باب سعيد والد مختار باب المخبر وله أخوان وهما سعيد

باب وعثمان باب اللذان في قيد الحياة اليوم، وأما دمب أحمد فهو والد سليمان دمب وإبرا دمب ومتار دمب، وأما سليمان فهو والد أحمد سليمان الحي اليوم في ساسل، وأما إبرا دمب فهو والد أحمد إبرا ودمب إبرا الحيان الآن في ساسل، وأما متار دمب فهو والد بوكر متار الحي الآن، ولأحمد متار عال دكون بوي جم له أيضًا ممد أحمد وعبدل أحمد وسري أحمد ومختار أحمد، وأما محمد أحمد فهو والد أحمد ممد ومختار ممد وعمر ممد، وأما أحمد ممد فهو والد مختار أحمد الحي الآن، وأما مختار أحمد فهو والد عبدل مختار الذي كان معلمًا لأولاد الأمير أحمد بن الشيخ عمر في ساغو وهو والد عمر عبدل الذي في خاي الآن وإبرا عبدل الذي في بمكو الآن، هـ.

428 - أصل جوم سند وذكر ذريتهم وممتلكاتهم

فلنذكر بعض أراضي هليب التي يحرثونها لنتوسل بذلك إلى ذكر جوم سند ونقول إن إلمان فر لا يكون إلا من جكوب وهو مالك الحرائث السنكالية من البحر إلى بعض بنج ويجعل [649] جابيه جاكرك ولا يكون إلا من كيدنب وتلك الحرائث كلكل تسمى لعل، وأما جوم بنج فلقبه به ويناويه الآن من لقبه سه وسنذكر ذلك بعد، وجوم بنج هو مالك ما بقي من بنج كله بعد لعل، وأما كلكل المسماة أن في مرتن فملك لهرتل لا غير، وأما كلكل المسماة جول في مرتن وكذا جبف وبوي وكله وكلكل سبي بالب فكلها ملك لجالاد وهو أيضًا مالك فل بكو وفل المسماة سكن وكلها في مرتن، وأما بوناب فهم المالكون لكلكل بار بطو وكلكل وتوي وكلكل كاطه وكلكل دبك وكلكل إدا وكلكل دكل وجبل وسوتكن ولوكاكاب وفول باوا وسربط وإفني وسكت وكليل وفنكاب ودادوك وكل هذه الحرائث كلاط في مرتن، وأما فل فلهم منها سيب في مرتن وبفار في سنقال (...) بفساد ملكه، وأما حرائث كلكل بنج فأصلها أولاً من جوم سند ويقال أيضًا جوم سلط بسكون اللام تخفيفًا والأصل سلط بضم اللام وهي أشجار الطلح وسند أثمارها، وسمي جوم سند إضافة إلى ثمار تلك الأشجار، وسلط أشجار جمع سلك وهي شجرة تشبه شجرة أمور التي تدبغ بثمارها الجلود وتسميها البيضان بأشجار الطلح، وقيل إن أصل جوم سند من بسي صولام والد عال بسي والد وور عال ودال عال، وأما وور عال فهو والد صمب وور والد تفسير صمب والد صمب تفسير والد صو صمب والد بوكر صمب وعبد الله صمب، وأما بوكر صمب فهو والد عيشة بوكر التي في قيد الحياة اليوم،

وأما عبد الله صمب فهو المسمى بجوم عبدل في جنس الآن وهي قرية في (...) كك [650] في سنكال، وأما دال عال فهي التي تزوجت برجل من باباب دمت الذين هم مودلناب وأخوها وور عال هو الذي قسم أرض بنج وأعطى جانبًا عظيمًا منها لأصهاره مودلناب وأبقى لنفسه الجانب الآخر، وصورة ذلك أن أخته دال عال حملت ذات يوم إناءها العظيم المسمى عند البيضان القدح وملأته طعامًا شهيًا عندهم وأتت به إلى أخيها وور عال كما هو عادة النسوة من أهل فوت مع إخوتهم الأغنياء تطلب بذلك لبعلها ما يحرث من أرض أخيها فأعطاه وور عال حرائث في جانب قريتهم دمت وسميت بلعل وتعرف الآن بلعل دال عال ومعنى لأل القدح العظيم، ثم قال وور عال لأخته دال عال إذا رجعت إلى بعلك فقولي له فليأت إلي في يوم كذا لأعطيه ما يكفيه من الحرائث ما عدا نصيبك من الحرائث كلكل المذكورة فلما جاء ذلك اليوم قام زوج أخته في الليل ساريًا فشق الأرض من دمت إلى جَنَس اسم قرية في فود في حاشية البحيرة ورك وراءها فوقف وضرب دفوفه فسمع بها وور عال فقيل له ولعل هذا زوج أختك فقام إليه فقطع البحيرة فلما وصل إليه قال له أفسدت الأرض وعوجت الحد فأرني من أين أتيت فرجعوا تابعين أثره فقطعوا أرض جنس ثم لفر ثم بارجاتتاب ثم قرفلو ثم جسك فنو ثم أرض إلمان فر وعنها إلى دمت، فقال له وور عال خذ الجانب الشرقي وآخذ أنا الجانب الغربي، ومن جملة الذين يحرثون في أرض وور عال الآن ويجمعون له الزكاة سكسناب دار ثم سانل ساكوب ثم ساسل تالب ثم برناب ثم كك ثم جانب من دطل، وأما أرض إلمان فر فكان أولاً بين قيدنب وللمب وقيل إن سبب تناوب باباب مودلناب وسوسوب في ملك حرائث كلكل بنج أن أصل ملك بنج لمودلناب لأنهم من دال عال ابنة جوم سند الذي مر ذكره وأن سوسوب أصلهم من يرلاب أليط وذلك أن ألمام عبدل لما قتل [651] قسم رؤساء فوت بعض قرى تور وأراضيها وكذا لاو بين الرؤساء فحظيت جماعة يرلاب أليط بحرائث نجور زكاتها وكرائها وهم الذين يولون جوم بنج من مودلناب الولاية على بنج ثم يجعل من يرلاب بعض سوسوب يرلاب جابيًا لهم حظهم من كراء بنج وزكاتها إلى أن سكن ذلك الجابي في دمت لأجل ذلك، فما زال هذا حالهم إلى أن وقعت الفتنة بين جوم بنج من مودلناب مع كبير جاجاب أولد فجمع مالاً جزيلاً ودفعه إلى الذي جعله يرلاب جابيًا لهم حظهم من كراء بنج وزكاتها وأمره أن يذهب به إلى يرلاب ليجعلوه جوم بنج، فقبل يرلاب ذلك لأمرين، الأول لكون المرسول إليهم أخًا لهم والثاني المال المرسول إليهم، فخلفوا هذا الرجل الذي هو من سوسوب فما

زالا يتناوبان في ملك بنج من ذلك الوقت إلى الآن مرة لودلناب ومرة لسوسوب، هـ. وقيل إن قيدنب بينهم وبين جوم بنج صحبة قديمة ومحبة وأن جوم إذا ولي الأمر يولي جاكرك من قيدنب برشوة ثم يولي جالتاب أمر فل، وأما سبب ملك جاكرك حرائث كلكل لال فقد قيل فيه أقوال ومنهم من قال أن سبب الملك من دال عال ومنهم من قال إنه من جوم سند وذلك لأنه قد كان لجوم سند فرس جيد فسرقه أهل جلف فطلب جوم سند من يقوم له على شأن هذا الفرس ليردّه إليه ولو بعد أعوام فالتزم له ذلك أحد قيدب فوعد له جوم سند أن يعطيه حينئذٍ ما يكفيه من الأراضي الحرثية فقام ذلك الرجل وأخذ لوحه وكتابه كالتلميذ قاصدًا نحو جلف إلى أن دخلها وبحث عن القرية التي فيها الفرس المطلوب حتى علمها فنزل في دار صاحب الفرس المذكور كأنه طالب علم إلى أن وقعت الألفة والمعرفة بينهما فصار صاحب الفرس متى أراد الغدو إلى بعض حوائجه يوصي التلميذ على الفرس في سقيه وعلفه وكان التلميذ يركبه مرة في داخل القرية وتارة وراءها حتى أمنه الناس على الفرس وغيره فبينما هم في أمان منه إذ ركبه أيضًا فخرج به إلى خارج القرية ورجع به إلى فوت وحينئذٍ أعطاه جوم سند حرائث كلكل لعل كما أخبرنا بذلك عثمان عال عن صمب قيدل [652] في دمت، والحاصل أنه لا يكون جاكرك في دمت إلا من كيدنب ولا يكون إلمان فر إلا من جكوب لا غير، وأما جاجاب سوير فهم الذين يولون على الحرائث كلكل تسمى إدا في مرتن، وقيل أيضًا إن قيدنب كانوا من أشياخ بني جوم سند منذ زمن قديم إلى الآن وهم الذين يزوجون بناتهم بمن شاؤوا وكذا بنو جوم سند هم الذين يزوجون بنات قيندب بمن شاؤوا، والله تعالى أعلم، انتهى ما التقطته من أخبار هليب وقد مر شيء منها في تاريخ بوناب وهبياب، والله تعالى أعلم.

429 - معلومات جغرافية عن مواطن قبائل فيفيو (الأودية والبحيرات)

وقد خرج في مشرق القرية المسماة فرل من قرى بوناب في مرتن دربس خليج يسمى فما واتصل إلى وادي هط إلى حرائث كلكل تسمى دك واتصل إلى هوي إلى جرل وهو خليج خرج من النيل في مشرق قرية تسمى باسم ذلك الوادي جرل لسكناها قربه واتصل إلى وادي هوى وهناك اجتمع خليج فما وخليج جرل واتحدا وصارا واحدًا ثم إلى وادي بوجوج ثم إلى وادي جويف إلى بحيرة فيفيو وكان سلطان فيفيو يلقب بجمف تور وهو من قبيلة سل وبعض ذريته كان في سلاك وسايلاو وفي دار أيضًا قوم منهم يلقب كل رئيس

منهم بجمف تور، وقيل إن فيفيو وجمف تور كانتا قريتين عظيمتين في قديم الزمان يملكها سلسلب فوقع عليهم البياضين فأفسدوهم وأجلوا أهل القريتين فتفرقوا في البلاد وكانت من حرائثهم النيلية بل فيفيو وميمن فيفيو وجاج فيفيو، وقيل إن فيفيو اسم ربوة في بر مرتن كانت مسكنًا لجمف تور وهو أمير فيفيو، وقيل إن الأمير جمف تور هو الذي أعطى سامب مسكنهم هلوار وهلوار اسم أمة لجمف كانت تجمع آز في ذلك الموضع فسمي باسمها، ومن المتفرقين في البلاد من أهل فيفيو سارن فيفيو وهو لقب لكبيرهم في بناج فقد جاء في زمن ستك فأعطاهم حرائث نيلية كثيرة وحرائث برية [653] خريفية أيضًا فسكنوا واكتسبوا بذلك جاهًا عظيمًا ويسمى رئيسهم في بناج إلى الآن بسارن فيفيو باسم قريتهم القديمة، كما تعلموا العلم وتدينوا وصاروا من تورب وقد كانوا أولاً في جاهلية وهم من قبيلة سل وسنأتي بشيء من ذكرهم في تاريخ سلسلب كد، ومن ذرية فيفيو أيضًا قوم من قبيلة سل في كيهيد قد صاروا الآن سب لتركهم شروط تورب من التعلم والتدين ومثلهم من سلسلب المتفرقين كثير فقد صار بعضهم تورب وبعضهم سب وبعضهم سيلب وبعضهم قلب الذين هم أهل البادية لرعي الماشية ومن الفلاّن منهم متى خليلنا الذي كان في كن وقد زعم أن أصله من كيهيد وهو من قبيلة سل، واعلم أنه كان تحت فيفيو بحيرة تسمى بحيرة فيفيو وهي بحيرة في مرتن تسمى في كل موضع باسم غير الآخر وتسمى هط في مقابلة دربس وفي مشرق هط ربوة مرتفعة تسمى أرو والبحيرة تسمى عندها أو بعدها بهوي المعروفة عند البياضين بالنباريات المتصلة ببحيرة فيفيو وبعدها بحيرة هلوار وبعدها بحيرة جالوم سود المتصلة بجالوم مود وفي شمالها ركب وكنك بارك وكيل مصر والبحيرة متصلة بجم بلل وفي يمينها تول كانت قرية للصناع وفي يمين تول تيشيليت جام كانت مسكنًا لأهل جما ألوال وكذا تقتق، وفي بحيرة جم بلل رمح سبلام طعن ميس بور بذلك الرمح وكان في سفينة فأخطأه الرمح فانغرس في الأرض تحت الماء وبقيته باقية إلى الآن كما قيل. والبحيرة متصلة ببحيرة بورجاي وكان أولاً مسكنًا لأهل دطل وأميرهم يسمى سارن سنس والبحيرة متصلة أيضًا ببحيرة فاو وفي يمينها جترو وفي شمالها موضع يسمى بوروال ومنه بورناب جما ألوال وفي قرب بوروال موضع يسمى تفلو وعنده وقع القتال بين أهل فوت والبيضان، وقيل إن رئيس جيش أهل فوت يومئذٍ مهدي تور الذي كان سيم قدمه على ذلك الجيش ألمام فوت وقيل هو ألمام ممد البمبي وذلك في ملكه الأول [654] وقيل إن من عام ملكه الأول إلى عام قتال

تفلو ثلاث سنين،[548] وقيل إن المهدي كان حاضرًا لذلك القتال فقط وأظهر فيه شجاعة جدًّا ولم يكن مقدمًا على ذلك الجيش، والله تعالى أعلم.

430 - قبيلة بورناب وما تفرع عنها: مواطنهم وبعض عاداتهم

وأما بورناب فكان مسكنهم في القديم بوروال وقيل إنهم أسلموا على يد رجل اسمه سيد بوب سيد من قبيلة كبي وقد مكثوا في بوروال زمانًا طويلاً وكانت حرفتهم الحرب والتحوت في الأودية ولذا قيل إنهم إذا مكثوا في بوروال زمانًا طويلاً ولم يجدوا من يحاربونه رجعوا إلى أنفسهم ويخرج كل واحد منهم بأسلحة كالرماح ويلعبون ويترامون بها إلى أن يقتلوا واحدًا منهم فيدفنوه ويرجعون ويسمونه فك باط وهكذا حالهم إلى أن ارتحل أهل فوت عن مرتن وبقوا هم في مرتن يحاربون البياضين سبعة أعوام فلما غلبوا انتشروا وتفرقوا في البلاد وتغرب فرقة منهم إلى جهة المغرب من دكان إلى المغرب وقطعوا النيل هنالك إلى سنكال وسكنوا في وال برك حتى قيل إن كل من يلقب بكي وود وجو وبوي وبار وسوي وسل فأصله منهم، والفرقة الباقية التي لم تقطع النيل إلى سنكال صاروا كالحراطين[549] وهم الذين يقال لهم وتل سم دولنك ثلاث كلمات اثنتان منهما ولف وهما وتل وسم ومعناهما اترك لي والثالثة فلاَنية أو ولفية وهي دولنك ومعناها شصوص كثيرة في حبال كثيرة من السلوك يصاد بها الحيتان عندنا. ومن قبائل بورناب دارلناب وفننكوب وتشرق هاتان القبيلتان إلى جهة المشرق وبقي جل دارل في فوت ثم تجاوز فننكوب إلى بند وكاس ونحوهما، قال السيد عثمان عال ولعل سارن دارل أصله من أشياخهم ألم تر إلى أهل دارل في كلجن كيف يزعمون بأنهم هم الأصل في ملك مسجد كلياب فلا ينازعهم أهل تلف في ذلك، قال عثمان عال أيضًا وهذا من المكنات، وقد كان حول بوروال قريتان معمورتان يعرفهما الجل بل

548 - **تعليق المؤلف**: وقيل من عام ملكه الأول إلى عام 1342 من الهجرة (1923 م) قدره 86 سنة، والله تعالى أعلم.

549 - **الحراطون**: يشكلون إحدى العناصر المهمة من سكان الواحات الصحراوية والأقاليم السودانية المتاخمة للصحراء، ورغم كونهم مزيجًا من العناصر البربرية الإفريقية إلا أنهم لا ينتمون إلى العناصر البيضاء من العرب والبربر ويعتبرون من العناصر ذات الأصول الزنجية ويؤلفون جماعات متميزة عن غيرها تميل بشرتها إلى السواد، أرجعها بعض الكتاب إلى بقايا السكان القدماء للمنطاق الصحراوية المعروفون بالجيوتول أو النوميديين، أنشأوا منذ القدم الواحات ومهروا في استغلال المياه عن طريق حفر الآبار وصيانة السواقي. خضعوا بحكم استقرارهم ومزاولتهم للزراعة للعناصر البدوية من البربر الطوارق والعرب الهلاليين الذين استغلوهم في أعمال الزراعة وفي الحرف المتواضعة، فكانوا أشبه بالموالي الخاضعين لهم، واعتبروا في منزلة أدنى من باقي الشرائح الاجتماعية، فهم أقرب إلى العبيد منهم إلى الفلاحين والحرفيين.

الكل وهما تنتين وجتر وهما قريتان متلاصقتان وبينهما واد قفك وكانت تنتن مسكنًا لأهل أن وعنها [655] ارتحل جلهم، ومن المكنات أن يرافق بعضهم هجرة بورناب الذين تشرقوا فيقال له أشياخ دارلناب،[550] وقد ذكرت داد بورناج ابتداء بناء القدور فيهم وقالت لما وصلت هجرتهم حول كجلن ومكثوا أيامًا ولم يجدوا قدورًا يطبخون بها الطعام قامت امرأة منهم فأتت بطين وبنت قدرًا وطبخت بها ثم امتنعت النسوة الباقية من صناعة ما صنعت وبقيت هي ومن رضيت بهذه الصناعة منهن وذريتهن على تلك الحرفة إلى الآن، وأما جتر فقرية سكانها جاوب ويقال لهم جاوب جتر وبقاياهم اليوم في جما ألوال ومنهم دمب آدم الذي قيل إنه عاش ما ينيف على مائة سنة فهو والد عبد الله دمب والد ببكر عبد الله الذي في قيد الحياة الآن وله أرض الحراثة في مرتن يأخذ كراءها وزكاتها تسمى جاوكل، قال عثمان عال وإذا ثبت قدوم سري در مع قدوم أهل كجلن فمن المكنات أن يكون أصله من جاوب جتر هؤلاء ورافقوا أهل بوروال في الهجرة، والله تعالى أعلم، وقد قيل أيضًا إنه لا يكون الرئيس في بورناب إلا من لقبه ود، وأما سلسلب فهم جامبرياب فقط الذين يملكون أمير بوروال ولكن لا يكون الجابي إلا من سلسلب، انتهى أخبارهم، ونقول حيث ورد ذكر سري در فلنورد بعض ما قيل في نسبه وقد زعم بعض جاوب بأن أصله مولى لبوي سوي وهو الذي أعتق دمب بوي والد در دمب والد سري در وأم سري در تسمى دمب بران ابنة بران صمب تنتن كني وهي أخت ير بران والد سيد ير والد فات سيد وحمات سيد، وأما فات فهو والد سيد فات والد ممد سيد وكذا شيخ سيد وسري له، وأما حمات سيد فهو والد سيد حمات المشتهر بأمه سيد بلل وكان أصل لقبهم بجك وصاروا يتلقبون بلقب أمهم سنكان وهي من أهل ساد، وزعم سري عباس بأن بوي سوي هو والد دمب بوي والد در دمب [656] والد سري در إلخ، وبوي سوي هذا هو الذي منه رؤساء الفلاَن في جل في بوسى، والله تعالى أعلم، فلنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر البحيرة التي في مرتن تور ونقول واعلم أن بحيرة فاو متصلة ببحيرة كند وبينهما وحا وكان مسكنًا لأهل بوي وأهل ماو وهم أهل دناي وكذا الكات مسكن بزقال ودار شيخ عبد الله ودايباي عمر الكبير وبحيرة كند متصلة ببحيرة كيري وتاكان وهي متصلة ببحيرة كاجار وهناك اجتمعت البحيرة بنيلنا الفوتي، ثم اعلم أن

550 - **تعليق المؤلف**: قلت ومن العجب أن يكون بوروال الموضع المسمى تفلو وكذا (...) القرية المسماة تفلو أيضًا (...) بورناب قد صاروا من كلياب وأهل سل (...).

أهل تنتن وأهل جتر وأهل بوروال وأهل تيشيليت جام صاروا كلاً في قرية جما ألوال هكذا أخبرني حمد من أهل جما ألوال من أهل جتر، والله تعالى أعلم، وأخبرني بعض أهل فني أن بحيرة كند متصلة إلى بحيرة عميقة تسمى دفر وعندها قرية تسمى جكوار يسكن فيها أهل فني، ثم من دفر إلى حرائث كلاط تسمى كيري، ثم من دفر أيضًا إلى بحيرة جاوان ثم إلى تايكان ثم إلى تيب يسكن فيها أهل كاي ثم إلى كاي وهناك اجتمعت البحيرة بنيلنا الفوتي، وكان يسكن في كيري فلاّن يسمون كيريناب وهم الآن متفرقون في البلاد بسبب قتال داينيكوب لهم في مسكنهم عند بحيرة كيري فارتحلوا هاربين إلى أرض وطاب في جايان فمنعهم أرط وطاب من السكنى في أرضه فذهبوا متغربين إلى وال برك فسكنوا فيها سنتين أو أكثر وطلب منهم أمير وال برك حينئذٍ أن يعطوه زكاتهم فأبوا فطردهم أمير وال برك عن أرضه فانتشروا في البلاد فذهب جلهم إلى بند ثم رجعوا بعد ذلك إلى تور ومنهم من بقي في دمك في قرية سانكن في بر ماتم ومنهم سارن صمب عال الذي كان قاضيًا في ماتم وما زالوا يرجعون إلى تور ويبقى بعض منهم في قرى فوت ومنهم جماعة ساكنون في لايراب مع أوررب الذين هم سامناب ومنهم جماعة ساكنون في فك من قرى وطاب ومنهم من سكن في سنكي [657] وناحيتهم فيها تسمى ناحية جم جاي وبعضهم في جلس وبعضهم في جاجم وبعضهم في فنداو وأميرهم يلقب بأرط ومسكنه في سل بيكر مع جوم بوتكل وقيل إن أميرهم أرط كيري هو أمير بر يكات وأصل الكل بيضان في زعمهم ويعدون من أوررب وكذلك جوم بوتكل وينسب إلى الفلاّن كريرناب.

431 – النزاع بين أبناء القبائل على الفوز بالرئاسة وتولي الإمارة

أهل بوبك الذين كانوا رؤساء في فدور وأصلهم من جب والد صمب جب والد يعقوب صمب والد صمب يعقوب والد بوب به المشتهر ببوبك، وقيل إن بوب به هذا هو الذي خرج عن هيري أو أبوه يجول في البلاد ويطلب من يستأجره على رعاية الماشية وجعل يخرف في هذه القرية للرعاية ثم يخرج منها إلى أخرى كذلك إلى أن وصل قرية بلور اسم قرية من قرى وال برك ومكث فيها للرعاية إلى أن حصل مالاً جزيلاً فأصبح يذهب مع أهل وال برك إلى أندر فتعارف هنالك مع بعض فرانس ثم تزوج بأمة لذلك البعض الفرانساوي تسمى كم من فلاّن كهل وهي التي ربت فال فر وهي أمة أيضًا من سارار، والحاصل أن بوب به لما كثر تردده

إلى أندر صار يأخذ البضاعة من مَرْسَدِيسْ ويذهب بها إلى لَوَكْ اسم لِمَرْسَى كان في وال برك وكان ملوك الترارزة يأخذون عليهم العشر فقام كبير ولاد أحمد ذاهبًا إلى كبير الترارزة فذهبا معًا إلى لوك ليأخذ التروز العشر فلما أشرفا على المرسى قام كل من كان هنالك من أبناء أندر إلى التُّروِزّي لتلقيه هَيْبَةً وتعظيمًا له فذهبوا به إلى دار كبيرهم فبقي كبير ولاد أحمد منفردًا ولم يرفع أحد منهم إليه رأسًا فقام إليه بوب به وسلم عليه جدًّا ورحب به وذهب به إلى منزله وأكرمه وأحسن إليه في الضيافة جهده ثم رجع التروزي والأحمدي إلى أهلهما ومساكنهما في أرض البياضين، ثم بعد مدة من السنين تجاوز أبناء أندر [658] التجار على دلبر ومعنى دل موضع مرسى السفن واجتماعها وبر اسم مورد في دي كانت تجتمع فيه سفن تجار فرانس مزدحمة من الشاطئ السنكالي إلى الشاطئ المرتني، فلما تجاوز التجار من أبناء أندر إلى دلبر تجاوز معهم بوب به إلى ذلك المرسى فأتاهم كبير ولاد أحمد الذي أتاهم في لوك فقام إليه كل من كان في المرسى للتلقي له هيبة منه وتعظيمًا له، فلما رأى العربي بوب به عرفه وتذكر إحسانه إليه أولاً فقال له يا بوب أتعرفني فأجابه بلا فقال له أنا فلان بن فلان الذي أتاكم في لوك مع فلان التروزي فعرفه بوب حينئذٍ ثم قال له كبير ولاد أحمد هذا يا بوب أحب أن تكون لي هنا نائبًا وأمينًا على أخذ العشر من التجار أبناء أندر لأنك أعْرِفُهُمْ مِنَّا ولا يخفى عليك أحد منهم فتعاهدا على ذلك وتوافقا عليه ثم قال لبوب تحول وانتقل من هنا إلى فدور لأنها أقرب إلينا ثم سكن بوب في فدور على أخذ العشر المذكور إلى أن مات وترك أولادًا ومنهم حمى بوب ومتار بوب وبران بوب وبراهيم بوب وبيريك بوب، وأما حمى فلم يعقب إلا بنتًا واحدة تسمى عائشة، وأما متار بوب فهو والد جاك متار والد بتنى وحمى جاك وجب جاك، وأما بتنى فهو والد حمى بت والد ممد حمى الحي الآن، وأما حمى جاك فهو والد بت حمى والد باب كر الحي الآن، وأما جب جاك فهو والد صمب در الحي في كسب الآن، وأما بران بوب فهو والد هنت بران والد ممد هنت ومتار هنت وبراهيم هنت المخبر المعروف بصمب بول، وأما محمد هنت فهو والد مختار محمد هو رئيسهم اليوم في لبد دي وله أي لجاك متار أخت تسمى بسايسل متار والدة عبد الله سايسل قاتل جاك متار كما سيأتي، وأما مختار هنت فأولاده في أندر وهم عثمان به وعلو به وشيخ به، وأما براهيم بوب به فهو والد عال به والد براهيم الذي في جل من قرى دمك في ديوان ماتم الآن، وأما الفتنة التي وقعت بينهم [659] فسببها أن أحمد ول سيد عل لما مات وترك ابنه سيد

عل سمي أبيه صبيًا أراد جاك تخليفه ولو على رغم أعدائه فأبى أولاد نقماش وأولاد أحمد عن خلافته فأرسلوا محمد الراجل وببكر خدوس إلى أولاد عايد وأتوا بمختار سيد ومحمد سيد فخلفوا مختار سيد لأنه كان أكبر سنًّا من الآخر ثم إن الخليفة مختار سيد عزل جاك عن أخذ العشر وخلفه على أخذه أخوين أحدهما أخ له من الأب وهو عبد الله فال الذي والده مختار بوب به وكان مختار قد تزوج بالأمة التي مر ذكرها آنفًا بأنها من سارار وهي فال فر لما كبرت وبلغت فولدت له عبد الله فال هذا وثانيهما بنت جوب وهو براهيم بران بن بوب به فضيقا جدًّا على جاك حتى ارتحل من قسب إلى كد يخرف في نتنت ويصيف في كد ومكث على ذلك سبعة أعوام، وفي تلك المدة ذهب جاك إلى أندر ووشى بمختار سيد وعبد الله فال وبراهيم بنت جوب فأتى النصارى إلى فدور في سفينة الدخان فاحتالوا إلى أن أدخلوا مختار سيد وعبد الله فال وبراهيم وهو بنت جوب السفينة فرجعت بهم إلى أندر فازدادت عداوة الإخوة الباقية مع جاك كهنت به وسايسل، وقد فعل جاك قبل ذلك أفعالاً قبيحة وصورة ذلك أن والدته لما ماتت وبقيت فال فر زوجة أبيه مع والده أخذته الغيرة الشيطانية فتكلم مع البيضان بأن زوجة أبي المسماة فال فر ستأتي الليلة الآتية إلى دلبر فإن أتت فاقتلوها وقبلوا ما قال فلما أتت نزلت وباتت فلما هجع الناس نامت في قبتها فأتت إليها البياضين وصبوا عليها البارود فماتت في الحال فازداد غيظ بني مختار بوبك على جاك لقتله فال فر ولذهاب فرانس بعبد الله فال وبراهيم بنت جوب ثم ازداد تباعده عنهم إلى أن أتى ألمام ممد بران لبعض حوائجه إلى تور فطلب جاك منه أن يشفع له إلى النصارى حتى يتوافقوا فقبل الإمام ذلك [660] فذهب جاك معه إلى بخل فالتقى هنالك مع نائب أمير أندر فكان جاك يومئذٍ هو المترجم بين النائب والإمام ثم تكلما في رجوع جاك إلى فدور وتوافقا على ذلك فرجع الإمام وأخبر صلحاء تور ما جرى بينه وبين نائب أمير أندر في رجوع جاك إلى مرتبته ففرح الناس كلهم بذلك ما عدا أبناء مختار بوبك لسوء معاملته معهم، ثم رجع الإمام مع جاك إلى فدور وقد أتت السفن لسكادر إلى لبد، فأرسل أبناء أندر [وهم] التجار رسولاً إلى الإمام بأنهم يريدون الدخول بسفنهم والمرور بها على بحيرة ورك فأذن لهم الإمام في ذلك ولكنه أمرهم أن ينتظروا رسوله يلتقي معهم عند كد ليعطوه عشر بضائعهم، ثم قال الإمام لجاك اذهب إلى كد وخذ عشر البضائع من السفن وترجع إلي عن قريب لينطلق عنا الحراث الذين معنا، فأرسل جاك ابن أخته عبد الله ساسل إلى السفن ليأخذ منها العشر

المذكور فذهب عبد الله إلى كد فبات ليلتين فاستبطأ الإمام رسول جاك وقال إن رسولك قد بَطِئَ جدًّا فاذهب أنت بنفسك وائتني بالعشر الآن، فذهب جاك إلى قد وأخذ العشر من بين يوم وليلة فلما تم الأخذ قام راجعًا ومعه صلحاء فوت وتور متعجلا لوليمة تركها تصنع له في فدور لأنه فرق عليهم قبل ذهابه إلى كد الأرز والزرع والغنم حتى البقر لتذبح ليعرف الناس برجوعه إلى مرتبته في فدور فلما قرب من القرية جاتار ذهب عنه أصحابه للاغتسال في النيل الفوتي ولم يبق معه إلا عبد الله ساسل وكان فرساهما متلاصقين فأخذ عبد الله فرسه ساعة إلى أن تباعد عنه ثم ركض عبد الله فرسه ليلحقه فلما أشرف عليه صب عليه البارود فقتله ثم تجاوز عبد الله إلى دي وعنها إلى دمت وأخبرهم بأنه قتل خاله جاك، فقال إلمان سعيد وجل أهل دمت جزاك الله خيرًا حيث انتقمت لخالك وجدتك وكانت ساسل هي التي تغريه على الانتقام لخاليه وهما إبراهيم بن جوب وعبد الله فال وَجَدَّتُهُ جال بر، فلما قتل عبد الله جاك هرب إلى دمت، وأما حال أهل فدور فقد كانوا مستعجلين لرجوعه فأتاهم من يخبر بموته فاندهشوا فخرج أهل بوبك هائمين هاربين، فأرسل بوكر عال دند إلى أرط وطاب في جايان ليأتي إليهم بالدواب فأتى بكثير منها وأمرهم بوكر عال بحمل أمتعة أصهاره [661] إلى جايان فقال أَهْلُ بُوبكْ إنما أحب إلينا الذهاب إلى دمت لأنهم أقرب إلينا مودة فذهبوا إلى دمت ومكثوا هنالك ما مكثوا ثم مات عبد الله ساسل حتف أنفه بعد مدة قليلة فسبحان القادر على ما يشاء في قبضة يده المأمورون جميعًا والأمراء، ثم أمرهم أمراء فرانس بالسكنى في لبد دي وقطعوا لهم هنالك ما يكفيهم من الحرائث وهم فيها إلى الآن. وأما حال أولاد نقماش فلما ذهب فرانس بمختار سيد خلفوا عليهم محمد سيد فلما خلفوه طرد سيد عل ول أحمد ول سيد عل وأصحابه حتى قطعوا النيل ومكثوا في سنكال سبعة أعوام وكانوا يخرفون في بر طور حتى مات جل حيوانهم، ومن مساكنهم في بر تور سان دوراج لكثرة ما مات لهم هنالك من النعاج وهو موضع بين أجم تووكل وترايج، وقيل إن أولاد سيد قد مكثوا في تور حتى صار أهلها يعيبونهم ويقولون إنهم هربوا من أولاد عمهم فاستحيى الخليفة محمد سيد الذي طردهم من شماتة أهل طور بهم فردهم إلى مرتن مؤمنًا لهم وأحسن لسيد عل القول والفعل إلا أن سيد عل قتله بعد مدة غدرًا وغيلة فصارت الخلافة في يده. ومن بنات بوب به بيريك به ابنة بوب به وهي والدة تفسير حمات بن أنجاي آن الذي قيل إنه أول من عقد النكاح في أندر كما قيل، وكان بوكر عال دند متزوجًا بأخت جاك اسمها لاين حتى ولدت له ولدًا يسمى شيخ لاين وقد قتل في قتال فتن قتله أهل أحمد مهدي تور، اهـ.

وفي زمن اجتماع التجار من أولاد أندر في دلبر أراد فرانس بناء القصر في فدور في زمن ألمام يوسف وقيل في زمن من بعده من ألمامات فوت، ولم يقبل أهل فوت ذلك واستجاشوا جيشوهم ليمنعوا فرانس من البناء في فدور لسفاهتهم ومعهم ألمام يوسف أو من دونه من ألماماتهم، فلقوا سفن فرانس الدخانية بين فدور وكول عند جم كاواد اسم موضع قرب سيم، وما زال جاك في الإصلاح بينهم وبين فرانس إلى أن ضعفت همم بعض أهل فوت دون البعض الآخر ودون تور فقاتلوا [662] فرانس في سفنهم الدخانية ومعهم آلات البناء فهزمهم فرانس للقوة التي أعطاهم الله تعالى ولأن ألمام هو أول من ضعف عن القتال لما أعطي المال، وكان جاك هذا هو الواسطة بينهم وبين النصارى يأخذ لهم منهم آمكبل التي هي كالجزية الموظفة عليهم في كل سنة يدارين بها أهل فوت لسفاهتهم، فبنوا قصرهم في فدور من غير مانع فارتحل قرى سالوب النيلية إلى البر تحرجًا وظنًا منهم أن مساكنتهم تضر بهم في دينهم لجهلهم لأن لكل زمان رجالاً كما أن لكل مقام مقالاً، وتركوا البحر لفرانس ظنًا منهم بأن فرانس لا يتعدون البحر لجهلهم أيضًا، وأول مترجم في فدور كما قيل حمت هرسان، فما زال فرانس يدارين أهل تور ويكايسونهم إلى أن نزلوا من البر وسكنوا في مساكنهم النيلية كما كانوا أولاً، انتهى ما التقطته من أخبار فلاّن هيري، وذكر بعضهم أن فدور بني في عام 1858 من الميلاد العيسوي وقد رأيت في ورقة منسوبة إلى ألمام محمد السلدي بأن قصر فدور بني في عام [551]1272 من الهجرة وكذا عام غزوة فربنا من غزوات الشيخ عمر، والله تعالى أعلم.

433 - بعض أخبار تور

وقد بلغني من أخبار تور أيضًا أن عل كمبل وبنجان سار وماموود هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء، قلت ولعلهم إخوة للأم فقط، والله تعالى أعلم، وأصلهم من جلف وعنها ارتحلوا إلى طور يطلبون موضعًا يسكنون فيه فساقتهم المقادير إلى موضع قرية سلاك فشرعوا في التعمير ومعهم كلبهم فرأى الكلب أثر الأفيال كالوادي فتبعه إلى أن أوصله إلى بحيرة ورك

551 - عام 1272 هـ يوافق 1855 م.

فشرب الكلب ثم اغتسل وتمرغ ورجع إليهم فرآه ماموود فقال لأخويه الرأي أن نتجاوز إلى موضع الماء ونسكن فأبيا وتجاوز هو فسكن في جومندا قرية بين دطل وسلاك في ناحية البحيرة الصغيرة وذريته هنالك إلى الآن قد صاروا حواتين، وبقي بنجان سار في سلاك وصارت ذريته من تورب وهم الذين يملكون رياسة القرية إلى الآن، وليدب هم أئمة المسجد في سلاك، وذرية عل كمبل قد صاروا فلاّنيين وهم الذين كانوا يسكنون قرية جم بيل، [663] ويقال لهم واللناب ومن ألقابهم به وسه وجل وسك واسم ملكهم أرط، وأما داتب سلاك فقيل إنما خرجوا عن شجرة كوم هنالك ولهم على تلك الشجرة عادة جارية إلى الآن وصورة ذلك أن واحدًا منهم إذا أراد أن يختتن ابنه يحمل له الماء ويذهب به إلى تلك الشجرة ويطوف الولد حولها سبعة أطواف ثم يغتسل بذلك الماء ثم يرجع إلى الخاتن فيختنه، وكذا إذا بلغت بنت من بناتهم وأرادوا تزويجها فلا بد من ذهابهم معها إلى تلك الشجرة حاملين الماء لها وتغتسل البنت بذلك الماء بعد أن طافت بالشجرة سبعة أشواط ثم يردونها إلى البنات، ويقال لتلك الشجرة كومل داتب ويعرفها الخاص والعام في سلاق، قلت قوله إنما خرجوا عن شجرة كوم فليس الأمر كذلك بل إنما خرجوا مما خرج منه كل الناس لا غير ولكنهم كانوا يتخذونها صنمًا فما زالوا على ذلك الشرك إلى الآن، والله تعالى أعلم، وفي رواية وكومل داتب في قرب سلاك وقد وجدوا هنالك في الحفائر ولهم كلكل بين جومند وسلاك تسمى بهاد، انتهى. وأما سوسوب جومند فأصلهم من رجل فلاّني جاء من كلي يرعى المواشي بالأجرة وكان يرعى حيوان جومند بالأجرة إلى أن رأى فيهم بنتًا لهم عانسة فتزوجها فولدت له أولادًا فلما كبروا أخذوا حرفة أخوالهم الحواتين إلى الآن، هـ.

434 - أملاك أرط عد وتحركات قبائلهم وذكر بعض أخبارهم وعاداتهم وتنازعهم على الأراضي

قلت وقد رأيت أحدًا من أبناء أرط عد فسألته عن ملك أرط عد، فقال لي أرط عد هو مالك قبيلة دباق ووربي وجنل وقبيلة تسمى بالب وور محم وفلب داكل وذلك لأنه لما هاجر من باقن ونزل من جلف إلى قندار وسكن هنالك مدة واكتسب هنالك حرائث كلكل تسمى قندار ثم ارتحل عنها وسكن في عد وصار يملك على تلك الحرائث في كندار أحدًا من قومه ويسميه جوم قندار وما زال في ملكه إلى أن دخلوا في ملك فرانس، قلت ولعل أهل داكل هم الذين

يحرثون تلك الحرائث، والله تعالى أعلم، وأرط عد أيضًا هو مالك جار ودمبى وكركجل وجنك عد وجمال وعد تلد كال وتسمى أيضًا جفان، وكان ملك جاوب ورن في جم وله هناك كلاط طط أي اثنتان إحداهما تسمى بدور والأخرى سوو وله غير ذلك من أراضي الحرث النيلي ولقبه به وكان ألمام فوت هو مملكه، اهـ كلامه. وقال عثمان عال وأما أهل [664] عد فهم من سبل هنا يك يزعمون إنهم من ماسينا وارتحلوا عنها إلى فر، قلت ولعل ذلك حين اجتمع أوررب في فر واجتمع جاوب في كيم إلى هور وايد، ثم قال عثمان عال ثم قطعوا البحر من فر وتفرقوا في البلاد قيل إنهم مكثوا بين باباب لوت وجود جاب أي فوقهما من جهة مرتن في موضع يسمونه بويد عد ولذا قيل لهم عدناب لكثرة الأمهار في ذلك المسكن والأمهار من الوحش وهو في كلامنا عدِ بالجمع وواحدها عدَ في لغتنا ثم تجاوز أهل عد هؤلاء إلى جلف ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى في موضع يسمونه بسيبايل، ثم نزلوا إلى تور في موضع يسمونه قندار ومكثوا فيه ما شاء الله، ومن عوائدهم حينئذٍ إرسال عزائبهم ورعيانهم إلى موضع تلد كال لخصب مكانه من (...) وأشجار حتى قيل إن كبيرهم تزوج بابنة من بنات بيليناب وهم سلسلب الذين صاروا الآن في سالاو، وكانوا أولاً في عد قبل عدناب الذين هم فيها الآن، واسمها فند ألوال والدة دمب فند والد قيا دمب والد سبل قيا والد همد سبل والد عال همد المعروف بعال تب والد عبدل عال والد ممد عبدل المعروف بأرط ممد الذي هو رئيسهم اليوم، ومن أفعالهم القبيحة أنهم لما طاب لهم مسكن عد حاربوا أهلها وهم أهل بيلي وقد حاربوهم مرات حتى وقعوا عليهم ساعة المغرب وأفنوا بعضهم واستسلم لهم الباقون وارتحل جل أهل بيلي إلى سايلاو وصار هناك إلمان بيلي وهم من سلسلب وهذا سبب ملكهم بيلناب مع أنهم أقدمهم إلى عد قدومًا وقد حاربوهم في وادي بوط لكثرة ضربهم هنالك الدفوف ليعرف الناس أنهم قد غلبوا أهل بيلي، وواد بوط واد بين جمال ووو وأما ووو فهو اسم قرية في شاطئ النيل الفوتي يصّيف فيها أهل عد، وأما بيلي فاسم لفود نسبت إليها بيلناب لكثرة مكثهم فيه قبل ارتحالهم إلى سايلاو، وأما ما كان لأرط عد فجمال وكركجل ودمبى وجار وجاوب جبل ووربي، وأما جاوب ورن فقرية من بقايا جاوب، وقيل إن جاوب لما فسد أمرهم في مرتن وتفرقوا في البلاد وشذ هؤلاء عنهم ونزلوا إلى النيل وسكنوا في كان في ناحية هلوار وعنها [665] قطعوا البحر وسكنوا في فود كان في مرتن وقيل اسم واد ثم قطعوا ذلك الوادي وكان معهم أناس لا مال لهم فاختاروا سكنى حاشية الوادي للتحوت ثم

تجاوز أرباب الماشية أمامهم وسكنوا في وادي ورن ولذا نسبوا إليه وصار يقال لهم جاوب ورن وفيهم جاوب وجه بفتح الجيم العربي وسكون الهاء وجه بفتح الجيم العجمي وسكون الهاء وجن بفتح الجيم العجمي وسكون النون العجمي وجو بفتح الجيم وسكون الواو، وقال عثمان عال وقد أخبرتني امرأة منهم بأن أصل هذه الألقاب كلها جَهْ فغيروها، والله تعالى أعلم، وأما حالهم فإنهم مكثوا ما مكثوا في هذا الموضع فبينما هم فيه إذ أتاهم أرط عد من موضعه القديم قندار فلما أتاهم حارب أهل بيلي وهزمهم ثم تفكر في محاربة جاوب ورن ليزداد ملكه فأوقع عليهم الحرب فهزموه وطردوه فاستغاث بلامتور واستعان به عليهم فذهبا معًا إليهم فأوقعوا الحرب عليهم فهزموهما وطردوهما، فقال أرط عد للامطور الرأي عندي أن نرجع ونستريح إلى زمن المطر وحينئذٍ يرتحل أهل الماشية بماشيتهم إلى البر ويبقى الذين لا ماشية لهم هنا فنحاربهم في حال افتراقهم لنهزمهم فاستحسن لامطور رأيه وصوبه فرجعا إلى مساكنهما منتظرين زمن المطر فلما أتى المطر طلع أرباب الماشية إلى البر كما هو عادتهم فحينئذٍ أتاهم أرط عد بجنود لا قبل لهم بها فأوقع عليهم الحرب في بايوياج اسم موضع فوق جم في البر فهزمهم وطردهم فهربوا ونزلوا في وادي دو بين جم وعد وهزمهم أيضًا فتشرق بعضهم وتوجهوا إلى المشرق وأسلم له الباقون، فلما بلغ لامتور ما فعل أرط عد استجاش جيشًا فأوقع الحرب على الباقين في كان وهزمهم وهذا هو سبب ملك لامتور لهؤلاء مع أنهم من قرية واحدة ويقال لكبير أهل لامتور إلمان قان، ويقال لكبير جاوب جوم ورن، وأهل [666] جوم ورن بيتان، جلب وجاجاب وما زالا يتناوبان الملك إلى الآن وقد دخل على ملكهم دنكوب لفساد الزمان والمكان فقط لا لشاركتهم كما قيل، والله تعالى أعلم، وقد استمر ملك أرط عد على جوم ورن لأخذ الزكاة إلى أن دخل فرانس في ملك فوت وفي أيام فرب دمب جمد أي الحديد في خلافة إلمان أب سايف كنتن (...) وتور، طلب فرب دمب جمد أن يكون جوم ورن في حسبته بأنهم معه في المسكن والمحرث فامتنع إلمان دمب أحد كبار جاوب ورن يومئذٍ واستعان بأرط عد فذهب فرب دمب جمد إلى إلمان أب فقص عليه القصة فقال إلمان أب إذا ثبت كون حرائثهم في داخل أرضك وأربابها ساكنون معك في جم فأنت أولى بكتبهم، فلما رجع دمب جمد وأخبرهم بما قال سايف إلمان أب ارتحل جاوب ورن كلهم عن جم إلى سنس فرب في ناحية جار في شمال البحيرة آرو في رارد، والحاصل أن فرب دمب ما ترك الكلام حتى قال له إلمان أب فاذهب إليهم واخرج الزكاة في مخازن زروعهم،

فأرسل فرب دمب كثيرًا من أهل جم وأمرهم بإخراج الزكاة قهرًا ومعهم المخبر سارن مد سام، فلما قربوا من القرية قال لهم بوكر سه أحد سيسيب انتظروني حتى أرجع إليكم فلما غاب عنهم أرسل رسولاً إلى إلمان دمب كبير جاوب ورن وقال له إن ذهبت فقل لإلمان دمب بأننا آتون إليهم الآن لإخراج الزكاة ولو في مخازنهم فليرسل رسولاً إلى أرط عد وإلمان سايلاو ليعيناه على الكلام وإن أتى أرط عد فليمتنع أي امتناع ثم رجع إليهم بوكر سه ثم تجاوزوا وبمجرد وصولهم القرية فإذا بأرط عد وإلمان سايلاو حاضران فتكلم رسل فرب جم مع أرط عد حتى كادت الفتنة أن تقع بينهم، فقال لهم الحاضرون لا فتنة بينكم فارجعوا الأمر إلى كمادي لأن الحكم لا يتم دونه فرجعوا إلى كمادي فدور فسألهم هل أرض جاوب [667] في داخل أرض عد أم في داخل أرض جم، فقيل له إن أرض جاوب في داخل أرض جم فحكم لفرب جم فرب دمب جمد أن يملك زكاتهم، فلما رجع إلمان دمب إلى سنس فرب في جار ارتحل عنها راجعًا إلى جم وهذا سبب رجوعهم إلى ملك جم وانتقال ملك أرط عد عنهم، والله تعالى أعلم، ومن القرى التي تدعى من عداد عد أي تعد منها معنى لا حكمًا قرية مرد التي فيها جوم سلب وجاكرك قند وجوم دوك فإن اجتمع هؤلاء الثلاثة فجوم سلب هو الرئيس للجميع، فلجوم سلب ملك قبيلة آن الذين يزعمون أنهم من رقاب وأصلهم من منكل كما زعموا ومنهم الحاج معاذ بن آلفا[552] مود بن سليمان بن إلمان صمب بن مود بن فات بن مود بن بوب بن بلال بن آل دوت، انتهى.

435 - ذكر قرية مرد ورؤسائها والخبر عن علاقاتهم ببعضهم وحدود ممتلكاتهم

ويزعم أن نسبه ينتهي إلى محمد البوصيري مع أنه لا يعلم اتصال سرد نسبه إليه، والله تعالى أعلم، ويزعمون أنهم أقدم قدومًا إلى مرد من غيرهم من أهلها وبعد قدومهم أتاهم جوم سلب فقدموه لسياسته ومن زعمهم أنه كان في فوت سنك وقيل هو سنك من جلب سيبوب وزعموا بأن مسكنه كان في أجم كد وكان يتضحى في كل عيد الأضحى بابن من أولاد رؤساء الفلاَن لسفاهته ففوضت النوبة إلى جوم سلب وليس له إلا ولد واحد ففدى جد آنانب مرد ولد جوم سلب بولده ولذا لن نرى جوم سلب يلتفت إلى تكليفهم التكاليف

552 - ينتسب معاذ بن آلفا إلى الحسن البصيري دفين الإسكندرية (ت. 695 هـ/1295 م) وصاحب المدائح النبوية ومنها منظومته المشهورة بالبردة التي كانت تنشد عادة في المولد النبوي الشريف في أقطار المغرب العربي وأقاليم السودان.

السلطانية إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه ولا تراه يسأل أحدًا منهم الزكاة ولا كراء الأرض إلى الآن، وفي ملك جوم سلب آنانب وجكوب وجلب وسلب رو وسووناب ورفرل الذين هم من فرل دت وديار من لومب الذين تغير لقبهم إلى لام، وفي ملك جوم سلب من الأراضي جها مر وجها منكل وفي ملك آنانب بار مرد ولوسوك، وفي ملك جاكرك جاجاب قند الذين هم من سال قند اسم موضع بين مرد وجمال ويقال لهم أجداد برد ولا أعرف لبرد خبرًا وكان فيهم تكورناب ولم يبق منهم إلا القليل، وأما جوم دوك فقيل إنه تأخر قدومه عن قدومهما [668] أي جوم سلب وجاكرك إلا أنه أكثرهم حظًا من ملك الأراضي الحرثية وأقلهم أناسًا وله من الأراضي أل لو وسك وسيلد وبب وجوج ودود ولك سنكل وسمب آلو، وأما قرية ساغو فإنها ملك لجوم دوك وهؤلاء الثلاثة ليس لأرط عد عليهم سبيل وكان ألمام فوت هو الذي يولي من شاء منهم ويعزل إلا إذا خرجوا للجيش وكذا إذا اجتمعوا في الأمر الجامع فأرط عد هو الكبير وهو المتكلم لهم ومنهم ناب مرد رئيسهم جوم سلب وقرية مرد تحت سلاك بينهما بحيرة ورك يرى أشجار مرد من وقف في سلاك ولقب جوم سلب به وفي مرد أيضًا جاكرك وهو مالك حرائث كلكل المسماة قند وغيرها وهو رئيس من يحرثها من سووناب ولقب جاكرك به أيضًا ناحية (...) تسمى دوت ولقبه جل في (...) النيل الفوتي ورئيسهم رئيس مرد لا غير (...) والله تعالى أعلم ويسكن في ورفل وأما أهل فات كل فإنهم ارتحلوا من مرد وسكنوا في (...). وأما جوم تندار فأصله ابن أخ لأرط عد ولذا ما خرج عن ملكه إلى أن فسد الحال وصار الأمر في أيدي فرانس، وقال عثمان عال وقد أخبرني جوم سلب في مرد اليوم في عام 1924 من الميلاد[553] واسمه جوم أحمد بن جوم صمب بأنهم هاجروا من هور وايد إلى ويند سلب في مرتن مرد ثم ارتحلوا عنه وسكنوا في مرد سنكال إلى الآن وهذا يدل على أنهم كانوا يعدون من جاوب، والله تعالى أعلم.

436 - ذكر قرية تلد كال (جفان) وأقسام القبائل التي تنتمي إليها

وأما تلد كال المسماة جفان فأهلها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم سمب أي الذين لقبهم سم ولومب الذين لقبهم لوم وأهل أرط، وأما سمب فينضم إليهم دمبب وجاجاب، وأما لومب فينضم إليهم دودوب وديار لباباب هليب، وأما أهل أرط فينضم إليهم سكياب ومابب

553 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

وأشياخ في العلم وهم تورب ثم ومباب وأميرهم مابا عد آي أمير ومباب عد، وأما لومب ودمبب وجاجاب وجايب فهم المالكون للأراضي على الحقيقة وليس لأرط عليهم شيء إلا مقاسمتهم له في الزكاة، ومن عوائد أرط عد أن له مابا وهو كبير ومباب بمنزلة فرب عند القوالين فإن غاب أرط عد بموت أو عزل فمابا هو النائب على عد وحكمه نافذ في أهلها كحكم أرط، ومن عوائدهم مع مابا أنه لا يزوج أحد بنته إلا وله عليه بقرة عادية وهذه العادة جارية لعامة أهل عد ما عدا بنات أرطوب فإن لمابا عليهن فرسًا جيدًا وله في الذبائح الرجل القدامية وله أيضًا قرية جار ملكًا دون سائر القرى ولأهل عد من الأراضي لاج الكبير ولاج الصغير وبار جلب وداجال وحمدون ودوتل وجوكبا سويا وجلكوج ثم لبقل ثم بايل، هـ، وأما أرط منكي فإنه من سبر سايد يك والد هك سبر والد حمت هك [669] والد جم حمت والد دبك جم والد بوب دبك وعال دبك، وأما بوب فهو والد همد بوب وإسما بوب الذي في قيد الحياة الآن في منكي، وأما عال دبك فهو والد أرط جم بوي والد أرط أب رئيسهم، ولأرط منكي من القرى وجوب عد وناحية من جفان وهم جايب الذين ارتحل ديار منهم وسكنوا في سايلاو وصاروا فيها حواتين، وقال عثمان عال وأما جوب فلم أجد لهم حقيقة خبر وقد قيل إن جايب من جاجان جاي والد جتم جاجان والد بوب جتم والد فات بوب والد يدار فات والد حسن يدار والد همد حسن والد إدريس همد ودمب همد وصمب همد، وأما دمب همد فهو والد ممد دمب الذي في قيد الحياة اليوم وهو ابن عم لعال ميرم الذي في كنكل الآن لأن صمب ممد هو والد ميرم صمب الذي هو عال ميرم المذكور، والله تعالى أعلم، وقد ذكر بعضهم أن أرط منكي فهو مالك منكي وجوب عد وكذا جايب عد أيضًا، وهو أكثرهم أرضًا للحراثة وأصل منكي اسم للحرائث النيلية نسبوا إليها وأرط منكي أيضًا هو مالك ورملي قرية بين عد وجم كان يسكن فيها ولف ثم صارت مسكنا للعبيد والفقراء من الفلاّن مع أولئك ولف، والله تعالى أعلم، وقيل إن لقب أرط عد وأرط منكي به لأن كليهما من أوررب لا غير، وقد زعم سري عباس أن أرط براهيم جكر المشتهر بأرط سبلل هو والد يك أرط صمب والد هنا يك وسيد يك وسبر يك وبروو يك وجاتل يك وسومد يك وساس يك وبايلد يك وبلكل يك، ومن هنا يك دار أرط عد ومن سيد يك دار أرط كد وأرط بنت وكذا دار سارن محمد مجتبى في هاير، ومن سبر يك دار أرط منكي، ومن جاتل يك أوررب قسم وبسور، ومن بروو يك بعض أهل [670] بنت في سبلل، وقيل إن منه أهل بنت سبلل كلهم، ومن سومد يك أوررب سرناب،

ومن ساس يك دار بوتل، ومن بايلد يك فلاّن في بالبالب وفلاّن في كجور، وزعم سري عباس بأنه نسي نسل بلكل إلى آخر كلامه، والله تعالى أعلم.

437 - تاريخ سالاو والقبائل التي تنتمي إليها والرؤساء الذين تولوا حكمها

وأما تاريخ سالاو فإن فيها إلمان سالاو وجاوتر وهما من بيتين وإذا ولي أحدهما أمر سالاو يلقب الوالي بإلمان سالاو وإذا ولي البيت الآخر أمر سايلاو ويلقب الوالي بجاوتر ولقب كلا البيتين أو لا غير، وقيل إن لفظ جاوتر مشتق من وتوتب بتوتا وهو اسم لحرائث هنالك ووتوتب هم الأصليون في سالاو ويقال إنهم وجدوا في بتوتا اسم موضع هنالك، واعلم أن بيت جاوتر وبيت إلمان سالاو يتناوبان في ملك سالاو والملّكون لكليهما أهل وت وأهل باي وفي سايلاو أيضًا أهل دنك وهم أئمة مسجدها وفي سايلاو أيضًا إلمان بيلي الذين مر ذكرهم في تاريخ عد وليبليناب من الحرائث سالبا وبال عد وسيوسيو، وفي سالاو أيضًا إلمان قان وقانناب هم الذين مع جاوب ورن وألقابهم جو وجه وجق، ويتنازع إمامة قان جوب وجاجاب، وأما جاوب ورن فلقبهم أصالة جه وكانوا يلقبون كبيرهم بجوم ورن وينازعهم في ذلك جلب ورن وقد صار لقب رئيس ورن الآن إلمان لا غير، وقال بعضهم وأما سالاو ففيها ثلاث قبائل بيليناب وقانناب وآوآوب، وأما قانناب فأصلهم من وطاب وقد خرجوا من هجرتهم حين طردهم ستك عن أسدبل وتوجهوا نحو المغرب فلما وصلوا إلى عد مالوا إلى بيليناب سلسلب فسكنوا معهم في سالاو وأعطوهم من فود جلك إلى تل جارجار وهما موضعان في جهة سنكال قريبًا من سالاو ومن أكثر ألقابهم جه كلقب إلمان لوا، وفود جلك ملاصق لكيو وجلك هو الحد بين إلمان قان وإلمان سالاو في الأراضي الحرثية، والله أعلم، وأما أوآوب فهم الذين يكون منهم [671] جاوتر وإلمان سالاو وقيل إنهم لا يملكون من أرض الحراثة في سالاو إلا قليلاً، والله تعالى أعلم، وقال بعضهم إن أهل قان فمختصون بأنفسهم لا يملكهم رئيس سالاو بل لهم رئيس خاص بهم وهو إلمان قان وألقابهم جه وجو وله ويكون إلمان قان من جه وجو، وأهل قان معروفون بالسحر لاسيما في ربط السباع الضارية، وأصل قان اسم لفود الملاصق لكيو وهو ترعة خارجة من النيل الفوتي بين دناي وبوي وتسمى عند المخرج يود وبعد ذلك يسمى كيو إلى منكي وهي حرائث بين سالاو ووو وماء كيو مالح ولكن أهل سالاو لا يشربون إلا منه، وفي ذلك الموضع أغرق الشيخ عمر رجلاً من أهل بك يسمى عال

حو وهو والد دري عال على حجة أنه يمنع الناس من الهجرة والخروج معه إلى المشرق أي بلاد سدا، وزعم أهل سالاو أن كيو كان قبل ذلك عذبًا فراتًا كماء نيلنا الفوتي فلما أغرق فيه عال حو صار مالحًا، والله تعالى أعلم، ومما يتعلق بأمر سالاو أن رجلاً منهم سافر إلى أرض البياضين لطلب العلم ثم صار ساكنًا هنالك ولا أعرف من أي قبائل سالاو أصله ولكنه كان ينتسب إليها وقيل أصله من عد، والله تعالى أعلم، واسمه عند أهل سالاو حمات لمن وعند البياضين محمد الأمين وكان قد سافر لأرض البياضين يقرأ فيها فسكن في حي من أحياء هل سيد محمود يسمى ذلك الحي التلاميد فنسبوه إليه فقالوا له محمد الأمين ول التلاميد، ثم تزوج فيها امرأة من قبيلة إرالن فولدت له خمسة أولاد أولهم الشيخ ثم الخليفة ثم محمد عبد الله ثم الطيب ثم أحمد وَلْ التلاميد صاحب القصيدة الرجزية الفائقة الرائقة في السيرة النبوية يذكر فيها قبائل قريش وقد شرحت تلك القصيدة بشرح جيد سميته بنصرة الجيش في ذكر قبائل قريش من قبل، وأحمد ول التلاميد هذا كان يصيف عند ملك وهو واد كبير في مرتن خايٍ أي وراء بحر خاي في سدامع حي من إرالن وسيد الحي حينئذٍ يسمى [672] مُرَيبَ وَلْ جَبَّالُ، وقد ولدت أمهم أيضًا لمحمد الأمين بنتين إحداهما أمنة والأخرى أم البنين، ثم إن الشيخ عمر لما تغلب على تلك البلاد بغزواته هاجر إليه محمد الأمين هذا وتلمذ عليه وصار يغزو معه في الجيوش ثم سكن في أنجور في قرية تسمى عوين إلى أن مات عام دخول فرانس لتلك البلاد، وكان الشيخ عمر يرسله كثيرًا إلى البياضين، وأما ولده محمد عبد الله فكان مريدًا للشيخ سعد بوه رضي الله عنه ثم صار يسكن في جلف ولا أدري ما فعل الله به بعد، والله تعالى أعلم. انتهى تاريخ عد وسايلاو ويليهما تاريخ جم.

438 - ذكر جم وأصل تسميتها والقبائل التي تنتمي إليها

قال عثمان عال وأما أهل جم فهم قبائل شتى إسيان وقنار فرب وقنار ميس ولكناب وقجكناب وجنقناب وأهل جلف، وأما أهل إسيان فهم الأصليون في جم الذين وجدوا في الحفرات وما كان حرفتهم يومئذٍ إلا الصيد والتحوت في الأودية لاسيما في واد يسمى هن في شرقي جم، وكذا أصل إسيان اسم موضع في شرقي جم وهنالك وجدهم أحد سيسيب الذي جاء من عند جلف يسمى صمب كورن يرعى فرسه إلى العشي ثم يرجع إلى جلف للبيات عندهم ثم إذا أصبح يرجع إلى الوادي مع الفرس وهكذا حاله إلى أن طلبوا منه أن

يسكن معهم وذلك أنه وجد أن أهل إسيان يتحوتون في الوادي هي فإذا فرغوا من التحوت وصدروا عن الماء يقتتلون في قسمة حيتانهم فعلمهم صمب كورن حيلة يميزون بها بين حيتانهم فعرفوها لأجل ذلك، ثم طلبوا منه المعاشرة والمجاورة فقال لهم بشرط أن تتركوا الحفرات وتبنوا البيوت فقبلوا ذلك وبنوا بيوتهم في تلد إسيان فرجع صمب كورن إلى جلف وأتى بأهله إلى جم فقدموه وجعلوه فرب وكان له أخ من الأم فجعله ميس جم وقيل إن تلد إسيان كانوا يسمونه تلد كهلناب [673] وكان مسكنًا لهم من قبل وعنه ارتحلوا إلى جلف وسالم ثم بعد مدة أتاهم فلاّني يرعى ماشيته اسمه قيسم وهو جد كجكناب، ثم أتاهم أيضًا مالك داود بعد رجوعه عن فر، وقيل إن سبب تحولهم وارتحالهم عن تلد إسيان إلى مسكنهم الآن المسمى جم أن قيسم غدى ذات يوم يرعى ماشيته فأوردها في مورد بحيرة جم فإذا المورد موضع مستو ليس فيه جرف عال ولا طين والبرّ والبحر متلاصقان في موضع واحد، فلما راح إلى قريتهم إسيان أخبر جيرانه بما رأى وفي غده ارتحلوا إلى الموضع الموصوف فلما رأوه استحسنوه وعزموا على السكنى فيه ثم جلسوا للاستراحة تحت شجرة سلك فإذا فوقها عش طائر مائي يسمى في لغتنا جم فسألهم صمب كورن عن اسم الطائر فقالوا اسمه جم فقال فلنسم القرية باسمه لأنه أقدم منا قدومًا إلى هذا الموضع وهذا هو السبب في تسمية هذه القرية بجم وبعد تحولهم إليها جعلوا سايل اسم كبير إسيان حينئذٍ جوم إسيان وكبير فجك ستك فجك وكبير سيسيب قنار فرب وكبير سامب قنار ميس، ثم بعد ذلك أتاهم رجل صالح من وراء البحر أين مرتن اسمه ألوال دمب فجعلوه إمامًا لمسجدهم، قال عثمان عال ولعله من أهل بنتن في جما ألوال وقد زعموا أنه جاء من كومخ ولقبه آن، وأما حالهم في تولية فرب جم فجوم إسيان هو الذي يولي من يشاء من سيسيب وإن غاب فرب بموت أو عزل ينوب منابه قنار ميس وهكذا حالهم إلى أن ظهر الإسلام فصار آنانب ينازعون [674] فرب في ولاية القرية حتى قيل إن آنانب قد انفردوا برياسة جم مدة ستين سنة فغضبت ذرية فرب جم وارتحلوا عن جم وسكنوا في سنس فرب في محاذاة جار في أرد وهذا هو سبب انتقالهم عن جم وتعميرهم سنس فرب، وصار الناس يرتحلون إليهم إلى أن كادت القرية جم تخلو عن الناس، ثم قام إلمان لكناب وهو إلمان جم إلى سنس فرب فوعد لهم برجوع إمارة القرية جم إليهم إن رجعوا إليها فرجعوا لأجل قوله وصاروا من ذلك اليوم إلى الآن يتناوبون ملك جم، وأما سامب جم فقد زعموا أن أصلهم من هلوار من رجل يسمى داود مالك وهو

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

زهور البساتين في تاريخ السوادين

مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا

الحاج موسى أحمد كامره

تقديم وتحقيق وتعليق
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

زهور البساتين في تاريخ السوادين
مدونة شعوب غرب إفريقيا
في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا
الحاج موسى أحمد كامره
د. ناصر الدين سعيدوني
د. معاوية سعيدوني

PART-3
الجزء ٣

الكويت
2010

الذي ذهب إلى فر لطلب العلم ومكث هنالك مدة طويلة وولد له هنالك مالك داود ومات هنالك داود المذكور بعد أن حصل له من العلم والبركة ما حصل حتى قيل إن أهل جلف وكجور وبول كانوا يرسلون إليه الهدايا فلما مات ورثه ابنه مالك داود في العلم والبركة وهكذا حاله إلى أن وقعت الفتنة بينه وبين أمير كجور فرجع إلى جم ولقي فيها فرب جم وسكن معه وصار يختار من أولاده ميس جم وهو مالك داود والد عال مالك والد مالك عال وير عال وفاطمة عال وفال وكل عال، وأما مالك عال فهو والد جب مالك والد بوكر جب والد بيد سام المعروف بميس بيد الذي هو رئيسهم اليوم وبنته فاطمة ميس بيد المعروفة بفاطمة سام هي زوجة عمر بن منير بن الشيخ عمر، وأما ير عال فهو والد عال ير والد سعيد عال والد باب سعيد وعال سعيد المعروف بمد سام وهو المخبر، وأما فاطمة عال فهي والدة أم إلمان وعيش إلمان وولدت عيش هذه إلمان مصطفى في هلوار، وأما أم إلمان فهي التي ولدت مود أم المعروف بإلمان قُدَوُ اليوم، وأما فال عال فمتزوجة في دار فرب جم وولدت هنالك حو فال والدة برم حو والد فرب برم والد فرب فر وفرب دمب جمد والد أحمد سه وحبيب الله سه وممد فرب وهم في قيد الحياة، وأما كل عال فهي التي تزوجت في دار إلمان جم وولدت هنالك دمب كل والد عال دمب والد صمب عال والد نكو صمب وموسى صمب المعروف بموسى أن الذي [675] في لِغْتَالْ دكان اليوم وهو امفرمي، وأما حبيب سه بن فرب دمب جمد فهو أيضًا في لفتال دكار، انتهى. وفي رواية وأما جم البرية ففيها قبائل قبيلة جلفان وقبيلة هلوار وفيها أيضًا قبيلة تسمى جم جاير، وأما جم البحرية أي التي في رارد بين البحرين ففيها قان وإسيان ولقناب وهم أهل آن، وأما فرب جم فهو ساكن في إسيان، وأما قان ففي مشرقها ويليها قنار ويليها إسيان ويليها لقناب والمسجد في آخر مسكن إسيان جهة لكناب، وفي إسيان ميس أيضًا وهو مثل جاكرف، وكل من ملك جم من فرب أو إلمان يملك ميس الذي هو الجابي لكراء الأراضي وزكواتها، وأما مسكن جاورن ففي آخر مسكن قان جهة قنار ودارهم هنالك دار واحدة، ولجاوب ورن من الحرائث كلاط ثنتان وهما بدور وسوي وكل من ملك جم يملك القريتين معًا جم البرية وجم البحرية إلا أهل هلوار فإن ملك جم لا يملكهم وأن الذي يملكهم إلمان هلوار فقط حيث كانوا لا غير، انتهى تاريخ جم.

439 - قبيلة جما ألوال وذكر رؤسائها وبعض أخبارها

وأما جما ألوال فرؤساؤها الآن من قبيلة دم ويلقب رئيسهم بألوال فلان ومن مشاهيرهم ألوال أحمد دل رضي الله عنه وكان فقيهًا عالمًا قاضيًا ولا يحكم إلا بالحق ولا يقبل الرشوة من أحد وقد دعاه لامتور ممد بوب بعد موت لامتور صمب كما قيل وطلب منه أن يقسم تركته بين ورثته، فلما حضر قال هذا المال مال الغير لا مال الميت فالحكم أن يرد كل هذه الأموال إلى أربابها ولا أحكم بغير ما قلت فتركه ورجع، وكان فلاّني قد أعطاه عكة من السمن رشوة فخزن العكة فلما حضر هو وخصمه للخصام ظهر الحق على يد خصمه فحكم له على صاحب العكة بالضرب ثم ردها إليه وضربه وكان يؤدب بخمسة عشر سوطًا إلى ثلاثين سوطًا إلى أزيد وكان يؤدب بالضرب والسجن لا بالمال رضي الله عنه وحكاياته في أمثال ما ذكرنا كثيرة فلنقتصر عنها، ومنهم ألوال محمد بن ألوال عبد الكريم وكانت تحته مريم ألفا أحمد أخت الشيخ عمر ثم ذهبت مريم في القرى تأخذ الهدية فلما رجعت [676] ووقفت في الباب تريد الدخول قال لها ارجعي إلى أهلك فأنت طالق ولا تدخلي داري بعد هذا، ومنهم ألوال محمود بن ألوال سليمان وكانت تحته حفصة بنت الشيخ عمر فلما رابه أمرها طلقها وهذا منهم من قوة تمسكهم بالدين وعدم اغترارهم بالباطل الملبوس بالحق، ومنهم قوم في فمهار دمبب فيهم السيد سارن إبراهيم المعروف بسايرن ملمبل وذلك أن دمبب كلاً يزعمون أنهم هاجروا من ماسينا من بلد كنار وإلى الآن من ابتكر منهم في فمهار بنتًا يسميها بكنار.

440 - أخبار دمبب

وأن دمبب لما وصلوا إلى تور ولعلهم كانوا مع جاوب في هوروواد فلما أفسدوا هنالك تفرقوا في البلاد ومنهم من بقي مع جاوب إلى الآن وهم كثيرون، ومنهم من كان مع يرلاب وألئك كأنهم ما فارقوا جاوب لأن يرلاب هم رؤساء جاوب كما اتفقوا عليه وقد تجاوز بعضهم إلى المغرب متفرقين هنالك أيضًا وكثير منهم ما زالوا فلاَّنًا هنالك إلى الآن ولبعضهم قرية في بؤل تسمى دمان، ثم إن بعض ونونب هاجر من لاو إلى دمك وسكن في كنل وكذا هاجر بعض دمبب إلى دمك حينئذٍ إلمان أحمد فده فسكنوا في كنل مع اللاوي ولذلك يعدون من لاو، وقيل إنهم هاجروا من مساكن جاوب التي كانوا يسكنونها مع جاوب لأنهم قبيلة منهم لا

غير، وقد ذكرنا ذلك في تاريخ جاوب، فلما أتوا في لاو وجدوا سَتَّك في هُرْكَجَرْ وطلبوا منه مكانًا يحرثونه فأعطاهم حرائثهم النيلية التي في أيديهم الآن، ثم كثر آكل الناس لأموالهم بسبب أم بغير سبب كما في الحديث من اتبع أذناب البقر ذل، وقد قال أهل فوت من حمل حملاً من المصارين تبعه الذباب فلذلك خافوا وأرسلوا قومًا منهم إلى بند لأنه ظهر هنالك أحد منهم بالعلم والدين في قرية من قرى بند يقال لها لمبل مشتهرًا بسارن ملمبل أي الشيخ الذي في لمبل واسمه ألفا إبراهيم سري فأتوا به إليهم لعله يحميهم من أهل الظلم لأنهم كانوا يأكلون أموالهم ادعاء بأنهم خالفوا الشرع في كذا فعليهم كذا، فلذلك أتوا بهذا الشيخ فلما جاء وكان معه تلاميذه من ولرب وغيرهم ابتدع قرية فمهار دمبب وانتقل [677] إليها من كان في كنل منهم وسكنوا معه، وكان هذا الإمام كما قيل عالمًا فقيهًا ورعًا مباركًا وكان في عصر ألمام عبدل وقد نوه الإمام عبدل بقدره جدًّا وله أخ يسمى مالك سري هو والد محمد مالك والد عمر محمد والد محمد عمر والد سارن سعيد الذي صار منقطعًا إلى كنل الآن، وأما ألفا إبراهيم سري فهو والد نل إبراهيم والد ير نل والد بيلي ير والد فك الذي في فمهار دمبب وكلها تجتمع في بل بباء ممالة وضمة عجمية في اللام وله ولد يسمى بوب بل هو الذي أدخل الإسلام فيهم بعدما اكتسب العلم ثم أمر أباه بل بالإسلام وهو حينئذٍ شيبان يخلفر رأسه فأسلم الأب فسمي بوب هذا مودب وكل من دخل الإسلام منهم يلقب بهذا اللقب عندهم أي مودب فسموا بمود بوب، ومن بيوتهم في فمهار بيت سري هذا وبيت جكل وبيت بج، وأما بيت سري فمنه ألفا إبراهيم سري ومالك سري، وأما بيت جكل فمنه إلمان سعيد الذي كان رئيس فمهار ثم عزل في هذا العام 1921 من الميلاد، وأما بيت بج فمنه سارن بوكر أحمد مريد الشيخ سيدي الذي كان في دولل سيور وكذا سارن إد، والله تعالى أعلم، انتهى ما التقطت من أخبار دمبب.

441 - أخبار هلوار سامب

تاريخ هلوار التي رؤساؤها فيها سامب وتالب، وأما سامب أي الذين لقبهم سام فأصلهم من ساماين موقاير في جلف الذين هم اليوم في سركل لك وفيهم اليوم رجل صالح يقال له حبيب الله وهو مقدم في الطريقة التجانية، ومن ساماين ارتحل سامب إلى وال برك فسكنوا في موضع يقال له بت عال سام ومكثوا فيه مدة ثم وقعت الفتنة بينهم وبين

برك فهربوا إلى الأمير جمف تور لاتذين به وهو حينئذٍ ساكن في فيفيو فطلبوا منه المسكن فأسكنهم في تلد هلوار تك اسم أمة لجمف كانت تجمع فيها أز في لغة البياضين [678] ومعنى أز في لغتنا فكر وهو ما تثمره الحشيش من الحبوب فسموا القرية باسمها وبقيتهم في وال برك إلى الآن كسارن إبراهيم سام في جيرب الذي كان في خمن وبعضهم في دم، ثم ارتحل بران جاي وترك أخاه إبراهيم جاي في وال برك وهو اليوم في بلور وكل من هؤلاء الذكورين مقدم في الطريقة التجانية، وفي رواية وأما سامب الذين هاجروا من جلف إلى وال برك وتور فهم ثلاثة، أولهم جوف سام ومار سام وجنقور سام الذي هو جق سام، اختار جوف سام سكنى خمن ثم تجاوز مار سام إلى بخل وسكن فيها ثم تجاوز جنقور سام إلى هلوار وسكن فيها وهؤلاء الثلاثة أصل كل من يلقب بسام في هذه البلاد كما زعم المخبر، وأما مار سام فقد ارتحل عن بخل إلى جيرب وعمرها لطلب الحرائث لأنهم وجدوا الأرض معمورة ومحروثة وقد عمرها وطاب قبل قدومهم وكان في بخل يومئذٍ سارب أي الذين لقبهم سار وكانوا ملوكها ومن جملة من في بخل يومئذٍ أهل قي وجاي وجوب كما زعم لمخبر، وقيل إن مار سام لما تجاوز إلى جيرب وقعت البياضين على بخل وأغاروا على مواشيهم وأسروا أولادهم فسمع مار سام أصوات المَدافع فأتى ووجد البياضين قد رجعوا إلى مرتن فأخبروه بأن البياضين سيرجعوه عن قريب فقال لهم مار سام إذا أرصدهم وأمرهم مار بإخراج الأهل والمال إلى حيث يرون ولا يمكن الوصول إليهم ففعلوا كما أمرهم مار ثم اختفى مار عن طريق مرور البياضين المألوف فبينما الأمر كذلك إذ أتى البياضين فضربهم بعمارة مدفعه فقتل منهم البعض وهرب الباقون إلى مرتن ثم رجع أهل بخل إلى مساكنهم وطلبوا من مار سام أن يسكن معهم ليتعاونوا على اللصوص فاعتذر بعدم الحرائث فأعطاه أهل بخل إمامة المسجد مع ما يكفيه من الحرائث فقبل لهم ذلك حينئذٍ وسكن معهم زمنًا طويلاً إلى أن ولدت له أولاد ثم رجع بعض أولاده إلى جيرب وسكنوا فيها إلى الآن ولذا كثر القيل والقال بين أجداد مار أي ذريته، وأما الذين في جيرب فيريدون الاستبداد بما لهم هنالك من الأراضي وامتنع أهل بخل من ذلك محتجين بأن الأرض ملك لجدهم ولذا كثر ترددهم في الخصومات إلى أن سكّنهم [679] حكام فرانس بإعطاء كل ذي حق حقه مع إقرار الجميع بأن أصل الأرض ملك تام لوطاب قبل قدوم سامب، وأما بخل فكانت أولاً ملكًا لسارب وجنجنب وجايب أول من ملكها من سيسيب برخل بوكر سه والد مدك وبعد موت بوكر سه تخلف بعده أخوه

علي سه الذي قتل نفسه والعياذ بالله تعالى وصورة ذلك أن ابن أخيه بوكر سه المسمى مدك لما رجع من تعلم اللغة الفرانساوية عزل عمه علي سه فغضب أشد الغضب حتى خبط نفسه بمدفع فانجرحت أوداجه فحمل إلى دكان لدواء، ومكث هنالك مدة حتى ظن أنه قد برئ من هذا الجرح ثم استأذن الطبيب في زيارة أهله في بخل وقد أرسل إليه فرسه ليركبه فأذن له الطبيب في ذلك ثم لحقه المطر في الطريق فابتلت الأوداج المنجرحة فانتكس الداء، وورمت العنق فمات لأجل ذلك، ثم بعد ذلك عزل مدك ثم خلفه عيسى جوب الذي خصبوا في أعوام ملكه ودرت الأرزاق والأقوات في مكانه عليهم ثم لما ظهر الطاعون تطيروا به وعزلوه وخلفوا ألفا صمب جنك وقد كان سيئ الخلق حتى قيل إنه كان إذا غربت الشمس ولم ترح إليه فرسه أو حمارته يضربهما ضربًا مؤلمًا فأحرى الإنسان، فعزلوه لأجل ذلك فخلفوا عبدل خال أحمد سيسيب ثم عزلوه وخلفوا محمد جنك فعزلوه وخلفوا بابكر جو ثم إبراهيم سام الذي هو رئيسهم الآن في عام 1924 من الميلاد،(554) هـ. وقيل إن سامب هلوار أصلهم جق سام ومات سام وهما شقيقان هو والد أب مات والد بوكر أب والد عال بوكر والد بوكر عال والد إلمان أحمد الذي في هلوار الآن مع أخويه حبيب ومحمد الأمين، وأما جق سام فهو والد سيد جق والد بوب سيد والد دمب بوب والد سعيد دمب وهو إلمان سعيد والد أحمد إلمان وبنت إلمان وعمر إلمان وسري إلمان وعثمان إلمان ورقية إلمان وحفصة إلمان ومود إلمان، وأما أحمد إلمان فهو والد بنت إلمان أحمد والدة عمر بنت وزينب بنت وتك بنت، وأما زينب بنت فهي والدة الشيخ المبارك والعالم المشارك أحمد تجان التاجر الصدوق البر الشفيق العالم العامل والولي الكامل الذي في كيهيد الآن، وأما تك بنت فهي شقيقة لزينب بنت وهي والدة سارن إبراهيم دات كان يبيع للتجان المذكور، وأما عمر بنت فهو والد أحمد عمر وموسى عمر الذاهب مع الأمير أحمد بن الشيخ عمر وهو والد محمد عمر أيضًا الذي كان في فوت جلو وقد ترك بعض أولاده هنالك وهو أيضًا والد حبيب ومحمد عمر الآخر ومحمد الأمين [680] ومختار وسعيد، وأما ممد عمر فهو والد بيحي وسري وباب كل كلهم مع تجان الآن في كيهيد، وأما أحمد عمر فهو رئيس هلوار الآن، وأما حبيب ومحمد عمر الآخر فهما في هلوار، وأما سري فقد مات وترك ولده فيها، وأما محمد الأمين ومختار ففي هلوار الآن، وأما رقية إلمان فهي والدة محمد رقية والد بوب محمد والد العلامة أحمد تجان الذي مر ذكره

554 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

الآن، وأما حفصة إلمان فهي والدة رقية حفصة والدة مريم ألفا أحمد، ومن ولد بوب سيد جق سام أيضًا صمب جق والد حمى صمب والد بكار حمى والد حمدن بكار وحمدن هذا هو والد إلمان جي والد أحمد إلمان وكان يقال له إلمان أحمد أيضًا فهو والد فاطمة أحمد وزينب أحمد وسري أحمد، وأما فاطمة فهي والدة علو عثمان ومحمد عثمان، وأما سري إلمان أحمد فهو والد أحمد سري الذي في بمكو الآن، وأما زينب فلم يذكر لنا شيء من عقبها ولم يذكر لي من نسبهم غير ما ذكرت، والله تعالى أعلم بصحته، وقد أخبرني سارن ممد سام الذي هو من أهل ساد وكان من أهل تلبنار ماتم ثم عزل عنها في هذه السنين وهو الآن ساكن في ماتم بأن جق سام ومات سام كانا شقيقين وأن معنى مات معاذ فلم تطاوع ولف ألسنتهم لنطق ذلك فقالوا مات للعجمة وإن من ولد مات سام أحمد مات وكان يقال له ألفا أحمد وهو والد تفسير مصطفى والد در آدم ودمب آدم فهي أمهما وهو والد أحمد سام أيضًا، وأحمد سام فهو والد قسم الذي هاجر من جلف إلى ساد في مك هاير لما خلفوا عمه در آدم على ساماين موقاير فارتحل كسم مع سبع دور من فدب ولف وجملة من في هذه الديار السبع من الرجال ستون رجلاً وقد انقرض عقب در ومعنى در عندهم محمود، وأما دمب آدم فهو والد عبد دمب والد تفسير محمود والد سارن ممد سام المخبر المذكور آنفًا، ثم اعلم أن في سيم ودناي وغيرهما من القرى قوما يلقبون بوون أصلهم (أصل أهل وون) من ولرب باغن وكان لقبهم هناك جل والذي غير لقبهم إلى وون أن الذي جاء منهم لفوت كان عالمًا غنيًا مليًا كما قيل وكلما سئل عن شيء هل هو موجود عندك فيقول وون أي موجود، فلما كثر قوله لذلك اللفظ صاروا يلقبونه بوون، والله تعالى أعلم، وفيهم أناس سادات دينًا ودنيا ومنهم سارن بوكر ألفا الذي كان قاضيا لكمادان فدور ومنهم سارن جي خليلي الذي كان في أندر وكان من أهل العلم والدين وكان من الكرماء الأسخياء [681] وكان لغويًا جدًّا يحسن علم الجداول والطلاسم ويعرف أسرار الحروف ويعرف تفسير القرآن العظيم رحمة الله علينا وعليه، ومنهم السيد الجليل والعالم النبيل المنفق على المساكين وأبناء السبيل الذي بلغ الغاية في السخاء والكرم وله مقام رفيع في التقوى وصلة الرحم السيد أحمد تجان الذي صار الآن منقطعًا إلى كيهيد أطال الله عمره وأدام يسره وأبقاه معنا للنفع والدفع آمين آمين بجاه النبي الأمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وقيل إن جدهم سارن بوب وون هو والد كاسم بوب والد يوسف كاسم وإدريس كاسم وعل كاسم وبوب كاسم، وأما يوسف

كاسم فهو والد أحمد يوسف والد إبراهيم أحمد والد أحمد ألفا التاجر الذي يبيع للسيد تجان المذكور آنفًا في مرسديس في كيهيد الآن، وأما إدريس كاسم فهو والد ممد إدريس والد بوب محمد والد السيد تجان المذكور الآن الكيهيدي مسكنًا، وأما عال كاسم فهو والد إبراهيم عال والد سارن بوكر القاضي الذي كان في فدور، وأما بوب كاسم فهو والد ممد بوب وأحمد بوب، وأما ممد بوب فهو والد خليلي صمب سلمة رحمة الله علينا وعليه آمين وهو أيضًا والد عيشة سلمة والدة أحمد ألفا الذي يبيع مرسديس السيد تجان في كيهيد كما مر الآن، ولخليلي صمب سلمة من الأخوات غيرها حذفن ذكرهن للاختصار، وأما أحمد بوب فهو والد خليلي سارن جي الأندري الذي مر ذكره آنفًا وله أخوات حذفنا ذكرهن إيثارًا للاختصار أيضًا.

442 - أخبارهلوارتالب

وأما تالب الذين لقبهم تال فجدهم الأعلى قني والد عال قني وقج قني وصوتي قني ولالو قني وبلل قني وكسم قني ومعنى كسم في لغتنا اللبن وهو بفتح الكاف وبضمها ضمة عجمية، والله تعالى أعلم، وأما عال قني فهو جد إلمان قدو وهو الذي منه الشيخ عمر الفوتي الطوري القدوي رضي الله عنه وعنا به، وأما قج قني فذريته في بوسي ومنهم إلمان همد بكر الذي مر ذكره في تاريخ بوسي ومنهم ألفا محمد تال في دابي الذي كان قاضيًا لعبدل بوكر ثم بعده لفرانس في كيهيد، وأما بلل قني [682] فذريته في ساسل هليب، وأما صوتي قني فمنه إلمان صوتي في كسك وسم، وأما كسم قني فذريته في هاير ومنهم جوم دور الذي كان رئيسهم في الأعوام الماضية لا أدري ما فعل بعد، وكذا منه أهل همد هنار ودندور، وأما لالو قني فلم يذكر لنا من عقبه شيء لا أدري هل منه تالب الذين في المغرب الآن ككجور وغيرها أم لا، والله تعالى أعلم، وقد قيل أيضًا أن تالب يتفرعون عن رجل اسمه سلمن والد ألجما أو ألجمى سلمن والد سويا ألجما ودمب ألجما وفات ألجما وأن أبناء فات هم الذين في ساسل هليب وأبناء دمب هم الذين في هلوار وأبناء سويا هم الذين في كسك وسم، وقد أخبرني إلمان صوتي الذي كان رئيس سم في الأعوام الماضية ثم مات الآن بأن أصل تالب من رجل اسمه ألجما سلمن وهو والد سيد ألجمى ودمب ألجمى ومن سيد ألجمى أهل كسك وسم لأن سيد والد أحمد سيد والد وهاب أحمد والد دمب وهاب والد إلمان صوتي المخبر واسمه

أحمد دمب، وأما دمب ألجمى سلمن فمنه أصل الشيخ عمر في هلوار وهذا ما اتفاقهم على أن الجد الأعلى قني ولعلهم لا يعرفون نسبهم إليه لطول الزمان وغفلة هذه الأوان لاسيما وقد انضم إلى ذلك كونهم من السودان، والله تعالى أعلم. وزعم إلمان صوتي في سم بأن تالب كانوا في مرتن فنزلوا وهم مهاجرون إلى جبل في مرتن كسك يسمى بجبل صوتي، قلت ولعله اسم رئيسهم يومئذٍ فسكنوا في جهة مرتن من واللد إلى ديرل اسم واد في مرتن بين سنفس أحمد ميرم وداولل فأجلاهم من تلك الأماكن أيضًا البيضان فقطعوا النيل الفوتي وارتحلوا متفرقين في البلاد فمنهم من في بوسي ومنهم من في لاو وهم الذين في كسك ولقب رئيسهم إلى الآن إلمان صوتي ومنهم من توجه نحو تور ومنهم من ذهب إلى المغرب ككجور فصار بعضهم فلآنًا وبعضهم ولف وبعضهم تورب، وتوجه بعضهم نحو بند ومنهم الذين في سم اليوم، وزعم إلمان صوتي المسمى أن أول من أتى هاور وسم منهم إلمان وهاب والد دمب وهاب والده هو، [683] والله تعالى أعلم، وقد قيل إن في أنجامبور قرية منهم تسمى تالين وقد صاروا ولف وهي بين دكار وفال ودخار كانت قرية لأرط برم إبراهيم كما قال ذلك بيد كد الآجمي الجفني النسابة، وقد أفاد العلامة الشيخ أحمد تجان الكيهيدي بأن خالته خديجة ابنة الفاهم أحمد بن سارن سعيد الهلواري القدوي أخبرته بأن تالين قرية لأعمامها، هـ، وقد زعم بيد كد أيضًا بأن في قرب فر سجخور فلآنًا (أي الفلانيين) قريتهم تسمى تالين وغالب ألقابهم تال لا أدري أذلك حق أم لا، والله تعالى أعلم، وفي رواية بعضهم أن سامب هاجروا من مرتن خمن ونزلوا في هلوار مرتن في يمين كب وتسمى البحيرة المرتنية عندها مايل هلوار وكانوا يتقاتلون مع توابير هناك مدة سنة وكان جوم كماج وأرط عد يأمرانهم بالقطع إلى سنكال فيأبون ثم قبلوا بعد ذلك وقطعوا النيل على سنكال، ثم جاء تالب من جاج جك وهم دار عارف، وأما دار كده فقد جاءوا مع سامب أولاً. فقال الذين من جاج جك بأنهم يحبون أن يملكوا بارل كده فأبت دار كده عن ذلك فجاء إلمان هلوار فحكم بملكه لدار كده فصار كبيرهم يسمى إلمان كده لأجل بارل المذكور وهو المسمى كده، فطلب دار عارف أن يعطيهم إلمان هلوار فود هنالك فأعطاه إياهم، ثم اعلم أنه لا يكون إلمان كده إلا من كان من دار كده لا من كان من دار عارف إلا إذا عدم أهل دار كده فينوب أهل دار عارف منابهم حينئذٍ، وفي رواية بعضهم أن إلمان كده لقب لكبير تالب هلوار وكده اسم لفود في هلوار مرتن كان ملكًا لهم، انتهى، والله تعالى أعلم. وأما سامب فهم أيضًا داران سار جك ودار

قط وهم الذين من مات سام، وأما أهل سار جك فهم الذين من جك سام ولا يكون إلمان هلوار إلا واحدًا منهم إلا إذا فقدوا فيؤخذ واحد من دار قط وسموا بقط لكراهتهم الملك ولزومهم العلم واختيارهم له، انتهى، والله تعالى أعلم، وقد لقيت أحدًا خبيرًا بأنساب تالب بيت قج لا غير فقال إنهم من لمن معاد وداود معاد ودمب معاد، فأما لمن فهو والد حمى لمن والد سلي حمى والد محمود سلي والد أحمد محمود والد ير أحمد وقد انقرض عقبه في الذكور وأما ذريته من الإناث ففي رنجو، [684] وأما داود معاد فهو والد دو داود والد عبد الله دمب والد بكر عبد الله وسلي عبد الله، وأما بكر فهو والد حمد بكر الذي هو إلمان حمد بكر الذي مر ذكره في تاريخ بوسى، وأما سلي عبد الله فهو والد صم به والد جبي صمب الذي في سنس بوب مك الآن، وأما دمب معاد فهو والد قج دمب والد قن قج وحمى قج وصمب قج ودمب قج وير قج، وأما قن قج فهو والد سلي قن والد صمب سلي والد دو صمب والد طاهر دمب والد بوكر طاهر والد مالك بوكر الذي هو مالك مار وقد مات وترك ولده في رنجو، وأما حمى قج فهو والد دجم حمى والد حمى دجم والد جمل حمى والد جم جمل والد لالو جم والد جم لالو والد حمد جم والد أحمد حمد والد حمى أحمد في سنس بوب مك، وأما صمب قج فهو والد صو صمب والد أحمد صمب والد داود أحمد والد دو داود وسري داود، وأما دو داود فهو والد عبدل دمب والد حمى عبدل والد صو حمى والد دوت صمب والد محمود دوت والد موسى محمود وفند محمود وهم في جاب سود، وأما موسى فقد مات ولم نعرف له عقبًا، وأما فند محمود فهي والدة زوجة ممد منك في آجم ليدب، وأما سري داود فهو والد سيد سري والد محمود سيد والد حمى محمود والد ممد حمى الذي هو ألفا ممد القاضي الذي كان يقضي لعبدل بوكر ثم صار يقضي لكمادي كيهيد وله أخ اسمه لمن حمى وهم في دابي، وأما دمب قج فهو والد محمود دمب وسيد دمب، وأما محمود دمب فهو والد عبدل محمود وسالف محمود وسيد محمود وير محمود، وأما عبدل فقد انقرض عقبه، وأما سيد محمود فهو والد دمب سيد والد قدي دمب والد حمى قدي في أنجور، وأما سالف محمود فهو والد أحمد سالف والد ممد أحمد في سنس بوب مك الآن، ولم يذكر لنا عقب ير محمود ذهولاً منا لا غير، هـ، والله تعالى أعلم.

443 - ذكر حقائق عن نسب الشيخ الحاج عمر ومسألة ادعاء الشرف بغير حق

قلت وقد أسرف بعض أهل فوت التجانيين في نسب الشيخ الحاج عمر حتى نسبوه إلى الشرف اتباعا للجهل والهوى وإيثارًا للحياة الدنيا،(555) وقد أرسل إلي سارن جاب الذي في كجلن ورقة فيها خط يده ونصها: [685] بسم الله الرحمن الرحيم ورضي الله عن شيخ الجامع بين الشريعة والحقيقة التجاني طريقة المالكي مذهبًا الأشعري عقيدة الفوتي أرضًا الطوري وطنًا القدوي نسبًا شيخنا عمر بن سعيد بن سيدتنا رقية بن محمود بن عبد الرحمن بن محمود بن حمى بن سليمان بن غل بن غطي بن ينج بن صمب وفي بعض النسخ ميج بن صمب بن إل بن يلط بن جاج بن سادق بن صقر بن بطول بن ماكم بن عقبة بن عامر بن يسار بن معاذ بن مغيث بن فلاّن بن سعيد بن مرة جد النبي صلى الله عليه وسلم، هذا نسبه من جهة أم أبيه، انتهى، وأما نسبه من جهة أبيه سأذكره أيضًا إن شاء الله وهو عمر بن سعيد بن عثمان بن محمد بن فازمة بن محمد بن عبد الصمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق بن صالح بن محمود بن الحسن الشاذلي(556) رضي الله عنه، هـ. قلت هكذا رأيت هذه الورقة بخط يده ومع الكذب الظاهر الذي فيها اللحن الفاحش أيضًا، ومن ذلك إضافة شيخ بالتنكير إلى الجامع بالتعريف والشيء لا يضاف إلى نفسه بل الجامع نعت للشيخ فالواجب تعريفهما معًا أو تنكيرهما معًا، ومن ذلك جواب أما بغير الفاء في قوله وأما نسبه من جهة أبيه سأذكره، إلخ، والواجب أن يقول فسأذكره، ومن ذلك قوله محمود بن الحسن الشاذلي وإنما هو أبو الحسن الشاذلي، إلى غير ذلك من اللحن الذي لا يحسن مثله في العربية، والله تعالى أعلم، وأما الكلام على نسبه من جهة أم أبيه كما قال فقد ذكرنا ما في ذلك من الكذب

555 - يظهر لنا أن المؤلف، في رفضه لادعاء الحاج عمر الفوتي النسب الشريف، موضوعية لم نعهدها لدى معاصريه، فهو لا يجاري الرأي العام بل يتحرى الحقيقة ويبدي رأيه بموضوعية، وذهب في ذلك إلى حد الإنكار على الحاج عمر ادعاء النسب الشريف والتجائه إلى كتابة رسالة تثبت هذه الدعوة الباطلة، والتي هي في الواقع وسيلة سياسية يهدف من ورائها إلى إثبات شرعيته وجدارته في تزعم الجهاد وتولي الحكم.

556 - أبو الحسن علي بن عطاء بن عبد الجبار الشاذلي (ت. 656 هـ/1258 م)، صاحب الطريقة الصوفية «الشاذلية»، ولد بغماة شمال المغرب الأقصى، وأخذ العلم عن عبد السلام بن مشيش وأبي القاسم الجذيوي وأبي مدين شعيب، وعرف بالصلاح والزهد، وأقام بمصر وتردد على الحجاز وتوفي بالحميرا «بئر الشاذلية» بصعيد مصر. أخذ عنه أبو العباس المرسي وعز الدين بن عبد السلام شيخ الإسلام بمصر. وتعتبر الشاذلية قطبًا للعديد من الطرق الصوفية كالوافية بمصر والدرقاوية والجزولية والناصرية بالمغرب والعروسية والشابية بتونس والزروقية والبكرية والمدنية وغيرها.

في تاريخ هوس وقلنا هنالك إن مرة جده عليه السلام ليس له ولد يسمى سعيد بل أبناؤه ثلاثة فقط وهم كلاب وتيم ويقظة كما قال بعض العلماء: أبناء مرة كلاب تيم ×× يقظة لا غيرهم يا تيم أي يا رجل أو يا عبد، وإذا علمت ذلك فقد استرحت من هذا الكذب الباطل والهوى العاطل، وأما الكلام على نسبه هذا من جهة أبيه إلى الشيخ [686] أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فالجواب فيه والله تعالى الموفق للصواب ما قاله صاحب كتاب «الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية» وهو الشريف العلامة الشيخ أبو العلاء مولاي إدريس بن أبي العباس مولاي أحمد الحسني العلوي(557) رضي الله تعالى عنهما في ترجمة الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وقد خلف الشيخ أبو الحسن الشاذلي ثلاثة أولاد وهم السيد أحمد وكان من الأبدال والسيد محمد وكان من الأقطاب والسيد علي وكان من الأوتاد، ثم قال في الدرر ولم أقف على عقبهم والتحقيق خلافه وأن لهم عقبًا بمصر وغيرها ولهم هنالك شهرة حسبما تلقيناه من بعض الثقاة ممن لقيهم بتلك الديار كما تلقى ذلك أيضًا من أهل بلدهم وعشائرهم ومن ثاقفهم من غيرهم وإلى الله المصير، هـ من الدرر. قلت قد علمت بهذا أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه ليس له ولد يسمى محمود الذي نسبوا الشيخ عمر إليه مع أن الشيخ عمر هو ابن سعيد بن عثمان بن مختار بن صمب وهذا هو المعروف من نسبه وليس من نسبه عثمان بن محمد فازمة، إلخ، وروى الشيخان وغيرهما مرفوعًا من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام، وفي رواية أخرى لهما ومن ادعى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً أي لا فرضًا ولا نفلاً، وروى الطبراني مرفوعًا من ادعى نسبًا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وإن دق كفر بالله وجنى ومعنى دق صغر في أعين الناس، هـ. قلت والظاهر أن من ادعى نسبًا مجهولاً لغيره كمن ادعاه لنفسه بجامع الادعاء مع الجهل والهوى، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه يهلك فيك رجلان محب لك مُطْرٍ وكذاب مكره لك يأتي بالكذب المفترى، الحديث، انظر السيرة الحلبية،(558) قلت وإذا كان من يحب عليًا رضي الله عنه ويثني عليه بالإطراء هالك فما ظنك

557 - أبو العلاء إدريس بن أبي العباس أحمد بن بكر الفضيلي الفاسي الحسني العلوي (ت. 1316 هـ/1898 م): من ذوي العلم والصلاح، له «الدرر البهية والجواهر النبوية في فروع الحسنية والحسينية»، نشر بفاس في طبعة حجرية (في جزأين)، ثم صدرت له طبعة جديدة برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب، الرباط، 1999.

558 - حديث شريف أثبته علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت، 2004، ج. 2، ص. 374.

بمن يطري غيره من الصالحين فقد والله أهلك نفسه لا محالة، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن لمختار صمب جد الشيخ عمر رضي الله عنه أخًا اسمه دمب صمب والد سري دمب والد أدم سري والدة الشيخ عمر أيضًا، ثم إن هذا الشرف الذي ادعوه له مما يدل على كذبه عدم ادعائه لنفسه في جميع تآليفه مع أن الظاهر من أمره محبة إظهار المنن [687] الإلهية إما افتخارًا وإما تحدثًا بالنعم، والله تعالى أعلم بالسرائر، وفي الرماح الباب كذا في أعلامهم بأن الله تعالى من علي بكذا نحو من علي بمعرفة اسمه الأعظم ونحو بأني خليفة من خلفاء الشيخ لا مقدمًا من المقدمين ونحو ذلك، ومن تأمل كلامه يرى كثيرًا من ما قلت ولو علم بأنه شريف لذكره في كتبه كما ذكر غيره من المنن، ورأيت في بعض التآليف الذي قال مؤلفه في أوله مقدمة استعنت بالله على تلفيق كيفية شيخنا ومقدمنا ووسيلتنا إلى ربنا عمر بن سعيد، الخ،(559) أن أهل ماسينا لما اجتمعوا مع الشيخ سيد البكاي الكنتي(560) وسدوا على من في حمد الله الطرق عن الخروج وهم الشيخ عمر وقومه مدة ثلاثة أشهر فأرسل الشيخ ابن أخيه التجان بن ألفا أحمد لطلب الجيش الذي يعينه على أهل ماسن، ثم توافق أهل فوت مع أهل ماسينا على الغدر بالشيخ ظنًا منهم أنهم ينالون منه نيلاً فقالوا له فلنخرج إلى العدو ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فأجابهم الشيخ بالصبر فلم يرضوا بذلك لعزمهم على المكر به والغدر فقال لهم الشيخ وكلما فعل الجليل فهو الجميل ولكن سأقول لكم قبل خروجنا فخرًا وليس بعجز ولكن أشكر فضل الله علي فقال الحمد لله رب العالمين فإن عمر بن سعيد لم يترك الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وإن كان العلم فالحمد لله نلت منه حظًا ونصيبًا لم ينله الأقدمون منكم والآخرون بفضل الله عليّ، وإن كان المال فكذلك شكرًا لفضله علي وإن كان الجراءة فلي بحمد الله منها باع طويل، وأرتجي أيضًا من عفو الله وسره يوم القيامة

559 - انظر هامش الحاج عمر، رقم (84)، ص. 107.

560 - الشيخ سيدي محمد البكاي القادري بن سيدي الشيخ المختار الكنتي (الكبير): ولد بتومبوكتو، وخلف أباه سيدي الشيخ المختار الكبير (1729-1811 م)، وكان شيخ الطريقة القادرية بين 1226 و1242 هـ (1811-1826م). كان النفوذ الروحي لزاويته (كنته) يشمل مناطق واسعة من الصحراء وبلاد السودان الغربي من إقليم آدرار إلى بلاد الهوسا ومن مواطن الطوارق إلى بلاد الفلاّن (الفولانيين). استقر به المقام بولاتة ليتصدى لدعاة الطريقة التجانية، فدخل في صراع مع الحاج عمر الفوتي التجاني في منطقة ماسينا إثر إلحاقه الهزيمة بالبمبارا المتحالفين مع ماسينا في معركة كساكري (1273 هـ/1856 م)، وقد انضم مع أنصاره إلى أهل ماسينا، وكان ذلك سببًا مباشرًا في القضاء على الحاج عمر الفوتي التجاني في المغارة التي التجأ إليها بعد أن تعرض للحصار وقد قضى نحبه بها (أنظر: الحاج عمر: هامش رقم (84)، ص. 107. الكنتي: انظر هامش رقم (373)، ص. 243.

حظًا ونصيبًا مع جميع أهلي ومن معي من الإخوان والطلباء، ثم أمر بالخروج فخرجوا وجدوا السير إلى جبل بينه وبين حمد الله ثلاثة أميال يسمى دقنبر حتى وصلوا إليه فأمرهم بالصعود إليه ويتحاربون مع أهل ماسينا في ذلك كله إلى آخر ما في ذلك التأليف، هـ. قلت ولو علم بشرف نسبه لانتسابه إليه صلى الله عليه وسلم لذكر ذلك من هذا الفخر الذي ذكره هنا لقومه وعدّده [688] مفتخرًا به عليهم ولكن العلماء الحقيقيون أمناء قلما يكذبون عمدًا، انتهى، والله تعالى أعلم، ومما يدل على جهل مدعي هذا النسب له ذكره نسبه من جهة أبيه وسرده إياه إلى عقبة بن عامر مع أنه لم يعلم له تجاوز عن مصر إلى الغرب، وعقبة بن عامر في الصحابة اثنان، أحدهما عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عوف بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشد بن قيس بن جهينة الجهني الأنصاري قد أمره معاوية على مصر كما في إصابة بن حجر واستيعاب ابن عبد البر وحسن المحاضرة للسيوطي،[561] والثاني عقبة بن عامر بن نابي بالنون والباء الموحدة ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم من عرب الأنصار استشهد باليمامة في زمن الصديق ولا عقب له.[562] هـ، ولكن ادعاؤهم الشرف ليس بأعجب من قولهم بأنه حي سالم لم يمت وأنه اليوم ساكن بين مكة المشرفة والمدينة المنورة وأنه سيرجع إلى فوت بعد اليأس منه فيا سبحان الله ما أعظم جهلهم وأغلظ حمقهم، وفي الدرر البهية أيضًا قد وقع الطمع في هذا النسب الشريف لكثير من أهل الزوايا كبني المرابط السيد الحسن السفياني وعد كثيرًا من المدعين ثم قال وكذا

561 - يجب التفريق بين كل من عقبة بن نابي الأنصاري السلمي وعقبة بن عامر الجهني الذي ولاه معاوية على مصر وعقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب وإفريقية.

فعن عقبة بن نافع القرشي الفهري الذي غزا لواتة ومزاتة وفتح غدامس (سنة 42 هـ)، وتوسع داخل الصحراء حتى بلاد السودان (سنة 43 هـ). انظر: ابن الأثير، أسد الغابة...، المصدر نفسه، ج. 3، ص ص. 420–421، والجزء 4، ص. 2.

وعن عقبة بن عامر بن عبس الجهني الأنصاري الذي أمره معاوية بن أبي سفيان على مصر ثم عزله عنها، وكذلك عن عقبة بن نابي السلمي وعقبة بن نافع الفهري، أنظر:

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي (ت. 463 هـ/1070 م)، الاسترحاب في أسماء الأصحاب، بهامش الإصابة بتمييز الصحابة للعسقلاني، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1940.

وكذلك: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت. 852 هـ/1448 م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

وكذلك: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ج.1، ص.91.

562 - عقبة بن عامر بن نابي بن زيد الأنصاري السلمي، استشهد في حروب الردة «يوم اليمامة» في خلافة أبي بكر الصديق. انظر ابن الأثير، أسد الغابة...، المصدر نفسه، ج. 3، ص ص. 417 - 418.

وقع لبعض المتعاطين لطلب العلم ومنشأ ذلك تعظيم العامة لجانبهم ومخاطبتهم بالسيادة ثم لا تزال إثارته تخالطه والنفس تواقة حتى ينتحل دعوى الشرف هو أو بنوه وهذا كثير الوقوع فإنا نرى من بعض أهل العلم من يحاول ولوج هذا الباب من غير مراقبة للخلق ولا للخالق على علمه بما ورد في ذلك من الوعيد والنكال الشديد، إلخ، قلت قوله حتى ينتحل دعوى الشرف هو أو بنوه وكذا تلاميذه وأصحابه بل هم أشد تعصبًا لشيخهم لهوى نفوسهم. وأما ذكر أخبار الشيخ عمر وأحواله وأطواره وسيرته فهي أظهر من نار على علم وأزهر من بدر الظلم فلا أتعب نفسي في سردها ولا أشتغل بترتيبها وطردها إلا أنه رضي الله عنه كما قيل ولد عام غزوة بنكوو [689] وأن النهزمين منها رجعوا ووجدوا أمه قد ولدته ولم يعق عنه بعد، وقيل إن الجيش فصل عن فوت يريد كجور وأمه قد ولدته حينئذٍ وله يعق عنه، والله تعالى أعلم، وفي كتاب «الدرع والمغفر في الرد عن الشيخ عمر» كانت ولادة هذا الشيخ عام ثلاثة عشر بعد المائتين والألف[563] وهو عام قدوم شيخنا لفاس[564] ونشأ ملحوظًا بالعناية محفوظًا بالرعاية ورزق من الشفقة والرحمة على الخلق أمرًا عجيبًا حدثني أنه منذ نشأ إلى أن قام إلى الجهاد ولم يقتل قط دودة أو نملة أو ذبابة، انتهى المراد منه.

444 - النزاع بين قبيلتي تاك وهندرب وذكر أصل القبيلتين وبعض أخبارهما

ومما يقال في تالب إن أصلهم بيضان ويحتمل ذلك من جهة كونهم أصلاً من الفلاّن هندرب ظنًا وتخمينًا لا غير، وهندرب من تاك أصلاً كما أخبرني بذلك سليمان لامتاك (...) وغيرهما من جل قبائل البيضان من البربر من جيش أبي بكر بن عمر اللتموني[565] الذي يسميه عامة البيضان ببيكر بن عامر، وقد أخبرني سليمان لامتاك الذي كان ساكنًا في هردند أن تاك وهندرب كانتا قبيلتين متقاربتين في النسب ولكل رئيس وافترقوا في بيلك

563 - عام 1213 هـ يوافق 1798 م.

564 - قدوم التجاني إلى مدينة فاس: استقر الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية بفاس عام 1213هـ/1798م وأسس مع خليفته سيدي علي بن حرازم كبرادة زاوية في حي حومة البليدة سنة 1215 هـ/1800 م، وكان قبل ذلك يلتقي بمريديه أمام داره أو بعض المساجد. وبقي بفاس إلى غاية وفاته سنة 1230 هـ/1814 م. فيكون تاريخ ولادة الشيخ عمر الفوتي التجاني صاحب الدعوة إلى الجهاد ومؤسس دولة الفوتيين التجانيين حسب ما أورده المؤلف سنة 1213 هـ/1798 م.

انظر ترجمة الشيخ أبو العباس أحمد التجاني، هامش رقم (173)، ص. 146.

565 - عن أبي بكر بن عمر اللتموني، انظر هامش رقم (146)، ص. 135.

في مرتن لفتنة وقعت بين القبيلتين فتكلمتا فيها يومًا كاملاً ولم يزل التنازع فافترقتا إلى أماكنهما على أن ترجعا لإطفاء تلك الفتنة بالكلام غدًا وأن لا يأتي أحد منهم بسلاح خوف فتنة أعظم من الأولى فخدعتهم تاك وغدرت بأن دفنوا أسلحتهم في بطحاء (...) ولما كان الغد اجتمعتا في مجلسهما مس وذبحتا بقرة للتغذي بلحمها (...) سفهاء القبيلتين في بيول سفهاء هندرب يريدون أخذه لرئيسهم وسفهاء تاك يريدون أخذه لرئيسهم أيضًا فتضاربوا على ذلك فأخرج تاك أسلحتهم المدفونة تحت البطحاء فقاتلوهم وقتلوا كثيرًا منهم فارتحل بقيتهم عن مساكنة تاك (...) من ذلك الوقت إلى الآن. قلت ويمكن أن يفترق هندرب عند هذه الفتنة فيتوجه طائفة منهم إلى مرتن ما بين واللد وديرل الذي بين سنس أحمد ميرم ودوط وتكون تلك الطائفة هم تالب هؤلاء، والله تعالى أعلم، وقد ثبت أن ألقاب (...) وهندرب الآن أربعة لا غير كرار وتال وقت ومرخور وكانوا يعتنوا بالرقيق جدًا، اهـ. ومن العجب أيضًا قول بعضهم إن أرط هندرب كان هو الرائد لأرط جاوب ومعنى الرائد في لغتنا [690] كروو وكان يقال له كروو أرط أره أي رائد أرط جاء فلذلك (...) لفظ كرار لقبًا ويمكن ذلك لأن جاوب قد اتفق الناس على بيضانيتهم ولعل أصلهم من البربر لأنهم ينتسبون إلى قبيلة فازاز وهي قبيلة من البربر فلذلك يقول جاوب كثيرًا إن الفازازي صاحب القصائد العشرينيات في مدحه صلى الله عليه وسلم منهم، والله تعالى أعلم بحقيقة هذه الأمور الملتبسة. قلت أيضًا ولعل هندرب لما ارتحلوا عن تاك افترقوا فجاوزت فرقة منهم إلى المشرق أي سدا ودخلت فرقة منهم في فت وسكنت فيها، ويمكن أن يكون تالب من هذه الفرقة كما مر، والله تعالى أعلم، وقد زعم إلمان سيد الذي كان رئيس فمهار دمبب وعزل في الأعوام الماضية بأن حرائث سنس بممب النيلية أي كلاط كانت ملكًا لهندرب وكانت من مساكنهم، وكان مود ممد الذي جعله الشيخ عمر أو ابنه الأمير أحمد عشار في فربك قد هاجر من سنس بممب، قلت ولعل بعض هؤلاء هندرب هم الذين ذهبوا إلى جبل صوتي في مرتن كسك من تالب، والله تعالى أعلم، وقد أخبرني ألفا هارون من سوتنكوب ولل عن ألفا ممد بوكر الذي في وسن جنج وزعم أن عنده تاريخ هندرب أن أصلهم من الشام ثم سكنوا في قصر البرك في مرتن مدة وكانوا مع تاك ثم فارقوهم لفتنة وقعت بينهم ثم ارتحلوا إلى هايت عند منكل ثم ارتحلوا وسكنوا في مل في أرض جمبغ ثم وقعت مخالفة بينهم وبين مسلنكوب فارتحل الكثير منهم إلى فوت ومنهم من سكن في بروج ومنهم من سكن في ولل ومنهم من سكن في سم وكان اسم

الساكن فيها منهم سم هماك وهو أول من سكنها وبه سميت سم وكان كثير المواشي وكان يبني بيوته من الطين ببول البقر لقلة الماء في سم حينئذٍ ومن ذريته مالك سم والد ممد مالك وبوكر مالك والد عمر بوكر والد حسن عمر الذي في مل الآن، وأما ممد مالك فلم يبق من ذريته إلى الإناث، والله تعالى أعلم، والذي فاتن مسلنكوب من رؤسائهم حينئذٍ حمد سل محم أما فهاجر إلى فوت فهاجر معه كثير منهم، قلت وفيما بين جود كوريك وكوريك كلياب في شاطئ النيل حرائث نيلية به تسمى (...) محم لامك ولعلها كانت [691] من ملكهم في ذلك الزمن، والله تعالى أعلم، وقيل إن لهندرب حرائث في جاوب وما حولها، ثم قال ألفا هارون إن الذين بقوا منهم في مل جاءوا إلى فوت وطلبوا من هؤلاء المهاجرين إلى فوت أن يرجعوا إليهم فرجع الكثير منهم إلى مل ثم لما جاء الشيخ عمر هاجر من بقي منهم في فوت معه إلا قليلاً إلى المشرق أي سدا فسكنوا هنالك ومنهم من في نك سري ومنهم من في بند دمب ومنهم من في مل، وفي فوت وبند إلى الآن دور منهم وفي بورط وجاكلان ديار منهم وكذا في فولل ووانود وورسوك ديار منهم. لقب أمراء هندرب كرار ولقب الملكين لهم فت ولقب الوزراء منهم تال، وإذا مات الكراري فالأمر في أيدي تالب إلى أن يولى الأمير الآخر الأمر، ولقب علماء هندرب ترخور وهم أئمة مساجدهم وكانوا يحبون أن ينسب إليهم أهل ترخور من سنس بممب أو ينسبوا هم إليهم وأن يقال إن أصلهم واحد لوجاهة أولئك الآن وخمولهم، وقد سافر أحد القوالين من أهل وانود قرب سنس بممب اسمه أحمد عمر سالف إلى بعض هندرب مل وكان غنيًا مليًا واسمه خاليد جوك وجمع بين نسبي أهل ترخور من سنس بممب وأهل ترخور من هندرب فقال سري لن وعال لن وفات لن والد حمد فات والد أت حمد والد بياق أت والد بوب بياق والد سل بوب والد باد سل والد محم باد والد جوك محم والد خاليد جوك المذكور فأعطاه خاليد جوك حتى أرضاه وتعجب الناس من ذلك لعظم تلك العطية، وقد ذكر لي هذا القوال ما أعطاه خاليد جوك وعدد أشياء عظامًا مع الكثرة أيضًا فنسيتها الآن لعدم الضبط لذلك وقد كنت سألت هذا القوال هل هذا النسب صحيح أم لا فقال لا إنما قلت لعلمي بغناه ومحبته في ما قلت ولكني لا أعرف فات لن من نسبهم والله يسامحنا وإياهم آمين، وقد مات خاليد جوك هذا في العام الماضي وهو عام 1923 من الميلاد[566] وترك أولاده في مل واسم كبير أولاده ممد خاليد والله يغفر لنا وله آمين. فلنرجع إلى ما كنا بصدده من

566 - عام 1923 م يوافق 1342 هـ.

ذكر هندرب وتاك ونقول إن ألقاب تاك مناسبة لألقاب هندرب في الغرابة لأن لقب رؤسائهم اسكوتند وألقاب مرؤوسيهم روي وأميت وجل وسام [692] وسه وزعم سليمان لامتاك بأن هؤلاء كلهم جاؤوا معهم من مراكش، والله تعالى أعلم، وقلت أيضًا وقد ثبت بهذا أن تالب كانوا من رؤساء هندرب لأن لهم عندهم حظًا معتبرًا متأصلاً، والله تعالى أعلم، ومن العجب العجيب أيضًا أن ترخور قيل أصله من وكد ولا أدري من أين صاروا من هؤلاء أو من أين صاروا إلى وكد فيا سبحان الله ما أشد ظلمة هذه الأخبار وما أكثر ما فيها من الغبار، والله تعالى أعلم.[567] ولكن قد جاء في بعض الروايات أن أبا بكر بن عمر اللمتوني هو الذي أفسد وكد وقيل عمرو بن العاص وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. وقد زعم بعض أهل ملق بأن هندرب حين نزلوا من براري البيضان سكنوا في جلبيل قرية بين ملق وسنينات وهناك جبل معروف بهاير لامط أي جبل السلطان وسيدهم يقال له أرط لامط ثم بعده أرط جبر ثم أرط سل ثم أرط عثمان ثم أرط بوكر ثم أرط ممد ثم أرط بوكر كديس، وكان هندرب جيران سارن مكم عثمان في ملق فوقعت الأسود على مواشيهم فافترست منها جملة فقتلوا من تلك الأسود سبعة فلما سمع بذلك سارن مكم قال عدو الله أقدر على نظيره من الغير فاغتاظوا ورحلوا منه إلى هيت ومكثوا هنالك إلى أن أثروا واستغنوا جدًّا وكثر مالهم غاية وقد أحاطوا على قريتهم بحصن حصين من الطين إلى أن جاءهم مسكر به أمير مسل الذي قتل ألمام عبدل فقال لهم إما أن أرحلكم إلى جواري أو أفسد قريتكم فارتحلوا معه إلى جمبغ فسكنوا في مل ولقبهم أرطهم كرار ولقب وزرائه تال ولقب الملكين له قت ولقب شيخهم ترخور وهذه ألقاب أحرارهم، اهـ، والله تعالى أعلم. قلت وقد صار الآن كثير من أهل قت حدادين في فرل وبند وغيرهما كما سمعنا بذلك، والله تعالى أعلم. قلت ومن هذه الجهة يلتمع لنا برق كون تالب من البيضان البربر ومن ظهر له شيء أوضح من هذا أو علم من أين جاء أصلهم فليثبته هنا مفيدًا مأجورًا إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وفي رواية عن ابن مسعود [693] كذب النسابون وكان قول ذلك عند قوله تعالى: وقرونا بين ذلك كثيرًا لا تعلمونهم الله يعلمهم، الآية.

567 – تعليق المؤلف: قلت ويمكن أن يكون بعض أهل ترخور هو الذي فارقهم وذهب إلى وكد وسكن فيها ثم لما فسدت وكد خربة (...) إلى فوت، والله تعالى أعلم.

445 – قصيدة للشيخ عمر يحث فيها أهل تور على الجهاد معه

وقد رأيت قصيدة منسوبة إلى الشيخ عمر يخاطب بها أهل تور ويحثهم على الجهاد معه، وقد نقلت منها هذه وهي:

بني الطور جيئوا مسرعين لسعدكم
تنالوا الذي قد نال قَتْلٌ من الخل
بني طور كونوا مثل آبائنا الأول
ذوي الجد والتقوى والإحسان والعدل
بني طور توبوا وارجعوا لتراثكم
جهاد عدو الله دومًا بلا بتل
بني طور سينا فيه كان أصولكم
لأجل جهاد جئتموا فوت بالدلل
بني طور توبوا فكونوا كجدكم
أي الجد إبراهيم سيدنا العدل
بني طور توبوا من جميع عوائد
تخالف شرعًا واقصدوا زينة الفضل

إلى أن قال:

بني طور إني لست أترك صاحبي
هنا وغدًا والفضل لله ذي الطول
بني طور أصلح خيار وسادة
وهجرتهم لله خالقنا العدل
و هم جنود مولانا وحزب نبينا
فأسعدهم والكهل في ذلك كالسخل

إلى أن قال:

أجيبوا تنالوا فوق ما ظل أهلكم
وآباؤهم لما أجابوا بلا عول
أجيبوا تنالوا فوق ما نال كل من
أجاب سليمان الذي قام بالنبل
أجيبوا بإخلاص وحسن طوية
ولا يضربنكم شدة الأمر والشكل

و قد حذفت كثيرًا من أبياتها للاختصار، قوله بني طور سينا، إلخ، يريد والله تعالى أعلم بني حام كانوا في الشام فأجلاهم عنها داود عليه السلام، وأما قوله لأجل جهاد جئتموا فوت، إلخ، فلعله يريد بذلك كون أهل فوت من البربر الذين جاؤوا مع جيش أبي بكر بن عمر اللمتوني للجهاد، فلا أعلم ما يوافق معناه غير ما ذكرت ومن علم شيئًا أوفق من هذا فليثبته هنا مأجورًا، والله تعالى أعلم، وقوله بني طور توبوا فلتكونوا كجدكم يريد، والله تعالى أعلم ما في شرح سيرة ابن هشام السهيلي البكري[568] أن الطور سمي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، وقد أشار إلى مثل ذلك الولي الكامل والعالم العامل سلطان هوس الشيخ محمد بل[569] [694] في قصيدته الرائية التي أرسلها إلى أهل فوت مع الشيخ عمر يخاطبهم بقوله بعد أبيات كثيرة:

أولئكمو قومي وأصل عشيرتي
لطور بن إسماعيل نعزى ونستقرى

إلخ، وقوله أجيبوا تنالوا فوق ما نال كل من أجاب سليمان الذي جاء بالنبل ولعله يريد سارن سليمان بال الذي فتح باب الجهاد لأهل فوت حتى أعز التوردية وهي التعلم والتدين الإسلاميان على الدوام، والله تعالى أعلم.

568 – أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت. حوالي 218 هـ/833 م)، السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام عن محمد بن إسحاق بن يسار (ت. حوالي 151 هـ/768 م). أما السهيلي فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد الخثعمي السهيلي الأندلسي (581 هـ/1185 م) الذي شرح سيرة ابن هشام في كتابه «الروض الأنُف». ويشير المؤلف إلى ما ورد في سياق نسب ولد إسماعيل بأن إسماعيل كان له اثنا عشر ولدًا منهم يطور أو طور أو تطور حسب اختلاف الروايات. أنظر: ابن هشام، السيرة، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، سلسلة تراث الإسلام، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.، ج. 1، ص. 5.

569 – محمد بلّ سلطان هوس (الهوسا): انظر ترجمة محمد بلّ أو بيللو هامش رقم (73)، ص.99.

446 - تاريخ سلسلب: أصلهم ومواطنهم وبعض أخبار رؤسائهم

أما تاريخ سلسلب فقد زعموا أنهم من طور سيناء وعنه ارتحلوا إلى هوس ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى وبقي فيها واحد منهم اسمه ببكر حمت ثم ارتحلوا إلى بلاد تورود ومكثوا فيها أربعين سنة ثم وقع بينهم وبين الملك لأجل الفرس خلاف فرحلوا عنها وهناك مات منت ثم تجاوزوا إلى قنط وكلات ومكثوا فيهما مدة ثم تجاوزوا إلى آفطوط وهناك مات كبير من رؤسائهم أيضًا ولم نتحقق اسمه، والله تعالى أعلم، ثم تجاوزوا إلى قدقند القديم، قلت وفي كونهم من هوس إلى توروד ثم إلى قنط وكلات ثم إلى آفطوط ثم إلى قدقند دليل على أنهم جاؤوا مع هجرة جاوب وسكناهم في كلات هو سكنى جاوب في فول بطايج وكوجول وكركرل وكميل، وسكناهم في آفطوط ويمكن أن يكون فر وما والاها هو سكنى جاوب في كيم، وسكناهم في قدقند هو سكنى جاوب في هور وايد إلى مرتن فدور وفي هذا أيضًا دليل على ما قيل بأن لقبهم أولاً كان به لما قارب كل أن يهزم رئيسهم حينئذٍ وأراد أن يستسلم له قيل سل سال ومعناه امتنع وآب من الإباية أي امتنع من الاستسلام فأبى فجرى عليهم لفظ سل لقبًا من ذلك الوقت إلى الآن، والله تعالى أعلم، ويطلق على سلسلب كد وعلى أوررب بنت أهل كلات نسبة إلى مسكنهم القديم قنط وكلات وذلك دليل على طول مكثهم هناك، ويطلق على سلسلب وعلى أهل الرياسة من الفلاّن في أرضنا لوكوب والواحد لوك ولا يقال ذلك لغير رؤساء الفلاّن بحسب العرف في كلامنا وذلك أيضًا دليل على كون أصلهم فلاّنًا، والله تعالى أعلم، ثم اعلم أن قدقند تعرف بقد بنب أيضًا وهي بين جما ألوال وقد وإضافتها إلى بنب دليل على أنهم أقدم إليها قدومًا [695] من أهل سل وقيل أن بنب جاؤوا إلى قد من جلف وهم الذين لقبهم بن بباء عجمي وكان لقبهم أولاً كما قيل غير بن ولكني نسيته الآن وكانوا من فلاّن جلف وقتل واحد منهم نفسًا والعياذ بالله تعالى فهرب خائفًا يترقب فرافق هجرة النجارين المهاجرين من جلف إلى تور وأخبرهم بحاله واستجار بهم فغيروا زيه وحملوه بن بفتح باء عجمي ونون ممالة وهي أخشاب القوس ثم لحق بهم طالبوه فرأوه فقالوا ليس هذا فلان كذا وأضافوه إلى لقبه المعروف عندهم فقال النجارون لا بل هذا فلان بن فتركوه ورجعوا عنه آيسين منه فجرى عليه لذلك لفظ بن لقبًا وعلى بنيه إلى الآن ثم صار بن بفتح باء عجمي ونون ساكنة تخفيفًا، وقيل إنه سكن في قد المذكورة واكتسب من أراضيها حرائث

وانتشر ذريته في فوت في جول وجل وغيرهما وقد ذكرناهم في تاريخ بنب عند تاريخ قنار، والله تعالى أعلم. ثم إن سلسلب قطعوا بحيرة رارد وسكنوا في مخدل بين أجم تو وقل ولايراب وعنها إلى ولقر بين أجم ومخدل وعنها إلى كلات قرب قد ثم انتقلوا عنها إلى جلف لأجل امرأة وعنها ارتحلوا إلى سالم فحاربهم عل بني أعوامًا وهنالك إلى موضع من سالم يعرفه الخاص والعام بحصن عل بني وقد بقي فيها بعض ذريته إلى الآن، والقرية التي فيها حصن عل بني اسمها سال كندا، ثم رجع ابنه عال عل بني إلى كلات وفي أيامه أتى كل أو بعض ملوك داينينكوب وقاتله في حروب كثيرة وقد حاربه في مخدل ثم آيلاج بين كلات وأجم، والحاصل لما طال الحرب قام كل أو الملك الداينينكي وخطب بنته فايل عال عل بني وتزوج بها وهي التي علمته حيلة يغلب بها أباها بعد الصلح، وصورة ذلك أنها قالت لبعلها قل لأصهارك إنك وقومك ستأتون إليهم للعب لهم غدًا وحينئذٍ تعمرون مدافعكم بالبارود والرصاص وستجدهم عزلاً غافلين من الأسلحة ففعل كما أمرت فغلب أصهاره بهذه الخدعة وأسلم له أهل عال عل بني وكان ولده قلاج عال غائبًا فلما سمع بهذا رجع بجيش جرار وقاتل كل حتى طرده بزعمهم، وقد عمر قلاج هذا مائة سنة ومكث في الملك مدة طويلة ولم نتحقق حدها، وفي أيام سل بوب قيسر تزوج قلاج بأخته [696] أمهان تب فولدت ولدين وهما صمب أمهان ودس أمهان ويقال صمب قلاج ودس قلاج، وصمب هذا هو الذي عمر قد مسكنهم الآن بعد أن هاجر دس أخوه إلى أخواله داينينكوب ومكث صمب في الملك إلى زمن سارن سليمان بال فغزى معه ومات في فر، ثم بعد موته قام بالأمر بعده ابنه عبدل صمب ومكث في الملك أربعين سنة ومات في جايول موضع في مرتن في محاذاة جم مع جيش ألمام عبدل ثم قام ابنه لامتور جب ومكث ثلاثين سنة ثم خلع نفسه عن الملك لكبر سنه وقد اتفق الناس على صلاحه حتى قيل إنه كان لا يفارق دلائل الخيرات، ثم قام بالأمر بعده ابنه حمت عال الذي ذهب به الشيخ عمر إلى بلاد سدا، وفي أيام لامتور حمت كانت فتنة سايلوب مع أوررب وسنذكرها بعد إن شاء الله تعالى، وكان حمت عال هذا إذا سمع الشيخ عمر يقول لست بملك ولا أحب أن أكون ملكًا يقول له إن لم تحب الملك فاجعل ملكك في أيدينا فيقول له الشيخ سأفعل إن شاء الله، ثم ما زال حمت هذا يذكره الوعد إلى أن دخلوا أرض ساغو والشيخ يعلله ولما يئس من ذلك هرب مع الهاربين إلى أحمد ماحمد سلطان ماسينا قائلين له إن الشيخ عمر إنما يطلب الملك لأولاده فقط ولذا لما ظفر الشيخ بأحمد ماحمد ومعه حمت

عال هذا قتلهما مع من قتله، ثم قام بالأمر من بعد حمت عال محمد جب ومكث في الملك ثماني عشرة سنة وهو الذي هاجر إلى جور ومات في كرياك، ثم بعده جاك بن جب صمب الذي هاجر مع الشيخ عمر أيضًا ومات في مان مان، وبعد ذلك أتاهم فرانس وملوكهم وطلبوا من سايلوب أن يعطوهم من يكلمهم إذا احتاجوا إليه ويرسلونه إلى سايلوب إذا احتاجوا إلى ذلك فتنازعه الرؤساء منهم فتنافسوا فيه ومنهم محمد إلمان إبرا فات في دناي وسنذكره في تاريخ سايلوب ومن المنازعين إلمان باب بوكر في جوار وإلمان عبدل بوب رئيس بوي وكلاهما من لِهْ بكسر اللام وسكون الهاء ومن المنازعين معهم أيضًا مهدي تور وكان ذلك في أيام مس فدرب وقد أرسله نائبه مس سلجبير في تولية سايلوب أحدًا منهم فاتفق كثير منهم على تولية [697] إلمان باب بوكر وخالفهم أهل بوي واحتجوا بأن إلمان عبدل بوب أكبر سنا، واحتج أهل جوار مع كثير من سايلوب بأن إلمان باب بوكر أعلم وأعرف بمصالح الناس ولم يطعهم أهل بوي، والحاصل أنه لما طال تنازعهم ولم يترك أحدهم الأمر للآخر قال إلمان باب بوكر وإلمان عبدل بوب الرأي أن نطلب أحدًا من لوكوب تور نوليه أمرنا وما هو إلا رسولنا إلى ملوك فرانس فقط، فرجع إلمان باب إلى إلمان عبدل فقام إلمان عبدل مسلمًا الأمر إلى همد بكار فقدموه عليهم وهو أول من ملك تور بأسرها منهم فيما مر وهو أول من ملك سايلوب منهم وذلك لأن المذكورين من ملوك سلسلب كد ليس فيهم أحد ملك من مغرب تور إلى مشرقها إلا لامتور حمد بخار هذا ومن بعده، وأما من كان قبله من ملوك سلسلب إنما كان يملك بعض القرى لا غير وهي ناحية من سايلاو وجملة سلاق وجمبو ولولناب في جوار ولهم حرائث كلكل تسمى ورد فلذا يلقب رئيسهم بإلفك دده ولقب رؤسائها تال والآن صار رئيسهم من سلسلب ثم جوم برجل في دي ولقبه وت ثم جوف وكذا أهل مجاورتهم من السماكين الذين رحلهم ألمام عبدل إلى قول وكذا آس لأنهم من جوف أيضًا وإنما أسكنهم في آس دعاء أحدهم لأحد لامتورات قد فلما استجيب دعاؤه أعطاه ذلك لامتور فود آس فارتحل إليها وسكن فيها وهؤلاء هم ملك لامتور أولا لأنهم كانوا أهل ورك أي سنكال، وقيل أيضًا إن من جملة ملك لامتور الفلاّن الذين في تور كأوررب وغيرهم، والله تعالى أعلم.

ثم إن سايلوب لما قدموا لامتور همد بكار على أنفسهم تعاهدوه وتعاقدوا معه على أن لهم ما كان لهم أولاً وأن إلمان عبدل بوب هو المتولي جهة مرتن وألوال أحمد هو القاضي ثم قدموا حمد بخار أن يتولى لهم أمر ملوك فرانس وذكروا له ما ذكروا فمكث فيه ما مكث ولم يقل لأحدهم شيئًا يؤذيه أو يغير قلبه وإن أتاه أحد بحَلْقَطَة (نوع من الطعام) أو غيرها يقل خذ الكثير ولي القليل نأكلها [698] ثُلاًّ بمعنى مجانًا وهكذا حاله إلى أن ظهر عليه البرص فعزله ملوك فرانس لفرار نفوسهم عن ذلك المرض ثم خلفوا لامتور سري كلاج الذي قتل في جايك، وفي رواية أن لامتور همد بكار حمى ملل همد قي هو أول من ولاه فرانس على تور بعد هجرة الشيخ عمر والفرانساوي الذي ولاه مباشرة على تور باتفاق سايلوب عليه يسمى مس فلس ثم لما رجع إلى تور بعد ذلك جاءه صمب دس فقالا له أن همد بكار مبروص والعياذ بالله تعالى فلا ينبغي توليته فقال لهما أيكما اللائق بالتولية بعده فقال صمب دس أن سري كلاج هذا هو اللائق بها لأنه أكبر مني سنًّا فقال مس فلس يا سري كلاج إني سأرجع إليكم بعد خمسة عشر يومًا فلنلتق عند قصر هدك هاير مع صلحاء تور وسايلوب يومئذٍ ثم إني أوصيك أن تتألف إلى الناس وتتحبب وتحسن إليهم قبل قدومي إليكم بإطعامهم وإلباسهم وغير ذلك من الإحسان مما أمكن لك. فلما رجعوا إلى منازلهم جعل سري كلاج يذبح الدجاج ويصنع بها الطعام ويدعو الناس إليه وإن وجد شاة يذبحها ويصنع بها الطعام ويدعو الناس إليه فصار الناس يقولون هذا لو كان غنيًا لكان كريمًا سخيًا فالأفضل أن يكون ملكًا ولو كان الأمر بأيدينا لملكناه فما زالوا كذلك إلى أن جاء الفرانساوي مس فلس فعزل لامتور همد بكار وطالبهم بمن يملكه عليهم فاختاروا له سري كلاج فقام صمب دس وقال إن سري كلاج أمه فلاّنية ليست من بنات الملوك وقال مس فلس ولقد اخترته على نفسك أولاً وما منعك أن تذكر هذا في ذلك اليوم والآن قد أمضيت ولاية سري كلاج وأثبت ملكه فلا يخالفه إلا من خالفنا معشر فرانس، ثم إن لامتور صمب دس ما زال يمكر بسري كلاج إلى أن قتله هو وعبدل بوكر وألمام أحمد سارن دمب في جايك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم بعد سري كلاج خلفوا لامتور مولى الذي قيل إنه لما عزل قال رافعًا صوته الحمد لله قد وليت أمركم يا أهل تور منذ سبعة أعوام ولم أفعل مع أحد منكم شيئًا يسوؤه، ثم لامتور صمب أمهان ومكث فيه إلى أن مات بعد أن أعطاه ملوك فرانس «مداي سوليه لجندنور»[570]، ثم ابن أخيه ممد عبدل المعروف بممد بوب وقد كان كثير الفتن ومن فتناته [699] فتنته بعد رجوعه عن دربجل ونزل في سلد ومكث فيها أيامًا فبينما هو يتحدث مع كمادان سلد إذ رأى رعيان توابير واردين على البحر بمواشي فغمز بعض أصحابه ففهم ما عناه فنزل إلى أصحاب لامتور ممد وعلمهم بمراده فقطعوا النيل وأخذوا مواشي توابير فقطعوا بها النيل فصرخ أصحابها وصاحوا يطلبون من إخوانهم الغياث فرفع كمادي رأسه فرأى أصحاب لامتور يسوقون الغنم فقال كمادي هذا منك فقال لامتور نعم فزجره كمادي ولم ينزجر فنزل من قصره بعد المخاصمة والمشاغبة والناس ينظرون هو لامتور وقومه بالغنم إلى أن أدركهم الليل في يهم اسم قرية من قرى برلاب أليط بين البحرين في رارد محاذية لقرية جنك فباتوا هنالك وفي غده أتاهم توابير فتقاتلوا مع أصحاب لامتور وهو ساكت ينظر إليهم فتكشف أصحابه منهزمين فلما رآهم راجعين إليه قام وتحزم وشدد حزم فرسه فقال جومبر لفت برمم ومعنى بر النيلة التي يصبغ بها الثياب ومعنى جوم الصاحب ومعنى مم في كلامنا ضمير يرجع إلى الغائب بمعنى له ومعنى لفت أي يدق ومعنى لفد هو دق الشيء الرطب أي صاحب ورق النيلة هو الذي يلي دق نيلته والمعنى أن صاحب الشيء هو أحق به ثم توجه إلى قتالهم فهربوا منه وجعل يقتلهم واحدًا بعد واحد إلى أن قطعوا البحر ورجع ممد بوب إلى كد مع حيوان توابير فأرسل إليه بعض رؤساء فرانس وأمروه برد الحيوان إلى أربابها فأبى وامتنع وهذا هو السبب في انعزاله، وقيل إنه لما ولي الأمر حسده بعض أقاربه وقيل لتشدده عليهم بالأذى كهمد نوتاك ولامتور صديك وأحمد سليمان أحد قنقايب كد وعبدل سري حتى قيل إنهم قد طلبوا قتله ولم يمكن لهم ذلك ولذا اتبعوا جفدن صمب كون أحد وزراء لامتور ممد بوب إلى أن وجدوه في فتن جوف الليل نائمًا مع امرأته فصبوا عليهما البارود فماتت الزوجة

570 - يقصد بها نيشان «جوقة الشرف» (Médaille de la Légion d'honneur) الذي تمنحه الحكومة الفرنسية للأشخاص الذين قدموا خدمات جليلة وعرفوا بولائهم للإدارة الفرنسية، ويكسب الحاصل عليه مكانة معتبرة ومعاملة خاصة من قبل موظفي الإدارة الفرنسية.

وهرب جكدن صمب كوب (...) جم تو وفل ورجع أولئك القوم فنزلوا في جركاد وقيل في جما ألوال [700] ناوين البيات فيها فقال لهم همد نوتاك لا مقام هاهنا فتجاوزوا، وقيل إن جكدن صمب كون لما وصل إلى كد أرسل لامتور ممد بعض وزرائه إليهم وقاتلوهم في جما ألوال فهزمهم وزراء ممد بوب وطردوهم فلما رجعوا إلى لامتور ممد بوب وأخبروه الخبر قام بالفور تابعا أثرهم فوجدهم قد هربوا إلى دطل وبقي أحمد سليمان في عد فوجده نائمًا وأيقظه وأخذه وسجنه وأمر بعض أصحابه بالتجاوز إلى دطل فلما أدركوهم هنالك صبوا عليهم البارود فجرحوا عبدل سري ثم انتشر الباقون هاربين فذهب صديك إلى دمت وذهب همد نوتاك وقلاج إلى فوت، وبعد سماع لامتور ممد بارودهم قتل أحمد سليمان وأما عبدل سري فإنه لما جرح هرب قليلاً وهو لم يقدر على الهروب فاختفى وراء القرية ثم لما أصبح الصبح بكروا يطلبون أثر المجروح فلما علم بهم ناداهم بأعلى صوته أنا منتظر لقدومكم فتبادروا إليه وقتلوه ثم بقي قلاج وهمد نوتاك في فوت حتى أتى جيش فرانس إلى دربجل وفي ذلك اليوم قتل قلاج وقيل لا وكان مع الجيش الفوتي وبقي همد نوتاك في فوت إلى أن فرج الله عنه، قلت ولعله بانعزال لامتور ممد بوب عن ملك تور، فرجع إلى كد، والله تعالى أعلم، ثم بعد انعزال ممد بوب تخلف لامتور همد نوتاك ثم بعده لامتور سيد بوب وفي أيامه فسدت دولتهم لقتلهم كمادي سندي في هاير والقاتل بيد كس من قبيلة فام، ومن الفتن الواقعة في تور فتنة لامتور حمى عال الذكور أولاً وسببها إدخال رعيان أوررب مواشيهم على حرائث أهل بوي فتضاربوا بالعصي حتى أفضت المضاربة إلى المقاتلة بالمدافع البارودية في واد يسمى سلم بين بوي وفدور فانهزم أوررب، وقيل إن الفتنة إنما قامت أولاً في ويلاك اسم حرائث كلكل ولذا جعلت تلك الحرائث دية لدم سايلوب وقد مات لأوررب في تلك الفتنة كثير من الناس إلا أن أرط حمت بال قد انتقم من سايلوب انتقامًا بينًا في جوار، وصورة ذلك أن أرط أتى مع أوررب [701] إلى جوار بعد أن هجع الناس وصب عليهم البارود وأحرق البيوت، ثم خرج أوررب إلى وراء القرية إن أتاهم هاربًا يقتلونه أو رأوا أحدهم يطفئ النار يرمون إليه بالرصاص فيقتلونه وهكذا إلى أن أفنوا كثيرًا من أهل جوار، وقد حدثت هذه الفتنة في أيام حمت عال في خلافة ألمام باب، قلت ولعل لامتور حمت كان مع أوررب في هذه الفتنة، والله تعالى أعلم، وقيل إن أحمد بن سيد عل جاء إلى قد يريد الإصلاح بينهم وبين سايلوب فلما نزل عند لامتور جب شاوره لامتور ومن معه في أمرهم فقال لهم أحمد الرأي

عندي أن تذهب معي إلى سايلوب فلما وصلوا إلى دناي قال لامتور لسايلوب جئتكم لا أريد إلا الخير والصلاح فقالوا إن تبرأت من لامتور حَبِّي بذلناك ما تريد وإلا نهدم قد فقبل جب ذلك فتحالفوا أي هو وسايلوب واصطلحوا واجتمعوا بأن يخرج لامتور حمى عن كد مع كل من تبعه من قومه ومن معهم من أوررب فلما رجع إليهم خرج لامتور حمى ومن كان أطاعه من قومه حتى بلغوا جم فأرسل إليهم أرط بنت بأن يرجع لامتور حمى بعدما التقى لامتور حمى مع ابن محمود دند المسمى ير محمود فأخبره بأنه رسول ألمام باب بأن يجيء هو وسايلوب ليحكم بينهم بما أنزل الله تعالى، فقال لامتور السمع والطاعة فرجع إلى كد فوصل ير محمود دند إلى سايلوب وأخبرهم بذلك فقالوا أيضًا السمع والطاعة فلما ذهبوا ووصلوا إلى الإمام جميعًا يعني الفئتان لامتور ومن معه من أوررب حكم بينهم بغير ما أنزل الله تعالى فلا نطيل بذكر كيفية ذلك، وهذه الفتنة وقعت في سنة 1256 من الهجرة[571] وهي سنة (ونرش) من غزوة بنكو إلى تلك السنة أيضًا أربع وثلاثون سنة ومن كوريك وهو قتل ألمام عبدل إلى تلك السنة أيضًا أربع وثلاثون سنة، وهكذا نقلت من ورقة دارسة، والله تعالى أعلم، وقيل إنهم لما وصلوا إلى ألمام باب حكم بأخذهم وسجنهم فهربوا ورجعوا إلى قراهم في تور والله [702] تعالى أعلم.

449 - ذكر بعض الوقائع التي شارك فيها جيش فرنسا في نزاع لامتور

وقيل أيضًا إن أمراء فرانس خلفوا على تور سري كلاج في زمن ألمام أحمد من ليدب جاب ثم قام ألمام مع جيشه يريد دكار منتهى ملكه مع خوفه من فرانس فلذلك استصحب جيشًا عظيمًا، فلما وصل لآجم تووكل نزل فيها وأرسل إلى لامتور سري الذي في قد ليحضره فأبى وامتنع وحضره صمب دس مع أحبابه ووزرائه وذلك قبل صيرورته لامتور فذهبوا معه فلما وصلوا إلى واداك وهو اسم واد قرب كوت من قرى وطاب البرية جعل ألمام أحمد صمب دس ملكًا على تور وجعله خليفته فيها ولقبه بلامتور صمب، فلما أتوا إلى حذو دمت أحضر ألمام ألمان دمت يومئذٍ لينضم معهم إن كان مع أهل فوت نية وقلبًا، فقال نعم والله لا أفارق أهل فوت أبدًا، فذهبوا جميعًا إلى أن وصلوا بكل فنادوا أميرها بركل فطلبوا منه الصحبة والانضمام معهم فقال لا ذلك لا يمكن لي الآن لأني قريب من النصارى أو لقربهم

571 - سنة 1256 هـ توافق 1840 م. وتكتب بالحروف (ونرش).

ولو غلبتموهم وبقيت أنا ساكنًا هنا بعد رجوعكم إلى بلادكم فإنهم يفسدون أمري ولكن الذي لا بد لنا منه ولا غنى عنه أن نقوم بضيافتكم جهدنا لا غير، فنزل ألمام مع جيشه وراء القرية فامتلأ الفضاء بهم فجعل بركل يرسل إليهم الحصر والبسط وهي الفرش ليفرشوها وبينما هم في ذلك إذ رأوا أربع سفن دخانية متتابعة ممتلئة بالجيوش وآلات الحرب، فلما رأوها قاموا وتحولوا إلى واد فوق بكل في البر فنزلوا فيه ينتظرون ما يكون من أمر السفن الدخانية وكان عبدل بوكر مع وزرائه لم يتنحوا عن بكل بل بقوا ينظرون أمر السفن إلى أن وصلت ورست وجعل من فيها ينزلون عنها بأسلحتهم ثم قام عبدل بوكر إلى جيش ألمام أحمد ليتأهبوا للقتال فإن النصارى يأتونهم الآن، فبينما هم في ذلك إذ أتاهم جيش النصارى فقاتلوه وهزموهم بالفور وتبعوهم يقتلون من ظفروا به إلى أن وصل النصارى إلى كد فرجعوا، وبهذه الواقعة انقطع ملك ألمام فوت عن تور ولم يرجع إليها بعد ذلك إلى الآن كما قيل، وأما لامتور صمب فقد سكن في آجم تووكل وجل أهل تور في محبته، وأما لامتور سري كلاج فهو في كد وفي طاعته من يحبه من أهل تور وهم قليلون [703] فما زالا كذلك إلى أن قام رجلان من أهل لامتور صمب نهارًا يريدان غدرة لامتور سري فلما دخلا داره ضرباه بمدفعيهما البارودين وأخطأه فضرب هو بمدفعه يريد قتلهما فأصابت الضربة يد أحدهما فأزالتها ثم رجعا هاربين إلى سفينتهما فدخلاها وقطعا النيل السنكالي إلى آجم تووكل سالمين، فأرسل لامتور سري بالواقعة إلى كمادان فدور فوعده بالنصر وأمده بالصبر ثم جاء جيش فرانس وقيل قائده أمير أندر المسمى مس سلجبار أو مس فول، والله تعالى أعلم، فلما أتوا انضم معهم لامتور سري قلاج فطردوا لامتور صمب فما زالوا يطردونه إلى جايك فظفر لامتور صمب بلامتور سري كلاج هنالك فقتله وقيل قاتله في جايك ألمام أحمد في رجوع جيش النصارى، وذلك أنهم في ذلك العام دخلوا في فوت وحرقوا القرى البرية من جاب إلى بكجو وهرب ألمام أحمد إلى البر فوق جاب واختفى هنالك إلى أن جاوز الجيش وكان عبدل بوكر حينئذٍ في دمك كما قيل فلحق به لامتور صمب هنالك ويقال لذلك العام دفل برم أي حريق برم أندر لفوت، وأما جيش فرانس فقد وصل إلى ماتم ثم شرع في الرجوع إلى أندر فقام عبدل بوكر راجعًا إلى فوت وطلب جيشًا فوقع عليهم في جنت مع ألمام أحمد ويقال له غزوة ديدل اسم روضة قرب جنت يرويها الخليج الذي بين جنت وسلناب وذلك في

عام 1281 من الهجرة،[572] وقد تقاتلا مع النصارى أيضًا في ساو تحت جاب وذلك في عام 1280 من الهجرة[573] ولعل ذلك في عام قبل عام غزوة ديدل، والله تعالى أعلم، ثم إن أهل فوت ما زالوا بعد وقعة ديدل يقاتلونهم فإذا قاتلوهم نهارًا يغلبهم النصارى ويقعون عليهم أيضًا وقت الغفلة كالليل فما زالوا كذلك إلى أن ظفروا بلامتور سري كلاج في جايك وقتلوه ثم رجعوا إلى مساكنهم في فوت وهذا كله مع ألمام أحمد كما قيل ومعهم أيضًا [704] لامتور صمب ثم طلب منه عبدل بوكر أن يبقى عندهم في فوت فأبى وجاوزهم إلى جور ثم وقعت المخالفة بينه وبين أبناء الشيخ عمر فرجع إلى آجم تووكل، وأما النصارى فإنهم لما رجعوا بعد قتل لامتور سري ولوا على تور لامتور مولى، وكان ممد بوب حينئذٍ صبيًا في أندر يتعلم اللغة الفرانساوية وكان ابن أخ للامتور صمب جب لأنه ابن عبدل جب وكان يرسل إليه رسله ليعينه على أمير أندر ولو في أن يسكن في كد فقط فأرسل إليه أمير أندر بالحضور عنده فذهب إليه فلما حضر عنده جعلوا يتكلمون في أمره إلى أن أعطوه دار أبيه في كد وأرض حرائثه فقط، فرجع وسكن فيها ثم لما ظهر أمر ابن مهدي تور أحمد مهدي[574] وفعل ما

572 - عام 1281 هـ يوافق 1864 م.

573 - عام 1280 هـ يوافق 1863 م.

574 - أحمد مهدي بن مهدي تور: هو أحمد الثاني بن شيخو أحمدو لوبو. انظر هامش رقم (85)، ص. 108. قد يلاحظ القارئ في ما أورده المؤلف عن الحركة الجهادية التي تزعمها مهدي تور وابنه أحمد التباسًا وتداخلاً مع الحركات الجهادية الأخرى التي عرفتها منطقة حوض السنكال وخاصة إقليم فوتا تورو. فكل زعمائها ادعوا النسب الشريف وعرفوا بين أتباعهم بلقب المهدي المنتظر أو الداعي إلى الحق والصراط المستقيم، وذلك كسبًا للشرعية واستقطابًا للمناصرين للالتحاق بصفوفهم، ومن أهم هذه الحركات: حركة الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي (ت. 1281 هـ/1864 م) وابنه أحمد (ت. 1816 هـ/1898 م) الداعية للطريقة التجانية، وهي بمثابة استمرار ومواصلة للحركة الجهادية التي تزعمها عثمان بن فوديو (ت. 1232هـ/ 1817م)، وابنه أحمد بللو (ت. 1253هـ/ 1838م) التي كانت تدعو للطريقة القادرية. ولعل المهدي الذي تردد ذكره لدى المؤلف هو أحمدو لوبو شيخو (ت. 1261 هـ/1845 م) وابنه أحمد (ت. 1270 هـ/1853 م)، اللذين اتخذا لقب المهدي المنتظر، في الوقت الذي كان فيه أحد اتباع السنوسية في غورو شمال تشاد شيخ زاوية بئر علالي يدعي المهدوية ويلقب نفسه بمحمد المهدي. ونفس اللقب ادعاه لنفسه أحمد بن محمد بأم درمان على وادي النيل. انظر: عثمان بن فوديو (هامش رقم (72)، ص. 98؛ وابنه أحمد بيللو (هامش رقم (73)، ص. 99؛ والحاج عمر بن سعيد تال الفوتي (هامش رقم (84)، ص. 107؛ وابنه أحمد (هامش رقم (364)، ص. 238؛ وأحمدو شيخو (هامش رقم (85)، ص. 108؛ وأحمد بن محمد مهدي أم درمان (هامش رقم (324)، ص. 221. ومهما كانت المبادئ التي دعت إليها الحركات المهدوية التي عرفتها بلاد السودان، فإنها كانت في الواقع حركات دعوية جهادية نابعة من ضمير العامة المتشوقة لتطبيق الشريعة ،إقرار العدل والأمن، وبغض النظر عن الجانب الديني فهي استجابة موفقة لتعميق الإسلام ونشره في المناطق التي ظلت تسود بها المعتقدات الوثنية وتتعرض للتوسع الاستعماري الذي كان يعمل على وضع حد لهذه الحركات وعلى إيجاد ظروف تشجع على نشر المسيحية بمناطق الغابات الاستوائية الجنوبية والمتاخمة لسواحل المحيط الأطلسي. وقد تمكن

فعل كما سيأتي في تاريخهم ولم ينتبه له لامتور مولى عزله كمادان فدور وولى مكانه لامتور صمب وقال إنه أكيس منه وأسرع تنبهًا وأشد شكيمة إلى آخر أمره مع سارن أحمد مهدي تور وسنذكر ذلك هنالك إن شاء الله تعالى، ثم إن ممد بوب جاك لما بلغ أوان الختان رجع إلى كد فاختتن عند عمه لامتور صمب إلى أن برئ جرح الختان ثم رجع إلى أندر ثم بعد ذلك رجع إلى كد وكان في دار لامتور صمب إلى أن اتهمه بزوجته فوكل من يراقبه فيها وسافر إلى فدور ثم ظهر للموكلين التحقيق للتهمة وزال الريب عنهم فلما رجع أخبروه بما شاهدوا فأخذه لامتور صمب وأمر قومه أن يسجنوه بقيد الحديد فسجنوه بقيد الحديد فقام سايلوب وغيرهم يشفعون له فلم يشفعهم فيه ومنهم أهل جوف وفدور، ثم جاء آلوال أحمد في قرية جما فشفع له ولم يشفعه فيه فذهب إلى فدور وعلمه لكمادان كما قيل فأرسل إليه كمادي بأن هذا ابننا فإن لم تقدر على صحبته فأرسله إلينا فأرسله لامتور صمب إلى كمادي فرده إلى أندر وما زال فيها إلى أن مات لامتور صمب، فرده النصارى إلى كد وصيروه لامتور فطرد وزراء لامتور صمب وأحبابه الأقارب ونفاهم وقتل بعضهم [705][575] كأحمد سليمان الذي قتله في عد وعبدل سري الذي قتله في دطل، فما زال شريرًا مؤذيًا إلى أن اتفق أهل تور على عزله (...) من كمادي فدور فوافق ذلك إرادة فرانس لتجبره وتمرده (...)، انتهى خبر هذا المخبر، والله تعالى أعلم، وقيل أول ما خرج من ملك (...) ودخل في ملك فرانس فلآن كلجين ومسكن لبل وهو مسكن (...) في الخريف ومر موضع في ساساب ثم بعد ذلك أيضًا خرج عن ملك فوت ما وراء (...) يرى وهو مصيف سووناب بوتل كما قيل إلى أقصى مغرب تور ثم بعد ذلك (...) الحد بين أهل فوت وفرانس قرية تسمى كيلل وهي تحت هاير وكان (...) لامتور ما بين بوب يرى وكلل كما قيل، والله تعالى أعلم.

450 - ذكر عقب بيت همد قي وبيت دبي قلاج

وقيل إن (...) كد قد آل أمرهم إلى بيتين وهما بيت همد قي وبيت دبي قلاج (...)، وأما همد قي فهو والد ملل همد والد فات ملل وحمى ملل، وأما (...) همد فات ونوتاك فات

الفرنسيون من القضاء على هذه الحركات الجهادية المهدوية وفرض سيطرتهم على أقاليم السودان الغربي. أنظر: قائمة الأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد السودان الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين (الملحق رقم (1)، وكذلك خريطة الحركات الجهادية بالسودان الغربي (ملحق رقم (3)، الصور والخرائط).

575 - اضطراب المعنى المقصود لانقطاع السياق وعدم وضوح الكتابة في الصفحة 705 من المخطوط.

وأمهان فات، وأما همد فات فهو والد (...) همد والد زينب أحمد التي كانت زوجة لفرب بوكر في جم، وأما (...) فات فهو والد لامتور همد نوتاك وبوكر نوتاك، وأما همد نوتاك فهو والد بوكر همد فقط، وأما بوكر نوتاك فهو والد ملل بوكر وأولاده كد الآن، وأما حمى ملل فهو والد بكار حمى وصمب حمى وفات حمى وير حمى، وأما (...) حمى فهو والد همد بكار ولم يعقب، وأما صمب حمى فهو والد لامتور (...) ودمب تب وهي أمه ودمب هذا هو والد ممد دمب تب الذي لم يعقب إلا إناثًا، وأما فات حمى فهو والد لامتور مولى، وأما ير حمى فهو والد بكار ير ومحمود ير، وأما بكار فهو والد قلاج بكار الذي في لبد صمب كلاج (...)، وأما محمود ير فهو والد تبيل المعروف ببكار محمود الذي في ماسينا الآن وهو الذي تزوج ببنت صمب جاك الماتمي ثم فارقها، وأما بيت (...) قلاج فدس هو والد سري دس وصمب دس، وأما سري فهو والد لامتور حمت عال الذي [706] هاجر مع الشيخ عمر وهو والد سري حمت والد دس سري الحي الآن في قد، وأما صمب دس فهو والد حمى دس وقلاج صمب دس وبوكر صمب دس، وأما حمى صمب فقد هاجر مع الشيخ عمر أيضًا وكذلك بوكر، وأما قلاج فهو والد ممد قلاج والد دس ممد الذي لا يعرفون له الآن مقرًا وهو أيضًا والد سري قلاج والد عبدل سري المقتول في دطل والد بوكر عبدل المعروف ببوكر قلاج في قد اليوم، وأما صمب أمهان الذي هو صمب قلاج عال عل بني فقد مات في بنكوو وهو والد جب صمب وعلو صمب، وأما جب صمب فكان يلقب بلامتور جب وكان صالحًا وهو الذي كان لا يفارق الدلائل، وقيل إن سبب موته أنه قام ذات يوم من فدور راجعًا إلى كد إذ رأى تمساحًا بين ور مهدي وجوار فخبطه بمدفعه البارودي فانكسر المدفع فأفسد يده ومات لأجل ذلك وهو والد ممد جب وجاك جب وعبدل جب ومتار جب وصمب جب، وأما ممد جب فهو والد لامتور صديك والد ممد صديك المترجم الذي في بكل اليوم، وأما عبدل جب فهو والد لامتور ممد بوب، وأما صمب جب فهو المعروف بلامتور صمب الشهير الذي مر ذكره آنفًا ومن أولاده عبدل صمب وعمر صمب ومختار صمب وهم في قيد الحياة في قد اليوم،[576] وأما علو صمب أمهان فهو والد لامتور حمى كيسر وبوكر علو وقد بقي أولاد حمى قيسر في جور، وأما بوكر علو فهو والد بوب بوكر ودس بوكر وجم بوكر الأبكم، انتهى ما التقطته من أخبار سلسلب الذين في كد، والله تعالى أعلم.

576 - تعليق المؤلف: ولم يذكر لنا عقب الآخرين نسيانًا منا وذهولاً، والله أعلم.

451 - أصل قبيلة سل وفروعها

وقبيلة سل كثيرة متفرقة في فوت ويدعي الكل أن أصلهم من كد وزعم النسابون أن أصل قبيلة سل من رجل اسمه ساماب سمي باسم حية كبيرة بحرية يزعم البحريون منا أن البحر يتحرك بحركتها وأنها لا ترى غالبًا،[577] والله تعالى أعلم، وهو والد وكم ساماب والد بل أوكم والد برم بل والد سفان برم وملكان برم وإيكد برم وعمر برم وسمي برم وأجا برم وعل بنا برم وهم سبعة أولاد، وأما ملكان برم فمنه ملوك جادوت [707] في هليب، وأما إيدك برم فهو ملك جافط في تور، وأما عمر برم فهو ملك جالو في بمب، وأما سمي برم فهو ملك جرن في تور أيضًا، وأما أجا برم فمنه جاكرف فرب إرم ومنهم جم سيد في سلن وممد دد في سم، وأما عل بنا برم فمنه ملوك تور الذين يلقبون بلامتور ومنه غيرهم من بني عل بنا ومنهم العلامة الشيخ جبريل وسناتي بذكره بعد إن شاء الله تعالى، وأما سفان برم فمنه ملك جمف تور، وعن ألفا عبد في بناج أن سلسلب هاجروا من طور سيناء حتى وصلوا كد فمنها تفرقوا وانتشروا في البلاد فلذلك نسبوا إليها حيث كانوا (...) سلسلب كد وبعض منهم في بؤل وسالم وكانوا أصحاب بدعة فهدى الله باب سل من بينهم والله يهدي من يشاء

577 - طوطم الحية: الطوطم (Totem) أو المحرم المعروف بالتنه (Tane) هو في الأصل علاقة الدم بين الأخ واخته والتي تحرم التزاوج بينهما، ثم تطورت لتشمل الأصول التي ينحدر منها أفراد العشيرة، وقد اتخذت هذه المعتقدات الوثنية نظام عبادة عرف بالطوطمية، فأصبح كل فرد من أفراد القبيلة التي تنسب إلى نبات أو حيوان يمتنعون عن قتله أو أكل لحلمه، بل يقدمون إليه القرابين. وظل هذا الاعتقاد سائدًا لدى شعوب السودان وخاصة التي ظلت وثنية، فأسبغت على بعض النباتات والحيوانات والمظاهر الطبيعية صفة القداسة لأنها أنقذت أجدادهم أو أنها ارتبطت باعتبارات خاصة كالأقمشة ذات اللون الأزرق أو أحد أنواع الأرز الذي يزرعونه. ومن الروايات الشعبية التي تتعلق بأنساب بعض عشائر السودان الغربي والتي اتخذت مظهر عبادة الطوطم الاعتقاد السائد بأن أصل قبيلة سل رجل اسمه ساماب سمي باسم حية بحرية خفية عن الأنظار، وزعموا أن البحر يتحرك بحركتها، وأن البطل القومي ماري جاطة قضى على ملك الصوصو سوما نكورو عندما أصابه بسهم في رأسه من مهماز ديك أبيض مسموم، وهذا ما جعل السم ينفذ فيه رغم تحصنه بالسحر، فاختفى عن كل العيون بل تحول حسب زعمهم إلى صخرة تعرف حتى اليوم بقرية كوسيكورو. وقد ظل الديك طوطم خاص بشعب منجورو يعرف باسم تنه (Tenne). كما أن قبيلة الكايب كانت تعتقد في سمكة بنهر النيجر تظهر لهم في أوقات معلومة ولها حلقة في أنفها مما يضطرهم خوفًا منها إلى الاستجابة لأوامرها حسب زعمهم، إلا أن هذه السمكة قتلها زا الأيمن برمحه وتمكن من إقامة دولة السنغاي. كما أن جارا (Diara) كان طوطمهم الأسد لأن جدهم حسب معتقدهم رضع من ثدي لبؤة فأنقذته من الموت جوعًا وعطشًا. أما شعب الكوبالي فطوطمهم سمكة أنقذت جدهم من بين فكي تمساح.

أنظر: الكعت، ص. 27؛ السعدي، ص ص. 34 و54؛ البكري، 175-176 و 183؛ العمري، مسالك الأبصار.

Delafosse, Les civilisations négro-africaines, p. 65.

إلى صراط مستقيم، فخرج إلى أرض البياضين فتعلم العلم هنالك إلى أن مهر فيه ورجع إلى إخوانه الذين عند بحيرة فيفيو وسكن معهم إلى أن مات رحمه الله وأصله من سفان برم والد موسى سفان والد حمات موسى والد درمان حمات والد باب درمان الذي هو باب سل والد حمدن باب ومتار باب ولن باب وعبدل باب، وأما حمدن باب فهو المكتسب لأرضهم الحرثية في بناج وهو أول من سكنها منهم وحينئذٍ ستك في هركجر وقد سكن حمدن هذا في كود بوف قبل أن يسكن في بناج وكانت فيها حرائثهم وهو والد أحمد حمدن ومتار حمدن وحفص حمدن وكانت زوجة للمن عال والد الحسن لمن والد ألمام سري حسن وقد أعطاها أبوها حمدن حرائث أوريل وبال باو وتملكها ابنها الحسن لمن، وأما أحمد حمدن فهو والد عبد الرحمن أحمد وبوكر أحمد وعبدل أحمد ومتار أحمد، وأما عبد الرحمن أحمد فهو والد سارن متار وألفا عبدل، وأما بوكر أحمد فهو والد أحمد بوكر الذي لم يعقب إلا بنتًا، وأما عبدل أحمد فهو والد ممد عبدل وأحمد عبدل وسيد عبدل، وأما ممد فهو والد مصطفى ويب، وأما أحمد فهو والد ممد أحمد [708] وبوكر أحمد وكلاهما في المغرب الآن، وأما سيد عبدل فهو في قيد الحياة في بناج الآن، وأما متار باب فعقبه الإناث، وأما لن باب فلم يعقب، وأما عبدل باب ومتار باب ولن باب فقد هاجروا من تور وجاؤوا بعد حمدن باب فأسكنهم في دندور، والله تعالى أعلم، فما زالوا يلقبون كبيرهم بسارن فيفيو تلويحًا لمسكنهم الأول. واعلم أن من ذرية عال عل بنا بكار عال برم بل أوكم ساماب والد سلمن بكار والد داود سلمن والد حمى داود وصمب داود، وأما حمى داود فهو والد عال حمى وعبدل حمى، وأما عال حمى فهو والد إبرا عال والد سلي إبرا وسري إبرا، وأما سلي إبرا فهو والد عبد الله سلي المعروف بإلمان عبد الله وهو الذي سكن في سوريك وهو الذي أعطاه ألمام عبدل حرائث كلاط التي حرقها والتي حرقها جيرانه الذين أتوا معه ومن حرائثه وال وبارل وبارل الآخر وبين بين ومعناه في كلامنا فعل أمر مشتق من الغمز ومنها باركنكاب وهاداره وسملل وهر وهل هوت وهذه الأربعة المتأخرة شركة بين سلسلب وجاونب سوريك، واعلم أن هذه الحرائث كلاط كلها بين البحيرة سوريك والقرية كن، وقد انقرض عقب إلمان عبد الله سلي ولم يبق منهم إلا الإناث. وأما سري إبرا فهو والد بوب سري الذي هو حيموت تك والد أحمد بطايج وأحمد بلايج، وأحمد بطايج معناه أحمد الأحمر وهو والد ألفا راسن وأحمد الأمين، وأما ألفا راسن فهو والد بل ألفا وعلو ألفا، وأما بل فهو والد حيموت بل الذي في هركجر الآن

وبراهيم بل ومختار بل وهما في بعض جزائر البحر المالح الآن، وأما علو ألفا فهو والد عبدل علو الذي في هركجر الآن، وأما أحمد الأمين فهو والد سارن راسن الذي كان رئيس هركجر ثم مات ولم يترك إلا بنتا فلما مات تخلف عنه حيموت بل في رياسة القرية، وأما أحمد بلايج فهو والد تفسير راسن والد سري تفسير والد أحمد سري الذي في سكن في دكار الآن، وأما عبدل حمى فهو والد مالك عبدل وراسن عبدل، وأما مالك عبدل فهو والد حمات مالك والد داود حمات الذي أتى به جوم علو وأسكنه في جنسك قرية في قرب كنكل كما قيل، قلت ولعله فعل ذلك طلبًا للجيران، والله تعالى أعلم، وهو والد بوكر داود وصمب داود وبيلي داود [709] وحيموت داود، وأما بوكر فهو والد محمود بوكر الأعور الذي كان رئيس هركجر ثم انعزل، وأما صمب داود فهو والدبيلي صمب والد بيلي الذي جعل في القراءة الفرانساوية في ماتم فأبى وهرب إلى البياضين للتعلم إلى أن صار عالمًا ثم توجه إلى المشرق وكنا نسمع بأنه الآن في قرية السودان قرب مصر تسمى سنازو ونيته الحج، والله تعالى أعلم، ولبيلي صنب أخ اسمه مالك صمب والد صمب مالك والد بيلي صمب ومالك صمب اللذان في دنساط الآن، وأما بيلي داود فهو والد عبد الله بيلي والد ممد عبد الله الذي في سوريك الآن، وأما حيموت داود فهو والد صمب حيموت وعبد الله حيموت، وأما صمب فهو والد سيد صمب وسالف صمب، وأما سيد فهو في سوريك الآن، وأما سالف صمب فهو في جور في قرية تسمى عوين وكذا أخوه مكم صمب في عوين أيضًا، وأما عبد الله حيموت فهو والد بوكر عبد الله الأعور الذي كان يسمى سارن بوكر الذي كان بجنشن ثم صار في وال وهو أيضًا والد داود عبد الله الذي في عوين أيضًا، وأما راسن عبد الله حمى داود سلمن بكار فهو والد سري راسن والد عال سري والد هدي عال والد عمر هدي الذي كان يقال له ألفا عمر في هركجر وهو والد عبدل ألفا الصبي الصغير الذي هو مراهق الآن في أوان البلوغ.

واعلم أن الحرائث كلاط التي اكتسبها إلمان عبد الله سلي إبرا في سوريك فقد ورثها بنو سري إبرا لتعصب لأنهم أقرب إليه من غيرهم، والله تعالى أعلم. ومن أولاد سلمن بكار عال عل بنا برم بل أوكم ساماب: حمات سلمن والد سيد حمات الذي هو أول من لقب منهم بإلمان لوي وسنأتي بموجب ذلك وما يتعلق به، وإلمان سيد هذا هو والد أحمد إلمان والد سيد أحمد ومحمود أحمد، وأما سيد أحمد فلم يعقب، وأما محمود فهو والد إبرا محمود الذي هو ساكن في خاي الآن، والله تعالى أعلم، وأصل إلمان لوي لقب لكبير لوناب وهم جاجاب الذين لقبهم

جه بجيم عجمي بين الجيم والياء في زمن ستك داينينكوب ثم صار ذلك اللقب لكبير سلسلب في زمن ألمام عبدل أو بعده بقليل إلى الآن. قيل أن أصل جاجاب فلاّن من ماسينا من وطاب وكان لقبهم سه وغيره زاهدهم الحاج كاج مود كما زعموا وقال إن لقبه جه مشتق من جاد وهو غلاف حبوب الزرع البشنية إذا دقت سنابله وذريت في الهواء ليصفى حبه، وقيل إن أصل لقب جَهْ جهْ بالجيم الخالص، والله تعالى أعلم، وقيل إن الحاج كاج مود [710] هو الذي هاجر من ماسينا إلى هاير كال أي جبل عصاب في مرتن ووجد هنالك سلب فسكن معهم ثم ارتحلوا منه إلى موضع في مرتن أيضًا يسمى لول بال فسكنوا فيه مدة ولقب بذلك رئيسهم إلمان لول ثم صار إلمان لوي كما زعموا، ثم ارتحل من ذلك الموضع ذرية إلمان لوي الحاج كاج لأنه والد دمي كاج والد داود دمي وصو دمي وحو دمي وهي أختهما، وأما صو دمي فهو والد عثمان صمب وداود صمب وحو صمب وهي أختهما أيضًا، وأما داود دمي فلم يذكر لنا عقبه، والله تعالى أعلم.

452 - ذكر بنو إلمان لوي والوظائف التي كانوا يتولونها

فلما ارتحلوا من ذلك الموضع نزلوا في كداو قرية من قرى سلسلب فتزوج بحو صمب رجل من سلسلب ثم ارتحل بنو إلمان لوي من ذلك الموضع أيضًا فسكنوا في جول ومنهم من سكن في سلن، قلت ولعلهم سكنوا في تينك القريتين حين كان داينينكوب ساكنين هنالك، ثم ارتحل جلهم بارتحال داينينكوب إلى هركجر وقد قربهم ستك منه جدًّا، وقيل كانت لإلمان لوي إمامة المسجد وغسل من مات من الملوك من داينينكوب أو الوزراء وإذا كان الميت ستك نفسه فغسله إلمان لوي يعطى كثيرًا من الذهب وزعموا أن قدره صاع من الذهب مع ثيابه المفروشة وفراشه مع لباس جسده كُلاًّ، وأما الصلاة على الميت فهي وظيفة سارن جيك فيعطى على ذلك عبدًا إذا كان الميت ملكًا، وأما لي العمامة على رأس ستك في أول ولايته فهو وظيفة إلفك فيعطيه جوم جالل على ذلك ثلاثة من العبيد أو فرسًا يساوي ذلك، وقد كان داود صمب وعثمان صمب قد تركا أختيهما حو صمب في كد مع زوجها وقد ولدت له ولدًا أسمته باسم أخيها داود والد حمى داود والد عال حمى والد إبرا عال والد سري إبرا والد بوب سري الذي هو حيموت تك مالك وهو الذي ارتحل إلى هركجر أيضًا، ثم ارتحل إلى بل بب وسكن فيها إلى أن مات وقبره هنالك وقد سبقه إلى سكنى هركجر كثير من بني عمه سلسلب كما

قيل، والله تعالى أعلم، وأول من لقب منهم بإلمان لوي سيد حمات سلمن بكار عال عل بنا وأمه حو سيد عثمان [711] صودمي الحاج كاج وإلمان سيد هذا من بني عم سارن حيموت المذكور، وسبب تولية إلمان سيد هذا مرتبة إلمان لوي كبرسن أخواله الذين منهم سارن حمد سيد صودمي عثمان وكان هو إلمان لوي فلما كبر سنه وضعف خلف ابن أخته هذا مرتبته إلمان لوي وهو أول من لقب بإلمان لوي من سلسلب كما مر ثم انقطع تخلف أحدثهم مرتبة إلمان لوي إلى زمن ألمام عبدل فتخلف أحد أحمدين ابني سارن حيموت تك، ثم تواترت إمامة سلسلب لتلك المرتبة إلى الآن، وسارن حمد سيد عثمان صودمي قد انقرض عقبه، ومن أولاد عثمان صودمي حمد عثمان والد بوكر حمد والد حمات بوكر والد أحمد حمات الذي كان قاضيا في بندلوفي بوكر سعد حين رجع من فرك أي من الهجرة من جور أوسك إلى بند وقد مات أحمد حمات هذا وترك ولدًا اسمه عبد الله سارن أحمد في بند، والله تعالى أعلم.

453 - ذكر أول من سكن في فولل أولب وعقبهم

وأول من سكن في فولل أولب من جاجاب حمد عال كادر وسبب تسميتها بفولل أولب كثرتهم فيها وقد نعي إليهم موت فولل في وانود فركب قوالو فولل أولب إلى وانود وكان عددهم تسعين فارسًا من القوالين فقط، وكانت قرية كبيرة إنما أخربتها هجرة الشيخ عمر كما أخربت كثيرًا من القرى في فوت وغيرها وكان فيها قبل الهجرة سبعة مساجد من كبرها وكان ألمام عبدل يأخذ من حمد عال كادر نصف زكاة قرية فولل أولب كعادته مع أهل القرى في الزكاة، وحين ذهب مع ألمام عبدل لبعض غزواته وقيل بنقوو وأظهر شجاعة بالغة يومئذٍ ترك له ألمام جميع زكاة قريته وترك في يده فصل القضاء إلا الدم، وكلجن دور أصلهم من دمب كادر وهو أخو عال كادر والد همد عال كادر ولهم في كلجن أرض حراثة وإمامة مسجد كلياب ولجاجاب أيضًا أرض حراثة في سلن وبعض دورهم فيها، ومن أولاد عثمان صودمي بوكر عثمان والد عال بوكر والد بوكر عال والد عبد الله بوكر والد ملل عبد الله الذي كان رئيس فولل أولب وتوفي في عام 1920 من الميلاد(578) وتخلف مكانه محمد مود خليلنا الجيد والكريم المؤيد أدام الله ملكه وأخر هلكه آمين، وهو ابن [712](579) أختهم، وكادر هذا والده

578 - عام 1920 م يوافق 1339 هـ.

579 - كتابة غير واضحة وانقطاع في الكلمات مما تسبب في اضطراب السياق وغموض في المعلومات في الصفحة 712.

داود صودمي وأخوه عثمان صودمي والد عال عثمان والد بوكر عال والد عبد الله بوكر وخاليد بوكر، وأما عبد الله بوكر فهو والد ملل عبد الله، وأما خاليد فهو والد ممد خاليد وأحمد خاليد ويقال له أيضًا بوكر خاليد، ولعثمان صودمي أخ يسمى درمان صودمي والد بوب درمان والد ير بوب (...) بوب، وأما ير بوب فهو والد سيد ير والد ممد سيد ودمب سيد، وأما ممد سيد فهو والد الشيخ إسماعيل في بممب، وأما دمب سيد فهو والد إبراهيم دمب والد ممد إبراهيم في بممب أيضًا، وأما دمب بوب فهو والد حمد دمب والد دمب حمد وألفا حمد الجد ولي الذي كان في سنس بممب ثم توفي في مكة وهو والد (...) وهو لم يعقب إلا بنتًا، وكان فولل أولب محرثا لجاجاب حين كانوا مع ستك يف هركجر، فلما وقعت الفتنة بين ستك وتورب ارتحل جاجاب إلى بند فسكنوا (...) في جابل وسكن بعض كلياب في كجن فكان يقال لجاجاب سكجاب (...) لقطعهم أشجار جابل بغسالة الآيات المكتوبات وكانت غابة وثم (...) هو كبير جاجاب في جابل الآن، وبقي في هركجر بنو أختهم سلسلب وكان (...) يريد الالتحاق بهم فمات في بل بب قبل الوصول إليهم فلما رجع بعض جاجاب طلبوا من ألمام عبدل السكنى في فولل أولب فأذن لهم في ذلك ورئيسهم يومئذٍ حمد عال كادر وذلك أول سكناهم في فولل وكان عدد دور جاجاب فيها حين هجرة الشيخ عمر ثلاث عشرة دارًا، وفي هركجر منهم أكثر من ذلك ومات جلهم في تلك الهجرة كما مات غيرهم، والله تعالى أعلم. واعلم أن أحمد بطايج وأحمد بلايج أخوان لأب ولما وقعت الفتنة بين ستك ونورب ارتحل جاجاب إلى بند كما مر ولما سكنت الفتنة ورجع كلياب إلى هركجر (...) إلى بل بب وأتوا بأحمد بطايج وأحمد بلايج وولوا أحدهما الإمامة (...) إلمان لوي لقب أخوالهم جاجاب فما زالوا في رياسة هركجر إلى الآن (...) ولعل السبب في اختيار كلياب لأبناء حيموت تك مالك لقرابتهم من ألمام عبدل لأن والدته فطل بوب مالك وتسمى أيضًا كد بوب مالك وهي بنت (...) حيموت تك [713] وألمام عبدل هو الذي رفع أمر سلسلب وزادهم على ما كان لهم للرحم الذي بينه وبينهم حتى صار إلمان لوي الآن منهم لا من جاجاب، وقيل إن ألمام عبدل أعطى أهل رحمه سلسلب هركجر فل عند هل وفلل جلل هركجر أي حاشيته من الجانبين وسكلل فوير فولل جاوب وهركجر وغير ذلك، ومعنى سكلل عيدان مربوطة بلحاء الأشجار وهي آلة تحمل بها السنابل وتقدر بها قدرها للزكاة عندنا، ومعنى فوير ضوء النار، والمعنى أن كل موضع تضيء فيه النار أي فيه ساكن فليعطه سكلل من سنابل زرعه، والله

تعالى أعلم. ومن سلسلب الذين مع جاجاب في بند السيد العلامة والحبر الفهامة العالم العامل والولي الواصل والوارث الكامل السيد سارن جبريل المعروف بسارن جب بن سارن بوكر بن حسن كمبو حمات صمب بوب سلي ير سج قتم قو ران دكا يفي سلا عال عل بنا موسى، قلت ولعل موسى هذا يسمى أيضًا برم لأنه المعروف مما مر، وكان ير سج يقال له سارن ير وكان عالمًا كما قيل، وكان مسكن سارن جب هذا في فس دار قرية في بند وكان والدة والده سارن بوكر اسمها دكا تفسير دمب من كلسلناب وكان له أخوان سعد وأحمد ألفا أحمد رضي الله عنهم وقد هاجر بهم جميعا الشيخ عمر في هجرته وله الآن ولد في جور اسمه عبد الله جب ولسارن سعد أخيه بنتان إحداهما زينب سعد وقد ماتت وذريتها ممد زينب وبوكر زينب وهم في جور الآن، والأخرى كمب سعد وهي في جانكل، ولألفا أحمد أخيهما من الولد بوكر وصفية أحمد وكانت تحت داود سارن عبدل في عوين في جور وهو أخو بوكر جو، وأما بوكر أحمد فهو في جور الآن، ثم أن لسارن جب أيضًا بنتًا تسمى سخن هاجرت مع الأمير أحمد بن الشيخ عمر إلى هوس.

454 - من قصائد سارن جب في الوعظ بلغة الفلاَن

[714] واعلم أن سارن جب هذا كان شاعرًا جدًّا وعالمًا عاملاً حقًّا وتقيًا واعظًا صَادِقًا وله قصائد عربية وعجمية ومن أعظم قصائده الوعظيات العجميات[580] هذه القصيدة

580 - الوعظيات العجميات: لا نعرف عن حياة هذا الفقيه المتصوف والشاعر المجيد سارن جب من قبيلة سل بمنطقة فوتا تورو إلا ما ذكره المؤلف من إشادة به وما أورده من مقتطفات من شعره باللغة الفلاَنية في الحث على التصوف وحياة الزهد، وهذا الصنف المميز من الأدب الشعبي المعروف بالوعظيات العجميات يشكل لدى الشعوب الإفريقية وخاصة الناطقة بالهوسا والفلاَنية بالسودان الغربي وسيلة تربية وتعليم وإرشاد في بيئة تغلب عليها الثقافة الشفوية، فتأثرت باللغة العربية واستقت منها العديد من الكلمات كما أخذت منها أسلوب وطريقة النظم من حيث التفعيلة والقافية، كما اقتبست الحروف العربية واكتسبت طابعًا إسلاميًا في توجهاتها ومقاصدها، وسايرت ما كان يؤلف أو ينظم باللغة العربية.

والقصيدة التي أثبت منها المؤلف خمسة مقاطع مؤلفة من خمسة وخمسين بيت شعر، وبالرجوع إلى من لهم معرفة باللغة الفلاَنية، ومنها الطالب النيجيري فاروق كامرا، ويمكن تلخيص مضمونها كما يلي: ففي المقطعين الأول والثاني يذكر الشاعر سارن جب اسم الله الخالق المالك المميت الذي أنقذنا من الهلاك عن طريق إرسال جبريل عليه السلام بالوحي للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وينهي المقطعين بقوله: يا عباد الله توبوا قبل فوات الأوان، وفي المقطعين الثالث والرابع يصف الجنة ويذكر أن فيها نهر كل من شرب منه ارتوى، وفيها حور عين كأنهن أتراب سالمات من العيوب والأمراض، أما المقطع الخامس والأخير فيصف فيه نار جهنم ويذكر أن أهلها محرومون من الطعام فهم جياع ولا يسقون فيها إلا من ماء صديد، ولهذا فمن يريد الجنة فلابد له الاعتقاد بوحدانية الله ويلتزم بكلمة التوحيد وبالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت كما علق على ذلك المؤلف في آخر ما اقتطفه.

التي أنشأها زمن تعرسه وأول تزويجه في فس وهي من البحر المقتضب الواجب الجزل وزنته مفعولات مستفعلن ومثله وعروضه وضربه مطويان وجوبًا والطي عند أهل العروض عبارة عن حذف الحرف الرابع الساكن كفاء فستفعلن هذه ومطلعها:

بط فطر اندبج × الله مرتكتا × إن جتي مسكلتا × جم لامو منوجتا
يوير مايد مكون × برناطو مولكتا × إن كسني انبيج × سيوطو مجلتا
جبريل نها لفلر × سب دفت إن بودتا × بيسرن يمكر بن × جيمم يا منتتا
إياهي ولسيدي هي ميجي مايد هي تتا × توبى كبلطن تن × كركل درق تلتتا
دد فوجن هورماط × أد تادي دنه ستا × سط سمبن روزال × أد تادري دلافتا
سل إفو طدرل × سب جاجور لتتا × ساهسبي رود جوم × ساناي انمستا
جوم وإي كتكرما × أنذكر ود فلتا × سكللها كنفو × راهما في أهمتا
كوت جيان بلكل × بلجو بن مرنكتا × كردمما إكروما × وكلمو اسكلتا
سوهي أركما × سوركي أرنكتا × طرتيط إفوطدر × ط سكن فوجوو فرتتا
ادرناكبند جسد بنور دلقتا × إدجوري كليمب × هاوندي بكلتى

إلى أن شرع رضي الله عنه في ذكر يوم القيامة بعد كلام طويل في الوعظ أيضًا حذفته للاختصار، فقال:

جد إسرافيل وت × طملمم نتجتا × إب جلتي كبل هنو × دج ساكاط لنستا
هاكيطن إبنيمب × كم جنايج نابتا × هابوول جلبننم × حسبورى نفادتا
إب جتو ناق بدو × كامبي كوطتا × كاديج نفت تر × ط لمدى كوط سوطتا
كلمنلوط هن أني × ناقا كادفتتا × ابتتي تلكمب × بت كوطى ممكلتا
ابكسبي يليد أني × أسماءوج لتتا × اطساكي كنت سرد × وطدى دفر جيبتا
هلتن هن تط جن × بنوو مبننتا × ون كنقل توط هان × جلهن جيك همفتا
يوستار جمن فل × بط جاكي برنكتا × بن ملاب بن نات × الجنا بسامتا

[715]

إن جكبمليكاج × ين هيتاب جايكتا × ميجي سمبن تن × تسكن سمب قبتا
كاف صراط كن تن × بنداب بن جايكتا × جيعط أسماء وجهتن × دي كبيد
هتتا

بولي مجنو جك × كل جوب مرنكتا ×

ثم قال رضي الله عنه في وصف الجنة جعلنا الله بفضله من أهلها آمين:

الجن ككنك وطتا × ممنليد دجبتا × أركلمم نطي مسك × دمطاجي نادتا
اطسونو كبايجي × تونا طي لمجدبتا × سوروج إد كرجا × ج كونيط طكنفتا
طي ماري كنك سوي × طايد نوت لمجيدتا × طاكجت طي ندنو × طي يويو
طنبتا

و إذ نلاط دنتن × كل جرطهن طمطتا × جاريد ككنك لط × جبنوج طسايلتا
بر لمبمو لد × فيد سنكاد ديورتا × أتراب كلجل روب × حور العين بردتا
تك مب إدو بمب × صف مبني مسارتا × إبجمط بجلب باد × هن بتلاج جتتا
ساداريب جايطا × هند أررط دارتا × صوفمب كومكربل × إببيد وبجمتتا
إبغميش كل كجما × براسا بتمفتا × إببطت لياس كنك × جلبوجي طنبتا
إبفو هدللي سمعت × كانداط طعيبتا × تلاج لئورنور × نيمبي تيلمتا
إببي هنناف هم ك × فنجاكي نهينتا

إلى أن قال رحمه الله تعالى في ذكر الجنة لا حرمنا الله تعالى دخولها:

لاكنك كجاطي × جامر طي طكتطا × إط جلب طفول ناق × دجلبايد دفكتا
طي دنوت طايدنوتا × سب ببول كوتا × ساجامي أيلتتا × جوتاما وتتا
إبجردي سال ستلا دج كنك حرمتا × سكلن كممليكا × دج كلوب بكابتا
إبتكي كدط مب × سلكن كن نيوتا باسنكوكنك كجمتا جوكالس كجرمتا

إبجو طي دونط كنك × سكاجي طسدتا × منفف إنه كط × داياوابد لزلتا
إبجوبر أدنيار × إباقنو ببسكتا × سبكاج ييدتا × ربنتابي دهفتا
إن أم جوج لط × طنكبر وج كسدتا × أييتا تن ناوكجم × جاكل تنب نبتا
أط هكد فطل ناق × كمفجري دجولتا × بن يمبي بمايتا × بدنيوا بجلتتا
بن جوتا بتمفتا × كد جولا بكورتا × اطبيد وييد جومرا × ط كطمن سارتا

[716]

كمكا جاتمك × كالن كطم دكسدتا × إن ترريم بج كل × سبسيواط سيوتا
هدى فردوس سطو × دج لاموكنتتا

ثم قال في وصف النار أعاذنا الله تعالى منها:

صف جيك كجمد وطتا × هنليدي دجبتا × جرتي مجني دطليكا × هبوو دستا
إكورورت بسجايط يقباير × ليطي تفطتا × جاينكل كاف تسهن × طم جنتام
بننتا
إك فر إكساج × سسكل فيل بيفتا × إك مهنا سوط جمد × سسناطي جنسنتا
لولود نسوم سوط × كندن طنن فايجتا × دو كاف بكر دكف × رننا باي نادتا
إبجكي لط كاط × تج سوط بكارتا × إبجرني سود فسد × دف سوطي طلرجتا
إب جبناست جمد × ير كرجي طجبتا × إطلوسن بنك باد × سنكلد دجمتتا
إب دابسي ست جمد × إبكبا ببنستا × إك لوب كبن جيب × لوبايكي نلنستا
إبكاس بفت جيك × إك فبا بجيدتا × هن كاسال بمط كر × دندط كم سايرتا
إك روي كساك قايت × إك جرجرت إك رتا × إك فب بكيت باد × جن تاري فلككتا
إك ناتي كد بل × إك دفلو كهدتا × كركوج أوت كط × بن مايا بكورتا
سايبي كنسل فل × كرجوما آدا جتا × ساغو سوي كوب إك × جننتما كويلتا
جه جبو يل فلو × إط نس إطك فتو × إن موليم تكطا × نطي توكي طيتتا

دد تن ساملماط × هت ننا ندجرتا × الجن دلت دطا × بن ييتي كدو ستتا

توحيد إجولد كجم × جوكلما دكسكتا × هر رمضان حج سا × كتمطود كجتا[581]

قلت ولو لم يكن في قبيلة أهل سل إلا هذا السيد الجليل والحبر النبيل لكفاهم منقبة ولكانت لهم به مرتبة وأي مرتبة. واعلم أن سلسلب كثيرون في فوت جدًّا وهم متفرقون في قراها، ومن المنتسبين إلى عال هل بنا ذرية دمب عال في جفان سلسلب ومنهم [717] أهل سل في همد هنار وذرية حمى عال في ورسوك وبيناج وبكجو وذرية فوقا عال في فود إلمان وذرية بكار عال في سوريك وهركجر إلى غير ذلك، والله تعالى أعلم، وذرية مات عال وحمى عال في دناي وسنأتي بذكرهم في تاريخ سايلوب الآن إن شاء الله تعالى.

455 – أصل قبائل سايلوب وذكر من تولى أمرهم وبعض عاداتهم

فنقول وأما سايلوب فأصلهم من رجل صالح اسمه عال سايل بضمة عجمية على اللام وزعموا أن أصل هذا الرجل من جلب ماسينا وكان في مرتن في موضع يسمى عند البيضان هباير بإمالة الباء العجمية كما قال بعضهم

تشوق مولود إلى وصل خرد

لهن مصيف في هبير وسيم، إلخ.[582]

وكان عال سايل عالمًا فقيهًا صيادًا أيضًا يصيد الوحش كثيرًا وكلما صاد صيدًا صير لحمه سيور[583] لييبس لحمه سريعا وهو القديد، وكان له ربع أي بناء مربع من قصر وهو هبير في كلامنا وكان يعلق عليه سيور لحمه وكان أهل قريته كذلك يفعلون فسموا قرية سايلوب والمعنى المصيرون اللحم سيورًا وهو معنى سايلكل في كلامنا، وسيور اللحم نسميها سايل، وكان كلما تخاصم اثنان يقال لهما سيرا إلى قرية سايلوب التي فيها عال سايلوو أي المصير اللحم سيورًا ليفصل بينكما فإنه رجل صالح فقيه وكل من له حاجة من زوال آفة أو جلب منفعة يقال له سر إلى عال سايلوو فجرى اللفظ لقبًا له غلبة وتنوسي لقبه

581 – تعليق المؤلف: إلى آخر القصيدة وقد ذكر فيها رضي الله عنه القواعد الخمس الإسلامية من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وأحكامها الفقهية نفعنا الله به في الدارين آمين، ولم أر الآن من يحفظها كلها في فوت، والله تعالى أعلم.

582 – تعليق المؤلف: وهبير هو جوار في مرتن وسيم عندهم هو سيم عندنا، والله تعالى أعلم.

583 – سيور: شرائح رقيقة على شكل خيوط متينة.

الأصلي جل وذريته الآن هم الملقبون في جوار بسايل، والقرى التي كانت مجاورة لقريته ويمتثلون أمره وينقادون لحكمه ويطلبون بركته هم المسمون الآن سايلوب في تور ومن قراهم جوار وبوي ودناي وهلوار وجما ألوال وسيم وجاتار ودطل وناحية من كد وليس [718] من كودت ولكن رؤساؤها من قبيلة آن وكانت قبيلتهم بيتين أحدهما مع سايلوب في مرتن وهو كبير سالوب حينئذٍ هنالك إذا اجتمعوا، والبيت الآخر في سنكال وهم أمراء كودت وهم الذين كانوا في ملك لامتور ولكن لم أسال المخبر أين صار البيت الذي كان منهم كبير سايلوب في مرتن إذا اجتمعوا حين صار سالوب في سنكال الآن، والله تعالى أعلم، ومن عادات سايلوب أن يختاروا أكبرهم سنًّا من أهل جوار أو بوي أو دناي وقد يكون هذا الكبير في قرى سايلوب غير المذكورة كما قيل، والله تعالى أعلم. ثم إن جم له أتى إلى عال سايل وتلمذ عليه وسكن معه وعلمه عال سايل ما كان عنده من العلوم وفي تلك المدة أتاه جم سه أيضًا وصاحبه إلى أن مات عال سايل بعدما ولد أولادًا فقام ابنه سليمان يطلب ملك أبيه فزجره بعض أصحاب عال سايل قائلين إن جم له أحق بالخلافة عنه لأنه وارث علمه فاتفق الحاضرون على تمليك جم له فبكى سليمان بن عال سايل فرحمه جم له لكونه ابن شيخه وأمرهم أن يخلفوا سليمان فخلفوه إلى أن مات فقام بأمر سايلوب بعده جم له، ومن ذرية عال سايل إلمان سلي المعروف بسليمان بن حبى الجواري الذي انتشر صيته في الآفاق بالعلم والشعرو كان شاعرا مفلقا وله قصائد عربية وعجمية كثيرة منتشرة في فوت وله قصيدة عجمية قالها حين مات إبر فات الذي كان من أشجع صناديد سايلوب وكان يحرسهم في الشتاء والصيف من البياضين وفي الخريف من فلاَن جلف، فلما مات إبرا فات هذا أقام سايلوب في البر ولم يجسروا على أن ينزلوا إلى البحر أربع سنين خوفًا من البياضين، فلما طال أمد الخوف قام إلمان سلي وصعد فوق سطح داره وأنشدها رافعًا صوته وهي:

يا سل يا بومات طلي فوتم هري × [719] نداي بروب إسايت أوتي دلبري × دنتن بتُنْ

جم ليد جلتن سارمن × وتجيابطي برسار إبرا لو ترى × إلى أخرها فما استتمت الأبيات إلا وارتحلت قرى سايلوب وتسابقت إلى البحر فما زالوا على عادتهم من النزول والصعود إلى الآن، وقوله يا سل يا بومات هما قبيلتان من سلسلب في دناي يقال لإحداهما بومتناب وهم من مات عال عل بنا والد بوب مات، إلخ، والأخرى سلناب وسنلم بأنسابهما هنا بعد إن شاء الله تعالى، والمراد بقوله بروب أصل كلخ في دناي، وأما دلبر فكانت مرسى السفن

الفرانساوية عند دي قبل بناء قصر فدور وقد مر ذلك في تاريخ كيرناب، ومن عادات سايلوب أنهم لا يقدمون أحدًا إلا من قدمته حاله أي رأيه وعقله وشجاعته كإبرا فات في أيامه، ومن عاداتهم إنكاح كل من خطب إليهم إلا أن يكون من أصحاب الحرف المزرية في فوت كالحواتة والدباغة والنسج والحدادة، والسؤال كالقوالين ونحوهم فلا ينكحونهم، فالحواتون والموالي أكفاء عندهم، هـ. وقيل إن جم له لما تخلف في مرتبة عال سايل في جوار ذهب كبير ولديه إلى كجور يتعلم العلم ومات جم له قبل رجوعه فتخلف أخوه الصغير مكان أبيهما في جوار، ثم رجع الكبير من كجور ومعه كثير من تلاميذه الولفيين وطلب من أخيه الصغير أن ينزل له عن الخلافة فأبى فلذلك ارتحل الكبير إلى بوي مرتن وسكن فيها وقدمه رؤساء أهلها وهم أهل اللقب جاك على إمامة مسجد بوي، فلما صار الأمر لتورب في زمن ألمامات فوت قويت شوكة ليدب وقيل إن جاكب لما ارتحلوا وتفرقوا في البلاد ضعفت شوكة الباقين واستولى ليدب عليهم لذلك وقيل تفرقوا في قرى سايلوب فبعضهم في دناي وبعضهم في جوار وبعضهم في قيا وبعضهم في بوي، واعلم أن أبناء سايل وأبناء جم له صاروا يتنازعون [720] الولاية على القرية جوار إلى الآن[584] ولكنهم وجدوا في جوار سنكال قبيلة هي أقدم منهم قدومًا إليها وهو لولناب، هـ.

456 - قبيلة سلسلب دناي ومكانتهم بين القبائل وذكر تنقلاتهم

وأما سلسلب دناي فقد قيل إنهم من مات عال عل بنا والد بوب مات، إلخ، فمنه بومتناب، وأما أهل سلناب فهم من حمى عال عل بنا والد عمر حمى والد ير عمر وإبرا عمر وحمى عمر، وأما إبرا عمر فهو والد فات إبرا وير إبرا، وأما فات فهو والد إبرا فات الشجاع المشهور في سايلوب وهو والد حمات إبرا وبوكر إبرا، وأما حمات إبرا فهو والد ممد حمات وبوكر حمات الحي الآن في دناي، وأما ممد حمات فهو والد حمات ممد رئيس دناي اليوم وهو وإخوته بوكر ممد وعبدل ممد ومحمود ممد والحسن ممد كلهم في قيد الحياة اليوم في دناي أيضًا، وأما بوكر إبرا فهو والد بوكر إبراهيم المشهور بألفا إبراهيم وكان فقيهًا وهو والد محمد الصالح بن ألفا إبراهيم وهو المخبر. وكان سلسلب دناي لا يتناكحون مع سلسلب

584 - تعليق المؤلف: قلت ولعل الخلافة عن عال سايل بعد موته والخلافة عن جم له ونحوهما خلافة في إمامة المسجد وفي تعليم المدرسة فقط لا في الملك ثم صارت الآن ملكًا، والله تعالى أعلم.

كد تانفا منهم لأنهم اختاروا الدنيا على العلم والدين، وأما سلسلب دناي فلا يشتغلون إلا بالعلم والدين ولا يتناكحون إلا مع سايتب أي أهل قبيلة سايتب ونحوهم من أهل الزوايا كأهل قبيلة وون في دناي وهي قبيلة مباركة فيها بمثابرة العلم والعمل وقد لازموا العلم قديمًا وحديثًا وكانت الملوك من لامتورات وغيرهم يتبركون بدعائهم جدًّا ويرغبون في بركتهم غاية ومنهم السيد الكامل والعالم العامل [721] التجان الكيهيدي مسكنًا نفعنا الله بهم آمين، وكان سايتب رؤساء دناي لا يشاركهم فيها أحد غيرهم، فلما قويت شوكة سلسلب غصبوها وصارت دناي بين القبيلتين يتداولونها، وفي رواية أن دناي كانت في مرتن وتسمى هنالك عند البياضين ماو وكانت رؤساؤها هنالك الذين لقبهم سايتب، وكانت سلسلب حينئذٍ تحت أمرهم إلى أن كثرت فتن البياضين لهم فارتحل سلسلب إلى سنكال وعمروا دناي سنكال وكبيرهم يومئذٍ رجل من ذرية ير عمر الذي مر ذكره آنفًا اسمه إبرا ير عمر أحد سلناب، وأما سايتب فإنهم تفرقوا فمنهم الذاهب إلى دي لأنها أقرب لدناي مرتن التي هي ماو وظانين أن الناس سيرجعون إلى مرتن عن قريب لئلا يسبقهم أحد غيرهم إلى محلهم المألوف، ومنهم الذاهبون إلى دناي سنكال وسكنوا فيها مع قبيلة سل إلا أنهم ضعفاء تحت أمر أهل سل، ومنهم من تجاوز إلى فوت وهذا هو سبب تقوية سلسلب على سايتب، وأما الذين يلقبون بقلخ فهم أئمة مسجد دناي، واعلم أن ترتيب مساكنهم حين كانوا في مرتن: دمت من جهة المغرب ويليها في القرب منها ماو التي هي دناي ويليها هباير التي هي جوار ويليها سيم وهكذا تتابعت قراهم إلى جهة المشرق، والله تعالى أعلم. انتهى تاريخ سايلوب ويليه تاريخ دي.

457 - تاريخ دي: ذكر مواطنها ومن تولى رئاستها

وكان أول من يملكها مال دي ويكون في قبيلتين إحداهما تال والأخرى كي وقد انقرضتا الآن جميعًا ثم صار الملك لجوم دي وهو جوم برجل وهو من قبيلة وت، وكان سلسلب هم الملكون لمال دي قديمًا ثم هم الملكون لجوم دي الآن أيضًا، قلت والمراد بسلسلب لامتور لا غير، والله تعالى أعلم. وقال عثمان عال وقد أخبرني محمد علو أحد كنهنب دق في كاجوب أن جوم برجل من جملة دكناب يوطي اسم موضع [722] بين سرمل وقلي، وكان وتوتب هم الذين يسكنونه والذين منهم في كلي الآن هم الذين يأخذون زكاتها، وقيل إن جدهم لما ارتحل عن فوت وتغرب نحو تور ومعه قومه مروا بدي ووجدوا مسود في يحارب البياضين

أو أهل وال برك، فطلب مسود كي من هؤلاء، وتوتب المكث معه والحجاب بينهم وبين أهل الشر ووعد لهم إن نصره الله على أعدائه سيقدمهم على رياسة القرية ويعطيهم ملك ما بين البحرين السنكاليين من الحرائث، فلما نصره الله على الأعداء أنجز لهم الوعد، فلذلك قيل إن لهم الكثير من الأراضي الحرثية حتى قيل إن إلفك دده وسارن آس وإلمان جوف وجكدن قول يحرثون من أرضه الحرثية وكان ينبت فيما بين البحرين نبات تسمى برجل فلذلك لقب بجوم برجل، والله تعالى أعلم، وقيل أيضًا أن برجل اسم نبت هنالك تصنع منه الحرطانيات الحصر، وفي دي أيضًا مورد في البحر يكثر منه هذا النبت فسميت الناحية التي ترد الماء من ذلك المورد ببرجل، ومسكن أمير وتوتب في تلك الناحية من القرية فلقب لذلك بجوم برجل وهي في وسط دي ولا يملك غير تلك الناحية ومال دي من تالب في مغرب القرية وقيب في مشرقها ويتناوب تالب وقيب ملك دي ولكل نائب منهما مال دي، والله تعالى أعلم، وقيل إن جوم برجل ليس له كلام إلا في داخل دي فقط، وأما في خارج القرية كخروجهم لجيش بل ولو لاحتطاب الحطب فقيقيب هم المقدمون، وأما الذين يلقبون بسك فلهم إمامة المسجد من غير منازعة أحد غيرهم فيها، ولا يكون جوم برجل إلا من وتوتب والذين لقبهم فام هم الذين يملكون جوم برجل في دي أي يختارونه ملكًا، وأما في قيا فلا يكون جاقيا إلا أحد من فامب ويملكهم الذين لقبهم وت في قيا عكس عادتهم في دي، وقيل إن مسود كي هو أقدم في دي قدوما وكان مسكنه في مرتن ثم بعد ذلك آتاهم دواولد كبير تالب من جهة [723] سنكال فصاروا يتناوبان مال دي فتارة لقيب وتارة لتالب، وقيل إن جميع ما أتاهم من جهة مرتن من لقطة وضالة وأجرة إطلاق المسجون، ونقول له في كلامنا نبترد وكذلك جميع ما يؤخذ لبيت المال فذلك كله لمال دي من قيب وجميع ما أتاهم من مثل ذلك من جهة سنكال فجميع ذلك لمال دي من تالب، والله تعالى أعلم ثم اعلم أن أنساب أهل وت في دي تنتهي إلى فاتم معاد والدة مود فاتم ودج فاتم وحمى فاتم، وأما مود فاتم فهو والد ببكر مود والد ألرب ببكر المعروف بجوم ألرب والد عثمان جوم وسليمان جوم، وأما سليمان فهو والد صمب متر الحي الآن في دي، وأما عثمان فهو والد جوم مود وجوم سري وجوم حمات الذي هو رئيسهم اليوم، وأما دس فاتم فهو والد حمدن دس والد حمات حمدن والد بوب حمات المعروف بجوم بوب وهو والد ممد جوم وحمات حمدن سمي جده وجوم عمر والد جوم برا الحي الآن في دي وهو أيضًا والد ببكر جوم ومالك جوم وشيبة جوم وعبد جوم وعلو جوم، وأما شيبة جوم فقد مات

في ماسينا في هجرة الشيخ عمر، وأما مالك جوم فقد مات في كجكار، وأما عبد جوم فقد مات في رجوعهم في الهجرة إلى فوت حين دخل ملك فرانس لتلك البلاد سدا، ولجُوْم بُوبْ أيضًا من الولد عمر جوم والد ممد عمر ومالك سه وببكر عمر الأحياء الآن في دي ولجوم بوب أيضًا مالك سه والد ممد مالك والد بوب ممد، وأما حمى فاتم فهو والد عال حمى والد صمب عال ودمب عال وفات عال وير عال، وأما صمب عال فهو والد حمات بنل والد صو حمات والد سري صمب، وأما دمب عال فهو والد حمات جما والد كيا داد والد بوب كيا، وأما فات عال فهو والد حمات فات والد بريج الحي الآن في دي، وقيل إن أصلهم من سبلل كنت، اهـ ما عندي من أخبارهم، والله تعالى أعلم.

458 - قبيلة سارب قول: أصلهم ومواطنهم

تاريخ سارب قول [724] أي الذين لقبهم سار في قول زعموا أنهم هاجروا من ساران في أرض سارار وكان واحد منهم اسمه بكر ولقبه سار فتزوج في القرية المسماة بك فولدت له زوجته أولادًا ومنهم سارب بك مثل دري عال حو وغيره، ومعنى بك في كلامنا شجرة التيدوم عند البياضين، ثم ذهب بكر عنهم وأتى بوجايل فتزوج فيهم أيضًا فولدت له زوجته أولادًا منهم موسى بكر الذي هو أصل سارب قول، ثم مات بكر وكبر ولده موسى هذا فاتفق أن ألمام عبدل أراد أن يغزو أرض البياضين، قلت ولعل ذلك حين أراد غزو عل الكور، فاجتمع جيشه يريدون قطع النيل بالسفن والعوم للخيل وبعض الناس فطلبوا من يحجب لهم عنها فأحجم الحواتون الحاضرون يومئذٍ عن ذلك خوفًا من الفضيحة فانتهز موسى بكر هذه الفرصة وكان أسحر الحواتين فقال أنا القادر على ذلك فقال له الإمام ما كيفية حجابك فقال شيئان أحدهما أن يذكر كل واحد من العوامين اسمي فقط فلا تضره دابة بحرية والآخر أن أضرب بمدفعي دب هذا وهو اسم مدفع طويل له فم واحد فكل موضع في النيل انتهى له سماع صوته فذلك الموضع لا تضر فيه دابة نيلية أحدًا أبدًا، فاختاروا الأخير فضرب مدفعه دب فدخلوا في النيل يعومون فقطعوه إلى العبرة الأخرى وهي مرتن سالمين، وكان موسى بكر قد شرط على الإمام جعلاً وهو أن يعطيه أرضًا يحرثها قومه إن سلم الجيش من دواب البحر ذهابًا وإيابًا وكان قد ابتدأ في سكنى قول، فالتزم له الإمام ذلك، فلما رجع الجيش وقطعوا البحر إلى العبرة السنكالية سالمين ذكره موسى بكر بالجعل المذكور، فقال

نعم إن استرحت سآتي إلى جهتكم تور وحينئذٍ أنجز لك الوعد، [725] فلما استراح الإمام قام مسافرًا إلى تور فالتقى معه موسى بكر عند كد فقال له الإمام سآتي إلى قريتك وحينئذ أنجز لك الوعد، فلما أتى الإمام إلى فدور جمع أهل جوف وأهل قول وجعل الحد بينهم في الحرائث وادي فايل بين جوف وقول إلى وادي بل إلى وادي ألنود إلى ولتد صو دمب المتفرع من النيل الفوتي من جهة سنكال ثم حاذاه في جهة مرتن وهو وادي دب هفيد ودب بمعنى دمب تخفيفًا وجعل الحد بين أهل قول ودي في جهة سنكال تكي مود وتكي من كلام أهل دمت بمعنى تكر وهو فود نصفه لأهل قول والآخر لأهل دي وجعل الحد بينهم من جهة مرتن كرل جنك ومعنى قرل جانب من أرض حاشية البحر مرتفع، واعلم أن في قول أميرين الكبير ويلقب بجكدن ولا يكون إلا من نسل موسى بكر وهو مالك القرية وأراضي الحرائث والأمير الآخر يلقب بجرن ولا يكون إلا من قبيلة ساغو وهو أمير البحر وكل من يقطعه بماشيته أو بحموله فجرن هو الذي يقطعه البحر بسفينته ويأخذ منه الكراء وهو مالك الإجارات البحرية وكراء السفن، انتهى والله تعالى أعلم.

459 – قبيلة سيم: أصلهم ومواطنهم وعلاقاتهم ببعض القبائل

هذا تاريخ سيم، قال عثمان عال وأما أهل سيم فإنهم من جملة جاوب كما أظنه والدليل على ذلك هجرتهم أولاً مع جملة جاوب وقد هاجروا مع جاوب في أيام سارن سليمان بال إلى كبل وبقيتهم فيها إلى الآن ثم هجرتهم ثانيًا حين ولي إلمان راسن والد كفتاين ممد راسن أمرهم في سيم فارتحلوا إلى إخوانهم جاوب دومك وسكنوا في هورول ولعله اسم واد أو حرائث وسكنوا في ذلك الموضع مدة ثم رجعوا [726] إلى سول، والحاصل أنهم قد مكثوا فيما بين هورول وسول سبعة أعوام ولما حصدوا حرائثهم في العام السابع قام بعضهم حاملين زرعهم ذاهبين إلى فدور فرآهم أحد وزراء إلمان راسن في السوق فرجع إلى إلمان راسن وأخبره بأنه رأى واحدًا منهم في السوق فقام إلمان على الفور ذاهبًا إلى كمادي فدور وعلمه الخبر فأخذهم كمادان ومن جملة المأخوذين عبدل إلمان وببكر إلمان وهما من أبناء إلمان عال ومحمد الأمين وأحمد ير وإلمان ممد وحمدن بوب وإلمان أحمد فغربهم كمادي إلى أندر ومكثوا هنالك مدة، وأما ببكر إلمان فإنه قد رجع بعد شهر أو شهرين لشيخوخته وكبر سنه ومكث هنالك الباقون حتى تمموا ما حُدَّ لهم فأمرهم أندر بالرجوع فرجعوا إلا أنهم ما سكنوا

في فدور بعد ذلك، والحاصل أنهم لما رجعوا إلى سول ارتحلوا عنها وسكنوا كلهم في جاتار إلا أحمد ير والد حامد أحمد العالم الذي كان متلمذًا على سارن أحمد مختار ساخ بل إنما ارتحل أحمد ير إلى كبل فرارا بدينه وسكن فيها إلى أن مات رحمه الله تعالى، ومن عوائدهم أن إلمان سيم إذا ولي الأمر يولي من يليه في السن من سيسيب سيم ويلقبه لام جان وذلك أن لام جان هو الذي يتولى رمي السحر على واديهم ليكثر الحيتان المأخوذة منه ويأمن من دخل في ذلك الواد من عض التماسيح ومن الغرق أيضًا ثم إن حصل للحواتين أخذ الحيتان يعطوا لامجان كثيرًا من حيتانهم فيقسمه بين صلحاء سيم كإلمان ومن يليه إلى آخر المراتب وهكذا دأبهم من أول أمرهم إلى أن مات والد إبرا عال فأراد إبرا عال الذكور إرث مقامه لامجان فخالفه كبار سيم فخلفوا سارن حمى لأنه أكبر من إبرا عال سنًّا فخالفهم إبرا عال ومعه جملة من الحواتين فخلفوه [727] ولم يحصل لهم في ذلك العام إلا الحيتان الصغار فقال الحواتون وهذا إلا لتخالفنا عادتنا من تقديم الكبير سنًّا وكنا إذا قدمنا الكبير يحصل الكبار من الحيتان ولأن لما قدمنا الصغير لم يحصل لنا إلا الصغار، قال عثمان عال تالله إن هذه العادة لقريبة من عوائد جاوب كجاوب داو وغيرهم من قبائل جرب، والله تعالى أعلم، ولإلمان سيم بوجلناب وكانوا يسكنون أولاً تلل لل وهو موضع في مرتن شرقي فدور، وقيل إن لل اسم رجل من جاوب وكان يسكن هنالك وهو والد صمب لل الذي يزعم الناس أنه أخذ أول لقمته من الحيتان أو الطعام المأدوم بالحوت، وقال صب لل جل وقيل دل بدل جلل لا تصيبه شوكة من تلك الحيتان أو الطعام، وقيل إن لل من الحواتين لا من جاوب، والله تعالى أعلم، وقيل أن إلمان سيم هو الذي يولي بايل مك وهو اسم رئيس بوجلناب وبايل مق هو الذي يولي جالتاب، والله تعالى أعلم.[585] قلت قول عثمان عال المتقدم وأما أهل سيم فإنهم من جملة جاوب كما أظنه يمكن أن يكونوا من أنفسهم أو من مواليهم، وقد أخبرني عثمان عال أيضًا بأن بعض جاوب دومك أخبره بأنهم كانوا يتركون مواليهم وعبيدهم في سيم ويرتحلون بالمواشي في الفلوات وسودانهم ساكنون في سيم يحرثون حرائثهم، والله تعالى أعلم، ويمكن أيضًا أن يكونوا منقطعين إلى جاوب وقد صيروا نفوسهم منهم كالمنتسبين إليهم من

585 - تعليق المؤلف: وفي كبل إلى الآن دار من سلسلب منها أرط يسمى دمب هاو وقد صار (...) من جاوب كبياب، وكذا في كبل أيضًا إلى الآن داران من ليدب ومنهما (...) أحدهما يسمى أحمد (...) وقد مات (...) فيها يقدم (...) جكياب (...)، والآخر يسمى سعيد (...) قد مات وأولاده يعدون مع وبناب ومثل ذلك كثير، والله تعالى أعلم.

بقية تورب لوجاهة جاوب حينئذٍ وكثرة مالهم وقوة سلطانهم، وقد أخبرني بعض الحذاق من جاوب أنه كان في الزمن الأول حين كان فوت يجتمع في كنط قبل فقال وكان منزل جاوب في ورسري ولا ينزل فيها غيرهم وكان إذا مات منها ميت يرسلون فرسًا إلى جاوب كبل [728] للنعي، ثم لما استفحل أمر تورب تجاهلوا وجهلوهم وقطعوا مواصلتهم والعياذ بالله تعالى، وكان جاوب ينكحون من ليدب وسلسلب وسيسيب وكذلك ينكح منهم هذه القبائل وغيرها وكل هذه القبائل المذكورة وغيرها في كبل الآن وكانوا أولاً فلاّنًا كجاوب إلى الآن لأن ذلك الزمن ليس فيه تورود وإنما في ذلك الزمن الفلاّن أو البيضان أو سب الذين هم السودان غير الفلاّنيين في اللسان، وإنما ظهر أمر تورب ابتداء في زمن سارن سليمان بال وألمام عبدل لا غير، اهـ، والله تعالى أعلم، وقد زعم إبرا عال من سيسيب سيم أن جم سي هو والد بكار جم والد عال بكار وداود بكار وغيرهما، وأما عال فهو والد الحسين عال وحمى عال وذريتهما هم الذين يكون منهم إلمان سيم قديمًا وحديثًا، وأما ذرية غيرهما من بني جم سي أو بني بنيه الآخرين فلا يكون منهم إلمان سيم عادة، فلذلك أبوا عن إمامة إلمان راسن والد فتاين ممد راسن لأنه من ذرية غيرهما من سيسيب الآخرين، وأما داود عال فهو والد مالك سه الذي منه ملوك بند، وزعم أيضًا أن سميه إبرا عال صمب كان متزوجًا بسخن حن من جاوب فولدت له ثلاثة أولاد اسم كل واحد منهم أحمد، فأحدهم يسمى أحمد صمب والثاني أحمد دل والثالث أحمد ير الذي منه سيسيب كبل، وأحمد دل هو الذي تزوج ديد جم عالي من جاوب، وأحمد دل وأحمد ير قبراهما في كبل، وقيل إن بكار جم سه هو والد عال بكار والد الحسين عال وحمى عال، وأما الحسين فهو والد صمب الحسين ودمب الحسين، وأما صمب فهو والد عال صمب والد إبرا عال والد أحمد إبرا المعروف بأحمد ير والد ممد أحمد والد محمود ممد والد ممد محمود وعباس وهدي وحامد العالم وهؤلاء كبليون، وأما دمب الحسين فهو والد حمى دمب والد أحمد حمى ويعرف بأحمد لامجان والد سوير أحمد والد صمب سوير والد إبرا عال وعمر دياباي، وأما حمى عال فهو والد إدريس حمى والد [729] حمدن إدريس والد حمات حمدن والد حمة جب والد مالك حمى المعروف بماله سه التاجر، والله تعالى أعلم. انتهى ما عندي من تاريخ هؤلاء ويليه تاريخ أهل جنك في تور.

460 - ذكر تاريخ أهل جنك، أصلهم ومواطنهم

وأما أهل جنك فقد زعموا أن أصلهم من بال في المشرق[586] ومن هنالك ارتحلوا وتفرقوا في البلدان ومنهم من ذهب إلى جلف ومنهم من تجاوز إلى كجور، وأما الذين هم في جلف فقد تزوج أحد رؤسائهم من بنت من بنات سنراب واسمها عيشة كل جلي فولدت له ولدًا يسمى جدل فلما كبر ذهب إلى مرتن لطلب العلم فلما مهر في العلم وكان هنالك قوم يلقبون بكي وود فأخذوه وقربوه منهم وزوجوه وجعلوه إمامًا لمسجدهم فلما طال مكثه هنالك صار أهله يأتون إليه من جلف فرادى وأزواجًا حتى وقعت الفتنة بين أهل جنك وبورب جلف فارتحلوا عنها ونزلوا في وال بركر ومكثوا فيها مدة ثم تفاتنوا أيضًا مع أمير وال فارتحلوا عنها أيضًا إلى مرتن ليسكنوا مع إخوانهم الذين تقدموهم إلى مرتن وسكنوا مع جدن فلما دخلوا في مرتن سكنوا في كومخ إلى أن أتاهم جيش ألمام عبدل لقتال علي الكور وأمروهم بالارتحال إلى فوت وأمر الإمام بتفريقهم في المساكن لأنهم أهل شر وفتنة ومنهم من سكن في كاجار ومنهم من سكن في جاياين ومنهم من سكن في قندار وأصل الموضع لقلب قندارناب ورئيسهم جوم قندار ولقبه به، وأما جنك قندار فلقب رئيسهم جك وهو رئيس جنك جاياين أيضًا ثم جنك قد وقد ملكهم لامتور ثم جنك جم وقد ملكهم فرب جم ثم جنك عد وقد ملكهم أرط عد، ومنهم من تجاوز إلى هاير وصاروا هنالك حواتين، وقد ارتحل [730] بعضهم إلى جور مع الشيخ عمر ولذا ثقل على لسانهم الكلام الولفي والفلاّني، انتهى ما التقطت من أخبارهم والله تعالى أعلم. ويليه تاريخ ياللب كماج وسل ببكر.

461 - ذكر ياللب كماج وسل ببكر، أصلهم وفروعهم

ويقال لهم ياللب بوتكل وهم من سو مالك قطل وفي رواية من سوك مالك قطل والد ول سوك والد جاير ول وسوك ول، وأما جاير فمنه ياللب كماج، وأما سوك فمنه ياللب سوك ببكر التي هي بوتكل، وقيل لما مات ول به الذي هو ول سوك ملكوا جاير ول وخلفوه عن ول به فارتحل سوك مغتاظًا إلى بوتكل لأنهما قرينان في الولادة وقد ملكوه على أنه أكبر من سوك ول لأنهما ولدا في ليلة واحدة أو يوم واحد فأرسلوا إلى ول به من يبشره بولادة زوجته فلانة

586 - تعليق المؤلف: وقيل بال موضع في جلف.

وكذا أرسلوا الآخر يبشره بولادة زوجته الأخرى، وأما المرسول للتبشير بولادة سوك فقد وجدهم أي ول به وجماعته في الأكل فنادوه للحضور في الأكل معهم فشرع في الأكل ينتظر بتبليغ الرسالة إلى الفراغ من الأكل فجاء المبشر بولادة جاير ول فأخبر بذلك فقال المرسول الذي يأكل معهم وكذلك إنا إنما جئت للتبشير بأن فلانة الأخرى قد ولدت لك ذكرًا، فقال ولكن السابق خبر ولادته هو الكبير لا غير، فلذلك ملكوا جاير فاغتاظ سوك وارتحل وسكن في بوتكل وهي سل ببكر ولكنه مستسلم لولاية جاير على بوتكل كولايته على كماج فما زال الوالي على كماج ولكن لا يقدم للولاية عليهما إلا من كان أكبر سنًّا من أهلهما معًا فيكون هو الوالي على القريتين، فما زالوا على تلك العادة إلى زمن جوم دولباي وهو من أهل بوتكل [731] وهو آخر من جمع بين ملك القريتين من ياللب ثم صار لكل قرية منهما وال الآن، وأما ذرية سوك ول في بوتكل فهو والد فت سوك والد يتم فت والد ببكر يتم الذي اشتهرت سل بإضافتها إليه ويقال سل ببكر لا أدري هل ذلك لطول مكثه في الولاية أو لوجاهته أو لغلبة القضاء والقدر فقط، والله تعالى أعلم، ويتم فت أيضًا هو والد صمب يتم المشتهر بصوهاك الكبير، وأما ببكر يتم فهو والد صمب ببكر والد قطل صمب وجاير صمب، وأما قطل صمب فهو والد جوم قك الذي قتل يوم بكوو وهو قتال كان بينهم وبين البياضين وبكو اسم مكان كان مسكنًا لياللب سل وهو قريب من دار في سنكال بين دار ودود دند وهو أقرب لدي من دار، ثم ارتحلوا من بكو إلى سل خوفًا من البياضين، وجوم قك المذكور هو والد ممد جوم والد جوم عال الذي هو رئيسهم اليوم، وأما جاير صمب فهو والد علو جاير والد دمب لباي المعروف بدولباي، وأما صمب يتم فهو والد ببكر صمب والد عال ببكر المعروف بعال تب والد إيادك عال ودمب عال الذي هو والد جوم صمب بجين وعلو بجين، وأما صمب بجين فهو والد ممد صمب الحي الآن في سل وهو أيضًا والد سري صمب والد جوم ببكر الذي هو أخ لرئيسهم الآن المسمى جوم عال من الأم، وأما علو بجين فهو والد عمر علو وسري علو ومود علو الذين هم في قيد الحياة الآن، وقد قيل إن ساللب بوتكل هم الذين أسكنوا إلمان دمت في أرضهم وكان أهل بوتكل يصيفون في مسكن أهل دمت الآن فرارًا من جنقلب ويخرفون في سل، وفي دمت موضع يعرف الخاص والعام بناحية ياللب وفيها سلك سل وسل اسم امرأة كانت من ياللب ولم يبق من ذريتها الآن [732] إلا الإناث، ولم يذكر لنا المخبر من ذرية إيادك عال شيئًا ذهولاً منا ومنه، والله تعالى أعلم. وأما ياللب كماج فهم من جيرول والد سوك

جاير والد قت سوك والد قطل كت ويتم كت والد مول يتم والد يتم مول وبس مول، وأما يتم مول فهو والد حمات يتم وبوكر يتم وصمب يتم وإدريس يتم وير يتم وعمر يتم، وأما حمات يتم وصمب يتم فما تركا عقبًا، وأما بوكر يتم فهو والد حمات بوكر والد حمى حمات وحبيب حمات وبوكر حمات وممد حمات الذين هم اليوم في سل ببكر، وأما ير يتم فهو والد راسن ير المعروف بجوم راسن المخبر، وأما عمر يتم فهو والد ممد عمر الحي الآن، وأما إدريس يتم فهو والد جوم صمب والد عثمان جوم وجب جوم السالمان الآن، وأما بس مول فهو والد سري بس وبابله بس وجم بس، وأما سري بس فهو والد بولد سري وبابله سري، وأما بولد سري فهو والد محمود بولد وكاطي بولد السالمان الآن، وأما بابله بس فهو والد سري بابله وعبدل بابله الذي هو رئيسهم الآن وبوكر بابله وإبراهيم بابله ومحمد بابله ودمب بابله وير بابله وبيد بابله الذي كان زوجًا لفند صمب جوم التي هي شقيقة زوجتي كمب صمب جوم وهما تضافان إلى أمهما ويقال لهما فند ديي وكمب ديي، وكان بيد بابله هذا وزوجته فند ديي ساكنان في امبود في مرتن، وأما جم بس فهو والد بس جم وصمب جم ودمب جم، وأما بس جم فهو والد جاير بس وعبدل بس، وأما جاير بس فهو والد عبدل جاير الحي الآن، وأما عبدل بس فهو والد جاير عبدل الحي الآن، وأما صمب جم فهو والد يتم صمب والد ممد يتم وصمب يتم وبرم يتم المشتهر بجوم برم، وأما صمب يتم فهو والد ممد صمب، وأما برم يتم فهو والد دمب برم، وأما دمب جم فهو والد جم دمب والد أحمد جم الحي الآن، فما زال المخبر يتتبع أنسابهم هكذا ويسردها إلى أن استوفاها وقد اكتفينا منها بما ذكرنا اختصارًا. واعلم أن ياللب كماج ثلاث بيوت: بيت بس وبيت مول [733] وبيت كت، ومن أهل كماج بارناب ويقال لهم قيلناب به وقيلناب كه وجاكب الذين أصلهم من جول، ومن أهل كماج أيضًا أهل سيد صمب والد بيد سيد والد بوكر بيد والد إسماعيل بوكر والد حمات إسماعيل والد سيد حمات والد صو سيد والد ساد صمب والد علو ساد المخبر، وقد زعم بأنهم ما فارقوا ياللب منذ دخلوا فوت إلى الآن وهم قبيلة جك أي جن، وأما آنانب كماج فهم من بوب بران وصمب بران، وأما بوب فهو الذي ذهب إلى فت، وأما صمب فهو الذي أقام المسجد في كماج، وأما دنب فهو الذي أقام المسجد في جم وهو والد ألوال دمب وقي، ومن جملة أهل كماج أيضًا سامب الذين يقال بأنهم أقدمهم قدومًا إليها من غيرهم وكذا قيل في آنانب أيضًا، والله تعالى أعلم.

هذا تاريخ وطاب، واعلم أن المؤرخين من الفلاّن يصيرون قبائل الفلاّن الأربعة إلى قبيلتين وهما أور وبط لا غير فمعنى أور أوررب ولقبهم به وجل تابع لهم كالأخ الصغير وهو منهم أصلاً وفرعًا وهو لقب أرطات جاوب الأولين الذين كانوا أمراء الفلاّن كلهم، ومعنى بط وطاب ولقبهم سه وبر تابع لهم كالأخ الصغير وهو منهم أصلاً وفرعًا، وزعم بعضهم بأن معنى ولرب وطاب وهم هم لا غير وأن معنى وو ورب أوررب فهم هم أيضًا لا غير، والله تعالى أعلم، وأن الفلاّنيين ينتسبون إلى العرب بل وإلى قريش فكل سوداني ليس من الفلاّن فليس من العرب في شيء، وقد صحح العلامة الشيخ العالم الفاهم الهاشمي بن الفاهم أحمد بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي أصلاً المديني مسكنًا في تاريخه لفوت تور أن عقبة بن نافع الذي ولاه خاله عمرو بن العاص إفريقية [734] وافتتح غدامس وكورا من السودان وودان وبلاد البربر وغزا السوس الأقصى وكان مستجاب الدعوة هو أبو الفلاّن لأنه الذي تزوج بابنة ملك السودان بجمع فولدت له أربعة أولاد دعت وناس ووي ورعرب ثم سار لبلاده حتى وصل مصر وخلف بنيه عند أمهم فشبوا وتكلموا بغير لسان أبيهم ثم تزوجوا وولدوا فكانت ذراريهم الفلاّن، وقبائل الفلاّن كلها راجعة إلى أربعة جذامير لأن دعت ولد فتغ فمن فتغ قبائل سنغي وغيرهم،[587] وناس ولد البعاويين فمنهم قبائل ولرب بضم الواو وغيرهم، ووي ولد فريب، ورعرب ولد يالرب ومنهم قبيلة داينينوب، وهذه جذامير الفلاّن ولما كثر هذه القبائل ساروا واستوطنوا فلغ ورجعوا فوت إلى أن قال: وفي كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المصري الشافعي:[588] عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي، انتهى المراد من كلام العلامة الهاشمي. قلت دعت جل منه ملوك الفلاّن ووي منه قبيلة بر وناس منه قبيلة سه ورعرب منه قبيلة به، هكذا رأيت في ورقة دارسة من كتب أهل كبل في فوت تور، وفيها ما معناه أن أبا يالل وأبا أوررب شقيقان، والله تعالى أعلم، ولكن قد أخبرني بعضهم بأن ساللب فرع من أوررب لا غير، هـ. وكانت هذه الألقاب من تمام أسماء هؤلاء وكان يقال دعت جل ووي بر وناس سه ورعربه، وقيل أن دعت بن عقبة هو والد محكم وزعم بعض الفلاّن أن

587 - تعليق المؤلف: قلت لا أدري هل فتوب من فتغ أم لا، والله تعالى أعلم.

588 - الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة...، المصدر نفسه، ج. 4، ص ص. 434 - 435.

[735] محكم والد كل وبُطُولْ وجَالِك، ومن بطول وطاب لأنه والد سنر بطول والد جمنتكن والد سوير وصمب ودمب وبن التي منها هنترب، ومن سوير سنراب موقاير ومنهم أرط كل نات، ومن صمب سنراب فاكور، ومن دمب سنراب ديك، وأما كل محكم فهو والد برم وصمب وسوير، ومن برم دايكلناب، ومن صمب بقية وطاب، وأما سوير فلم يعقب إلا بنتًا واحدة، وأما جالك محكم فهو والد سبن وبكار وبنت تسمى كو ومن هؤلاء بيوت ياللب كلها، وقيل إن من كل محكم أيضًا أوررب لأنه كان يقال لأمه كمب أورط ومن هذا اللفظ اشتق أوررب، انتهى زعم هذا الفلاّني. واعلم أن بين سوسوب وبرناب ممازحة أكيدة وألفة شديدة وحرمة مديدة كما أن مثل ذلك أو أشد بين باباب وجلب، والله تعالى أعلم بموجب ذلك، وقيل إن وطاب هاجروا من ماسينا وزعموا أن السبب في تلك الهجرة أن بعض الحدادين قتل بعضًا وهرب والتحق بالعزائب من وطاب، فأرسل إليهم أهل الحاضرة أن يردوا إليهم الهارب هذا فقالوا لا اصبروا حتى نرجع جميعًا إليكم ثم ارتحلوا هاربين إلى باقن وسكنوا فيها ثلاث سنين ثم ارتحلوا إلى فوت وقطعوا البحر من كيهيد وبقي هنالك أرط بال، فما زال وطاب في فوت إلى أن قتل ولد أرط ملل وهو أرط وطاب يومئذٍ ابن ستك فهربوا قاصدين جلف إلى آخر هذه الرواية وسنتممها بعد، وفي رواية أن وطاب بقي بعضهم في المشرق ولقب بعضهم هنالك سيد به وهو بمعنى سه وسنخري وهو بمعنى بر وقد سكنوا في كدل 15 سنة وارتحلوا عنها وسكنوا في سركل بين نباج ودلماج 15 والحرائث التي هنالك كانت حرائثهم بل قيل إن غالب الحرائث النيلية التي في فوت فوطاب هم الذين سبقوا إليها ثم ارتحلوا عنها فسكنوا من أسدبل وبلكل فوق هورفود إلى سوكن فوق جاب فمكثوا في هذه الأماكن 30 سنة ثم وقعت الفتنة بينهم [736] وبين ستك فارتحلوا إلى المغرب، وقيل وقد بقي في كدل بعض من عبيدهم ولقبهم هنالك سه إلى الآن وقد صاروا حواتين، وقيل أن سنراب فارقوهم من سركل إلى جلف وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم، وسنراب من قبائل وطاب وهم الذين بينوا الآبار وحفروها أولاً من ولل إلى بايل عند جهة لمبل فوق هورفود وجاب، وكانوا يسكنون ويرتحلون وواحدهم هو الذي أظهر آبار سنس قرب واسمه جم قل ومساكنهم الآن سان كلياب وديك وهايرنكوب وهي عند سانكن هيدي وهنترب وساين وورد بل عند فط بيكل وبايل عد الذي هو بايل قلوط. ومعنى سنراب مشتق من سن في لغة ولف وهو الدمي لكونهم يدمون بالأقواس بكثرة عند الحرب وكان ذلك سلاحهم حينئذٍ مع الرماح، والله تعالى أعلم. وجم قل المذكور

هو والد دمب جم قل والد أحمد دمب والد عمر أحمد وجيك أحمد، وأما عمر أحمد فهو والد عال عمر في مرتن الآن مع الفلاّن، وأما جيك أحمد فهي والدة أولاد كالل اسم رجل في ساينكلياب وركجل، واعلم أن وطاب قبائل شتى منهم جسرناب وتسرناب وترجناب وبلكلناب، وبلكل اسم موضع كان مسكنًا لهؤلاء من وطاب فوق هورفود وهنترب الذين منهم ير بالل ومنهم فبناب وسنراب وجاكرناب ونكارناب الذين منهم سارن سليمان بال ودايكلناب وكولناب ويقال لهم كوولناب وجلبناب الذين منهم سوق صمب فول الذي نسبت إليه قرية ورسوك في بر ماتم الغربي وبقاياهم في قرية صوتون فوق دومكاج، وقيل من قبيلة جسرناب أرط لب جاير الذي كان في لودو وفي جامبور ومنهم أرط عمر وأرط بيدار اللذان كانا في جايان، ومن جاكرناب التقي الزاهد الملازم لتلاوة كتاب الله تعالى المعروف بعمر جاكر وله أخ يسمى حمد صويل، ومن جملة وطاب بيناب وبسناب وبللناب وبرناب وكانوا مالكين حرائث كلكل تسمى صم بر التي صارت الآن في ملك ديت هورفود وبارترج صارت ملكًا لباليناب وكووه اسم لكلكل صارت لديت في هورفود أيضًا، والله أعلم.

463 - ذكر سبب الفتنة بين وطاب وستك

وكان السبب في الفتنة بينهم وبين ستك وقيل إن ستك هذا كان من سيبوب جلب الذين أصلهم [737] اللنك، وكان مسكن ستك هذا آجم كد وكان مسكن أرط وطاب أسدبل، وقيل إن بل اسم لفرس أرط وطاب ومعنى أسد بإمالة دال عجمية الحفرة وقيل إن هذا الفرس هو الذي حفر موضع إقامته وسمي الموضع بحفرة تمبل، والله تعالى أعلم، وقيل إن ابن ستك سيبوب جلب هذا كان يجول مع وفده في القرى إذ أتى إلى أسدبل وراء جذعة من البقر سمينة جميلة بنت أربع سنين لابن أرط وطاب كانت تسقى الحليب كل يوم وليلة إلى أن ترتوي، فأراد ابن ستك أن يقتلها ويأكلها هو ووفده فأبى عن ذلك ابن أرط وطاب وأعطاه عجلاً سمينًا بدلها وأبى إلا الجذعة فقط ثم خيره ابن أرط وطاب أن يقتل من البقر ما شاء ويترك الجذعة فأبى إلا هي فقتلها فلما قتلها قتله ابن أرط وطاب فثارت الفتنة بين القبيلتين فاقتتلتا سبعة أيام فآل الأمر بانهزام وطاب وولوا أدبارهم هاربين قاصدين نحو المغرب وسيبوب يتبعون آثارهم يقتلونهم وكل من تعب منهم وضعف عن القتال وجبن يدخل في القرى ويقول أنا من سيبوب لا من وطاب فيترك حينئذٍ وهؤلاء هم بقايا وطاب الباقين في فوت

قلت ولعل تسمية الجبناء أنفسهم بسيبوب هو الموجب إلى الآن كما أخبرني بذلك بعضهم، لتسميتهم بذلك (...) ولقبه أرط قيا جاج سادق سنر بطول ماكم وهو والد قرب قيا والد دل قرب والد بلل دل والد جم بلل والد دمب جم والد بوب دمب الذي منه أهل ستك بول ويقال له بوب ناو أيضًا وكل دمب الذي منه أهل كلي وفات دمب الذي منه أهل بك وير دمب الذي منه كارار وحمى دمب الذي منه أهل جوم بمب وجب دمب الذي منه بعض أهل مر وير دمب الذي منه البعض الآخر من أهل مر، وأما بوب دمب [738] فهو والد سل بوب والد سري سل والد صمب سري وير سري، وأما صمب سري فهو والد دو صمب الذي كان يقال له ستك دمب والد كل مود ومود دل وهما سالمان الآن في جاب، وأما ير سري فهو والد عباس ير والد ستك سري عباس وإخوته في جاب الآن، وأما كل دمب فهو السبب في تسمية كلي بكلي إضافة إلى اسمه وهو والد بمب كل والد كلاج بمب وجم بمب، وأما كلاج بمب فهو والد سبل كلاج ودمب كلاج وسري كلاج، وأما سبل فهو والد جاج سبل والد أحمد جاج والد علو أحمد وعبدل أحمد، وأما علو فهو والد أحمد علو وهو أرط كلياب الآن، وأما عبدل أحمد فهو الذي قتله فرانس حين دخلوا في فوت على أنه من أحباب عبدل بوكر، وأما دمب كلاج فهو والد بوكر دمب والد أحمد بوكر وصم بوكر وكيسر بوكر وأمهم فاتمة سري در، وأما أحمد بوكر فهو والد صمب أحمد وبران أحمد ويقال لهما صمب زين وبران زين وأمهما زين حلي سري در دمب بوي سوي وهما في كجلن، وأما صم بوكر فهو والد عبدل صمب والد كلاج عبدل وإخوته في كجلن أيضًا، وأما سري كلاج فهو والد سري سري لأنه ولد بعد موت أبيه وهو والد دمب سري والد سعد دمب وكان يقال له أرط سعد وقد انعزل الآن ومسكنه الآن بك جلب، وأما كيسر بوكر فهي والدة ستك عباس والد ستك سري عباس، وأما جم بمب فهو الذي زوج عال درمان جد شيخ أنجاي في كلي ببنته فاتم جم بمب مع حرائث نيلية وكان ذلك سبب سكناه معهم إلى الآن ولم يذكر لنا غيرها من نسله لا أدري هل ذلك لذهولنا جميعًا عن ذلك أم لا عقب له غيرها، والله تعالى أعلم.

464 - مساكن أرط كلياب وذكر بعض رؤسائها

واعلم أن مسكن أرط كلياب في كلي تورب في ناحية منها تسمى جوك بإمالة الضمة وكان هو المالك لكلي قلب وتورب كلهم ثم زال ملكه لكلي تورب في زمن ألمامات فوت وبقي

ملكه لكلي فلب [739] كما قيل، وقبائل فلاّن كلي كثيرة منهم سبلناب وميداب الذين هاجروا من طهت فسموا لذلك ميداب ومنهم بوجلناب ولبراب وسوطناب، ويتنازع ملك كلياب قبيلتان سبلناب وهم من قبيلة كه وميداب وهم من قبيلة به، وبوجلناب هم الذين يختارون للتمليك من أرادوا من القبيلتين وهم من قبيلة به، وأرط كلياب الذي هو من سيبوب سوسوب هو الملك لمن اختاروه من هاتين القبيلتين وإذا ملكه يلقبه جوم كما قيل، وأرط كلياب هو مالك الأراضي والحرائث كلها وحد ملكه للحرائث من جهة المشرق حرائث كلكل تسمى بسن وهي في ملكه قريبة من داولل وهو الحد بينهم وبين سيبوب سوسوب جاب أهل ستك سري عباس وحرائثهم كلاط تسمى بار، وأما حد ملك أرط كلياب في جهة المغرب فهو وادي كارار وهو الحد بينهم وبين يرلاب، وأما فات دمب فهو والد سوك فات وسوط فات، وأما سوك فات فقد انقطع عقبه الآن، وأما سوط فات فهو والد دمب سوط والد مالك دمب والد دمب مالك والد حمدن دمب والد سيد حمدن والد سري سيد وهو سالم الآن في لك، ويقال لرئيسهم جوم لك، وأما ير دمب فهو والد يرك ير والد كايوط يرك والد قطل كايوط والد جم قطل والد دمب جم والد مهم دمب والد بوب مهم والد همد بوب والد جوم (...) ممد همد والد كرنك الحي السالم الآن في بك، وأما حمى دمب فهو والد كت حمى والد جار كت والد سوم جار والد بلل سوم والد همد بلل والد علو همد وسايف همد وكان يقال لهمد بلل هذا في بمب جوم همد رب، وأما ير دمب الآخر فهو والد ملل ير والد آمار ملل والد فات آمار وعال آمار، وأما فات فهو والد بوكر فات وصمب فات، وأما بوكر فهو والد صمب بوكر سالم الآن في مر، وأما عال آمار فهو والد سالف عال وسري عال، وأما سالف فهو والد باب سالف وكان يقال له في مر أرط باب وهو أيضًا والد دمب سالف وهذا وأخوه أرط باب سالف سالمان الآن في مر، وأما صمب فات فهو والد همد صمب [740] وراسن صمب وهما سالمان الآن في مر أيضًا، وأما جب دمب فهو والد ساباط جب والد صمب ساباط وجم ساباط، وأما صمب ساباط فهو والد جم صمب وعال صمب، وأما جم صمب فهو والد دمب جم الذي كان يقال له أرط دمب سقل والد عبدل دمب ويقال له الآن في مر أرط عبدل، وأما عال صمب فهو والد عبدل عال والد حمى عبدل في مر الآن، وأما جم ساباط فهو والد عال جم وموسى جم وباب جم، وأما عال جم فهو والد سري عال وكان يقال له في مر أرط سري وهو والد آلتن سري سالم الآن في مر، وأما موسى جم فهو والد باب موسى سالم الآن في مر، وأما باب جم فهو

والد صمب باب في مر الآن وهؤلاء هم سيبوب الذين أصلهم من وطاب وكلهم من قبيلة سه بضم السين وسكون الهاء، وجوم ليراب في تور ابن عمهم لأن هؤلاء من بطول محكم وأولئك من جالك محكم والد دقا جالك والد ساغو دقا والد لام ساغو والد سبي لام والد بلل سبي والد دل بلل والد سندي دل والد سكر سندي والد فات سكر والد ير فات وكان يقال له جوم ير في ليراب وهو والد جوم بول وجوم حمت وجوم إبرا وقد اندرجوا الآن وأولادهم هم الذين في ليراب الآن وهم من قبيلة سه أيضًا، والله تعالى أعلم. وقيل إن لجوم ليراب من كلاط في رارد كلكل تسمى ودل وهي في مشرق أملاكهم ويليها بارل ثم جاك بمعنى النحل في كلامنا ولهم من الحرائث غير ذلك وقد جهل أسماءها المخبر، والله تعالى أعلم، ويصيفون في وادي كلك بمعنى الشجرة المنكسرة في كلامنا أيضًا وراء بحيرة ورك وقمخ موضع وراء البحيرة أيضًا، ويخرف بعضهم في موضع يسمى بيد ويخرف البعض الآخر في سكل مثل جمع الظهور التي مفردها ظهر بفتح الظاء المشانة وسكون الهاء في كلامنا الفلاّني، وتحت ولاية جوم ليراب بعض من قبيلة جاجاب ومنهم يكون جابيه لكراء أراضيه وزكاتها ومنهم أيضًا يكون إمام مسجده وتحت ولايته أيضًا واللناب [741] من الفلاّن ودور من سبلب يلقب رئيسهم جالتاب ولقبهم كي وكان معهم ديار من ولف وقد صاروا الآن تورب وأصلهم من رجل اسمه صو جوب، وقيل إنه قد كان من أبناء جومات ليراب من سوسوب من يسمى بي فخطب امرأة من بنات أوررب سامناب الذين في ناحية من ليراب في ولاية أرط كد فأعطاه المخطوبة أبوها فسمع بذلك أرط كد في ذلك الوقت فأرسل إلى أبي البنت ونهاه عن تزويجه إياها وأرسل إلى الخاطب فنهاه عنها فلم ينتهيا فعقد الوالد النكاح بينهما، فسمع ذلك أيضًا أرط كد وامتلأ غيظًا وسأل عن ليلة البناء فقيل له كذا فركب في أول ليلة البناء إلى أبي البنت فقال له ألم أنهك عما فعلت لفلان فقال بلى ولكنه طالبني بنتي وهو كفؤها فأعطيته إياها، فذهب أرط إلى الطريق التي يأتي منها الزوج فأوقف عليها دابته مترقبًا لقدومه، فلما جاؤوا وهم يغنون غناءهم فرحين غافلين غير متحذرين خبطه أرط بمدفعه فقتله ورجع إلى كد فلم يتكلم فيه أحد شيئًا إلى الآن وذلك أن أهل فوت في ذلك الزمان كالحيتان يأكل الكبير منها الصغير والقوي منها الضعيف وكل من كان أكثر من الآخر جمعًا وأقوى منه بأسًا يفعل فيه ما يشاء، وقد قيل إن أرط كد كان في ملكه نتنت وأوررب سامناب في ليراب وأوررب الذين في سووناب بوتل وجميع قبائل أوررب من البدويين غير كسم وبسور فإنهما خارجان عن

ولايته فلذلك استطال على هذا وصال صولة البازي على العصفور، ولعل بي هذا الذي هو من سوسوب ليراب قد كان بينه وبين أرط كد هذا شيء من المنافرة والمخالفة ولذلك كره له الانتفاع بشيء في مملكته، والله تعالى أعلم.

465 - هجرة وطاب من ماسن: أسبابها والأماكن التي استوطنوها والقبائل التي تفرعت عنهم

وقيل إن أرط قيا هاجر من فلق إلى فوت وما مر بأن وطاب هاجروا من ماسينا وقطعوا البحر من كيهيد أو من كدل فكل ذلك من الممكنات الجائزات إلا أن الأصح أن هجرتهم إلى فوت كانت مع أرط جاوب وهو الملك على جميع ملوك الفلاّن حينئذٍ وهو الذي أتى بهم إلى فوت، فلما فسد ملكه انتشر الكل، وما قيل أيضًا [742] بأن الذي أجلى وطاب عن فوت ستك من سيبوب وقد قيل أيضًا أن الذي أجلاهم ستك من سيبوب داينيكوب وهو المشهور الذي كثر قائله، والله أعلم، قلت ويمكن أن يكون هذا الجلاء من ستك سيبوب جلب وأنهم مع وطاب كلهم كانوا في ملك أرط جاوب وتحت طاعته فوقعت الفتنة بينهم فتركهم وشأنهم غفلة منه كما هي عادة غالب السودان لأن الكثير منهم لا يهتمون للمهمات ولا يتنبهون لها، ويمكن أن يكون أرط (...) وستك سيبوب كلهم حينئذٍ في ملك داينيكوب بعد فساد ملك جاوب، والله تعالى أعلم. وقيل إن آل ستك سري عباس حين افترق داينيكوب كانوا موالين لستك سل جاي الذي كان في هركجر دون ستك دكل الذي هم في قربه وجواره، فأوقع عليهم القتل والنهب وهم ساكنون حينئذٍ في جب دل وجب جمع جم وهي شجرة التمر الهندي وأما دل فهو اسم رجل من وطاب اسمه دل جم دمب فكان يسكن عندها كثيرًا فنسبت إليه فقيل جب دل وهو بين هبياب وبوسياب في موضع قصر جربول الآن، فقتلهم ستك دكل إلى أن أفناهم إلا رجلاً واحدًا منهم اسمه سل بوب ناو فأدرجوه في حزمة حشيش كانت هناك ليختفي عنهم فلما ذهب عنهم ستك دكل أخرج سل بوب ناو وذهب هاربًا إلى ستك سل جاي فلم يرجع إلا بعد تولية ألمام عبدل على ملك فوت، وصار هبياب يتنازعون ملكه في الحرائث فقام رجل من ليدب جاب اسمه سري حمات صمب وكان هو تفسير بكل في جاب حينئذٍ وهو جد سري واد، فجاء إلى ألمام عبدل فقال له إن الملك المتنازع فيه عندنا مالكه حي سالم الآن عند داينيكوب فأمرهم بالإرسال إليه ليرجع فأرسلوا إليه فرجع حينئذٍ فرد إليه ملكه هكذا قيل والله تعالى أعلم.

466 - ارتحال وطاب بعد وقوع الفتنة بينهم وبين ستك وتفرقهم

وقيل إن وطاب لما ارتحلوا عن فوت بقتل ابن ستك صاروا يعيرون الذي قتل ابن ستك بالشؤم عليهم وأن بسببه ارتحلوا عن مساكنهم فضجر من ذلك وكره صحبتهم فرجع إلى فوت وأتى إلى ستك الذي قتل ابنه وقال له أنا الذي قتل ابنك من وطاب إنما جئت لتقتلني فآل الأمر بأن عفا عنه ستك واسمه كودل أرط ملل فقال لستك الآن لا أرجع إلى جلف ولا أقبل أن يترأس علي من بقي في فوت [743] من وطاب، وقال له ستك اختر أي موضع شئت تسكن فيه فاختار جنت فسكن فيه وهو أرط كبل وقومه هم قنلناب في جنت، هكذا قيل والله تعالى أعلم. وقيل إن وطاب لما وقعت الفتنة بينهم وبين ستك وعزم أرط وطاب على الرحيل أمر بضرب دفوف الفتنة والرحيل والهجرة فضربت من أسدبل إلى لك لكرط وإلى مر، فارتحل الكل، قلت ولك في بر ماتم الغربي وحذائه ومقابلته، ومر وراء بمب بقليل في جهة المغرب، ولعل ما بين هذه الأماكن كلها كانت ممتلئة بهم وذلك يدل على كثرتهم جدًّا، ومن قبائلهم سه وهم جسرناب ومنهم يكون أرط وطاب ومنهم به وكه وهم الملكون أي المختارون لمن يكون أرط وطاب، وقيل إنهم لما ارتحلوا هاربين عن فوت ووصل جلاءهم إلى بك تفرقوا هنالك فرقتين فرقة صعدت إلى البر وتوجهت نحو جلف وكجور وبول وفرقة توجهت نحو تور ومنهم من سكن جايان وسول وهورك وغيرها من مساكنهم هنالك، وقيل إنهم لما خرجوا عن فوت إنما قصدوا نحو جلف فقط فسكن بعضهم في وادي موقاير فسموا به فسكن بعضهم في وادي چسان فسموا چسانَّاب ثم صار اللفظ إلى جسرناب وسكن بعضهم في فاكور فسموا فاكورناب وسكن بعضهم في ديك بام فسموا ديكناب ومعنى ديك في ولف الوادي ومعنى بام الحمار أي وادي الحمار، وسكن بعضهم في ككلايج فسموا كنكلناب وأول مكان نزلوا فيه عند جلف يسمى بال بط أي أودية وطاب فلما يبست هذه الأودية بدخول الصيف تفرقوا فذهب بعضهم إلى كجور وبعضهم إلى سالم ورجع بعضهم إلى تور، وقيل لما تفرقوا يبس المياه بقن جلف في جلف ولم يرتحلوا ثم ملكوا عليهم أرط دمب سلود، فلما جاء المطر في زمن الخريف رجع إلى جلف جل الذين ذهبوا عنها لعوز الماء ووجدوا جلب قد ولُّوا عليهم أرط دمب المذكور فنهاهم أرط تنكن الذي منه أرط بهم الذي في سانكلياب الآن عن ذلك ولم ينتهوا فقاتلهم وهزمهم فنزلوا [744] إلى بك جلب فسكنوا فيها فما زالوا يتقاتلون إلى أن

دخل ملك فرانس، وقيل إن من جلب وطاب جلب بك وجلب تلل سل وجلب كاول، فلما لم يكن الملك متأصلاً فيهم لا يكون ملكهم واحدًا بل أرط جلب في تلل سل غير أرط جلب في بك وغير أرط جلب في كاول، وقيل إن جلب اللنك الذين في كد منهم وقيل لا، والله تعالى أعلم. وأما وطاب فإذا اجتمعوا في كجور فكبيرهم جسرناب وإذا اجتمعوا في جلف فكبيرهم موقايرناب ومن قبائلهم فمبناب وياللب وهما متقاربتان، وقيل إن ياللب وجاوب وفافاب وفمبناب قسمتهم كانت واحدة، وياللب وبمياب كالشيء الواحد ويقال بم أجالل، والله تعالى أعلم، وكذا قيل إن ملك هنترب في جلف لا يكون إلا من فاكرناب وقسمتها واحدة وكذلك قسمة موقايرناب وديكناب واحدة أيضًا. وأما كنكلناب فأصلهم من وطاب ولكنهم صاروا يتوالون أوررب وجلب ولقب الرئيس من كنكل أصالة به وأن دخيل أو أصله به، والله تعالى أعلم. وقيل إن هجرة وطاب إلى جلف قد رجع بعضهم إلى فوت ومعهم حداد وهم الذين في بالنيط وواسا كد الآن ورئيس الحدادين يومئذٍ قايد همد جم جقور، وتجاوز الفلاّن إلى أوك ورئيسهم حينئذٍ أرط فات بسم، ثم رحلوا بعد موت أرط فات هذا وسكنوا في موضع يسمى كل ورئيسهم حينئذٍ أرط فر ومن هنالك تفرقوا فسكنت طائفة منهم في سايد سنراب وفرقة في ساركر إلى سانكلياب ومن مساكنهم أي سنراب في فوت ديك وسنلو وجهة سانكن ومن خاصية سنراب معرفة لكزان أي علم الرمل[589] وهم الأصل في معرفته وهم أول من عرفه من الفلاّن أخذوهم من حدادهم الذي يقال له كايد همد جم جكور الذي مر ذكره وتوسعوا فيه، وأول من تعلم علم لكزان من قايد هذا واحد من سنراب اسمه كل داكل والد كورا كل والد بوب كورا وصمب كورا، وأما بوب فله بنت الآن تسمى كود بوب في ساد، وأما صمب فهو والد كل صمب كورا في سانكلياب، وكان كل داكل هذا ساحرًا عليمًا وكاهنًا عظيمًا ومن سحره أن سنراب كانوا يعيبونه بإيثار نفسه [745] على شركائه في الغنيمة عند القسم فيقسم لنفسه أكثر منهم ثم خرجوا معه يريدون الغارة حتى وصلوا إلى هجلد في فرل فظلوا هنالك فرجع

589 - الكزانة وعلم الرمل: الكزانة لفظ عامي للعرافة التي تمارس علم الرمل وتتكهن بحدوث أشياء اعتمادًا على علامات وإشارت تزعم تفسير دلالاتها. وعلم الرمل كما هو معروف علم أو مهارة يبحث فيه الأشكال الستة عشر من حيث أنها كَيْفَ يُستعلمُ منها المجهول من أحوال العالم أو الوقوف عليها، وهي حسبما هو مأثور في كتب التراث علم اكتشفه النبي دانيال الذي علمه الملك جبريل عددًا من النقاط. أنظر: محمد علي التهاوني، كشاف الاصطلاحات، موسوعة الفنون والعلوم، ترجمها عن الفارسية عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، 1996، ج. 1، ص. 874.

جل أصحابه عنه إلا سميه كل مونل فجعل كل داكل يحرك سحره في ماء الوادي هنالك فمكث يومًا واحدًا وفي اليوم الثاني أتته بقرات جلف فساقهن إلى قريته فقسمهن بين سنراب عند قريتهم وركلور أو واساكد، وكانت ورقلور تسمى عندهم بند بلب أي بئر بلب وهي شجرة معروفة عندنا، والله تعالى أعلم. وأما قايد فقد عثرت على نسل بعض أهله وكذا على نسله هو بنفسه وقد قال لي المخبر إن من أولاد جكور أنت جكور وفما جكور وجم جكور، وأما أنت فهو والد دو أنت والد قطا دمب وعال دمب وبي دمب، وأما قطا فهو والد فالل قطا والد إد فالل وعثمان فالل، وأما إد فالل فهو والد فالل إد في بالنيط الآن، وأما عثمان فالل فهو والد فات عثمان ويسمى أيضًا عبد الرحمن في بالنيط أيضًا الآن، وأما عال دمب فهو والد صمب عال وصمب عال الآخر وأحدهما هو والد ممد مج والد خالد همد تلميذ جيد في مك بولل وهو المخبر، والآخر هو والد كجت صمب والدة خالد همد المذكور ومن ولده أيضًا ممد صمب في ساد الآن، وأما بي دمب فهو والد حمات بي والد ملل حمات في ساد الآن، وأما فما جكور فذريته في بيناج الآن وقد جهل المخبر تفصيلهم، ومن أولاد جم جقور همد جم والد قايد همد وصو همد وير همد، وأما قايد فهو والد همد قايد وصمب قايد، وأما همد فذريته في سانكن، وأما صمب قايد فهو والد بيد صمب وعال صمب وذريتهما في ويندجاب، ومن ذرية صمب قايد هاو صمب كانت في ودبر، وأما صو همد فهو والد عمر صمب وصو صمب، وأما عمر صمب فهو والد دمب وموسى عمر، وأبناء دمب في مر وهم أحمد دمب وصمب دمب وأبناء موس في كسب ومنهم عال موس، وأما صو صمب فهو والد ممد تول والد بوكر ممد في كبل، وأما ير همد فهو والد ألجما ير وهاو ير، وأما ألجما [746] فهي والدة دم، وأما هاو ير فهي والدة يرل في كبل الآن و(...) من ذكور بني جقور به، والله تعالى أعلم. واعلم أن الحدادين في فت جب ومل نيط وحداد مك هاير الذين أصلهم من فت جب وساد وحداد أجم سول وكلي ومر هؤلاء أهل موقاير بيل جاير من الحدادين، والله تعالى أعلم.

467 - ذكر بعض من ملوك سنراب والخبر عن تنقل هذه القبيلة

واعلم أن سنراب في فوت أصل ملكهم لبيت أرط وال الذي منه كافات الذي لقبه سه وكانوا في جلف ثم ارتحل بعضهم إلى ساد وما سبقهم إلى سكنى ساد أحد لا من أهل فوت ولا من أهل جلف، وبقي البعض الآخر من سنراب في جلف. وقيل إن برمناب وصمفارناب

كلاهما من بيت الملك في موقاير وكان دمفاتناب من أهل الملك فيهم ولكن طال عهدهم بالملك كأن لم يكن وكذلك بلناب يملكون أيضًا قديمًا وحديثًا وكلناب لا يملكون وفريب ساد كانوا لا يملكون أولاً وصاروا يملكون آخرًا، ولقب كل هذه القبائل سه وكلهم من جمتكن إلا فريب فمنه على الخلاف في ذلك ود وجماص فريب سنراب هو أول من طلب الملك وكان غنيًا مليًا فأعطى والده عبدل بوكر بقرة نفساء وأعطى عبدل ثلاث بقرات جيدات، فقال ممد محمود عال دند لعبدل لا تفسد أمر سنراب بتولية هذا عليهم فتخاصما وتفاتنا فجرحه عبدل بوكر بسكين فلما حال بينهم الناس وسكن أمرهم قال ممد محمود لعبدل أقدر والله أن أقتلك الآن وأمنع الناس من أن يدفنوك لأن أمك من آنانب وليس لك جاه كجاهي في فوت، فجاءت إليه والدته فقالت له صدقت يا ولدي ولكني بوالديتي لك أن تملك لي دو جما لأنه أعطاني بقرة نفساء وأعطى عبدل ثلاث بقرات وإن شئت بعد ذلك أن تعزله ولو بعد يومين فعزله وأما عبدل فإن شئت فاقتله وإن شئت فاتركه فبعضكما أقرب لبعض منا فقبل ممد محمود كلامها وملك دو جما لأن له عصبة وافرة وهم أغنياء أيضًا [747] ثم ملك أرط كرل أيضًا وكان من بيت ملك سنراب الأصلي فمكث مع كل واحد منهما يلقب بأرط في ساد سنة كاملة، فجاء الشيخ عمر فأعطى ممد محمود 5 أرقبة من الرقيق وأعطى عبدل بوكر مثله وأعطى صمب همد صمب سري في بول مثل ذلك فأبى فقال ممد محمود لسنراب ارتحلوا إلى جلف وإني مصمم على الهجرة مع الشيخ عمر هذا، وأما عبدل فسيخونه ولا يذهب وإن بقيتم بعده يأكلكم هو وأولاد دمب ير محمود دند، وكانت قبائل سنراب في ساد فريب وبرمناب وهم الأصليون في الملك وبلناب ودمقاتناب وكلناب وجاوب وصمفارناب، فارتحل الكل إلى جلف وبقي جاوب مع فريب، ثم بعد هذه الهجرة رجع الجل من سنراب إلى ساد وبقي البعض إلى عام وقوع جيش تفسير حم به على جلف فرجع الكل منهم حينئذٍ إلى ساد، ثم بعد ذلك ارتحل بعض سنراب إلى جلف أيضًا في عام سانكن فرارًا من الفتن الواقعة بين أهل فوت، ثم إن دو جما عمي بعد ذلك فانعزل فتولى ابن عمه أرط فرار من فريب ثم إن أرط وال رجع من جلف إلى ساد فانعزل أرط فرار وأعطاه ملك سنراب ثم بعد ذلك ارتحل أرط وال إلى جلف عام سانكن فرارًا من فتن فوت كما تقدم فتولى أرط كل لر الملك ثم تولى بعده أرط جبد من بيت الملك حين حراسة حرائث الخريف من الطيور إلى حراسة حرائث كلاط من الطيور فمات أرط جبد ثم تولى أرط كل لر، وكان ساحرًا عليمًا وكاهنًا عظيمًا ويعرف علم الرمل

جدًا وكان آية في الإجابة ثم عزله عبدل بوكر وملك أرط سوير من بيت الملك الأصلي ومعنى سوير في كلامنا طائر معروف عندنا أصفر مائل إلى الخضرة يأكل زروع الحرائث ويربيه الناس في بيوتهم ولعله هو المسمى عند العرب بببغاء، وقيل إن أرط سوير لما تملك على سنراب ورجع ملكًا زغرتت امرأة له وهي من قرابة أرط كل لر فقال أرط كل لر من المزغرتة فقيل فلانة فقال قتلت نفسها لإفزاعها قلبي فماتت عن قريب كما أخبر.

468 - حكاية الوزير الساحر دمب كور

وكان لأرط سوير وزير ساحر جدًا من أهل [748] علم الشعبذة[590] اسمه دمب كور كان يقلب التراب بارودًا ويقلب الخرق قرطاسًا ويقلب الحمم خنافيسًا وكان يمد الفأس فتمتد حديدتها، وكان عبدل بوكر يسأل أرط كل لر أولاً عن أمور غائبة فيخبره عنها فتقع كما أخبر فتركه عبدل وأخذ دمب كور صاحبًا وصار يستخبره، ثم قام عبدل بوكر إلى قتال سابا فأخبره دمب كور وبشره بحسن المنقلب ثم جاء أحد الغازين إلى أرط كل لر واستخبره عن أمر هذا القتال فأخبره بسوء المنقلب فكان الأمر كما أخبر لأن دمب كور الساحر قد قتل في تلك الغزوة ومات أرط سوير قبل رجوع الجيش وقيل إنه انعزل قبل موته وتولى أرط كل لر ملك سنراب ثم مات أرط سوير بعد ذلك ومدة ولايته سنة واحدة ولم يزل أرط كل لر ملكًا على سنراب إلى أن مات عام 1328 من الهجرة،[591] ثم تولى ابن عمه جم وور ثم انعزل وتولى فر صمب كل لر ثم انعزل فتولى بهم بوي لر ثم انعزل فتولى فر دمب كرل من بيت الملك الأصلي وما زال فيه إلى يومنا هذا عام 1924 من الميلاد.[592] وقيل إن أرط كل لر كان كالمكاشف قلما أخبر عن أمر يغيب إلا وجاء كما أخبر، وكان الناس في بعض الأعوام قد استبطأوا المطر جدًا وملوا من الصيف وكانوا يقولون اليوم نمطر وغدًا نمطر وبعد غد نمطر إلى أن سمع أرط كل أصوات ثيران تخور في الليل فقال من صاحب هذه الثيران فقيل فَرْسَرْنْدُ المعروف عندهم بتبل من سنراب هو الذي نزل هنا ببقرة فقال لهم أبشروا بالمطر فالآن ترونه لأن فلان النازل هنا سعيد مبارك ميمون طائره حيثما توجه فنزل المطر إثر قوله

590 - علم الشعبذة أي الشعوذة وممارسة طقوس السحر وكشف المجهول وهي تقاليد شائعة في المجتمع السوداني، انظر هامش رقم (178)، ص. 154.

591 - عام 1328 هـ يوافق 1910 م.

592 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

بسرعة كثيرًا كما أخبر، والله تعالى أعلم. وعادتهم إذا تملك أرط الجديد منهم يلعبون في جميع قراهم متزينين نساء ورجالاً وكل راقص يرقص إلى أرط وهو جالس فيقول له أرط جاسا فيجيبه سه وهو يشرب الدخان، ومعنى جاسا لا يكون أدنى ومعنى أجاسا لا تكون أدنى هكذا في ساد، ثم يأتي هنترب كذلك ثم يأتي مك ياللب وسنراب هايرنكوب في سانكن وديك وكلباب وفمبناب كذلك يلعبون له، ومسكنه ساد سنراب [749] وتعطيه كل قبيلة كحه ممه وسه مثلاً ثورًا إلى آخرهم.

469 - ذكر أسماء بعض القبائل والتعريف ببعض العادات والصفات التي تختص بها

ومن قرى سنراب في فوت باللل قلوط الذي هو بال عد فوق هورفود قرب لمبل ولهم هنالك أرط خاص بهم ولعل ذلك لبعدهم عن هؤلاء، والله تعالى أعلم. وقيل إن ولاية أرط ساد خاص بسنراب ساد ومن تفرع منهم لا غير، اهـ. وقيل إن أرط كل فات بن أرط وال رجع من جلف إلى ساد فولاه عبدل بوكر ملك سنراب وكان فيه إلى زمن ملك فرانس في ولاية أول سايفد كنتن في دمك وقنار المسمى إبرا عبدل في كنل فخاف أرط كل فات أن ينم به إبرا عبدل إلى فرانس لكونه من أحباء عبدل بوكر فارتحل هاربًا إلى جلف فخلفوه هنالك عليهم ثم تخالف مع أمير جلف بون آنجاي فارتحل إلى فرل وكان فيها إلى أن نم بون بينه وبين فرانس فأخذوه وسجنوه في أندر إلى أن مات هنالك في السجن، هـ. قلت ولعل أرط كل لر تولى أمر سنراب بعد دخول ملك فرانس لفوت ثم ما زال فيه إلى أن مات في عام 1328 المذكور.(593) والله تعالى أعلم. واعلم أن فلاّن جلف أمم كثيرة منهم سنراب موقاير وكايرناب وياللب وبيناب وجاوب وأوررب وبكارناب وبسناب وهايرنكوب وفمبناب وربساننناب وهؤلاء يسمون لسناب وسنراب، وكايرناب هم الأكابر، وينقسم لسناب إلى قسمين لس دفايج ولس جب، قلت ومعنى دفايج بقول تغيب ثمارها تحت الأرض تؤكل والمعنى أنهم أهل البادية، ومعنى جب بقلة تسمى عند العرب الماس ثمارها تؤكل وهي منفخة للبطن والمعنى أنهم أهل الحاضرة، ولعل لس مشتق من لسر في كلامنا وهو الكسكسو، والله تعالى أعلم، ولس جب منهم أوررب وبسناب وبكارناب لكونهم يسكنون داخل البلاد مع ولف وباقيهم هم لس دفايج لبعدهم عن القرى، وسيف كنتنهم الآن عام 1924(594) يسمى أرط بامل بن أرط وال أخو

593 - عام 1328 هـ يوافق 1910 م.

594 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

أرط كل فات أو ابن عمه، والله تعالى أعلم. واعلم أن بكارناب قبيلتان إحداهما تسمى بدانب ولقبهم سه والأخرى [750] تسمى سيسيب ولقبهم سه، وأما جنكلناب فقبائلهم فنلناب وهم الرؤساء في قيلناب ثم كبناب ثم سركناب ثم بوبناب ثم بكبوك ثم لب كر ثم ودناب ثم بارناب ثم جكسناب ثم سمناب ثم جولناب وهم أهل قلب فوت الفوتيين في جلف، ثم فولناب ثم سكناب بمعنى الحصن، ثم بفناب وغالب ألقابهم كه وهم الرؤساء وسايف كَنْتُنْهُمْ الآن يسمى أرط بويط بن أرط عال عال بجل. نكتة في غرائب الفلاّن وعجائبهم وخواصهم: واعلم أن سنراب أكثر ألقابهم سه ويعرفون علم الرمل جدًا كما مر وهم أعرف الفلاّن بخواص المحبة والوجاهة أي بير بباء عجمية، وهم أشد الفلاّن خبرة بوزارة الملوك، وأكثر ألقاب بكارناب وبيناب وهنترب وربساننناب وفمبناب سه، وبكار أكثر الفلاّن بقرًا وضأنًا، وبيناب أجبن الفلاّن ويقال لهم بي كل كلوط يبي ناط، وهنترب أهل الاحتكار ومحبة التجارة والربح، وربساننناب أكثر الفلاّن ضأنًا وهم في جلف معروفون بالرفاهية والغنى، وفمبناب أهل سحر في القيد وربط الرأس ويقيدون الأسد والسلطان ويربطونهما حتى لا يضرا بشيء بعد ويعبرون عن القيد والسحر بهمر ويعرفون أيضًا عزيمة للوداع جدًا، ومن الفلاّن ياللب وأكثر ألقابهم به وسه وهم يحبون الملك ويعرفون الحرب وآخرون في جودة الرمي وعندهم إصابة المرمى ويعبرون عن ذلك بجك، ومن الفلاّن جنقلب ومنهم فنلناب وقيلناب وأكثر ألقابهم كه وهم معروفون بالجمال وحسن الذات وهم أهل سحر ليكثر البقر، وفنلناب أعرف الفلاّن بالخواص لوجدان بقرهم وكثرتها، وقيلناب أعرف الفلاّن بالرعاية، ومن الفلاّن كهلناب وأكثر ألقابهم كه وكانوا يغيرون بالخيل فإذا رأت البقر خيولهم تبعتها كما يتبع الحديد المغناطيس ولا يستطيع أرباب البقر ردها عن خيولهم لسحرهم، ومن الفلاّن جاوب أكثر ألقابهم جه وهم أعرف الفلاّن بالصحاري المجهولة وهم الأدلاء فيها وهم أعرف بحمل الماء [751] على الأعناق وأقدر عليه من غيرهم، ومن الفلاّن وأكثر ألقابهم بر وسه وهم أهل سحر بشر ويعرفون خواص الأشجار والنبات وغيرها، وقيل إن بسناب وفمبناب تفاتنوا فصير بسناب مياههم كلها دماء بسحرهم ومنع فمبناب كل رضيع بينهم عن أن يرضع أمه إنسانًا أو بهيمة فربطوا إلى طعام من ألبان والداتهم بسحرهم، ومن الفلاّن باراناب وأكثر ألقابهم جل وهم أعرف الفلاّن بالحراثة وأقلهم رحلة وأكبرهم عشاء وأقلهم ماشية وأكثرهم ضأنًا، ومن الفلاّن فافاب ومنهم قوم في بك فافاب ومنهم فلاط وأدبي في جلف وكلامهم مثل كلام أهل

الحاضرة من أهل فوت وهيئتهم هيئة فلاّن البادية من الضفر وغيره وهؤلاء جملة من الفلاّن وأما ذكرهم كلهم فلا يمكن لكثرتهم جدًّا، ومن الفلاّن أيضًا فلاب، قلت ولعل هذا اللفظ من فلات كما يقول العرب الآن أو من لفظ فاب كما نقوله نحن في كلامنا وهم سكان فرل وجان وهم أهل سحر بشر وزعم بعض فلاب أن أصلهم من نمدير وهو موضع بين فرل وسالم، وكاد فدب هم الحكام على الفلاّن، وفدب هم سوسوب ورؤساء فدب يومئذٍ أهل اللقب كمر ولما خربت نمدير صار فلاب في جان فما زالوا فيها إلى أن قاتل أهل تلك الأرض تفسير حم به.

470 - ارتحال الفلاّن واستقرارهم وذكر بعض أقسامهم

فارتحل الفلاّن فمنهم من قصد فوت ومنهم من قصد بند ومنهم من قصد سالم، وكان الذين في فوت منهم تارة يسكنون في فوت مدة ثم يرتحلون فيمرون بجان ويجاوزون إلى سالم وكانوا قد سكنوا في فوت قدر مائة سنة فارتحلوا إلى سالم فسكنوا فيها أربعين سنة ثم ارتحلوا إلى جان فمكثوا فيها ثماني سنين ثم ارتحلوا عن جان في عام سابا إلى فوت فمكثوا فيها إلى آن دخلها ملك فرانس فاستقر بهم النوى وألقوا عصى التسيار فسكنوا آمنين إلى الآن، ثم اعلم أن جميع من في فوت من فلاب من قرية واحدة من قراهم التي في جان والذين هم من جان أهل وركلور ثم سنس مرس ثم مدين كولل ثم مدين ففت وهما مدين فلاب ثم ماجمبا وأصلهم من قرية واحدة من قراهم في جان [752] وكانت تلك القرية في كسن بك ثم صارت في فل كلن ثم في كبل وهذه القرية هي المتفرقة في دمك، والذين في ديوان عبد السلام مدين كولل ثم مدين ففت ثم ماجمبا، والغير في ديوان جوم همد ألفا الماتمي. وأصل فلاّن وال جل وفلاّن كنكل فلاب ومنهم ير ملي ونحوهم فهؤلاء فلاّن أول وكانوا يرتحلون من فوت إلى أول ومن أول إلى فوت إلى أن دخل ملك فرانس فاستقروا في فوت إلى الآن، وكان رئيس فلاب يسمى جارك لا أرط، وألقاب فلاب كه وبه ودم وسه وبر وهم فتوب وكه وهو بمعنى جل ومن فلاب من لقبه سان وكمر وكان عل سنكوبا من فلاب فمهار جوب وقد ارتحل الآن إلى مرتن ولقبه كمر وهو من فلاب، وأما فلابالا فعبارة عن فلاب الذين تغيروا عن زي فلاب وصاروا في زي أهل فوت ومنهم أهل قرية بكس وهم كرل هاج في دمك وأهل نمار في فرل وأهل سرا في بند الذين منهم قوم سبن فات يربا، واعلم أن لقب به في فلاب اثنان أحدهما أوررب والآخر بالب، هـ.

471 - ذكر بعض الأحداث المهمة وتحديد تواريخها

وكان ملوك قرى فلاب أولاً فتوب أي برناب أو أوررب أي أهل اللقب به لقوة قلوبهم عند ملاقاة الملوك ثم صار الأمر الآن إلى أن كل من سبق إلى سكنى مكان فهو رئيسه لا غير، ومن عادات فلاب الجيدة أن أحدهم يسافر قاصدًا عمه أو خاله أو أخاه الكبير أو سميه ومراده أن يعطيه بقرة فيعطيه إياها ولا يخيبه غالبًا، اهـ، ومعنى فلابالا فلاب وال أي فلاب قرب البحر النيلي أو فل وال لا غير ظنًا مني، والله تعالى أعلم، ومعنى وال ما قرب من النيل ويدخله السيل غريبة. وقد رأيت من سنراب رجلاً عاقلاً وشيخًا ضابطًا فقال ومن كونكل في ملك ألمام يوسف في قتال مهدي تور إلى عامنا هذا وهو عام 1342 من الهجرة[595] قدره 107 سنين وباترل ني أي موتان البقر سبق أول طاعون في فوت بأربع سنين، ومن ذلك الطاعون إلى عامنا هذا قدره 55 سنة، ومن باترل ني المذكور إلى عامنا قدره 59 سنة ، والطاعون الأول قبل [753] قتال سانكن بأربع سنين، وكان سانكن في زمن الشتاء وقت حراسة كلاط من الطيور وفي آخر خريفه عند حراسة حرائث الخريف من الطير كان قتال أحمد مهدي لفت، والطاعون الأول أيضًا سبق قتال فورود بثلاث سنين وهو قبل سانكن بسنة وبين قتال ليلى وسانكن 3 سنين وسانكن هو السابق، ومن عام جب فت إلى عامنا المذكور قدره 50 سنة، ومن عام النجم ذي الذنب إلى عامنا المذكور أيضًا قدره 42، ومن عام قتال سابا إلى عامنا المذكور أيضًا 38 سنة، ومن الطاعون المتأخر إلى عامنا المذكور أيضًا 32 سنة، اهـ، والله تعالى أعلم.

472 - ارتحال قبيلة وطاب وتفرقها في الأوطان وذكر بعض أنسابهم وأخبارهم

وقد تقدم أن وطاب لما ارتحلوا هاربين عن فوت ووصل جلاؤهم إلى بك تفرقوا هنالك فرقتين فرقة قصدت نحو جلف وكجور وبول وفرقة توجهت نحو تور إلى أن قال وقيل إنهم لما خرجوا عن فوت إنما قصدوا نحو جلف فقط إلى أن قال فلما يبست هذه الأودية بدخول الصيف تفرقوا وذهب بعضهم إلى كجور وبعضهم إلى سالم ورجع بعضهم إلى تور، إلخ.

595 - عام 1342 هـ يوافق 1923 م.

وأولئك هم الذين في جايان ونحوها الآن وجدهم الأعلى يسمى جومط جيم وقيل جومط قايم وهو أخو جمتكن قايم الذي منه بيوت سنراب كلها، ومن جونيط بيوت وطاب كلها أو جلها، قلت ولعل قايم أمهما، وكانت لجونط قايم هذا خمس زوجات إحداهن تسمى أند جايفلب والثانية ساغو عل يلط والثالثة ين لام بال والرابعة ملاط دباج والخامسة كمب سط وهؤلاء النسوة أصل جسرناب جايان، والله تعالى أعلم، وأما أند جايفلب فقد ولدت لجونط ملل أند وإخوته ويقال لهم بيت أند، وأما ساغو إل يلط فقد ولدت له دمب ساغو وإخوته ويقال لهم بيت سك، وأما ين لام بال فقد ولدت له حمت ين وإخوته ويقال لهم بيت ين، وأما ملاط دوباج فقد ولدت له مب ملاط وإخوته ويقال لهم بيت ملاط، وأما كمب سط فقد ولدت له ولدًا يسمى قجاط جونط ويقال [754] لذريته بيت قجاط وهم قليلون، ودمب ساغو المذكور هو والد جاج دمب والد بوب جاج والد دمب بوب والد عيد الله دمب والد شعيب عبد الله والد ألفا ممد رحمة الذي هو الآن في قيد الحياة في جايان وهو من جملة قضاة تلبنار دكان الآن، ويقال لبيتهم الآن أيضًا بيت الأشياخ أي سارناب لكثرة اشتغالهم بالعلم، ويقال لهم يللناب أيضًا. ومن ذرية دمب ساغو بيدار دمب والد جاير بيدار والد كل جاير والد جاير كل والد همد جاير ودمب جاير، قال عثمان عال ولعل جاير كل هو أول من سكن في جايان فلما أتاها وجد فيها جايب أي الذين لقبهم جاي، قلت ولعل لذلك سميت القرية بجايان وقد وجدهم ساكنين في موضع مرتفع بين جايان وسول وفي وسط ذلك الموضع غار غائر تحت الأرض يأوون إليه في الليل وفي النهار ينتشرون للصيد والتحوت في الوادي كلنك، فلما أتى جاير على جايان ورأى أثرهم تبعه إلى الوادي فإذا بأناس يتحوتون فسألهم عن حالهم وعن مسكنهم فقالوا له أما نحن فمسكننا في ذلك التل العالي وقال لهم ما منعكم عن الخروج واتخاذ البيوت فقالوا خوفًا من الأسود واللصوص، قال لهم جاير اخرجوا أحرسكم من اللصوص ونتعاون على الأسود ومعي قومي وحيواني فقبلوا قوله وخرجوا وتحولوا إلى موضع جايان اليوم وجل حرفتهم يومئذٍ التحوت في وادي كلنك ولذا قال بعض أهل تور إن أولاد جايب لا يغرقون في كلنك لتعارفهم مع سامب كلنك وقد تقدم معنى سامب عند تاريخ سلسلب، وقال عثمان عال وقد أخبرني واحد من أهل دده بأنه تَخَرَّف ذات عُوَيْمٍ في جايان للحراثة وإذا أهلها

يحرثون في الحرائث إلى العشي يرجعون إلى جايان وينزلون إلى الوادي كلنك للاغتسال إذ رأى يومًا من الأيام بعد رجوعه عن حرثه وتجاوزه إلى الوادي كما كانت عادته جمعًا كثيفًا [755] حول الوادي يقولون إن سامب كلنك قد ظهر ومنع الناس عن الورود فقال قائل من الحاضرين أليس فيكم أحد من أبناء جايب فقيل لا فقال أرسلوا إليهم فأتى واحد منهم فتقدم إلى ذلك الشيء من غير خوف ثم جعل يقرأ عزائمه العجمية ويشير إلى ذلك الشيء بيده حتى غمص ذلك الشيء في الوادي فأمرهم حينئذٍ بالورود والاغتسال كيفما أرادوا ولذا كان بينهم وبين جسرناب عهد قديم وود جسيم، واعلم أن جايب هؤلاء يولون أحدًا منهم يلقبونه بجوم جلياك، هـ. ثم اعلم أن جل من في جايان من جسرناب بيت ساغو عل يلط ومنهم بيت جار كأولاد أرط صمب ساج حمدن صمب وأخيه جار صمب ومن معهم من أولاد جير، وفيها أيضًا بيت يللناب كأولاد تفسير شعيب وألفا سعيد وشيخ محمود شعيب وسارن ير أت ومن معهم كألفا ممد المعروف بممد رحمة في جايان، وفيها بيت صمب كارط جير ولب صمب وأولاد بوب دمب وهو كدمب وأخوالهم وهؤلاء كلهم من ساغو عل يلط وخالطهم بيت ين، وفيها أيضًا أولاد أرط عمر كارط ساج الذي هو رئيس وطاب كلهم اليوم وأخيه أرط يرم الذي هو رئيس جسرناب جايان خاصة وأولاد دمب أنت وأولاد ممد جي، وفيها أيضًا قليل من بيت أند كأولاد بيد ملاط، وأما بيت ملاط فجلُّهم في كجور كأرط لب جار الشهير في لود وو ومن معهم الآن في بيتهم قوم قليلون في سووناب بوتل الآن كأولاد إسحاق وإخوانهم هنالك، وقد قدمنا الآن أن بين ين قد خالط بيت ساغو عل يلط في جايان، واعلم أن من أولاد ين لام أرط حمت (...) والد أرط صمب والد أرط بوب وأرط ببكر وأرط صمب سميه، وأما أرط ببكر فهو والد أرط دمب الذي ما أعقب إلا إناثًا ومن بناته فات هاو زوجة ألفا ممد في جايان، وأما أرط صمب فهو المعروف بأرط صمب مويا والد أرط عمر الوجيه الذي هاجر إلى جور وبعد رجوعه أعطاه أمير أندر خمس عشرة بقرة ليستعين بها على القوت وقد ذهب [756] مع جيش فرانس إلى كجور وجلف لمحاربة أحمد مهدي، فهو والد أرط ساج الذي هو رئيس لعامتهم اليوم وأرط يرم الذي هو رئيس لوطاب فقط، ولم يذكر لنا أولاد أرط بوب ذهولاً منا ومنه، والله أعلم. واعلم أن جير سند الآتي ذكره كان يلقب بأرط جاير وهو والد أرط كل والد أرط بيدار وأخته عيش كل والدة أرط عمر والد أرط ساج وأخيه أرط يرم، وأما أرط بيدار فقد مات في سقت اسم قرية من قرى جلف وصورة ذلك أن تنور فاتم لما حارب أهل جلف

وهزمهم وقتل في ذلك الحرب أعمام عل بر هرب بعضهم إلى فوت واستسلم الباقون وامتنع فرسنك من الإذعان فقصد نحو فوت يستعين بإمامها حينئذٍ فأحضر ذلك الإمام صلحاء فوت وسألهم عما يفعلون مع هذا الضيف الذي هو فرسنك في حاجته هذه فقالوا فلنتركهما يقتتلان لأنهما كافران فلا نعين أحدهما على الآخر فاتفقوا على ذلك وامتنعوا عن الإعانة فذهب فرسنك أيضًا إلى تور وسيد الفلاَن يومئذٍ أرط بيد فاستجاش بما كان تحته من فلاَن تور لاسيما وطاب فذهبوا مع أرط بيدار وفرسنك إلى جلف فقاتلوا تنور فاتم عند القرية المسماة سقت فهزمهم أيضًا، ومن جملة من مات في ذلك اليوم أرط بيدار مع ابنه صمب دنج وغيرهما من صلحاء تور، والله تعالى أعلم.

474 - أخبار عن قبيلتي ترجناب وتسرناب

وأما كوت فاسم موضع كان يسكن فيه جل وطاب لاسيما ترجناب وتسرناب، فلما ارتحل عنه هاتان القبيلتان صار كوت الآن مسكنًا لجسرناب، وقد قيل إن وطاب ارتحلوا وتفرقوا من قبل لكثرة الفتن ومنهم من ذهب إلى جلف ومنهم من ذهب إلى وال برك وجلهم من ترجناب وتسرناب حتى تزوج كبيرهم من أرطات جسرناب بنت أمير وال برك واسمها سندفر فولدت له جير سند وقد عمروا هنالك كثيرًا من الأراضي الحرثية [757] ومنها كلقل وفط وكل آرط وقول باواو جمب وإليها نسب كبير ترجناب حيث يقال له جوم جمب، واعلم أن أرط وطاب لا يكون إلا من جسرناب، وأما ترجناب وتسرناب فلقب جميعهم سه أيضًا وهم الذين يختارون من شاؤوا من جسرناب فيولونه أرط وطاب، واعلم أن أصل ترجناب من دمب دقا المعروف بدوناق سويا والد جالك دمب الذي منه تسرناب ومن جالك دمب أيضًا فلاَن كلجين وهم ما خرجوا عن ملك وطاب قط إلا بعد دخولهم في ملك فرانس، ومن أبناء دمب دقا جم دمب دقا، ومن جم هذا بيت يسمى جم سرناب وهم فخذ من ترجناب وبيت مور بن دمب دقا، ومن أولاده أيضًا فات بن دمب دقا ومنه جوم جمب ير والد محمد بن جوم جمب ير بن تنقل الذي نزل ألمام أحمد سارن دمب ضيفًا عنده عام كوت، قلت وهو عام بكل فذبح له كثيرًا من الذبائح حتى صارت الضفادع تحبو بين فت ودم لصيرورة الدم في سيلانه واديًا صغيرًا، وهو أخ لصمب وور الوجيه المعروف بجوم جمب صمب وور وهو الذي أخرج أرط عمر وخلف أرط صمب وكلاهما قد هاجر إلى جور إلا أنهما قد رجعا إلى تور، وأما

صمب وور فقد هاجر مع دمب المشتهر بدليم والد محمد دليم الذي هو رئيس وطاب اليوم في جور ومحمد بن جوم ير بن تنقا بن جم بن دمب بن تنقا جم بن فات بن دمب دقا وهو محمد بن جوم جمب ير المذكور آنفًا، وفي مجاورتهم الآن من الفلاَن ثلاث قبائل أبناء جوم بي التي كانت أختًا لتنقا بي ثم جلب كهلناب ثم فبناب، ومسكن ترجناب في زمن الخريف اليوم موضع يسمى سوسان فوق سنقى، وأما سومناب فيقال إنهم من عل يلط [758] وكذا جايقلناب الذين هم فلاَن هاير وكذلك ور يينيناب ومسكن هؤلاء سومناب اليوم فلسوط موضع فوق جايان وقيل إن سومناب من بج لير دمب والد صمب بج والد قوطا صمب وجب صمب ويايني صمب، وأما فمنه ور يينيناب، ومن جملة وطاب بسناب وأصلهم من بس يرق وموديرق وكايوط يرق ومهنت يرق، وأما بس يرق فمنه بسناب وهم قبيلتان بسناب وطاب وبسناب بلايب ومن وطيب صمب جين ومن بلايب دمب سر، وأما مود يرق فمنه جوم قاران كجوم بلل ديبي وجوم مك، وأما كايوط يرق فمنه جل سسوسب سكت ومنهم الحسن حمات والد جوم صمب الحسن وصو حمات والد جوم إتي صمب والد سعيدجوم المتوفى عام أول وهم عام 1924 من الميلاد،[596] وموسى حمات والد سوي موسى والد ير سوي وصمب سوي المخبر وكلاهما في قيد الحياة الآن في سنل يرلاب وأختهم فديم كمات الصالحة المتصدقة كثيرًا وهي صهرتي لأنها والدة فند فديم والدة حواء زوجتي غفر الله لنا ولهن وستر علينا وعليهن وعفا عنا وعنهن في الدارين آمين، وأصلهم من حمات فديم الذي هو حمات عال بن دمب بن جم قطل بن كايوط بن يرق، وأما مهنت يرق فمنها جل فنايب ليدب أهل أوك ودلماج، وأما داد يرق فمنها أرط سبلل كنت في لاو، ومن أولاد دمب جم قطل محم دمب والد صمب محم الذي سافر إلى كجور أو جامبور وتزوج هنالك بامرأة فولدت له أولادًا وهم ألفا أحمد صمب وسارن علي صمب وسعيد صمب محم، وأما ألفا أحمد وأخوه علي فقد رجعا إلى فوت وكانا في سكت ولم يطب لهما القرار فيها فرجعا أيضًا إلى جلف [759] وسكنا مع عشيرتهما بسناب، وألفا أحمد هو والد الحسن جام وكان راغبًا في التعلم وهو اليوم من جملة موارد سرن بمب جارام، وأما علي فهو والد موسى علي المعروف بموسى جابك في جارام أيضًا الآن، وأما سعيد صمب فإنه ما فارق بسناب من وقت بلوغه إلى أن مات وكان من أشهرهم وأسحرهم أيضًا، انتهى.

596 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

واعلم أن وطاب حين ارتحلوا من فوت للفتنة بينهم وبين ستك قام بمي بج قلاين وهو الذي حضر هجرة وطاب من بمجات هورفود كما قيل وكان لم يقاتل وطاب حفظًا لجوارهم القديم ولكنه لسياسته أمر قومه أن يجددوا كثيرًا من القبور أي يحفروها ويدفنوها فلما وصل ستك الذي قاتل وطاب إلى هورفود قال لبمي إنك لم تقاتل معنا إعانة لنا فقال له بل أنا الذي قاتلتهم جدًّا وقد قتلوا منا كثيرًا عند القتال وقبورهم هاهي فأراه إياها فاستبشر له ستك وملكه كثيرًا من حرائثهم كلاط، وفي رواية أن السبب في اكتساب أهل بمي حرائث كلاط أن وطاب وجاوب وبيناب كانوا ساكنين من آجمات إلى بول وعند قرب دابي هورفود موضع يسمى إلى الآن ويند جاوب وقيل إنهما الذين صاروا في جودن ومنهم صمب قم وقومه وسبب جلائهم قتل ابن أرط وطاب لابن ستك فهرب الجميع إلى المغرب، قيل إن ستك لما وصل إلى هورفود لطلب وطاب قال لبمي إن هؤلاء قد قتلوا ولدي وتركتهم يهربون ولم تفعل بهم شيئًا وكان قد حفر المقابر الكثيرة ودفنها احتيالاً منه فأرى ستك تلك المقابر فقال هذه قبور موتاهم الذين قتلناهم فرضي عنه ستك وأعطاه جميع حرائث وطاب التي حول هورفود، والله تعالى أعلم. واعلم أيضًا أن وطاب لما هاجروا عن فوت للفتنة المذكورة قد اختفى بعض عبيدهم ومواليهم في فوت ثم ذهبوا إلى ستك واشتكوا إليه أمرهم وأنهم يحبون [760] السكنى والبقاء معه فرضي عنهم وملكهم حرائث وطاب التي هنالك فمنها قند وكيلل وسانل ولبراد وساب وهوج وغيرها من الحرائث، وهؤلاء العبيد والموالي هم الذين يقال لهم جلجلناب في هورفود وجلجلناب أيضًا في جايان وكذلك في لود وو، وكان هؤلاء جلجلناب الذين في هورفود يلقبون كبيرهم بجوم ويملكونه عليهم والذين بعد جلاء أرط وطاب والذين ملكوهم عليهم قد صاروا الآن ثلاث بيوت بيت مود وبيت دد وبيت ثالث، وأما مود فهو والد حمد مود والد جم حمد الذي هو جوم جم والد جوم حمد جم والد عبد الله جوم والد ممد عبد الله الذي هو في هورفود الآن، وجوم جم أيضًا هو والد مود جم وحمات جم ووركا جم وصمب جم، وأما مود فعقبه الإناث، وأما حمات فهو والد ممد حمات والد جوم عمر الذي هو جوم جلجل في هورفود الآن، وأما موركا جم فعقبه الإناث أيضًا، وأما صمب جم فلم يعقب، وأما بين دد بارل ير مود فهو والد دو دد وير دد، وأما دمب فهو والد جوم عبدل دمب وحمد دمب، وأما عبدل دمب فهو والد بوب عبدل والد أحمد بوب في جلجل الآن، وأما حمد دمب فهو والد سري حمد والد صمب سري والد ير صمب في جلجل الآن، وأما ير دمب فهو والد ممد ير ومود ير، وأما ممد فهو والد دمب ممد والد حمد دمب وهو من أئمة مسجد جلجل الآن، وأما مود ير فهو والد سلي مود وحمد مود، وأما سلي فهو والد عمر سلي والد إد عمر وحسين عمر وهما في جلجل الآن، وأما حمد مود فهو والد أحمد حمد والد حمد أحمد صغير السن في جلجل الآن، وأما البيت الثالث فهو بيت جوم دو صوير وجاي، وأما دو صمب فلم يعقب، وأما جاي صمب فهو والد جوم صمب وجوم مالك وجوم بكل، وأما جوم صمب جاي فهو والد حمات صمب الذي بنتاه في تواوون الآن، وجوم صمب جاي أيضًا هو والد ممد صمب الذي في جلجل الآن، وأما مالك جاي فهو والد صمب مالك وعمر مالك وعبد الله مالك وكلهم في جلجل الآن، وأما بكل جاي فهو والد صمب جوم بكل ودمب جوم بكل وهما في جلجل الآن، وقيل إن صوير ودد وأهل طبقتهما هم الذين حضروا هجرة وطاب، وقيل لا بل الذين حضروا ذلك [761] طبقة فوقهم وهم الذين ذهبوا إلى ستك فأعطاهم أرض جلجل التي في ملكهم الآن، وكان الأكبر سنًّا هو الذي يتولى أمرها إلى زمن ألمام عبدل، وكان جوم جلجل حينئذٍ جوم جان صمب وكان أعور فعزله وأخلف جوم جم مكانه، وقيل إنهم لما سمعوا بمجيء ألمام عبدل من أف إلى سلن انتقلوا من أسدبل إلى هورفود التجاء بألفا عمر وأعطوه زكاة حرائثهم سنتين فلما مات ألفا عمر قال لهم ألمام عبدل صيرت زكاتكم إلى حمزة باب في أجم كل ثم لما تولى ألمام مصتف جعل زكاتهم ألفا علو عم عم سار سري جاو فأبى جلجلناب منه فقالوا بل نكتفي بولاية ذرية حمزة باب علينا ولا نحب أن يلينا غيرهم فتركهم وشأنهم، وقيل إن مسكنهم كان عند جب أرط وطاب في أسدبل وسبب انتقالهم عنها إلى هورفود توافق كل لبل وصو يايني على إقامة الطريق للماشية بين أرضهم إلى وادي جلجل ويملكان النصف الذي يليهم ويتركان لهم ما بقي وتواعدا لذلك يومًا عيناه فعلم بذلك جلجل فقطعوا لصو يايني حرثًا كبيرًا من حرائثهم لبراد فرضي بذلك عنهم فلما جاءه كل لبل ليوفيا ما تعاهدا عليه قال له صو يايني أنا لا أظلم البريء فعلم بذلك أنهم أرضوه وسكت ثم ارتحل أهل جلجل هاربين إلى هورفود ليلوذوا ببمي ليحميهم عن الظلم، اهـ، والله تعالى أعلم.

انتهى ما عندي من أخبار وطاب ويليها أخبار دمت وبعض المنتسبين إليهم كأهل بول ونحوهم ممن لم يتقدم لنا ذكرهم من أهل قي جولط كن بعد تاريخ ألمام عبدل، فزعموا أنهم من دمشق الشام وذلك غير عجيب لأن السودان أصل مسكنهم الشام فأجلاهم عنها داوود عليه السلام وقد مر ذلك كثيرًا في هذا الكتاب، وزعم أهل دمت أنهم لما خرجوا من الشام سكنوا [762] في ماسينا ثم ارتحلوا عنها إلى أفطوط تند كسم ثم جبنيد ثم قل ثم موضع يسمى راسن، وما زالوا يسكنون ويرتحلون في مرتن إلى أن رحلهم ألمام عبدل في عام علي الكور وأمرهم بالارتحال إلى سنقال إلى آخر هذه الرواية، وسنرجع لها ونتممها إن شاء الله تعالى. وفي رواية عيشة إلمان همد دادا أن أصلهم من آيل بن آمل بن حمد وآيل هذا هو والد بلال آيل والد ير بلال والد دوت ير وعثمان ير، وأما دوت فهو والد حمى دوت ولمن دوت، وحمى هذا هو المعروف بحمى جولط كن وزعموا بأن آيل المذكور هو المهاجر من دمشق وكان في هجرتهم تسع وتسعون فخذًا من أفخاذ قبيلتهم الواحدة فسكنوا في ماسينا مدة طويلة ثم ارتحلوا عنها وقد بقيت فيها بقية منهم ثم سكنوا في رشيد وفارقهم بمياب ودايجنكوب وأهل مودنل وأمثالهم وكذلك فارقهم أهل كاس ثم ارتحلوا منها وسكنوا في قيم ثم ارتحلوا عنها وسكنوا في دمر بالراء جهة عقل ثم سكنوا أيضًا في تند كسماير ويعبر عنها بعضهم بتند كسم ثم سكنوا في جبنيد فكثروا فيها جدًا حتى صارت مساجدهم فيها سبعة لكثرتهم، وكان أمير الترارزة يحارب البراكنة فهزموه فاستعان بإلمان جبنيد فأمده بجيش منهم فقاتل به عدوه البركني فغلبه وكانت الترارزة يأخذون من أهل جبنيد الغرامة من الزرع ثم اشتد عليهم أمر العرب وكثر من يطلب الغرامة من العرب فارتحلوا وتفرقوا وفارقهم حينئذٍ جمناب الذين في المغرب. قلت رأيت بعض فلاب ينتسب إلى جمناب هؤلاء وهو منهم، وكذلك فارقهم أهل فد وكذا الذين في فوت من كنهنب، وقال المخبر ثم سكن الباقون منهم في قان في مرتن كاجار وفيها مات حمى دوت ثم تخلف ولده عمر حمى وكان أخوه الأصغر منه المسمى راسن حمى يتعلم العلم في المغرب فأرسلوا إليه بموت أبيه وتخلف أخيه عمر حمى فرجع وارتحل وسكن في مكان سماه دمت بالتاء.

ومن أولاد حمى جولط كن عمر حمى وراسن حمى المذكوران [763] ومنهم ببكر وعثمان وعال وبوب وأصغرهم راسن، ومن عمر إلمان قان وبعض أهل بول الذين يقال لهم هناك عمرناب، ومن ببكر جمناب، ومن بوب أهل كمك، وقيل هم من مالك حمى بدل بوب حمى لأنهم من مالك حمى جولط كن والد بوب مالك وعبد الله مالك، وأما بوب مالك فهو والد سيد بوب أخو كد بوب والدة ألمام عبدل، وأما عبد الله مالك فمنه سلسلناب، ومن عال حمى كثير من كنهنب الذين في فوت الآن لأن عبدل عال منه أهل كبل وأهل إلمان دك أودايج لأنهم من مالك عبدل عال حمى جولط كن، وأهل مودنل كبل من مات عبدل عال حمى جولط كن وهما شقيقان كما قيل، وأهل سطي من صمب عال حمى، وأهل كد من دمب عال، وبمياب من ير عال، وسيولناب من فات عال لأن أهل مودنل من مود صمب فات عال، وأهل سيول من داود صمب فات عال، وأهل نايك من حمت عال وقيل مكم عال وهو الأصح، وأهل بول من بران عال ومن أهل بول أيضًا اعمارناب وهم من عثمان عال وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم، وأما راسن حمى جولط كن فمن أولاده سليمان راسن وهنت راسن وسبل راسن، وأما سليمنا فمنه كن ورابالي وذلك أنه لما مات أبوه وكان أكبر أولاده وكان متكبرًا سيئ الخلق وكان يقول أنا لا أذبح الضائنة (أي الضأن) بل إنما أذبح الثور وهو معنى ورابالي، فلما طلب ملك أبيه امتنع أهل دمت أن يملكوه أي أن يختاروه ملكًا فقالوا إنك متكبر قبل التمليك فكيف تكون حالك إذا ملكت، فلما منع الملك صارت ذريته من إلمامات مساجد دمت كأهل اللقب سه فيهم، وأما سبل راسن فمنه كنهنب فنداو وتاكان ويقال لهم كنهنب راد سبل ومعنى راد البطن لأنسبل راسن هو والد هنت سبل والد ماليم هنت وعثمان هنت، وأما ماليم فهو والد ألفا ماليم ودمب ماليم، وأما ألفا فهو والد عبدل ألفا وعلي ألفا، وأما عبدل فهو والد ممد عبدل وهنت عبدل وأحمد عبدل، وأما ممد فهو والد محمود ممد وإبرا ممد وهما الآن في فنداو، وأما أحمد عبدل فهو والد ممد باب وراسن أحمد وكد أحمد زوجة سعد سقينة، وهو أيضًا والد علي أحمد وهم اليوم في فنداو، وأما هنت عبدل فهو والد راسن هنت وعبدل هنت وعلي هنت، وأما راسن وعبدل فهما حيان في فنداو الآن، وأما علي فقد مات وما ترك من الولد إلا إناثًا، وأما دمب ماليم فهو والد جاي قور [764] والد جال كن وجاي قور لوت المولود بعد

موت أبيه وسمي باسمه، وأما جال كن فهو والد أحمد جال وألفا كن حيان الآن في فنداو، وقيل أيضًا أن هنت سبل هو والد ماليم هنت وعثمان هنت، وأما ماليم فهو والد عبدل ماليم وألفا ماليم ودمب ماليم، وأما عبدل ماليم فهو والد ممد عبدل وأحمد عبدل وهنت عبدل، وأما ممد عبدل فهو والد محمود ممد وإبرا ممد وهما في فنداو الآن، وأما أحمد عبدل فهو والد ممد باب وراسن أحمد وعلي أحمد وكلهم في فنداو الآن، وهو أيضًا والد كد أحمد زوجة ساد سقينة الذي كان سايف في مقام في ديوان ليتام، وأما هنت عبدل فهو والد راسن هنت وعبدل هنت وعلي هنت الذي ما أعقب إلا إناثًا، وأما دمب ماليم فهو والد جاي قور وجال كن وجاي قور لوت ومعنى لوت الذي مات أبوه قبل ولادته، وأما جال كن فهو والد أحمد جال وألفا كن الحيان الآن في فنداو، وأما ألفا ماليم فهو والد إلمان جال والد إلمان ممد جال في فنداو، والله تعالى أعلم، وأما عثمان هنت سبل راسن حمى جولط كن فهو والد جاي عثمان والد سري جاي وسعيد جاي وببكر جاي وأحمد جاي، وأما سري فهو والد حمدن سري الصغير وعثمان سري ودوت سري، وأما حمدن الكبير فهو والد سارن عمر وجاي حمدن، وأما سارن عمر فهو والد سري قامة والد إلمان عمر الذي هو رئيسهم اليوم في فنداو، وأما حمدن الصغير فهو الذي ولاه ألمام عبدل أمر دمت لشجاعته وجاهه فوشاه أهل دمت بأنه جاهل لا يحسن قراءة الفاتحة فعزله الإمام فلما عزل ارتحل مغتاظًا إلى مرتن وذهب معه قبيلة مالب الذين يلقب رئيسهم بمال وهي تالب في دمت ودي وكذلك ارتحل معه قبيلة تالب وسيسيب وجنجنب، ولذا قلت حصتهم مما اكتسبوه من الأراضي الحرثية في فنداو وجلمس حين رجعت ذريتهم إليهما فمكث حمدن هنالك إلى أن توفي، ومن أولاده جاي حمدن ودو حمدن، وأما جاي فهو والد إلمان محمود وعلي محمود وسفات محمود وسري محمود الذي في خاي اليوم، وأما دو حمدن فهو والد إلمان علو [765] والد كجت المعروف بإلمان بورد في فنداو لأن توليته وافقت إحراق أمير أندر لفوت وتور كلتيهما فسمي بإلمان بورد لذلك، ولإلمان بورد هذا أخ يسمى جاي كن وهو والد عبدل ساجل سلدات، وجاي حمدن أيضًا هو والد سعيد كن وجب وعبيد، وأما سعيد فهو والد إلمان جاي والد سري كن في فدور اليوم يعمل في دار كماندك، وهو أيضًا والد جي كن ومحمود كن وأحمد كن وحمدن سري، وأما جب جاي حمدن فهو والد حمدن جب ومحمود جب وعبدل جب الذي كان خليلاً لي ويسمى أيضًا عبدل ساجل وهو الذي لم يعقب إلا إناثًا، وأما حمدن جب فهو والد سري حمدن، وأما

محمود جب فهو والد سعيد كن في تيكان في مرتن، وأما ببكر جاي فهو والد جاي قايج والد إبراهيم وسعيد وهمد كن، وأما إبراهيم فهو والد الرئيس المنعزل الذي ذهب به فرانس ويسمى إلمان عمر في تاكان، وأما سعيد كن فهو والد عمر كن والد أحمد لمن في تايكان أيضًا، وأما سعيد جاي فهو والد دمب سعيد وأحمد إلمان سعيد موم والد إلمان كن والد إلمان جاي علو وهو سايف كنتن في مرتن الآن في تايكان، ولسعيد جاي أيضًا ير سعيد المعروف بير أمهان والد حمدن ير الحي في تايكان الآن وسعيد كن الذي في يد أمير أندر، انتهى بقليل اختصار، ويقال لبني عثمان هنت دار جايناب في فنداو وتاكان لأنه والد جاي عثمان والد سري جاي وسعيد جاي وببكر جاي و(...) جاي إلى آخر ما مر فلذلك يقال لبني عثمان هنت دار جايناب، ومن نسل عثمان هنت هذا يكون إلمان فنداو، وقيل إن هنت والد عثمان هنت هذا ابن لراسن حمى جولط كن مباشرة لا بواسطة سبل راسن قيل وهو الأصح، والله تعالى أعلم، وعثمان هنت إذًا أخ لسعيد هنت راسن حمى جولط كن والد ببكر سعيد الذي هو إلمان ببكر الكبير ودمب سعيد ومالك سعيد.

478 - الخبر عن إلمان سعيد واستقراره في جلمس وذكر من انتسب له

وأما ببكر سعيد فهو والد سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد الذي وافق زمنه زمن ألمام عبدل ومكث في ملك دمت قدر خمسين سنة [766] وهو الذي زاد في كل دمت أي في موالي دمت بعدما ابتدأها سيد هنت سبل راسن، وهو أول من ابتدأ بأمر قل دمت وزاد فيه إلمان سعيد هذا زيادة عظيمة، وقيل إنه كان أقام خشبة فكل من مسها من عبيد أهل مملكته صار من مواليه، والله تعالى أعلم، وهو الذي رحله ألمام عبدل من دمت مرتن إلى سنكال في عام علي الكور كما سبق، وقد قطعوا البحر عند المرسى دلبر في دي وعنها إلى كانك بين دناي وجوار وعنها إلى كد وفيها ماتت والدة إلمان ببكر الكبير واسمها كمب حلي وهي من جكوب، ثم قطعوا بحيرة ورك ونزلوا في سنك بي اسم موضع بين آجم تووكل والبحيرة أو خليج في بحيرة ورك تحت أجم تووكل وقيل شرقي أجم وهناك لحق بهم ألمام عبدل فسألهم عن حالهم فقالوا نحن قاصدون يلد قر بين كسك ووالد، فأحضر الإمام صلحاء فوت وشاورهم في أمر هؤلاء فاتفقوا على رجوعهم ليسدوا الثغرة التي بين كد وبكل إذ ليس فيها حينئذٍ قرية عامرة وأهلها قد هربوا عنها لكثرة الفتن من البياضين وفلاّن البراري من جلف وغيرهم، وقد ارتحل

وطاب إلى وال برك وياللب سل قد رجعوا إلى كد فقال إلمان سعيد إن لتلك المواضع أربابًا وهم رئيس جايان وإلمان سنقي وجوم بوتكل وأرط وطاب وبوتل وجوم قندار، فأجابه الإمام مع صلحاء فوت ولكم ما عمرتم قبل رجوع صاحبه وما وجدتموه مقطوعًا أشجاره قبلكم فلمالكه إن رجع وما وجدتم فيه الأشجار فاقطعوها ولكم ما عمرتم، ثم ارتحلوا راجعين ونزلوا في سووناب ناوين المكث هنالك حتى شرعوا في التعمير إذ أتاهم عبد من عبيد ياللب سل اسمه جم هاو فقال لهم لا تتعبوا أنفسكم في هذه المواضع لغير المصلحة (اي غير الصالحة) للزرع مع قلة الحيتان في الأودية والحياض فأرسلوا معي أمناءكم لأريهم من أول سلد كلنك إلى سلد دي وما استحسنته عقولهم فليختاروه لكم، فقام العبد ومعه أمناؤهم فظلوا يفتشون المواضع إلى أن وقفوا على موضعهم الذي هم فيه الآن فاستحسنوه ورجعوا إلى أهلهم فارتحلوا إلى ذلك الموضع الذي هو جلمس وكبيرهم يومئذ إلمان سعيد [767] وله إخوة الذين هم حمدن ببكر وجال ببكر وسيد ببكر وأحمد ببكر اللذان لم يعقبا، وأما سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد فهو والد سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد سمي جده وهو الذي حارب فرانس وأخذوه وذهبوا به إلى أندر إلى أن مات هنالك وهو والد ممد دادا الذي قتل خاله عبدل بول وقيل إن عبدل بول هذا هو الذي نم بين فرانس وبين إلمان سعيد هذا حتى أخذوه فتخلف هو مكان إلمان سعيد فقتله ممد دادا فأخذه فرانس أيضًا وغربوه في بلادهم ثم بعد ذلك ردوه إلى دمت بعد مدة مديدة وملكوه وجعلوه سايفد كنتن إلى أن مات، وأما حمدن ببكر فهو والد إلمان أحمد حمدن الذي مات في بنكوو، ومن أولاد حمدن ببكر ببكر حمدن الذي قيل لما أراد ألمام تمليك حمدن سري الصغير أحد دار جالناب في فنداو وأبى عن ذلك جلهم لجهله وقلة علمه، وكان حمدن سري هذا من أوجههم يومئذ فقال بعض الحاضرين للإمام أتلوي العمامة على جاهل لا يحسن قراءة الفاتحة، فقال الإمام للحاضرين أحق ما قال فقالوا له نعم والله، ثم سأل الإمام هل في من بقي منهم عالم يستحق الإمامة فأتوه ببكر حمدن هذا فولاه الأمر فاغتاظ حمدن سري الصغير فارتحل إلى مرتن مع من أحبه وقد تقدم ذلك، وأما جال ببكر فهو أحسنهم حالاً وأتقاهم قلبًا وهو الذي منعهم عن ضرب الدفوف في الملاهي وعن أخذ بنات مواليهم للخدمة، وكان من عوائدهم القديمة إذا ولي أحدهم الأمر يأخذ من غلمانهم سبعة ليسوسوا دوابه ويستعملهم فيما أراد ويأخذ لزوجته من بناتهم سبعًا فلا يزالون عند داره في خدمته وخدمة أهله حتى يبلغ الغلمان وتتزوج البنات، وجال هذا هو والد حمدن

جال وحمد جال، وأما حمدن جال فهو والد عبدل حمدن المعروف بعبدل بول أخو دادا بول الذي قيل بأنه الذي نم بين إلمان سعيد بن إلمان ببكر وبين فرانس حتى أخذوه إلى آخر ما مر، وعبدل بول هذا هو والد ببكر سخن الذي في دمت الآن، وأما حمد جال فهو والد جال حمد الذي ولي أمر دمت بعد موت عبدل بول لأنه أقرب منه نسبًا وفرانس هم الذين ولوه الأمر فخانهم وصاحب ألمام فوت يومئذ وهو ألمام أحمد سارن دمب في جاب وحارب فرانس مع أهل فوت يوم بكل فانهزموا هاربين [768] فأخذه فرانس في جايان وأخذوا معه ببكر كن وببكر محمود وهما من أهل سنقي، وراسن ملاط أحد كلنكوب دمت وذهبوا بهم إلى الجزيرة كر وسجنوهم هنالك إلى أن ماتوا، وجال هذا هو والد ببكر جال الذي هو إلمان المنعزل الآن الذي مسكنه الآن سنقي، وجال أيضًا هو والد إلمان جاي الذي مات في الطاعون الأول. ومن أولاد سعيد هنت راسن حمى جولط كن مالك سعيد ودمب سعيد، وأما مالك سعيد فهو والد عثمان مالك والد إلمان دوتول، وأما دمب سعيد فهو والد ببكر دمب وأدم دمب، وأما ببكر دمب فهو والد إلمان دمب كدايج الكبير والد إلمان جي الذي مات يوم دمت في حرب فرانس، وأما أدم دمب فهي والدة إلمان ببكر العالم الصالح الصغير وإلمان دمب كدايج المذكور هو دمب ببكر أخو جال ببكر والد حمد جال والد إلمان عبدل كمب دادا سايفد ولاس دمت اليوم، ومن أولاد إلمان ببكر العالم الصالح المتأخر سارن محمد سعيد وقيل إنه كان عالمًا ومات قبل موت أبيه فلما مات حزن عليه أبوه جدًّا ومحمد سعيد هذا هو والد جي فدم والد سعيد كن الذي هو رئيس ديوانهم اليوم وسارن محمد سعيد أيضًا هو والد حمدن فدم وفاطمة محمد، ومن جملة أولاد إلمان ببكر الصغير أيضًا إلمان سعيد وخراس إلمان ومحمود إلمان وأختهم نمسان إلمان وأمهم مريم أست من سيسيب سيم، ومنهم إلمان دمب الصغير وصو كن وسخن كن وأمهم من بنات برك بوج، ومن بناته كايج كن وفدم كن، وأما إلمان سعيد فهو والد ممد دادا وأب دادا وجال كن وكمب دادا وكجت دادا، وأما خراس فلم يعقب، وأما محمود إلمان فهو والد ملاط محمود وتك محمود وببكر محمود ومحمد محمود، وأما نمسان فهي والدة مريم نمسان وسعيد نمسان، وأما سخن كن فهي والدة ببكر سخن وأما محمد إلمان الذي هو محمد سعيد فقد تقدمت ذريته، وأما كايج كن فهي والدة أب كايج وألفا كايج وممد كايج وسعيد كايج وكمب كايج وفند كايج وكدايج كايج إلى آخر أولاد إلمان ببكر الصغير، والله تعالى أعلم بهم وبغيرهم. ومن أولاد هنت راسن أيضًا وقيل هت سبل راسن سيد هند هنت

والد ببكر سيد والد أحمد ببكر والد [769] محمود أحمد والد ببكر محمود الذي قدمنا بأن فرانس أخذوه مع إلمان جال وراسن ملاط أحد كلنكوب دمت وسجنوهم في الجزيرة كر إلى أن ماتوا هنالك والعياذ بالله تعالى، وببكر محمود هذا هو والد عثمان ببكر الذي في سنْگى الآن، وسيد هنت هذا هو الذي ابتدع كل دمت وزاد فيه إلمان سعيد بن إلمان ببكر الكبير جدًا إلى آخر ما مر، انتهى ما عندنا من ذكر أولاد حمى جولط كن. وأما لمن دود أخو حمى دود الذي هو أخو حمى جولط كن فمن ذريته حمات لن والد عمر حمات والد متار عمر ولمن عمر، وأما متار فهو والد حمدن متار والد إبراهيم كن والد مختار أحمد المخبر الذي في سنكي الآن، أما لمن عمر فهو والد لمن لمن لموت والده قبل ولادته وهو والد إبراهيم كن بن لمن لمن والد أخينا في الله ومحبنا فيه لمن كن المعروف بلمن بكاج الذي في سَنْگى الآن ومعنى بكاج الثياب المخضرة أي المصبوغة حتى صارت مخضرة أضيف إليه لكثرة لبسه إياها، وقد ذكرت عيشة إلمان ممد دادا عن أبيها أن لير بلال آيل والد دود ير أولادًا غيره منهم نل ير وجب ير وبسكت ير ولكن المخبرة عيشة إلمان ممد دادا لم تعرف عقبهم ولم تذكر منه إلا شيئًا غير ثابت بل مضطربا فلذلك حذفناه ولم نثبته هنا، واعلم أن إلمان سعيد بن إلمان ببكر العالم الصالح هذا هو الذي قال فيه بوكر عال دند حين اجتمع صلحاء فوت وتور في فدور فقال بعضهم لبعض هل بقي من أحد ينتظر فقيل قد بقي إلمان سعيد غائبًا ولم يحضر إلى الآن فقال بوكر عال دند فلا يمنعكم يا معشر أهل فوت هذا الطوري الذي يأكل البطيخ من الكلام فيما اجتمعتم لأجله فتعبس أهل تور لكلامه وسكتوا إلى أن أتى إلمان سعيد فساروا إليه قول بوكر عال دند فقام على الفور مشيرًا بيده إلى بوكر عال قائلاً يا أهل فوت هل تعرفون من هذا يعني بوكر عال فقالوا نعم فقال بل لا تعرفونه إنما هو من دند وما دند إلا راع [770] لرجل من البياضين الترارزة اسمه بنجوك ول حميد وكان ساكنًا حينئذٍ في سنقام اسم واد في مرتن محاذيًا لكاي أو وجهتها وكان الترارزي من أخلاء آبائنا فلما قال ذلك وجموا له وافتضح بوكر عال، انتهى، رحمة الله علينا وعليهم أجمعين فإنه تعالى لذلك أهل آمين. قلت وهذا يدل على أن دند ليس من بني حمّى جولط كن مع أن ممد بَيْلَ تقول ذلك الآن وذلك ما سمع من أحد من أهل دند ولا من غيرهم إلا ما سمع من ممد بَيْلَ المذكور.

479 - القبائل التي سكنت سنقي وذكر بعض أخبارهم

وأما قرية سنقي فقد كان فيها جاجاب وسكسكب الذين لقبهم ساغو (غير واصح) وكنهنب، وأما جاجاب فقد تفرقوا ومنهم جاجاب الذين صاروا في دمت المضافون إلى أولد، وأما سكسكب فقد تفرقوا أيضًا في البلاد لكثرة الفتن ومنهم ديار في دي الآن وقد كانوا في سنقي أئمة مسجدها وكذلك هم في دي أئمة المسجد أيضًا ومن ساداتها وبعض منهم في دناي أقوياء هنالك سادات، ومن سكسكب الذين كانوا في سنقي آل عبد الله الشيخ الذي صارت ذريته في أندر اليوم كالمترجم لسان الدولة الفرانساوية محمد بن القداد المعروف بدود ساغو وأخيه سيد قضاة السودان السنقالية القاضي عينين ساغو وأخيهما التاجر الصدوق البر السخي الشفيق عبد الله ساغو والد النجل المبارك بكاي سك، وأما كنهنب فهم رؤساء سنقي قديمًا وحديثًا وهم أولاد عثمان ير بلال آيل والد عال عثمان المعروف بعال مرم الذي أمه من ياللب واسمها سيوط يتم وهو والد لوتان عال والد راسن لوتان والد أحمد راسن لوتان والد أحمد راسن الذي أمه من جاوب كبل.

480 - القبائل التي سكنت دمت وذكر بعض أخبارهم

وأما قرية دمت فتنقسم إلى قسمين وهما كل وفكار، وأما كل فهم كنهنب وقيب وليدب أرم ومال تالب وجالتاب وجكْدن وهو رئيس الموالي ودار سيسيب دقا جم سه ولعلهم من سيسيب برى، [771] وأما فكار فهم جقوب وليدب سيد برام وأبناء بران جم سه ومنهم قاضي عثمان سه الكبير وسميه عثمان سه الصغير وليدب سيد بران، وأما القبائل التي يختارون من يعطون إلمان دمت فثلاث وهم جكوب وليدب سيد بران وتالب وهم المعزولون له أيضًا إن اجتمعوا واتفقوا ولم يختلفوا وإلا فاثنتان منهم كافيتان، وكبير ليدب سيد بران يتخلف مكان إلمان دمت إن مات أو عزل ولم يتخلف الآخر بعد حتى يتخلف المتخلف وهذا يدل على أن لليدب سيد بران مكانًا عليًا عند أهل دمت قديمًا بخلاف ليدب آرب فإنهم كالموالي، وإذا استجاش إلمان دمت جيشًا يذهب بمن شاء منهم إن شاء بالجميع وإن شاء بالبعض، وجبريل له ينتسب إلى هؤلاء ليدب ومثلهم في جميع ذلك كيكيب وكل دمت والحواتون، وأما غيرهم من قبائل دمت الآخرين لا يذهب بأحد منهم في الجيش إلا بمن نابت نوبته أو بقسمة

القرعة، وقيل إن الذين كانوا في مرتبة ليدب سيد بران قديمًا ليدب آرب، قال عثمان عال وأما ليدب في دمت قبيلتان ليدب آرب وليدب سيد بران، وأما ليدب آرب فقد كانوا أولاً أقرب إلى إلمان دمت من ليدب سيد بران إلى أن رجع راسن حمى جولط كن من سفره لطلب العلم وعزم على الارتحال إلى مسكنه الذي سماه دمت في مرتن، فلما ارتحل إليه ذهب معه ليدب سيد بران وتخلف عنه ليدب آرب ولذا صيّرهم راسن حمى في مرتبة ليدب آرب الذين تخلفوا عنه ورفع مرتبتهم وحط مرتبة ليدب آرب وهم على ذلك إلى الآن، وأما أصل ليدب آرب فهم من بكار والد دام بكار والد عبد دام والد آرب عبد والد بكار آرب والد عثمان بكار والد باب له عثمان والد عثمان باب له والد باب له عثمان وجب عثمان الذي هو جبريل له سايفد كنتن في ديوان ليتام في عام 1923 من الميلاد العيسوي،[597] وأما أصل ليدب سيد بران فهم من يعقوب جم له والد إبراهيم يعقوب والد حمى إبراهيم والد بران حمى والد درمان بران والد جي له درمان والد ممد [772] ممد له جي والد إبراهيم ممد الذي في دمت الآن، وأما أصل سيسيب بران فهم من عثمان سه الصغير بن حمات بن براهيم بن أحمد بن محمود بن راسن بن عال بن هول بن مالك بن بران بن جم سه، ومن أولاد هول والد عال هول عبدل هول والد ساغو عبدل والد قم ساغو والد إبراهيم قم والد عبد الله إبراهيم والد ألفا عال المخبر من أهل فنداو، وأما سيسيب أولاد دقا جم سه فهو والد عال دقا والد سليمان عال والد جب سليمان وعثمان سليمان وعثمان هو أول من لقب بإلمان سيم وهو والد حمى عثمان والد أحمد حمى والد حمدن سه والد حمى حمدن والد حمدن حمى والد حمات أحمد المعروف بدمب فات المخبر، ولأبناء دقا جم سه في كل ذبيحة ذبحته أبناء إلمان دمت بيول وهي لحمة واسعة ساترة للأحشاء، وأما أبناء برنا جم سه فهم أئمة مساجد أهل دمت.

481 - بعض أوصاف أهل دمت ومكانتهم بين القبائل

وقيل إن أقسام ما يقسم بين أهل دمت كالغنيمة مثلا يقسم عشرة أقسام فلجكوب منها سبعة ولسائر أهل دمت ومنهم إلمان دمت ثلاثة أقسام، وقيل إن سبب زيادة أقسام جكوب على غيرهم تميزهم بالشجاعة البالغة بين قبائل دمت وأن جكوب حيثما كانوا فأصلهم من دمت لا غير وأن أحدهم كان قد هاجر لطلب العلم في فوت فلما صار عالمًا سكن في دمت

597 - عام 1923 م يوافق 1342 هـ.

فلما أراد ألمام عبدل أو ألمام يوسف أن يقسم الأراضي لمن يستحقها من أهل العلم أو غيرهم وكان بينهما محبة ومعرفة أعطاه حرائث كلكل جلكوج وحرائث كلكل فر فسمي إلمان فر هنالك، والله تعالى أعلم. وقيل إن أهل دمت إذا اجتمعوا فكبيرهم مجازًا تالب، وأما الخلافة على إلمانية دمت فليدب سيد بران كما أخبر بذلك سعيد كمب دادا، والله تعالى أعلم. واعلم أن بين القرية دمت جلمس وبين سنقي قرية تسمى فيها جاجم وتسمى من السادات تفسير جابر وأصله من جاوب كبل ارتحل إلى وال برك من قبل وسكن في باران موضع أو قرية وهي قريبة من قصر يمر بوج الذي كان أميرًا لوال دون بحيرة جاير وفيها كان مسكن تفسير جابر هذا إلى أن أغار اللصوص [773] من أهل فوت على بقراته فذهبوا بها إلى فوت في أيام ألمام بران وابنه ألمام محمود فتبعهم تفسير جابر إلى يمب فكتب براوة بليغة فدفعها إلى الإمام فقرأها على رؤوس الأشهاد فقال لهم الإمام ما قولكم أيها الحاضرون في مال صاحب هذه البراوة فأجابه صلحاء فوت بأن الكلام لك ولا كلام لأحد معك في هذا فقال إن مال أمثال هؤلاء لا يجوز أكله، فلما قال ذلك ردوا إليه ماله وطلبوا منه أن لا يسكن مع الكفار لئلا يأخذوه معهم وأن لا يبعد عن فوت مسكنًا ليمكنهم التبرك به، فاختار تفسير سكنى جاجم، قال عثمان عال ولعل اختياره لسكنى جاجم لقرابة كانت بينه وبين أهل دمت لتداخلهم في المناكحة والمقاربة النسبية، قلت ولعل من اختياره للسكنى قرب دمت لكونهم أهل علم مثله ولكون دمت أقرب لمسكنه الأول وال برك وغير ذلك، والله تعالى أعلم، وأصله رجل يسمى ير والد صبلد ير والد بج صبلد والد دمب بج والد مالك دمب والد عال مالك والد سلم عال والد تفسير جابر والد بكار تفسير والد حو بكار والدة مالك حو المعروف بسارن مالك والد جابر الصغير الذي هو رئيسهم اليوم، وأما سارن مالك هذا فهو من دمبب وله إخوان في رنجو وسلي وأصله من رجل اسمه مومن والد دمل مومن والد صمب دمب والد حمات صمب والد عال حمات والد محمود عال والد محمد محمود والد الحسن محمد المعروف بسارن مالك والد جابر سارن الذي هو رئيسهم اليوم في جاجم، ومن عوائد أهل دمت إذا ولي إلمان دمت الجديد الأمر يتعرس أيامًا في ديار مال تالب في فنداو ومعنى يتعرس يحتجب في ديارهم كما تحتجب العروسة، ومن عوائدهم أن أمر جالتاب وجكدن في يد جايو دمت أي الزوجة الأولى لإلمان دمت فهي التي توليهما الأمر، ومن عوائدهم مع الحواتين إذا حوتوا يومين لأنفسهم فاليوم الثالث لإلمان دمت، والفلاّنيون لهم ليلتان في لبنهم والليلة [774] الثالثة

فلبنهم لإلمان دمت، وله شاة على كل فلأني في أول كل شتاء، ولإلمان دمت في كل دار سقلل قفك وزجاجة مملوءة سمنًا ومعنى سقلل آلة من عيدان مربوطة بعضها على بعض بلحاء شجر يحمل بها سنابل الزرع ويقدر بها مقدار الزكاة، ومعنى قفك العلاف التي يعلف بها الفرس، والله أعلم. ولجايو دمت أيضًا على كل دار عشرة صيعان من الدقيق المبروم بعد طيب الزرع وحصاده لتستعين بها على الاصطباح كما زعم المخبر، ولإلمان دمت أسال من كل ذبيحة ومعنى أسال الأليتان وما حولهما، وله على الحواتين لاس نوره أي ذنب التمساح. قال عثمان ولذا قال إلمان حمدن هنت أحد كنهنب سنقي، وكان قرينًا لإلمان ببكر في السن وكان يتحدث مع إلمان بيد في سنقي بعد موت إلمان ببكر، أن عمكم إلمان ببكر قد أفسد أمر كنهنب دمت وأغواهم غاية وكانوا أولاً كالعوام وصيرهم إلى أن كل من كان له قمب جعل له سروالاً ومن كان له سروال زاده عليه قميصًا ومن كان له قميص وسروال زاده مدفعًا ومن كان له قميص وسروال ومدفع زاده فرسًا ومن كان له ذلك زاده عبدًا سائسًا لفرسه فلهذا تراهم لا يتواضعون لأحد بعده، فقال له إلمان بيد بل إن عمنا إلمان ببكر قد أصلح حال كنهنب دمت فقال له إلمان حمدن وأنا أعرف منك بحاله وكنت أحابل معه الحبال وراء القرية ونحن صبيان، هـ. وقيل إن الذي أعانه على حوز ما حاز من الأراضي لتزوجه بمريم بنت ألمام يوسف في جاب ولذا لم يحصل لأرط وطاب الذي كان يخاصمه كثيرًا عند ألمام يوسف في الأراضي الحرثية وكان إلمان ببكر يرجع فرحًا بالنصر على خصمه مسرورًا وقد ولدت له مريم ألمام يوسف أولادا ولكن لم يبلغ أحدهم الحلم إلى أن ماتت مريم في دمت وقبرها مع إلمان ببكر في جك اسم مقابر في سار وال أي قرية النيل.

482 - ذكر إلمانات (الأئمة) الذين تولوا أمر دمت

وأما ترتيب إلمانات دمت في الولاية فإلمان سعيد هو الذي ارتحل من مرتن إلى سنقال ولما [775] طال عمره في ولاية دمت ولم ينعزل نازعه جال ببكر أخوه فعزل إلمان سعيد ووالى جال ببكر أمر دمت اثني عشر عامًا فرجع أمر دمت إلى إلمان سعيد ببكر ولم تطل بعد ذلك أيامه فمات، ثم إلمان أحمد حمدن الذي مات في بنكوو ثم أخوه ببكر حمدن ثم إلمان دو تول ثم إلمان ببكر العالم الصالح فلما طال عمره ولم ينعزل ذهب دو كديج إلى ألمام فوت حينئذٍ فولاه أمر دمت فمكث فيه عامًا واحدًا ثم انعزل لإلمان ببكر طوعًا منه لأنه ابن خاله ولذا

أعطاه إلمان ببكر حرائث كلكل دو دايج ملكًا له دون غيره، وقيل إن إلمان ببكر لما طال عمره وضعف حاله وصاهم على جال ببكر الذي هو أخو إلمان دمب كديج الكبير الذي هو دمب ببكر دمب سعيد هنت راسن حمي جولط كن، وجال ببكر هذا كان تلميذًا لإلمان ببكر وصديقًا ومطيعًا له كالعبد ونائبه في الحوائج وهو الذي بعثه إلمان ببكر نائبًا عنه يوم قنسوج فني أي يوم خنادق فني في محاربتهم لفرانس وجرح جال ببكر يومئذٍ فأدخل في السفينة فرجعت به إلى دمت مجروحًا، وكذلك قد بعثه إلمان ببكر أيضًا نائبًا عنه يوم جاتار الذي قاتلوا فيه البياضين وكذلك ناب عنه في غيرهما من الأيام. وقيل إن إلمان ببكر منع من منازعته في ولاية الأمر ولكن ابنه إلمان سعيد نازعه في الأمر حتى انعزل كرهًا ولذا قال إلمان جي بن إلمان دو كدايج في منازعتهما فإذا نقضتم العهد وخالفتم قول والدكم إلمان ببكر فلا تقولوا الداخل عليكم ونازعكم في أمركم شيئًا، ولما أخرجه إلمان سعيد من ولاية دمت قام إلمان جي بن إلمان دو كدايج مستعينًا بزوجته نمسان بنت إلمان ببكر على إخراج إلمان سعيد من ملك دمت بمال جزيل وكانت ملية غنية فأخرجاه من الملك وتولى إلمان جال ثانيًا ومكث مدة ثم قام إلمان سعيد أيضًا ذاهبًا إلى ألمام فوت حينئذٍ فولاه الأمر ثانيًا، ثم قام عبدل بول ذاهبًا إلى ألمام فوت فولاه الأمر [776] أيضًا ولم يقبل صلحاء دمت ولايته ولم يذعنوا لها بل أبوا عنها فتجاوز عبدل بول إلى فرانس مستعينًا بهم فقاموا إلى دمت فأوقعوا عليهم القتال وأخذوا إلمان سعيد مأسورًا وذهبوا به إلى أندر إلى أن مات هنالك، وقد مات إلمان جي أيضًا، ثم إن فرانس لما أخذوا إلمان سعيد ولوا عبدل بول مكانه ولم يمكث إلا شهرًا فقام ابن أخته ممد دادا بول بن إلمان سعيد وقتله على أنه الذي نم بين أبيه إلمان سعيد وبين فرانس حتى أخذوه ثم إنه لما قتل خاله هذا أخذه فرانس وغربوه إلى قبو ثم بعد مدة طويلة ردوه وملكوه إلى أن مات في دمت، ثم إن فرانس لما قتل ممد دادا خاله هذا أقاموا وخلفوا مكانه ابن عمه الشقيق وهو جال حمد ولكنه خانهم يوم لمبل وهو يوم بكل ولكنهم ظفروا به وأخذوه ومعه ثلاثة من قومه وذهبوا بهم إلى كر وسجنوهم هنالك إلى أن ماتوا وقد قدمنا ذلك أولاً، ثم تولى بعد جال حمد إلمان جاي الذي مات في الطاعون الأول الذي حدث في ذلك الزمن، ثم إلمان دمب كدايج الصغير بن إلمان ببكر العالم بعد رجوعه من جور، ثم إلمان ممد دادا بعد رجوعه من كبو، ثم إلمان ببكر المنعزل الآن في سنكي، ثم إلمان عبدل كمب دادا الذي هو رئيس القرية دمت اليوم، انتهى والله تعالى أعلم.

فصل في ذكر بعض ذرية بران عال حمى جولط كن وبعض ذرية عثمان عال حمى جوبط كن الذين هم أهل بول بران ويضاف عال هذا إلى أمه ويقال عَالْ تَكْ نَاقْ شوّيا (...)، وهم ينقسمون إلى ثلاث قسمات دكناب وفكارناب وأعمارناب، ومن سيد بران عال حمى دكناب ومن بوب بران عال فكارناب ومن عثمان عال أعمارناب، واما دكناب فقد انتشروا في الفتن الأولى وتفرقوا فمنهم بقايا متفرقة في فوت فبعضهم في بول بران وبعضهم في باج وبعضهم في كاجوب وبعضهم في جايان وهم من سيد بران عال حمى والد ير سيد والد هيني ير والد حمد هيني والد درمان حمد والد عثمان درمان والد أحمد عثمان وهو في بول بران الآن، ومن درمان حمد أيضًا تفسير حمات الذي كان في سكل جندابر في جهة رفسك ومن درمان أيضًا أهل [777] سونسون مورجوب في بوّل، وأما البعض الذي في باج فمن ير سيد أيضًا لأنه والد حمت ير والد لر حمت والد صمب لر والد حمات صمب والد باب حمات والد عبد الله باب والد ممد عبد الله ويعرف بممد لل وهي أمه، وأما البعض الذي في كاجوب فمن ير سيد أيضًا والد صمب ير والد سيد صمب والد صو سيد والد ممد صمب والد علو ممد المخبر، وزعم سري عباس أن ير سيد أيضًا هو والد صمب ير والد جمات صمب والد دمب حمات والد بران دمب والد سلي بران والد سعيد سلي في كاجوب أيضًا، قلت ولعل حمات صمب ير سيد هذا أخ لسيد صمب الذي مر ذكره الآن، والله أعلم، وأما البعض الذين في جايان كما زعم سري عباس فمن جمت ير سيد أيضًا لأنه والد كريم حمت والد حمات كريم والد سيد حمات والد عبدل سيد والد باب عبدل والد عثمان بتب كان في جايان أيضًا في الأعوام الماضية، واعلم أنه قد كان لدكناب حرائث كلكل عند باج سنكال تسمى سبال وقيل إن أصلها لأرط كلياب فأعطاها لجدهم سيد بران عال حمى على أن يدعو له في قضاء حاجته المعينة فلما قضيت صار سيد بران يملك كلكل سبال ملكًا تامًا بتلك الواسطة وكان موردهم في البحر منيعًا عنهم خوفًا من التماسيح حتى أحاطوا بماء ذلك المورد حائطًا من الشوك بين ما ذلك المورد وبين داخل البحر فينتفعون بالماء الذي في داخل الحائط هم ومواشيهم لأن ذلك الحائط حائل بينهم وبين التماسيح وهم في حرج وضيق شديد لأجل ذلك حتى قدر الله لحوات يسمى سلي دك صو جب جوب سباحة وعومًا في البحر من

باج مرتن والتماسيح محيطة به من كل جانب إلى أن وصل إلى الجهة السنقالية فتعجبوا منه غاية ثم أراد الرجوع إلى أهله في مرتن بالعوم والسباحة أيضًا فأخذوه ومنعوه من الرجوع ثم أرط كلياب على أمر سلي دك واستدعاه وطلب أن يعقد عنه وعن قومه التماسيح فعقد لهم عقدًا من عزائمه وسحره وأمرهم أن يزيلوا عنهم الحائط [778] البحري وأن التماسيح لا تضرهم أبدًا فقطعوا له من حرائثهم القطعة التي في أيدي أبناء سلي دك ومن ينتسب لهم إلى الآن، فسكن مع دكناب ثم بعد ذلك أتى باباب بلن من جلب بلن من مرتن فقاتلوا دكناب وهزموهم وطردوهم من حرائثهم سبال وعن مساكنهم فهاجروا إلى فاف ورنيو وعلى جر في سالم، وسبب ذلك أن رجلاً يسمى بفات عال عل من أهل سل تزوج بامرأة من باباب بلن واسمها عيش تك فولدت له تابان فات ثم تزوج بامرأة أخرى من دكناب تسمى بنت حمت بن سيد بران عال حمى فصار بينهما إلى أن ولدت له بوب فات وعلج فات فما زال يدور بينهما ويمكث عند كل واحدة منهما مدة إلى أن أغرى باباب بلن على قتال دكناب فيقول تعالوا نقطع النيل إلى سنكال لأريكم قومًا هنالك ضعافًا لهم حرائث كثيرة فأطاعوه ثم قال لهم ألا تغيرون عليهم وتغصبون حرائثهم ففعلوا وهرب دكناب إلى سالم كما مر إلا بقايا منهم متفرقين في البلاد، فصارت الحرائث ملكًا لباباب بلن وجلبها وجعلوا النمام فات عال من أهل سل جابيا لهم ويلقبونه بجوم سبال فصاروا يحرثونها وهي لا تصلح، فذهبوا إلى بوب حمت ير سيد بران وطلبوا منه الرجوع إلى تلك الحرائث وأنهم يردونها إليه فأبى وحلف على أن لا يقف عليها بعد أبدًا، ثم أعطاهم شيئًا يكون سببًا لصلاح تلك الحرائث فصارت تصلح وصاروا يحملون زكاتها إليه وقد حملوا زكاتها إليه في بول سنة ثم ارتحل عن بول إلى لك فحملوها إليه سنتين ثم مات بوب حمت وترك ولدًا يسمى كيت بوب الذي صار عقبه الآن إناثًا ولم يحملوا إليه شيئًا من الزكاة فقام يرلاب جاير إلى باباب بلن يطلبون منهم حرائث سبال كرهًا فأعطوهم بالرغم، ثم أراد أهل بول بران أن يأخذوا حرائث سلي دك لإقراره بأنها من حرائث سبال التي هي لأبناء عمهم دكناب فمنعهم عن ذلك يرلاب جاير فأعطى بنو سلي دك ليرلاب جاير حرائثًا من قطعتهم تلك لأجل حمايتهم لهم من أهل بول بران، ثم صارت سبال كلها حرائث سلي دك وحرائث دكناب كلها ليرلاب جاير تغلبًا [779] يأخذون جبايتها إلى عام يرنون، فلما رجع أرط كرل سري عال سلي دمب صمب حمى مالك أرط صمب براهيم سليمان بن رعربا بن دعت بن عقبة، إلخ، من قتال يرنون فقال قد تركت خراج سبال وزكاتها

لأجلكم يا أهل بلن لأنكم كنتم ناصري في هذه الغزوة فلم يبق ليرلاب في سبال حرث واحد إلا ملك حرث من مات عن حرثه بلا وارث فيرثه أرط كرل في ذلك الزمن فما زالت سبال كذلك على زمن ملك عبد الله كن قصار يأخذ زكاتها وزكاة غيرها من الحرائث وكذلك كل سايف في ذلك الزمن ثم زال ذلك بالأجرة الشهرية فصارت سبال ليبرت إلى الآن، هـ، قلت وبلن واد خلف باج قريب منها جدًّا جهة الشمال ومن جلب بلن باب جلل في باباب ومنهم الفرع الساكن مع مالالب في باج جاين.

484 - الخبر عن ذرية فات عال عل

ويرلاب قد سكنوا أولاً في ملل ثم في باباب لوت في مرتن ثم في بلن ثم بول وأما باباب بلن فهم في مالالب، والله تعالى أعلم. وأما أولاد النمام الفاسد المفسد فات عال عل بنا فهم تابان فات وبوب فات وعلج فات، وأما تابان فهو والد صو تابان والد بيا صمب والد صم بيا والد بيا صمب وداود صمب وهما في باج مرتن الآن، وكذلك ذرية بوب فات وعلج فات في باج مرتن أيضًا، وكان لقب رئيسهم جوم سبال إلى أن صارت الحرائث لبيرب لا كراء فيها ولا زكاة لأحد على أحد، هـ، عن سري عباس، والله تعالى أعلم. قلت وهؤلاء هم أهل دكناب، وأما دكناب الذين في سلن الذين هم دكناب أوديج ففرع ولكن الكل عصبة واحدة فلما فسد أمر أولئك وانتشر قومهم تلقاهم هؤلاء وضموهم معهم، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، هـ، وقال عثمان عال ومن الممكنات أن تكون قبائل دكناب هم الذين كانوا مع سيد بران قبل انتشار أصحابه من فتناب بول كفتنة يوطي التي انتشر فيها كل من كان تحت سيد بران ولم يجتمعوا من ذلك الوقت إلى الآن، وكفتنة بولي بنمم وغيرها من الفتن، ومن جملة أصحاب دكناب باكناب الذين في سكت وغيرها، ويوطي اسم موضع في غربي سرمل بينها وبين كلي، وباقناب الذين في كلي هم الذين يأخذون زكاة من حرث في ذلك الموضع إلى الآن، قلت أيضًا وأظن أن فتنة يوطي هي التي ذكرناها هنا حين فرقهم أهل بلن وطردوهم عن حرائثهم ومساكنهم، والله تعالى أعلم. وقلت أيضًا إن المعنى اللائق بالاشتقاق أن يكون دكناب أهل بوب بران عال حمى لا أهل سيد بران عال حمى لأن بوب في كلامنا يسمى دك ولفظه من توابع لفظ بوب في لغتنا، والله تعالى أعلم.

485 - الخبر عن ذرية بوب بران عال حمى

وأما بوب بران عال حمى [780] الذي يسمى قومه فكارناب فبوب والد مام بوب والد دمب مام والد كيي دمب والد صمب كيي والد جاي صمب والد عثمان جاي والد صمب عثمان الذي هو رئيسهم الآن في عام 1924 من الميلاد،[598] وبوب بران أيضًا والد سيد بوب والد حمات سيد والد راينم حمات والد عبد الله راينم والد صمب عبد الله والد دمب صمب والد ممد دمب الذي صار ساكنًا في ودر الآن، وبوب بران أيضًا هو والد معاد بوب والد كن معاد الذي ارتحل عن بول إلى جربول في بند وسبب ارتحاله عن بول بران فتنة وقعت بين أولاده وأقاربه في الحرائث النيلية حتى جرح بعضهم بعضًا فلما رجعوا إلى والدهم قن وأخبروه بسبب الفتنة بينهم حلف قن بأنه لا يحرث الحرائث النيلية بعد العام وارتحل عن بول إلى بند وعمر هنالك قرية سماها جربول وسكن فيها إلى أن توفي رحمة الله تعالى علينا وعليه، ثم رجع أولاده إلى كن بلل في دمك قرب كبل وهم صمب قن ولن كن وبوب قن وسري قن ودو كن وفند كن وحلي كن، وأما صمب كن فهو والد لمن صمب وعمر صمب المعروف بالحاج عمر الذي كان ساكنًا في كلي، وأما لمن صمب فهو والد علي لمن في كلي اليوم وهو أيضًا والد مك لمن والحاج فهو والد محمد الحاج وإبراهيم والشيخ أحمد، هـ، وصمب قن أيضًا هو والد كجت والدة سارن محمود تفسير الذي كان في دومك ور ألفا من أهل ساخو الذين يعالجون بعض العميان حتى يبصروا، وأما لمن قن فهو والد أحمد لمن والد سارن علي المخبر، وأما بوب قن فهو والد فند بوب والدة لمن فند الذي هو سارن لمن الذي كان ساكنًا في فت بوو في فرل، وأما دو قن فأولاده في فات سنقي قرية في سالم وهم محمد وبوكر مع أختيهما، وأما فند قن فهي والدة بوب فند والد هارون بوب في سانكن بكل، ولم يذكر لنا عقب سري قن وحلي قن، واعلم أن والدة قن هذا تسمى بي من جاجاب جبال وكان مشتهرًا بأمه يقال له قن بي فلذلك ينسب إليه كل من سفه رأيه فيقال لكل سفيه منا أنت قنبينك أي أنت قن بي لأنهم سفهوه في رأيه حيث ارتحل عن مسكنه ومسكن أصوله بسبب الفتنة المذكورة مع أن مثلها كثير الوقوع في فوت بسبب الحراثة النيلية، والله تعالى أعلم.

---

598 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

[781] وأما عثمان عال حمى رئيس أعمارناب فهو والد محمود عثمان والد دمب محمود والد تور دمب والد عال تور والد حمات عال والد بوب حمات وصمب حمات ويعرفان ببوب كد وصو كد، وأما بوب حمات فهو والد صمب بوب الذي هو تفسير صو كد سمي عمه صو كد الكبير وهو والد سري صمب والد كان سري والد باب كان الذي في بول بران الآن، وقد مات عال تور في هاير فنايب وكذلك حمات عال، وبوب حمات هو الذي رجع إلى بول، وأما صمب حمات الذي هو صو كد الكبير فعقبه إناث ويقال إن له عقبًا في المغرب في ولكر بدب، ويقال لأعمار ناب هؤلاء الكاتتاب لكونهم الذين يأخذون لأهل فوت ما كان يدفعه فرانس مداراة لهم من العروض، والله تعالى أعلم. وقيل إن عال تور دمب كان قد ذهب يتعلم في مرتن إلى أن سكن في القرية هايرفنايب وتزوج هناك وولد له ولده حمات عال ثم مات هنالك وتزوج حمات عال هذا ابنة لسري عال عبد الله الحسن دوت أخت أحمد سري عال اسمها كد سري فولدت له بوب كد وصو كد وهما اللذان رجعا إلى بول بران بعد الفتنة بين فنايب وبني جم له وهي الفتنة المسماة بل هند فصار أهل فَكّارْ يقولون لبوب كد وأخيه صو كد أنتما من ليدب فنايب ولستما منا، قلت ولعل ذلك لِشُحّ بعض القرابة بعضًا وكراهتهم من يشاركهم فيما لهم من الأراضي الحرثية حتى أنهم قد ينفونه عنهم رأسًا لذلك، وكانوا إذا قالوا له ذلك يقول لهم بل أنا منكم لا من ليدب فما زالوا كذلك إلى أن ترافعوا إلى ستك وتحاجوا عنده فخصمهم بوب كد، ثم لما ظهر الإسلام في ملك تورب تخاصموا عند ألمام باب أيضًا فخصمهم بوب كد أيضًا ثم ما زالوا يقولون لهم ذلك القول وينفونهم عن الانتساب إليهم حتى تقاتلوا فقتل أحد بني عال تور دمب أحدًا من أهل فكار فتحاكموا عند [782] بعض ألمامات فوت أيضًا فطلب أهل فكار القصاص فامتنع رؤساء فوت عنه وجعلوا الصلح بينهم وأمروا بإعطاء الدية فقط، فنزل سارن مل عبدل والد سارن مل بوكر والد سارن مل محمود عال المقتول في طريق الحج في هذه السنين عن فرسه وجعلت قيمتها في الدية، وكذا نزل عبدل سري والد إبرا عبدل في كبل عن فرسه وجعلت قيمته في الدية أيضًا، وهكذا إلى أن كملت الدية فرجعوا إلى مساكنهم وما زالوا يغتابونهم بهذا القول الزور المنكر إلى الآن، والله تعالى أعلم، وقد مر مثل ذلك في تاريخ ألمام عبدل رضي الله عنه.

خاتمة في تأصل بني حمى جولط كن في الفلاّنية. وقد تقدم في تاريخ سيولناب واعلم أن جميع القبائل من بني حمى جولط كن أصلهم فلاّن لا غير ويدل على ذلك دليلان عادي وعقلي، فالعادي لقبهم جل وهو لقب متأصل في الفلاّن لا في غيرهم، والعقلي أنهم كلهم يعترفون أن أصلهم من أصل دمت ولغة أهل دمت ما فارقت لغة الفلاّن البدويين وما تميزت عنها بالكلية إلى الآن، فالعاقل المنصف يستدل بهذا على ما قلت ويقبله بالبديهة، ولكنهم دخلوا في التعلم والتدين قديمًا فسادوا لذلك إلا الذين لم يدخلوا في التعلم منهم كأهل سطى وبمياب وغيرهم ممن يدعون الانتساب إليهم، وإن قلت إن لسان أهل كدل كذلك متغير أقل إن لسانهم غير متغير في كلمة من كلام الفلاّن وإنما المتغير نغماتهم وأصواتهم لا كلامهم، وكذلك باج يقال فيهم ما يقال في كدل، على أن بعضهم ذكر أن السبب في تغير لسان أهل كدل مجاورتهم لرقاب أو وطاب ومخالطتهم معهم [783] معهم كثيرًا فصارت نغماتهم وأصواتهم كنغمات أولئك الفلاّن وأصواتهم وتغير لسانهم بذلك إلى الآن، والله تعالى أعلم. ومن كلام دمت الأول أنهم يقولون للفأر جب وللقدرة الصغيرة واسد وللطبقة التي ينخل بها الدقيق سابو وللعودة التي فيها النار لكجتنل وللعجلة باممولي وللجماعة التي تحمل المرأة من أهلها وتزفها إلى زوجها كلوك ويسمون من اسمها تك تكي وفند فندي وكمبى همبي، وكلمو هايكيو هايكي، إلخ، وقيل إن كلمة باممولي من لغة ولف (...). وقد تقدم في تاريخ مودنل وأول من جاء للبياضين في طلب العلم أبوه مود صمب فات عال حمى الذي كان يلقبه الفلاّن بحمى جولط كن ولعل ذلك لكونه أول من أسلم منهم وغير لقبه من جل إلى كن لأن معنى جولط في كلامنا الفلاّني المسلم لا غيره، والله تعالى أعلم. وقد تقدم في تاريخ بمياب فلذلك مال الظن مني إلى أن أصل جميع جلب من أولاد حمى جولط كن وغيرهم من قبائل جلب من جلب مرس وجلب بمياب وجلب دايجنكوب في بند ورقاب وسيبوب وهميناب وكجكناب وجلب سيدان وكنهنب سكل وغيرهم من قبائل جلب أصل الكل واحد ثم أسلم أهل حمى جولط كن وتعلموا قبل إخوانهم المذكورين العلم وداوموا الإسلام والتعلم فصاروا لذلك تورب دون إخوانهم الآخرين، وأما انتساب أهل حمى جولط كن إلى العرب كبني أمية فلا يمنع اتحاد أصلهم وأصل هؤلاء الفلاّن فإن العرب كانوا أهل ماشية وترحل كالفلاّن ويمكن

أن يكون انتسابهم لبني أمية كانتساب سائر الفلاّن من أوورب وجلب وسوسوب وبرناب إلى قريش فإنهم ينتسبون إلى مرة الجد السابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أبطلنا ذلك في أول الكتاب فراجعه إن شئت إلى أن قلت هنالك ومن دلائل ذلك أن عبدل عال جد الحاج لمن في كبل كان في بم في مرتن ساكنًا مع بمياب واشتهر بعبدل عال مبم، وقد أخبر أحمد صمب لب [784] بأنه سمع من سلي سيد أحمد سلب كسمبر أنه سمع من آبائه يقولون إنهم سمعوا من فم ألمام عبدل يقول لو كان يتخذ كايل لنفسه من أبناء فوت لاتخذ كايل من أبناء بم، قلت ومعنى كايل في كلامنا الفلاّني ما يختار من السنابل ويدخر للبذر، والله تعالى أعلم، وقد أخبر ألفا صمب من أهل كجك في بك سبد بأن أباه أخبره بأن أصلهم وأصل سيول ومودنل واحد وعبارته أن كن كجك وكن سيول ومودنل واحد، والله تعالى أعلم، وجلب سيدان يدعون اتحاد نسبهم بهم أيضًا، وقد قال سارن ممد بيلي النسابة في جاب إن نسب أهل حمى جولط كن ونسب أهل سكل واحد وقد سرد نسب أهل سكل إلى حمى جولط كن فقال هو عبدل بوكر عال دند سكل جب مود عل جبد مالك عال حمى جولط كن، قلت فإذا أثبت هذا صح اتحاد نسبهم بنسب جلب من الفلاّن لما ثبت أن عال دند وذويه لا يعدون من تورب بل إنما كانوا يعدونهم من جاكرط وذلك عند أهل فوت كالعلم الضروري فإذا الذي فرقهم تعلم أولئك وتدينهم وجهل هؤلاء واختيارهم طلب الدنيا دون الآخرة، والله تعالى أعلم.

488 - هجرة بعض القبائل وذكر مواطنهم والأماكن التي ارتحلوا إليها

وقد تقدم أيضًا وكان جلب جت نايك مع جلب سيبوب كاول وجلب ساركر وجلب كاس وووورب أصلهم واحد وهجرتهم واحدة من ماسينا إلى باقن ومكثوا فيها مدة طويلة ومنها افترق معهم جلب لب وقصدوا نحو فوت جلو ثم افترق منهم جلب كاس إلى كاس وبقيت فرقة منهم في باقن ثم تجاوز بقيتهم إلى بند وفيها أيضًا افترقوا في المساكن ولكنها متقاربة فسكن جلب كاول في قرية سموها صوقور وسكن نايكناب في موضع سموه ساين نايك وسكن جلب ساركر وهم جلب قيو في ساين قيو وسكن جاجاب في بن فل ومورد جميعهم واحد وسكنوا في تلك الأماكن ما شاء الله تعالى، وإذا ذبحت [785] لهم بهيمة الأنعام فأهل نايك لهم القص ولكبير جلب قيو بيول ولأرط جلب كاول أسال وهي الأليتان وما حولهما ولجاجاب بن فل الرجل القدامة (أي كتف الشاة) وهي إحدى يدي البهيمة، وبقايا هؤلاء

جاجاب في بكجو الآن ومنهم عمر صمب الملقب بجه وأول من ارتحل عن تلك الأماكن أرط جلب وسكن في ياترمب اسم واد بين بوليل وبكجو شرقيها وهناك مسكنهم القديم إلى أن أوقع عليهم البياضين الحرب والنهب في ذلك الموضع فارتحلوا عنه وعمروا تلد تت التي صارت في موضعها الآن القرية بكجو ومكثوا فيها ما شاء الله ثم ارتحلوا عنها إلى كاول مالكين ما ملكوا وقد تقدم بعض أخبارهم في تاريخ ورك، ثم ارتحل جلب هاير الذين كانوا من جلب قيو إلى هاير وسكنوا هنالك مدة ثم رجعوا إليهم وسكنوا معهم، ثم ارتحل أهل نايك من ساين نايك الذي ينتسبون إليه إلى الآن إلى جت فسموها جت نايك ومعنى جت أن كل من جاء إليهم من أي جهاتها في ذلك الزمن فالغالب أن يصل إليهم مجروحًا وفيه الحديد فيقول لأهلها جتنايكم أي شقوا عني موضع الجرح وأخرجوا إلي منه الحديدة التي فيه أو إنما وقع ذلك لأول من جاءهم في أول سكناهم فلذلك سموها بجت وأضافوها إلى نايك مسكنهم الأول في بند، ثم ارتحل جلب قيو إلى قرب جت نايك وسموا مسكنهم بجت أيضًا وأضافوه إلى اسم رئيسهم حينئذٍ حمات عال قيو ويقال لتلك القرية أيضًا ور حمات والمخبر من ذرية سلي عال قيو والد حمد حمات والد جال حمد المخبر، وقيل إن جلب نايك وجلب قيو قد مكثوا في جت إلى أن ظهر الإسلام بولاية ألمام عبدل أمر فوت فهاجر سارن صمب سل إليه وأسكنه ألمام في بكجو وترك أخويه في نايك وهما علو كنده [786] وبوب كنده وتبعه إخوانه الباقون في جت حمات، قلت ولعلهم من قبيلته ومنهم ساركر الذي هو سار صمب لفتنة وقعت بينه وبين إخوته من الأم لأنه من جلب هاير وإخوته من جلب قيو ولذا لما ارتحل سار صمب تبعه إخوانه فكتب الباقون براوة إلى سارن صمب سل والذين كتبوا البراوة حمات عال قيو مع إخوة سارن صو سل في جت، وفي تلك البراوة: إن أتاك سار صمب وامنعه عن التجاوز فأخذه صو سل وأسكنه معه في بكجو مدة ثم ارتحل ساركر وعمر قريته المسماة ساركر إلى الآن وأصله من رانط جاج والد بج والد همد وفات وصمب ودمب وصبلد ولب، وأما فات فهو والد تمان فات والد سلي تمان والد مود سلي والد يسان مود وبن مود، وأما يسان فهو والد همد يسان والد أحمد همد والد باب أحمد والد صمب باب والد همد صمب والد عثمان همد رئيس جولل الآن وهو المخبر ويسمى أبناء يسان مود كاكاب الحمر ويسمى أبناء بن مود كاكاب السود وأبناؤهما هم الذين يتوارثون ويتناوبون في ملك جولل، وأما صمب فأبناؤه في ساركر وهو والد دمب صمب والد صمب دمب والد سار صمب المشتهر بأمه ويقال

ساركر وهو والد خاليد سار وإد سار، وأما خاليد فهو والد عثمان خاليد ودمب خاليد وبوب خاليد، وأما بوب فهو والد عثمان بوب الحي الآن في ساركر، وأما إد سار فهو والد عبدل إد وموسى إد، وعبدل إد سالم في ساركر الآن، وأما موسى فهو والد حمد موسى والد هارون حمد ويسمى أيضًا الحسن حمد وهو رئيس ساركر الآن، وأما عثمان خاليد فهو والد علو عثمان غي ساركر، وأما دمب خاليد فهو والد بوب دمب والد دمب بوب وهو صبي الآن لم يبلغ وهو في ساركر أيضًا، وقد اكتفينا بهذا وحذفنا ذكر غير هؤلاء للاختصار، واعلم أن جلب نايك وجلب قيو [787] كانوا يتناكحون وذلك أدل دليل على اتحاد أصولهم، وأما مك صمب فهو والد حمى مك ويعرف بحمى جوم وله أخت تسمى كو ري جوم هي والدة كوكو ري والدة فاتمة كمب والدة مالك فاتمة والد جي مالك والدة جال جي المخبر في ساركر، وحمى مك هذا هو والد صو حمى المعروف بصو سل المرتحل إلى بكجو للدين في أيام ألمام عبدل، قلت إن صح كون هجرة سيبوب جلب من نايكناب وجلب قيو هجرة واحدة ثبت كون هجرة أهل حمى جولط كن كلهم جاءت مع هجرة هؤلاء لاعتراف أهل حمى جولط كن كلا بأن نايكناب منهم اتفاقًا ولعلهم افترقوا بعد ذلك فمنهم من ارتحل إلى دمت ومنهم من كان ساكنًا في بم ومنهم من كان مع رقاب إلى آخر أمرهم، تأمل والله تعالى أعلم، وقيل إن قبائل هؤلاء جلب ما افترقوا نسبًا ولا أمرًا من الأمور إلا أن أهل حمى جولط كن ومنهم نايكناب هداهم الله للعلم والدين من قبل بخلاف غيرهم من قبائل جلب فإن شغلهم اتباع الماشية في البادية إلى الآن فلذلك تباعد عنهم أهل حمى جولط كن وتكبروا عليهم بالدين ولا يزوجونهم ببناتهم البتة، قلت ولعلهم قد أحسنوا في ذلك لتسلسل الجهل في سيبوب جلب، والله تعالى أعلم، ومن دلائل ذلك أيضًا ميل مودنل إلى رقاب وسكناهم معهم من أول أمرهم إلى الآن، وقد مر في تاريخ مودنل أنهم جاؤوا من الشام من دمشق وسكنوا في قنداك المسكن الأول الذي يذكره الفلاّن من مساكنهم ويسمونه بجابل قنداك والبياضين يسمون ذلك الموضع بقندبك في جهة (...)، إلخ، وقد مر أيضًا في تاريخ دمت في رواية عيشة إلمان (...) وكان في هجرتهم تسع وتسعون فخذًا من أفخاذ قبيلتهم الواحدة فسكنوا ماسينا مدة طويلة ثم ارتحلوا عنها وقد بقيت فيها بقية منهم ثم سكنوا في رشيد وفارقهم بمياب وداجنكوب وأهل مودنل وأمثالهم وكذلك فارقهم أصل كاس ثم ارتحلوا منها وسكنوا في قيم، إلخ، قلت وحيث ذكر في مساكنهم القديمة قنداك وقيم دل على أن هجرتهم جاءت مع هجرة جاوب فإنهما من

مساكن جاوب القديمة كما مر في تاريخهم ويدل على ذلك أيضًا سكنى أهل ساركر ونحوهم من كاكاب وجلب مع جاوب فيعدون منهم الآن، والله تعالى أعلم.

489 - عودة إلى التأكيد على الأصل الفلاّني لبني حمى جولط كن

ولكن أهل التوردية من أهل التوردية من أهل حمى جولط كن وغيرهم يكرهون انتسابهم إلى الفلاّن وينكرون ذلك تكبرًا منهم لا غير لأن التوردية لا أصل لها ثابت بل هي فرع وحرفة مع أنهم لا يقدرون أن ينفوا عنهم لقبهم جل، وقد قال لي بعض عقلاء الفلاّن إن كل من لقبه جه من السودان مطلقًا فهو من جاوب في الأصل أو من مواليهم الأسفلين وإن كل من لقبه سه فهو من وطاب في الأصل، ومنهم فريب أيضًا وكذلك من لقبه بر وهو فخذ من وطاب وهم قبيلة سنقر ويقال لهم أيضًا فتوب وإن لم يكن من وطاب أصلاً فهو من مواليهم الأسفلين وكل من لقبه به فهو من أوررب وياللب فرع منهم وإن لم يكن من أوررب ولا من ياللب فهو من مواليهم الأسفلين وكل من لقبه جل [788] أو كن فهو من جلب كسيبوب أو رقاب ونحوهم أو من مواليهم الأسفلين وكل هؤلاء القبائل من الفلاّن لا من غيرهم، والعجب من أهل فوت تور فإن أهل ماسينا يفتخرون بالفلاّنية وأهل فوت جلو أيضًا يفتخرون بها أيضًا مع ما فيهم من كثرة العلماء وقوة السلاطين، وأهل فوت تور يتأنفون عن الفلاّنية ويهربون منها ويتكبرون على الفلاّنيين ويتباعدون عنهم جدًا فيا عجبًا، وهم أيضًا لا يحبون إلا أن ينسبوا إلى العرب أو البيضان، وقد قال لي بعض العقلاء من أهل فوت جلو بأن الفلاّن كلهم والبيضان والعرب أمرهم واحد وأصلهم واحد أو متقارب،[599] وتورود وولف ومننك وسرخل وغيرهم من السودان أمرهم واحد وأصلهم واحد أو متقارب، والله تعالى أعلم، وإذا تأملت ما تقدم علمت حقيقة أن بني حمى جولط كن متأصلون في الفلاّنية جدًا وليس لهم أصل غيرها مع أنهم لا يحبون أن ينسبوا إلا إلى العرب بل إلى الشرق، ومما يدل على فلاّنيتهم اتخاذ أهل كبل منهم عادة في حلق رؤوس صبيانهم كعادة الفلاّن من جاوب لأن أهل كبل يحلقون ما عدا أطراف الشعر حول الرأس من جوانبه وما عدا شعرات من الأذن إلى الأذن هكذا،[600] وأما جاوب فيحلقون ما عدا أطراف الشعر حول الرأس من جوانبه ما عدا شعرات من الجبهة

599 - مسألة انتساب الفلاّن إلى العرب صادرة عن شعور بالتميز عن الجماعات الأخرى وعن تواصل الفلاّن بالمشرق ثقافيًا، مما أوجد العديد من الروايات والأقوال المتداولة محليا والتي تذهب إلى إرجاع الفلاّن إلى أصول عربية أو تربط نسبهم بعشائر البيضان وليس قبائل السودان. انظر هامش اللغات الحامية، هامش رقم (118)، ص. 123.

600 - خط المؤلف رسمًا مستطيلاً مقسمًا في وسطه أفقيًا.

إلى القفا هكذا،[601] كما مر، انتهى المراد من هذا التقرير فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والله تعالى أعلم بالحقيقة وإليه مرجع جميع الخليقة ونستغفره مما زلت به القدم أو طغى به القلم فإنه تعالى أهل للفضل والكرم.

490 - قبائل أهل فني وفروعهم

وأما أهل فني فثلاث قبائل جرقلناب وجللناب ورادجماناب أي أهل بطن المسجد، ومن جللناب كبر فجان وقيب وقيب وجوب وجايب ولا يكون سلي إلا من جايب أو قيب ومعنى سلي عند أهل فني المسمع الذي يبلغ كلام إلمان فني للخاص والعام فإذا اجتمع أهل فني لهم عناهم يقولون لسلي بلغهم عنا كذا وكذا فيقوم سلي ويقول للجماعة إن إلمان فني وأهلها قد اتفقوا على فعل كذا وكذا أو امتنعوا من كذا وكذا أو نهوا عن كذا وكذا، وأما جوب فكانوا يصيفون في تلد كلنك ويخرفون في جماقس بين فني وجيرب، وقيل إن ألمام عبدل قد مر بهم في ذهابه إلى بنكوو فرحبوا به وطلبوا منه النزول عندهم فدخل الإمام قريتهم فإذا هم ناشرون الحيتان الصغار التي نسميها في كلامنا قس في داخل القرية وفي خارجها [789] حتى في صحن المسجد، فلما رأى الإمام الحيتان منشورة حتى في صحن المسجد قال طمدي ون جماقس أي هذا هو مسجد الحيتان الصغار المسماة قس عندنا، فصار اللفظ علمًا للقرية بالغلبة، ومن جوب هؤلاء عال ير جوب الذي حمله جنونه على إيقاع الحرب على كمادي دكان في الأعوام الماضية فقتله كمادان هو وجماعته إلا من نجاه الله تعالى يومئذٍ، وأما كبر فجان فقد انقرضت ذريته إلا من الإناث، وأما ليدب فني فلم أجد لهم حقيقة خبر إلا أنهم بيتان بيت سعيد وبيت عمر، وذرية سعيد هم رؤساء فني وملكوها وإن اجتمع أهل فني للمشورة في تمليك أحد من ليدب بيت سعيد ومالوا إليه واتفقوا عليه فهلوب الذين لقبهم كل هم الذين يلوون عمامة إلمان فني على ذلك المتفق عليه ويلقبونه بإلمان فني، ومن جملة رادجاناب باباب الذين لقبهم به ويقال إنهم من جايو بق وبل جق، وأما جايو فهي والدة مود جايو والد جبير مود والد عال جبير وحمات جبير، وأما عال جبير فهو والد عبد الله عال والد سارن بوكر عبد الله الصالح الذي قيل إن أهل فني ما كانوا يضربون الدفوف إلا بعد نومه خوفًا وهيبة وحياء منه، وسارن بوكر هذا هو والد إلمان جما الحسين وإلمان جما أحمد وألفا

601 - خَطُ المؤلف رسمًا مستطيلاً مقسمًا في وسطه عموديًا.

موسى الكبير ودك والدة فطل والدة ذرية سار جاي زليخ من أهل كلي، ولم يذكر لنا نسل بل جق ولا نسل حمات جبير، والله تعالى أعلم. وكانت في قرب فني وغربيها قرية تسمى نصر وألقاب أهلها جق وتمب وجوب، وقد قيل إن أصل عال فني الذي هو عال ير جوب الذي قاتل كمادي دكان وقتله كمادان هو وجماعته كما مر، من هؤلاء جوب ويلقب رئيسهم [790] بإلمان نصر ويكون من أهل جق إلا أنهم الآن قد تفرقوا في البلاد ومنهم من انتقل إلى مرتن حذاء فني وباقيهم تحول إلى فني وانتقل إليها،[602] واعلم أن من جملة رادجاناب ليدب وباباب وسيسيب ودنقوب ونحوهم، وأما جرقلناب وجللناب فقد وجدوا في فني ساكنين في الحفرات وقد صاروا الآن بيتًا واحدًا لفناء الكثير منهم. انتهى تاريخ فني ويليه تاريخ دكان.

491 - تاريخ دكان، موطنهم والقبائل التي تنتمي إليهم

وأما دكان فكان الحد بين ملك ألمام فوت وملك أمير وال برك مسجدها، فنصف المسجد مما يلي جهة فوت في ملك ألمام فوت ونصف المسجد الآخر من جهة وال في ملك أمير وال برك. ثم اعلم أن في دكان قبائل شتى ومنهم أهل داور سل بن جيخاين وقيل إن داور سل بن لسم جق أخو جك جق وهما اللذان ارتحلا عن جلف إلى دكان وسكنا في تلد جال وال بين دكان وبكل ثم بعد مدة قليلة أتاهم رجل من وطاب اسمه دمب يار والد راسن دمب وراسن هذا هو الذي أظهر لهم البحر وقد كان بينهم وبين البحر أشجار ملتفة حتى لا يمكن المرور عندها إلى البحر، وهو الذي أخذ فأسه وقطع بها تلك الأشجار وأقام لهم الطريق إلى البحر، ولقبه سه، وأما الذين لقبهم آن من أهل دكن فأصلهم من أول وأصلهم فلأنيون وجدهم القادم اسمه لوب آن وأول مسكن سكن فيه تلد كلكله قرب دكن بينها وبين جالوال، فرآه جك جق وقال له ألا ترحل هاهنا وتتحول إلينا وتسكن معنا، فقبل لوب آن قوله وانتقل إليهم وهو والد بك آن الذي هو أصل كل من يلقب بآن في تلك الجهة ومن بقاياه في دكن صمب جاجم الذي ولد عام محاربة فرانس لأهل دمت في دمت فهرب الناس حينئذٍ من أهل دكن وبكل ونحوهما إلى تور ودمت وإلى تلك الجهات هاربين من جيش فرانس لكونهم مع أهل فوت وتور، فلما سمعوا بقدوم [791] جيش فرانس هربوا إلى جهة دمت ظنا منهم بأنهم وأهل دمت جميعًا هم المرادون فهربوا إليهم ليشد بعضهم قلب بعض، ولم يرد فرانس إلا أخذ إلمان دمت فقط

602 - تعليق المؤلف: قلت وأظن أن أصلهم من أهل جنك ولكنهم داخلوا هؤلاء وصاروا منهم، والله أعلم.

لأنه كان من أعزة أهل تور حينئذٍ، فصادف نزول أهل دكن في جاجم وما حولها ولادة صمب جاجم فأضيف إليها وقيل لهم صمب جاجم، ولم يبق من أهل آن في دكن الآن إلا الصبيان، وأما الذين يلقبون بسه من أهل دكن فأصلهم من جرمايو في سالم وهم من رجل اسمه بران سيسي وهو الذي ارتحل عن أهله إلى وال برك وعنها إلى مرتن، وأمير وال حينئذٍ ساكن في مرتن وسكن بران سيسي في موضع يسمى كومس سار وكان الموضع مسكنًا لمس سار اسم رجل من ولف ثم ارتحل عن ذلك الموضع فسكن فيه بران سيسي، وهذا ومعنى كو في كلام ولف شجرة تسمى في كلامنا كد ولا تنبت إلا في مغرب لاو إلى أندر وما في تلك الجهة من الأراضي ثم لا تنبت أيضًا إلا في ماسينا إلى المشرق لا فيما بينهما كما قيل، والله تعالى أعلم، وبران سيسي هذا هو والد صمب سيسي ومن بقاياهم اليوم دار باب سيسي في دكن وكانت لصمب سيسي هذا أخت تسمى أرم سيسي هي والدة بل أرم ومت أرم ودار أرم فتزوجهن رجال شتى مختلفو الألقاب، ومنهم جَلُ وقد صيروه جَلْ، ومنهم من يلقب بسار وسمب وجاي وهؤلاء كلهم أمهاتهم من أرم سيسي، ومن بقايا كبار سيسي اليوم بران سيسي بن عمر سيسي، واعلم أن أهل سيسي في دكن يعد منهم بنو أرم سيسي وبنو بل أرم ومت أرم ودار أرم وهم أهل جل وأهل سار وسمب وجاي وهم الذين يختارون من يكون رئيسا على دكن ويلقب بسرن دكن وهم الذين يختارون عزله أيضًا فينعزل حينئذٍ وهم عبيد لمن أعطاهم المال من قبيلة جق وهذه القبيلة هي الأصل في ملك دكن ولكن قد ملكها في آخر الزمان أهل بوج وأهل آن وأهل قني بعد أن دخلها وملكها فرانس ولكن الأصل لجق [792] فقط، وقد زعموا أن سيسي وسه واحد عندهم معنى لا غير، وأما الذين يلقبون بكبي في دكن فقد زعموا أن أصلهم من بلاد الهند فقد هاجروا من هنالك ومعهم أهل ون وبر وسل وقد بقيت منهم بقايا في المدينة المنورة وفي مكة المشرفة وفي مصر، ثم تجاوز الباقون إلى المغرب فمنهم من بقي في قلم، ثم تجاوز الباقون إلى فوت نحو بروب جكل وبمب وهاير وكلاير وقد، ومنهم من تجاوز إلى جلف وطيبر الذين ذهبوا إلى جلف منهم ممد جب ومعنى جب في ولف جبّل في كلامنا وكان في جانب راسه أي فوده ضفرة ولذا سموه بممد جب وهو الذي ذهب إلى جلف في أيام جاجان جاي أمير جلف من أمرائها الأقدمين فرحب بهم وأسكنهم في كب

خاخام اسم قرية لكبياب في جلف، وممد جب هو والد ميخوار كب وعمر كب ومحمد كب ولامن كب، وأما ميخوار فهو الذي ذهب دمل إلى كجور وهو أصل كبياب كجور نحو كماير وكب شام وكب دكت وهؤلاء كلهم من ميخوار كب، وأما عمر كب فقد ذهب به أمير سالم فعمر هنالك قرية فهو أصل كل من يلقب بكبي في سالم، وأما محمد كبي ولامن كبي فقد بقيا في جلف وهما أصل كل من يلقب بكبي في جلف، ومن قراهم فيها كب خاخام وقد مكثوا في جلف أزمانًا متطاولة إلى أيام الشيخ عمر فقام والد المخبر سارن عمر سخن واسمه سرن كب مسار ذاهبًا لزيارة الشيخ عمر فلما وصل إليه تلمذ عليه فذهب معه الشيخ إلى سدا فمات في كم ضفر رحمة الله علينا وعليه، ثم بعد مدة قام ابنه سارن عمر سخن مع خاله ألفا محمد جايي إلى جم لطلب العلم ومكثا هنالك، وكان خاله محمد جايي يخرف في جم ويصيف في دكن إلى أن مات فيها وبقي عمر سخن مع خاليه الآخرين أيضًا وهما عثمان سار ومحمد سار إلى أن ماتا فبقي عمر سخن في دكن إلى أن تزوج وولد له أولاد. وقد قيل إن أكثر أهل دكن إنما أتوا إليها في أيام حمى به وهو الذي أجلاهم عن جلف ونزلوا إلى وال برك، وأما كجور فما كان له ملك معين إلا من ملك عليها [793] أمير جلف، وقيل إن ميس تندير فال قد أرسل رسوله لمن جمنتن إلى أمير جلف ليطلب له الحجاب من عند أحمد كب الذي هو ممد جب فأعطاه كتابًا وأمره أن يعلقه على عنق حمامة وإذا طارت فليتبعوها وحيثما نزلت فليتخذوه مسكنًا فنزلت الحمامة على شجرة تسمى عند ولف بل وحولها حرث كتان فقطعوا أشجاره وعمروه قرية وسموها بل، ثم لما طارت الحمامة من على تلك الشجرة بل تبعها فرقة أخرى منهم كانوا منتظرين لطيران الحمامة أيضًا فنزلت على شجرة تسمى عند ولف ككس وفي كلامنا بركيو فسكنوا عندها وسموا قريتهم باسم تلك الشجرة عندهم ككس وهاتان القريتان هما أصل قرى ملوك كجور، وأما عمر سخن المخبر فهو من بب كي وبب في لغتنا بمعنى الحمار، والد دايل بب والد مصمب دايل والد ببكر جايي والد مصمب دمباو والد سخن جايي والدة عمر سخن وهذا من جهة أمه، وأما من جهة أبيه فقد ذهلنا عن تلك الجهة مع أنها أهم الجهات عند العرب، والله تعالى أعلم. انتهى ما عندي من أخبار دكن، وأما أخبار بكل وجيرب فقد تقدم شيء من أخبارهما عند تاريخ هلوار، والله تعالى أعلم.

وقد عن لنا أن نذكر هنا أصل بحيرة كمبي[603] وأصل بحيرتنا السنقالية الفوتية وأصل بحيرة فلم، ونقول إن أصل بحيرة كمبي بحيرة في فوت جلو تسمى كيل مبدؤها عند سروج قرية في ديوان كين وهذه البحيرة هي الحد بين كين ولب ثم تمر البحيرة عند قرية تسمى لنكر في لب ثم عند القرية في لب أيضًا تسمى ووسور، [794] ثم التقت مع بحيرة أخرى تسمى وند التي مبدؤها من كنكبو قرية في كين أيضًا وصارتا بحيرة واحدة تسمى حينئذٍ بحيرة وند فتمر عند بلاد سلمبند في ملك أمير لب، والتقت هنالك مع بحيرة دم التي جاءت من جهة مننكاب وصارت تسمى هنالك دم، وقيل إن بحيرة دم هذه قد مرت بمدين كت قرية في بلاد سلمبند في ديوان البوسطة المسماة مال ثم مرت بإتات في جكل، وقيل إن الحد بين قن فرانس وبين سنكال هنالك ما بين مدين كت وإتات، وقيل اسم موضع الحد هنالك تانك اسم واد في جكل، ثم تمر البحيرة ببوسطة كيدك ثم بسام كت ثم بسلي كندا ثم ببفند ثم إلى مك قرية تنتهي إليها الآن أت مبل الجائية من تمبا كندا ثم إلى تمبان ميا، وكل هذه القرى في ديوان كيدك ثم إلى امجتنكن وكلها من قرى جكل، ثم تمر البحيرة ببلاد تسمى هسر وهي بلاد تند دنك وهي أيضًا في ملك كيدك ثم تمر بين جلكت ودمنتن ثم إلى قاينوت حد ملك فرانس وفيها عشاروهم أي دوان وتسمى هنالك بكمبي ثم إلى مدين في ملك إنكليز ثم إلى فتوت وهكذا إلى آخر قرى إنكليز التي على حاشيتي البحيرة كمبي، ثم إلى بنجل التي على البحر المالح وهو الأوقيانوس الأتلانتيكي، هـ. ومن خاصية كمبي مرور السفن الدخانية وجريانها عليها في كل زمن ربيعًا وصيفًا وخريفًا وشتاء لأنها لا مخاضة فيها

603 - بحيرات نهر النيجر: والتي تعرف باسم اكبرها وهي بحيرة أروان. تكونت بفعل التكوينات الجيولوجية لحوض النيجر الأوسط. ففي منتصف الزمن الجيولوجي الثالث كان نهر النيجر الأعلى مجرد رافد لنهر السنغال، إلا أن تراكم الرمال والحصى في المنطقة الواقعة شمال باماكو أدى مع الوقت إلى تحويل مجرى النهر شمالا وشرقا نحو وسط حوض تومبوكتو، فتكونت أواخر الزمن الجيولوجي الثالث وأوائل الزمن الجيولوجي الرابع بحيرة كبيرة عرفت ببحيرة أرْوان؛ ومع استمرار الترسبات التي تحملها الرياح إلى البحيرة ولارتفاع منسوب المياه بها لتحول نهر النيجر إليها، تحولت مياهها في الحوض نحو الشرق عند توساي (250 كلم شرق تومبوكتو)، فاتجهت مياه نهر النيجر الأعلى نحو الشمال الشرقي لتتصل بمجرى نهر النيجر الأدنى بفعل التعرية المائية التراجعية، وبذلك أصبح نهر النيجر شريان الحياة ولم تحل دون تواصل الملاحة به سوى تلك الجنادل التي تعود إلى عملية الحت التصاعدي والتي تشكلت بفعل مراحل تطور النهر بين باماكو وكوليكورا. أنظر: محمد عبد الغني سعدون، إفريقية، دراسة في شخصية القارة، مكتبة الأنجلو-المصرية، القاهرة، 1983.

أعرفها تخاض بالأرجل إنما تقطع بالسفن فقط في كل زمن، والله تعالى أعلم. وأما أصل بحيرتنا السنقالية الفوتية فمبدؤها من تمب من بلاد فوت جلو في جهة قرية تسمى بلهي وتسمى هنالك بلو ومعناه البحر الأسود ثم تمر بسكتر [795] ثم تمر بين بلاد كلن وكين ثم إلى قرية في كين تسنى بني، والتقت هنالك مع بحيرة كيمما الخارجة من أقصى كين وصارتا بحيرة واحدة قصدت نحو قرية في كين أيضًا تسمى بال بر، والتقت هنالك مع بحيرة فكا الخارجة من قرية فكا في كين أيضًا فسميت باسم مخرجها ومبدئها، ثم إلى قرية في كين أيضًا تسمى بول، ثم إلى قرية في كين أيضًا تسمى بندك، والتقت هنالك مع بحيرة كوكم الخارجة عند كن من قرى كين أيضًا، واعلم أن بني وال بر وبندك كلها حاضرات البحر، واعلم أن بحيرة كوكم هي الحد بين كين ودكراو، ثم قصدت البحيرة قرية كايلي من قرى دكراو فصار ما دون البحيرة وما وراءها كلتا الجهتين في ملك دكراو، ثم قصدت نحو بند فند محرث طابة ثم إلى بافي مكنا في بلاد ساتدك ثم إلى سل في ملك باقلب ثم إلى كنجن في ملك باقلب أيضًا ثم إلى زاخابا في ملك باقلب أيضًا، والتقت هنالك مع البحيرة البيضاء وتسميها الفلاّن ماي ربو الخارجة من جهة كيت فصارتا بحيرة واحدة قصدت نحو البوسطة مدين كاس القريبة من البوسطة خاي ثم ما زالت تمر بالقرى إلى أن التقت ببحيرة فلم بين أرند وكسبي من قرى سرخلات، ثم إلى البوسطة بكل ثم على البوسطة ماتم ثم ما زالت تمر بالقرى والبوسطات الفوتية إلى البوسطة دكن ثم إلى أندر المسماة بسلوي عند فرانس التي عند البحر المالح الذي هو الأوقيانوس الأتلانتيكي. وأما أصل فلم فمن بحيرة في كين أيضًا اسمها كندا الخارجة من عند القرية المسماة لاقابوب من قرى كين ثم على بلندك في كين أيضًا ثم تمر ببلاد سبل من بلاد ساتدك واجتمعت هنالك مع البحيرة المسماة كمب التي أصلها من قرية فرقيا في دكراو [796] وصارتا بحيرة واحدة، ثم تمر إلى البوسطة ساتدك ثم قصدت ماهن وببا في أرض ساتدك، وفي ماهن وببا الآن مسن يحفر الذهب من تلك البحيرة وتسمى من عند ساتدك إلى بنداو إلى أن تلتقي مع بحيرتنا السنقالية بفلم وتلتقيان بين أرند وقسبي كما مر الآن، واعلم أن ثم بحيرة تسمى تان وقد خرجت من كلاط في فوت جلو ومرت بين ممبيا وكناين من قرى كلاط واجتمعت مع بلو أي البحيرة السوداء التي هي أصل بحيرتنا السنقالية وصارتا بحيرة واحدة، وهنالك بحيرات كثيرة كلها تصب في بحيرتنا السنقالية منعنا من ذكرها خوف الإطالة التي تكون سببًا للملالة، واعلم أن في فوت

جلو بحيرات كثيرة لم تتوجه نحونا وجلها أو كلها يصب في البحر المالح، والله تعالى أعلم. قلت ولعل موجب كثرة البحيرات والأنهار هنالك كونها أرضًا كثيرة الجبال، وقد قال تعالى: «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء»، الآية.[604] وقد قال تعالى لموسى عليه السلام: «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا»، الآية.[605] ومن مدد بحيرتنا السنقالية البحيرة البيضاء التي التقت معها عند باقلب في بلاد سدا وكذلك تمدها أنهر كثيرة من جهة مرتن وكذا من جهة سنكال وكذا أنهر في سدا لا تعد لكثرتها دون البحيرات المذكورة، والله تعالى أعلم، وقيل إن مدد فلم إذا كان أكثر في بحيرتنا كان مدها إلى زيادة مائها أكثر وسيلها أسرع سيرًا وعمقا وأقوى ويكثر فيه الغثاء والخشب والأشجار المنقلعة ويتغير الماء بلون كالتراب ولكن جزرها أي انعكاس مائها أسرع عكس مدد غير البحيرة فلم وإذا انجزر فتارة يتأخر المد وتارة يتعجل بحسب كثرة الأمطار في البلاد التي أصل البحيرة منها وقلتها هنالك، وهذا المد في الغالب يبتدئ في العشر الأواسط من يونيه الإفرنجي إلى أوائل يوليه ثم قد ينتهي المد في ستنبر الإفرنجي إلى أوائل أكتوبر وقد ارتوت المزارع كلها ثم يشرع الناس في تعمير ما غاض عنه السيل من الأراضي الحرثية أي فل أو فوط [797] في أواخر ستنبر وأوائل أكتوبر الإفرنجيين، ثم يشرعون في تعمير كلاط جمع كلكل في نونبر إلى دجنبر الإفرنجيين، ويبتدئ إفراك الزرع فَل جمع فُل وغالب زرع فل يسمى في كلامنا مك وشجرتها تثمر بسنبلة تنبت عليها حبوب متراكمة من أسفلها إلى أعلاها وتكون السنبلة على قدر شبر أو أطول أو أقصر بقليل مغلفة بغلاف من العصف فوقها تحميها من الطيور بإذن الله تعالى، ويبتدئ إفراكها وشيّ سنابلها بالنار وأكلها في أوائل يناير وتحصد عوالي فل في فبراير الإفرنجي وتحصد أسافلها في مارس إلى أبريل الإفرنجيين،[606] وكلاط جمع كلكل زرعه نسميه سم وتسميه البياضين والعرب البشنة وتحصد في إبريل الإفرنجي، ويبتدئ ظهور المخاضات البحرية في فبراير الإفرنجي، ويبتدئ المطر في فوت جلو في إبريل الإفرنجي، ويبتدئ المطر في فوت تور في أواخر يونيه الإفرنجي،[607] وقد يقع في بعض السنين عدم سيلان سيل البحيرة على المزارع والمحارث

604 - قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 74.

605 - قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 60.

606 - تعليق المؤلف: وإفراكها في فبراير وبعضها في مارس الإفرنجيين. إفراكها أي نضجها، وأفركت الذرة أي نضجت وصارت صالحة للأكل.

607 - عن مواصفات مناخ الأقاليم السودانية، انظر المدخل للتعريف ببلاد السودان الغربي.

فيحصل الغلاء الشديد ووقع ذلك في عام 1332 من الهجرة،[608] وقد وقع ذلك أيضًا في عام 1322 من الهجرة[609] أيضًا، والله تعالى أعلم، ويقال إنه وقع مثل ذلك أيضًا في بعض الأعوام قبل ولادتنا، والله تعالى أعلم.

493 - الخبر عن فلان جودن

وقيل إن الفلان الذين هم في ملك فوت كلجين وهم من وطاب ومساكنهم من بكل إلى كربي ومثلهم أورربديت ومساكنهم من كربي إلى لساتول وكل هؤلاء الفلان كانوا في ملك فوت كما قيل، والله تعالى أعلم، وقيل إن أسخى الفلان فلان جودن أو فلان جلف،[610] وأما فلان جودن فكان رؤسائهم من جلب وكان البياضين يغيرون على ما حوالي أندر ويفسدون فيها ولا يصلحون فأعجز أمير أندر ذلك وكان بلل قم من قبيلة جه بالجيم معروفًا بالشجاعة فأرسل له أمير أندر فلما حضر أعطاه البارود والرصاص وخلع عليه خلعة الإمارة وأمره بحفظ ما حول جودن من القرى [798] عن البياضين، فما زال حارسًا لذلك إلى أن جاء لصوص منهم فباتوا حول جساين قرية لولف إلى أن أصبح الصبح وكان بلل بائتًا فيها أيضًا لأجل الحراسة، فلما أحس الناس باللصوص قصدوا نحوهم وقائدهم بلل قم هذا فدخل اللصوص في غيضة الأشجار كد التي تسميها ولف كو، فأحجم الناس عن الدخول إليهم في الغيضة فتقدم بلل قم يريد الدخول عليهم فقتلوه قبل وصوله إليهم فقام أخوه الشقيق صمب قم فقال لا بد لي من قتل قاتل أخي أو أقتل دونه، فقصد نحو الغيضة فضربه اللصوص بمدافعهم فأخطأوه فضربهم هو بمدفعه وقتل منهم اثنين فخرج الباقون هاربين فقتل بعضهم وأخذ بعضهم بالأيدي وأفلت من أفلت منهم، ثم قصد صمب قم نحو أندر وأخبر أميرها بالواقعة فشكره جدًا على صنعه وخلع عليه خلعة أخيه وأمره على من في رو إلى روس وقيل أكثر من ذلك، والله تعالى أعلم، ثم إنه حج بيت الله الحرام ورجع إلى جودن وقد بنى له أمير أندر قصرًا وقيل هو الذي بناه لنفسه، والله تعالى أعلم، ثم إنه أراد بعد ذلك الهجرة إلى جوار أي سدا معتقدًا أن هناك دين الله بسبب الأمير أحمد بن الشيخ عمر فنهاه أمير أندر عن ذلك فلم ينته فتركه وهاجر، ثم لما فسد ملك الأمير أحمد بدخول جيوش فرانس

608 - عام 1332 هـ يوافق 1913 م.

609 - عام 1322 هـ يوافق 1904 م.

610 - هناك كتابة في الهامشين الأيمن والأسفل من الصفحة وهي غير واضحة.

لتلك البلاد رجع صمب كوم إلى جودن ولم يل الأمر بعده إلى أن مات في قندن وقبره فيها وكندن قرية لولف بين رو وفملبار، والله تعالى أعلم.

494 - مهدي تور: ظهور أمره وادعاءاته ووفاته وسلوك أتباعه

وأما مهدي تور[611] فقيل إن أصله من رجل سياح واسمه موسى والد عال أي عل والد حمى وهو الذي ادعى المهدوية وكان كبار جوف وسيم قد اتخذوا والده اتخاذًا حسنًا وجعلوه من أكابرهم ساكنًا معهم وذلك حين كانوا في مرتن، وقيل إن المهدي هذا قد علمه القرآن سارن إبرا عال سه الكبير في سيم وحفظه في لوح واحد [799] أي في مرة واحدة، ثم لما بلغ أخذ التجانية عن الشيخ محمد الحافظ الإيدووعلي،[612] ثم لما رجع أتاه الناس أزواجًا وفرادى يأخذون منه الورد حتى بايعه كثير من أهل ولف من سرن سسب وغيره، وكان يسكن بين قابيد وتلد سكتل وهما موضعان في مرتن فدور وبدل فوقهما، ثم ارتحل عنها إلى سيم ومكث فيها ما شاء الله، ثم ارتحل عنها إلى قيا والناس حينئذٍ في شدة الخوف من البياضين فطلب أهل قيا من المهدي أن يجعل لهم حجابًا مانعًا من البياضين فأمرهم أن يحيطوا قريتهم بالحصن من الخشب الغلاظ الطوال ففعلوا وجعلوا للحصن أربعة أبواب من جهة المشرق ومن جهة المغرب واليمين والشمال وجعلوا للأبواب أسدادًا وثيقة وحفروا الخنادق عند كل باب ويبيت الرجال المتسلحون في كل خندق للحراسة وشعارهم سورة الإخلاص وكل من رأوه ليلاً ولم يقرأ السورة فهو من الأعداء فيقتلوه، وبهذه الواسطة قتلوا كثيرًا من البياضين السراق وغيرهم فحادوا عنهم وتركوهم، ثم طلب المهدي الخروج من هذه القرية وتعمير قرية أخرى لنفسه فكانت حرائث من القطن حول قيا لمود عل من جايب قيا وير بلل من سوسوب وأحمد عال ومالك عال من وتوتب قيا وأحمد حمات فأعطوها للمهدي ليتخذها

611 - مهدي تور: يقصد به على الأرجح أحمد لوبو سيكو (شيخو أحمدو لوبو)، وابن المهدي يقصد به ابنه أحمد الثاني. انظر هامش رقم (85)، ص. 108.

612 - **الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب (ت. 1246 هـ1830 م)**: من قبيلة أولاد عمر الموريتانية، نشر الطريقة التجانية بالسودان الغربي، وكان قد التقى بالشيخ أحمد التجاني بفاس (1780 م) وأخذ عنه مبادئ طريقته التجانية، وعينه مقدمًا لها ببلاد شنقيط والسودان الغربي، فنجح في إقناع قومه أولاد علي بها، كما كسب أنصارًا له بالسودان. توفي بانفي بإقليم بوتيلميت. ترجم له سكيرج في «كشف الحجاب»، وألف فيه محمدي بن سيدنا بدي كتاب «نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ». انظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص. 517.

مسكنًا لنفسه ولقومه، وأما الذين خرجوا من قيا أولاً وسكنوا معه في قريته فهم ألفا سري دس وهارون حمات وصورك، فكان أهل فوت يريدون أن يجعلوه ألمام إلى أن ادعى المهدوية فتركوه ودعواه، وقيل إن أهل تور قالوا له نحن قد قبلنا دعواك فاذهب على فوت فلما وصل إلى هاير أرسل براوته إلى لاو فأرسلوا إليه رجلا من أهل ون إبرا أحمد إبرا حمات ويعرف بتفسير فات ليختبره لهم، فلما اجتمع معه اغتر وآمن به ورجع إلى أهل لاو فاغتروا باغتراره وآمنوا به، فلما وصل المهدي لاو كتب براوة وأرسلها إلى ألمام يوسف وأهل فوت أولها بسم الله، إلخ، ومعنى الباء لقبي به ومعنى السين منشئي سيم ومعنى الميم أنا المهدي المنتظر إلى آخر تخبطاته فيها وقد ذكرنا هذا إلى آخره فيما مر من تاريخ لاو وانظره هنالك، [800] وقيل إن سبب إتيان المهدي إلى فوت ذبحه لولده يوم عيد الأضحى تشبهًا بإبراهيم عليه السلام زاعمًا بأن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأنكر عليه أهل فوت ذلك وأرادوا منه القصاص، فجمع جماعته وقصد نحوهم يريد مصالحتهم ويدعوهم أيضًا إلى الايمان بمهدويته إلى أن أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه، وقيل إنه لما افتضح بانهزام جيشه قال إنه لا يسكن بعد في تور ولا في فوت أبدا، فخرج هائمًا مهاجرًا فتبعه سالوب فلحقوه عند دمت فرجعوا به، وكان في سيم فكره كل رئيس منهم أن يسكنه في قريته خوفًا على جاهه منه فأخذه جاقيا الذي لقبه فام فأسكنه في قيا سنتين أو ثلاثًا ثم اختار الانفراد بقريته فارتحل وسكن في قريته المعروفة الآن بور مهدي قرب قيا ويخرفون في تراج، وقيل إن الله تعالى رزق المهدي بعد ذبح ولده اثني عشر ولدًا ذكرًا فزعم أن ذلك من دلائل رضى الله تعالى لذبحه ولده فلذلك عوضه وأثابه بهم بدله، وكان سرن كك قد زوجه ببنته فند بي ومن ولده منها إبرا مهدي وكان ولده أحمد حمى أكبر أولاده بعد المذبوح وكان يسمى أحمد مهدي، ثم إن مهدي تور هذا لما حضرته الوفاة قال إن ابني أحمد سيقتل كثيرًا من الرجال صبرًا صبرًا وإن كل واحد من بقية أولادي يقاوم بمائة رجل في الشجاعة وإني إن مت فلا أدفن بل أترك في البيت مغلوقًا فقط فلا أتغير أبدًا، فلما مات تركوه في بيت مغلوقًا كما قال ثم إنه انتن وأروح وتأذى به الناس فدفنوه سترًا لعيبه، ثم إن إبرا مهدي زوجه خاله سرن كك المتخلف بعد موت أبيه سرن كك صمهر مهدي تور بابنته وهو ساكن هنالك معهم، وكان ذكر أهل المهدي هذه الصيغة: استغفر الله العظيم

الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، جهرًا في جماعة بأصوات مطربة فتبعهم الناس الكثير من الشبان والصبيان وغيرهم على ذلك، وكانوا متسلحين مع ذلك وكانوا مع ذلك ينهون عن كل منكر رأوه، وكان من عادة أهل تور إلى آخر المغرب كما قيل إن المختتنين إذا برأت جراح الختان منهم يجولون في القرى مع اللعب واللهو والضيافات والقرى، فقاموا من جم يجولون إلى أن نزلوا في جاتار وكانوا ينزلون على الأبكار فيحسن إليهم فأرسل شيخ أحمد مهدي [801] أناسًا من قريته فرسانًا متسلحين ذاكرين بذكرهم هذا إلى أن وصلوا إلى إلمان جاتار فنهوهم عن هذا المنكر فقبل قوله إلمان جاتار وصلحاء قريته فطردوا المختتنين عن قريتهم وامتنعت الأبكار من خروجهم ولكن آخر الأمر أخرجوهم عن القرية.

495 - خلافة إبرا مهدي لأبيه (مهدي تور) وذكر بعض الوقائع التي حدثت أثناء توليه الأمر

ثم إن إبرا مهدي الذي في كك معه جماعة يذكرون هذا الذكر فنهاه خاله عن هذا الذكر فلم ينته عنه وأمره بالانتقال عن قريته فخرج عنها وسكن قربها سنة، ثم أتى إلى أخيه الشيخ أحمد وأخبره بما وقع بينه وبين خاله فقام إلى كك يريد الإصلاح بينهما، وقيل إن المهدي لما مات قام ابنه إبرا مهدي ذاهبًا إلى خاله في كك وعاشره مدة وكان لخاله هذا ديوان في كجور ويسمى ديوانه تند سورور وكان يحارب بعض أعدائه من ملوك كجور فظهرت لخاله عليه الشجاعة وحب الرياسة مع اتخاذه لورد والده فتبعه الناس لذلك فأرجف المرجفون وقالوا إن لابن أختك هذا شأنًا ونبأ، وقيل إن سرن كك سلط رجلاً كجوريًا اسمه ماروس على قتل تلميذين له فقتلهما فأتى إبرا مهدي إلى خاله فسأله عن ما فعل المريدان فقال لذكرٍ يتلوانه ولا يتلى هذا الورد على بلد إلا وخرب أو صار للتالين. والحاصل أنه طرد إبرا أو أمره بالرجوع إلى دار أبيه في تور، وقد قيل إن سرن كك وشى إبرا إلى بعض ملوك فرانس وقال إنه يريد الجهاد وكذلك أخاه في تور وكان قد زوج إبرا ببنته رقي فرجع إلى تور وترك زوجته رقي عند والدها وكان ابنه محمد جوب لا يفارق زوج أخته إبرا مهدي فذهب معه محمد جوب تاركا زوجته عند أبيه أيضًا، فلما وصلا إلى الشيخ أحمد مهدي أخبراه بالواقع فقال لهما سأذهب بكما إليه للإصلاح بينكم وإن قبل فالحمد لله وإلا ترجعا بزوجتكما إلينا.

496 - وقائع أحمد مهدي مع القبائل المعادية له

وأحمد مهدي في تلك المدة يطلب الأسلحة الجيدة والرفقاء إلى أن حصل له تسع وثلاثون رجلاً متسلحًا، فقام قاصدًا نحو كك فبلغ سرن كك قدومهم إليه فكتب إليهم البراوة بأن لا تقدموا إلي ولا تدخلوا أرضي فأنا متبرئ منكم، ولم يلتفتوا إلى كلامه، وكتب ثانية وثالثة فلم يقبلوا [802] إلى أن وصلوا إلى بلل قرية فلاّن قرب كك فقال أحمد مهدي لأخيه إبرا ما تقول في هذا ألا نرجع عنهم اتقاء من الفتنة فقال لا أرجع أنا عن كك أبدًا ولو كنت وحدي، فبينما هم في ذلك إذ أتتهما رقي وزوجة محمد جوب تبكيان وتقولان إن سرن كك قد باع ما تركتم عندنا من الخيل وأزال عنا حلينا فأمروهما بالرجوع فرجعتا، وقبل وصولهما أرسل سرن كك أيضًا براوة رابعة ووراءها جيشًا جرارًا فتزاحف الجيشان جيش سرن كك بل سخن وجيش أحمد مهدي فانهزم سرن كك مع جيشه هاربين وتبعهم جيش أحمد يقتلون ويأسرون وقد جاوز سرن كك إلى فرانس لائذًا بهم وقال لهم ألم أقل لكم أولاً إن هؤلاء لأصحاب فتنة فحينئذٍ أمر فرانس لامتور أن يخرب قريتهم ويهدمها ونهب أموالها وأما جيش أحمد مهدي فإنه في أنكك، وفي غده أرسل فرسانًا إلى ماروس الذي سلطه سرن كك أولاً على قتل تلميذين لإبرا مهدي فقتلوه ثم اتفق تجهيز فرانس الجيوش عند مخج فهزمهم دمل وأحمد مهدي يومئذٍ كما قيل وتبعوهم إلى فملبار وقد غنم منهم قوم أحمد مهدي الخيل واللباس فطلب منه دمل أن يعطيه ما سلبه قومه فامتنع وأبى فاختلفا وافترقا من يومئذٍ لذلك ورجعوا إلى أنكك وكانت فند بي التي هي أم إبرا مهدي أختًا لسرن كك الشقيقة وكان ابنه ممد جوب تلميذًا لإبرا مهدي ومحبًا له جدًّا فآل الأمر بأن أرسلوا إلى سرن كك بالرجوع إلى قريته بلا بأس فرجع واصطلح معهم، ثم إنه سمع بأن أهل تور خربوا قريته بأمر كمادان فدور فرجع إلى تور وكان فرسهم قد ضل فتبعوا أثره إلى بود قرية في وال برك فطلبوه من سرن بود فأنكر علمه به فأحرى رؤيته له فوقع عليهم وقتل سرن بود وأخذ أموالهم واستعان بها على طلب الأسلحة.

497 - رجوع أحمد مهدي إلى تور وانتقامه من خصومه وحروبه مع القبائل المعادية له

ثم أتى تور ونزل في تراج وكان حين أراد السفر على أنكك قد أودع داره لإلمان جاتار وإلمان جوار وإلمان دناي فسألهم عن داره فذكروا له الأمر فقال هل أنتم معهم فقالوا لا وقال هل وجدتم منها شيئًا فقالوا نعم فقال ردوا لي ما وجدتم منها فقالوا ما في أيدينا هين متيسر فاطلب ما عند غيرنا أولاً حتى تجده فندفع إليك ما عندنا منه حينئذٍ، وكان فرانس لما رأوا فعله مع سري كك [803] وقتاله إياهم مع دمل عزلوا كبار تور ورؤساءها الذين وافقت أيامهم هذا الفعل القبيح وعزلوا لامتور مولى وخلفوا لامتور صمب وعزلوا صمب جن في بلور وخلفوا سيديّ وعزلوا أرط سالف وخلفوا أرط ساج وحينئذٍ أمروا لامتور صمب بتخريب قرية أحمد مهدي ففعل وأخذ زوجته فند فر بنت إلمان جوار من أهلها كرهًا واتخذها زوجة حتى ولدت له عبدل صمب بعدما ولدت لأحمد مهدي بنتًا، ثم إن سالوب لما قالوا له اطلب ما عند غيرنا وأما ما عندنا فهو هين متيسر وكان الفلاّن هم الذين أخذوا ماشيته وهم أرط كل في داكل وبوتل حمزة في سووناب وأرط عمر في جايان ودب جح في كلجين، فأعطى إبرا مهدي جيشًا إلى أرط كل ولم يجدوه في داكل وكان قد ذهب إلى لامتور صمب فقال له أرسل إلى رؤساء الفلاّن أن يجتمعوا ويتأهبوا للقتال، وكان أرطات الفلاّن قد اجتمعوا في جايان عند أرط عمر يدبرون ما يفعلون فقصدهم أحمد مهدي وقتل أرط كل وبوتل حمزة وصمب جاير نائب أرط عمر، وكان قد أحس بإتيان جيش أحمد مهدي فخرج من بينهم متسللاً من غير إشعار أحد فلذلك نجا من القتل، ثم أرسل أحمد مهدي فرسانه إلى دو جج في يلد كور بين فني وبكل فقتلوه هنالك وأخذوا ماله وكان من رؤساء كلجين، ثم رجعوا إلى تراج فأتاهم أرط عد المعروف بأرط همد فطلب منه الصلح فقبل له ذلك أحمد مهدي، ثم ذهب لامتور صمب إلى كمادان فدور وشكى إليه أمر أحمد مهدي فأمر كمادان إلمان إفرا والد إلام آبو أن يذهب بأهل فدور كلهم وأن ينضموا إلى لامتور ويقاتلوا أحمد مهدي وكان قد قصد نحو عد أو هاير، وكان سووناب بوتل وأهل داكل قد بايعوه وأطاعوه، وأما لامتور وجيشه فقد تبعوه يريدون قتاله فأرسل إليه بذلك سووناب وداكلناب يعلمونه به فرجع ونزل في هواد، وأما جيش لامتور فقد نزل في فتن فأتاهم أحمد مهدي فالتقى جيشهما عند فتن فهزمهم أحمد مهدي هزيمة شنيعة، ثم تقاتلوا في سكل اسم موضع بين جم وكماج من

فوق فهزمهم أحمد مهدي أيضًا ومات في ذلك اليوم إلمان إبرا والد إلمان أبو وجاير كل أحد رؤساء فدور وبوي كبي وكريم كبي من رؤساء فدور، وفي يوم فتن قتل شيخ لايب بن بوكر عال دند وكان [804] مع جيش فدور، ثم غزا أحمد مهدي كد في الخريف فهزمه أهل كد هزيمة شنيعة وقتل يومئذٍ أخوه مولود فال شقيق برا وقتل أيضًا يومئذٍ أخوه عبد السلام وكان أخوهم حمدل قد قتل يوم مخ وهو شقيق أحمد مهدي، ثم رجعوا إلى عد ومكثوا هنالك مدة وفي تلك المدة أحضر أحمد مهدي كثيرًا من النجارين لينحتوا له الألواح الكبار ليعبروا بها السيل ويرجعوا لقتال كد.

498 - خروج جيش فرنسا لمحاربة أحمد مهدي وطرده إلى دطل

فبينما هم كذلك إذ بلغهم خبر قدوم جيوش فرانس إليهم فقاموا إلى لقائها فالتقوا عند جك وهو موضع تحت تراج فانهزم أحمد مهدي وطرد جيشه إلى دطل وانقسم جيشه قسمتين، قسمة قطعت البحيرة إلى دمت فحاربهم لامتور هنالك وكذلك بلجوك اسم موضع، ثم ذهب أحمد مهدي مع جماعته إلى بمب وتركوا هنالك ديارهم وأهاليهم وطلعوا إلى جلف ومعهم إبرا ألمام وإبرا عبدل وغيرهما من أهل فوت، وأمير جلف حينئذٍ بوربكن تمخر فأفسدوا ملكه وملكوا أرضه وأصلحوا أماكنهم ثم رجع بعض قومه لإتيان أهاليهم وترحيلهم إلى جلف فلما أتوا بهم سكنوا في جلف وقد ارتحل حينئذٍ ممد تفسير فات وأخوه ألمام سعد من بمب بجميع أهاليهما إلى جلف مع أحمد مهدي، وأما أهل تور فكانوا يغيرون عليهم في جلف يغصبون ما قدروا عليه ويسرقون ما شذ، ثم بعد سنة نزل أحمد مهدي بجيشه إلى تور فلما وصل أرسل براوة إلى لامتور بأنه جاء لقتاله فليتأهب لذلك وأنه لا يسرق وإنما يقاتل جهرة، فأرسل لامتور إلى أهل تور أن يجتمعوا لقتال أحمد مهدي وبعد قليل التقى الجيشان عند جم سنك بي وهو اسم شجرة التمر الهندي عند أجم تووكل فهزمهم أحمد مهدي هزيمة شنيعة وامتنع لامتور مولى من الفرار فقتل يومئذٍ ومات يومئذٍ من قوم أحمد مهدي ما صمب الذي كان من أشجعهم ويقال له منقص البارود لأنه كان يقف بجواده على صف القتال فيضربونه بعمارات مدافعهم كلها وهو واقف ساكن الجأش فإذا تم ضربهم للمدافع يرجع عنهم إلى صف آخر ويقول إنما جئت لأنقص بارودكم لا غير، وكان مع أحمد مهدي إبرا ألمام وممد سلي وإبرا عبدل سري وقد جرح يومئذٍ، ثم وقيعة بين أحمد مهدي وبين

أهل تور في كماج ولايراب، ثم رجعوا إلى جلف بعد ذلك وكان في تنت قرية فلاَن أوررب كد فلاّني متعجب بنفسه أرسل إلى برا أخو أحمد مهدي [805] في جلف بأنه ربى كلبا وسماه باسمه فأرسل إليه برا وقال له متى نبحني سمي في قريتك يكن ذلك اليوم يومًا عسيرًا عليك غير يسير، ثم نزل أحمد مهدي مع جيشه إلى ننثت ومعهم برا فانقسم أهلها نصفين، نصف رحل مواشيهم وأهاليهم ثم رجعوا للقتال، والنصف الآخر لم يرحلوا مواشيهم وأهاليهم بل بقوا معهم فجاءهم أحمد مهدي بعد المغرب والفلاّن يهربونهم بمدافعهم ولم يجيبوهم بشيء إلى أن وقفوا على رؤوسهم فهربوا، وقتل من رجال تلك القرية فقط ثلاثون رجلاً ثم رجعوا إلى جلف، وبهذه الغزوة انتهى خبر جيوشهم مع تور.

499 - الخبر عن الوقائع التي واجه فيها أحمد مهدي أهل فوت تور وذكر سببها

وكان من موجبات صحبة إبرا إلمام وممد سلي لأحمد مهدي أن عبدل بوكر لما نهب أموال أهل كبل وهرب بيد صمب وإبرا عبدل إلى لاو واستعانوا بإبرا ألمام على أن ينصرهما أحمد مهدي في محاربة عبدل بوكر، ذهب إبرا ألمام إلى أحمد مهدي لذلك وصاحبه هذه المدة كلها ولم يقض له شيئًا من حاجته، وقد كان أحمد مهدي يرسل براواته إلى عبدل بوكر ويأمره برد ما أخذ من مال أهل كبل فقبل له عبدل ذلك بالقول لا بالفعل،[613] ثم ظهرت لإبرا ألمام خيانة أحمد مهدي لهم فلذلك رجعوا عنه وتركوه لأنه كان بينه وبين عبدل بوكر مهاداة ومراسلات وقد أرسل له عبدل فرسين أحدهما لوزيره دنقل والآخر لوزيره سيد كمب، وقد أرسل عبدل بوكر أولا إلى إبرا مهدي بأنه أهدى له فرسًا جيدًا فليرسل له من يقبضه إليه فأرسل إليه فتى من وزرائه اسمه صمب أنجاي ماباي وقد حضر مع عبدل قتال سانكن وكان بعد ذلك مع عبدل ويذهب مع اللصوص إلى لاو فيسرقون إلى أن عرفه الناس بذلك وتناذروه، فلما رجع إبرا ألمام وقومه إلى مساكنهم أراد صمب أنجاي الرجوع إلى إبرا مهدي فأعطاه عبدل الفرس الموعود مع ما أمكن له من المال فرجع ومر بطريق بك فقيل لممد سلي إن صمب أنجاي هاهو نازل في بك فقام إليه ممد سلي فأتاه حين غفلة فقتله وأخذ ما معه، فلما سمع بذلك أحمد مهدي أتى بجيشه إلى بمب فأفسدوا حرائثهم وأتلفوا مواشيهم وحيوانهم، فلما رأى إبرا ألمام تجاوزهم عن الحد وإفراطهم في الظلم امتنع من الخروج إليهم

613 - تعليق المؤلف: ولذلك كل رئيس من بوسياب أقر بما أكل من أموال أهل كبل وأنه سيردها بالقول دون الفعل.

وأغلق [806] بابه دونهم وظن أنهم يريدون قتاله وتأهب لذلك بأن ملأ حصنه بالعَدد والعُدد، فأرسل إليه أحمد مهدي بأني لا أريد إلا مكالمتك وسؤالك لا غير، فخرج إليه فاجتمعا عند المسجد، فقال له أسألك عن قاتل تلميذنا صمب أنجاي، فقال له إن ممد سلي هو قاتله ولا أدري ما وراء ذلك فرجع إبرا إلى داره ولم يطل الكلام معه وكان قد أمر قومه المتسلحين بأنهم إن رأوا في أحمد مهدي ما يريبهم فليقاتلوهما هو وأحمد مهدي جميعًا، فتجاوز أحمد مهدي إلى فت وكل من لقيهم بين بمب وفت ضربوه وسلبوه كما قيل بذلك، والله تعالى أعلم، وكان ممد سلي لما سمع بقدوم أحمد مهدي من جلف قال لقومه من يرلاب تأهبوا لقتال هذا الرجل وتسلحوا له فأبوا بأجمعهم لاسيما ير تكسل الذي قتل في ذلك اليوم، فلما وصل إليهم أحمد مهدي نزل في المسجد فقسمهم أهل القرية فنزلوا فيها وقال برا إنه لا ينزل إلا في دار ممد سلي وكان قد دخل حصنه وأغلق بابه وأجلس عبده في بابه يحرسه، فقصد برا نحو داره فوجدها مغلوقة محروسة فتكلم مع الحاجب فاختلفا في الكلام وهو يرقص فرسه إذ اقتحم به إلى داخل الدار وتضارب مع الحاجب بالمدافع، وقيل إن قوم أحمد مهدي كانوا متفقين فيما بينهم أن يقتل كل منهم نزيله إن سمع صوت ضرب مدفع، فلما تضارب برا مع الحاجب بالمدافع وقتله فعل كذلك كل من في القرية منهم مع نزيله، ومن جملة المقتولين من أهل فت ير تكسل عم ممد سلي وكان أحمد مهدي معه كثير من أهل فت في ملل فأريد قتلهم فلاذوا به وترامو عليه فأمر بتركهم فتركوا ولم يسلم منهم غير هؤلاء إلا من فر واختفى أو من نجّاه الله تعالى، وكان ذلك وقت خريف وزمن سيل فخرج ممد سلي من وراء الدار فدخل في سفينة حوات من رؤساء أهل قي اسمه جالتاب خاليد ديبي فنجا بهذه الواسطة، وكان ألمام محمد الأمين مع ممد سلي في بيته واختلفا ساعة الخروج إلا أنهما التقيا في قي فقال ممد سلي لألمام اكتب لنا براوة إلى أحمد مهدي تعلمه بنجاتنا مع أننا نحب أن يبعد عنا لندفن موتانا، فلما علم أحمد مهدي بأنه لم يصب ممد سلي وأنه لا يمكنه قتله الآن ارتحل بجيشه إلى جلف وقد أخذوا الأحرار والعبيد والأموال من فت فنزل في بك فأرسل إليه عبدل بوكر أن يترك الأحرار ويخلي سبيلهم ويبقي له العبيد والأموال فقبل وفعل ذلك، وقيل [807] إن فرس ممد سلي الذي أخذ في ذلك اليوم قد أعطاه أحمد مهدي لألمام سعد الذي قتل في جمَل مدِير، وأما ممد سلي فقد رجع إلى فت بعد رجوع أحمد مهدي إلى جلف، فلما وصل لفت سأل عن عمه ير تكسل فقيل إنه قتل في الواقعة فقال ليتني وجدته حيا، ومن حجة أحمد

مهدي في وقوعه على أهل فوت أن ممد سلي هو الذي ظلمه لأمرين، أحدهما أنهم قد تركوا ساعة ذهابهم أولاً إلى جلف فرسين جيدتين مدبورتين وأمة ضعيفة عند بمب، فلما برأت الفرسان سرقهما ممد سلي مع فرس إبرا ألمام المعروف بجدر، ولما ذهب ممد سلي بالخيل إلى وراء النيل أي مرتن رجع فرس إبرا ألمام على بمب فعلم به أهل بمب فكتبوا براوة إلى أحمد مهدي يعلمونه بذلك، وقد قيل أيضًا أن ممد سلي قد باع أمة أحمد مهدي وأكل ثمنها فكتب أحمد مهدي براوة في ذلك إلى ممد سلي فقال له ممد أني مقر بذلك كله ولكني آكل مالك كما يأكله إخوتك إبرا مهدي وبرا وغيرهما لأني أخوك الصغير مثلهم، والأمر الآخر من حجة أحمد مهدي على ممد سلي قتله لصمب أنجاي، قيل قتله في بك وقيل في لك، وقيل كان صمب أنجاي لصًا خبيثًا يقوم بعد ذهابهم إلى جلف ويرجع إلى فوت ويسرق ما أمكن له ويرجع به إلى جلف ولذا تناذره أهل فوت إلى أن قيل لمد سلي ما صمب أنجاي نازل في لك فأتاه وقتله، والله تعالى أعلم، قلت يمكن أن يكون قد رجع لجلف بعد الإرسال إلى عبدل بوكر ثم رجع بعد ذلك إلى عبدل بوكر أيضًا، والله تعالى أعلم. وقيل أن غزوة أحمد مهدي لفت كان في آخر خريف عام 1291 من الهجرة[614] وأحصي من قتل فيها فكانوا مائة وسبعين بين مقتول وغريق.

500 - انقلاب رجال أحمد مهدي عليه وتآمرهم مع أمير أندر وانتهاء أمره على يد الفرنسيين

وأما إبرا ألمام وممد سلي بعد الوقيعة على فت فقاما بجيشيهما يريدون الالتحاق بدمل ليعيناه على قتل أحمد مهدي وكان معهم ثمانية حمير موقورة بارودًا فالتحقا بدمل فأكرمهما جدًا حتى تزوج إبرا بأخته أو بنته التي منها ابنه النجيب أحمد مختار اللبيب ساف ديوان ير الآن، وكذا بمب عال برا بن أمير جلف التحق بدمل أيضًا كما قيل فقام عبدل بوكر فالتحق بأحمد مهدي فأهانه ولم يبال به جدًا كما قيل وآل أمره إلى الرجوع إلى فوت [808] بحيلة، فوقع القتال بين أحمد مهدي ودمل في سووان فانهزم دمل وجيشه، وفيه قتل إبرا مهدي، ثم قتالهم في ساغو وانهزم دمل أيضًا، وقيل إن في ذلك اليوم قتل ممد جوب قيل قاتله ممد سلي وقيل إنه هو المنقص للبارود وليس صمب، وكان فارسًا شجاعًا يقدم فرسه أمام

614 - عام 1291 هـ يوافق 1874 م.

صفوف القتال واقفًا فتضربه الصفوف بمدافعهم واقفًا لا يتحرك ثم يقول إنما جئت لأنقص بارودكم لا غير فيرجع سالمًا، فما زال هذا دأبه إلى أن غلبوا دمل ذات غزوة فهرب أمامهم وصادف إتباع محمد جوب آثار إبرا ألمام وممد سلي وكانا لا يتعبان إذا هزم جيشهما لفرط شجاعتهما فآل الأمر إلى قتل محمد جوب، قلت ومن الممكنات أن يكون ممد جوب هذا وصمب أنجاي الذي مر ذكره كلاهما منقصا للبارود، والله تعالى أعلم، ثم تقاتلوا أيضًا في أنكك فانهزم دمل أيضًا وقيل إن أحمد مهدي ما زال يقاتل دمل ويغلبه ويطرده إلى سبع غزوات وهو يطرد دمل فيها وصار دمل في أطراف أرضه كجور خوفًا منه، وقيل إن أحمد مهدي قد ملك ما بين فملبار إلى رفسك سبعة أشهر ثم أن دمل والخواص من جيشه كإبرا ألمام وممد سلي تشاوروا في أمر أحمد مهدي ثم اتفقوا على ذهابهم إلى أمير أندر ليعينهم على أمر أحمد مهدي فاختار إبرا ألمام وممد سلي ثمانين فارسًا من جيشيهما واختار دمل أيضًا ثمانين فارسًا من جيشه فأرسلوهم إلى أمير أندر ليغيثهم على هذا الرجل، فلما وصلوا إليه طلبوا منه الأمر المذكور فأمسكهم سبعة أيام وفي الثامن أمرهم بالرجوع وأن جيشه آتيهم فلما أتاهم جيشه من الصنادر تلاقوا مع جيش أحمد مهدي في سوساج فنصر الله جيش فرانس على جيش أحمد مهدي بواسطة مدافعهم القوية فهلك أحمد مهدي في ذلك اليوم مع جل جيشه إلا من لم يحضر أجله منهم، وبذلك انكسرت شوكة المهدويين إلى الآن وقد بقيت منهم بقايا في بر ماتم وور مهدي في تور، وقد أخذ في يوم سوساج ألمام سعد وأخوه ممد تفسير فات وقال لهما إبرا ألمام ارجعا معنا إلى بلدنا بمب لا بأس عليكم، وكان قد أخذ معهما أيضًا ابنين لمهدي تور [809] وهما عبد الجليل وعبد الكريم فرجعوا معهم إلى جمل مدير فقتل الكل إبرا ألمام بعد التأمين مع ابن لمد تفسير فات يسمى هدي، والله تعالى أعلم.

501 - معلومات عن زوجات مهدي تور وأبنائه

ومما يتعلق بأمر مهدي تور أن زوجته زينب سلي من أهل دنار هي أم ابنه النجيب وشبله المنصور اللبيب أحمد مهدي ويقال لها عيشة أمهان دلي فهي من قبيلة كلخ، وأن زوجته مريم ألفا هي والدة صمب مريم المشتهر بالشجاعة المعروف ببرا ومولود فال وألفا عيسى وحمدن وأمهم من بنات جوار، وأن زوجته فند بي بنت سري كد هي والدة ابنه إبرا

مهدي، وقد زوجه تفسير فات ثلاث بنات من صلبه كلما ماتت واحدة يزوجه بالأخرى وهن رك وحواء وجليا، وأن مهدي تور قد أنكح بنته فاطمة الإمام وهي بكرته لتفسير فات وأن تفسير فات أيضًا قد زوج ابنته حواء لأحمد مهدي، وعبد الوهاب بن محمد تفسير فات هو سافد ولاس ور مهدي أي هو الوالي عليها الآن وزوجته ابنة أحمد مهدي واسمها فاطمة. واعلم أنهم كانوا يسمون المهدي بالإمام، وكانوا يسمون أحمد مهدي بالشيخ أحمد، وكانوا لا يبادئون الأعداء بضرب المدافع بل هم الذين يبادئونهم بضرب المدافع حتى إذا وصلوا إليهم ونفد ما في مدافع أعدائهم من العمارات وحينئذٍ ينتقمون منهم فالغالب فرارهم وعدم ثبوتهم في مراكزهم، وكان الشيخ أحمد يغطي وجهه عند القتال ويتوجه نحو الأعداء ولا يراهم ويتقدم أمام جيشه ويقاتل بنفسه وكان في غاية من الشجاعة ونهاية من البسالة وكذلك إخوته لاسيما أخوه برا وكان يقاتل الأعداء بمقمعة من الحديد يدافع به منهم وعدم بعده عنهم، والله تعالى أعلم. وقيل إن أصله بيضاني جاء لسيم في مرتن فتزوج بامرأة اسمها به ثم طعن البيضاني بعدما حملت منه زوجته هذه فولدت ولدًا ذكرًا بعده فسموه حمى ولقبوه بلقب أمه به، والله تعالى أعلم بحقيقة (...) من الأقوال. وقد ادعوا لأنفسهم الشرف وسردوا نسبهم إلى سيدنا الحسين [810] السبط رضي الله عنه، وهو حمى بن علي بن موسى بن محمد بن دميس بن عبد النعيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن سيد عامر بن حارز بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن سيدي زين العابدين بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

502 - ادعاء النسب إلى آل البيت والتدليل على عدم صحته

قلت وفي هذا النسب التباسات لأن إدريس الأكبر هو ابن عبد الله الكامل وقد جعلوه هنا ابن سيدي زين العابدين، وإدريس الأصغر أيضًا ليس له ولد يسمى حارز لأن أبناءه اثنا عشر وهم القاسم وأبو عبد الله سيدي محمد الخليفة وعيسى وعمر وأحمد وعبد الله وداوود ويحيى وجعفر وحمزة وعلي إدريس وزاد بعضهم الحسن والحسين وكثير وعمران، اهـ من «الدرر البهية»،[615] وأن عبد الله الكامل ليس له ولد يسمى سيدي زين العابدين لأن أبناءه سبعة وهم محمد النفس الزكية وإدريس الأكبر وسليمان وموسى الجون وإبراهيم ويحيى

615 - انظر: هامش أبو العلاء إدريس العلوي، الدرر البهية...، هامش رقم (557)، ص. 613.

وعيسى كما في الدرر أيضًا، وأن سيدنا الحسين السبط لم يخلف ولدًا يسمى الحسن وكان له اثنا عشر ولدًا فبعضهم درج في حياة أبيه وبعضهم قتل معه وانحصر عقبه في ابنه زين العابدين فهو ينبوع كل حسيني في المغارب والمشارق، اهـ من الدرر أيضًا، وقال بعض الشيوخ رضي الله عنه:

وبعد فالناس مصدقون في
أنسابهم في غير دعوى الشرف
قيل ولو دعوه والعقوق
يخرج منه لو تفاحش جلا
وبالقرائن لمدعي النسب
يعرف هل صدق فيه أو كذب
ومن دعى الشرف قل لابد أن
يكون من الحسين أو من الحسن
وأن يكن من غير دين ففند
فمن دعا من جهة الحسين قد
لابد أن يكون ذا من ولد
مولاي زين العابدين الأمجد
وأن يكن من غيره فكذب
إذ غيره من ولده لم يعقب

إلى أن قال:

ومن دعى من أهل تكرم الشرف
من الحسين كاذب لدى السلف
كذلك من جهة زيد بن الحسن
إذ لم يسافر لهما ولا سكن

[811]

ابـــن بمـغـــــرب وأخـــــرى يـلـد
فـيـه فـبـان بـالـدلـيـل الـفـنـد
و هـذا أقـصـى مـغـرب مـن مـشـرق
فكيف بـالـتـكـرور وفـي ذا الأفـق، إلـخ.

والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وهو المرجو بالعفو عن كل ما هنالك. وقد نقلت من خط ابن ابن المهدي: أنا محمود بن شيخ أحمد بن محمد المهدي بن حمى به بن علي بن حمى بن موسى بن الحاج بن دميس بن عبد النعيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن سيد عامر بن إبراهيم بن عمر بن حارز بن محرز بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هذا ما لخصته من نسب الإمام المهدي محمد بن حمى المتوطن في سيم بين البحرين ثم انتقل فرارًا لدينه وسكن في ور مهدي ثم خرج ابنه شيخ أحمد مهدي إلى جلف بسبب الجهاد وأقام في الجهاد ست سنين واستشهد في غزوة صب ساج وأخفاه الله عن الأعين فلم يره أحد، ومحمد المهدي هذا هو الذي اقتبس أهل المغرب منه التجانية وهو الذي أظهرها في الغرب، اهـ (...). قلت وفي «الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية» عند ذكر أولاد الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب لقب بالعمر (...)، إلى أن قال وأما السبط السابع الإمام عبد الله الكامل ويلقب (...) ولادة على السبطين رضي الله عنهم فكان سيد أهل زمانه علمًا وجلالة روى عنه الإمام مالك وكان من خيار أهل البيت وأفضلهم، إلى أن قال وقد خلف رضي الله عنه سبعة (...) وهم الإمام محمد النفس الزكية والإمام إدريس والإمام سليمان والإمام موسى (...) والإمام إبراهيم والإمام يحيى والإمام عيسى وسنذكرهم (...) على هذا الترتيب والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. قلت وقد ظهر لك بهذا بطلان هذا النسب أيضًا لأن من اسمه أحمد ليس من ذرية الإمام عبد الله الكامل رضي الله عنه.

503 - رواية عن بداية دعوى مهدي تور

[812] ثم بعد هذا لقيت ابن ابن ابنه حمدن بن حمدن بن إبرا مهدي فسألته عن أم المهدي جده وعن ما ثبت عنده من نسبه، فقال أن المهدي بينما هو قرب فدور في حرثه المسمى دبج إذ هتف به هاتف يا محمد ارتفع ولا تعمل بعد هذا اليوم عمل الدنيا، ثم هتف به هاتف مرة أخرى يا محمد اذهب إلى مرتن لطلب العلم فذهب إلى مرتن ومكث هنالك ثم أمر بالرجوع إلى بلده ومكث فيها مدة يعبد ربه حتى هتف به هاتف أيضًا فأمره بالذهاب إلى هلوار والتزوج بامرأته كو إلمان التي هي والدة ولده محمد مهدي المعروف ببكر كو إلمان المذبوح، وقيل إن أول مريد بايعه تلميذه عاليا جوب من أهل آجم تووقل وهو الذي أرسله ليأتي بولده المذبوح واسمه محمد مع أنه حينئذٍ ليس له ولد غيره، فلما ذبحه قيل له في ذلك فقال إن الله سيعوضني من الأولاد ما هو أكثر فأعد لهم أولاده وهم محمد المذبوح ثم شيخ أحمد وعبد القادر وإبراهيم ومولود فال ومحمد الحافظ وجبريل شاخ وطاهر وطيب المشتهر ببرا وحمدن وسيد المختار وعبد الكريم وعيسى، وعد الإناث أيضًا وهن مريم وعائشة وفاطمة بنت الإمام المهدي وزينب ورحمة الله وخديجة وببنبى رك وكر مهدي. ومن حججه مع سالوب حين أتوا إليه يسألونه عما حمله على ذبح ولده فقال لهم إنه مأمور بذلك وإنه لا يخرج من الدنيا حتى يعوضه الله بما هو أكثر وعد لهم ما وعد له من الأولاد كما مر، فقالوا ألم تقل بأنه سينزل لك طبل من السماء فقال لهم إن طبله الهيللة والاستغفار، فقالوا أين الرياض التي ذكر بأنها تكون مع المهدي فقال هي مواضع الوضوء لأصحابي، فقالوا وقد قيل في المهدي إنه له يدين طويلة وقصيرة فقال الطويلة هم أصحابي الأبعدون مني نسبًا آمنوا بي واتبعوني والقصيرة هم الأقربون الذين لم يؤمنوا بي، وقد اختلى المهدي هذا خلوة في وادي جك في مرتن دناي وفي ذلك كثرت عجائبه وقد ذهب إلى دناي فاجتمع له الناس فقال لهم إني رسول الله [813] إليكم فألقى إبليس على لسانه ليفسد دعواه إلى الله تعالى وقال بلسانه لا صلاة علينا ولا صوم فاندهشوا فلما حان وقت الصلاة قال لهم حانت الصلاة فقالوا له ألم تقل أن لا صلاة علينا ولا صوم فقال نعم ذلك من إلقاء الشيطان انظر إلى قول الله تعالى: وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وما ذلك إلا ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم،[616] وقد اعتكف مع

616 - قرآن كريم، سورة الحج، الآية 52 و53.

مريده عاليا جوب وسيدي عبد الكريم في جامع قرية سوف وكل واحد منهم في ركن، وفي ذلك الوقت أخذ الورد من سيدي عبد الكريم وأعطاه إياه،[617] ثم سرد حمدن بن حمدن بن إبرا مهدي نسب جده المهدي هذا فقال هذا نسب الإمام المهدي اسمه محمد بن حمى بن أحمد بن حمى بن علي بن حمى بن موسى بن حاج بن محمد بن دميس بن عبد النعيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن سيد عامر بن إبراهيم بن عمر بن عامر بن حارز بن محرز بن محمد بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الاكبر بن زين العابدين بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت وهذه الرواية تشبه الرواية الأولى إلا أن بينهما مخالفة أقل من الرواية المتوسطة ولكن في هذه بعض ما في الأولى من المؤاخذات لأن إدريس الاكبر هو ابن عبد الله الكامل وقد جعله هنا ابن زين العابدين وأن سيدنا الحسين السبط ليس له ولد يسمى الحسن وأن عبد الله الكامل ليس له ولد يسمى زين العابدين إلى آخر ما مر من الرواية الأولى، ولكن يستفاد من هذا الاختلاف متقولون لنسبهم هذا لا غير ولكن صاحب الرواية المتوسطة أراد تحسين نسبهم هذا لكونه (...) ثم سقط على أم رأسه فافتضح أيضًا والله يستر عيوبنا وعيوبهم في الدارين ويغفر لنا ويغفر لهم آمين آمين. ويروى أن الشيخ عمر التقى مع المهدي هذا فقال له من دخل النار غدًا ولم يرك فيها فإنه لم يصل إليها فأحرى أن يدخلها لأنك ادعيت المهدوية باطلاً وذبحت ولدك باطلاً، وقال له [814] أيضًا وكذلك من دخل النار غدًا ولم يرك فيها فإنه لم يصل إليها فأحرى أن يدخلها لأنك تكره الناس على أن يتركوا مساكنهم ويهاجروا عن أوطانهم ويتبعوك على هواك وتقتل كثيرًا من المسلمين لأجل ذلك الهوى، والله يغفر لنا ولهما ويسامحنا وإياهما آمين آمين، هـ. ومن الألقاب الغريبة من ألقاب تورب في تور قم وهم من تورب في دمت ومنها سو من تورب في فني ومنها كلخ من تورب في دناي وهو لقب أم أحمد مهدي كما قيل وكذلك سات في دناي وهم من رؤساء تورب فيها ومنهم لام من تورب دطل ومنهم سارن راسن دطل، وأما في داخل فوت فغالب أهل اللقب لام حدادون ومنها فام من تورب في تور وهم الرؤساء في قيا ومنها كي من تورب في تور جدًا ومنها سار من تورب أيضًا في تور، والله تعالى أعلم، اهـ ما التقطت من تاريخ تور.

617 - تعليق المؤلف: قلت ولعله جدده بعد ذلك على الشيخ محمد الحافظ والله تعالى أعلم.

504 - قبائل ملوك وال برك: ألقابهم ومواطنهم وبعض الأخبار عن ملوكهم

وأما قبائل ملوك وال برك فهي أربعة بوج ومنهم يمر بوج وأصله من برك دنك أول ملوك وال برك وسنذكره عند ذكر جايب جلف إن شاء الله تعالى، ومن قبائل ملوك وال أيضًا جو ومنهم أيضًا جوب أي أهل لقب جوب الذين منهم سيدي وبايس، ومن قبائل وال أيضًا جك وهؤلاء هم الذين يتناوبون ملك وال برك قديمًا وحديثًا كما قيل، ودواوين وال أولها ديوان يرجو هو من دكان إلى دمب وثانيها تك جك وهو من جنك إلى جم هلار وثالثها بسل بيوك وهو من دمب إلى باب جنك ورابعها يت يون وهو من كنروب إلى مل أو هو المسمى بسل لف وفيها مسكن برك يارم بج الذي قاتله ألمام عبدل في دار أوجال وال، وقد نسي المخبر التفصيل بين يت يون وبين المسمى بسل لف، والله تعالى أعلم، وأما المسمى وال شجرط فمن مدين (...) إلى بود، وفي وال شجرط قرية تسمى منكج وهي في مشرق [815] كنجل كما قيل والحد بين وال شجرط وكنجل جل خار فنصفها من وال شجرط ونصفها الآخر من كنجل، وأما وال برك فمبدأه من دكن إلى آندر والحد بين وال وجلف قرية يقال لها بود وأمراؤهم من قبيلة بوج وهم ثلاثة أقسام لكر وجوس وتاجايك وغيرهم لا يملكون لهم أمرًا، وأن النصارى قسموا وال قسمين بين صمب جب ومام عبد وأعطوا صمب جب القسمة البرية ومام عبد القسمة البحرية، وأما صمب جب من قبيلة بوج (...) وأبوه متلقب بجاي، ولعل أصل وال من البياضين أو من الفلاّن، والله تعالى أعلم، وأما جايب أي أهل اللقب جاي فكان منهم بورصين أي أهل اللقب جوف، فكان أهل جاي وأهل جوف يتناوبون ملك صين، وكان ملوك جلف أولاً من أهل اللقب جك، وبقية جايب في صين إلى الآن كما قيل. قيل إن جايب من رجل اسمه أبو درداء والد عبد الرحمن الذي يسمونه درمان أبو وهو والد تس درمان والد جلاين تس ومارابن تس، وأما جلاين فهو والد بج جلاين والد بوب بج ومنه جايب هورفود، ومن جلاين أيضًا سكل جلاين والد سر موط زوج فاتمة سل في كد وقد زفها إلى صين وهو والد جاجان جل وأمه فاتمة سل، ثم إن سر هذا غزا مع بورصين أرض أول فأسر من هنالك عبدًا اسمه برك دنك وهو قرين جاجان في السن وكان سر قد أحسن على هذا العبد جدًا وجعله كولده، ثم مات سر وولده جاجان غائب غيبة طويلة وكان سر قد أوصى زوجته أن لا يتزوجها بعده إلا رجل يبعد جدًا عند قضاء حاجة الإنسان بحيث لا يراه أحد فنظرت ذلك

ولم تره إلا في العبد برك دنك هذا وكان قد سمع الوصية بحيث لا يشعر به، فزوجته نفسها، فلما سمع بذلك جاجان رجع وهو غضبان آسف فلما لم يقدر على التفريق بينهما خرج هائما يريد قتل نفسه في الفلاة إلى أن أتى قرية [816] منكج المذكورة آنفًا وعندها بحيرة تسمى جاسايو وهي بحيرة جلخار فظنها عميقة وهو من أهل البر لا يحسن العوم فرمى نفسه فيها على فرسه لعلهما جميعًا يغرقان فيها، وكانت البحيرة غير عميقة ولم يغرقا فنزل عن الفرس ورمى نفسه فيها ليغرق فلم يغرق أيضًا فمر به أناس يصيدون الحوت وهو يرمي نفسه في البحيرة فظل كذلك إلى أن رجعوا فوجدوه كذلك فأخبروا أهل القرية بأمره فجاؤوه وأخذوه وكلموه فلم يجبهم وقال واحد منهم دعوه في يدي، فجعله في بيت وحده ويرسل إليه الطعام بيد ابنته البكر إلى أن ذكر للرجل المضيف قصته بعد استئناسه به فزوجه المضيف بابنته تلك واسمها فابوي، ثم ارتحل بزوجته إلى موضع قرب منكج يسمى الآن سار همد جاي فسكنا فيه مدة ثم ارتحل منه إلى موضع في جلف يسمى سكت فسكن فيه وهو أول مسكن له في جلف وما زال فيه إلى أن مات، ومن أولاد جاجان هذا قور وهو أولهم ثم سر سمي جده ثم سل ثم كايت ثم مام لبر ثم سكل، وأما ولده قور فهو والد كندا قور والد دور كندا ولم يعقب إلا أنثى تسمى ملاط دور وقد تزوجت في فلاّن وطاب وهي والدة تيفور وقور وهما من فلاّن وطاب، وأما سل جاجان فهو والد بكر سل ودمب سل ومنهما جايب سكل في كيهيد ويقال لرئيسهم فيها الآن فرب سكل، وأما كايت جاجان فهو والد كده كايت وهي أنثى ومنها جوب، وأما سكل جاجان فمنه جايب سالم، وأما مام لبر فمنه جايب كنجل، وأما سر جاجان فهو أول من ملك منهم لجلف، قيل إن عرافًا رأى فلوًا لفرسه فقال له من ملك هذا الفلو وأحسن إليه يملك الرقاب فاشتراه وأحسن إليه ثم ملكه الله أرض جلف بإذنه لا أدري كيفية تملكه لها وهو والد جلاين سر والد بر جلاين وهي أنثى وقد ملكت جلف وكان لها لنكاير وهي والد تس بر وكرت بر ولتصمب بر، ومن هذه البيوت الثلاثة ملوك جايب، ومن عادتهم أن كل ملك تكون أخته لنكاير ولها حظ [817] من الملك، ومن كان من أبناء الملوك أبوه جاي وأمه جاي فهو المقدم للملك على غيره وإن فقد فيملك من أبوه فقط جاي نحو عال بر وأمه سينب جوب، ومن عادتهم إن فقد من أبوه من بيت الملك أن يملكوا من أمه فقط من بيت الملك نحو دمل لتجور فإنه من قبيلة جوب ولكن أمه من قبيلة فال وهم ملوك كجور، كما أن ملوك أهل اللقب دوو يقال للرئيس منهم بورسالم وقيل إن بورسالم وبورصين ودمل

كلهم كانوا تحت ملوك جلف ثم أزال الله ذلك، والله تعالى أعلم، وأما مارابن تس درمان فلم يبلغنا من أخباره. وأما أهل اللقب أنجاي في بكل فإنهم من وال بنج (...) وكان أمير جلف ويقال له بورب جلف وله بنت واحدة محبوبة عنده جدًّا فضربها ابن أخيه فجاءت إليه تبكي فسألها ما أبكاك فقالت ضربني فلان فنادى الناس للاجتماع فاجتمعوا فقال لهم إن فلان ضرب بنتي فلانة ما تقولون في ذلك فقالوا القول قولك. فقال إن كان الأمر كذلك فقولي أن يقتل ابن أخي فقالوا لا نقبل لك ذلك فقال إذًا لست بأمير جلف وها أنا عزلت نفسي وأرتحل عنكم، فارتحل مع من أحبه وأطاعه. فلما وصل إلى بكل فوجد فيها جاي نايي وسلمن فونت ووجد فيها امرأة تأيمت بعد تزويجها تسمى كنك دمب فأحبها وطلبها منهم فزوجوه إياها فقالوا له اسكن هنا نملكك القرية فسكن فيها، فولدت له دمب كنك وهو الذي نسب إليه بكل ويقال بكل سار دمب كنك ومعنى سار في الفلاّنية القرية، وولدت له أيضًا سكل وال جلفل وال وجيجك وال وسندا وال، هـ.[618] ودمب كنك هو والد بوب دمب وبنت دمب وكلاج دمب وفام دمب وقد صاروا في قرية هادبر، وكمب دمب ومارايم دمب ويسمى مار دمب أيضًا ومنه جايب ودر (...). وسبب تسمية بكل ببكل أن وزراء وال بنج ماجكان الذين تبعوه حين هاجر من جلف وكانت نفقتهم عليه وطعامهم يطبخ عنده وكان طعام العشاء يتأخر جدًّا لكثرته ويكونون قوت طيب [818] الطعام متفرقين في القرية فيقول بكلاين تمي باينتي دجنرار ومعنى بكلاين اضربوا ومعنى تم في اللغة الفلاّنية بوجا ومعنى (...). فلما كثر ذلك سميت القرية ببكل لغرابة هذا اللفظ عند سرخل مع كثرته عندما حان طعامهم، قلت ولم يذكر المخبر جايب هورفود مع هؤلاء ولعلهم أسبق هجرة من هؤلاء وقد قيل أيضًا باتحاد هجرتهم، والله تعالى أعلم. ثم إن برك دنك عبد سرموط والد جاجان جاي قد صار أميرًا لوال برك فلذلك أضيف إليه فقيل وال برك لا أدري كيفية تملكه لها، وقيل إن جاجان جاي وجد الحواتين من أهل جلف يتحوتون وإذا وجدوا الحوت تقاتلوا بسببها فصار يميز حوت كل واحد منهم عن الآخر فزال بذلك تقاتلهم على الحوت ثم أخذوه من شاطئ البحر واسم ذلك البحر جاسو وذهبوا به إلى جلف وأرسلوا إلى بورصين يعلمونه بأنهم التقطوا ملكًا فقال متعجبًا قد قلتم جاجان أي مستحيلاً لأن الملك إنما يولد لا يلتقط وكان اسمه عبد الله فصار اسمه جاجان بذلك، وقيل أيضًا إن برك بج أخو جاجان جاي من الأم وقد ملكه جاجان أمير جلف هذا وال

618 - تعليق المؤلف: أو المراد به وال بنج ماجكان.

برك ومعنى بج الدق وصار بذلك لقب بنيه ثم صار اللقب إلى بوج كما قيل بذلك أيضًا، قلت ولعل وال كان حينئذٍ في ملك أمير جلف، والله تعالى أعلم. وقيل إن أكثر قبائل السودان في هذه البلاد قبيلة جاي وقبيلة له وقبيلة به وقبيلة جل، والله تعالى أعلم. وقد رأيت ورقة يذكر فيها ملوك جايب جلف ونصها: ونزل جاجان جاي في أرض جلف وملكها مدة طويلة ثم باكم بايس مدة أربع وثلاثين سنة ثم بابر خلافته ثلاث وثلاثون سنة ثم هال خلافته ثلاث عشرة سنة ثم بك كد بيك سنتين ثم بر يمب هادم كرياج سنتين ثم بكنتب سنتين ثم تنور سنتين ثم (...) يمبى خمس سنين ثم بك متم خد اثنتي عشرة سنة، قلت ولعله هو الذي يسميه أهل فوت بور بكنتم خر، ثم جاءهم الشيخ أحمد حمى من أرض فوت ودخل بينهم قتال شديد حتى قهرهم وتملك جلف أربع سنين ثم قتله النصارى ثم ملكها آل بر خمس عشرة سنة، ثم جاء النصارى فهاجر عال بر إلى المشرق واجتمع [819] بالأمير أحمد بن الشيخ عمر، ثم ملك بعده صمب لوب ست سنين ثم عزله عال بر فملك جلف إلى الآن عام 1921،[619] والله تعالى أعلم، اهـ ما التقطت من أخبار ولف وإن ازداد عندي شيء منها بعد أُلْحِقُه بها هنا إن شاء الله تعالى، وما تشاءون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

505 - منطقة كجور وحدودها وأول من سكن فيها

وأما كجور فمعناها في لغة ولف أرض سهلة وهي التي لا جبال فيها وحدها من جهة الشمال وال ومرتن ومن اليمين بؤل وسين وسالم ومن المشرق جلف ومن المغرب الأوقيانوس الأتلنتيكي ومعناها عند فرانس أوسيا أتلنتيك أي كايج، واعلم أن كجور أرض ولف وأصل ولف ملنكوب أي أهل مندق أو سوسوب الذين هم أول ساكن في كجور ثم ازدادت أرض كجور بسكنى التكروريين الذين هم من فوت تور والفلاّن الذين هم من جلف، وفي زمن ملك قبيلة كج جاء البيضان الذين هم الزوايا والتجار الذين بضائعهم الخيل وسكنوا في كجور وأعطاهم بعض دملات أراضيًا وهي ملكهم إلى الآن، والذي جاء منهم أولاً بنام كنت خليل مل إبراهيم فاتم سب من ملوك كج أو كايج، وكان مسكن بنام كنت في موضع يسمى دنخ وبقية ذريته فيها إلى الآن ومنهم شيخ بوكنت وقد مات في يوم 13 من يوليه من عام 1915

619 - عام 1921 م يوافق 1340 هـ.

من الميلاد،[620] وكان سلطان كجور قبل فرانس يلقب بدمل وكان لقب الملوك في كجور قبل ذلك إلمان أو لمن ومنهم من سكن في قرية قلماو وقرية تسمى تب وقرية دند وقرية جماتيل، وكان كل واحد منهم رئيسًا لبعض القرى ولا يتعدى ملكه إلى ما عداها من القرى، فلما طال هذا الحال عليهم اختاروا واحدًا منهم ليكون أميرًا على الكل ليدفعوا عنهم عدوهم وأول لمن اختاروه فام كند من قبيلة سوس ثم لما مات تخلفه ولده جخ فام ثم لما مات تخلفه ولده جوان جخ ثم لما مات [820] تخلفه ولده منق جمبل جوان ثم لما مات تخلفه جوك منق جمبل وهو والد دسايف جوك وهو والد دمل همر كون سو بل من قبيلة وكد وقد جمع بين ملك كجور وبؤل وسالم.

506 - انفصال كجور عن ملك أمير جلف وتسمية ملوك كجور بلقب دمل

وهو أول دمل في كجور، ومعنى دمل الكاسر من دم وهو الكسر وأهل كجور هم الذين سموا به همر كون سو بل لأنه الذي قطع حبل ملك أمير جلف عن رقابهم، ومعنى لمن صاحب البلاد وكانت كجور في زمن ملك لمنات في ملك أمير جلف وكانوا يؤدون الخراج إليه وكل عام يخرج رؤساء من كجور ليزوروا أمير جلف وكانوا يملأون قلانيسهم رملاً ويحملونها على رؤوسهم إلى ورخوخ قرية أمير جلف، وهكذا إلى زمن دساق جوك وكان هو الذي ينبغي أن يكون إمام الزائرين وقد صادفت الزيارة في بعض الأعوام مرضه فأناب ولده همر كون سو بل منابه وكان همر كون هذا يحتال للتفريق بين جلف وكجور فجمع أهل الحرب من أهل كجور وأعلمهم برأيه فصوبوه فأمرهم أن يحددوا عصيًّا طوالاً معتدلة رقاقا كالرماح، قلت هي التي نسميها في كلامنا الفلاّني ساغو بسين بين الجيم والسين، ثم قال لهم اتركوا في كل موضع عنده شجرة من هنا إلى جلف حزمة من هذه العصي ويكون البعد بين المواضع ميلاً أو ميلين وتخفونها ولا يعرفها أحد إلا نحن فقط ففعلوا ذلك إلى أن وصلوا إلى ورخوخ في ثالث أيام سفرهم وقت القيلولة، فلما وصلوا طلبوا الاجتماع بالأمير فغضب الأمير لبطئهم عن وقت إتيانهم فأوقفهم في الشمس قدر ثلاث ساعات فغضب همر كون وأخذ عصاه المحدد الذي كالرمح وكذا ابن عمته أو ابن خاله يسمى منق داك فدخلا بيت الملك فوجداه مع زوجاته فطعنه بالعصي في صدره فصار له جرحًا مؤلمًا فصرخت

620 - عام 1915 م يوافق 1334 هـ.

النساء وكان جيش أمير جلف مجتمعًا حينئذٍ في ورخوخ فوقعوا على همر كون فولى هاربًا هو وقومه إلى أن وصلوا مواضع العصي التي هي رماحهم فرفع همر كون صوته وقال للشجرة التي عندها السلاح أعيريني [821] سلاحًا فأخذ العصي وكذا أخذ كل واحد من أصحابه عصا فجعلوا يطعنون أهل جلف فخافوا منه وظنوا أن الشجرة هي التي أعطته السلاح وكانوا يحاربونه في خوف وهذا كله وأهل كجور يتقهقرون ويتبعهم أهل جلف إلى أن وصلوا إلى شجرة كانت عندها حزمة من العصي أيضًا فرفع همر كون صوته أيضًا وقال للشجرة أعيريني سلاحًا فأخذ عَصًا مُحَدَّدًا وكذا قومه أخذ كل واحد منهم عصا كذلك فجعلوا يطعنون في أهل جلف ويتقهقرون وهم يتبعونهم إلى أن وصلوا إلى شجرة مخزن سلاحهم أيضًا، فلما قال همر كون لتلك الشجرة أعيريني سلاحًا فأخذوا العصي تولى أهل جلف الأدبار هاربين فقالوا إن هذا لساحر عليم تنصره الأشجار وتعطيه الأسلحة فرجعوا إلى ورخوخ فوجدوا سلطانهم قد مات بذلك الجرح واسمه لايل فل فك فلما مات قسم جلف بين أولاده، ورجع همر كون إلى كجور محمولاً على الرقاب فوجدوا رؤساء كجور كلهم مجتمعين عند أبيه فلما وصل أخبرهم بالواقعة الحادثة وأن أمير جلف قد مات فقام أبوه فقال لأهل كجور الآن حان أن تلقبوني لقبًا أليق به لأن الله تعالى أعان ابني على قتل عدونا، فقالوا لقبناك بدمل لأنك القاطع للحبل الذي كان على رقابنا، قلت وهذا مخالف لما نقلناه عن تاريخ دانينكوب عن تاريخ السودان عند ذكر دولة محمد بن أبي بكر الطوري وقيل السلنكي المعروف بالحاج محمد أسكيا[621] وفي السنة الثامنة من القرن العاشر[622] غزا غزوة اللعين المتنبئ تينض فقتله في زار وقد أدرك الحال أن ابنه كل غائبًا في غزوة فلما سمع ما جرى على والده اللعين هرب بما معه من الجند إلى فوت وهو اسم أرض في قرب البحر المالح لسلطان جلف فسكن فيها فبقي يحتال في غدرة ذلك السلطان [822] حتى تمكن منه بقتله وانقسم إقليم جلف نصفين، نصف تملكه كل ولد سلتي تنيض والنصف الآخر ملكه دمل وهو أكْبَرُ قُيَادِ سلطان جلف، انتهى من تاريخ السودان. قلت يمكن أن يكون الحق مع المخبر الكجوري لكونه من أهل ذلك البلد فيكون أخبر من غيره، ويمكن أن يكون الحق مع صاحب تاريخ السودان لأنه من أهل ذلك الزمن وقد وقع الأمر في زمنه أو في قرب زمنه لأنه

621 – تاريخ السودان، ص. 77.

622 – السنة الثامنة من القرن العاشر توافق 908 هـ/1502 م.

رضي الله عنه قد ولد في العام الرابع بعد الألف من الهجرة،[623] والله تعالى أعلم. ثم صار دساف جوك يرسل ابنه همر كون للإغارة على الأعداء فجاء ابنه ذات يوم بقطيع من البقر فقال لا يعدها إلى أنا فلما وصل إلى البقر خاف منه ثور أسود منها ونفر فقام وقلع وتده يجري فوقع الوتد على عنقه من خلف فمات بذلك فكانت مدة دمليته ثلاث أسابيع وفي غده سمي ابنه همر كون بدمل ولقصر مدة دملية أبيه وعتقه رقاب أهل كجور من رق أمير جلف وشجاعته هو السبب في جعلهم له أول دمل لكجور، ثم جعل دملات كجور بعده يتناوبون ملك كجور إلى دمل صمب لوب فال الميت عند تواوون في يونيه الإفرنجي في عام 1886 من الميلاد،[624] وصمب لوب فال هذا من قبيلة كج المذكورة أولاً.

507 – القبائل التي توارثت لقب دمل وأسماء ملوكها

واعلم أن اللقب دمل يتوارثه البنون عن الآباء والقبائل التي تلقب بدمل في كجور وتلقب بتاج في بؤل إحدى عشرة قبيلة والذين يختارونه للتمليك يجتمعون في قرية بل ومعهم رئيس بل يسمى جورن فيختارون من القبائل الإحدى عشرة من يليق بالملك، ولكن هذا الملك إذا جاءه أحد من القبائل الإحدى عشرة وقاتله وغلبه وطرده فإن الغالب يصير دمل إلا إذا كان الذين يختارون الملك لا يحبونه فإنه والحالة هذه لا يكون ملكًا، وكل من ملك منهم فإن للذين يختارون الملك أن يعزلوه إن شاؤوا [823] إلا إذا كان وجيهًا جدًّا ولم يفعل سوءًا فإنه لا ينعزل حينئذٍ ثم إنَ كُلْ دَمُلّ عَزل فإنه يهرب إلى سين أو سالم أو جلف خوفًا أن يقتله دمل الجديد، ثم إن هذا الملك الهارب لا يزال يراسل الذين يختارون الملك في كجور أن يرجعوه إلى الملك في مدة مكثه هنالك ثم إن لم يجد ذلك منهم فإنه يطلب جيشًا يغزو به دمل الجديد لعله يغلبه ويطرده فإن غلبه وطرده يذهب إلى دار جورن بل ويصادف اجتماع الذين يختارون الملك هنالك فيعطيهم عشرًا من الرقيق ويطلب منهم أن يردوه إلى الملك وقد يعطونه الملك وقد يمنعونه وعلامة منعهم إياه أن يضربوا دفوف الفتنة فيعلم بذلك إبايتهم فيخرج عن كجور في مدة يوم وليلة أي قدر 24 ساعة فإن لم يخرج يملكون عليهم رئيسًا آخر يقاتلونه به، وهذه القبائل الإحدى عشرة المذكورة إذا اختير واحد منهم للملك وملك فإن بقية القبائل تخرج من

623 – عام 1004 هـ يوافق 1595 م.

624 – عام 1886 م يوافق 1304 هـ.

كجور هم وأهاليهم وأحبابهم إلى سين أو سالم أو جلف فلا يزالون يراسلون الذين يختارون الملك في كجور كما مر، ثم إن كل دمل تملك أعوامًا فإنه يجب عليه أن يقاتل بؤل فإن غلب أميرها تاج يصير دمل تاج، ثم اعلم أنه لا يكون دمل في كجور إلا أحد من القبائل الإحدى عشرة واستحقاقهم الملك إنما هو من قبل الأم ويسمون من أبويه من القبائل المذكورة كرم كارار، ويكون دمل أيضًا من كانت أمه من القبائل المذكورة وإن لم يكن أبوه منهم ولكن بشرط أن لا يكون في أصل أبيه رق، وأما من كان أبوه فقط من القبائل الإحدى عشرة ولم تكن أمه منهم فإنه لا يكون دمل أبدًا ولو كان ابن دمل وهو لا يسمى إلا ابن الملك ولا يكون إلا مثل سايف كنتن أي رئيس ديوان فقط لا غير، وكذا ابن الجارية ولو كان أبوه دمل، وأما القبائل المار ذكرها التي تملك كجور وبؤل فهاهي: كج ويقال لهم أيضًا كايج ودرب وجناي وسج وميوي ووكج ووكد ووسنت أو وسنس وكلوار وجافن [824] وصمباي أو صامالاي، وملوك كجور من كج لتسكاب وهو أولهم ثم ولده ميس بند ثم برهيم بمب ثم لتجور ثم صمب لوب ثم صمب ياي، وقد جمع لتسكاب بين اسم دمل في كجور واسم تاج في بؤل، وأما تاجات بؤل منهم فأولهم تان ساسمبل ثم ساكمب فاتم فند، هـ درب في بؤل، وأما جناي فملوكهم تاج فقط ومنهم لتدكن فال ثم ساياسين كون دكن ثم أخوه مالك كمب كون دكن ثم تنور بكج أو تنور جك، هـ، وأما سج فملوكهم دمل مخراج كل ثم أخوه دمل برم بنك ثم دمل داور دمب، وملوك سج في بؤل تاج سياسين ياسين جك ثم ابنه تاج همر جور ثم تاج سياسين ياسين جور، هـ، وأما ميوي فملوكهم في كجور ماصمب تك ثم ماجور فاتم كلي ثم برم ياسين بوب ثم ججاير ثم دساف مرم كالك، وأما ملوك بؤل منهم فتان كنار، هـ، وأما وكج فأمثالهم وأكفاؤهم ولكن لم يكن فيهم ملك في كجور ولا في بؤل، وأما وكد فمنهم همر كون سو بل وقد جمع بين ملك كجور وبؤل معًا وهو أول من جمعهما وهو الذي أخرجهم عن ملك جلف، ثم مالك سر جكاين، ومن قبيلة وكد تاج برم خخنم وكذا تاج تسلايل ثم أخته دمباو لايل وكذا تاج جنك جال وكذا تاج جاك مرون وكذا تاج بر فاركب وكذا تاج مافان سو وكذا تاج دمب كي وكذا تاج فبلنكار قم وكذا تاج جنا بوب وكذا تاج جخر جاي وكذا تاج كل جكان وكذا تاج سبل أخو جخر جاي، هـ وكد، وأما وسنت فهم كرم مثل من مضى ولكن لم يكن فيهم ملك في كجور ولا في بؤل، وأما كلوار فلهم بكان دور وقد جمع بين ملك كجور وبؤل ثم دمل مكد كد كمب وقد ملك بؤل وكجور، وأما جافن فقد ملكوا [825] بؤل فقط وأولهم تاج خيامنق

جوف ثم تاج سكر ثم تاج مكر ثم تاج بسان كر وأم هؤلاء الثلاثة كر جاي، ثم تاج سندال ثم تاج سياسين دمب، انتهى، ولم يذكر لنا المخبر عن قبيلة صمباي لا أدري هل ذلك لذهول منا جميعًا وهم الأظهر، والله تعالى أعلم. وقيل إن من جملة كراماتهم الذين لم يملكوا وكج وسين وجو ووسنس وهول وجرل وولن، وقيل إن لوسنس ثلاثة ملوك حين كانوا في كلم ثم لما ارتحلوا إلى كجور لم يملكها أحد منهم، ومن ألقاب سوسب الذين صاروا ولف في كجور جخت وجاب وسيسي وخم وجيت كذا قيل، والله تعالى أعلم، ومن ألقاب بعض من مضى ذكره من الملوك تاج ساسمبل لقبه جاي وتاج تنور بكج لقبه جك وتاج برم خخم لقبه نوفور وتاج تسلايل لقبه جوب وتاج جنك جلال لقبه جوف وتاج جاك مرون لقبه مرون وتاج بر فاركب لقبه جوف وتاج مفان سو لقبه سو وتاج دمب كي لقبه كي وتاج فبلنكار لقبه قم وتاج جنا بوب لقبه بوب وتاج جخر لقبه جاي وكذا تاج كل جكان لقبه جاي وتاج سبل لقبه جاي ودكان دور لقبه دور وخيامنق لقبه جوف وبسان كر لقبه جاي، اهـ من عبد القادر الكجوري أحد ذرية سرن فر دمب فال والد سرن فر مختار جوب الكجوري وغيره رحمهم الله.

508 - صفات ملوك كجور وذكر أصناف الناس وطبقاتهم

فلنرجع إلى كلام المخبر الذي قال ويعرف كرم بطول القامة وطول الوجه وارتفاع الجبهة بلا شعر عليها وبالتكبر عند المشي كالتبختر والخيلاء وفي وجهه ما يدل على التكبر لنظره إلى أصله وهو في غاية الكرم والسخاء ويحب أن يمدح ويكون في غاية الشجاعة ولا يمنع سائله شيئًا إلا إذا سأله في زوجته أو فرسه الذي يحارب به العدو، وبعضهم زناة جدًا يحسبون أن الأشياء كلها في ملكهم وأنهم أيضًا فرسان جدًا أي يعرفون الفروسية وراموْن جدًا وذلك لأنهم من صباهم [826] لا يتعلمون إلا بما يتعلق بأمر الحرب وأما غير الحرب فلا يعرفونه، هـ. ثم يحق علينا أن نذكر أقسام ولف، فاعلم أن ولف قسمان الأعلى والأسفل، فولف الأعلى هم المسمون بكاير أي الأحرار ثم إنهم ينقسمون إلى ست قسمات: الأولى أهل كرم، والثانية أولاد الملوك الذين لا يملكون كجور، والثالثة الذين يختارون من يملك كجور، والرابعة العلماء، والخامسة المساكين، والسادسة عبيد الملوك ؛ وأما القسم الأسفل فقسمان: الأول جايجب وهم أهل الحرف المزرية، والثاني القوالين، وجايجب فوق القوالين مرتبة وينقسمون إلى خمس قسمات: الأولى تك أي الحدادون والصائغون، والثانية وود أي

سكياب وهم الدباغون الخرازون، والثالثة خلمان أي أهل المزامير أي كل وجاجوج، والرابعة تمكت وهم الضرابون للدفوف، والخامسة رب أي مابب وهم النساجون والمنادين لتبليغ قول الملك لأهل القرية، وأما القوالون فينقسمون إلى ثلاث قسمات: الأولى كول وهم القوالون الخالصون، والثانية رب وهم القوالون التائبون الذين صاروا نساجين، والثالثة تول وهم سفرتا وهم الذين زادوا على القوالين بالفحش المنكر في السؤال وقد مر ذكرهم في تاريخ جايجب فوت. وقال الكجوري وهذه القبائل لا يتناكحون، فالقبائل الأعلون يتناكحون إلا قليلاً والأسفلون كذلك لا يتناكحون إلا قليلاً، واعلم أن سادات كجور ورؤساءها هم أهل كرم وهم الذين يختارون من يليق بالملك لكجور، وأما أولاد الملوك الذين لا يملكون والذين يختارون من يليق بالملك فهم الذين يلون كرم في المرتبة وهم الذين يملكون دواوين كجور إعانة لدمل على ملكه وهم بمنزلة ملتاير أي الصنادر لدمل وكل واحد منهم له جيش لا يفارقه ومتى احتاج دمل إليه يأته بجيشه عاجلاً، وأما عبيد الملوك فهم المرتبة الثالثة وهم الذين يحرسون دمل وهم حجابه ومنهم يختار دمل [827] من يسميه فر بيركر وهو رئيس الحجاب وفي يده فوت دمل وماله وكلما يعطيه لأحد فإنما يخرج من يده وكلما يكتسبه دمل يجعله في يده، ومنهم يختار دمل أيضًا من يسميه بوتل وهو الذي يربي ابن الملك الوارث لملكه فيعلمه أمر الحرب وكيف يملك البلاد، والغالب أن بوتل هذا هو الذي يصير وزيرًا مقربًا منه ولا يفارقه إذا صار ملكًا، واعلم أن عبيد الملك هم الذين يحرسونه ويدورون حوله ليسلم من المهالك ويموتون دونه إن غلب عند القتال، وينبغي لدمل المغلوب عند القتال الذي أدركه قرنه أن يموت حرًا ولا يفر أبدًا، وأما الرعية فهم الحراث والرعاة للمواشي والعلماء وأصحاب الحرف ونحوهم ومنهم من يترك حرفته فيسير إلى دار دمل فيصير وزيرًا له ومحاربًا عنه شجاعًا، وأما جام سيور فهم الذين لا يملكهم الملك بل ساداتهم من الرعية فجاؤوا إلى دار الملك وصاروا له كالعبيد ولكن متى احتاج إليهم السادات فإنهم يصرفونهم كما شاؤوا، ومن عاداتهم أن كل عبد ولد في يد سيده فإنه يعد من قبيلة ذلك السيد، وأما القوالون فهم المصيبة فقط على الملوك والرعايا، فلا نفع لهم وإنما يتقوتون في مال غيرهم بالسؤال القريب من الغصب وهم أسفل الأمم والقبائل وهم أسفل السافلين ولكنهم يعرفون العادات ويحضرون الملاهي كلها والأنكحة والجنائز فيعطون الأموال كرمًا وإن كلامهم هو الرافع لسادات السودان ويسفلهم.

509 - استيلاء لتسكاب على الملك وبسط نفوذه على بؤل وكجور

وأما همر كون سو بل فقد ملك مع السكون والدعة ولم يغز ولو مرة واحدة ثم مات حتف أنفه وقد ملك مدة 27 سنة أي سبع وعشرين، ثم خلفه مصمب تك وقاتل أمير جلف المسمى بوكربيك في قرية ديسم وهزمه ثم صار أمره إلى سكون وراحة إلى أن مات وقد ملك سبع عشرة سنة، ثم مَخُرْجَا كُلِ، ثم أخوه برم بنك، ثم بعده أخوهما دو دمب ومدة ملك هؤلاء الثلاثة ثمانون سنة وكانت أمهم تسمى خرجا كل وكانت في زمن ملكهم سالمة حية كأنها حينئذٍ هي الملك [828] لأن الكلام لا يقطع دونها، وهؤلاء كلهم من قبيلة سج، ثم بعدهم تخلف ماجور فاتم كلوج من قبيلة ميوي وملكه قصير الزمن، ثم تخلفه ولده دسو مرم كلك ثم قتله بعض القضاة واسمه جاي سل في قرية تسمى سان، ثم خلف هذا القاضي على كجور من اسمه مفال فال كي ولقبه بدمل مفال، ثم فاجأه ذلك القاضي في بعض الأيام فوجده يشرب الخمر فقتله وخلف نفسه على كجور، ثم قام عليه أهل كجور وأعانهم سلطان سالم مخر جاجوج جوف إلى أن قتلوا ذلك القاضي في قرية تسمى خلر، وأمير سالم هذا هو الذي عمر كاي مخ ومعنى مخ في كلام سارار هاأنا وكان لفظ مخ جواب سارار لأهل كجور في ذلك الموضع إذا اجتمعوا فيه ثم صار قرية وقد صار مخر هذا بعد قتله للقاضي المذكور دمل لكجور لأن أصله من الكرمات، ثم لما مات تخلفه ولده برم بند تبور ثم صادفه أخوه في حوض يغتسل فقتله وصار دمل واسمه مججير، ثم لما حملوه يمدح ويهنأ بالملك طعنه وزير الأمير الذي قتله أولاً بالرمح ومات في تلك الليلة، ثم تخلف داسو باسين سور وهو الذي قاتل لتسكاب كون فهزمه لتسكاب في قرية تسمى سرن ثم عمي داسو ومات بعد عماه سريعًا، ثم إن لتسكاب كون لتير ولد تاج سا ساسين دمبم نوح وأمه لنكاير كون لتير وكان له إخوة من الأب قدر سبعة وكلهم كرم ومنهم لتكد وبرم كد وجوك وفند وهؤلاء هم المشهورون منهم، وكان لتسكاب كثير الأمراض حتى أنه لا يرفع رجليه عن الأرض عند المشي من شدة المرض فاشتكت بذلك نساء أبيه ونساء إخوته إلى أبيه فقلن له نحن نتشاءم بملاقاتنا لمن لا يرفع رجليه عند المشي بل يجرهما وذلك نحيس غير مسعود، وكانت قبيلة كج في ذلك الزمن ليسوا من كرم بل من الذين يختارون لمن يكون دمل فقط، فنادى أبوه أمه لنكاير كون لتير [829] وأمرها بإخراج لتسكاب عن داره فحملته على ظهرها إلى دار خاله دمب كار (أي الثور) فات

جوب وهو ابن أرط سادكنيل وسبب تسميته كنيل لكثرة مواشيه فسموه بذلك ومعناه أنه فاق ربه وأنه أفضل منه سبحانه وتعالى ونحن نستغفر الله تعالى من حكاية معنى هذه الكلمة التي هي كلمة الكفر، فلما كمل له خمس وعشرون سنة رجع إلى داره أبيه ولم يتلقه أبوه بالكرامة ثم خرج عنها وصار صيادًا صاحب كلاب الصيد ومعه رماحه وأقواسه وجعابه وهو يجول في الصحاري صائدًا، وفي ذلك الجولان وصل إلى بور وفرتدال قريتان في شاطئ كايج أي الأوقيانوس الأتلنتيكي بين دكار وينجل فالتقى هنالك مع تجار فرانس من قرية في أورب تسمى جب عام 1926 من الميلاد[625] وكان يأتيهم بما رزق في صيده، فلما أكمل 36 سنة سافر إلى أرض تسمى جان آول فتعارف هنالك مع شيخ كبير من أهل العلم بالسحر يسمى كل منساب فأعانه بحيله وتدابيره إلى أن صار أمير بؤل، ثم قام من بؤل خارجًا عن ملك بؤل ومعه صاحبه برام فاتم بسيسجاو وهو جد جراف جامبور يريد كجور، فوجد أخويه لتكد وبرم كد يتأهبان لمقاتلة تاج بؤل واسمه ساسمبل أو جوم بجان، فلما التقى مع أخويه طلب منهما أن يعطياه فرسًا يركب عليه ليعينهما على القتال فأعطياه فرسًا صغيرًا ضعيفًا أسود فَسَمَّاهُ جنواي فكنكوي ومعناه الرجل الواحد المسافر أين يكون أو أين جاء، وجراف جامبور قبل برام فاتم هذا كان لقبه به، وكان من عادة دمل أن يضحي بواحد من ذريته كل سنة وإنما أزيلت هذه العادة حين التقى برام فاتم مع لتسكاب وترافقا واصطحبا، ثم في غد من يوم اجتماع لتسكاب بأخويه تلاقوا مع سلطان بؤل تاج ساسمبل في قرية تسمى برام قرب بست تول فقتلوه وقد قتل يومئذٍ فرس لتسكاب وانجرح هو أيضًا وقد انجرح أيضًا أخواه لتكد وبرم كد وقد أظهرا [830] جرحيهما، وأما لتسكاب فقد كتم جرحه ولم يظهره لأحد، فلما انقضت الحرب اجتمع رؤساء بؤل لينظروا من يصلح للخلافة هل لتكد أو برم كد وكانا جريحين حينئذٍ والعادة أن يمهل الجريح حتى يبرأ جرحه ولكن لا بد من تخليف أحد مكانه قبل برئه، فاختارا لتسكاب ليكون خليفتهما وجرحه مكتوم، فسكن في قرية لنباي وهي قرية يسكنها أمير بؤل فكان كل يوم يرسل لأخويه الجريحين سبع ثيار وكثير من الزرع ليقوتا بها وكانا يتداويان في قرية تسمى لنب، فلما ملك لتسكاب أحبه الناس كلاً لحسن خلقه ولسخائه وكرمه وتواضعه، فلذلك أحبه الكل، وإذا أوقع الغارة وأتى بالغنيمة فإنه يقاسم جيشه ولا يستبد بشيء دونهم وكانت قسمته تقسم قسمين أيضًا، قسمة يرسلها

625 - عام 1926 م يوافق 1395 هـ.

لأخويه وقسمة يعطيها للفقراء، وقام ذات يوم للغارة إلى أن وصل لبور فوجد فيها فرانساويًا يسمى أندري بره ويسميه ولف يادبان وهو الذي علم لتسكاب كيفية ضرب المدفع الحجري، فلما فهم لتسكاب ذلك باعه الفرانساوي كثيرًا من المدافع مع البارود والرصاص، فلما رجع لتسكاب إلى قرية في بؤل تسمى كاب أمر بتعمير مدافعه كلاً فعمرت فضربت ضربة واحدة وكان ذلك في زمن الصيف فظن الناس أنها رعود سماوية فسمعت من بعيد وصار السامع يخبر من لم يسمع، وقام بورسين جك جلان وبورب جلف مب وبرك فرفند ودمل داسلو باسين سور وأرسلوا إلى لتسكاب يسألونه عن هذه الرعود التي أخبروا بها وحينئذٍ أخرج مدفعًا وقال لهم إن هويذا الشويئ (أي هذا الشيء بالتصغير) هو الذي يصوت صوتًا يرعب الملوك وأعطى لكل واحد منهم مدفعًا ليوصله إلى مرسله ثم ليقل له إن الدنيا ما دامت فإن أولادي يكونون أكثرهم مدافعًا إذا كانوا أمثالي في العقل والكياسة [831] وعلو الهمة، فرجعوا وأخبروا ملوكهم فأرسل الملوك وكذا لتكد وبرم كد إلى قصور النصارى ليشتروا منهم مدافعًا وكانت تلك القصور قد كثرت فيها المدافع ولكن السودان لما كانوا جاهلين بأمرها ما كانوا يلتفتون إليها،[626] وكان لتسكاب هو أول سوداني في سنكال علم بأمر المدافع، فلما اشترى هؤلاء الملوك المذكورون الآن المدافع أرسل لتكد وبرم كد إلى لتسكاب أن يأمر أهل بؤل بالاجتماع عند لنباي يوم الجمعة الآتي ويعلمهم بأنهما آتيان فيه إليهم ليأخذا لأنفسهما ملك بؤل، فلما سمع بذلك لتسكاب قام ولبس ثيابًا دنسة وفرسًا غير جيد وذهب إلى دار

626 - نتج عن توسع النفوذ الفرنسي في السودان الغربي إنشاء العديد من القلاع والحصون كانت بمثابة معسكرات للجيش ومحطات للتجارة ومراكز للإدارة، وكانت أولاها على السواحل الغربية وعلى امتداد نهر السنغال وفروعه باعتباره المنفذ الطبيعي للتوسع نحو إقليم النيجر الأعلى، ونذكر من هذه المحطات: محطة سان لويس (St-Louis) شمال مصب نهر السنغال، وحصن داغانا (Daganna)، وحصن سان جوزيف (St-Joseph) في قالام (Galam) ، وحصن سان بيير (St-Pierre) على نهر الفاليمي، وحصون باكل (باقل) (Bakel)، وحصن ماتام (Matam)، وحصن بودور (Podor)، وحصن سينادييو، وحصن أحجار فيلو (Roches du Félou) بين مدينتي خاسو (Khasso) وسابوسيري (Sabouciré)، وحصن بافولبي (Bafoulbé). وقد كان لحاكم السنغال الفرنسي فيديرب (Faidherbe) دور مهم في جعل تلك المراكز والحصون وسيلة لتوسع النفوذ الفرنسي بحوض السنغال، خاصة منذ 1854، وقد تمكن تحت غطاء التبادل التجاري مع الزعماء المحليين وإقبال الفرنسيين على شراء المواد الأولية المتوافرة بالسودان الغربي مثل الصمغ السوداني وريش النعام والتبر (فتات الذهب)، من عقد معاهدات حماية وتجارة مع الزعماء المحليين كانت منطلقًا للتوسع الفرنسي في السودان الغربي، ومنها هذه المعاهدات تلك التي عقدها مع محمد الحبيب زعيم قبيلة الترارزة (1858)، مما أدى إلى حركة مقاومة رفعت راية الجهاد للدفاع عن العقيدة والأرض، كانت في مقدمتها حركة الحاج عمر الفوتي وابنه أحمد، وحركة ساموري، وأئمة فوتا تورو وفوتا جالون، وغيرهم.

جراف بؤل ليلاً وهو رئيس الذين يختارون الملك في بؤل ودخل من باب للدار مجهول مخفي ونادى زوجة جراف فلما كان ذلك في ظلمة جهلته فقالت له من أنت فقال لها تكلمي بالرفق وأنا بيبيار، وهو الذي يلي جراف في المرتبة لاختيار المالك في بؤل، وقال إنما جئت لأوانس مع رئيسنا جراف في أمر لتسكاب وأخويه اللذين سمعنا بأنهما يأتيان غدًا للملك وإنما أرسلني رؤساء بؤل كلهم لأسأل لهم جراف عن قصده ونيته وكان جراف يسمع كلامه الذي يتكلم به مع زوجته فخرج إليهما وقال له إن نيتي أن لا يملك بؤل إلا لتسكاب لشهرته وظهور درجته وخمول أخويه وخفاء ذكرهما، فلما علم بذلك رجع إلى داره، فلما أصبح ضرب جج جج أي ججكاج وهي الطبول والدفوف، فأمر الناس أن يجتمعوا عند عرصات لنباي فلما اجتمعوا فيها قام لتسكاب واقفًا وقال يا إخوتي إن هذا اليوم الذي قال فيه أرباب البلاد إنهم يأتون ويأخذون ملكهم ولكني أمدحكم لطاعتكم لي في مدة ملكي لكم، فقام جراف بؤل فقال أين الخليفة الذي يأتي للملك غيرك [832] ونحن لا نعرف إلا أنت ولا يملكنا غيرك وكل زمن ملكك ونحن فيه في راحة وسكون وغنى، فبينما هم في ذلك إذ رأوا لتكد وبرم كد قد ظهرا مع جيشهما فلما وصلا سلما على لتسكاب فرد عليهما السلام فقال للتكد قد جعلتك سلو ولبرم كد قد جعلتك بجنار، فقالا له ما هذا الكلام فقال إن ملك هذه البلاد لي ولكني أريد أن أنفعكما لأنكما أخواي فإن لم ترضوا بهذا فافعلوا ما بدا لكم فقالا نحن قد تعجبنا من هذا الكلام جدًّا الآن نذهب ونتفكر في أمرنا وسنجيبك فركبا وسارا فنزلا في حوض يسمى بوت فوجدهما هنالك لتسكاب وقتلهما جميعًا ورجع إلى لنباي وفي ذلك اليوم ملكوه تاج بؤل، وفي ذلك العام قام بورب جلف المسمى بب أن يغزو كجور وقد صادف ذلك كون دمل داسلو باسين سور قد عمي فاستغاث أهل كجور بلتسكاب ليدفع عنهم أمير جلف، فقاتل بورب جلف في كجور وهزمه وطرد جيشه إلى شجرتين اللتين في موضع يسمى بألسن سان فجعلا هنالك حدًّا بين جلف وكجور، ثم رجع لتسكاب وجلس سنين، ثم قام أيضًا إلى كجور وقاتل داسلو باسين سور في قرية تسمى سيرن فهزمه ثم مات داسلو بعد ذلك عن قريب، ثم جعل لتسكاب دمل تاج وانتقل من لنباي فسكن في قرية تسمى مك وهي الحد بين كجور وبؤل، ثم نادى أهل كجور وبؤل فلما اجتمعوا عنده سألهم عن موجب فقر هذا الديوان يريد ديوان مك وما سبب مسكنتهم، فقالوا السبب في ذلك كون ملوك كجور يغيرون عليهم ويوظفون عليهم الوظائف الغليظة وكذلك يفعل بهم ملوك بؤل فلذلك افتقر أهل هذا الديوان

وصاروا مساكين مفاليس، فقال لأهل ذلك الديوان اعلموا أنكم لا تطالبون بشيء من جهة الملك مدة عشر سنين إلا أداء الزكاة، [833] فلما تمت العشرة من السنين جمع أهل الديوان وقال لهم قد تركناكم في هذه المدة والآن أكلفكم بكلفة وتلك أن يأتيني كل من له بقر بثور وكل من له معز بعنز ومن له ضأن بضائنة ومن له دجاج بدجاجة وكل من له حرث بسابار وهي الحزمة من سنابل الزرع المسمى متر، فأتوه بذلك كله في الحين ثم افترق المحفل يمدحونه ويثنون عليه لحسن خلقه، وقد قال المخبر إن مدة ملكه 43 سنة ولم يكن فيها قتل نفس إلا مرة واحدة ولم يظهر فيه زنى إلا مرة واحدة وأن هذا القاتل هرب إلى شاطئ الأوقيانوس الأتلنتيكي فاختفى عند موضع هنالك يسمى واران فلما أخبر لتسكاب بذلك قال أيتوني بالمقتول فأتوه به وأخفاه عنده في موضع كنين ثم أمر بطلب القاتل حيث كان فوجدوه في اليوم الثالث في موضع اختفائه فقيدوه وأتوا به فأمر لتسكاب باجتماع الناس واجتمعوا وأحضر المقتول فأمر بحل قيود القاتل وأضجعه مع المقتول ولف عليهما حبالاً وثيقة وشدهما بها ثم دفنهما معًا والحي يصيح، ثم قام وقال كل من قتل أخاه أقتله هكذا، فلما مضى ذلك قدر شهور أتوه بامرأة ورجل زنيا فجمع نساء بلاده فلما اجتمعن أعطى السيف للرجل الزاني وأعطى الغمد للمرأة التي زنى بها وقال للرجل إن لم تولج السيف في الغمد قتلتك وقال للمرأة فمتى أدخل السيف في الغمد قتلتك لا محالة فجعلا يتجاولان ويتعالجان قدر أربع ساعات ولم يحصل شيء من إغماد السيف ثم أمرهما بالإمساك والسكون ثم أمر الرجل بالذهاب إلى حال سبيله وقال للمرأة لو امتنعت كما امتنعت الآن لما أمكن له أن يولج فيك متاعه ثم قتلها ثم أمر النساء بدفنها ثم لما رجعن قال كل امرأة زنت هكذا أفعل بها، فلما صار لتسكاب ملكًا كبيرًا وإمامًا عظيمًا وسلطانًا جسيمًا شهيرًا [834] قام يجول في بلاده إلى أن أتى موضعا يسمى فيكي فسمع بورسين جك جلان يضرب طبله جج جج في موضع جربل الآن وكان يسمى كجان فعزم على غصب الطبل وأرسل إليه بأنه يقاتله وأنه ليس بشيء إلا سارار فقط، فقاتله من الفجر إلى غروب الشمس ثم كذلك في الغد، وفي اليوم الثالث قام لساس المسمى ماجر في من قوم بورسين إلى لتسكاب وقال له إني أريد أن أعينك ولكن بشرط إن غلبت أن تملكني أرض ساس في قرية تسمى دادان أكن لمن فيها فقبل له ذلك فوقعوا على جيش بورسين فقتل ماجر في لتموس جلاين ابن بورسين جك جلان فقبض الطبل وأتي به إلى لتسكاب فلما قبض الطبل أعطاه لقواله المسمى فرلب وأمره بضربه فلما

ضربه سمعه أهل الحرب من أهل سين فاجتمعوا على قتال لتسكاب فقتلوا فرسه وجرحوه وسقط مع فرسه وحينئذٍ جاء وزراؤه المقربون منه جدًا ماصمب دل وإرم دل ودو دمب فأغاثوه وجرحوا كلا وقتل ماصمب، فلما اشتد الحرب والمراس واختلط القوم قام مدوك ماجكاين ساين وأتى إلى بورسين من حيث لا يشعر به فطعنه بالرمح وانجرح فانهزم بذلك جيشه وطردوا إلى موضع يسمى بك جام، فأقام لتسكاب عودين (غصنا شجرة) هنالك ليكونا الحد بين سين وبؤل وهما باقيان إلى الآن، قلت ولعلهما عاشا وأورقا وصارا شجرتين، والله تعالى أعلم. وقال الكجوري ثم رجع لتسكاب إلى داره التي في مك وقد غلب أكفاءه من الملوك وكان قومه يحبونه جدًا ثم انتقضت عليه جروحه التي انجرح بها في تيل ومفان وتنك بجي وكنب جار وكجان أي جربل فلزم الفراش، فلما سمع بمرضه أمير الترارزة قام لإيقاع الغارة على بؤل وكجور، فلما سمع بذلك لتسكاب أحضر قومه وسألهم عما يفعلون لهذه الحادثة فقامت بنته كون لتير فقالت يا أبتي ليس لك ولد ذكر غير ولدك ميس تندوج [835] وهو ابن ثمان سنين والباقي من أولادك بنات ولكن السَّبْنَتَى مخوفة كالأسد فولني أمر الحرب لألاقي عدونا لأريه أن الشجاعة تكون في الرجال والنساء، فولاها أبوها أمر الجيش فركب للقاء جيش البيضان فوجدتهم في موضع يسمى كافرن في أرض سين فقاتلتهم في أربعة أيام فكثر الموتى من الجانبين وفي اليوم الرابع ركبت أمام جيشها تردي فرسها لتقوي قلوب جيشها فقتل فرسها فسقطت معه ثم قامت فرمت الذي ضرب فرسها وقتلته فصار جيشها كأنما أصابت الكل منهم الحوتة الرعادة فقاتلوا بجد وعزم وهزموا البيضان فهربوا وتبعوهم إلى واد يسمى كاير فضل البيضان عن طريقهم التي أتوا بها فكثر فيهم الأسرى والخيل المغصوبة، فرجعت بذلك كون لتير إلى مك فدعا لها أبوها جدًا وأنكحها عال بر جايم أمير جلف فولدت له بنتًا واحدة تسمى بيك كون فهي الوالدة ميس بيك كون الذي غلب ملوك زمنه. ثم إن لتسكاب جولم كون دي عاش بعد ذلك في راحة وسكون وخير كثير إلى أن مات وهو ابن ثمان وسبعين سنة ومدة ملكه 43 سنة ودفن في موضع يسمى مك ولكنم.

510 - الصراع على ملك كجور بعد وفاة لتسكاب

ثم خلفه ولده المسمى ميس تندوج ومكث في الملك 27 سنة ولم يقاتل أحدًا لكثرة قوته حتى أن أكفاءه من الملوك لا يجترئون عليه بشيء وكان مسكنه في مسكن أبيه مك ثم مات

وخلفه ابن بنت أخته ميس بيك كون لتير، وفي العام الثالث من ملكه قام ابن آخر للتسكاب واسمه ماو باس صمب وذهب إلى أمير وال برك المسمى جاك آرم واستعان به على قتال ميس بيك فقاتلا ميس بيك في قرية دب فهزموه وأخرجوه عن كجور فهرب إلى سالم واختفى هنالك هو وجيشه، فبينما هم هنالك إذ قام بعض جيوشهم فأغاروا على قرية من سالم تسمى جكبان وهي مسكن أم أمير سالم، فناداهم [836] بورسالم وقال لهم إنكم يا ميس بيك أنت وجيشك قد أغرتم على قرية أمي فلأتبعنكم حتى تصيروا لا تأكلون إلا بالحرث، فقام أحد جيش ميس بيك واسمه جكميمسر فطعنه بالرمح وأخطأه وقد قطع من قميصه ثلاث لفائف حذو بطنه ثم قال له تقدر أن تطردنا ولكن دمل ميس بيك لا يأكل بما يحرث وإن كنت تريد الحرث فابذر بطيخًا لا تثمر، فغضب بورسالم وقال لهم اخرجوا من أرضي في هذا اليوم فذهبوا ونزلوا على أرط كر جاوان وذلك القلاّن قد صار لكثرة ماله كالمجنون لأنه يشرك ضيفه مع كلبه في الأكل، فلما نزلوا عليه وجاءهم الطعام جاء الكلب ليأكل فقام جكميمسر وقطع رقبة الكلب فغضب أرط وقام لقتالهم فقتله قاتل كلبه وساقوا مواشيه معهم زادًا لهم ونزلوا في قرية بل ثم قاموا من بل وقت السحر ومروا بقرية كيفر وسقوا دوابهم بماء أبَاردُوجْ ومروا حول قرية كنقرل ووقعوا على خاله ماو باس صمب، وإن القوالين يذكرون هذه الوقيعة وشدتها في إنشاداتهم لأن كلا الجيشين في غاية الشجاعة والحنق لأنهم لما قربوا من القرية مك تقدم يك فال فضرب مدفعه ضربة واحدة وقتل ثلاثة رجال وأخذ أفراسهم ورجع إليهم فلما وصلوا باب دار دمل ماو قام جراف برم كر سمب يريد الدخول فقتل فرسه فأراد القوال المسمى مال فاتم أن ينشد بمدحه فكسر رأس فرسه وسقط مع فرسه، وقام أخوه جراف وال سلاك وبي مجكاين ودور وجت أرم كي وجاؤوا لإغاثتهم فقتلهم بوابو دار دمل ماو فسقطوا مع أفراسهم، وقام يك فال فقتل فرسه المسمى كاجل أيضًا وانجرح ابنا عمه ميس بيك وهما لتجور وكلجور وانجرح هو، وقتل لبرم فاتم فند يومئذٍ سبعة أفراس وقتل تاج ساياسين وكان مقدم جيشهم فارتعب الجيش لذلك وشرعوا في الانهزام، فلما رأى القوالون ذلك هربوا إلى جكميمسر وقالوا له إن الحرث [837] الكبير لا يحرثه إلا صاحبه وكان حينئذٍ يشرب الدخان فغضب وأخذ آلة الدخان وضرب بها قبر لتكساب فانكسرت الآلة فقام ودخل في جيشهم الذي يريد الانهزام إلى أن خلص لجيش العدى، فجاء إلى باب دار دمل وأخذ تف الذي ينطفئ فأحرق بها بلاير دمل ماو، فلما انحرق أخرج زناده

يحد به رمحه ويسنه وقصد الذين يحرسون دمل وطعن كبيرهم بالرمح واسمه مفال وقتله ثم قتل برام ندكاج وجول مكو وفر بفت ومعناه كبير ليتوب أرباب سورب ثم قتل ماجور سل، فافترق جيش دمل ماو فهرب إلى خاله بران دوبان فقام بران يجمع الجيش المنهزم ويقوي قلوبهم، فبينما هم كذلك إذ أتى برام كد دمب ومصمب كد دمب من قبيلة درب يريدان الملك لأنفسهما ومرادهم أن يقاتلا الجيشين فقاتلا جيش ميس بيك أولاً في قرية سكار فأخذ مصمب كد دمب وقتل وهرب برام كد فقام الذين يختارون دمل في كجور وقالوا إن ميس بيك لا يملكنا فنادوا دمل ماو باس فجاء مع خاله بران دوبان وأوقعوا الحرب على ميس بيك في قرية بجان قاين فهزموه ورجع إلى سالم في قرية بيل، والعام بعد هذا أقام بسان دنكان فقتل دمل ماو باس خدعة في قرية بابي فملكوا برام كد دمب، وبعد ستة أشهر جاءهم ميس بيك من جهة وال وقاتله في قرية بر جايج وقتله فملكوه دمل ثانيًا، وبعد ثلاث سنين قام بورب جلف برايمب ماجكان وجاءه وقاتله في قرية بتيو فهزمه وأخرجه عن كجور فقصد نحو الترارزة ولاذ بخلانه البيضان مختار وبراهيم أحدهما ملك الترارزة والآخر ملك البراكنة، وبعد سنة ونصف جاءهم ميس بيك من جهة وال فقاتل بورب جلف برايمب وقتله في قرية بال وقد جاء بجيش عظيم معه ملك الترارزة وملك البراكنة (...) سبعة أيام، ثم قال ملك الترارزة لميس بيك اهربوا للحيلة وللتحرف للقتال لأنا إن هربنا لا يجترئ هؤلاء على متابعتنا وحينئذٍ نجمع جيشنا ونقع عليهم ثانيًا، فغضب ميس بيك وقال غلطت حيث ظننت أن الخيمة يسكن تحتها العربي الحر لأنه لو كان ساكن الخيمة عربيًا أي حرًا لا تأمرني بالفرار [838] في موضع يعرفني فيه كل شيء فيه حتى أشجاره فغضب ملك الترارزة وأراد أن يقطع أرجل خيله حتى لا تزول عن مكانها ولا يزول فرسانها عن مكانهم، ثم قال إن العربي يستحيي أن يهرب برجليه في الجيش فأحرى أن يهرب بفرسه ويراه كل أحد، فلما سمع بذلك ميس بيك وكان في حذائه مربط البقر قام وقلع منه وتدًا ودخل به مع الرجالة وضرب بوتده فر بخل وضرب بولل أيضًا وجامبور خلخل وقتل القوال الذي يضرب طبلهم وكان بورب جلف نازلاً حول واد فضربت القوالون دفوفهم فركب فرسه وقصد نحو ميس بيك وكان لكل واحد منهما حراس فتضاربوا بالمدافع حتى غطى الدخان الهواء، فلما رأى بورب جلف هذه الظلمة أخذ رمحه يريد أن يطعن به ميس بيك فرآه ميس بيك في الظلمة فدفع رمحه عنه ووقع عليه ميس بيك فسقط بورب جلف في الأرض لثقل حروزه وكثرتها، فلما سقط قام ميس يضربه بعصيه

إلى أن مات فانهزم جيش جلف وهربوا فصار ميس بيك دمل ثالثًا ومكث في الملك ثلاث سنين فمات (...)، خلفه ماجور جور ياسين عيس وهو وميس بيك من قبيلة كج، وكان أهل كجور لا يرضون بخلق ماجور هذا فطردوه وملكوا ماكد كمب جرن من قبيلة كج أيضًا فارتحل ماجور إلى سالم فرأى في المنام أنه يطرد ماكد كمب جرن عن قريته كندان فأخبر بذلك خاله يك فال ياسين فنهاه عن ذلك فلم ينته وقام وأمر جيشه بالقيام إلى كجور وفي غده وصلوا قرية جاج مسكن ماجور في سالم فقال إنه يريد أن يقتل كل أمير قرية مر به قبل أن يعلموا ماكد بمجيئه، وقتل سرن كنج وقتل سرن مور وقتل جراف كايج وقتل جورن جكن وقتل أنت سل وقتل برم قيدك ثم لحق بهم ولد برم قيدك تنور بنجكان فصار يقاتلهم إلى أن قتلوه في أبار قرية بلخ، ثم أخبر دمل ماكد كمب جرن بقرب الجيش إليه فلما لم يمكنه جمع جيشه هرب إلى جايقي توج أي واد يسمى قيتوج ومعنى قي في ولف بك في كلامنا الفلاَني ومعنى توج في ولف توناو في كلامنا الفلاَني، وأبى [839] أهل كجور أن يختاروه ملكًا عليهم ثلاثة أيام، ثم قام إلى قني فقتل أميرها مفال مجكان ثم إلى تك وقتل أميرها أيضًا المسمى ماصمب كد جوف ثم نزل في قرية ستسل، فبينما هو يريد النزول إذ أنزل عليه دمل ماكد جرن وقاتله وهزمه دمل ماكد بعد حرب شديد فقتل دمل ابن خال ماجور المسمى ساكج كن كر وقبل انهزامهم قتل يك فال ياسين بن دمل ماكد المسمى سنقت برم وقد قتل ماجور برمحه فر لنباي مجنى فخ الذي أتبعه ولم يتركه فلما وصل ماجور إلى قرية بف مات فيها بجراحه فرجع ماكد إلى قريته كندان ومكث فيها إلى أن مات فيها ثم خلفه ميس دكن كد من قبيلة كج، فلما أكمل شهرا قام مصمب خت أي المر من قبيلة وكج من قرية خول في جلف فوقع عليه وقاتله في قرية قي كي وقتله ثم طرده صلحاء كجور ومنعوه الملك وملكوا برم فاتم فند واختاروه دمل فملكهم بعقله مدة ثلاث عشرة سنة ثم مات فخلفه ابن أخته دمل همر كون دل وكان دمل تاج لجمعه بين ملك كجور وبؤل، وفي ملكه جاء ألمام عبدل من فوت تور إلى داخل كجور وقاتل دمل هذا في قرية بخوي ولكن دمل قد غلب جيشه وهزمهم وأسر ألمام عبدل ولكنه أكرمه ورده إلى أرضه فوت تور مكرمًا، قلت ولعل بخوي في ولف هي بنقوو عندنا، والله تعالى أعلم، وفي ملك دمل همر كون دل هذا قام ابن ابنه برام فاتم سب وأراد أن يملك كجور قبل موت جده فطرد ابن ابنه إلى قرية جب في سين حيث التجأ إلى بورسين لتسكجلان ولاذ به فأعانه على قتال جده دمل هملا كون دل وهزماه ولكن لم يتبعاه، فرجع دمل ولكن

بعض إخوة برام فاتم في هروبهم قد امتنع فرسه من المشي لعياء أو غيره فقام أخوه لتسلب يعينه فقتل تحت فرسه وكذا برم مجير وماسر فر ومالك كمب سب وسندات فرد كن ماتوا كذلك تحت فرسه، ثم بعد موت هؤلاء ذهب الفرس [840] وانطلق بإذن الله تعالى، فلما مات دمل همر كون دل خلفه ابن ابنه برم فاتم سب في كجور واختاروه دمل واختار ساياسين جك تاج على بؤل وهو ابن خال برم فاتم سب أو ابن عمته، فلما تمت السنة قام دمل برم فاتم سب وحارب ساياسين في بؤل ليكون دمل تاج فهزمه تاج ساياسين والسبب في ذلك كونه استجاش هذا الجيش في زمن المطر فقال له جورن بل اترك أهل الأرض يحرثون حرائثهم وإلا فيخاف عليهم من الجوع، فقال دمل لابد من الجيش الآن فقال جورن إذًا يغلبون، فقاتل تاج في قرية خسرن فانهزم جيش كجور في أول القتال، فلما رأى ذلك ركب الفرس قاصدًا العدو لاختياره الموت يومئذٍ ولكن وعظه شيخ بنام كنت أن يرجع عن قصده، فأحاط به حراسه وأحبابه فقتل كثير منهم ولا يعلم عدد القتلى لكثرتهم يومئذٍ، وقد قتل من قبيلة جاج تسعًا وتسعين نفسًا وكلهم اسمه دك وكلهم من حراسه، فلما انهزموا كان قران كون حاميًا عن أدبارهم يقاتل وراءهم فعلم به تاج ساياسين فنادى فرد وكان أرمى جيشه وكان من أهل قرية سكلم، فرماه بالدفع وجرح فرسه، فجاء جورن جكن الذي اسمه ساكج كمب كل يغيث قران كون فقتله فرد وقتل أيضًا فر جنجن سل وحينئذٍ خرج جورن يك مخرجًا وكان يقال له المخاف منه ومعه مدفعاه ومعه أيضًا سائس فرسه يعمر له مدفعاه فأوقف جيش بؤل ساعتين حتى وجد دمل الخلاص منهم، فلما علم دمل بأنه مغلوب وجنده مهزوم رجع إلى قريته خندان غضبان آسفًا فمكث في داخل داره سنة لم يخرج حتى أتوه بمغن اسمه ماجوس جو من أهل جلف فجاء ومدح دمل وأثنى عليه جدًّا وعيب أهل كجور فقاموا وحلفوا لدمل بأنهم لا يسلمونه بعد أبدًا، وفي تلك الأيام أرسل إلى تاج همر جور برس بن تاج ساياسين المتخلف بعد موت أبيه فقال له اعلم بأني سأقاتلك [841] فالتقيا عند قرية جردام، فلما نزل الجيشان عندها أرسل دمل أخاه الصغير لتسكاب فرد كن وأرسل معه من أبناء الملوك قدر خمسين رجلاً طليعة فلما وصلوا إلى آبار قرية بابي المسماة الآن ساف التقوا مع برام ساجكاين ومعه خمسون من أبناء الملوك أرسلوا طليعة فلما التقوا تقاتلوا ونزل كل واحد من الرئيسين فتصارعا وسقطا جميعًا إلى الأرض وتطاعنا بالخناجر والسكاكين وتضاربا بالمدافع الصغار المسماة بالغدارات، فقاما بعد كثرة الدخان والغبار فركب كل واحد منهما فرس

الآخر من غير علم فرجع إلى منزله، وفي غده وصل جيش دمل إلى جردام فالتقى مع جيش تاج همر جور فتقاتلا فكسر رأس فرس ميس تند من رؤساء جيش دمل فجاء لإغاثته مسر فرد كن ولتسكاب كون ماصمب ودال ساس وسل فال كون وسدل مجكاين فقتلت خيلهم وكنكل ميس دكن أخو ميس تند الصغير قتل فرسه الثاني بعد الأول وانجرح ثلاث جرحات، واشتدت الحرب من الجانبين، وكان لتاج من كنوج جمع كن في لغتنا وهي المدافع الكبار جدًّا وله أيضًا ثلاثة آلاف مدفع، ولدمل ثمانمائة دبيج من المدافع في لغتنا أيضًا ومفردها دب في كلامنا، وله أيضًا خمسة آلاف فستن من المدافع أيضًا، فقام لتسكاب مع جراحه المضرة يريد معها ركوب فرسه ليقاتل العدو فكايسه دمل وسقاه خمرًا حتى سكر ونام وحينئذٍ جعل عليه سقف بيت فلما أمسى انتبه وطلب ماء فأخرجوه وأتوه بماء فغسل به وجهه وسأل هل دمل لم يهزمهم إلى الآن فأجابه دمل وقال لا فقال إني سأموت الآن ولعل أبناء الملوك يقتدون بفعلي ويموتون بموتي فتغلبهم حينئذٍ وسأموت راضيًا ولا أعلم كيفية الملائكة ولكني سأراهم الآن فركب وركب أبناء الملوك كلهم وتبعوه فصرع كنكل ميس دكن مع فرسه فقال الآن تم الكلام هذا ثالث جراحي وثاني أفراسي في الموت [842] فقصدوا الشجرة التي عندها تاج همر وهم يمشون رويدًا والذين مع تاج يضربونهم بالمدافع فصرع سل فال كون ودمبان ودال ساس ولتسكاب كون وجمل ساياسين داوور وماسر فر وسندال جاي وبقي لتسكاب فر دكن منفردًا وأجرى فرسه يريد تاج، فقام رجاله كميجن ورجالة سب ورجالة لنباي ورجالة جورن فضربوه بمدافعهم وصرعوه هو وفرسه وأخبر دمل بذلك فقام يريد تاج ومعه حراسه ومعه من أصحاب دبيج ثمانمائة فصار سهام الرصاص كالمطر كثرة عند منزل تاج همر جور وكان له خال يسمى ويد برس وكان فرسه الثاني مقتولاً كالأول وفيه اثنا عشر جرحًا، وفمه في أذن تاج يعظه ويقول له فليقم ويرجع بما بقي من جيشه لينجيهم من الموت، وقبل قبول تاج ذلك قام يريد جيش كجور فما زال يقاتل حتى جرح بجراحات كثيرة وصارت مصارين فرسه تنصب في الأرض واحترق قميصه أيضًا، وحينئذٍ قام صمفليخ الذي أعطاه دمل الرمح المطلي بالذهب فتبعه ورماه بذلك الرمح وأخطأه فوقع على عنق فرس ويد برس المسمى بوب كي فانكسر الرمح ومات الفرس ورجع بمكسور الرمح وأراه لدمل وتم انهزام جيش بؤل فتبعهم دمل حتى وجد كبير جيشه المسمى جخ جاي خويان مجروحًا فقال له دمل يا خليلي في أي موضع انجرحت فقال له جرحي بين جرحي في خسرن وجرحي في جب

ولكن جرحي اليوم كسر العظم فلما تكلم بذلك فقط مات مكانه، ولكن لشدة محبة دمل له لشجاعته جعل أمه سايف كنتن في ديوان تجار لأنه لم يترك ولدًا وطلب دمل لتسكاب حتى رآه وأمر بحمله إلى لنباي ليتداوى فلما وصلوا لنباي مات لتسكاب بعد ساعة ولكن قال لدمل قبل موته أحب منك أن تطيب قلوب أبناء الملوك الذين نصروك حتى غلبت أعداءك، ثم بعد هذا مكث دمل برم فاتم سب في ملك وسكون وراحة إلى أن مات ثم خلفه ابن أخته المسمى ميس تند جور صمب فاختاره أهل كجور دمل عليهم واختير أبوه لتد كل فال تاج في بؤل وهما [843] من قبيلة جناي، فظن أهل كجور أنهم يغلبون أهل بؤل فأغروا الابن على محاربة أبيه فأبى عن ذلك وقال ولكني أصبر فإن مات قبلي أكن وارثه فلما سمع أبوه بذلك ترك جيشه وقال إنه لا يعود يستجيش جيشًا بعده وإن تاج الذي يحرسه دمل ينبغي له أن ينام آمنًا فمات بعد سنين من ملكه فجعل ابنه دمل ميس تند دمل تاج.

511 – أهل كجور وبؤل يستنجدون بدمل لدفع الظلم عنهم

وفي ذلك الحين اشتكى أهل كجور وأهل بؤل إلى دمل أن يدفع عنهم ظلم أبناء الملوك فدعا دمل أبناء الملوك فلما حضروا عنده عابهم جدًا وقبح فعلهم وقال أين بسان كل وسل كل وبرم فاتم بند كون فأمرهم أن يسكنوا في مواضع عينها لهم وأن لا يزول أحدهم عن مسكنه، ثم قال لمالك كمب جرن أسكن في الموضع الفلاني أيضًا فأبى مالك عن ذلك وقال لا وكلا وحروف النفي كلا لتأكيد إبايته، فقام ونزل في قرية كاب فتبعه المذكورون أولاً فتلاحقوا فيها جميعًا فلما اجتمعوا فيها جعلوا يفعلون أفعالاً تغيظ دمل وأحرقوا دار فركاب أي رئيسها المسمى ياخم كرسلان فظن دمل أن الأمر خفيف فأرسل جيشًا قليلاً وأعطاه لساكمب فاتم بنت فأمره أن يؤدب له مالك كمب جرن، فالتقوا عند قرية فايلار فأفسد مالك جيشهم القليل وهزمهم وكان في الجيش سبعة من أبناء دمل تاج ميس تند فقتل بعضهم وجرح البعض وقتل ساكمب فاتم، فلما رأى دمل هذا غضب وجمع الجيش في يومه ذلك وقال إنه ليقطعن عنق مالك كمب، فبنى مالك كمب حصنًا لنفسه عند فوت قرب نت، وكان ذلك الحين زمن مطر لا يصلح فيه الحرب بالخيل فتخرف عند كول، فلما انقضى الخريف التقى مع مالك كمب وكان أولاد ميس تند المجروحون قد ماتوا بجراحهم ولم يبق له من الولد إلا بنتان إحداهما كون لتير والأخرى دب سك، وكون لتير هي والدة دمل برهيم كون ودمل لتجور كون وبنت

تسمى خرجا بوج والدة دمل صمب لوب، وأما دب ساغو فهي والدة دمل صمب ياي الميت في أندر عام 1892 من الميلاد،[627] وقد مكث ميس تند في الملك 23 سنة ولما مات خلفه [844] ابن بنته دمل برهيم كون ومدة ملكه خمس سنين وفي زمن ملكه ارتد شيوخ العلم من أهل جامبور وخرجوا عن ملك دمل وأرادوا أن يملكوا كجور فقاتلهم دمل برهيم كون وقتلهم كلا ويترك منهم إلا القليل الذين يعلمون القرآن والصلاة، وقد جاءه أبوه ماكد كمب من سالم يطلب منه الإعانة ليملك بؤل الذي كان سلطانه حينئذٍ ساياسين كوم دكن فقبل وقاتلا ساياسين فكانت الحرب بينهم سجالاً ثم بعد ذلك غلباه وهزماه في قرية تج وكذا في قرية كلتمب وكذا في قرية بيناخ، فارتحل ساياسين مهاجرًا إلى سالم واختير ماكد تاج في بؤل ورجع ساياسين وأوقع الحرب على دمل براهيم كون وهزمه دمل ثم لما مات دمل براهيم قام أهل بؤل وطردوا ماكد فقصد كجور فلما أتاهم قال إنما أتيت لإرث ملك ابني فاختاروه دمل عليهم، ثم بعد ثلاث سنين من ملكه لكجور جاءهم ماجوج فال بجيش فرانس فطردوا دمل ماكد إلى سالم واختاروا ماجوج دمل على كجور مكان ماكد.

512 – تولي لتجور أمر كجور

ثم قام لتجور بن عم دمل برهيم يريد الإمارة لنفسه فقاتل دمل ماجوج في أنكك وفي أندند فهزمه لتجور، فأرسل ماجوج إلى أمير أندر يطلب منه أن ينصره على لتجور فأرسل له جيشًا عظيمًا لقتاله فضل الجيش بأدلاء فاسدة فلذلك غلبهم لتجور في خولخول وبعد ذلك بقليل جاء جيش فرانس فالتقوا مع لتجور في قرية لور فهزمه فرانس وهرب إلى مب في سالم والد سهت مت، ثم إن أمير أندر عزل دمل ماجوج وأتى به إلى أندر سافوج الذين اختارهم لنفسه، وسافوج في كلامنا الفلاّني جمع سايف في كلام فرانس، وكان هؤلاء سافوج يفسدون في الأرض ولا يصلحون شيئًا، وبعد ذلك بسنتين راسل لتجور برم أندر إلى أن توافقا وتصالحا واختار أمير أندر لتجور وجعله على كجور وعزل أولئك سافوج، وبعد أربع سنين قاتل لتجور تاج ساياسين جور أمير بؤل فهزمه في قرية بيان وكذا في جبلار وكذا في قايتل وأفسد جيشه وهزمه [845] في قرية سمب فهرب تاج إلى سالم ولاذ ببورسين سلمون فال، وبعد تمام تلك السنة جاء شيخ أحمد مهدي المجاهد لكجور فترك

627 – عام 1892 م يوافق 1310 هـ.

لتجور بؤل لقتاله وقاتله لتجور كثيرًا ولم يهزمه بل هو الذي يهزم دمل في كل مرة، فطلب من أمير أندر الإعانة فأرسل له بجيش عظيم فقتلوا شيخ أحمد مهدي في قرية صمب ساج عام 1879 من الميلاد.[628]

513 - فرنسا تبسط نفوذها على كجور

ثم وقعت المخالفة بين لتجور وفرانس بسبب امتناعه من مرور سمنتفار بين أندر ودكار في أرضه، وكان أمير أندر قد ناداه أولاً وطلب منه مرور ذلك الطريق فقبل ثم لما رجع قال له أهل كجور أنت سفيه تبيع أرض جدك للغير فهذا لا يرضاه عاقل، فهاجر إلى سالم فجعل أمير أندر في خلافته صمب ياي فلل فلما ولي أمر كجور قال لا تشتموني إلا بدمل همر كون فال فمكث على ذلك سنتين ثم اشتكى أهل كجور أمره إلى أمير أندر فعزله وملك دمل صمب لوب ولما مضى من ملكه ثلاث سنين ذهب إلى مقاتلة عال بر أمير جلف من غير استئذان لأمير أندر ومر بأرض جامبور وأرض وال، وقد كان أمير أندر نهاه أن يمر بهما أحد بالجيش وكان أول من انتهك هذا النهي، ثم هزمه عال بر في قرية كل وتبع أثره ولم يرجع عنه حتى قال له برم أندر جني أرجع عنه بالإرسال إليه ثم التقى معه أمير أندر في قرية أندند وكلفه ألمان العظيم (...) يؤديه لعال بر، فأرسل أمير أندر جني يد كن له المسمى سفتسار وجعل معه جيشًا من إتفيس وجعل أميره يتن شو واجتمعوا معه عند تواوون وكلما تكلم به يدكن أمير أندر يجاوبونه بضرب المدافع يريدون بذلك قتالهم، وقيل إن دمل صمب لوب هو الآمر بذلك وقيل ليس هو الآمر بذلك، والله تعالى أعلم، وحينئذٍ أمر إتفيس أن يقاتلوهم فقتل يتن شو دمل صمب لوب، وكان خاله لتجور في موضع يسمى جاج فغضب لذلك وكان يفعل أفعالاً تغيظ أمير أندر، فأرسل إليه [846] بأن يخرج من كجور كلها وكان الذين يغرونه على مقاتلة أمير أندر قد خرجوا عنه، ثم إنه جاوب أمير أندر بأنه لا يخرج عن أرض أبيه، وكان أمير أندر قد جعل جيشًا في كجور ليحرس كجور عن ظلم دمل فأوقع دمل الحرب على ذلك الجيش فقتلوه، وقسم كجور سبع قسمات أي دواوين أي كنتقاج، وصارت كجور في ملك فرانس[629] فعاشوا مع الخير والمير إلى الأمام والقدام والزيادة، انتهى ما عندي تاريخ كجور والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

628 - عام 1879 م يوافق 1297 هـ.

629 - أي استولى عليها الفرنسيون والحقوها بمناطق نفوذهم بالسنغال.

514 - أصل سارار والقبائل المتفرعة عنهم

نبذة في أمر سارار، وقيل إن أصلهم من وكد فنزلوا في فوت تور سنكال وسكنوا في أجمات وغيرها، وكان أهل فوت حينئذٍ ساكنين في مرتن فلما طردهم البيضان عن مرتن وسكنوا في سنكال طردوا سارار عن فوت سنكال فارتحلوا إلى المغرب فسكنوا في صين ورئيسهم حينئذٍ يسمى واقان وهو أول من سكن صين من رؤسائهم فلذلك أضيفت إليه وقيل صين واقان وهو واقان كمب سنجال ولقبه في وقيل إن بينه وبين دانينكوب نسبًا، قلت ولعلهم الذين كانوا يسكنون في دان من قرى لب كما سيأتي وأهلهم كانوا من جيران دانينكوب فيها فقط أو أصلهم وأصل داينينكوب واحد، والله تعالى أعلم، وأصل سكان صين وسالم قبل سارار قوم من سوسب جاؤوا من كاب وفيهم رجال يسمى أحدهم صين ماو والآخر سالم ماو [847] والثالث يسمى كلار ماو فسكن في كمبي وسمي مسكنه هنالك كلار إلى الآن، وتجاوز الآخران فسكن صين ماو في صين فسمي البلد باسمه وسكن سالم ماو في سالم وسمي البلد الذي سكن فيه سالم وكان لقب الكل سان وقيل مان، ثم اختار بنو صين وسالم ألقابًا غير لقب أبويهما فمنهم من اختار جاي ومنهم من اختار دو وغيرهما، والله تعالى أعلم، وكان كل من ملك قرية منهم أو قريتين أو أكثر يسمى لمن في لغة سوسب وهو لقب الرئيس منهم وكان هذا حالهم إلى أن جاء واقان فملك الجميع وصار كل من تزوج من بنات واقان إذا ولدت له ولدًا ذكرًا يكون ذلك الولد ملكًا من ملوك صين أو سالم وكذا من تزوج ببنت من بنات لمنات قبله فولدت له ذكرًا يصير ذلك الولد ملكًا من ملوكهم، واعلم أن الأصل في من يملك صين في وجوف وجاي ومن ملوك سالم أيضًا دو وفال وبوج وجوف وبجان وجوب ودور، وقد ملك سالم من البجانيين واحد وكان أعور وله ولد وكان هو وولده شرسي أخلاق وكان ولده يقلع العين الواحدة من كل رجل ليكون أعور مثل أبيه وكان اسم الملك لخت بجان، فلما مات تعاهدوا على أن لا يزوجوا بجانيا لنقاير لئلا يلد منها ولدًا يكون ملكًا وما زال الأمر كذلك إلى الآن، وقيل إن أصل لب وأصل سارار واحد فسكن لب قرب البحار وسكن سارار في البراري، وألقاب لب في وجان ودوي وبنك وبجان وجب وصمب وجاي وجوب، وقيل إن أول من سكن دكار رجل منهم يسمى جل جوب وأول من سكن رفسك منهم رجل يسمى جن دوي ومن مساكنهم جندار وووكام ويوف وقر ورفسك ودكار وبرج

وجكل ودان، إلخ. وقيل إن قبائل سارار ثلاث إحداها في ملك بورصين، وثانيتها نونب كانوا في ملك عبدل خال وباطان ويخلطون في كلامهم الفلاّنية والصوصية والولفية وهم أخبثهم كما قيل، وثالثتها جكم [848] وفي نسائهم الجمال وجلهم كان في ملك عبد خال الساكن في باطان في بؤل والباقي في ملك بورصين ونونب وجل جكم في ملك عبد خال كما مر. وفي كل قبائل سارار الثلاثة الشجاعة البالغة في رجالهم كما قيل، والله تعالى أعلم. وقال بعضهم إن من بلاد سارار جكم التي فيها باطان وهي قرية الملك وأول من انقادوا له سانور جاي بإعانة فرانس له على قتالهم، فما زال يقاتلهم إلى أن غلبهم فملكه فرانس عليهم فسكن في باطان ثم أصابه مرض النوم فذهب إلى البيمارستان في أندر وهي سنلو فمات هنالك، ثم ملكوا عليهم بعده عبد خال له فما زال ملكًا عليهم إلى أن مات فورث ملكه بنوه إلى الآن، ومن أفخاذ سارار الذين في جكم فخذ يسمى كلن وفخذ يسمى نون وكان رئيس كل قرية منهم يلقب بلمن وكانوا لا يمكنون أحدًا يملكهم لا بورصين ولا بورسالم ولا دمل ولا تاج ولا غيرهم وكانوا يقطعون المارة ويخيفون السبيل إلى أن سلط الله عليهم فرانس فجعلوا سانور جاي مقدمًا على الجيوش، فما زال سانور يقاتلهم إلى أن غلب الكل فملكوه عليهم وكان أصله من قرية في سالم تسمى بوف ورئيسها يلقب ببم بوف ولقب قبيلته إجاي ومثلهم بم كجمور وبم منداخ وبم جوجان وبم ملام وألقاب الكل جاي، هـ، وحد المتكلمين بلغة سارار كمبوف وهي آخر قراهم في سالم من جهة المشرق أي جهة الجنوب، ومن بلاد ولف بلد دكمان ولقب رئيسها (...) ولقبه دو ولا يغيرونه، والله تعالى أعلم. واعلم أن جلف ما سكن فيها إلا ولف والفلاّن لا غير، وكجور لم يسكن فيها إلا ولف والفلاّن وقليل سارار، وأما بؤل فلم يسكن فيها إلا ولف والفلاّن وسارار، وأما سالم فكذلك، وأما صين فكذلك أيضًا إلا أن ولف قليل فيها جدًا، والله تعالى أعلم. وقيل إن كجور فوق أندر جهة الجنوب [849] وجلف في مشرقها وفوق كجور بؤل وفي مشرقها جلف أيضًا، ويلي بؤل صين ويلي صين سالم وفي مشرق سالم جلف أيضًا، وزعم سارن بر الذي في كن في دمك في ديوان ماتم أن بعض أمراء صين كان يسمى بك فلما مات قسم فرانس أرض صين أربع قسمات أي دواوين أي كنتقاج وأعطى كمب جمب قسمة كبيرة في مغرب صين وأعطى كمب دوفاين قسمة كبيرة في مشرقها وأعطى لغيرهما قليلاً قليلاً دون ديواني كمب جمب وكمب دوفاين، ثم طلب كمب دوفاين من أمير أندر أن يجمع له ملك صين كلها ولو بالشراء فقال له أتقدر على الشراء

فقال نعم فقال أمير أندر حينئذٍ بعتك أرض صين كلها بثلاثين ألف درهم فقال له قبلت، وكان محبوبًا عند أهل صين جدًا فأعانوه بنصف المال الموظف عليه وهو خمسة عشر ألف درهم وكلفوا على أنفسهم أن تعطيه كل دار كبيرة أي غنية بعشرين درهمًا وكل دار صغيرة بعشرة دراهم وكل دار متوسطة الغنى بخمسة عشر درهمًا، فلما تم النصف حمله إلى أمير أندر ثم رجع ونادى عبيده وأقاربه وكلفهم بالمال الباقي وكل من أبطأ أخذ بقره وجعلها عنده وأمسكها عن صاحبها حتى يؤدي ما عليه فيعطيه بقره وهكذا إلى أن تمت الفضة كلها، فترك له فرانس أرضه صين يتصرف فيها كيف شاء إلا أن تصرفه كتصرف مَنْ فوقه حاكم يحكم عليه بمقتضى الأحكام السياسية الواجبة، وقد مات كمب دوفاين هذا في عام 1924 من الميلاد،[630] والله تعالى أعلم.

515 - فصل في الحديث عن بعثة سيدنا محمد وذكر مشروعية الدعوة والجهاد

خاتمة في نهي الإخوان عن التصدي للجهاد وعن ادعاء المهدوية الموعودة في آخر الزمان. وأما نهي الإخوان عن التصدي للجهاد فيكفي نهي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية نحو قوله تعالى: وأعرض عنهم، ونحو قوله: [850] واصبر، وغير ذلك من الآيات، وقد مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرًا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولأصحابه لأمر الله تعالى له بالإنذار والصبر على الأذى والكف، فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال لأنهم كانوا بمكة شرذمة قليلة، ثم لما استقر أمره صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وكثرت أتباعه وشأنهم أن يقدموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب، أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأصحابه في القتال وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به، بقوله: «فإن قاتلوكم فاقتلوهم»،[631] وبقوله: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير»،[632] أي أذن للمؤمنين أن يقاتلوا بأنهم ظلموا أي بسبب أنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير، ثم أذن في القتال أي أبيح الابتداء به حتى لمن لم

630 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

631 - قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 191.

632 - قرآن كريم، سورة الحج، الآية 39.

يقاتل لكن في غير الأشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم بقوله: «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين»، الآية.[633] ثم أمر به وجوبًا بعد فتح مكة في السنة الثامنة مطلقًا من غير تقدير بشرط ولا زمان بقوله: وقاتلوا المشركين كافة.[634] أي جميعًا في أي زمن، فعلم أن القتال كان قبل الهجرة وبعدها إلى صفر من السنة الثانية محرمًا، ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام، القسم الأول محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة في حق الأنصار وفرض عين في حق المهاجرين، والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمّنون من غير عقد الجزية أي صالحهم ووادعهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوًا وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم، والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية (...)، وهناك قسم آخر [851] وهم من دخل في الإسلام تقية من القتل وهم المنافقون وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضًا عنهم إلا فيما يتعلق بشعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة. واعلم أن هذا القتال الذي أمر به صلى الله عليه وسلم عوض من العذاب الذي عوملت به الأمم السالفة لما كذبت رسلهم، ثم لا يخفى أن الآية أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، الآية،[635] هي أول آية نزلت في شأن القتال على قول بعضهم، ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وفي رواية حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى، قيل وما حقها، قال: زنى بعد إحصان وكفر بعد إسلام أو قتل نفس.[636] وقد أبيح قتال المشركين كافة حين رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى صار أصحابه صلى الله عليه وسلم لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فيه وصاروا يقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل، وحينئذٍ أنزل الله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكن لهم

633 - قرآن كريم، سورة التوبة، الآية 5.

634 - قرآن كريم، سورة التوبة، الآية 36.

635 - قرآن كريم، سورة الحج، الآية 39.

636 - حديث شريف أورده البخاري، أنظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الجزء الأول، ص. 17.

دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا»، الآية.[637] وقد نقل إجماع المسلمين على أنه لم يرو أحد قد أنه صلى الله عليه وسلم انهزم بنفسه في موطن من المواطن بل ثبتت الأحاديث الصحيحة بإقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته في جميع المواطن وأنه لم يباشر لقتال إلا في أحد، ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء في وجوه العدو في شيء من الغزوات إلا في هذه الثلاثة (...) وفي الثالثة، ولم يجرح صلى الله عليه وسلم (...) الغزوات إلا في أحد، ولم ينصب المنجنيق في غزوة من الغزوات إلا في غزوة الطائف، وفيه أنه نصبه على بعض حصون خيبر. ثم اعلم أن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان معمولاً به من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، جعل الله [852] ذلك مصلحة لأهل مكة، فإن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة أن يجعل الله أفئدة من الناس تهوي إليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الأشهر الحرم أربعة ثلاثة سردًا وواحدًا فردًا وهو رجب، أما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين لمكة وصادرين عنها شهرًا قبل شهر الحج وشهرًا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع، وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للإقبال ونصفه الآخر للإياب لأن العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يومًا، ذكره السهيلي. ولم يزل تحريم القتال في تلك الأشهر الحرم إلى صدر الإسلام وذلك قبل نزول براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم وأن لا يحج مشرك، وإباحة القتال في الأشهر الحرم أي مع بقاء حرمتها فإنها لم تنسخ، قال تعالى: منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم،[638] فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وإنما نسخ حرمة القتال فيها خلافًا لما نقل عن عطاء من أن حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ، انتهى المراد من «السيرة الحلبية». ومن موجبات النهي عن الجهاد (...)، وقد بكت عائشة رضي الله عنها بعد يوم الجمل كثيرًا وقالت وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وقد قال علي كرم الله وجهه مثل ذلك لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل إن القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفًا، ثم إن عليًا كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين، انتهى المراد (...).

637 - قرآن كريم، سورة النور، الآية 55.

638 - قرآن كريم، سورة التوبة، الآية 36.

516 - أحاديث وأخبار عن السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وعن عظم حرمة الدماء

ومثل ذلك أسامة رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا وإذا أدبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الأنصار فرفعت عليه السيف فقال لا إله إلا الله، وزاد في رواية محمد رسول الله [853] فكف الأنصاري فطعنته برمح حتى قتلته ثم وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى ما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني، قال بعضهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويحب أن يثنى عليه خيرًا فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت ما فعل أسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا إله إلا الله فشد عليه أسامة فقتله وهو صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم فلما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الشريف لأسامة فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، فقال أسامة رضي الله تعالى عنه إنما قالها خوفًا من السلاح، وفي رواية إنما كان متعوذًا من القتل، قال أسامة رضي الله تعالى عنه ولا زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر علي حتى تمنيت أني لم أسلم إلا يومئذٍ، أي تمنيت أن أكون أسلمت اليوم فيكفر عني ما صنعت، أي وفي رواية فقال أسامة يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا إله إلا الله يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة، صح. وفي السيرة الحلبية.(639) ومن ثم لم يشهد أسامة رضي الله تعالى عنه مع علي كرم الله وجهه قتالاً في صفين ونحوه وقال له لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله وقلت له أعطي الله عهدًا أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله، والله أعلم، قلت ولعله صلى الله عليه وسلم إنما أعرض عنهم أولاً حين أخبر بقتل أسامة للرجل المسلم ثم بعد ذلك توجه أسامة يكلمه فيما قالوا رضي الله عن جميعهم ليؤدوا شهادتهم عنده كاملة

639 - السيرة الحلبية، ج. 3، ص. 187.

حتى لا تحتمل النقيض بعد ذلك، والله تعالى أعلم، ومثله ما ذكر في سرية أبا قتادة رضي الله عنه إلى بطن أضم وهو اسم موضع أو جبل، وهو لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر من جملتهم محكم بن جثامة الليثي إلى بطن أضم ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية وتنشر بعد ذلك الأخبار، فمر عليهم عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم [854] بتحية الإسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله أي لشيء كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره، وعند وصولهم إلى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى مكة فمالوا إليه حتى لقوه، قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحكم أقتلته بعدما قال آمنت بالله، وفي رواية بعد أن قال إنيّ مسلم أي أتى بما لم يأت به إلا مؤمن آمن بالله وكان مسلمًا، قال يا رسول الله إنما قالها، أي تحية الإسلام، متعوذًا، قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يا رسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب، وفي رواية قال يا رسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما في قلبه فقال له فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه فقال استغفر لي يا رسول الله فقال لا غفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده، اهـ، وأنزل الله تعالى فيه: يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، إلى آخر الآية،(640) وذكر ابن إسحاق في خبر محكم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بحنين ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها فقام إليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان في عامر بن الأضبط، عيينة بن حصن يطلب دمه أي ويقول والله يا رسول الله إني لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائي والأقرع يدافع عن محكم وارتفعت الأصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية ثم قالوا إن محكمًا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل آدم طويل عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان، فقال له ما اسمك قال أنا محكم قد فعلت الذي بلغك وإني أتوب إلى الله تعالى واستغفر لي يا رسول الله، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر

640 - قرآن كريم، سورة النساء، الآية 94.

[855] لمحكم قالها ثلاثًا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث إلا سبعًا حتى مات فلفظته الأرض مرات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه أي ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم، وفي رواية أن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله أي حرمة من يأتي بها، إلى آخر ما في «السيرة الحلبية».(641) ومما يدل على عظم أمر الدماء عند الله تعالى ما روي أن داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو الذي كان ابتدأ بناء بيت المقدس وكلما بنى شيئًا تهدم فاشتكى ذلك إلى الله تعالى فأجابه الحق سبحانه وتعالى بأن بناء بيتي لا يستقيم بيد من يسفك دماء عبيدي، فقال يا رب أليس ذلك جهادًا في سبيلك، فقال له بلى ولكنهم عبادي، هـ، فلم يستقم بناء بيت المقدس بيده حتى مات صلى الله عليه وسلم فتخلف عنه ولده سليمان عليه السلام فبناه فاستقام، انتهى بالمعنى. ويكفي من التنفير من التصدي للجهاد صيرورة المتصدي لذلك مقتولاً وقد رأينا ذلك وسمعناه كثيرًا ونكتفي عن إكثار الكلام في ذلك بما في «الفتوحات الإسلامية» للعلامة دحلان رضي الله عنه(642) عند ذكر ظهور إسماعيل شاه سلطان العجم فقال وإسماعيل شاه المذكور هو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن سلطان خواجة بن صدر الدين موسى بن صفي الدين إسحاق الأردبيلي وكان هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي المذكور آنفًا وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل الولاية والصلاح والمشائخ أرباب الطريق والسلوك والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهي إلى الإمام أحمد الغزالي أخي الإمام محمد حجة الإسلام الغزالي، وقيل إن لهم نسبًا ينتهي إلى موسى الكاظم، وكان جدهم الشيخ صفي الدين له شهرة كبيرة في مشيخة الطريق وتوفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ثم صارت المشيخة [856] في ولده صدر الدين ثم في ولده علي ثم في ولده سلطان خواجه ثم في ولده إبراهيم ثم في ولده جنيد ثم في ولده حيدر، ولما كانت المشيخة في جنيد كثر أتباعه ومريدوه واشتهر أمره وانتشر صيته وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والأتباع، وكان جهان شاه التركماني صاحب شروان وأذربيجان متغلبًا على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة أتباعه وخشي أنه يتغلب عليه وينتزع الملك منه، فأخرج جنيدًا ومن معه من أردبيل فتوجهوا إلى

641 - السيرة الحلبية، ج. 3، ص. 195.

642 - دحلان، الفتوحات الإسلامية، الجزء الثاني، ص ص. 123 - 134.

ديار بكر ثم قوي أمرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضًا سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه ومنهم ابنه إسماعيل شاه وكان صغيرًا واستمر محبوسًا هو وإخوانه وهرب بعض إخوانه من الحبس سنة ثمانمائة وست وتسعين،(643) انتهى المراد من «الفتوحات الإسلامية» في هذا المحل للعلامة دحلان رضي الله عنه. قلت وأكثر من يتصدى للجهاد من الدول والأقوام يكون من الممالك القاصية الضعيفة وأطراف العمران البعيدة عن الملوك العظام. كما قيل بأن الشيخ عمر لما طالبه أصحابه بمجاهدة البوسطة الفرانساوية المسماة مدين كاس في ذلك الزمن قال لهم إنه غير مأمور بذلك فما زالوا به حتى قبل لهم ذلك وقاتلوا البوسطة فآل الأمر بانهزامهم عنها، والله تعالى أعلم.

517 - فصل في ادعاء المهدوية وبيان حقيقتها وما جاء في كتب المتقدمين حولها

وأما ادعاء المهدوية الموعودة في آخر الزمان فلا يدعيها إلا كاذب لأن من أقوى علاماته أنه لا يدعي بأنه هو المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله يطلع بعض من اختصه من صالح عباده عليه وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارًا ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة [857] ويهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة إلا والناس بلا خليفة أخذًا من حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة، وهو أصح حديث روي في هذا الباب، وقال ابن حجر في «الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة»:(644) فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ويكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به في الفتوحات الإسلامية، ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في ليلته وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها وأنه يبايع مكرهًا لا أنه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل، وأن ظهور البيعة له إنما يكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره إنما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة فلا يظهر ولا يبايع إلا والناس بلا خليفة، فهذه الأشياء هي أقوى العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه لكن تلك الأشياء ظنية ومختلف في كثير منها وذلك مثل اسمه واسم أبيه

643 - عام 896 هـ يوافق 1490 م.

644 - الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي المكي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص ص. 249 - 254 (أورد ابن حجر الهيثمي العديد من الأقوال والروايات التي وردت حول المهدي).

وموضع ولادته ومقدار عمره ووقت ظهوره ومدة مكثه في الأرض بعد ظهوره فكل هذه الأشياء مختلف فيها، فمما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره إنه ابن أربعين وقيل إنه ابن عشرين وقيل إنه ابن ثمانية عشر وقيل غير ذلك، وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره إنها سبع أو تسع سنين وقيل إنها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك، وقيل في اسمه إنه محمد وقيل أحمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس وأجمع بعضهم بأنه من جهة الحسين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس، انتهى المراد منه في هذا المحل في الفتوحات أيضًا، ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته [858] إلا وقت ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرًا تأسيسًا لرسالته وتقوية لقلبه لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة حتى أنه كان كلما رأى منامًا من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو إليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلامًا يقوي به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له: اقرأ باسم ربك، فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله تعالى إظهاره، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ، قال العلامة أحمد دحلان: وقد جمعت أسماءهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له ولا تتم إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وفي الفتوحات الإسلامية أيضًا من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة، قال الجلال السيوطي في آخر «العرف الوردي في علامات المهدي»: وأما قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل وقد تابع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته [859] التي ألفها

في علامات المهدي فكل منهما قال كما قال السيوطي إن قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون بالمغرب فهو باطل، إلى أن قال ولا يصح قول من قال إنما يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة ابن خلدون[645] في تاريخه فإنه قال إن القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيسًا على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وأفهمهم أن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا إليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة، اهـ. قلت ولعل معنى قوله بما ملأ قلوبهم من الحدثان أي من الأحاديث الواهية الموضوعة، والله تعالى أعلم. قلت أيضًا ولعل مذهب الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه أن ظهور الفاطمي يكون بالمغرب كما يفهم من كلامه الآتي إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم. وفي «السيرة الحلبية» للعلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي رضي الله عنه وقد جاء أن المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسن وقيل من ولد الحسين وقيل من ولد عمه العباس، إلى أن قال وظهوره يكون بعد أن يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فإن ذلك لم يوجد منذ خلق الله السماوات والأرض عمره عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الأيمن خال أسود يخرج في زمن الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم عليه السلام، انتهى المراد منه.[646] وفي الفتوحات الإسلامية للعلامة أحمد دحلان رضي الله عنه،[647] وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله ولم ير نص من الشرع بالتحديد وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم، اهـ المراد منه. وفي الرحلة العياشية عند الكلام على المهدي المنتظر:[648] والصحيح عندي أن ظهوره من أشراط الساعة وتعيين زمن [860] الساعة

645 - ابن خلدون، المقدمة، الفصل الثاني والخمسون في أمر الفاطمي، ص. 328.

646 - لقد نسب المؤلف هذه الأحاديث المتعلقة بالمهدي إلى علي بن برهان الدين الحلبي في سيرته (الحلبية) خطأ، والصحيح أنه اقتبسها من ابن حجر في الصواعق المحرقة (انظر الهامش رقم 644 ص 759).

647 - دحلان، الفتوحات الإسلامية.

648 - أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي (ت. 1090 هـ/1679 م): فقيه مغربي عرف بتآليفه واشتهر برحلته التي كانت خلاصة لرحلاته الثلاث إلى الحج، والتي كانت آخرها سنة 1661 هـ/1662 م. وتعرف رحلته بـ «ماء الموائد» أو بـ «الرحلة العياشية إلى الديار النورانية»، ط. 2، نشرها مع فهرس لها محمد حجي، الرباط،

وأشراطها مع القطع بوقوعها مما استأثر الله بعلمه، ومن طالع تواريخ المتقدمين علم صدق ما ذكرنا فإن كثيرًا منهم عين المائة الثانية واستند إلى ظواهر من الأحاديث ومن بعدهم عينوا السادسة متمسكين بذلك ولما ظهرت نار الحجاز ووقعت وقعة التتار ببغداد وغير ذلك من التغييرات لم يشكوا بأنها بقرب ذلك وهلم جرا، وغالبهم لا يشكون أنها لا تجاوز الألف وإلى الآن كل يتكلم على حسب حدسه ووهمه والعلم عند الله، انتهى المراد منه، قلت قوله لا تجاوز الألف أي سنة ظهوره، والله تعالى أعلم. وفي «روح البيان» قال الإمام السيوطي رحمه الله يظهر المهدي قبل الدجال بسبع سنين ويخرج الدجال قبل طلوع الشمس بعشر سنين ويقوم المهدي سنة مائتين بعد الألف أو أربع ومائتين، والله أعلم، وقبل ظهور المهدي أشراط آخرى من خروج بني الأصفر وغيرها، انتهى من «روح البيان»، عنه قوله تعالى في سورة الأنعام: قل انتظروا (...). وفي مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون[649] وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرة في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب «عنقاء مغرب»، وابن قسي في كتاب «خلع النعلين» وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب «خلع النعلين»، وأكثر كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم، وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واطيل أن النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وأنها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود تجبرًا وتكبرًا وباطلاً، قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الأمور إلى ما كانت عليه وجب أن يحيى أمر النبوة والحق بالولاية بحاله يشيرون بهذا لما وقع بشأن النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على إثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الأولى، قالوا ولما كان أمر الخلافة لقريش حكمًا شرعيًا بالإجماع الذي لا يوهنه إنكار من لا يزاول [861] علمه وجب أن تكون الإمامة في من هو أخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم إما ظاهرًا كبني عبد المطلب وإما باطنًا ممن كان من حقيقة الآلِ والآلُ من إذا حضر لم يغب من هو آله، وابن العربي سماه في كتابه «عنقاء مغرب» من تآليفه خاتم الأولياء

1977، وآخر تحقيق لها قام به سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، وصدر عن دار السويدي بالإمارات في جزئين، 2006. ج2 ص ص 192 ،209.

649 - ابن خلدون، الفصل الثاني والخمسون في أمر الفاطمي، ص. 328.

وكنى عنه بلبنة الفضة إشارة إلى حديث البخاري في باب خاتم النبيين، قال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابْتَنَى بيتًا وأكمله حتى لم يبق منه إلا موضع لبنة فأنا تلك اللبنة،[650] فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حين أكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة كاملة، ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الأولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الأنبياء حائز الرتبة للمرتبة التي هي خاتمة النبوة فكنى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمية بلبنة البيت لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة فضة كناية عن الولي الفاطمي المنتظر، وذلك خاتم الأنبياء وهذا خاتم الأولياء، وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الإمام المنتظر من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون من بعد مضي خ ف ج من الهجرة ورسم حروفه ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل وهو الخاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة والفاء أخت القاف بثمانين والجيم المعجمة بواحدة من أسفل بثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده الناجم من ناحية المغرب، قال وإذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ست وعشرين سنة، قال وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة [862] من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى تمام ألف سنة، قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب «خلع النعلين»، الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار إليه بمحمد المهدي وخاتم الأولياء وليس هو بنبي وإنما هو ولي ابتعثه روحه وحبيبه، قال صلى الله عليه وسلم: العالم في قومه كالنبي في أمته، وقال: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل،[651] ولم تزل البشرى تتابع به من أول اليوم المحمدي إلى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بتباشير المشائخ باقتراب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت إلى هلم جرا.

650 - حديث شريف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث متفق عليه. انظر محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، ط. 2، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ج. 3، ص. 111.

651 - اعتبره الإمام القارئ وكذلك الدميري والزركشي والعسقلاني لا أصل له، انظر: علي بن سلطان الهروي، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية، الجزء الأول، ص. 123.

قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجدد الإسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الأندلس ويصل إلى رومية فيفتحها ويسير إلى المشرق فيفتحه ويفتح القسطنطينية ويصير له ملك الأرض فيتقوى المسلمون ويعلو الإسلام ويظهر دين الحنيفية، فإن من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت، وقال الكندي أيضًا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتتح بها سور القرآن جملة عددها سبع مائة وثلاثة وأربعون وسبعة (...) ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشي الشاة مع الذئب ثم يبقى ملك العجم بعد إسلامهم مع عيسى مائة وستين عامًا عدد حروف المعجم وهي: ق، ي، ن دولة العدل منها أربعون عامًا، قال ابن أبي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي إلا عيسى فمعناه لا مهدي تساوي هدايته ولايته، وقيل لا يتكلم في المهد إلا عيسى وهذا مدفوع بحديث جرير وغيره، وقد جاء في الصحيح[652] أنه قال: «لا يزال هذا الأمر قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثني عشر خليفة»، يعني قرشيًا، وقد أعطى الوجود أن منهم من كان في أول الإسلام ومنهم من سيكون في آخره، وقال الخلافة بعدي ثلاثون [863] أو إحدى وثلاثون أو ست وثلاثون[653]، وانقضاؤها في خلافة الحسن وأول أمر معاوية، فيكون أمر معاوية خلافة أخذًا بأوائل الأسماء فهو سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمر بن عبد العزيز والباقون خمسة من أهل البيت من ذرية علي، يؤيده قوله إنك لذو قرنيها يريد الأمة، أي إنك لخليفة في أولها وذريتك في آخرها، وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالأول هو المشار إليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله،[654] وقد أنفق عمر بن

652 – حديث شريف عن جابر بن سمرة رواه أحمد، انظر الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تذييل شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج. 5، ص. 92.

653 – حديث شريف عن سفينة أخرجه محمد بن أحمد التميمي البستي في صحيحه بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط ط. 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ج. 15، ص. 392.

654 – حديث شريف عن جابر بن سمرة رواه البخاري، انظر أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/3، 1987، الجزء الثالث، ص. 1135.

الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله، والذي يهلك قيصر وينفق كنوزه في سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش،[655] كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث إلى تسع وقيل إلى عشر وجاء ذكر أربعين وفي بعض الروايات سبعين، وأما الأربعون فإنها مدته ومدة الخلفاء الأربعة الباقين من أهله القائمين بأمره من بعده على جميعهم السلام، قال وذكر أصحاب النجوم والقرانات أن مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عامًا فيكون الأمر على هذا جاريًا على الخلافة والعدل أربعين أو سبعين ثم تختلف الأحوال فتكون ملكًا، انتهى كلام ابن أبي واطيل، وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر من اليوم المحمدي حين تمضي ثلاثة أرباعه، قال وذكر الكندي يعقوب بن إسحاق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات أنه إذا وصل القران إلى الثور على رأس ضح بحرفين الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وست مائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الأرض ما شاء الله تعالى، قال وقد ورد في الحديث أن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق [864] ينزل بين مهروتين يعني حلتين مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعًا كفيه على أجنحة الملكين له لمة كأنما خرج من ديماس إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه، وفي حديث آخر مربوع الخلق وإلى البياض والحمرة، وفي آخر أنه يتزوج في الغرب والغرب دلو البادية يريد أن يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد أربعين عامًا، وجاء أن عيسى يموت بالمدينة ويدفن إلى جانب عمر بن الخطاب، وجاء أن أبا بكر وعمر يحشران بين نبيين، قال ابن أبي واطيل، والشيعة تقول إنه هو المسيح مسيح المسائح من آل محمد، قال العلامة ابن خلدون[656] وعليه حمل بعض المتصوفة حديث لا مهدي إلا عيسى أي لا يكون مهدي إلا المهدي الذي نسبته إلى الشريعة المحمدية نسبة عيسى إلى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم النسخ إلى كلام من أمثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واهية وتحكمات مختلفة فينقضي الزمان ولا أثر لشيء من ذلك

655 – حديث شريف عن عبد الله بن بشر الخثعمي، إسناده ضعيف لجهالة عبد الله بن بشر الخثعمي، وانفرد بالرواية عنه الوليد بن مغيرة المعافري، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حيان، انظر الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج. 4، ص. 335.

656 – ابن خلدون، المقدمة، الفصل الثاني والخمسون، في أمر الفاطمي وما يذهب الناس في شانه وكشف الغطاء عنه، ص ص. 325-337.

فيرجعون إلى تجديد رأي آخر منتحل كما تراه من مفهومات لغوية وأشياء تخييلية وأحكام نجومية، في هذا انقضت أعمار الأول منهم والآخر، انتهى المراد من مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون رضي الله عنه، قلت قوله فيما مر نزول عيسى يكون وقت صلاة العصر من اليوم المحمدي حين تمضي ثلاثة أرباعه، هـ، ثلاثة أرباع الآلف سبعمائة وخمسون سنة، والله تعالى أعلم.[657] وفي الرحلة العياشية: ومن المشاهد التي هي قريبة من البقيع إلا أنها ليست فيه مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق والذي كان نزولنا فيه حسبما ذكرناه أولاً وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب وهو ركن سور المدينة هناك وبني قبل السور فصار بابه من داخل المدينة، والمشهد الذي بجانب المشهد لزين العابدين وعرصة المشهد [865] داره والبئر الذي بين الباب الأول والمشهد بئره، وقد ذكر أنه يتداوى بها، قال العلامة العياشي صاحب الرحلة وهناك بئر أخرى في الرحبة الواسعة التي هي خارج المشهد يقال إنها هي التي يستشفى بمائها، إلى أن ذكر الطائفة الإسماعيلية (...)، إلى أن قال ولما خرجت الطائفة المذكورة من المشهد وجاؤوا إلى البئر الخارجة وقفوا عليها وترحموا ودعوا وقال لهم كبيرهم إن هذه البئر هي التي دخل فيها الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه فغاب عن أعين الناس إلى الآن وهم يظنون أنه قد مات أو كلام هذا معناه وقضينا العجب من اعتقادهم في آل البيت الذي آل بهم إلى تنزيههم عن الموت وذلك معتقدهم بأجمعهم في الإمام الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن حسن العسكري رضي الله عنه يعتقدون أنه إلى الآن حي وأنه هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان الموعود به في الحديث الصحيح أنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، قال العلامة الشيخ أبو سالم سيدي عبد الله العياشي[658] رضي الله عنه والعجب كل العجب من متابعة بعض أهل التصوف في ذلك لهم حسبما نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني عن بعض مشائخه وأنه اجتمع به وأخبره بمقدار عمره وأنه جاوز السبعمائة سنة إذ ذاك، بل في كلام بعضهم ما يشير إلى أن الشيخ محيي الدين

657 - تعليق المؤلف: قلت هذه إفادة استطرادية وهي أن في «السيرة الحلبية» وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الأحاديث والآثار على أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلاً وإنما تزيد بنحو أربعمائة سنة القريبة، وما اشتهر على السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره أكثر من ألف سنة باطل لا أصل له، هذا كلامه، وقوله ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة (...) ما أخرجه أبو داوود لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم يعني خمسمائة سنة، انتهى المراد هنا من «السيرة الحلبية».

658 - العياشي، الرحلة، ج1، ص 381.

يقول بذلك ولولا الإطالة لنقلت كلامهم في ذلك، والعلم عند الله، فإن صح عن هؤلاء الأئمة أنهم قالوا ذلك فنحن ممن يعتقدهم ويجزم بصدقهم فيما يقولون لأنهم خيار الأمة إلا أننا نكل العلم إلى الله تعالى في فهم ما ورد عنهم في ذلك، إلى آخر كلام العياشي رضي الله عنه، وفي الرحلة العياشية أيضًا وممن لقيته بالمدينة المنورة ممن ينتمي إلى الصلاح وسلوك طريق الإرادة الشيخ موز الشامي الدمشقي، إلى أن قال وأعارني كتاب «عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» للشيخ محيي الدين بن العربي، وما رأيته [866] قبل ولا بعد عنده، والذي يظهر من كلامه أن الخَتْمَ الحقيقي والمهدي المنتظر هو نبي الله عيسى عليه السلام، واستدل على ذلك وعلى أوصافه وزمنه بآيات قرآنية لا يهتدي إلى فهم ذلك منها إلا هو وأمثاله، انتهى المراد منه. وقيل إن المهدي قد مضى زمنه وانقضى أمره ومنهم من قالوا إنه من ولد العباس وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي بن عبد الله المنصور بناء على أن الأحاديث المذكورة فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أحسن خلفاء بني العباس وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، ومنهم من قالوا إن المهدي هو محمد بن الحنفية، ومنهم من قالوا إن المهدي هو عمر بن عبد العزيز ومن القائلين بذلك ابن سيرين وكان إذا سئل عن الطِّلا قال نهى عنها الإمام المهدي يعني عمر بن عبد العزيز، وقال حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم في البادية في خلافة عمر بن عبد العزيز فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها فقال الراعي إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس، وقال مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن شياهنا فقيل لهم وما علمكم بذلك فقالوا إذا قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن الشياه، وكانت الشياه والذئاب ترعى في مكان واحد فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقالوا ما نرى الرجل الصالح إلا هلك وكان ذلك في زمان موته فلما بلغهم خبر موته بعد نحو شهر حسبوا ذلك فوجدوا موته في تلك الليلة، ومنهم من قالوا إن المهدي هو محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه هو المهدي المنتظر، انتهى.[659]

659 - تعليق المؤلف: قلت ولعل الحق مع القائلين بانقضاء أمر المهدي ومضي زمانه وإذا كان كذلك فلم يبق إلا ظهور عيسى عليه السلام، والله تعالى أعلم.

519 - نهاية الكتاب والعناوين المقترحة له

انتهى وبانتهائه ينتهي هذا التاريخ [867] المسمى باسمين بل بثلاثة أسماء: الأول «زهور البساتين في تاريخ السوادين»، والثاني «انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور»، والثالث «إحياء ما عفى واندرس من علوم تاريخ السودان وانطمس».[660] وكان الفراغ منه ضحوة يوم الإثنين الثامن عشر من ربيع الثاني في عام 1343 من الهجرة وهو اليوم السابع عشر من نونبر الإفرنجي في عام 1924 من الميلاد.[661] سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي، اللهم إن ذنوبي عظمت وجلت على الحصر وإنها لصغيرة في جنب عفوك فاعف عني، اللهم إن كل من له علينا حق أو على والدينا فاغفر له ولوالديه، اللهم إن لي ذنوبًا فيما بيني وبينك وذنوبًا فيما بيني وبين خلقك فتحمله عني وأغنني بفضلك إنك واسع المغفرة، ويا قديم الإحسان يا دائم الخير يا كثير المعروف نجنا في الدارين من الفضيحة والعار ونجنا من الكفر ومن دخول النار، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتسليما كثيرًا والحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

****

660 - انظر تقديم الكتاب والتعريف به.

661 - عام 1924 م يوافق 1343 هـ.

الملاحق

ملحق 1

المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- إبراهيم، عبدالله عبدالرزاق، الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا، القاهرة، 1983.
- إبراهيم، عبدالله عبدالرزاق، موقف مملكة الأمانتي من التوسع البريطاني في غانا في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 35، سنة 1988، ص ص. 153–200.
- إبراهيم، محمد عبدالفتاح، إفريقية من نهر السنگال إلى نهر جوبا، صفحات من التاريخ الإفريقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1961.
- ابن الأثير، عز الدين أبوالحسن علي بن محمد الشيباني (ت. 630 هـ/1232)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. (5 ج.).
- ابن الأعمش محمد المختار، نوازل ابن الأعمش، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 5742.
- ابن الطاهر، عبدالهادي الحسيني، فلك السعادة الدائرة بفضل الجهاد والشهادة، مخطوط، دار الوثائق، د. و.، الرباط 3992.
- ابن المؤقت، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مخطوط، دار الكتب العامة، القاهرة (ميكروفيلم رقم 2555).
- ابن بطوطة، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت. 779 هـ/1377 م)، تحفة النظار في غرائب الأسفار، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997 (4 ج.).
- ابن حجر، الإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (ت. 852 هـ/1448 م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- ابن خلدون، أبوزكريا يحيى (ت. 786 هـ/1385 م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبدالواد، تقديم وتحقيق عبدالحميد حاجيات، الجزء الأول، منشورات المكتبة الوطنية بالجزائر، الجزائر، 1980.
- ابن خلدون، أبوزيد عبدالرحمن، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، ط. 2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1988.
- ابن عبّاد النفزي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم الرّندي (ت. 792 هـ/1389 م)، غيث المواهب في شرح الحكم العطائية، وضع الحواشي خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن عبدالبر أبوعمر يوسف النميري القرطبي (ت. 463 هـ/1070 م)، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم، نشر مكتبة القدس لحسام الدين القدسي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 هـ/1931 م.
- ابن فودي، عثمان بن محمد، تنبيه الإخوان عن أحوال أرض السودان، مخطوط، معهد البحوث في العلوم الإنسانية بنيامي، النيجر، رقم 265.
- ابن فودي، محمد بللو بن عثمان، اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996.
- أبوالأعراف التكني، أحمد (ت. 1366 هـ/1955)، إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط.
- أبوشعيشع، مصطفى علي بسيوني، برنو في عهد الأسرة الكانمية، دار العلوم للطباعة والنشر، 1984.
- الإدريسي، أبوعبدالله محمد الشريف (ت. 560 هـ/1166 م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- الأرواني، أحمد بابير (ت. 1411 هـ/1990)، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي، تقديم عبدالحميد الهرامة، دار الكتب الوطنية، بني غازي، 2001.

- الأرواني، أحمد بابير (ت. 1411 هـ/1990)، جواهر الحسان في أخبار السودان، ليعوض به جواهر الحسان للسعدي، مخطوط معهد البحوث في العلوم الإنسانية بنيامي، النيجر، رقم 106.
- الأرواني، محمد محمود ولد الشيخ، الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تنبكت وشنقيط وأروان، مخطوط، مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية، تنبكت، مالي، رقم 762.
- الألوري، آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، دار عبدالحميد أحمد حنفي، القاهرة، 1370.
- الألوري، آدم عبدالله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، 1965.
- أوليفر، رولاند ، موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولة أحمد صادق، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965.
- أوليفر، رولاند، و فيج، جون، تاريخ إفريقية، ترجمة عقيلة محمود رمضان، سلسلة الشرق والغرب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.
- باه، محمد سعيد، زهور البساتين «المحيط والمؤلف والكتاب»، رسالة سجل فيها معلومات عن بيئة موسى كامره العلمية، داكار، 5 سبتمبر 2007 (عمل غير منشور).
- البستاني، المعلم بطرس (ت. 1305 هـ/1887 م)، قطر المحيط، جزءان، بيروت، 1867، وهو تلخيص لقاموسه الكبير «محيط المحيط». أنظر: محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط. 1993.
- البكري، أبوعبيد الله بن عبدالعزيز (ت. 487 هـ/1094 م)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1992 (2ج.).
- بلّ (بلو)، محمد عثمان بن محمد بن عثمان (1196-1253 هـ/1781-1837 م)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، منشورات دائرة الوثائق والمكتبات، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1964. وهو مخطوط، دار الوثائق، الرباط، رقم 2384 ك.

- بن تركية، عبدالحكيم، التوسع الاستعماري الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري توري (1854-1914)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1997.
- بن فوديو، عثمان، إحياء السنة وإخماد البدعة، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس (رقم 5543) (18 ورقة).
- بوعزيز، يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2001.
- تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المشرف ج. ت. فياني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988.
- تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية: 1880-1935)، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو/أديغرا، المشرف أ. أدوبراهن.
- التجاني، بن الشيخ الهادي بن سيدي ملود فال، طوالع السعود في حياة ومناقب غلام التجاني أبي السعود، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب الأقصى، 2008.
- الترمانيني، عبدالسلام، أزمنة التاريخ الإسلامي (أهم أحداث التاريخ الإسلامي مع ترجمة لأشهر الأعلام)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982 (الجزء الأول، المجلد الثاني).
- التنبكتي، أحمد بابا أبوالعباس أحمد بن أحمد التكروري الصنهاجي (ت. 1036 هـ؟/1627 م؟)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق ونشر عبدالحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
- التنبكتي، أحمد بابا أبوالعباس أحمد بن أحمد التكروري الصنهاجي التنبكتي، معراج الصعود إلى حكم مجلوب السود، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس (رقم 5295).
- التنبكتي، أحمد بابا أبوالعباس أحمد بن أحمد التكروري الصنهاجي، كتابة المحتاج.

- التنبكتي، أحمد بابا، اللمع في الإشارة إلى حكم طبع، مخطوط، مكتبة تمكروت بسوس، رقم 2999.
- التنبكتي، أحمد بابا، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، مخطوط، د. و.، الرباط، 2/641.
- التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 2000، 2 ج.
- التيجاني، محمد الحافظ، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية، الزاوية التجانية بمصر، 1383.
- جاجوا، حسين، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر (1849-1864)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.
- الجمل، شوقي عطا الله، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، 1980.
- الجيلالي، إبراهيم، تنبيه الصغير من الوِلْدان إلى ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان، مخطوط، خ/عامة، الرباط، ك 571.
- حسن محمد، نبيلة، في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.
- الحلبي، الإمام علي بن برهان الدين الشافعي (ت. 1044 هـ/1624 م)، من إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت. (3 ج.).
- حوتيه ، محمد، قبيلة كنته بين إقليمي توات والأزواد من خلال الوثائق المحلية (ق. 18-19م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.
- الخانجي، محمد أمين الحلبي الكتبي، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، مصر، 1324 هـ/1906 م.
- دحلان، أحمد بن زيني، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1968 (2 ج.).

- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت. 808 هـ/1405 م)، حياة الحيوان الكبرى، دار الألباب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - دمشق، د.ت.
- دندش، عصمت عبداللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- دو بلانهول، كزافييه، تاريخ أرض الإسلام: الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، ترجمة معاوية سعيدوني، تقديم ومراجعة ناصر الدين سعيدوني، تونس - بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص ص. 349-389.
- دي فيج، جي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- ذهبي، إلهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988.
- رياض، زاهر، تاريخ غانا الحديث، القاهرة، 1961.
- زبادية، عبدالقادر، مملكة سنغاي في عهد الإسيقيس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
- زكي، عبدالرحمن، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، سلسلة ألف كتاب (284)، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1961.
- الزياتي، عبدالعزيز، الجواهر المختارة، مخطوط، د. و.، الرباط، 274.
- زيادة، نقولا، إفريقيات، دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، الرياض - لندن، 1991.
- السعدي، عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر (ت. بعد 1066 هـ/1656)، تاريخ السودان، منشورات المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، بعناية هوداس وبنيه، باريس، 1898، طبعة باريس، 1898، طبعات مصورة أخرى صدرت عن أدريان ميزونوف، باريس، 1946، 1964 و1981.

- سعيدوني، ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- السلاوي، أحمد بن خالد الناصري (ت. 1250 هـ/1897 م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ونشر جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954-1956 (9 أجزاء).
- السويكت، محمد فهد، مواقف بعض العلماء المغاربة من آراء المغيلي في نازلة بناء بيعة لليهود بتوات، مجلة العصور، المجلد الثالث عشر، الجزء الثاني، يوليو 2003، ص ص. 107-125.
- سيدي أحمد، بن أبي علي (ابن أبي علي سيدي أحمد)، الأصليت الخريت منجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور، دار الوثائق، الرباط، رقم 330 ق.
- سكيرج، أحمد بن الحاج، كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب، ط. حجرية، فاس.
- السيوطي، جلال الدين أبوالفضل عبدالرحمن بن الكمال (ت. 911 هـ/1505)، رسالة إلى ملك التكرور، مخطوط، دار الكتب العامة، القاهرة (رقم 416، مجاميع ميكروفيلم رقم 4579).
- السيوطي، جلال الدين أبوالفضل عبدالرحمن بن الكمال (ت. 911 هـ/1505)، بدائع الزهور ووقائع الدهور، مخطوط المكتبة الوطنية، باريس، رقم 1552.
- السيوطي، جلال الدين أبوالفضل عبدالرحمن بن الكمال (ت. 911 هـ/1505)، الكنز المدفون والفلك المشحون المعروف بالكشكول، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
- شبيكة، مكي، مملكة الفونج الإسلامية، القاهرة، 1964.
- الشرقاوي، عبدالله، تحفة الناظر فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، كتبت على هامش كتاب أحمد عبدالمعطي الدسماتي، المطبعة الأزهرية المصرية، 1311هـ/1893 م.

- الشرقاوي، محمد، رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدًا وتخطيطًا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، إخراج بعناية فؤاد السيد، ط. 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002.
- الشيخلي، صباح إبراهيم، تاريخ الإسلام في إفريقيا، منشورات كلية الآداب، جامعة بغداد، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1989.
- الطالب، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (ت. 1219 هـ/1808 م)، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- طرخان، إبراهيم، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- طرخان، إبراهيم، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970.
- طرخان، إبراهيم، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- عبدالظاهر، حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفولاني، الزهراء للإعلام العربي، 1991.
- عبدالله بن علي الطاهر، لباب مراقي الجنة مما ورد في الجهاد والسنة، مخطوط، د. و.، الرباط، 3993.
- الغزالي، الإمام أبوحامد محمد بن محمد (ت. 505 هـ)، إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لشريف الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين البغدادي (ت. 806 هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. (المجلد الثاني).
- الغنيمي، عبدالفتاح مقلد، حركة المد الإسلامي في غربي إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.

- فضل الله، يوسف، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 1985.
- الفوتي، الشيخ عمر، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، دار الفكر، بيروت، 1963.
- قداح، نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق، 1963.
- القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1983، 5 ج.
- كامره، موسى، أطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، المعهد الأساسي لإفريقيا الغربية، داكار، مخطوط رقم 9 (97 ورقة).
- كاني، أحمد محمد، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، القاهرة، 1986.
- كعت، محمود بن الحاج المتوكل الكاتي التنبوكتي (ت. 1002 هـ/1593)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر النص العربي والترجمة الفرنسية، أو. هوداس ودولافوس، باريس، 1913 (ط. 2 مصورة، 1964، ط. 3 مصورة 1985).
- مادهوبانيكار، ك. ، الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد بلبع، ط. 2، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1997.
- ماكيفيدي، كولين، أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- مجهول، تاريخ الزنوج، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر (رقم 6796).
- مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، وضعه بتكليف من الباشا أبوبكر لتكملة تاريخ السعدي، فرغ من تأليفه في 19 يوليه 1751 (1165 هـ) (يتناول تاريخ باشوات السودان وأعمالهم وحروبهم وأحداث متفرقة)، تحقيق ونشر هوداس، دار نشر ميرانوفي، 1899، وأعيد تصويرها سنة 1901.

- محبو، محمد الحسن، بيان ما وقع، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس (رقم 5314) (29 ورقة).
- محمد، محمد عوض، الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965.
- محمود، عبدالقادر، الفكر الصوفي في السودان، القاهرة، 1968.
- مراد، عدنان، المجتمعات الإفريقية: أصولها، تاريخها وشعوبها وثقافتها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.
- المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين (ت. 346 هـ/957 م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه عبدالأمير علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991 (4ج.).
- مصطفى، شاكر، الدليل في التاريخ العربي الإسلامي، مؤسسة التقدم العلمي، الكويت، 1987، ج. 2.
- مطير، سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي – الإفريقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005.
- المغربي، محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد، 1982، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982.
- المغيلي، عبدالكريم (ت. 909 هـ/1505 م)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- المقدسي، أبوعبدالله محمد بن أحمد البشاري (ت. 378 هـ/1988 م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987.
- موسى، عز الدين عمر، دراسات إسلامية، غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- ميارة، محمد، نصيحة المغترين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين (دار الوثائق)، د. و.، الرباط، 923 ك ورقم 7248.

- النحوي، الخليل، بلاد شنقيط: المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- هلال، عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الموسوعة التاريخية للشباب، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 1988.
- الوزان، الحسن (ت. 944 هـ/1537 م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 (2 ج.).
- الوطواط، أبوإسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، طبعة بولاق، مصر، 1284، والمطبعة الشرقية، 1299.
- الولاتي، محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب (ت. 1330 هـ/1911)، فتح الودود على مراقي السعود، تصحيح ومراجعة بابا محمد عبدالله محمد يحيى الولاتي، عالم الكتب للطباعة والتجليد، الرياض، 1992.
- ولد السعد، محمد المختار، الفتاوى والتاريخ، دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت. 627 هـ/1229 م)، معجم البلدان.
- اليدالي، الشيخ محمد، شيم الزوايا، أمر الولي ناصر الدين، رسالة النصيحة (نصوص من التاريخ الموريتاني)، تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه، منشورات المؤسسة الوطنية بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1990.

****

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Baba Kaké, Ibrahim, Mémoire de l'Afrique, Les villes historiques, A.B.C., Paris, 1976.
- Bara Diof, Abdoulay, Société Toucouleur et migrations, Dakar, Institut français d'Afrique noire, 1965.
- Barth, Henri, Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale, A. Lacroix, Bruxelles, 1861.
- Biarnès, Pierre, Les Français en Afrique noire de Richelieu à Mitterrand, A. Colin, Paris, 19...
- Boilat, David, Esquisses sénégalaises, Paris, Karthala, 1948.
- Bouchi, Denise, Histoire de la colonisation française, Tome second, Flux et reflux (1815-1962), Fayard, Paris, 1991.
- Caillé, René, Voyage à Tombouctou, Éditions La Découverte, Paris, 1985, 2 vols.
- Carrer, P. & Halle, P., De la Sengobie française, Didot, Paris, 1855.
- Clark, West Africa and Islam, London, 1982.
- Cornevin, R. & M., Histoire de l'Afrique des origines à la 2ème guerre mondiale, Payot, Paris, 1974.
- Deschamps, Hubert, Peuples et nations d'Outre-mer, Paris, Presses universitaires de France, 1954
- Desjeux, Catherine & Bernard, Sénégal, Guide Évasion, Hachette, 2008.
- Diagne, Pouvoir politique en Afrique occidentale, Paris, Présence africaine, 1967.
- Fag, An Introduction to the History of West Africa.
- Faidherbe, Léon, La France dans l'Afrique occidentale, Hachette, Paris, 1889.
- Gallieni, J., Les deux campagnes au Soudan français,(1886 - 1888) Hachette, Paris, 1891.

- Gallieni, J., Voyage au Soudan français (1879-1881), Hachette, Paris, 1885.
- Gann, L. H., Colonization in Africa (1870-1960), Cambridge, 1969.
- Gatelet (Lieutenant), Histoire de la conquête du Soudan français (1878-1899), Berger-Levrault et Cie., Paris-Nancy, 1901.
- Hecquard, Hyacinthe, Voyage sur la côte et dans l'intérieur de l'Afrique occidentale, Paris, Larose, 1855.
- Ki-Zerbo, Joseph, Histoire de l'Afrique noire d'hier à demain, Paris, 1972.
- Mage (M.), Voyage au Soudan occidental (1863-1866), Hachette, Paris, 1868.
- Monteil, Vincent, L'Islam noir, une religion à la conquête de l'Afrique, Collection Esprit, Seuil, Paris, 1980.
- Moulard, Richard, Afrique occidentale française, Paris, Berger-Levrault, 1971.
- Oliver, Roland & Atmore, Anthony, Africa since 1800, Third Edition, Cambridge University Press, London, 1981.
- Saint-Martin, Yves, L'empire Toucouleur et la France (1846-1883), Revue d'Histoire, Dakar, 1967.
- Tyam, Mohamed Aloui, La vie d'El-Hadj Omar, Traduit par Henri Gaden, Institut d'Ethnologie, Paris, 1935.
- Urvoy, Capitaine Y., Histoire de l'Empire du Bernou, Paris, 1949.
- Urvoy, Capitaine Y., Histoire des populations du Soudan central (colonie Niger), Paris, 1936.

****

ملحق 2

قائمة بالأحداث التاريخية في غرب إفريقيا (السودان الغربي) من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري (القرن السابع إلى القرن العشرين الميلادي)

- 669 (49 هـ): عقبة بن نافع يصل في فتوحه إلى منطقة فزان.
- 690 (71 هـ): أسرة «زا» تؤسس دولة وتتخذ عاصمة لها مدينة غاو (تأسست حوالي 600 م).
- 700 (81 هـ): ظهور قوة صنهاجة بزعامة قبيلة لمتونة، وتمكنها من الاستيلاء على عاصمة غانة «كومبي صالح».
- 734 (116 هـ): قبائل صنهاجة الملثمين تغزو مملكة غانة (تأسست حوالي 300 م).
- 750 (133 هـ): تأسيس مملكة واغادوغو.
- 780 (164 هـ): قيمغ يؤسس إمبراطورية السوننكي في غانة.
- 800 (184 هـ): سيطرة صنهاجة الملثمين على مناجم الملح بتغازي، وهم من البربر البدو.
- 836 (222 هـ): وفاة تين ياروتان.
- 890 (277 هـ): لمتة تأسر محمد كاغ.
- 930 (318 هـ): غزو لمتونة لمملكة غانة ونجاحهم في نشر الإسلام بها.
- 961 (350 هـ): غاو تفرض سيطرتها على أودغست.
- قبل 990 (380 هـ): الجغرافي المصري المهلبي يذكر أن ملك كاوكاو (غاو، مالي) مسلم.
- 990 (380 هـ): حكام غانة يتوسعون في مناطق لمتونة، ويفرضون سيطرتهم من جديد على أودغشت.

- حوالي القرن 11 م (القرن 5 هـ): ظهور مملكة الكانم (تشاد) التي استمر حكمها إلى 1570 م (987 هـ).
- 1008–1009 (399–400 هـ): الملك زا كوسوي (زاكس) من أسرة زا وهو أول ملوك السنغاي يعتنق الإسلام ويلقب بمسلم دام.
- 1038–1039 (430 هـ): زعيم قبيلة صنهاجة البربرية يعود إلى موطنه بالصحراء الغربية موريتانيا بعد حجه مصطحبًا معه الداعية السني عبدالله بن ياسين الذي ينتسب إلى منطقة السوس بالمغرب الأقصى، ويتبنى فكرة نشر الإسلام ويؤسس رباطًا للجهاد.
- 1040–1041 (432 هـ): وفاة وار ديابي بن رابيس أول ملك مسلم لبلاد التكرور (وسط حوض السنغال).
- 1042–1043 (434 هـ): جماعة المرابطين من أجل الجهاد تؤسس بإحدى الجزر على ساحل السنگال مركزًا للجهاد بزعامة عبدالله بن ياسين الذي يعمل على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية القاطنة في الجنوب بمناطق الغابات الاستوائية.
- 1044 (435 هـ): تأسيس مدينة دينيه أو جني التي أصبحت مركزًا علميًا وتجاريًا بالسودان الغربي.
- 1054–1055 (446 هـ): المرابطون يستولون على مدينة أودغشت إحدى محطات التجارة العابرة للصحراء.
- 1056 (447 هـ): غزو عبدالله بن ياسين لمنطقة السوس وتوسعه في جنوب المغرب الأقصى.
- 1058–1059 (450 هـ) أو 1059–1060 (451 هـ): استشهاد الداعية المجاهد عبدالله بن ياسين في حربه ضد برغواطة بالمغرب الأقصى.
- 1061–1062 (453 هـ) أو 1064–1065 (457 هـ): أبوبكر بن عمر زعيم المرابطين يوكل الزعامة لابن عمه يوسف بن تاشفين في المناطق الشمالية، ويتفرغ للجهاد في مناطق الصحراء والسودان الغربي، وينجح في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية.
- حوالي 1075–1088 أو 1085–1097 (468–481 هـ أو 478–490 هـ): حكم هوماي (حومي جيلمة) أول ملوك كانم (تشاد) المسلمين، ومؤسس الأسرة السيفية التي دامت ألف عام وهو أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم.

- 1076–1077 (470 هـ) أو على الأرجح 1102–1103 (496 هـ): تحول مملكة غانة إلى الإسلام. وإن كانت بعض الأبحاث التاريخية ترجع غزو المرابطين للمدينة إلى 1076 (470 هـ).
- 1085 (478 هـ): اعتناق دونمه بن أوم للإسلام.
- 1087 (480 هـ): وفاة أبي بكر بن عمر اللمتوني في إحدى غزواته للسودان.
- بداية القرن 12 (بداية القرن 6 هـ): عشائر من التوارق تؤسس تومبوكتو مكان المعسكر الذي كانت تقضي فيه الصيف.
- 1098–1150 (492–546 هـ): دونما دبلمة (ابن مؤسس الدولة السيفية الإسلامية في كانم يوسع مملكته من النيل الأوسط حتى فزان، ويحج مرتين، وتوافيه المنية غرقًا في الحجة الثالثة عند خليج السويس.
- 1100–1264 (494–663 هـ): شواهد قبور تعود إلى تلك الفترة تحمل أسماء إسلامية في غاو – ساني (مالي)، مما يدل على تحول أسرة حاكمة في غاو أو في نواحيها عن الوثنية وأعتناقها الإسلام.
- 1120 (514 هـ): انتشار الإسلام في حوض النيجر وتوغله داخل السودان الغربي في اتجاه الغابات الاستوائية.
- منتصف القرن 12 (القرن 6 هـ): أسرة كيتا تتولى الحكم في مالي ومن ملوكها المعروفين: موسي دبجيو ألاكوي (1200–1218/597–615 هـ)، وناري فانغان بن آلاكوي (1218–1230/615–628 هـ)، على أن المؤسس الحقيقي للدولة هو ماري جاطا أحد أبناء ناري فانغان الاثني عشر الذين تولوا الحكم بعد أبيهم.
- النصف الأول من القرن 13 (القرن 7 هـ): مملكة غانة المسلمة تخضع لمجموعات سوسو الوثنية التي تسكن المناطق الجنوبية. وبعد مدة يتمكن مؤسس مملكة مالي (سونجاتا كيتا) من هزيمة مجموعات الصوصو، ويؤسس دولة خاصة به.
- حوالي 1200 (597 هـ): ملك جني كنبرو يعلن إسلامه، ويهدم قصره ويشيد مكانه مسجدًا، ويتبعه في ذلك سكان مملكته.
- 1200 (597 هـ): كيتا آلاكوي يؤسس مملكة الماندي.

- 1200 (597 هـ): ناجوشي ساركن كانو يفرض ضريبة الأرض على الفلاحين الخاضعين له.
- 1203 (600 هـ): غزو شعب الصوصو لمملكة غانة.
- 1210–1248 (607–646 هـ): محمد بن جيل المعروف في الروايات باسمه الإفريقي دونما ديابالي (نسبة إلى أمه ديابالي) يعرِّف أثناء حجه ببلاد كانم (تشاد)، ويعمل جاهدًا على نشر الإسلام في مملكته.
- 1230–1255 (628–653 هـ): ماري جاطا يحكم مالي ويؤسس سلالة كيتا التي حكمت مالي حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.
- 1234 (632 هـ): انتصار سندياتا (ماري جاطا) في موقعة كيري.
- حوالي 1242 (640 هـ): محمد بن جيل يوقف في القاهرة دارًا لفائدة حجاج كانم.
- 1250 (648 هـ): تأسيس مدينة غاو التي سوف تغدو مركز علم ومحطة التجارة العابرة للصحراء.
- 1257 (655 هـ): السلطان كادي بن (خليفة دونما) يرسل سفارة للأمير الحفصي في تونس، ومن بين هداياه زرافة.
- بعد 1260 (659 هـ): حج أولي ابن وخليفة سونجاتا على رأس مملكة مالي.
- 1279 (678 هـ): انتقال الخلافة إلى كانم.
- حوالي 1300 (700 هـ): حج ساكورا المحارب الملك (منسا) سادس حكام دولة مالي، ويتوفى في طريق العودة، وقد كان قبل توليه حكم مالي عبدًا.
- 1307–1331 (707–732 هـ): حكم منسا موسى (أو كنكان موسى) لدولة مالي.
- 1307 (707 هـ): ظهور قوة الكوارارافا.
- 1324 (725 هـ): منسا موسى يحج ويتوقف بالقاهرة، ويعرِّف خلال رحلة الحج بأوضاع مملكة مالي.
- 1333 (733 هـ): شعب الموسي ينهب تومبوكتو.

- 1335 (735 هـ): هرب علي كولن.
- 1353 (753–754 هـ): ابن بطوطة يعبر الصحراء ويصف ازدهار تومبوكتو التي كانت ضمن مملكة مالي.
- 1380 (782 هـ): اعتناق محمد كوراني حاكم كاتسينا للإسلام.
- 1382 (784 هـ): الأسرة السيفوية (السيفية) التي حكمت دولة كانم تتحول من بلاد كانم إلى الضفة الأخرى من بحيرة تشاد بفعل ضغط العرب وأسرة بولالة الحاكمة، وبذلك ينتهي حكمها في كانم ليبدأ في برنو.
- حوالي 1385 (787 هـ): أوائل الدعاة المسلمين القادمين من السنغاي أو مالي والمعروفين بالوانغاراوا يعملون على نشر الإسلام في بلاد الهوسا، وكان ياجي دان تساميا ملك (ساركي) كانو أول المعتنقين للإسلام في تلك المناطق.
- 1391–1392 (794–795 هـ): عثمان بر ملك كانم (1389–1421/791–825 هـ) يرسل رسالة إلى السلطان المملوكي في مصر برقوق، يعرف نفسه فيها بأنه سيف الإسلام في بلده ويشتكي من اعتداءات الأعراب على أطراف دولته.
- نهاية القرن 14 (بداية القرن 9 هـ): تحول أعراب مصر نحو الجنوب بسبب ضغط المماليك عليهم ووصولهم إلى حوض بحيرة تشاد.
- حوالي 1400 (803 هـ): تراجع النفوذ المالي في الجهات الساحلية.
- 1402 (805 هـ): غزو بتنكور لجزر الكناري.
- 1415–1487 (818–893 هـ): البرتغاليون يبدأون في استكشاف السواحل الغربية لإفريقيا.
- 1431 (835 هـ): غزو قبائل التوارق لمحطات الصحراء: أروان وولاتة وتومبوكتو، وتبسط سيطرتها على الطرق الرابطة بين بلاد المغرب وأقاليم السودان.
- 1432 (836 هـ): محمد بن دلانو زعيم البولالة يتصدى لمملكة الكانم ويتمكن من القضاء عليها، فتنقسم بعد ذلك إلى سبع دويلات صغيرة تعاقب على حكمها ملوك ضعاف، قبل أن ينتهي حكم كانم وتظهر مملكة برنو (1472/876 هـ).

- 1450 (854 هـ): غزو الكورارافا لبرنو وبلاد الهوسا وتوسعهم في أقاليمها.
- حوالي 1450–1497 (854–903 هـ): حكم محمد رومفا ساركي (ملك) كانو مؤسس مجد المدينة، وهو أول من اتبع سياسة أسلمة شاملة في مملكته، وقد أثر فيه المصلح المغيلي التلمساني (1493/899 هـ) الذي استضافه في بلاطه واستمع إلى نصائحه.
- 1465–1497 (870–903 هـ): حكم ماي (سلطان) علي غاجي بن دونما، وهو الذي عزز الحكم الملكي في برنو، واتخذ من نغازارغامو قرب بحيرة تشاد عاصمة له. وقد حج سنة 1484/889 هـ، وحصل على حق التولية على السودان من الخليفة العباسي المتوكل الذي كان بدوره تحت إشراف المماليك بمصر، بعد انتهاء الخلافة العباسية ببغداد (657هـ/1258م).
- 1464 أو 1465–1492 (869–898 هـ): حكم صوني علي الذي وصفه علماء تومبوكتو الناقمين منه لقسوته بالطاغية الفاسق المارق عن مبادئ الإسلام.
- 1469 (874 هـ): صوني علي يحتل تومبوكتو ويضطهد أرستقراطيتها الدينية التي اتهمها بالتحالف مع أعدائه التوارق.
- 1470 (875 هـ): نهب شعب الموسي لولاتة وتوسعه في مناطق الصحراء المتاخمة لبلاد السودان.
- 1471 (876 هـ): وصول جوان دي سنتريم المستكشف.
- 1472–1905 م (876–1323 هـ): بداية حكم مملكة برنو التي خلفت مملكة الكانم بتولي علي جاجي ديني (غازي) ابن أحمد دنمة الحكم، ويشبه عهده من حيث الازدهار والقوة بعهد الأسقيا الكبير في السنغاي.
- 1480 (885 هـ): بعثة برتغالية تصل إلى مالي.
- 1490 (896 هـ): تولي إيوياري الكبير للسلطة في مملكة البنين.
- 1493 (899 هـ): وفاة صوني علي، وتمكن محمد توري من عزل ابنه وخلافته صوني بارو وتولي الحكم، وقد عرف محمد توري بالتزامه بأحكام الشريعة الإسلامية، كما يعتبر مؤسس حكم أسرة الأسقيا التي تولت حكم إمبراطورية السنغاي (غاو) لقرن كامل.

- 1493–1528 (899–935 هـ): حكم الأسقيا محمد توري (الأسقيا محمد الكبير بن أبي بكر) الذي عرف بالصلاح وتشجيع العلم، وفي عهده بلغت «جامعة سانكوري» في تومبوكتو أوج عطائها العلمي.

- حوالي 1493–1500 (899/906 هـ): رحلة الداعية المصلح الجزائري محمد بن عبدالكريم المغيلي إلى الجهات الشمالية للنيجر ونيجيريا ومالي، وإقامته مدة بمدينتي كانو وكتسينا. وكان قد وصل إلى غاو بعد وقت قصير من استيلاء الأسقيا محمد توري على الحكم وأجاب كتابة عن أسئلة هذا الأخير الذي كان يسعى إلى إضفاء الشرعية على حكمه. ترك عدة مدونات في نصح الأمراء وإرشاد العامة والحث على الجهاد.

- 1502 (908 هـ): المغيلي يدعو في بلاد الهوسا إلى الجهاد ويقدم نصائحه لحكامها وفي طليعتهم محمد رومنا ساركي.

- 1505 (911 هـ): وفاة العالم السيوطي شيخ الأزهر في القاهرة، وهو الذي تعرف عليه الأسقيا محمد خلال رحلة حجه (بين 902/1496 هـ و904/1498 هـ)، وكان له تأثير على سياسة حكام السودان المسلمين بمالي والنيجر والهوسا بمراسلته لهم باستمرار.

- من القرن 16 إلى القرن 17 (القرن 10 إلى القرن 11 هـ): في مالي حكم أسرة الترورين التي لا يعرف من ملوكها سوى منسا نوفن تراوري وكانت عاصمته نياغاسولا؛ وقد سبقتها في الحكم أسر لا يعرف عنها غير بعض أسمائها (كوروما، ديارا، كامارا، باكايوكو...).

- 1515–1518 (921–924 هـ): حرب الإيدا.

- 1516–1517 (922–923 هـ): حملة السنغاي ضد بلاد العير (مناطق التوارق).

- 1528 (938 هـ): الأسقيا موسى يخلف الأسقيا محمد توري في حكم السنغاي.

- 1542 (948 هـ): حملة مغربية على عهد السعديين على محطة ودان الصحراوية.

- 1549–1582 (956–990 هـ): فترة ازدهار إمبراطورية السنغاي تحت حكم أسرة الأسقيا.

- 1562 (970 هـ): السنغاي يتوجهون إلى استغلال مناجم الملح في تاودني ويهتمون بالطرق العابرة للصحراء.

- 1590 (999 هـ) (أكتوبر/محرم): الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي يجرد حملة على ملك السنغاي الذي رفض التنازل له عن منجم الملح بتاغزة (أو تغازة)، وكان قوام هذه الحملة العسكرية على الأرجح أربعة آلاف رجل بقيادة العلج جؤذر. وقد كان هدف مولاي أحمد المنصور الذهبي القضاء على مملكة السنغاي والاستحواذ على مناجم تاغزة وعلى مصادر الذهب.

- 1591 (999 هـ) (12 مارس/16 جمادى الأولى): الجيش السعدي يسحق جيش السنغاي الذي كان تحت قيادة الأسقيا إسحاق الثاني على الطريق بين غاو وتونديبي.

- 1591 (999 هـ): محمد غاو آخر حكام أسرة الأسقيا الفعليين يفشل في التصدي للجيش السعدي.

- 1591–1640 (999–1050 هـ): استمرار دولة الأسقيا في واندي لفترة قصيرة تعاقب فيها على الحكم: نوح وهارون والأمين أبناء داود، ثم داود الثاني.

- منذ 1591 (999 هـ): الباشوات المغاربة يحكمون أهم مدن منطقة انثناء نهر النيجر نحو الشمال، وأولهم الباشا جؤذر (1591–1595/999–1003 هـ)، إلا أن هذا التنظيم يتفكك بالتدريج ويؤول إلى الزوال مع حلول عام 1249/1833 هـ.

- 1599 (1008 هـ): محمود سلطان مالي يغزو مدينة جني.

- 1612 (1021 هـ): باشوات تومبوكتو يستقلون بشؤونهم ولم يعد لهم ارتباط بحكام المغرب الأقصى السعديين ثم العلويين.

- 1617 (1026 هـ): الهولنديون ينتزعون محطة غوري من البرتغاليين.

- 1638 (1048 هـ): الكابتن توماس لامبير (Thomas Lambert) التابع للشركة النورماندية يؤسس عند مصب نهر السنكال أول منشأة فرنسية على ساحل غرب إفريقيا (التي أصبحت منذ 1659 (1070 هـ) تعرف بسان لوي).

- 1642 (1052 هـ): لويس الثالث عشر يجيز بطلب من الكاردينال ريشليو العمل على تسخير زنوج السنكال في خدمة الزراعة في جزر الأنتيل.

- حوالي 1645 (1055 هـ): أحد أفراد قبيلة أولاد ديمان البربرية بمناطق موريتانيا يسمى ناصر الدين يطلق حركة إصلاح ديني لإحياء الشريعة الإسلامية.

- حوالي 1655 (1066 هـ): الانتهاء من تأليف أهم مصدرين في تاريخ السودان الغربي وخاصة ما يتصل بتاريخ إمبراطورية السنغاي، وهما: تاريخ السودان لعبدالرحمن السعدي، وتاريخ الفتاش لمحمود كعت وحفيده ابن المختار الذي أكمل كتاب جده.

- 1664 (1075 هـ): تكوين شركة الهند الغربية الفرنسية بتشجيع من كولبير، التي تشكلت باندماج عدة شركات، وقد عرفت فيما بعد بشركة السنغال.

- 1667–1687 (1078–1099 هـ): الفرنسيون يقومون بعدة رحلات استكشافية في حوض نهر السنغال ويتوغلون داخل السودان.

- 1668 (1079 هـ): الفارس آمون (Le Chevalier d'Amon) الفرنسي يحضر إلى بلاط لويس الرابع عشر اثنين من أمراء أسيني (Assinie) (ساحل العاج)، وهما أنيابا (Aniaba) وبانغا (Banga)، تأكيدًا للتواجد الفرنسي في سواحل السودان الغربية.

- 1670 (1081 هـ): نهاية مامبي كيتا آخر ملوك سلالة ماري جاطا.

- 1670 (1081 هـ): البمبارا يغزون تومبوكتو.

- 1671–1672 (1082–1083 هـ): وصول الكورارافا إلى كاتسينا.

- 1673–1677 (1084–1088 هـ): ناصر الدين يعلن في حوض السنغال الجهاد ضد الأمراء الوثنيين أو الذين أسلموا سطحيًا ولم يطبقوا أحكام الشريعة. فيكون ذلك بداية لثورة إسلامية عرفت بحرب المرابطين (توبنان) (مشتقة من الكلمة العربية التوبة) وتسببت في الإطاحة بأربعة ملوك سنغاليين اتهموا بالتواطؤ مع تجار الرقيق الأوربيين، وتم استبدالهم برجال متدينين، غير أنه تم القضاء على هذه الحركة الإسلامية في 1677 (1088 هـ) وإعادة الملوك المخلوعين.

- 1674 (1085 هـ) (أغسطس/شوال): استشهاد ناصر الدين في حركته الجهادية، ولم يتمكن الأئمة من بعده من مواصلة حركته والتحكم في تبعاتها؛ ففي موريتانيا أدت حركة التوبنان إلى المواجهة بين الجماعات العربية الوافدة وجماعات صنهاجة (التوارق)، وقد

أسفرت هذه الحرب المعروفة بشربوبة عن إعادة تنظيم المجتمع الموريتاني: حيث أصبح بنو حسان وهم العرب المحاربون في وضع مهيمن، فيما اهتم بربر الزاوية الخاضعين بالدراسات الإسلامية فحافظوا على مكانتهم وفرضوا نفوذهم الروحي. وتعتبر هذه الحرب النموذج الأول الذي سوف تعقبه الثورات الإسلامية التي شهدها غرب إفريقيا في القرنين 18 و19 م.

- 1677 (1088 هـ): الأميرال الفرنسي ديستري (*D'Estrées*) ينتزع غوري من الهولنديين.

- نهاية القرن 17 (بداية القرن 12 هـ): مالك سه المعلم التكروري يؤسس دولة صغيرة في أعلى السنغال، وهي المعروفة بإمارة بند التي نجحت لفترة في تطبيق المبادئ الإسلامية وفتحت الطريق بذلك لتجارب أخرى. فيما انتقل مناضلون إسلاميون تكروريون إلى منطقة فوتا جالون (غينيا).

- 1680 (1091 هـ): استيلاء قبائل التوارق من بربر صنهاجة على مدينة غاو.

- 1697–1723 (1109–1136 هـ): رئيس شركة السنغال أندري برو (André Brue) يؤسس محطات تجارية على نهر السنغال وعلى الساحل الغربي من شبه جزيرة الرأس الأخضر إلى بيساو.

- حوالي 1725–1726 (1138 هـ): تسعة علماء فلانيون يعلنون الجهاد من فوتا جالون، ويختارون إبراهيم سمبغو (المعروف بكاراموكو ألفا) زعيما لهم. وكانت لهذه الحركة صبغة دينية عرقية (واجه فيها المهاجرون الفلان عناصر الجالونكي).

- 1729 (1142 هـ): ولادة سيدي مختار الكبير الذي سوف يجعل من (كنته) قوة روحية مؤثرة لارتباطها بالطريقة القادرية.

- 1751 (1165 هـ): وفاة كاراموكو ألفا الذي خلفه ابن عمه إبراهيم صوري أو صوري ماودو (الكبير) الذي اشتهر كزعيم حربي.

- 1754 (1168 هـ): سيدي المختار الكبير يصبح شيخ القادرية جنوب الصحراء ويعمل على نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي.

- 1754 (1168 هـ): مولد عثمان بن فودي (عثمان دان فوديو) الذي سوف يؤسس حركة جهاد في مناطق الهوسا.
- 1763 (1177 هـ): ظهور حركة إصلاح جديدة في فوتا تورو (بلاد التكرور في السنغال الأوسط)، والتي سوف يختار القائمون بها من عشائر تورودبي المتعلم سليمان بل زعيمًا لهم.
- 1763 (1177 هـ): فرنسا تفقد سان لوي بالسنغال بعد حرب السنوات السبع مع بريطانيا وتحتفظ بغوري (تتمكن من استرجاع سان لوي سنة 1775 (1189 هـ).
- 1776 (1190 هـ): انتصار أنصار الدعوة الإسلامية في فوتا جالون (غينيا) وإعلانهم إبراهيم صوري ألمام (إماما) ليتولى حكمهم، وبداية فترة دولة الإمامة الإسلامية في فوتا جالون التي استمرت إلى غاية الغزو الفرنسي. وبعد استشهاد سليمان بل، يصبح ألمام عبدالقادر إمامًا في فوتا تورو (السنغال).
- حوالي 1780 (1194-1195 هـ): الإمام عبدالقادر يطيح بأسرة دنيانكي في فوتا تورو ويقيم دولة إسلامية قبل أن يوجه جهوده ضد العشائر الموريتانية في الشمال. وقد استمرت دولة الإمامة التي أقامها إلى أن قضى عليها الفرنسيون في توسعهم في حوض السنغال.
- 1786-1788 (1201-1203 هـ): الحكومة الفرنسية تعين الفارس بوفلرس (Chevalier de Boufflers) حاكمًا للسنغال.
- حوالي 1790 (1205 هـ): انهزام مسلمي كجور (السنغال) الذين ثاروا على دمل (ملك) أماري نغون كوبا، وفيما بيع بعضهم كعبيد لجأ البعض الآخر إلى جزيرة الرأس الأخضر.
- 1794 (4 فبراير) (1209 هـ): فرنسا تلغي الرق ثم تعيد ترخيصه سنة 1801 (1216هـ).
- 1796 (1211 هـ): عبدالقادر إمام فوتا تورو يغزو ممالك الولوف في السنغال (جلف،

جلف، والو، كجور)، إلا أن محاولته لم يحالفها النجاح، إذ رفضت الأسر الولوفية الحاكمة المعتمدة على طبقة المحاربين المحترفين (تيدو أو سيدو) الدخول في الإسلام حتى القرن التاسع عشر.

- 1800 و1809 (1215 و1224 هـ): الإنكليز ينتزعون محطتي غوري ثم سان لوي من الفرنسيين.
- 1804 (1219 هـ): بداية حركة إصلاح إسلامي ذات طابع جهادي في أقاليم الهوسا (شمال نيجيريا) يتزعمها مجموعة من المتعلمين الفلاّنيين على رأسهم عثمان بن فودي وأخوه عبدالله، وفي نفس السنة (فبراير) تواجه قوات دولة غوبر (الهوسا) أتباع عثمان الذي اختارته جماعته إمامًا وهو في سن الخمسين، فيقرر عثمان الهجرة اتباعًا للسنة النبوية حتى يتمكن من جمع الأنصار والاستعداد للمعركة.
- 1804-1808 (1219-1223 هـ): جهاد عثمان بن فودي ضد جيوش دول الهوسا، وتمكنه من إقامة دولته، وقد وافته المنية بعاصمته سوكوتو سنة 1817 (1233 هـ).
- 1805 (1220 هـ): موقعة ألوس وغزو شعب الأشانتي لمناطق الساحل.
- 1806 (1221 هـ): موقعة غولن فافر.
- 1807 (1222 هـ): حظر بريطانيا لتجارة الرقيق.
- 1807 (1222 هـ): الفلاّنيون يتمكنون من غزو برنو.
- 1808 (3 أكتوبر) (1223 هـ): سقوط كلوة عاصمة مملكة غوبر (نيجيريا) في أيدي أتباع عثمان بن فودي.
- 1808-1812 (1223-1227 هـ): عثمان بن فودي يأخذ بنظام الخلافة في دولته التي أصبحت تضم كل بلاد الهوسا والأقاليم الجنوبية المتاخمة لها حتى نهر بنوي وهضبة أداماوا (الكامرون).
- 1808 و1811 (1223 و1226 هـ): جيش فلاّني مؤيد لجهاد عثمان بن فودي يحتل عاصمة برنو بدعم من محمد الأمين المعروف بالشيخ الكانمي، إلا أن أمير برنو يتمكن من بسط سلطته على عاصمته من جديد.

- النصف الأول من القرن 19 م (أواسط القرن 13 هـ): سرنو مامادو صمبا مومبيا (حوالي 1765–1852 (1179–1269 هـ)) وهو متعلم إسلامي من فوتا جالون، يبتكر طريقة لكتابة اللغة الفلاّنية بالأحرف العربية، مما سمح بتلقين مبادئ الدين الإسلامي باللغة المحلية.
- 1811 (1227 هـ): استغاثة الماي بالشيخ الكانمي.
- 1814 (1230 هـ): حملة شعب الأشانتي ضد شعب الفانتي.
- 1814 (30 مارس) (1230 هـ): فرنسا تسترجع محطاتها بالسنغال بموجب معاهدة باريس التي أعقبت سقوط نابليون.
- 1815 (1231 هـ): عثمان بن فودي يستقر في سوكوتو العاصمة التي أسسها ابنه محمد بللو.
- صيف 1816 (1232 هـ): الفرنسيون يعيدون احتلال سان لوي وغوري على ساحل السنغال.
- 1817 (20 أبريل) (1233 هـ): وفاة عثمان بن فودي بسوكوتو وتولي ابنه محمد بللو الحكم (1817–1837) (1233–1253 هـ)، وقد استمرت خلافة سوكوتو إلى غاية الغزو الإنكليزي.
- 1817 (1233 هـ): موقعة نجالا.
- 1817 (1233 هـ): إعادة فتح المحطة البحرية الفرنسية في غوري التي كان نشاطها يغطي سواحل السودان الغربي حتى خليج غينيا .
- 1817 (1233 هـ): فرنسا تشرع في تنظيم التعليم العام في مستعمراتها بالسودان، فترسل معلمًا إلى سان لوي بالسنغال.
- 1817–1827 (1233–1243 هـ): الفرنسيون يضعون مخططًا لاستعمار السنغال.
- 1818 (1234 هـ): محمد بللو بن عثمان بن فودي يعلن نفسه أميرًا للمؤمنين بمركزه سوكوتو.
- 1818 (1234 هـ): مبادرة من الحاكم شمالتز (Schmaltz) بتهيئة حوض نهر السنغال الأسفل. والبارون روجيه يحاول تجسيد مشروع شمالتز (1822/1238 هـ) لكنه يفشل في مسعاه.

- 1818 (1234 هـ): الفرنسيون ينشئون أسطول السنغال الصغير الذي ضم لأول مرة سفينة بخارية من نوع بريك.
- 1818 (1234 هـ): الفلاّنيون في إقليم ماسنة يستقلون بأمورهم، والداعية الشيخ أحمد لوبو الماسني يعلن الجهاد وينتصر على الفلاّنيين وعلى البمبارا الوثنيين في منطقة ثنية نهر النيجر.
- 1818–1844 (1234–1260 هـ): الشيخ أحمد لوبو يؤسس دولة إسلامية ويتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين.
- 1821 (1237 هـ): حمد الله تصبح عاصمة لدولة ماسنة التي أنشأها الشيخ أحمد لوبو.
- 1821 (1237 هـ): بعثة باوديتش إلى كوماسي.
- 1828 (1244 هـ): روني كاييه (René Caillé) يزور تومبوكتو ويصفها في رحلته.
- 1833 (1249 هـ): بريطانيا تحظر تجارة الرقيق في مستعمراتها الأمريكية.
- حوالي 1835 (1251 هـ): بداية زراعة الفول السوداني في السنغال.
- 1835–1850 (1251–1267 هـ): عمر يخلف أباه محمد الأمين الكانمي، ويطيح بالأسرة السيفية ويلقب نفسه بالشيخ (عمر بن محمد الأمين الكانمي).
- 1837 (1253 هـ): أبوبكر العتيق يخلف محمد بللو في حكم الدولة التي أسسها أبوهما عثمان دان فوديو.
- 1840 (1256 هـ): الفرنسيون يشيدون قلعة في واداي.
- 1840–1841 (1256–1257 هـ): الحاج عمر يستقر في جغونكو عند حدود فوتا جالون (غينيا) ويبدأ في تجنيد الأتباع بعد فترة طويلة قضاها في المشرق (3 سنوات) وفي سوكوتو (7 سنوات).
- 1845 (1261–1262 هـ): أتباع الأب ليبرمان (Libermann) يؤسسون إرسالية تبشيرية بدكار.

- 1845 (1261–1262 هـ): بداية التعليم الابتدائي في السنغال تحت إشراف الجمعية التبشيرية لآباء روح القدس والإخوة دوبلورميل (frères de Ploërmel)
- 1846 (1263 هـ): الفرنسيون يستقرون في بوكي (غينيا)، ويخوضون معركة قوصيري، في الوقت الذي عاد فيه الحاج عمر الفوتي إلى منطقة فوتا.
- 1848 (27 أبريل) (1265 هـ): قرار منع الرق في المستعمرات الفرنسية.
- 1848 (1265 هـ): إعادة بعث الجمعية التبشيرية لآباء روح القدس من طرف الأب ليبرمان.
- 1848 (1265 هـ): إعلان سان لوي وغوري بلديتين فرنسيتين، ومنح سكانهما حق انتخاب نائب عنهم في باريس.
- 1849 (1266 هـ): الفرنسيون يستقرون في بوكي (غينيا).
- 1852 – 1853 (1269 – 1270 هـ): انتصار الحاج عمر في حركته الجهادية على ملك تمبا الوثني قرب دنغيراي (غينيا). وفي نفس الفترة حدث تمرد في شبه جزيرة إيبريبه وتمت إقامة برج دابو.
- 1853 (1270 هـ): إنشاء بنك السنغال الذي سوف يعرف لاحقًا ببنك إفريقيا الغربية.
- 1854 (1271 هـ): تأسيس جمعية البعثات الإفريقية بمدينة ليون الفرنسية بهدف نشر المسيحية.
- 1854 (نوفمبر) (1271 هـ)، ثم 1861 (يونيه) (1278 هـ)، ثم 1863 (مايو) (1280 هـ)، ثم 1865 (مايو) (1282 هـ): تعيين فيديرب (Faidherbe) حاكمًا للسنغال لعدة مرات.
- 1855 (11 أبريل) (1272 هـ): الحاج عمر يستولي على نيورو عاصمة مملكة البمبارا في كارتا (غرب مالي) ويتخذها قاعدة لحكمه.
- 1857 (20 أبريل – 18 يوليه) (1274 هـ): انهزام الشيخ الحاج عمر بعد محاصرته محطة المدينة بالسنغال الأعلى.
- 1857 (25 مايو) (1274 هـ): قائد السفينة بروتي (Protet) ينشئ داكار الحديثة.
- 1857–1859 (1274 – 1276 هـ): الحاج عمر يدعو أتباعه في منطقة السنغال الأعلى والأوسط إلى الهجرة شرقًا للابتعاد عن الفرنسيين ولمحاربة البمبارا الوثنيين، مما نتج عنه نزوح أكثر من 50.000 فرد إلى نيورو.

- 1858 (1275 هـ): الفرنسيون يدفعون بالقبائل العربية إلى النزوح إلى الضفة الشمالية لنهر السنغال.
- 1859 (أكتوبر) (1276 هـ): أتباع الحاج عمر ينهزمون أمام الفرنسيين في جمو، ويتجهون نحو الشرق.
- 1860 (5 – 9 سبتمبر) (1277 هـ): معركة وايتالا، وانتصار الحاج عمر على قوات إمبراطورية البمبارا في سيغو، مما يسمح له بالتحكم في أهم مراكز النيجر الأوسط.
- 1860 (1277 هـ): لات ديور يتصدى للتوسع الفرنسي في السنغال الأوسط.
- 1860–1864 (1277–1281 هـ): الفرنسيون يرسلون بعثات استكشافية انطلاقًا من السنغال نحو دواخل السودان من موريتانيا شمالاً وحتى غينيا جنوبًا.
- 1861 (1278 هـ): إنكلترا تعلن حمايتها على لاغوس.
- 1861 (9 مارس) (1278 هـ): الحاج عمر يستولي على سيغو «مدينة الوثنية» ويجعل منها عاصمة لدولته.
- 1861–1887 (1278–1305 هـ): بعض الزعماء في سنغامبيا يسيرون على خطى حركة الحاج عمر، والفرنسيون يتدخلون لوضع حد لهذه الحركات الإسلامية الجهادية: مابا دياخو (1861–1867) (1278–1284 هـ) في غامبيا؛ أمادوبا المعروف كذلك بأمادو شيخو في جلف بالسنغال (1869–1875) (1286–1292 هـ)؛ محمد الأمين (امادو لامين) في السنغال الأعلى (1886–1887) (1304–1305 هـ).
- 1862 (15 مايو) (1279 هـ): انتصار الحاج عمر على أهل ماسنة في غاياوال؛ وفي 17 يدخل منتصرًا إلى مدينة حمد الله؛ ويواجه حلف الدرقاويين والبمبارا.
- 1864 (12 فبراير) (1281 هـ): موت الحاج عمر في كهف ديغامبيري (مالي) وانتصار الفلاّنيين.
- 1864–1893 (1281–1311 هـ): أحمد شيخو الابن والوريث المختار للحاج عمر يخلف أباه رغم معارضة إخوته له.

- 1864–1866 (1281–1283 هـ): ماج (Mage) وكونتان (Quintin) يقومان بمهمة استطلاع في سيغو بتكليف من فيديرب (Faidherbe).
- 1866 (1283 هـ): البرتغاليون يتنازلون للفرنسيين عن زيغينشور التي سوف تصبح عاصمة منطقة كازامانس.
- 1866 (1283 هـ): الفرنسيون يدشنون ميناء داكار.
- 1866–1867 (1283–1284 هـ): إقامة محطات بوكي وبونا وبنتي في منطقة أنهار الجنوب (غينيا الفرنسية مستقبلاً).
- 1876 (يونيه) (1293 هـ): الكولونيل بريير دوليل (Brière de l'Isle) يعين على رأس حكومة السنغال ويكلف بالتوسع في أقاليم السودان.
- 1878 (سبتمبر) (1295 هـ): احتلال قرية سابوسيري المحصنة شرق المدينة واتخاذها قاعدة الانطلاق الفرنسية في السنغال الأعلى.
- 1878 (1295 هـ): توقيع معاهدة بين فرنسا وحاكم الداهومي.
- يوليه 1880 (1298 هـ): إنشاء القيادة العليا لأعلى نهر السنغال، وتولى الإشراف عليها تباعًا: بورغنيس – ديبورد (Borgnis-Desbordes)، وغالييني (Gallieni) وأرشينار (Archinard).
- 1881–1883 (1299–1301 هـ): الفرنسيون يبسطون سلطتهم حول باماكو ويستعدون لمواجهة أحمد بن الحاج عمر في شمال النيجر، وكذلك ساموري توري في الجنوب.
- 1881، 1883 و1885 (1299 و1301 و1303 هـ): الفرنسيون يحتلون كيتا وباماكو وسيغيري؛ ويعملون على تطوير الملاحة النهرية على نهر النيجر باتجاه تومبوكتو؛ ويشغلون خط السكة الحديدية من كيس إلى باماكو. وأثناء ذلك يواجه الفرنسيون مقاومة محمد الأمين، ويصطدمون بمقاومة أحمد بن الحاج عمر المرتكز على كونديان وسيغو ونيورو، وبمقاومة ساموري في الجنوب.

- 1881 (16 فبراير) (1299 هـ): التوارق من أتباع الطريقة السنوسية يتمكنون من القضاء على بعثة فلاترز (Flatters) في الصحراء.
- أغسطس 1881 (1299 هـ): أئمة (ألمامات) فوتا جالون يعقدون معاهدة صداقة مع مبعوثين فرنسيين.
- 1881 (نوفمبر) (1299 هـ): غامبيتا (Gambetta) ينشئ كتابة الدولة الفرنسية للمستعمرات ويكلف بها فليكس فور (Félix Faure).
- 1882 (1300 هـ): ساموري يتصدى للفرنسيين في توسعهم داخل السودان الغربي.
- 1883 (1301 هـ): المحطات الفرنسية في خليج غينيا تفصل إداريًا عن السنغال.
- 15 نوفمبر 1884–26 فبراير 1885 (1302–1303 هـ): مؤتمر برلين حول وسط إفريقيا.
- 1884–1886 (1302–1304 هـ): الزعيم ساموري توري من عشائر الديولا بنواحي كانكان (غينيا) يتخذ لنفسه لقب الإمام ويجبر أتباعه على اعتناق الإسلام، ولم يكن لحركته منذ بدايتها (1278/1861 هـ) أي طابع إسلامي.
- 1885 (1303 هـ): الحكومة الفرنسية تنشئ اتحاد غرب إفريقيا الفرنسية (A.O.F.) وتحول مقره من سان لويس عاصمتها القديمة في السنغال إلى داكار (1902/1320هـ).
- 1886–1898 (1304–1316 هـ): القائد الفرنسي برازا (Brazza) يواصل توسعه دون حرب في مناطق الغابون والكونغو وجزء من أوبانغي شاري (جمهورية إفريقيا الوسطى الحالية)، ويؤسس مدينة بانغي في 1889 (1307 هـ).
- 1886 (1304 هـ): رابح المغامر القادم من السودان يقطع وادي شاري ويتوسع في منطقة بحيرة تشاد.
- 1887 (1305 هـ): الفرنسيون يؤسسون مدينة كوناكري.
- 1889 (يناير) (1307 هـ): التقاء بعثتين فرنسيتين في كونغ في قلب ساحل العاج.

- 1889 (1307 هـ): هزيمة أحمد بن الحاج عمر على يد القائد الفرنسي أرشينار (Archinard)، وسقوط كنديان وسيغو ونيورو.

- 1889-1892 (1307-1310 هـ): سقوط إمبراطورية ساموري الأولى في شمال شرق غينيا الحالية، وسقوط كوروسا وكانكان وبيساندوغو وسانانكورو.

- 1889 (نوفمبر) - 1890 (يوليه) (1307-1308 هـ): انعقاد مؤتمر بروكسل لمحاربة الرق وتجارة النخاسة.

- 1890 (يناير) (1308 هـ): القوات السنوسية المتحالفة مع رابح تتمكن من القضاء على بعثة كرامبل (Crampel) على نهر شاري.

- 1890 (1308 هـ): إنشاء المدرسة الاستعمارية النموذجية بالسنغال (دكار) (École coloniale).

- 1890 (فبراير) (1308 هـ): الفرنسيون يحتلون تومبوكتو.

- 1890 (أغسطس) (1308 هـ): اتفاق فرنسي - إنكليزي على خط التقسيم ساي - بروا (Say-Barroua)، بحيث تعود نيجيريا الحالية (أسفل النيجر) إلى سلطة الإنكليز.

- 1890 (أكتوبر) - 1892 (ديسمبر) (1308-1310 هـ): الفرنسي مونتيل (Monteil) المكلف باستكشاف خط التقسيم الفرنسي - الإنكليزي في النيجر ينجح في ربط سان لويس بالسنغال بطرابلس الغرب.

- أبريل 1891 (1309 هـ): تأسيس لجنة إفريقيا الفرنسية بباريس (Comité de l'Afrique française).

- 1891-1894 (1309-1312 هـ): ساموري يتراجع شرقًا أمام التوسع الفرنسي ويفرض سلطته في شمال ساحل العاج وغانا.

- 1892 (1310 هـ): رابح يقهر الباغيريمي (تشاد) ويحتل كوكاوا عاصمة برنو ويجعلها مركزًا لدولته المستقلة عن سلطة المهدي في السودان الذي كان على صلة به.

- 1892-1893 (1310-1311 هـ): الفرنسيون يجردون حملة على الداهومي ويستولون عليها بعد معركة كوتونو (Cotonou) التي استخدموا فيها فرق «الجنود السودانيين» المجندين في الجيش الفرنسي.

- 1892 (1310 هـ): الداهومي تصبح محمية بريطانية.

- 1893 (يناير) (1311 هـ): احتلال الكولونيل بونييه (Bonnier) تومبوكتو.

- 1893 (1311 هـ): غينيا وساحل العاج والداهومي تصبح مستعمرات فرنسية.

- 1893 (1311 هـ): أحمد شيخو بن الحاج عمر يهاجر شرقًا أمام التوغل الفرنسي، وتوافيه المنية عام 1898 (1316 هـ).

- 1893-1898 (1311-1316 هـ): القائد الفرنسي مارشان (Marchand) يبسط النفوذ الفرنسي من الكونغو إلى أعالي النيل، حيث يواجه (سبتمبر 1898) القائد الإنكليزي كيتشنر (Kitchner) في حادثة فاشودة.

- 1895 (1313 هـ): فرنسا تبسط سلطتها من النيجر إلى الداهومي.

- 1895 (1313 هـ): فصل السودان الداخلي عن السنغال.

- 1895 (1313 هـ): الفرنسيون يلحقون الهزيمة بالأعداد المتزايدة من أتباع أحمدو بمبا، ويأسرونه وينفونه إلى الغابون.

- 1896 (1314 هـ): غزو رابح لدولة برنو بمنطقة تشاد.

- 1896 (1314 هـ): تدشين خط السكة الحديدية بين مدينتي سان لوي وداكار.

- 1896 (1314 هـ): القائد الفرنسي بالاي (Ballay) ينجح في احتلال منطقة فوتا جالون، وبذلك يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على غينيا.

- 1896 (مارس) - 1898 (يوليه) (1314-1316 هـ): بعثة مارشان (Marchand) للربط بين الكونغو والنيل.

- 1896 (سبتمبر) (1314 هـ): القائدان الفرنسيان فولي (Voulet) وشانوان (Chanoine) يحتلان واغادوغو عاصمة مملكة الموسي، في وقت تمكنت فيه قوات فرنسية من إحكام قبضتها على ثنية نهر النيجر حتى ساي واحتلال بوبوديولاسو (1897) (1315هـ) وسيكاسو (1898) (1316 هـ).

- 1897 (1315 هـ): ساموري يقوم بتدمير مركز كونغ الإسلامي في شمال ساحل العاج بعد أن رفض الانضمام إليه.

- 1898 (29 سبتمبر) (1316 هـ): أسر ساموري في منطقة جبل نيمبا بين غينيا وليبيريا، وكان قد فقد الجزء الأكبر من إمبراطوريته الثانية التي أسسها في شمال ساحل العاج؛ ويتم نفيه إلى الكونغو حيث توفي عام 1900 (1318 هـ).

- 1898 (نوفمبر) (1316 هـ): الفرنسيون يتجنبون النزاع مع الإنكليز ويقبلون بالتنازل لهم عن محطة فاشودة، وبذلك يفشل مارشان في مد النفوذ الفرنسي إلى وادي النيل الأعلى.

- 1899 (يناير – يوليه) (1317 هـ): حملة فولي – شانوان تتمكن من توسيع النفوذ الفرنسي في فولتا العليا وشرق النيجر.

- 1899 (1317 هـ): محمد المهدي أحد مقدمي السنوسية يستقر في غورو (شمال تشاد)، ويؤسس زاوية في بئر علالي قرب بحيرة تشاد.

- 1900 : القائد الفرنسي لابيرين (Laperrine) يتمكن من إخضاع التوارق بمنطقة الهقار.

- 1900 (1318 هـ): فرنسا تنشئ تنظيمًا عسكريًا يعرف بالجيش الاستعماري (Armée coloniale) لفرض نفوذها في مستعمراتها الإفريقية.

- 1900 (13 أبريل) (1318 هـ): صدور قانون الاستقلالية المالية للمستعمرات التي يتوجب عليها تغطية نفقاتها الوظيفية والتجهيزية من مواردها الخاصة، بحيث يقتصر دور الدولة الفرنسية على ضمان القروض.

- 1900 (20–22 أبريل) (1318 هـ): فرنسا تشن ثلاث حملات ضد حكم رابح بمناطق تشاد وتتمكن من أسره وقطع رأسه.

- 1900 (أبريل) (1318 هـ): البعثات الفرنسية الثلاث التي انطلقت من الشمال (الجزائر) والغرب (السنغال) والجنوب (الكونغو) تلتقي عند بحيرة تشاد، وتؤكد وحدة وتكامل الأراضي الفرنسية في شمال إفريقيا والصحراء والسودان الغربي وإفريقيا الوسطى.

- 1901 (9 نوفمبر) (1319 هـ): تراجع طابور فرنسي في هجومه على زاوية بئر علالي السنوسية.

- 1901 (1319 هـ): الإنكليز يشنون حملة ضد لأشانتي.

- 1902 (20 يناير) (1320 هـ): طابور فرنسي آخر يتمكن من الاستيلاء على الزاوية السنوسية في بئر علالي، وبداية حرب بين السنوسيين والفرنسيين دامت أحد عشر عامًا في شمال تشاد.

- 1902 (1320 هـ): العالم التجاني الحاج مالك سه التكروري يؤسس زاوية تيفاوان (السنغال)، ويجعل منها مركزًا للطريقة التجانية.

- 1902 (ديسمبر) 1905- (مايو) (1320–1323 هـ): القائد الفرنسي كزافييه كوبولاني (Xavier Coppolani) يتوسع في أقاليم الترارزة والبراكنة من بلاد شنقيط (موريتانيا)، ويجد مساعدة من الشيخ سيديا والشيخ سعد بوه؛ إلا أنه يواجه مقاومة أمير منطقة آتار ماء العينين، ليلقى بعد ذلك حتفه في تجيكجا (تاغانت) (1905/1323) بتحريض من الشيخ ماء العينين منظم المقاومة في الصحراء.

- 1902–1907 (1320–1325 هـ): عودة أحمدو بمبا إلى السنغال، ونقله إلى موريتانيا حيث وضع تحت الإقامة الجبرية.

- 1903 (15 مارس) (1321 هـ): البريطانيون يحتلون سوكوتو؛ وهجرة الطاهر (طاهيرو) آخر خليفة مستقل لدولة آل فوديو نحو الشرق؛ والوزير محمد البخاري يفضل المهادنة، ودولة خلافة سوكوتو تدخل تحت الحماية البريطانية وتحافظ على نظمها الإقطاعية إلى غاية استقلال نيجيريا.

- 1903–1921 (1321–1340 هـ): الفرنسيون يبدأون في تنظيم مستعمرة موريتانيا ويجعلون سان لوي قاعدة لها.

- 1904 (18 أكتوبر) (1322 هـ): صدور مرسوم فرنسي بباريس ينظم الحكومة العامة في إفريقيا الغربية الفرنسية.

- 1906 (يناير) (1324 هـ): القائد الفرنسي غورو (Gouraud) يحتل آتار.

- 1907 (1325 هـ): تدشين السكة الحديدية الرابطة بين داكار وباماكو.

- 1907–1912 (1325–1331 هـ): أحمدو بمبا يوضع تحت الإقامة الجبرية في شين من قرى جلف (السنغال)، وفي 1910 (1328 هـ) يكتب رسالة إلى أتباعه يحثهم فيها على الخضوع للفرنسيين.

- 1908 (1326 هـ): غزو منطقة الأدرار من طرف غورو (Gouraud) الذي يهزم قوات ماء العينين.

- 1910 (1328 هـ): الفرنسيون يؤسسون اتحاد إفريقيا الاستوائية الفرنسية (A.E.F.) ويتخذون من برازافيل عاصمة له.

- 1910 (1328 هـ): ماء العينين ينهزم أمام الفرنسيين، فيلتجئ إلى المغرب الأقصى حيث وافته المنية في مدينة تيزنيت بعيدًا عن وطنه.

- 1912 (1331 هـ): الفرنسيون ينشئون المدرسة التي ستصبح فيما بعدالمدرسة العليا لتكوين الأساتذة (École normale William Ponty) في غوري بالسنغال.

- 1912 (1331 هـ): السماح لأحمدو بمبا بالرجوع إلى ديوربل (السنغال).

- 1913 (27 نوفمبر) (1332 هـ): الكولونيل لارجو (Largeau) يحتل نقطة عين غلاكا المحصنة وهي أخر الزوايا السنوسية التي ظلت تقاوم الفرنسيين في شمال تشاد.

- 1914–1918 (1333–1337 هـ): أتباع أحمدو بمبا يهادنون الفرنسيين ويؤيدون التجنيد في الجيش الفرنسي.

- 1914 (1333 هـ): انتخاب بليز دياغني (Blaise Diagne) أول برلماني زنجي من السنگال في البرلمان الفرنسي.

- 1914 (1333 هـ): تدشين خط السكة الحديدية الرابط بين كوناكري وكانكان.

- 1914 (أغسطس) (1333 هـ): الفرنسيون والإنكليز ينتزعون مستعمرة الطوغو (توجو) من الألمان مع بداية الحرب العالمية الأولى.

- 1914–1919 (1333–1338 هـ): انتفاضة الزعيم السنوسي كوسن في شرق النيجر (منطقة أغاديس) وفي التبستي.

- 1915 (17 نوفمبر) – 1916 (يوليه) (1334–1335 هـ): تمرد غرب فولتا (Ouest-Volta).

- 1916 (يناير) (1335 هـ): القوة الألمانية في الكامرون تضطر إلى الاستسلام.

- 1916 (29 سبتمبر) (1335 هـ): صدور قانون يعتبر سكان أربع بلديات سنغالية داكار، سان لوي، غوري، روفيسك) مواطنين فرنسيين دون أن يفرض عليهم أحكام القانون المدني الفرنسي.

- 1916–1917 (13 ديسمبر3– مارس) (1336–1337 هـ): قوة من التوارق يقودها الزعيم السنوسي كوسن تدخل أغاديس، وتحاصر الحصن الفرنسي بها لمدة ثلاثة أشهر.

- 1918 (1337 هـ): الفرنسيون يؤسسون معهد الطب في داكار.

- 1918 (1337 هـ): الحكومة الفرنسية تقلد أحمدو بمبا وسام جوقة الشرف، إلا أنه يتفادى حملها معللاً ذلك بالصليب المرسوم عليها.

- 1919 (1 سبتمبر) (1338 هـ): اتفاق سان جيرمان بباريس يضمن حرية البعثات التبشيرية في غرب ووسط إفريقيا.

- 1919 (1338 هـ): فصل فولتا العليا إداريًا عن السودان الغربي.

- 1920 (1339 هـ): فصل إقليم النيجر عن السودان إداريًا ونقل عاصمته من زندر إلى نيامي سنة 1927 (1346 هـ).

- 1920 (1339 هـ): إنشاء مستعمرة تشاد.

- 1921 (1340 هـ): الفرنسيون يؤسسون الرابطة البحرية والاستعمارية التي تشمل السودان (Ligue maritime et coloniale).

- 1923 (مارس) (1342 هـ): اعتقال معلم سعيدو ابن حياتو حفيد عثمان بن فودي في برنو (نيجيريا) ، وهو من أتباع المهدوية في السودان، بتهمة التحريض ضدّ البريطانيين، وتم نفيه لمدة 36 سنة إلى الكامرون ثم كانو؛ ولم يطلق سراحه إلا عام 1959 (1379 هـ) وتوفي عام 1978 (1399 هـ).
- 1924 (1343 هـ): وفاة الشيخ العالم سيدي بابا حفيد شيخ القادرية سيدي الكبير (1775–1868) (1189–1285 هـ) الذي نشر تعاليم القادرية، وكانت كلمته مسموعة لدى السلطات الفرنسية في موريتانيا.
- 1924 (1343 هـ): نشوب مناوشات في نيورو (مالي) بين أتباع و خصوم الشيخ حما الله الذي أعلن نفسه منذ 1902 (1320 هـ) كمقدم للطريقة التجانية.
- 1924 (1343 هـ): الفرنسيون يؤسسون معهد باستور في داكار لدراسة الأمراض الخاصة بالسودان الغربي.
- 1924–1927 (1343–1346 هـ): إقامة مسجد توبة (السنغال) عاصمة الطريقة المريدية.
- 1925 (1344 هـ): السلطات الفرنسية تحكم بتشجيع من بعض أفراد أسرة الحاج عمر بسجن الشيخ حما الله لمدة عشر سنوات في موريتانيا (1926 – 1930) (1345 – 1349هـ).
- 1925 (1344 هـ): تأسيس ثانوية فان فولنهوفن (Van Vollenhoven) في داكار.
- 1925 (1344 هـ): تدشين خط البريد الجوي بين فرنسا والسنغال.
- 1927 (19 يوليو) (1346 هـ): وفاة أمادو بمبا في ديوربل (السنغال).
- 1927 - 1928 (1346 – 1347هـ): الكاتب أندري جيد (André Gide) ينشر كتابه عن السودان «سفر إلى الكونغو» (Voyage au Congo) و«عودة من تشاد» (Retour du Tchad).
- 1928 (19 أكتوبر) (1347 هـ): إقامة أول موسم مغال في توبة، وهو الحج التقليدي السنوي للمريدين.

- 1928–1931 (1347–1350 هـ): انتفاضة الباياس في منطقة أوبانغي شاري في إفريقيا الوسطى.
- 1929–1930 (1348–1349 هـ): مناوشات في كايدي (موريتانيا) بين أتباع ومناوئي الشيخ حما الله الذي نفي إلى ساحل العاج (1930 – 1936) (1349 – 1355 هـ) من طرف الإدارة الفرنسية.
- حوالي 1930 (1349 هـ): الفرنسيون يتمكنون بصعوبة من إخضاع قبائل الجهات الشمالية من موريتانيا.
- 1930 (12 مايو) (1349 هـ): الطيار ميرموز (Mermoz) يحقق إنجازًا في عالم الطيران، فيقطع لأول مرة المحيط الأطلسي بين سان لوي وناتال (Natal) في البرازيل.
- 1931 (6 مايو) (1350 هـ): افتتاح المعرض الاستعماري الدولي في فانسان (Vincennes) بباريس.
- 1932 (1351 هـ): إلغاء الإدارة الخاصة بفولتا العليا وضم أجزائها إلى ساحل العاج والسودان ومالي.
- 1934 (1353 هـ): تدشين خط السكة الحديدية بين أبيدجان و بوبوديولاسو.
- 1934 (1353 هـ): تحويل المدرسة الاستعمارية (École coloniale) إلى مدرسة فرنسا ما وراء البحر (École de France d'Outre-mer) التي سوف تتخرج منها النخب الإفريقية المفرنسة.
- 1937 (1356 هـ): الحاج إبراهيم نياس بن عبدالله نياس الزعيم الروحي لفرع كولاك التجاني يؤدي فريضة الحج، ويلتقي بأمير كانو عبدالله بايرو الذي جدد له انتماءه للطريقة التجانية، مما سوف يساعد على انتشار سريع للطريقة التجانية النياسية في شمال نيجيريا.
- (سبتمبر) 1937: عقد صلح رسمي بين سيدو نورو تال حفيد الحاج عمر والشيخ حما الله في نيورو تحت إشراف الإدارة الفرنسية، لكنه يظل دون مفعول.

- 1938 (1357 هـ): قدوم تيارنو بوكر سالف تال (1884 – 1940) (1302 – 1359هـ) أحد أحفاد الحاج عمر من باندياغارا إلى نيورو لينضم إلى تجانية حما الله التي ناصبتها أسرته العداء فيما مضى.

- 1938 (1357 هـ): تأسيس المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء بداكار وتكليف ثيودور مونو (Théodore Monod) بإدارته.

- 1938–1940 (1357–1359 هـ): تخوم موريتانيا ومالي تشهد أحداثًا دامية بين مناصري ومناوئي الشيخ حما الله.

- 1941 (19 يونيو) (1360 هـ): توقيف الشيخ حما الله بتهمة إثارة الفتن ونفيه إلى الجزائر.

- (30 يونيو): محكمة نيورو تصدر أحكامًا بالإعدام في حق ثلاثة وثلاثين من أتباع الشيخ حما الله المتورطين في الأحداث، ومن بينهم اثنان من أولاده.

- 1942 (15 مارس) (1361 هـ): حكومة فيشي تنقل الشيخ حما الله إلى فرنسا، وتضعه في سجن في فالس ليبان وإفو ليبان؛ ووفاته في مستشفى مونلوسون (16 يناير1943) (1362 هـ).

- 1945 (نوفمبر) (1365هـ): انتخاب واحد وعشرين نائبًا إفريقيًا في الجمعية التأسيسية الفرنسية من بينهم ليوبولد سنغور ولامين غوي وهوفوات بواني.

- 1946 (30 أبريل) (1366 هـ): الحكومة الفرنسية تنشئ صندوق الاستثمار للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (F.I.D.E.S.) الذي مهد لصندوق الإعانة والتعاون (F.A.C.) في فترة ما بعد استقلال المستعمرات الفرنسية في إفريقيا (1960) (1380 هـ). وبذلك ألغي قانون 1900 (1318 هـ) حول الاستقلالية المالية للمستعمرات.

- 1946 (7 مايو) (1366 هـ): سن قانون يمنح المواطنة الفرنسية لرعايا الأقاليم الفرنسية في ما وراء البحار.

- 1946 (21 أكتوبر) (1366 هـ): تأسيس حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي في باماكو تحت قيادة هوفوات بواني.

- 1946 (27 أكتوبر) (1366 هـ): الجمهورية الفرنسية الرابعة تنشئ الاتحاد الفرنسي (Union française) مما سوف يمهد الطريق للاستقلال الذاتي للأقاليم الفرنسية في ما وراء البحار.

- 1947 (1367 هـ): إعادة تشكيل إقليم فولتا العليا.

- 1947 (نوفمبر) (1367 هـ): إصدار أول عدد لمجلة «الحضور الإفريقي» (Présence africaine) بباريس.

- 1954 (1374 هـ): شيخ أنتا ديوب يصدر كتابه «الأمة الزنجية والثقافة» (Nation nègre et culture).

- 1956 (23 يونيه) (1376 هـ): غاستون دوفير وزير فرنسا في ما وراء البحار يصدر قانونًا خاصًا بالاستقلال الذاتي الداخلي لأقاليم ما وراء البحار، مما أدى إلى نهاية اتحاد إفريقيا الغربية الفرنسية واتحاد إفريقيا الاستوائية الفرنسية (طبق هذا القانون في أبريل 1957) (1377 هـ).

- 1957 (مارس) (1377 هـ): استقلال غانا.

- 1958 (أكتوبر) (1378 هـ): استقلال غينيا بعد تصويتها بـ«لا» في الاستفتاء على دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة الذي أصدره الجنرال ديغول عند توليه رئاسة الجمهورية الفرنسية.

- 1960 (يونيه – سبتمبر) (1380 هـ): استقلال دول إفريقيا الغربية الفرنسية وإفريقيا الاستوائية الفرنسية. وقد أمضت كلها اتفاقات تعاون في مختلف الميادين مع فرنسا.

****

ملحق 3

قائمة بالكلمات التي وردت في المخطوط ولها دلالة خاصة ومفهوم محلي (بعضها بلغات أهل السودان وبعضها الآخر عربي)

(أ)

- إبرا: إبراهيم في النطق المحلي.
- آبه: تحوير لاسم أحمد لدى قبائل شنقيط.
- الأردو، الأرط: قائد الهجرة، وهو لقب حاكم ماسنة، رفضه حمادو الشيخ وعوضه بأمير المؤمنين.
- الآس: شجر دائم الخضرة، له رائحة عطرة، ثماره لينة سوداء وتؤكل غضة.
- أسَكْيا أو سْكُو: تعني «لن يكون»، وهو لفظ أطلقه الحاج محمد الطوري على نفسه حسب السعدي في «تاريخ السودان» عندما سألت عنه ابنة الملك الذي عزله ولم تكن تعرفه.
- أمادو أو أحمدو: أحمد في النطق المحلي.
- أيلوب: الرعاة.
- أيلول: الرعاة.

(ب)

- بات: الأسد (في لغة سرخل).
- باممولي: العجلة.
- بانبو: وهو يلفظ اليانبو وهو شجر الأبنوس (Ébène) الذي تصنع منه الأدوات الخشبية الجيدة.
- الباه: النكاح.
- بدي: على الأرجح تحوير لاسم محمدي لدى قبائل شنقيط.
- الببر (ج. ببور): نوع من السباع يشبه النمر.

- بديلة: مصطلح في اللهجة الحسانية الموريتانية مشتق من الأصل العربي «بدّل»، وتعني محليًا بدل العلك بغيره من البضائع، وهي محليًا تجارة مربحة في مناطق السودان المحاذية للصحراء وفي أقاليم موريتانيا خاصة مع التجار الأوربيين منذ منتصف القرن الثامن عشر وأثناء القرن التاسع عشر (عن محمد المختار ولد السعد، ص. 130).
- بر: الرجل أو المحارب وجمعه بدان أو برام، وأصبحت تعرف به قبائل الكولوري في شمال نيجيريا التي أسست مملكة برنو.
- البركُيّ: الرئيس أو صاحب الأمر (لغة السنغال).
- البقم: نوع من الشجر ساقه أحمر وورقه يشبه ورق اللوز.
- بك: الدف في لغة الفلاّني.
- بَلَمَعْ: الأمين العام للمملكة (لغة الماندنغ).
- بيدا: الحية السوداء في لغة سرخل.

(ت)

- التبر: فتات الذهب قبل أن يصاغ.
- تفلفل: تجعد.
- تل سم: عبارة معناها اترك لي.
- تُلاًّ: مجانًا.
- تليس (ج. تلاليس): كيس على شكل وعاء ينسج من الصوف أو الشعر، تحمل فيه الحنطة أو ما شابهها.
- التنبول: أوراق ممزوجة بقطع رقيقة من نواة الفلفل المعروف بجوز الطيب والتي تشعر متناولها بالحركة والنشاط، حسب رواية ابن بطوطة وغيره.
- توري (تور) (Ture): الأجنبي، استعمل ابن بطوطة هذا المصطلح في رحلته، وأصبح يفهم منه السنيون المالكيون مقابل صغنغو الذين يذهبون مذهب الإباضية.
- التيدوم: شجر.

(جا)

- جاسًا: لا يكون أدنى (كلمة احترام وتحية يجاب عليها بـ: أجاسًا ومعناها لا يكون أدنى أيضًا.
- جالي (ج. جلا) (Dyeli): المنشد أو الشاعر.
- جانار: الرشوة.
- الجانجالي: ضريبة كانت تجبى من مختلف رعاة الماشية، ومنهم عرب الشوا و الفلاّني. يدفع رأس واحد على كل عشرة رؤوس.
- جاو: حية سوداء (لغة الفلاّني).
- جب: جبريل في النطق المحلي.
- جب: الفأر.
- جيس: ألعاب الفرسان في حلبة المسابقة.
- جيمكى: رئيس العمال (لغة السنغاي).

(ح)

- الحرائث: الأرض المزروعة أو المهيأة للحرث.

(خ)

- خلوة: جمعها خلاوي وهي مكان مخصص لحفظ القرآن وتعليم مبادئ الكتابة والحساب، يؤسسه بعض الأشخاص المحسنين.

(د)

- دار الكفر: مقابل دار الإسلام، وهي حسب الفتاوى والأحكام الخاصة بالسودان الغربي تشمل المناطق التي تقطنها القبائل الوثنية، وخاصة مجموعات بنبارا (بمبارا) الذين استباح الفقهاء استعبادهم لكفرهم، وكانوا عرضة لهجمات الشيخ عمر الفوتي (ت. 1282هـ/1864 م)، مما وفر أعدادًا كبيرة من الرقيق في أسواق الواحات الصحراوية (محمد المختار ولد السعد، ص. 125).

- الدرق (جمع درقة): أي الترس الذي يصنع من الجلد وليس من الخشب أو غيره.
- دقنو أو دفنو: شراب مكون من خليط من الدقيق والعسل.
- دكور: جمعه دكاكير، يقصد به الصدق حسب رواية البكري.
- دل: موضع رسو السفن أو تجمعها.
- دويرتيجي: سيد الأرض.
- دوتور: العمامة.
- دولنك: شباك من الحبال لصيد السمك (لغة الفلاّني).
- ديولا: التجار

(ذ)

- ذرب اللسان: يوصف به من كان شتامًا فاحشًا في الكلام والذي لا يبالي بما يقول.
- الذبل: جلد السلحفاة البرية أو البحرية.

(ر)

- الرايماناكوا: المفتشة أو الفاحصة (لكشف السحر).
- رقاص بالمدفع: الذي يطلق النار في حلبة اللعب بالبندقية.

(ز)

- زا: تعني في الأصل زا الأيمن ومعناه الذي «جاء من اليمن»، ثم أصبحت كلمة زا لقبًا لملوك السنغاي الذين خلفوا زا الأيمن وهو أول ملوك السنغاي.
- الزاج: من كبريتات الخرصين والنحاس والحديد.
- الزاوية: أو الخلوة، تجمع بين السكن والعبادة والدرس، ينقطع فيها الطلبة للدراسة والعبادة، وغالبًا ما كانت الزاوية مرتبطة بالتصوف.
- الزردخانة (ثياب الزردخانة): المطرزة بالحرير الناعم.
- الزعرة: شدة بياض البشرة وهي البرش الذي تتخلله نقاط حمراء أو سوداء.

(س)

- سابو: الطبق أو الإناء الذي ينقل فيه الدقيق.
- الساج (جمع ساجة): نوع من الأشجار الضخمة.
- سار: القرية القديمة.
- ساركن: الملك أو الرئيس، وجمعها ساراكوسا (لغة الهاوسا).
- ساركين أو ساركن مالي: قائد المؤمنين.
- سراغلي: الرجل الأبيض في اللهجة السوننكية.
- سكتل: جلد فخذ البقرة أو الثور.
- سُكو: انظر أسَكْيا.
- سمنكر: الفرس، تلقب به أحد الملوك فعرف بسمنكر.
- سن أو سُنِّي: رئيس، سيد في لغة السنغاي.
- سن: وتكتب أحيانًا شي: خليفة سلطان مالي.
- سيدو: السيد.
- سيسي: الملك عند أهل وكد.

(ش)

- الشقشاق: وهو طائر اللقلاق ويعرف في بلاد المغرب ببلارج.
- الشواني (جمع شونة): وهي السفينة الحربية.

(ص)

- صو: الفَرَس.
- الصورغو أو السورغو: نبات في شكل حبات أصغر من الحمص يستهلكها أهل حوض النيجر.

(ط)

- طركي: حلاق (لغة السنغاي).
- طنجينا: عملية كشف السحر.

- طيلسان: عبارة عن قطعة قماش من الحرير الأسود توضع على الكتف، وهي شعار القضاة والأئمة والفقهاء.

(ع)

- عال: تحريف لاسم علي.
- عل: عبدالله بالنطق المحلي.
- عمر: السلحفاة البحرية في لغة الفلاّني.

(غ)

- الغرمول: الذكر (عضو الرجل).
- غليوطة: جمعها غلائط (Galiote)، لفظ مستعمل في شمال إفريقيا وأصبح معروفًا بسواحل السودان، وهو يدل على مركب شراعي مستدير من الأمام والخلف، استعمله الهولنديون وأصبح شائعًا في موانئ بلاد المغرب.

(ف)

- الفرارية (جمع فاري): الرئيس العسكري بلغة الماندنغ.
- فربا: الأمير أو الشخص الذي يمثل الحاكم.
- فَرْم: حاكم قَرَب (لغة الماندنغ)، الرئيس الكبير.
- فري: الملك.
- الفسيل (جمع فسيلة): كلمة عربية استعملها صاحب المخطوط وهي جزء من النبتة يفصل منها ويستغرس من جديد.
- الفقوس: تعني البطيخ.
- فنك: نوع من الثعالب الصغيرة في حجم القطط توجد في الصحراء وأطراف بلاد السودان تستخدم جلودها.
- الفوتي: حب أشبه بالخرطال تصنع منه مشروبات منعشة ولعله الصونفال.
- فوديو: الفقيه باللغة الفلاّنية.
- الفولفيد: ويعني لغة الفلاّني.

(ق)

- قاسا: الزوجة المحصنة عند الحاكم (لغة الماندنغ).

- قفى: السيد المحارب.

- القلقاص: نبات نشوي يشبه البطاطس.

(ك)

- كا: الدار (كَمَرَ: صاحب الدار).

- كافور: نوع من الشجر تستخرج منها مادة شفافة بلورية مائلة إلى البياض.

- كايا أو كايو: السيد الملك (كايامسو (Kayamaso): ملك الذهب) في لغة أدواكوري.

- كجتبل: العودة التي فيها النار.

- كجور: أرض سهلة (لغة الولوف).

- كد: الجبل.

- كرسك (ج. كرسكات): النساء القوالات اللاتي يمارسن السحر.

- الكركدن: وحيد القرن.

- كُرْمِنَ فَارِ: أي حاكم كُرْمِنَ (فار أو فَرَنْ أو فرب في لغة الماندنغ: رئيس أو حاكم أو قائد عسكري).

- كلوك: الجماعة التي تحمل المرأة من أهلها وتزفها إلى زوجها.

- الكمأة: الفطر الذي تحمله أكياس بذورها.

- كَمَارَا: فوق أو ما وراء، يقابل كوي: تحت.

- كَمَرَ: مالك الدار (كا: الدار؛ مَرَ: المالك) (لغة سرخل).

- كَنْفار: في لغة الماندنغ: الحاكم الأول أو الرئيس الأعلى.

- الكنيف: دورة المياه، مكان مخصص للغسل وقضاء الحاجة.

- كومبي (Kombi) أو كومب: تل صغير أو أكوام من الحجارة.

- كي: حياة، وجاه. وفي لغة السنغاي: الرئيس صاحب الأمر.

- كي: ذهب.

(ل)

- لرل: جلد البقر.

(م)

- ماري جاطة: الأمير الأسد.

- ماغا: الذهب.

- ماغا أو ماغون (Maga-Magon): تعني السيد حسبما أورده دولافوس.

- مالي: عند الماندينغ تعني حيث يعيش الملك، وأصبحت تطلق على جميع عواصم الإمبراطورية (مالي أو ملي).

- مالي: هو النطق الفلاّني لماندي (Mande) أو ماندينغ (Manding).

- مانيوك: منتوج زراعي اشتهر به البمبارا في بلاد ماسنة ومنها يصدر إلى جهات أخرى من السودان الغربي.

- مايات (جمع ماي): السلاطين (جمع سلطان).

- المدر: الطين اللزج المتماسك، ومنه جاء تعبير أهل المدر أي البيوت المبنية خلاف سكان الخيام.

- مر: مالك.

- المسن: معيار قديم للكيل أو الوزن، قدره رطلان بغداديان (الرطل: 12 أوقية).

- مع: ملك.

- مغا: محمد في لغات أهل السودان.

- ملف: نوع من القماش، يرجح أنه يسمى هكذا نسبة إلى مدينة أمالفي الايطالية.

- منتاجو: الشرن وقد تجفف فتصبح من التوابل.

- منسا: لقب سلاطين مالي (في لغة الماندينغ أو المالنكي).

- منساولي: الملك علي.

- منْسى سليمان كي: الأمر للملك سليمان (في لغة الماندينغ أو المالنكي)، ثم أصبح يطلق على السلطان.

(ن)

- نبتردت: ما يدفع من نقود أو متاع مقابل إطلاق اطلاق المسجون، ويعتبر بمثابة فدية المسجون.
- النبق: العناب.
- النجو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط.
- النجيبة (ج. نجيب): خيار الإبل.
- نَدَّ: غاب.
- النموشة: النمش بقع تخالف لون الجلد.

(هـ)

- هد: المزمار (لغة الفلاّني).

(و)

- واسد: القدر الصغير.
- وجيف: الذئب.
- الوزرة: قطعة من القماش، يصل طولها عادة إلى خمسة عشر مترًا، غالبًا ما تكون ملونة بالأزرق باستعمال مادة النيلة، شاع استعمالها في بلاد السودان ودخلت في التبادل التجاري مع الأوربيين أثناء القرنين 17 و18 م وأصبحت تعرف بأقمشة غينيا.
- وصيف (ج. وصفان): العبدالحارس أو الخادم.
- وندع: منجم (لغة السنغاي).

(ي)

- اليانبو: هو شجر الأبنوس (Ébène) الذي تصنع منه الأدوات الخشبية الجيدة.

****

ملحق 4

الصور والخرائط

أولا: الصور:

1. دار الكتب والبحث «أحمد بابا» بتومبوكتو، تتوفر على العديد من المخطوطات والوثائق المتعلقة بتاريخ السودان الغربي، عن: محمد حوتيه، قبيلة كنته بين إقليمي توات والأزواد من خلال الوثائق المحلية (ق. 18 – 19م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.

2. مخطط مدينة تومبوكتو في القرن التاسع عشر، حسب معلومات الرحالة هنري بارث (H. Barth).

3. منظر عام لمدينة تومبوكتو، ويظهر في أعلاه المسجد الجامع حسب رسم الرحالة روني كايي (René Caillé)، عن فيليكس دوبوا (Félix Dubois, Tombouctou la mystérieuse).

4. مدينة الإمام إبراهيم سوري (ألمام إبرا)، عن:

Ibrahim Baba Kaki Mémoire de l'Afrique, les villes historiques. A.B.C., Paris, 1979, P.25.

5. مركز كونغ الإسلامي شمال ساحل العاج والذي رفض الانضمام للثائر ساموري وتعرض من جراء ذلك إلى التدمير في 15 مايو 1898 م. عن:

Ibrahim Baba Kaki, op. cit.

6. ساقية فقارة المختار، تستمد ماءها من قنوات تحت الأرض تعرف بالفقارة بناحية زاوية كنته بالأزواد. عن محمد حوتية، المصدر نفسه.

7. الركن الشمالي الشرقي لقصبة زاوية كنته بالأزواد، عن محمد حوتية، المصدر نفسه.

8. المسجد الجامع بمدينة سانكوري (Sankoré) الذي كان يعتبر جامعة للعلوم الدينية واللغوية، عن: Ibrahim Baba Kaki, op. cit, p11.

9. مدخل أحد الأزقة بمدينة سانكوري يظهر نوعية المساكن وطراز البناء التقليدي بالسودان الغربي، عن: Félix Dubois,op. cit.

10. منظر لأحد الأحياء القديمة بمدينة جني يظهر نمط الحياة ونوعية العمارة، عن: Félix Dubois,op. cit.

11. منظر لمنزل أحد التجار الكبار، اعتاد الناس التجمع أمامه وتبادل الحديث بينهم، عن: Félix Dubois,op. cit.

12. أدوات التطبيب وممارسة السحر وأعمال الشعوذة، عن: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا، أليسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1988.

13. منظر لممارسة السحر اعتقادًا في قدرة الصنم في فيتيسو (Fetisso) عن: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، المصدر نفسه.

14. الحاج عمر تال الفوتي زعيم حركة الجهاد والداعي للطريقة التجانية متكئًا على عصاه أمام أتباعه، عن: حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1994.

15. منظر عام لمدينة سيغو (سيقو) على عهد حاكمها الشيخ أحمد بن الحاج عمر تال، عن: حسين جاجوا، المصدر نفسه، اعتمادً على:

Mage, Voyage au Soudan occidental (1863-1866), p.161

16. صورة للحاكم الفرنسي للسنغال فيديرب (Faidherbe)، عن: حسين جاجوا، المصدر نفسه، اعتمادً على: C.pietri, les Francais au Niger, p.75.

ثانيا: الخرائط:

1 – خريطة رقم (1): الحدود الأنثروبولوجية -الجغرافية للإسلام في إفريقيا السوداء، عن: كزافييه دوبلانهول، تاريخ أرض الإسلام، ترجمة معاوية سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008.

2 – خريطة رقم (2): الدول والكيانات السياسية التي ظهرت بالسودان الغربي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) من وضع المحققين اعتمادًا على الأطالس التاريخية لغرب إفريقيا وبالرجوع إلى المصادر التاريخية المعتمدة في التحقيق.

3 – خريطة رقم (3): الدول والكيانات السياسية التي ظهرت بالسودان الغربي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري (السادس عشر والسابع عشر الميلادي) من وضع المحققين اعتمادًا على الأطالس التاريخية لغرب إفريقيا وبالرجوع إلى المصادر التاريخية المعتمدة في التحقيق.

4 – خريطة رقم (4): حركات الجهاد الإسلامية بالسودان الغربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي)، عن:

Roland Oliver, anthony Atmore, Africa since 1800, 3rd Edition, Cambridge University Press, London, 1981.

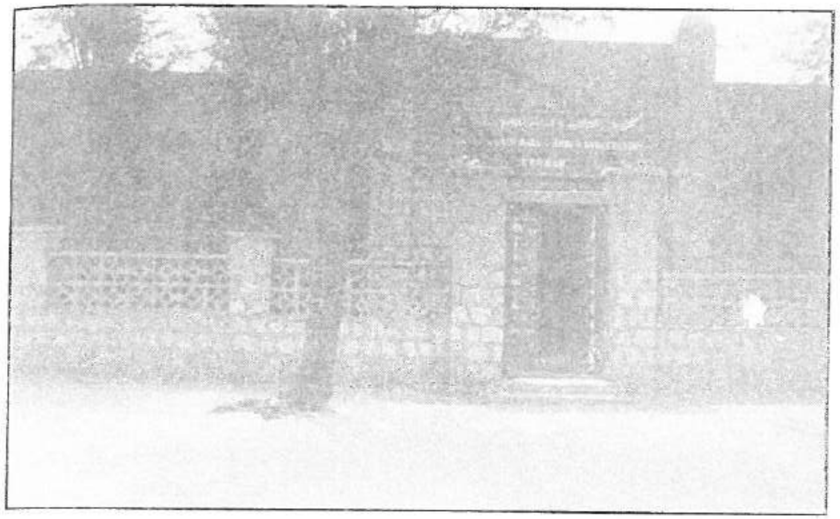
5 – خريطة رقم (5): التوسع الاستعماري الفرنسي – الإنكليزي في السودان الغربي أثناء القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، عن:

Denise Bouchi, Histoire de la colonisation Francaise, T.2 (Flux et reflux (1815-1962), Fayard, paris, 1991.

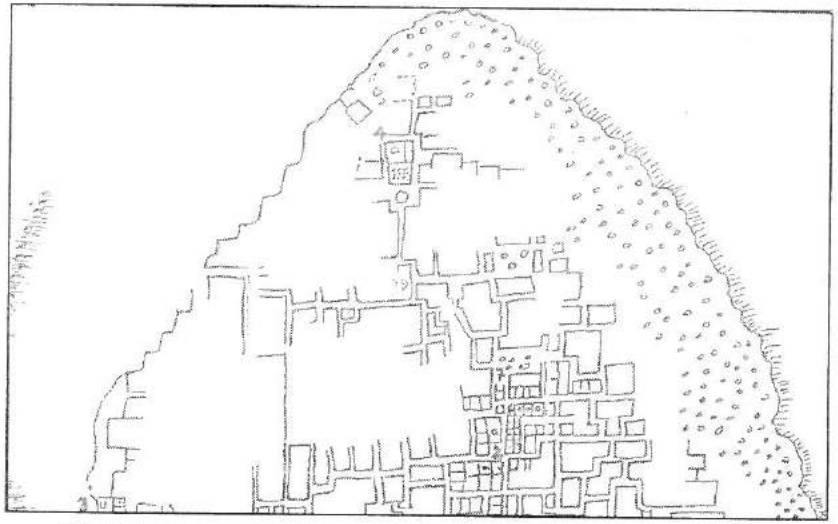
6 – خريطة رقم (6): المجموعات الإثنية (الجماعات والعشائر والقبائل) ببلاد السودان الغربي أثناء القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي)، اعتمادًا على:

George Peter, At Africa its peoples and their culture and History, Murdocke, London, 1959.

7 – خريطة رقم (7): استكشاف السودان الغربي في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي)، وضعها الضابط الفرنسي رينيلي (1798) (Renneli م)، وضبطت معلوماتها سنة 1802 م، انظر: رحلة دومينغو باديا المعروف بعلي باي العباسي (Ali Bey el-Abbassi (Domingo Badia)، سفر بإفريقيا وآسيا، طبعة باريس، 1814.



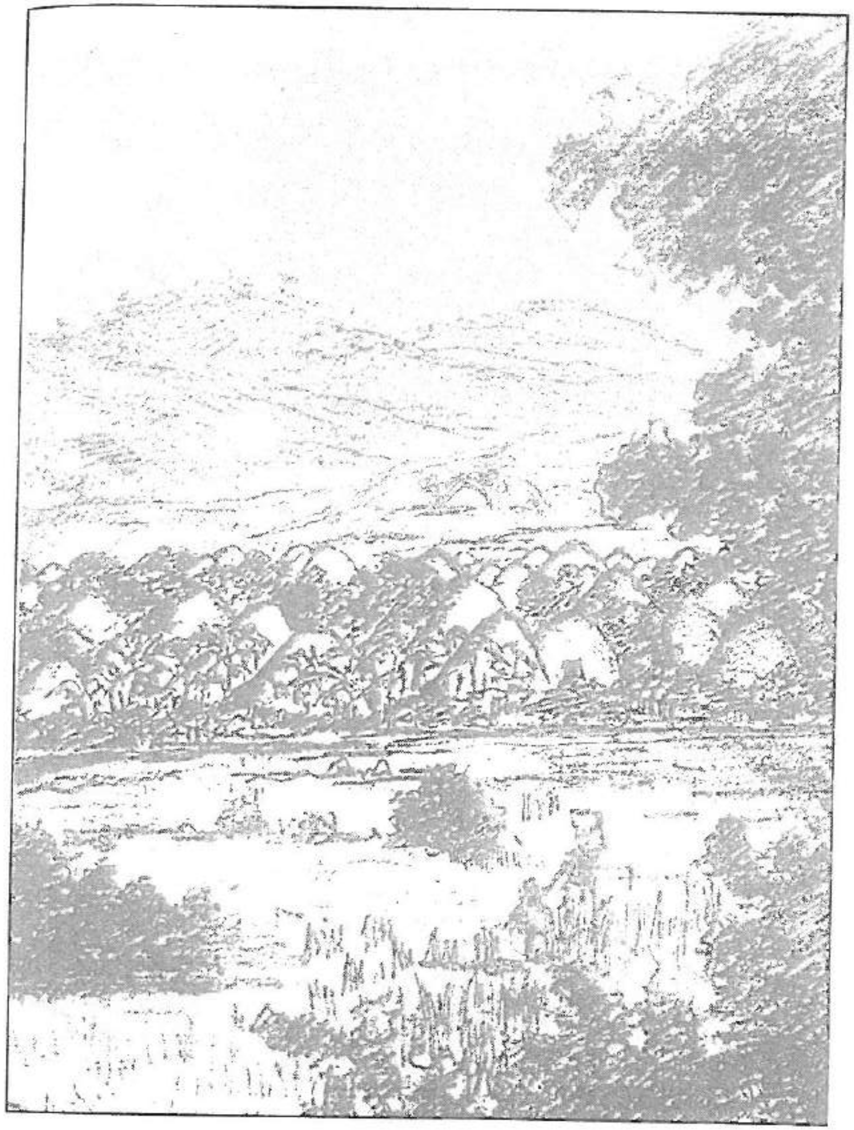
دار الكتب والبحث «أحمد بابا» بتومبوكتو، تتوفر على العديد من المخطوطات والوثائق المتعلقة بتاريخ السودان الغربي، عن: محمد حوتيه، قبيلة كنته بين إقليمي توات والأزواد من خلال الوثائق المحلية (ق. 18 - 19م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.



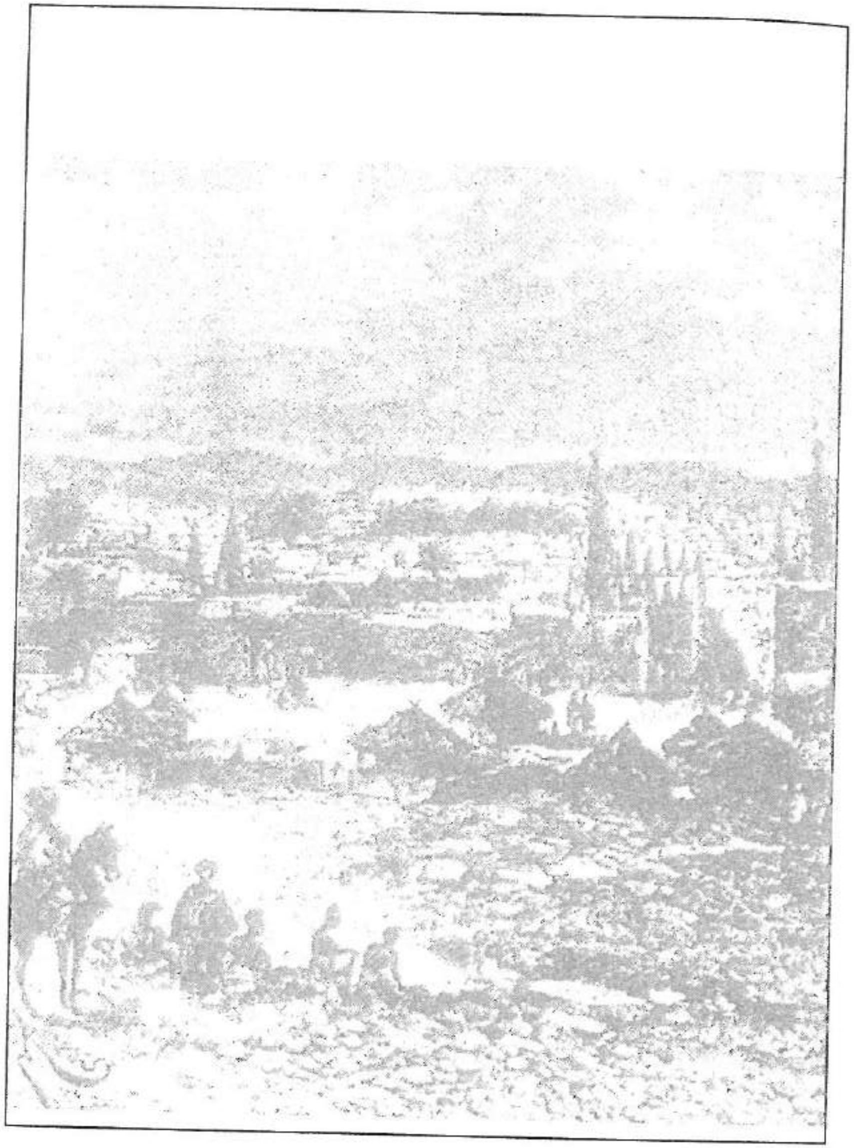
مخطط مدينة تومبوكتو في القرن التاسع عشر، حسب معلومات الرحالة هنري بارث (H. Barth).



منظر عام لمدينة تومبوكتو، ويظهر في أعلاه المسجد الجامع حسب رسم الرحالة روني كايي (René Caillé).
عن فيليكس دوبوا (Félix Dubois. Tombouctou la mystérieuse).



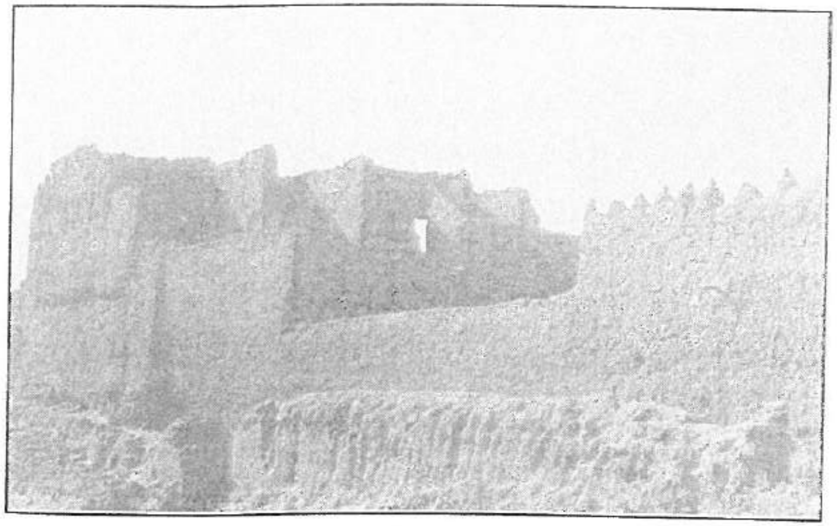
مدينة الإمام إبراهيم سوري (ألمام إبرا)، عن:
Ibrahim Baba Kaki Mémoire de l'Afrique. les villes historiques. A.B.C.. Paris. 1979. P.25.



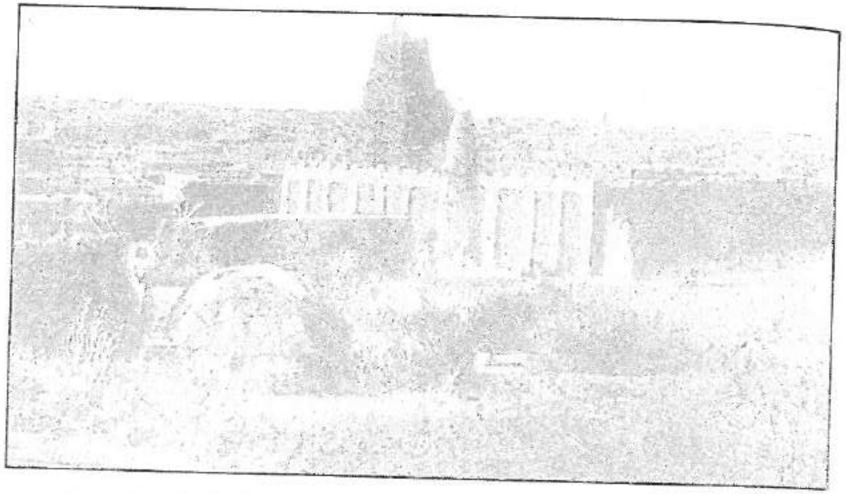
مركز كونغ الإسلامي شمال ساحل العاج والذي رفض الانضمام للثائر ساموري وتعرض من جراء ذلك إلى التدمير في 15 مايو 1898 م. عن: Ibrahim Baba Kaki. op. cit.



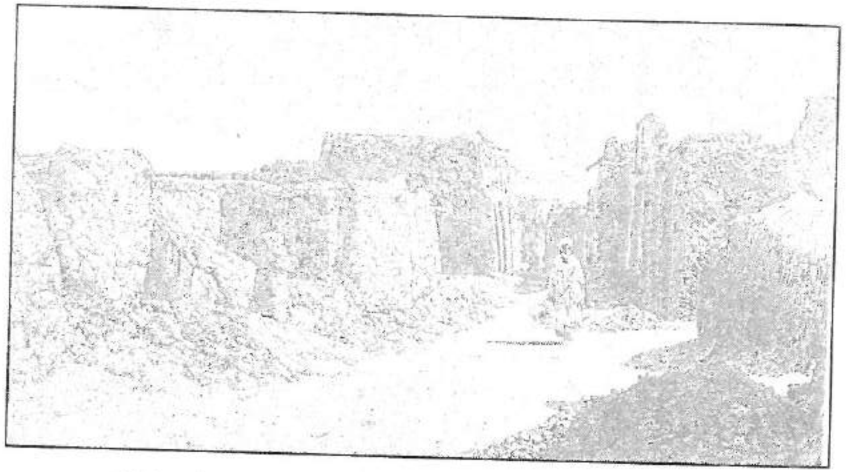
ساقية فقارة المختار، تستمد ماءها من قنوات تحت الأرض تعرف بالفقارة بناحية زاوية كنته بالأزواد.
عن محمد حوتية، المصدر نفسه.



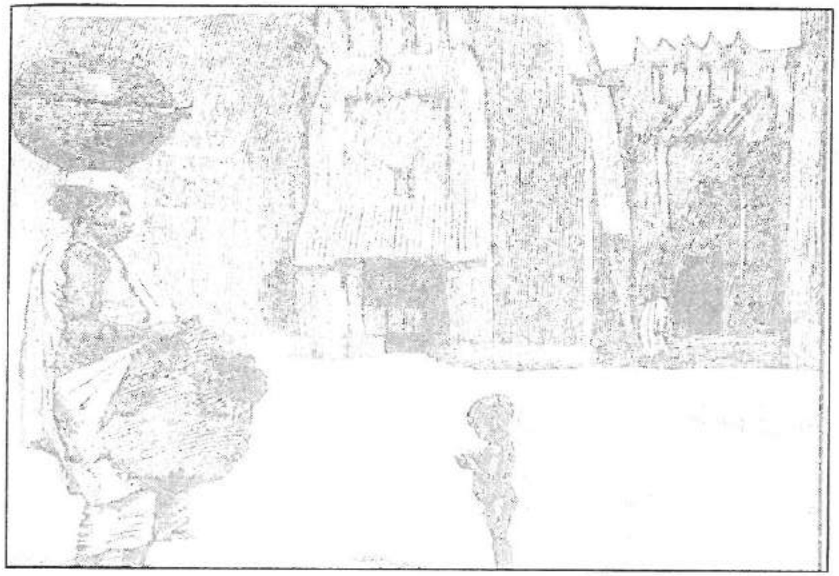
الركن الشمالي الشرقي لقصبة زاوية كنته بالأزواد، عن محمد حوتية، المصدر نفسه.



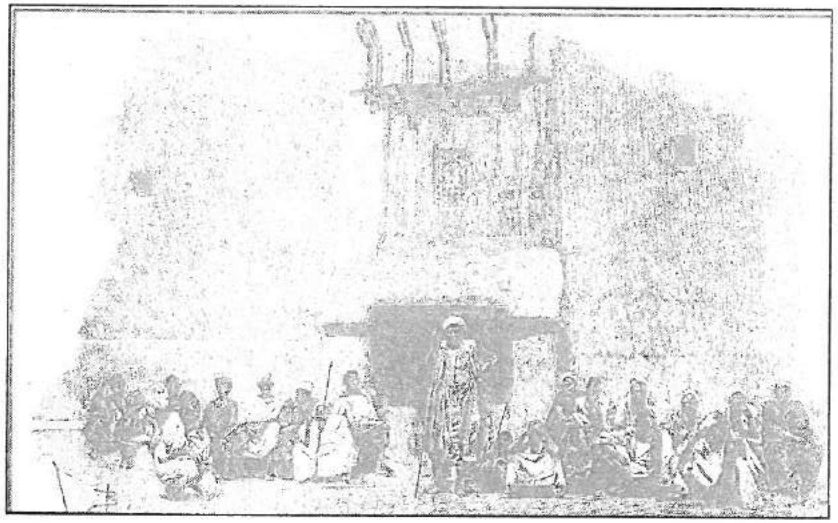
المسجد الجامع بمدينة سانكوري (Sankoré) الذي كان يعتبر جامعة للعلوم الدينية واللغوية. عن:
.Ibrahim Baba Kaki. op. cit. p11



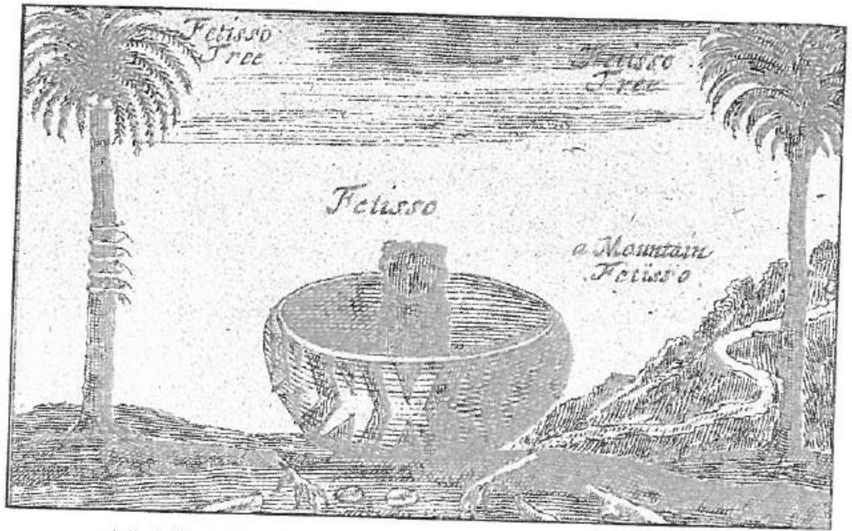
مدخل أحد الأزقة بمدينة سانكوري يظهر نوعية المساكن وطراز البناء التقليدي بالسودان الغربي، عن:
.Félix Dubois.op. cit



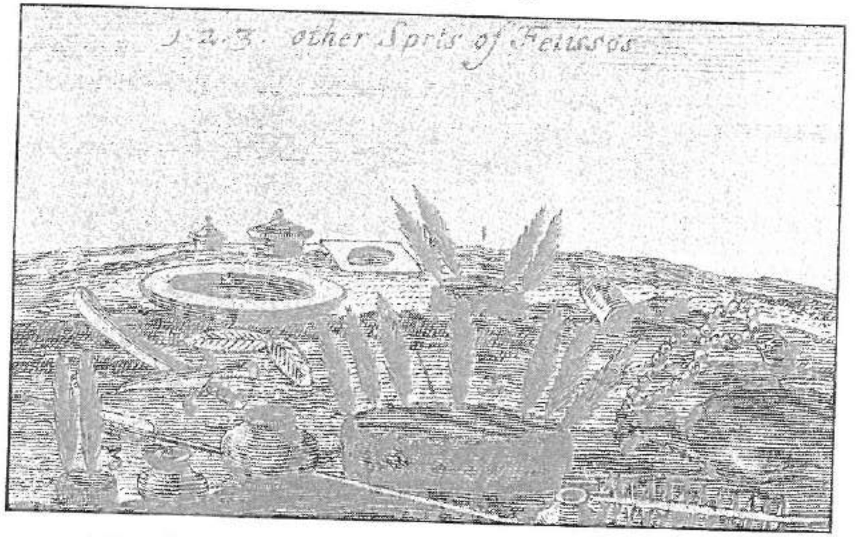
منظر لأحد الأحياء القديمة بمدينة جني يظهر نمط الحياة ونوعية العمارة، عن: Félix Dubois.op. cit.



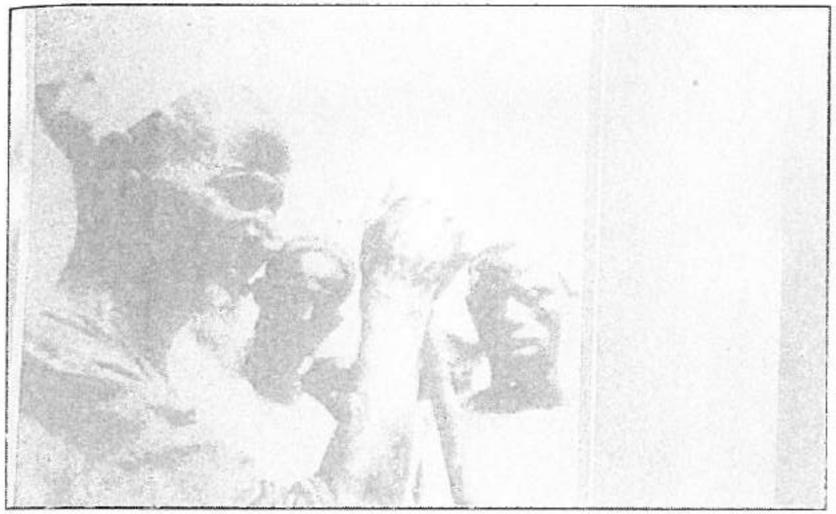
منظر لمنزل أحد التجار الكبار، اعتاد الناس التجمع أمامه وتبادل الحديث بينهم، عن: Félix Dubois.op. cit.



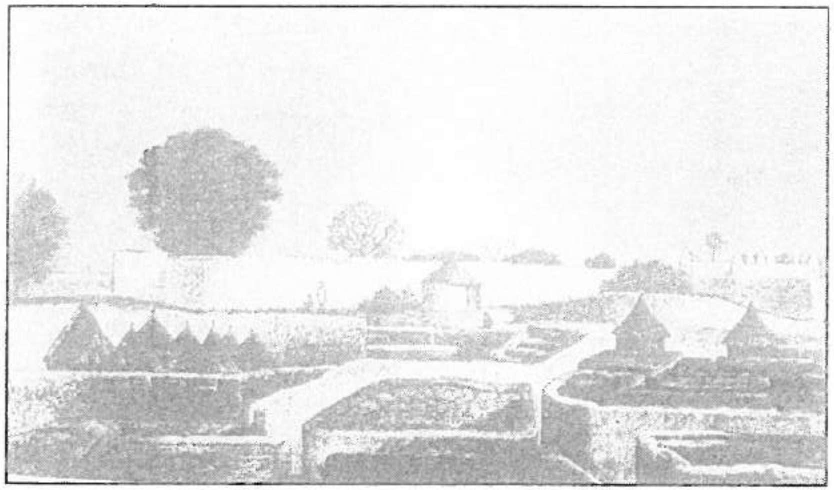
أدوات التطبيب وممارسة السحر وأعمال الشعوذة، عن: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر). اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا، اليسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1988.



منظر لممارسة السحر اعتقادًا في قدرة الصنم في فيتيسو (Fetisso) عن: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، المصدر نفسه.



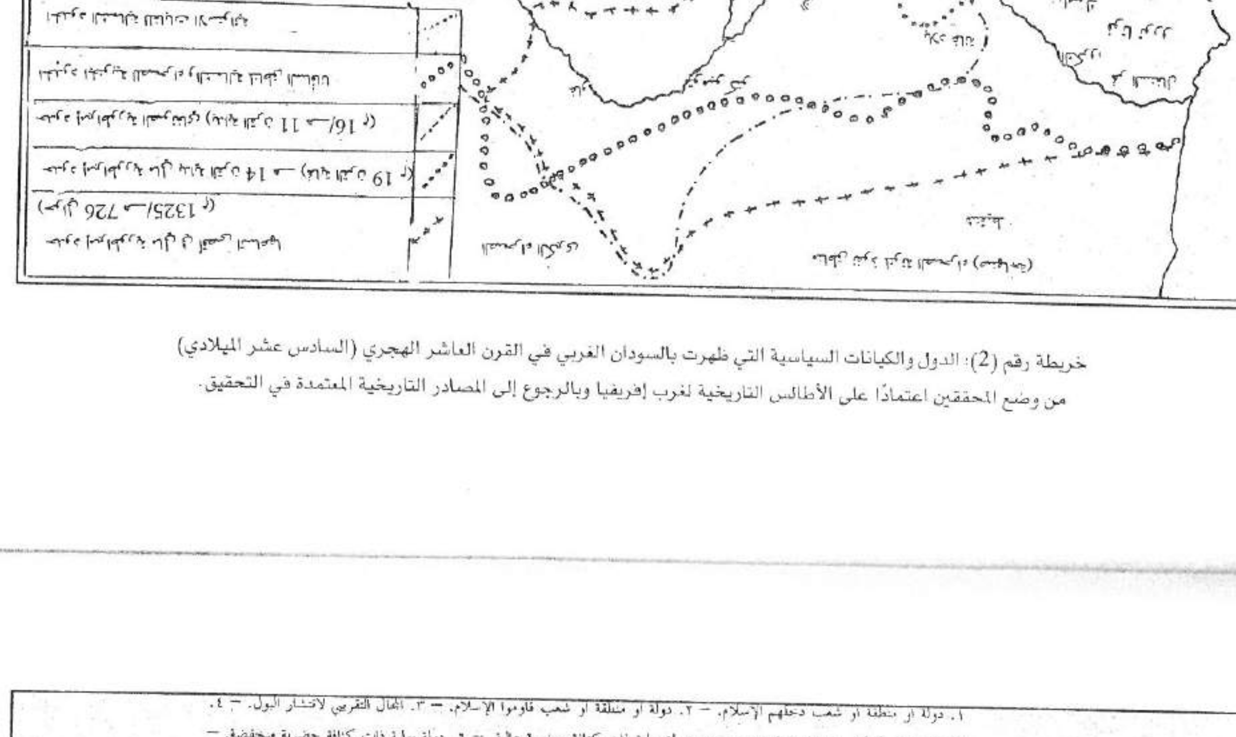
الحاج عمر تال الفوتي زعيم حركة الجهاد والداعي للطريقة التجانية متكئًا على عصاه أمام أتباعه،
عن: حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1994.



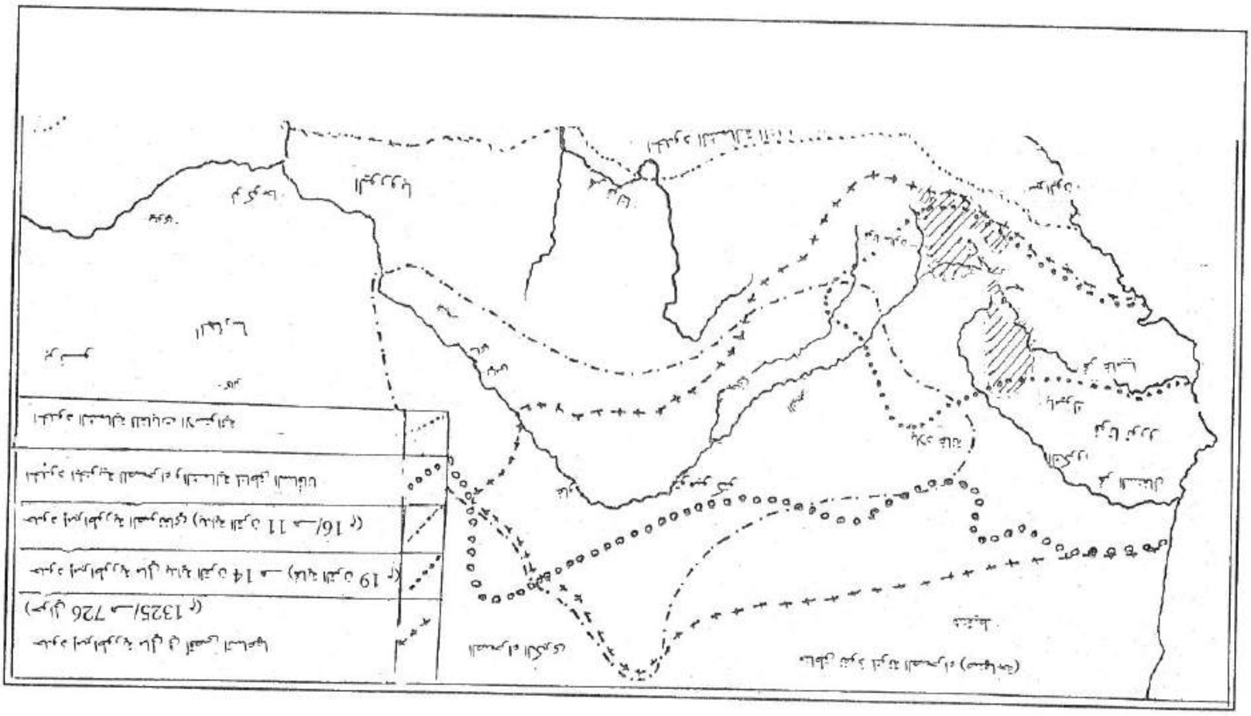
منظر عام لمدينة سيغو (سيقو) على عهد حاكمها الشيخ أحمد بن الحاج عمر تال،
عن: حسين جاجوا، المصدر نفسه، اعتمادً على.
Mage. Voyage au Soudan occidental (1863-1866). p.161



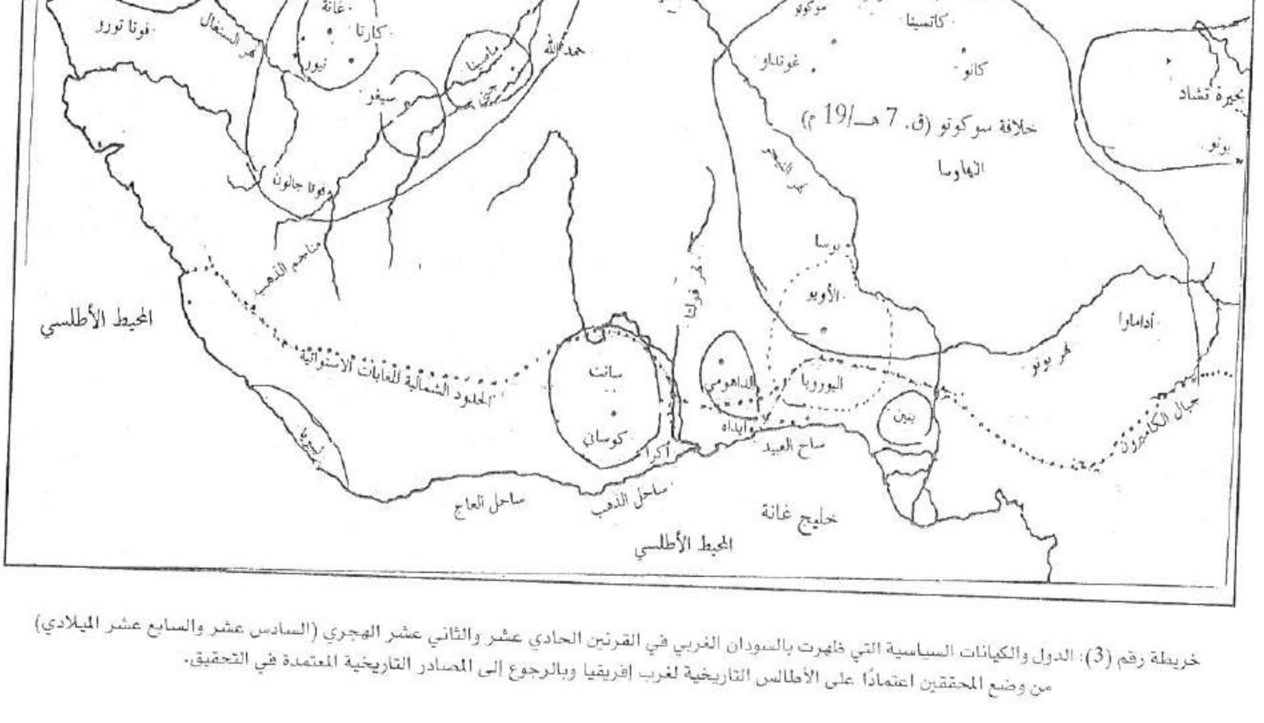
صورة للحاكم الفرنسي للسنغال فيديرب (Faidherbe)، عن: حسين جاجوا، المصدر نفسه، اعتمادً على:
C.pietri. les Francais au Niger. p.75



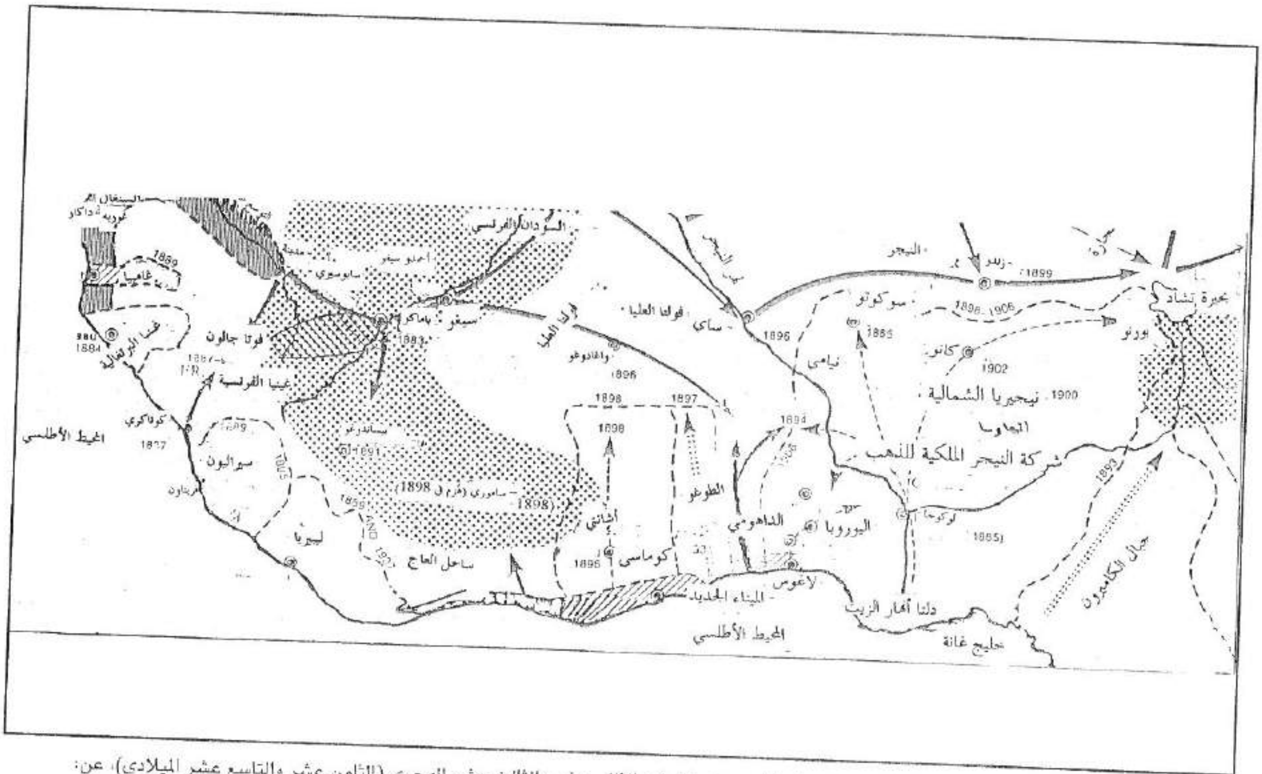
خريطة رقم (1): الحدود الأنثروبولوجية -الجغرافية للإسلام في إفريقيا السوداء، عن: كزافييه دوبلانهول، تاريخ أرض الإسلام، ترجمة معاوية سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008.



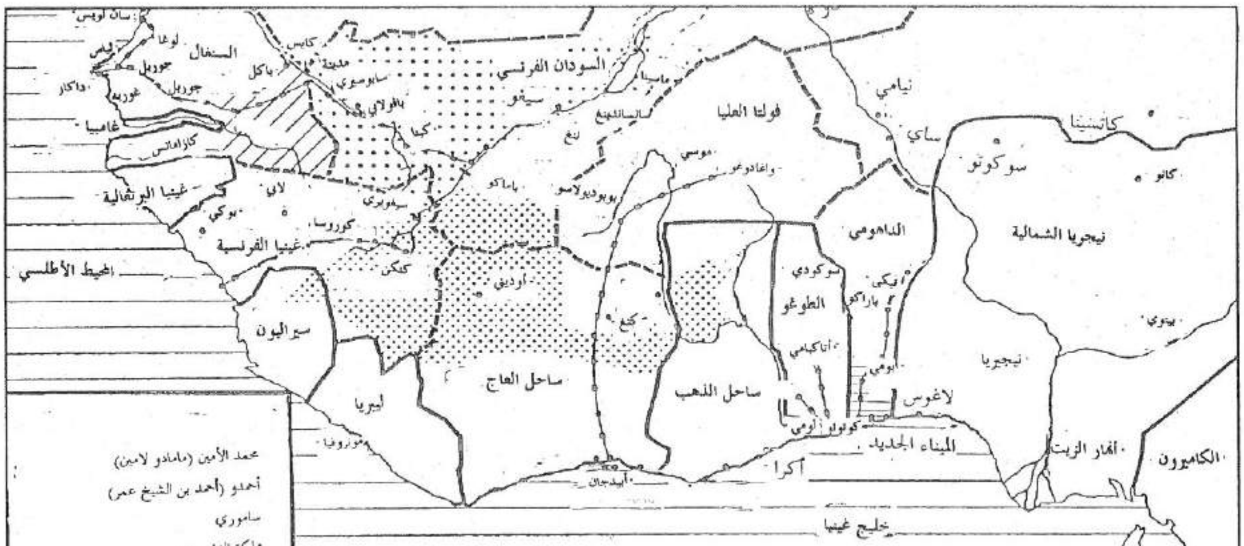
خريطة رقم (2): الدول والكيانات السياسية التي ظهرت بالسودان الغربي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) من وضع المحققين اعتمادًا على الأطالس التاريخية لغرب إفريقيا وبالرجوع إلى المصادر التاريخية المعتمدة في التحقيق.



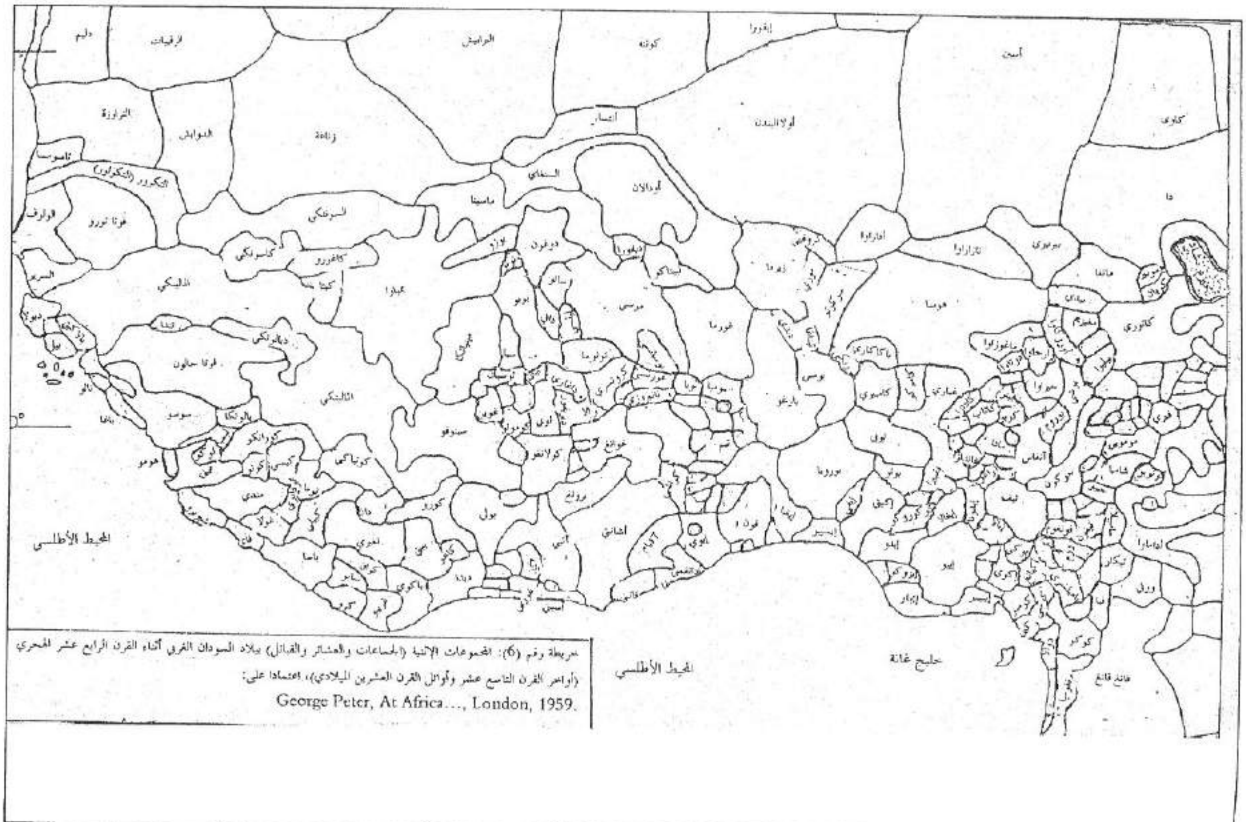
خريطة رقم (3): الدول والكيانات السياسية التي ظهرت بالسودان الغربي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري (السادس عشر والسابع عشر الميلادي)
من وضع المحققين اعتمادًا على الأطالس التاريخية لغرب إفريقيا وبالرجوع إلى المصادر التاريخية المعتمدة في التحقيق.



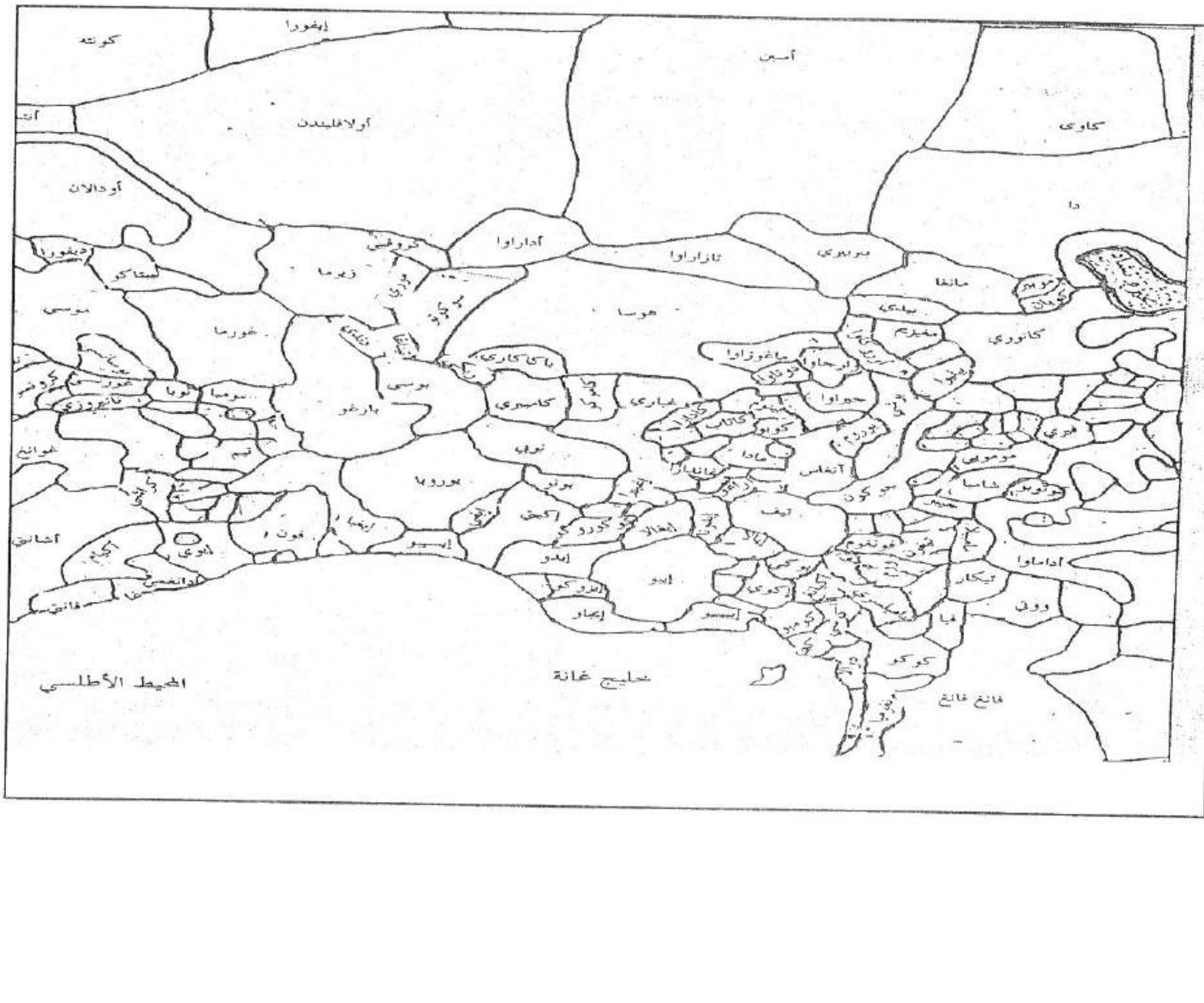
خريطة رقم (4): حركات الجهاد الإسلامية بالسودان الغربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي)، عن:
Roland Oliver, anthony Atmore, Africa since 1800, 3rd Edition, Cambridge University Press, London, 1981.

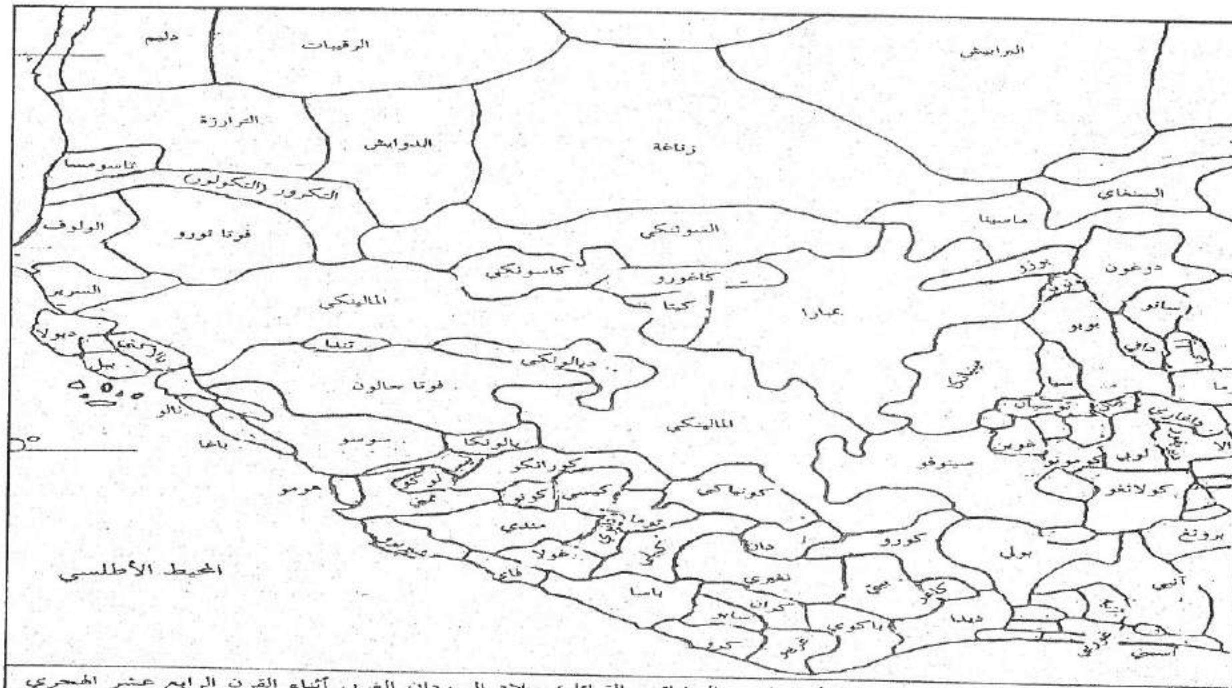


خريطة رقم (5): التوسع الاستعماري الفرنسي - الإنكليزي في السودان الغربي أثناء القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، عن:
Denise Bouchi. Histoire de la colonisation Francaise. T. 2 (Flux et reflux (1815-1962). Fayard. paris. 1991.

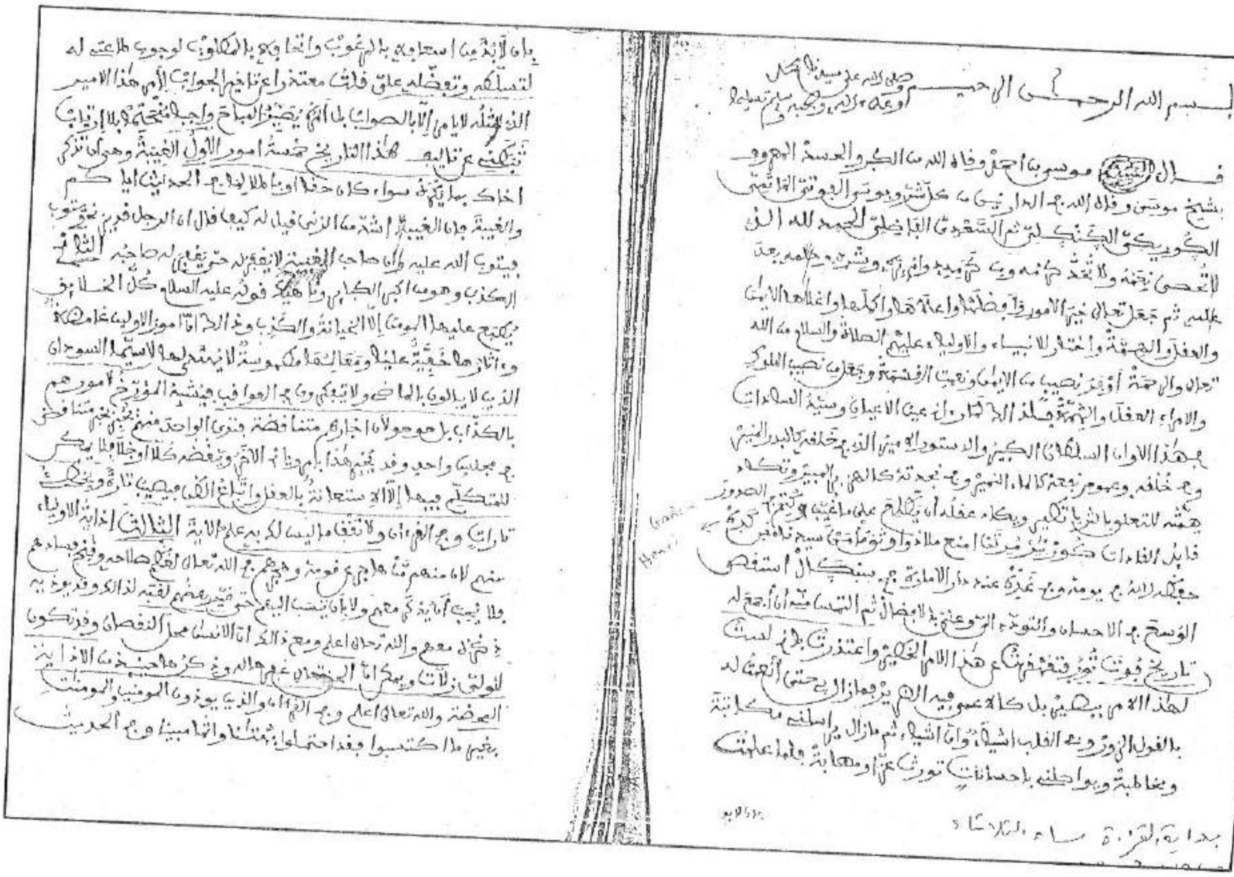


خريطة رقم (6): المجموعات الإثنية (الجماعات والعشائر والقبائل) ببلاد السودان الغربي أثناء القرن الرابع عشر الهجري
(أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي)، اعتمادًا على:
George Peter. At Africa its peoples and their culture and History. Murdocke. London. 1959.





خريطة رقم (6): المجموعات الإثنية (الجماعات والعشائر والقبائل) ببلاد السودان الغربي أثناء القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي)، اعتمادا على:
George Peter, At Africa..., London, 1959.





خريطة رقم (7): استكشاف السودان الغربي في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي)، وضعها الضابط الفرنسي رينيلي (Renneli) (1798 م)، وضبطت معلوماتها سنة 1802 م.

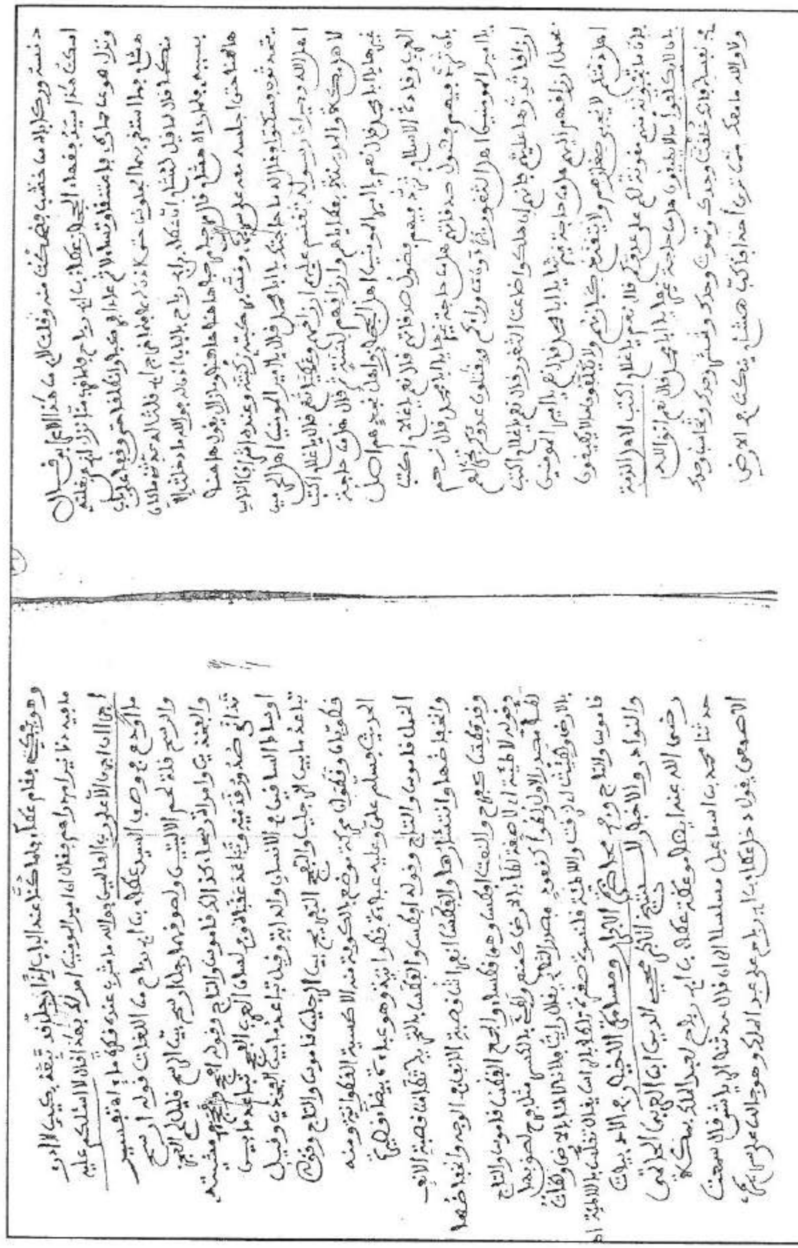
انظر: رحلة دومينغو باديا المعروف بعلي باي العباسي (Ali Bey el-Abbassi (Domingo Badia، سفر بإفريقيا وآسيا، طبعة باريس، 1814.

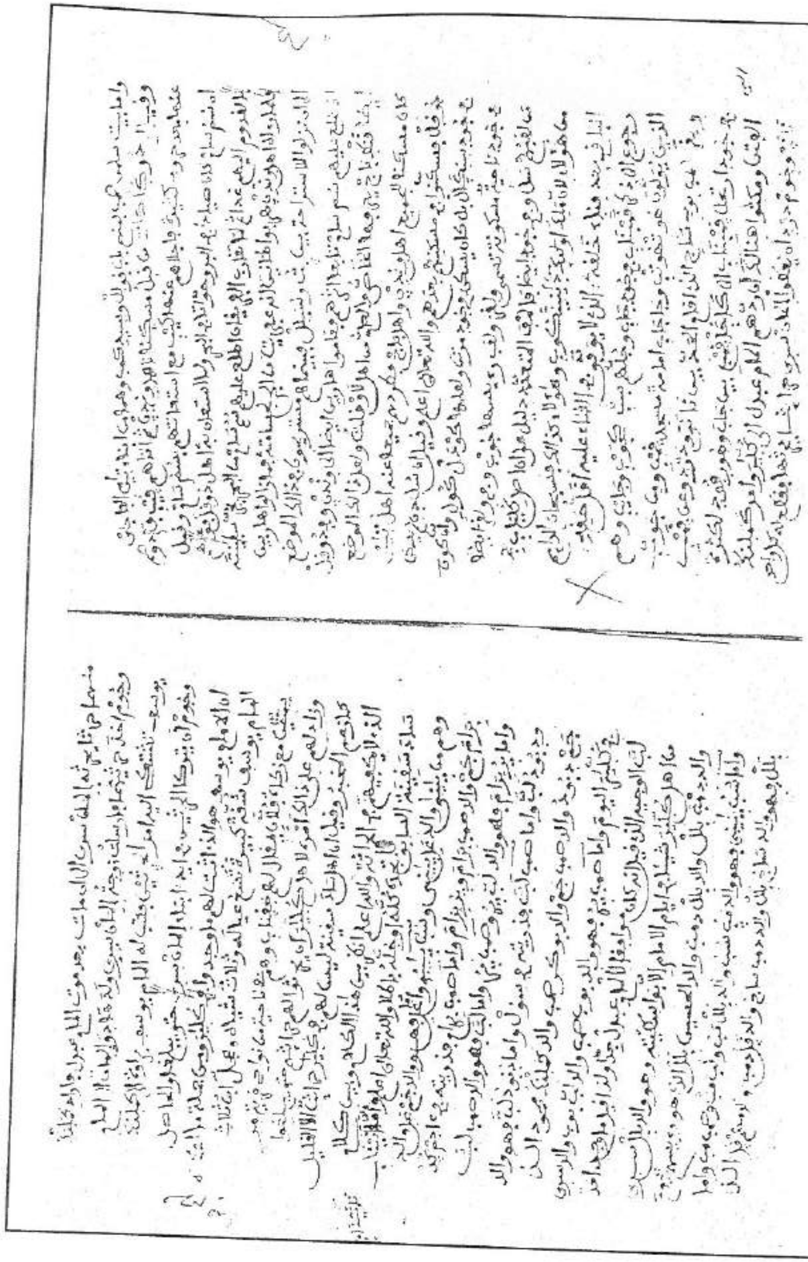
من اذى لي وليا فقد اذنته بالمحاربة وفي رواية اني لاغضب لاوليائي
كما يغضب الاسد الحرد وفي ذالك لا البحث عن انساب الشرفاء
والطعن في انساب بعضهم وذالك متحكم دينا وقد قالوا انما يتاب لا ثم خرفتها
غاية الولاية وغاية الشرف لا ابعض بغض وكراهتي لكثرة القيل والقال لما
في الحديث ما معناه ان الله تعالى نهى عن كثرة القيل والقال واضاعة المال ولما
في الحديث ايضا ما معناه ان الجد ليهوي في جهنم سبعين خريفا لاجل
كلمة قالها وما يلقي لها بالا والله تعالى اعلم الخاتمة علمي بقصور باعي
وبلادة طباعي من اللغة العربية التي تليق بملوك امثالكم وتتداعى بها
على السلاطين اشكالكم ولما خفت من هذه الامور العظام التي يشيب بها
راس الغلام تاخرت في تفكري في مخالفة امركم فوجدتها اشد على من وقع
الحسام وعلمت ان معذرتي ما جوزت الطاعة وانما امر لا نلطاعة مامون
فغمست نفسي في ساعد الجد لهذا الامر الجد وما توفيقي الا بالله عليه
توكلت واليه انيب بحاجة بعون الله تعالى وحوله وقوته وبركة همتكم
العلية كتابا جامعا ونورا لامعا يقتبس به من امور السودانيات
الاولى تحقيقات اللذين ثبت بذاك اسمية
باسمين الاول زهور البساتين في تاريخ السوادين والثاني انتصار
الموتور في ذكر قبائل ودار تور وصار كالمفتاح للسؤال في تحقيق
هذا المقال ورتبته على مقدمة وابواب وخاتمة المقدمة في هوان السودان
عند البيضان والابواب في التواريخ التي اشتمل عليها هذا الكتاب في
والخاتمة في نحو الاخوان عن التصدر للجهاد وعن ادعاء المهدوية
الموعدة في اخر الزمان وهذا اوان الشروع في المقصود بعون الله الملك

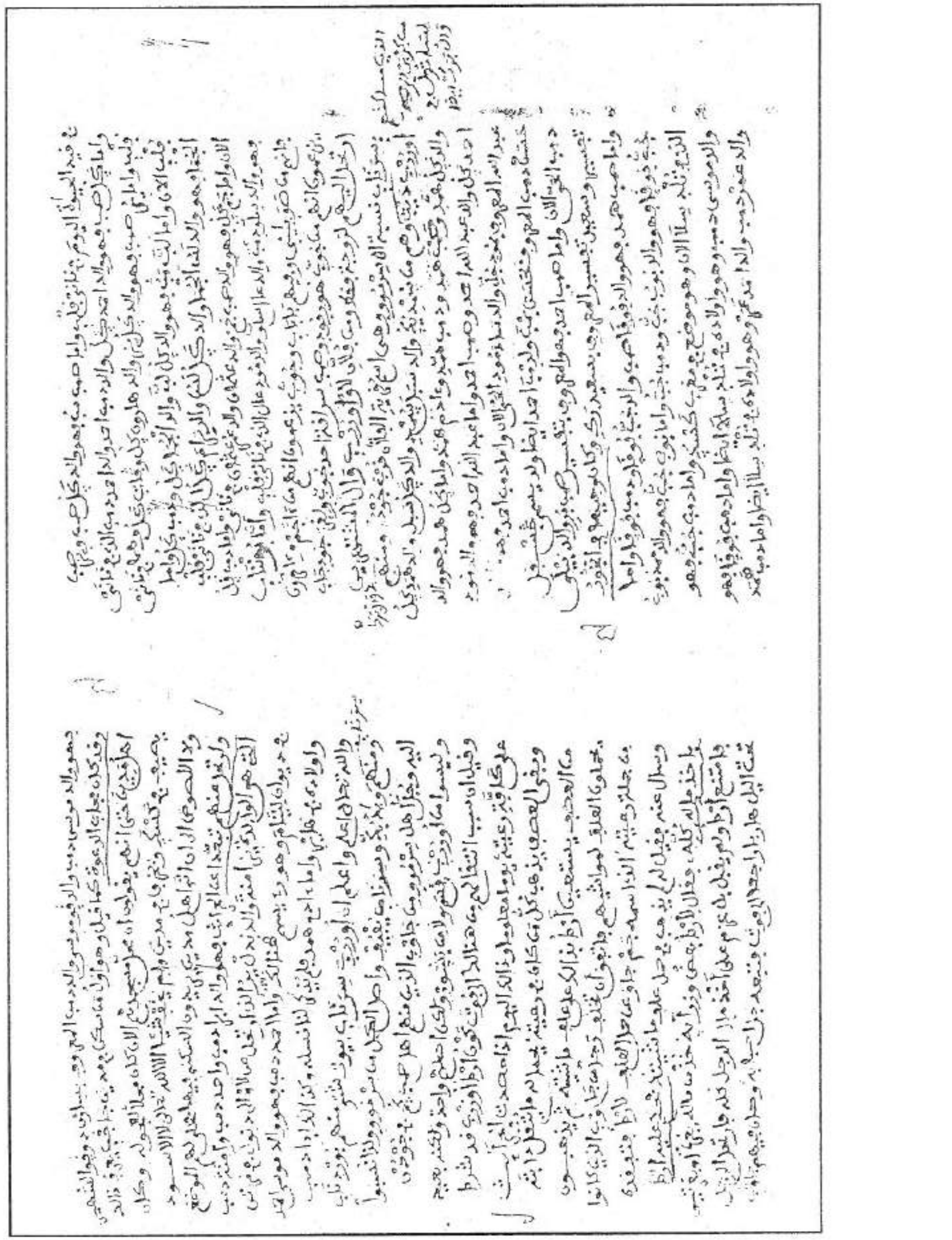
المعبود فنقول المقدمة في هوان السودان عند البيضان وفي ذكر
شيء من اصول القاب السودان وفيها ان اصل هوان السودان على
البيضان كما في الدرس التام والتاريخ العام ان نوحا عليه السلام
كان دعا على ابنه حام لداعي انه كان قد اسا الادب في حقه اذ كان
ابوه قد شرب خمرا فسكر فانكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه ابوه
فقال له انك لتكونن خادما ليافث وسام ولقد تحققت تلك اللعنة على الوجه
التام وذالك ان الممالك التي كان بنو حام قد انشاؤها لم تلبث ان تغالبت
مع اقوام من نسل اخويه المذكورين فتنازعوها معهم وكانت الدائرة
على ابناء حام والغلبة لابناء يافث وسام فاخذوها منهم واستوطنوها
بدلا منهم واقام بنو سام في كلدان العراق والشام وفلسطين وجزيرة العرب
واقام منهم القوم المعروفون باسم الاريين في بلاد الهند وفارس بلاد
العجم ولم يبق للنسل ولاد حام الا الافريقية دولة الاثيوبية فخصوا بالديار
المصرية حيث كان لهم بعض في ذالك العصر ابهة ونيلة مستعمرة وامتيازات
دولة ظاهرة مثل دولة العربية الغابرة بل استجيبت الدعوة الابوية باللعنة
على بني حام حتى في تلك الافكار فيما بعد على توالي الاعصار حيث كان بنو حام
وان مكثوا مستبدين بدولتهم مستعملين بصولتهم في تلك النواحي
اكثرها غير ان الكنعانيين كانت عاقبة امرهم في اخر عصرهم بان صاروا خدمة
لابناء سام وكذالك بعد ان مكثت بلاد الفينيقية والديار المصرية وشمال
افريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين
هم من ولد يافث صاروا جميعا الى ايدي تحت طاعة العرب المسلمين

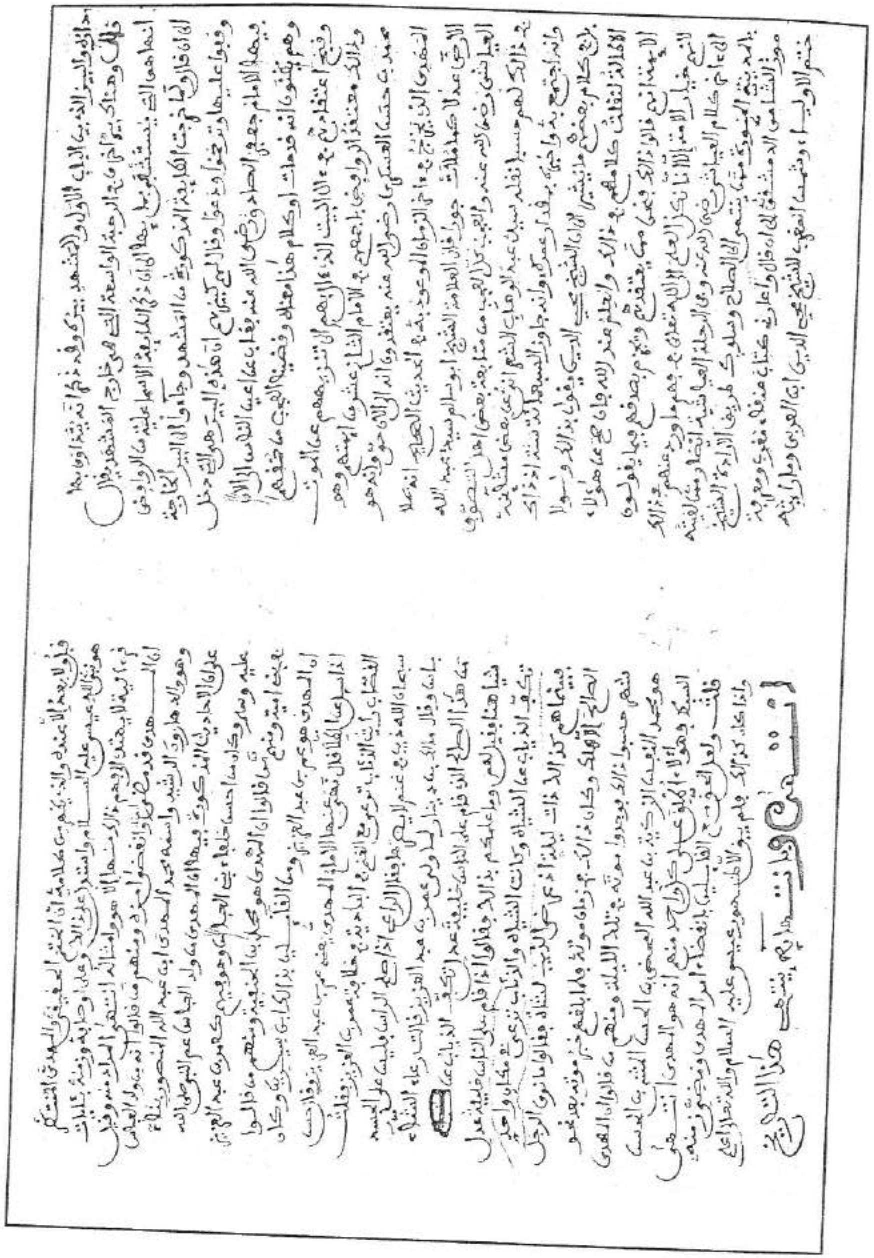
مساوئه مرتين مرة من الغرب واستولى الحبشا الذين اطلق عليهم ايضا
من ولد سام على الاثيوبيين وهم سكان بلاد الحبشة الافرمون وبالجملة
فان اولاد كنعان ولد حام قد بقوا لغاية هذه الاعصار متوطنين في بعض الاقطار
على وجه بحيث يتكونون منهم دائما اصل اهاليها فانهم منذ الاف من السنين
لم يتيسر لهم فيها ان يكون لهم حياة اهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة
بهم اعني انهم لم يقدروا ان يكونوا على صورة دولة او ملة مستقلة انتهت
عبارته بحذف واثبات والاثيوبيون الذين هم سكان بلاد الحبشة
الافرمون من نسل حام وكذا الفراعنة ملوك مصر وكذا النماردة ملوك
العراق ايضا وفي تاريخ مجالس المسمى بقصص الانبياء عليهم السلام
للعلامة ابي اسحاق الثعالبي رضي الله عنه ودعا نوح على حام ان لا يعدو شعر
ولده اذانهم وحيثما كانوا ولذلك يكونون عبيدا لولد سام ويافث وفي السيرة
الحلبية للعلامة الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي رضي الله عنه وجاء
ان نوحا قال لاهل السفينة وهم نكرها بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول
بيته لا يمسن احد امراة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ويذكر ان ولده حاما
تعدى ووطئ زوجته فدعا عليه بان يسود الله لون بنيه واجاب الله دعاءه
فجاء ولده اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسواد بنيهم
غير ذالك انتهى ... وفي مروج الذهب المسعودي وقد ذكر جالينوس
في الاسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد في غيره تفلفل الشعر وخفة
الحاجبين وفي نسخة وخفة العارضين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين
وتحديد الاسنان ونتن الانف وسواد الجلد وتشقق اليدين والرجلين
وطول الذكر وكثرة الطرب وقال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب

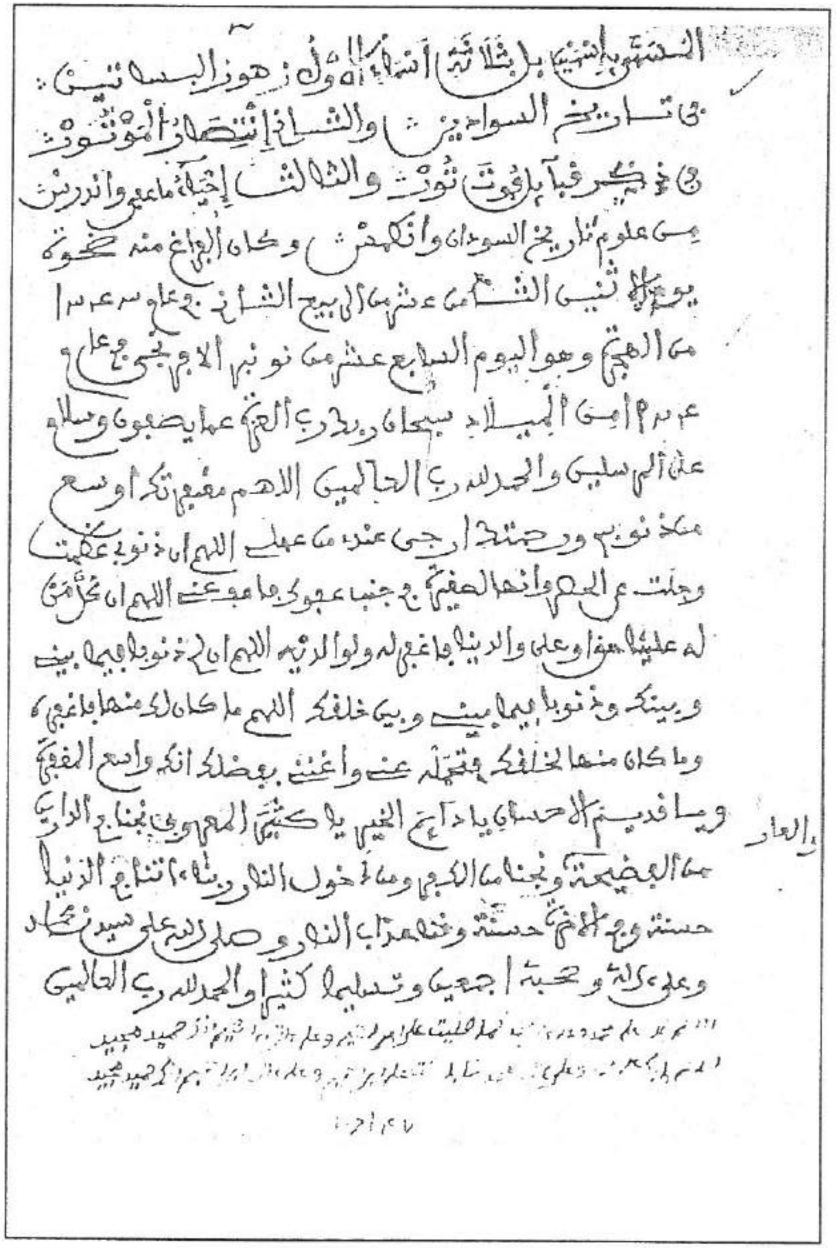
لفساد دماغه وضعف عقله ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله
ابن عباس لا ياكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا
ان ابا العباس الراضي بالله المقتدر بالله كان لا يتناول شيئا من اسود ويقول
انه عبد مشوه خلقه ولست ادري افلا طاوس اقتدى به ام الشرب
من الاراء والنحل الى اخر كلام المسعودي وقلت ولعل هذا الى نحو الذي
كان طاوس لا ياكل من ذبيحته كان غير مسلم فقيرا او عاريا يحكم الزكاة
والا فسيدنا بلال كان اسود نوبيا وكان مؤذنا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وخازن ماله وسيدا جليلا من سادات الصحابة رضوان الله
عليهم وكان لا يميز بين السين والشين للعجمة رضي الله عنه وكذالك
اسامة بن زيد حبه صلى الله عليه وسلم كان اسود وغيرهما من السادات
ولقد كان عطاء بن ابي رباح اسود وفي كتاب غرر الخصائص وعرر
النقائص الواضحة للشيخ ابي اسحاق برهان الدين ابراهيم بن يحيى الكتبي
المعروف بالوطواط قال بعضهم كنا بفناء الكعبة اذ مر بنا رجل طوال
ادعج اسود كان انفه بعرة اشد سوادا ما استنثر عليه ثوب ...
فكم رايت الناس يهرعون اليه من كل جانب يطلبون السبق بالسلام
عليه فقلت من هذا قالوا سيد ومفتي الحجاز عطاء بن ابي رباح ووصفه
اخر فقال كان اسود اوكان اشل اعرج ثم عمي بعد ذالك قال عثمان
ابن عطاء الخراساني انطلقت مع ابي نريد هشام بن عبد الملك فلما قربنا
اذا بشيخ على حمار اسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية










المشتهر باسميها بل بثلاثة أسماء الأول زهور البساتين
في تاريخ السوادين والثاني إتصال الموتى
في ذكر قبائل فوت تورت والثالث إحياء ما عمي واندرس
من علوم تاريخ السودان وانطمس وكان الفراغ منه ضحوة
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الثاني في عام [illegible]
من الهجرة وهو اليوم السابع عشر من نونبر الاعجمي في عام
[illegible] من الميلاد سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم مغفرتك أوسع
من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي اللهم ان ذنوبي عظمت
وجلت عن الصفح وانها الصغيرة في جنب عفوك فاعف عني اللهم ان [illegible]
له علينا عفوا وعلى والدينا فاغفر له ولوالديه اللهم ان لي ذنوبا فيما بيني
وبينك وذنوبا فيما بيني وبين خلقك اللهم ما كان لك منها فاغفره
وما كان منها لخلقك فتحمله عني واغنني بفضلك انك واسع المغفرة
ويا قديم الاحسان يا دائم الخير يا كثير المعروف نجنا في الدارين
من الفضيحة ونجنا من الكفر ومن دخول النار وربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

المحتوى

(*) ملاحظة: نظرًا لاسترسال المؤلف في ذكر أحداث متداخلة تخلو في مجملها من الترتيب الزمني أو الموضوعي، ولعدم وجود عناوين بالمواضيع التي يعرضها، مما يصعب على القارئ التعرف على مضمون المخطوط، فإننا اضطررنا إلى وضع عناوين فرعية مرقمة تحدد مضمون فقرات الكتاب وترشد متصفحه إلى المسائل أو الأحداث التي يريد الاطلاع عليها (المُحققان).

****